

بيّات من الهدى

تأليف
محمد الرصافي المقداد



- مقدمة مركز الأبحاث العقائدية
- بداية اندفاعه للبحث عن التشيع
- دراسة كتاب المراجعات
- ثمرة البحث في نهاية المطاف
- تحمّل مسؤولية الدعوة
- المضايقات بعد الاستبصار
- هذا الكتاب
- وقفة مع كتابه (بينات من الهدى)
- أهمية التوحيد في العقيدة الاسلامية
- أدلة التوحيد عند أهل البيت (عليهم السلام)
- كلام الامام الرضا (عليه السلام) في التوحيد
- التوحيد عند غير أهل البيت (عليهم السلام)
- توحيد الادعياء
- طريقان لا ثالث لهما
- مقدمة المؤلف
- هذا هو الصراط المستقيم
- على طريق الهدى
- التوحيد بين تنزيه أهل البيت عليهم السلام وتشبيهه غيرهم
- ولاية الله تعالى
- حاكمية الله أم حاكمية الناس
- الدعاء والعبادة عند أهل البيت عليهم السلام
- دفاعا عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
- قراءة في معاني النبوة
- قرآنا أم قرآنكم.. انه قرآن واحد
- منزلة أهل البيت عليهم السلام في الاسلام
- قراءة في حديث الثقلين
- حديث الاثني عشر خليفة برواية العامة
- قراءة في مقام علي عليه السلام
- حديث المنزلة
- قراءة في مقام فاطمة الزهراء عليها السلام
- مظلومية فاطمة الزهراء
- منقذ البشرية
- الصحابة بين الواقع والتضخيم
- الإثبات في نفي استخلاف أبي بكر للصلاة

- زواج المتعة إحصان أم زنى
- ما هكذا تكون النصيحة يا أبا بكر جابر الجزائري!
- تأملات ومقارنات



مقدمة مركز الأبحاث العقائدية

ولد الأخ محمد الرصافي المقداد في 23 / 8 / 1953 م في فطناسة ولاية قبلي بولاية تونس، وتزوج في أسوة ملتزمة تعتنق المذهب المالكي.

يقول الأخ محمد الرصافي حول التعليم الذي تلقاه منذ الصغر: أدخلني والدي في كتاتيب الوآن، فحفظت منه ما أمكنتني حفظه، ثم التحقت بالتعليم الحكومي، مواصلا لرواستي إلا أنني ولعوامل عدة انقطعت عنها دون الحصول على شهادة ختم الدروس الثانوية، ولعل أهم تلك العوامل انصواف كل اهتمامي بالعربية والتي كنت متفوقا فيها منذ الصف الابتدائي، فما تركت لبقية المواد التي كانت تتوس بالفونسية شيئا، وكنت دائم المطالعة ومنها حصلت على ثقافة عامة لا بأس بها.

بداية اندفاعه للبحث عن التشيع:

يقول الأخ محمد حول بلورة النواة الأولى التي دفعته للتعرف والبحث عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام): بدأت قصة استبصلي عندما انتقلت عام 1980 م من شمال تونس وبالتحديد من مدينة "بنزرت" حيث لا زال والدي واخوتي هناك، إلى مدينة

قابس للعمل في شركة للصناعات المعدنية. وكنت أعلم قبل ذلك أن ابن عم لي يدعى الشيخ مبارك بعداش، يقطن منطقة سيدي أبي لبابة بنفس المدينة، فكان ذلك مدعاة لي بأن آنس بنقلي إليها واتأقلم مع أجوائها. ويضيف الأخ محمد: وكان الشيخ مبارك بعداش أحد المؤسسين لحركة الاتجاه الاسلامي، أي أنه كان سنيا متعصبا، لكنني لما زرته بعد استقولي لاحظت انخفاض تعصبه عما كان عليه، فابقيت أن الشيخ قد طأ على تفكوه تغيير. فاقتربت ذات يوم من مجلسه مسلما عليه، فأيت ين يديه كتابان، الأول كتاب (المراجعات) للسيد عبدالحسين شوف الدين قدس سوه الشوف، والثاني كتاب (فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)) للشيخ المظفر (طيب الله ثاه)، فالتقت إليه بعد أن رد علي السلام واستفسرت منه الأمر، فذكر لي أنه في رحلته إلى مدينة قفصه وهو في طويق بحثه عن الحق بعد الخلاف الذي حصل له مع جماعة النهضة، التقى بالدكتور محمد التيجاني السملوي وتباحث معه حول مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ودلت بينهما عدة مناقشات من دون أن تسفر على اقتناع الشيخ التام بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) ثم ذكر أن الدكتور التيجاني زوده بهذين الكتابين.

رواسة كتاب المراجعات:

من هذا المنطلق أحب الأخ أن يشترك الشيخ مبارك بعداش في بحثه، لأنه وجد هذه الفوصة ثمينة للوصول إلى القناعات العقائدية المزودة بالأدلة والواهين، فاعلن استعداده للشيخ لمشركته في البحث من أجل التعرف على أصول عقيدة الاسلام النقية من كل لون.

ويضيف الأخ محمد: كان الشيخ آنذاك محاصواً من قبل جماعة حركة الاتجاه الاسلامي وكانوا قد روجوا عنه جملة من دعايات مغوضة وأقويل لا توفى إلى الحقيقة بشيء، فاستطعت بفضل الله تعالى كسر ذلك الطوق عنه باستقدام

الصفحة 3

عدد من الأخوة إليه فعدنا جلسات للبحث، ولا سيما من أجل تسليط الأضواء على كتاب المراجعات.

ثروة البحث في نهاية المطاف:

يقول الأخ محمد: راجعنا بعد ذلك المصادر المنصوص عليها في كتاب المراجعات، فتأكدنا أن صاحبه ينطق صدقاً وعدلاً، غير متحيز ولا متعرق، وأن دينه الحق وكشف مواطن الصدق، وتبين لنا أن أوار الشيخ سليم البشوي على أحقية أهل البيت (عليهم السلام) ليس إلاً دليلاً على قوة الواهين التي أوردها السيد شوف الدين، فاصغت لذلك افدنتنا وعقولنا وانغوست باكرة أفكره في وجداننا وانصاعت إليه طباعنا، ومن هذا المنطلق قررنا جميعاً الالتحاق بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وبالفعل أعلننا ذلك أمام الجميع.

تحمل مسؤولية الدعوة:

يقول الأخ محمد: انهالت علينا الأسئلة والاستفسرات من كل حذب وصوب، وكان الجميع وغب في التعرف على الأسباب التي دفعتنا لتبني فكر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فكنا نجيب على الاسئلة التي نواجهها حسب معلوماتنا، وكنا نعاني من قلة الكتب، فكانت اجابتنا بسيطة ومقتصورة على المعلومات التي اختونتها عقولنا.

ثم سافرت بعد ذلك إلى معرض الكتاب في نورتها الثانية عام 1981 ، فاشقويت منه كتاب الغدير للشيخ الاميني (رضوان الله تعالى عليه)، ثم واصلت جلساتي مع الشيخ مبارك، فكان ذلك دافعاً إلى المزيد من التعليم والبحث، وبدخول كتاب الغدير في حلقة الدرس توسعت معرفنا وقويت حجبتنا فكان ذلك حافواً على المزيد من العمل من أجل نشر فكر أهل البيت (عليهم السلام).

الصفحة 4

ويضيف الأخ محمد: ثم صحبت الشيخ في رحلاته إلى قفصه وغرها، وبعدها أصبح الشيخ يكلفني بالسفر للتبليغ أو

الاتصال بالأخوة، وسرعان ما أتى ذلك النشاط أكله وأينعت ثمره فاستبصر كل من طهوت سويرته وانطوى مكنونه على بلقة خير، فتشكّلت منهم نواة اقتحمت اسوار الجامعة، وانتشرت دعوتهم في البلاد طولا وعرضا وشمالا وجنوبا حتى لم يعد هناك مدينة إلا وفيها مؤمنون مستبصرون على منهاج المعصومين (عليهم السلام) قلباً وقالباً.

المضايقات بعد الاستبصار:

يقول الأخ محمد حول المصاعب والمضايقات التي واجهها بعد اعتناقه لمذهب أهل البيت (عليهم السلام): لم يخل طريقي من بعض العواويل والاشواك، فقد اعتقلت في 7 أوت 1985 م وحقق معي بشأن تشييعي واطلق سواحي بعد 14 يوماً، ثم وقع طودي من العمل في 4 جانفي 1986 م، ثم اعتقلت مرة أخرى في 21 أوت 1986 ولم يطلق سواحي إلا في 19 سبتمبر من نفس السنة، ثم وقع اعادتي إلى العمل بعد انقلاب السابع من نوفمبر تهدئة للاجواء في البلاد، ثم اعتقلت سنة 1991م ثلاثة أيام، تعرّضت خلالها للتعذيب ظلماً وعواناً، ثم تعرّضت للطود من عملي هذه المرة نهائياً سنة 1992 ثم اعتقلت سنة 1994 خمسة أيام واطلق سواحي.

ففكرت بعد ذلك بالهجرة إلى جمهورية اوان الاسلامية، لكن القدر حال دون ما أريد، فصوت محتسباً، ثم بعد مضي فترة فكرت في السفر من جديد، إلى نولة اخرى، فقد انقطعت سبل العيش في بلدي، ولم يعدّ بامكاني أن استمر على تلك الوترة، مسلوب الحرية مضيقاً على لقمة عيشي، ولا علاج لذلك سوى اللجوء إلى احدى الدول التي تتوفر فيها بعض الحرية وامكان العيش الكريم، كما قال تعالى (قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْاَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ اَرْضَ اللّٰهِ وُسْعًا

(1) فَنُهَاجِرُوا فِيهَا

ويضيف الأخ محمد: اللهم إني نويت الهجرة إليك، فيسر لي فيما نويت، وسخر لي ما أنت أعلم به مني، وافتح علي من رحمتك، وبلغني رضاك، واجعل ما بقي من عمري خيراً مما مضى منه، وهب لي من لدنك ولياً، وهب لي من لدنك نصواً، ورحمتك يا رحم الراحمين.

هذا الكتاب:

هو عبلة عن عدة مقالات، كتبها المؤلف في أوقات مختلفة، وبطلب من المركز أعاد النظر فيها وصححها، لتخرج في كتاب سماه: (بيئات من الهدى).

وقفه مع كتابه: (بينات من الهدى)

كتاب يحوي عدة مقالات عقائدية توضح عقائد الشيعة، وتتبع ما ورد عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، ويقرن في بعضها بين ما اعتقده أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وهو الاسلام الحق وبين ما اعتقده المذاهب الأخرى التي جمعت بين الغث والسمين، وقد رأينا هنا . طلباً للاختصار والانسجام . التعريف بأهم ما لورده في مقال التوحيد.

أهمية التوحيد في العقيدة الاسلامية:

يبين الكاتب أهمية التوحيد، فيقول:

يمثل التوحيد في العقيدة الاسلامية رأسها ودعامتها، ومن دون توحيد سليم قائم على معرفة صحيحة، لا يكون البناء العقائدي قوياً وثابتاً لدى الفرد المسلم، لذلك حث المولى سبحانه وتعالى مخلوقاته العاقلة على الأخذ بأسباب العلم لبلوغ الغاية من المعرفة في التوحيد، وفي سائر العقائد الاسلامية الأخرى. فقال في محكم تنويله: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) ⁽¹⁾ وَقَالَ ايضاً: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقُسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ⁽²⁾ فَالْآيَتَيْنِ تَشْوَانِ إِلَى أَنْ الْعِلْمَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَحِيدُ، وَالْمَسْلُوكُ الْوَشِيدُ لِبُلُوغِ لِرْكَانِ الْعَقِيدَةِ، وَأَعْلَى مَرَاتِبِ التَّوْحِيدِ، لِذَلِكَ لَمْ يَجْزِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ مَقْلَدًا فِي التَّوْحِيدِ وَفِي سَائِرِ الْعَقَائِدِ، وَوَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْلُكَ مِنْ أَجْلِ تَحْصِيلِ

1- محمد: 19.

2 - آل عمران: 18.

العلم بذلك سبيل البحث والتأمل، تثبيتاً لدعائم الايمان وتركيزاً للفتوة التي فطر الخالق سبحانه وتعالى الناس عليها.

أدلة التوحيد عند أهل البيت (عليهم السلام):

يوضح الكاتب بعض ما قاله أهل البيت (عليهم السلام) بشأن التوحيد فيقول:

ان المتأمل في امهات كتب الامامية الاثني عشرية، يلاحظ اهتماماً بالغاً ما انفك يوليه ائمة أهل البيت (عليهم السلام) لكل ما يتعلق بالدين عقيدة وشريعة. ولقد جاء من آثارهم ما اظهر تصديهم لكل دخيلة عن الدين أو مرقة منه، حتى إنهم كانوا يتحسسون مواضع الداء قبل استفحاله، ففي يوم الجمل مثلاً وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) يرد على رجل من جنده عندما سأله قائلاً: "انقول ان الله واحد؟ فحمل الناس عليه وقالوا يا اعرابي أمارى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب؟ فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): دعوه فان الذي يريده الأعرابي هو الذي يريده من القوم. قال: يا اعرابي ان القول ان الله واحد على أربعة أقسام فوجهان منهما لا يجوزان على الله عزوجلّ ووجهان يثبتان فيه.

فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد فهذا ما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب

الاعداد، أما ترى انه كفر من قال ثالث ثلاثة، وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس الوجهان فهذا ما لا يجوز عليه، لانه تشبيهه وجل ربنا وتعالى عن ذلك، اما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الاشياء شبيهه كذلك ربنا عزوجل، وقول القائل إنه ربنا عزوجل، احدي المعنى، يعني انه لا ينقسم في وجوده ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عزوجل" (1).

1- نهج البلاغة.

الصفحة 8

ومن هذا النص نستشف أن أمير المؤمنين سلام الله عليه لم يكن في حروبه الثلاثة التي الجيء إليها، مدافعاً عن موكبه كإمام المسلمين أو عن سلطته كولي امورهم. وانما خرج ليدفع عن الدين ما بدا يعتريه من دخيل عليه وغريب عنه. فقوله (عليه السلام): "دعوه فان الذي يريد الاغواي هو الذي يريد من القوم" دليل على ان وقائع الجمل وصفين والنهروان كانت كلها حروب تصحيحية. مصداقاً لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تأويله. فقيل من يارسول الله؟ فقال: خاصف النعل في الحجرة وكان علي بن أبي طالب يخصف نعل رسول الله في حجرته (1).

ومثلما سلك الإمام (عليه السلام) في الاستدلال على الخالق والتعريف به، بحيث لا يتطرق إلى أقواله تحريف أو تأويل. سلك الأئمة الهداة من بنيته (عليهم السلام) في الذب عن أركان الدين كلما سنحت لهم بذلك. فرصة: فكانوا على مرّ العصور حماة الدين. ورعاة آثار ووثائق الرسول (صلى الله عليه وآله)، المبلغ عن رب العالمين، بما استودعوه من علوم صحيحة وأفكار متطابقة صريحة، سأقتصر منها على قلة العواجم التي بحوزتي ما طالته يدي من مآثور أقوالهم ومستصفي آرائهم التي هي امتداد من مركز النبوّة، وهدى من نور الامامة، فهذا أبو عبدالله الحسين بن علي سيد الشهداء (عليه السلام) يقول في دعاءه الشهير في عوفة الذي رُهفت له آذان السامعين وتحيرت له عقول الحاضرين، وهزّ نياط قلوب المؤمنين بما حواه من سبحات القدس ولواعج الأنس:

"كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر اليك، أياكون لغورك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك. متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل اليك عميت عين لا تراك عليها

1- أحمد في المسند، المتقي الهندي في كنز العمال، محب الدين الطبري في الذخائر.

الصفحة 9

رقيباً، وخسوت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً..". (1)

قوله (عليه السلام) عميت عين لا تراك اشلة لطيفة إلى بصرة النفس لا إلى بصر العين لاستحالة رؤية المولى سبحانه وتعالى بالعين.

وتعددت ادلة الاثمة من أهل بيت النبوة (عليهم السلام) في اثبات وجود الخالق وبيان معنى صفاته فجاءت متنوعة ومتفاوتة المعاني على مقدار عقول السائلين.

جاء رجل إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام). فقال له: دلني على معبودي: فقال له اجلس. وإذا غلام له صغير وفي كفه بيضة يلعب بها. فقال (عليه السلام): ناولني يا غلام البيضة، فناوله اياها فقال: يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهب مائعة، وفضة ذاتبة، فلا الذهب المائعة تختلط بالفضة الذاتية ولا الفضة الذاتية تختلط بالذهب المائعة. فهي على حالها لم يخرج منها خرج مصلح فيخبر عن صلاحها. ولا دخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يبري للذكر خلقت أم للانثى تتفلق عن مثل الوان الطواويس. اترى لها مدواً؟ قال فاطوق ملياً ثم قال: اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمداً عبده ورسوله، وانك امام حجة من الله على خلقه وأنا تائب مما كنت فيه ⁽²⁾.

وقيل للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) يابن رسول الله: ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال له (عليه السلام): انك لم تكن ثم كنت، وقد علمت انك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك ⁽³⁾.

وسئل أمير المؤمنين (عليه السلام): بماذا عرفت ربك. قال بفسخ الغرائم ونقض الهمم، لما هممت فحيل بيني وبين همي، وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي علمت ان

1- دعاء الامام الحسين بعرفه، حق اليقين، عبدالله شبر: 1 / 40.

2- حق اليقين، عبدالله شبر: 1 / 32.

3- نفس المصدر.

(1) المدير غوي .

وعن إثبات الصانع قال (عليه السلام): البوة تدل على البعير، والروثة تدل على الحمير، واثر القدم تدل على المسير، فهيكلكل عوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة، لا يدلان على اللطيف الخبير ⁽²⁾.

وتؤد الاثمة من أهل بيت النبوة (عليهم السلام) في الاستدلالات العقلية والاجوبة المنطقية في التوحيد وغوه من عقيدة الإسلام، مضافاً إلى سوهم لأغوار الوحي ونيلهم العلوم الإلهية ما فاض على اتباعهم، معرف وحقائق جعلتهم على بصرة من أمرهم، وجعلت غوهم من المتكبين عنهم في حرة يعبدون الله على حرف أو تونه.

للإمام علي بن موسى الرضا ثامن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مناظرات واحتجاجات، ودروس ومحاضرات في شتى العلوم الإلهية، فيها من الأجوبة الشافية والردود الكافية ما قسم به ظهر الباطل واعداد الحق إلى نصابه، فقد جاء عنه (عليه السلام) في التوحيد:

عن محمد بن عبدالله الخواساني خادم الرضا (عليه السلام) قال: "دخل رجل من الزنادقة على الرضا (عليه السلام) وعنده جماعة فقال لأبي الحسن (عليه السلام): رأيت أن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون ألسنا وإياكم شوع سواء ولا يضونا ما صلينا وصمنا وزكينا واقرنا فسكت فقال أبو الحسن (عليه السلام): وان يكن القول قولنا وهو قولنا وكما نقول أستم قد هلكتم ونجون؟ قال: رحمك الله فوجدني كيف هو وأين هو؟ قال ويلك ان الذي ذهبت إليه غلط وهو أين الأين وكان ولا أين، وكيف وكيف وكان

1- نفس المصدر.

2- نفس المصدر: 1 / 33.

الصفحة 11

ولا كيف، فلا يعرف بكيفية ولا بأينونية، ولا يبرك بحاسة ولا يقاس بشيء، قال الرجل: فإذا انه لا شيء إذا لم يبرك بحاسة من الحواس، فقال أبو الحسن (عليه السلام): ويلك لما عجزت حواسك عن اواركه انكوت ربوبيته ونحن إذا عجزت حواسنا عن اواركه ايقتنا أنه ربنا وأنه شيء بخلاف الأشياء قال الرجل: فأخوني متى كان؟ قال أبو الحسن (عليه السلام): فأخوني متى لم يكن فأخوك متى كان؟ قال الرجل: فما الدليل عليه؟ قال أبو الحسن اني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكني زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكروه عنه وجرّ المنفعة إليه علمت ان لهذا البنيان بانياً فأقرت به مع ما رى من دوران الفلك بقوته وانشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات، علمت ان لهذا مقوراً ومنشأ، قال الرجل: فلم احتجب؟ قال أبو الحسن: ان الحجاب على الخلق لكثرة ذنوبهم فأما هو فلا يخفى عليه خافية في أثناء الليل والنهار، قال: فلم لا تتركه حاسة الأبصار؟ قال: للفق بينه وبين خلقه الذين تحركهم حاسة الأبصار منهم ومن غوهم ثم من أجلّ من أن يبركه بر أو يحيطه وهم أو يضبطه عقل قال: فحدّه لي، قال: لا حد له قال ولم؟ قال: لأنّ كلّ محدود متناه إلى حدّ وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان فهو غير محدود ولا مؤايد ولا متناقص ولا متخوئ ولا متوهم.. إلى آخر الحديث.

حدّثنا علي بن الحسن بن الفضال عن أبيه قال: سألت الإمام علي ابن موسى الرضا (عليه السلام) في قوله الله عزوجل: **(كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئذٍ لَمَّحُورُونَ)**⁽¹⁾ فقال: ان الله تعالى لا يوصف بمكان يحلّ فيه فيحجب عنه فيه عبادته ولكنه يعني

انهم عن ثواب ربهم محجورون قال وسئلته عن قول الله

عزوجل: **(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)** ⁽¹⁾ فقال: ان الله تعالى لا يوصف بالمجيء والذهاب تعالى عن الانتقال انما عني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفاً صفاً. قال: وسألته عن قول الله عزوجل هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظل من الغمام والملائكة. قال: يقول هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظل من الغمام. قال: وسألته عن قوله تعالى: **(سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ)** ⁽²⁾ وعن قوله: **(اللَّهُ يَسْتَهْوِي بِهَمْ)** ⁽³⁾ وعن قوله **(وَمَكْرُوا اللَّهَ)** ⁽⁴⁾ وعن قوله: **(يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ)** ⁽⁵⁾ فقال ان الله تعالى لا يسخر ولا يستهوي ولا يمكر ولا يخادع ولكنه يجزيهم خواء السخوية وخواء الاستهواء وخواء المكر والخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

عن الحسن بن سعيد عن ابي الحسن الرضا (عليه السلام) في قوله عزوجل: **(يَوْمَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ وَ يَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ)** ⁽⁶⁾ قال حجاب من نور يكشف فيقع المؤمن سجداً. وتدمج اصلااب المنافقين لا يستطيعون السجود. منها قول القائل: كشفت الحرب عن ساق أي اظهرت نتائجها.

عن محمد بن عبيدة قال: سألت الرضا (عليه السلام) عن قول الله عزوجل لابليس: **(مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ)** ⁽⁷⁾ قال (عليه السلام): "يعني بقوتي وقوتي".

عن الحسين بن خالد قال قلت للرضا (عليه السلام): "يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان الناس يروون ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال (ان الله عزوجل خلق آدم على صورته) فقال: قاتلهم

1- الفجر: 22.

2- التوبة: 79.

3- البقرة: 15.

4- آل عمران: 54.

5- النساء: 142.

6- القلم: 42.

7- ص: 75.

الله وقد حذفوا أول الحديث ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرّ بوجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: (قبح الله وجهك ووجه من يشبهك. فقال (صلى الله عليه وآله): يا عبدالله لا تقل هذا لآخيك فان الله عزوجل خلق آدم على صورته)

فيكون الضمير عائداً على الرجل الذي وقع عليه السب.

عن الحسين بن خالد قال قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): يا ابن رسول الله ان قوماً يقولون: لم ينزل الله عالماً بعلم قادر بقوة حياً بحياة قديماً بقدم سميعاً بسمع بصوا ببصر. قال (عليه السلام): من قال ذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى وليس من ولايتنا على شيء ثم قال (عليه السلام): لم ينزل عزوجل عليماً قدواً حياً سميعاً بصوا لذاته تعالى عما يقول المشركون والمشبهون علواً كبيراً.

التوحيد عند غير أهل البيت (عليهم السلام):

لا يمكننا اظهار صحة ما نحن عليه من توحيد سليم إلا بعرض ما يعتقدونه غيرنا من المسلمين. فنقول أما المنحرفون عن ولاية الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام)، فقد ذهب بهم مذاهبهم إلى تبني معتقدات أساسها الكذب على الله تعالى وعلى رسوله الأكرم (صلى الله عليه وآله)، بما ابتدعه لهم علمؤهم وفقهؤهم، وما زكاه حكامهم لهم من أباطيل لو تأبوا إلى رشدهم منها لبكوا على ما فرطوا في جنب الله تعالى، ولضحكوا على تفاهة عقول مبتدعيها ومنتحلبيها، وأي بناء لا يكون أساسه سليماً مآله السقوط. والعقيدة التي اختلط فيها الغث بالثمين والسقيم بالسليم لا يمكن أن تفرز بعداً غيبياً وتواصل إلهياً، وهي أقرب إلى الجهالة منها إلى المعرفة. وإلى النوة منها إلى الحب.

والممتنع لجملة الأحاديث التي أوردها هؤلاء في اثبات جسمانية الخالق وتفاصيل اجزاءه وجلسه وتزوله وتنكوه وضحكه ورؤية المؤمنين له يوم القيامة يلاحظ اصوار غريباً من حفاظهم على نقل تلك المفتريات المتعرضة مع القوان.

ومع غيرها من الروايات والتي لا يقبلها عقل سليم لم يصب بلوثة التجسيم والرؤية.

ثم زاهم يحثون اتباعهم على التدين بها حثاً وحرمون عليهم معلضتها أو حتى مجرد التشكيك في مدى صحتها فلم ينشأ بينهم غير التعصب الأعمى والتدين الأوج وتولدت فيهم حواء تلك الروايات الفاسدة عقيدة عقيمة وتوحيد اقرب للوثنية وآلهة الأغويق القدامى منه إلى توحيد الحق تعالى وحلت الخرافة في الدين محل العلوم الالهية، والقصاصون محل العلماء حتى عجت كتبهم بها ومع ذلك لا يتخرجون ولا يتأثمون منها طالما انهم يعتقدونها من اقوال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبما انني اتحدث عن مقام واحد منها فقد اخرجت ما هو متعلق بالتوحيد فقط على أن يكون لكل باب من بقيتها مقام ومقال:

اخرج البخاري ومسلم وغيرهم من حفاظ العامة ما يلي:

- 1 . عن صهيب عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إذا ادخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً لذيكم؟ فيقولون الم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئاً أحب إليهم من ربهم عزوجل⁽¹⁾.
- 2 . عن أبي هريرة اخبر ان أناساً قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله): يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة. فقال

رسول الله (صلى الله عليه وآله) هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فانكم ترونه كذلك ⁽²⁾.

3 . عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال يد الله ملى لا يغيضها نفقة

1- اخرجه مسلم: 1 / 112.

2- مسلم: 1 / 114.

الصفحة 15

سعاء الليل والنهار وقال: رأيت ما انفق منذ خلق الله السموات والأرض فانه لم يغيض ما في يده وقال: وعوشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع ⁽¹⁾.

4 . عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ينتول ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول: من يدعوني فاستجب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفني فأغفر له؟ ⁽²⁾

5 . في حديث طويل عن ابن مسعود جاء فيه.. قالوا "م تضحك يا رسول الله قال: من ضحك رب العالمين" ⁽³⁾.

6 . وعن جابر بن عبد الله في حديث طويل... ثم يأتي ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون فيقولون: ننظر ربنا فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك فيتجلى لهم يضحك قال: فينطلق بهم ويتبعونه ⁽⁴⁾.

7 . عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: خلق الله عزوجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً... ⁽⁵⁾

هذه الروايات وغيرها تؤيد الوأي العام المتداول عند تلك الطائفة في أن الخالق تعالى عن ذلك جسماً وجعلوا له صفات وقالوا بأنها غير ذاته وان له اعضاء كاليدين والوجه والعينين والرجل وانه يتكلم ويضحك ويتنكر إلى غير ذلك من السفسطات والسخافات.

1- اخرجه البخاري في تفسيره سورة هود، ومسلم في الزكاة.

2 - اخرجه البخاري في باب التهجد باب الدعاء والصلاة في آخر الليل ومسلم في صلاة المسافرين.

3- مسلم: 1 / 120.

4- مسلم: 1 / 122.

5- صحيح مسلم: 8 / 149.

الصفحة 16

توحيد الادعاء:

قد سلك الجاحدون للامامة الشوعية والمنحرفون عن الائمة الهداة عليهم وعلى جدهم لكى السلام وأفضل الصلاة وهم الوهابية اتباع محمد بن عبدالوهاب، فقد سلكوا مسلك أحمد بن تيمية وتلميذه ابن القيم واتباعهم حينما ادعوا بأنهم هم الموحون حقاً وغوهم من المسلمين مشكون، وأن توحيدهم الله هو التوحيد الصحيح الذي تتبني عليه عقيدة الإسلام، والمتصفح لكتبهم ككتاب التوحيد لابن عبدالوهاب، والعقيدة الحموية والواسطية وغيرها وهي رسائل لابن تيمية يقف على مدى بطلان عقيدتهم وفساد رأيهم وتقاهة عقولهم، فإن الذي يثبت الله تعالى جهة الفوق والنزول والمجيء والقوب والوجه واليدين والأصابع والعينين بمعانيها الحقيقية نون تأويل، مختل الاعتقاد وفساد التوحيد.

ولم يقفوا عند ذلك الحد في تطولهم السخيف بل راوا يستكرون ويشنعون على كل من قال بنتويه المولى عن كل نقص، ولم تكن لهاصاتهم ولا شطحاتهم تلك وليدة استنتاج علمي أو بحث فكري، حتى تصنف في خانة الاجتهاد وإنما هو دليل يزوج به كل ذي بصيرة بعد إطلاعها عليها يعبر على سطحية وضحالة علوم كل من تبني عقيدة هؤلاء الذين اطلق عليهم طواغيت العصور الغاورة أهل السنة والجماعة وهم للبدعة أقرب وأولى بالتسمية. فعن أي سنة يتحدثون؟ إن كانت سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأهل بيته الذين أذهب عنهم المولى سبحانه وتعالى الرجس وطوهم تطهروا وقرنهم جدهم بالكتاب العزيز أولى عقلاً ونقلاً. وسوهم تنبئك عن حالهم، ولورد هؤلاء إليهم ما التبس من دينهم لوجوا عندهم ما يشفي صدورهم ويجعلهم على بصيرة من أمرهم، وإن كانت سنة أخرى كالذي أدخله بنو أمية في الدين فإنها لا تغني عن الحق شيئاً.

طريقان لا ثالث لهما:

يوجه الكاتب خطابة إلى المسلمين، ويقول:

أخي المسلم لا شك أن الدين قد مرّ قبل وصوله إلينا بقنوات مشوهة كان لها أثر كبير في تحريف ما وصل إلينا منه، وقد تضررت عقيدة السواد الأعظم من المسلمين بما علق بها من أكاذيب وتأويل خاطئة، وقد حان الوقت لنستأصلها ونعيد الحق إلى نصابه والدرّ إلى معدنه بالعود إلى المستحفظين على كتاب الله والناطقين عنه وثقله كما أحالنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) من قبل بقوله: "تركتم فيكم الثقيلين ما ان تمسّكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

والمعتصم بهم آمن من الزيغ والانحرف بمنأى التناحر والاختلاف محفوظاً في كنف المولى من الانصواف إلى أئمة النار وحزب الشرّ والأشوار أتباع الشيطان وأوليائه من الدعاة إلى التعبد بالشك والظنّ. والآن ليس امامك غير طريقين لا ثالث لهما فأما أن تعبد الله الحق اله الأنبياء والموسلين اله محمد وآله الطاهرين (صلى الله عليه وآله). الذي لا يتجزّء ولا يتحيّر ليس كمثلته شيء ولا يرى في الدنيا والآخرة ذو الصفات التي لا تحصى وهي ذاته المقدّسة، أو أن تعبد هذا الذي يعرضه عليك هؤلاء والذي هو على صورة آدم، وان قالوا بلا كيف فقد كيفوا نتيجة انصوافهم عن آل طه وانصوافهم عن الاسخين في

العلم.

نسأل الله تعالى ختاماً أن يلزمنا كلمة التقوى، ولا يحيد بنا عن صراطه المستقيم، ولا يباعد بيننا وبين أوليائه الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهروا، ويهدي أمة الإسلام بالرجوع اليهم بعد قرون التيه والضياع انه سميع مجيب والحمد لله رب

العالمين.



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى كل مسلم أسكن في لبه ورع الخير، فتذكر فإذا هو مبصر" وما يذكر إلا أولوا الألباب".

إلى كل من ضم بين جوانحه المضغة الصالحة التي تألف الخير وتسكن إليه، والتي أشار إليها النبي صلى الله عليه وآله

وسلم بقوله: " ألا وإن في الجسد لمضغة، إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله".

إلى كل أولئك الذين تملكتم أحاسيس الرحمة، وأخذت بمجامع قلوبهم مشاعر اللطف، فانبثروا إلى خالقهم مجردين من

ملكات الاستكبار، وواعي التطاول على الحضرة القدسية، يربدون وجهه وركنه وعروته وحبله المتين.

إلى الذين لم يشربوا عباداتهم بآنايم النفس الأمارة بالسوء، ولم يقترفوا وهم في سعيهم نحو المعرفة سيئة الاستعلاء، قد

وطنوا أنفسهم في طريق الهوة إلى الله، على محلبة النفس لا محلبة الناس، وفاضت أرواحهم على الناس خدمة وتواضعا.

إلى الذين نسوا أنفسهم في جنب الله، وحسبوا له حسابا ولم يحسبوا لها حسابا، فحبهم وأدناهم وبلرهم.

إلى عشاق الحقوق المهضومة، والتميمون بحب المستضعفين.

إلى أعداء الاستكبار أينما كان وحيثما كان، وكيفما كان.

إلى الذين " إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون".

إلى كل الذين أدبوا أنفسهم قبل تأديب غوهم، وجهزوا أمتعتهم لسفر طويل وشاق لا مفر منه، وهم يحملون على أكف

الضراعة الثقة التامة بالله تعالى.

إلى كل الذين لم تولد لهم عقلية التطاول على الخلق، والوصاية على الدين.

إليك جميعا إخوتي وأخواتي في الله تعالى، أضع بين أيدي الجميع هذه البينات، لعلها تكون أژا موصلا إلى الهداية، ودافعا

قويا للبحث عن سبيل الولاية، لأنه السبيل والوحيد والسواط الوشيد، لإثراك حقيقة الدين كما أقر على النبي الأعظم صلى الله

عليه وآله.

ألمي الأخير في أن تعي الشعوب الإسلامية ما يحاك ضدها، ويعمل من أجل بقائها مشنتة ضعيفة، وأن تعمل بواسطة

طلائعها المؤمنة، من أجل يوم تكون فيه كلمة واحدة، وأمة واحدة، وحكومة إلهية واحدة، ولن يكون ذلك إلا بالبحث عن

تفاصيل هذا الدين العظيم، وسطركام كبير اختلط فيه الحابل بالنابل، والغث بالسمين، والسقيم بالسليم، والله ولي التوفيق.

تقديم:

تشكو المجتمعات الإسلامية عموما من نقيصة سيئة ظلت تافقها منذ زمن طويل

وهي شدة اهتمامها بالمحسوسات، وإهمالها للغيبيات، وبمعنى أدق انجذابها للدنيا وتباعدتها عن دينها.

ففي أكثر نواحي حياة أوادها نجدهم يولون اهتماما مفرطاً إلى البهجة والزينة، يتحسسون فيهما أنجح الصفقات، وأقوم المكسب، وأجود المتاع وأذ المأكّل، قد يقضي هؤلاء أكثر أوقاتهم من أجل تحصيل شيء زائل، وفي كسب مطلب لا يستحق كل ذلك الجهد والاهتمام والوقت، لكنك إذا التفت إلى علاقاتهم بدينهم وأسباب بلوغ رضوان الله تعالى في الآخرة، لا تجد منهم نفس الاهتمام والرغبة واللهفة والجهد، بل لا تكاد تجد شيئاً من ذلك كله عند أكثر أواد الأمة ولا دليل أسوقه هنا أوضح من إنصاف أكثر الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب في صلاة الجمعة، ليجتمعوا بدحية الكلبى وما أتى به معه من تجلّة.

ولئن عوت تلك الحادثة عن سطحية عقيدة المنفضين عن الله تعالى، إلا أنها في نفس الوقت أشرت إلى أن الدنيا يبقى لها أثر لا ينمحي من أكثر النفوس حتى ولو كانت متصلة بأفضل الأنبياء والموسلين صلى الله عليه وآله وسلم. ويبقى عامل الدنيا هو المؤثر في عموم الناس، ولكن يمكن تغييره ليكون في صالح الدين.....

وهي قلة المطالعة، وإنصاف همة أوادها عن تحصيل المعلومة، إلى توجّة الاتكال على الغير في أخذها وتلقفها. وهذه الظاهرة ليست وليدة العصر الحديث بقدر ما هي قديمة قدم مؤسسيها من القصاصين والوعاظ والرواة، من يهود قربتهم الأنظمة آنذاك ووسعت لهم في مجالسهم ككعب الأبحار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام، الذين وجوا أمامهم مجالاً لتعريب أفكلهم المسمومة وعقائدهم المحرفة، ولولا حزب النفاق الذي كان المؤسس الأول لوظيفة القاص، لما كان هؤلاء وجود داخل منظومتها الخاتمة، ولا كان لهم أثر سلبي على جانب من الروايات التي تمس بجوهر الدين وعقيدته، ولئن كان الوضع الاجتماعي والعلمي للأمة في ذلك الوقت دافعا إلى تلك النتيجة، بحكم قلة الكتب، وانعدام توفرها، وتعسر وصول طالبي العلم إليها، لأنها نسخ معدودة بعدد أصحابها، الأمر الذي لوجد في أواد الأمة عقلية التواكل، والعزوف عن تحصيل المعلومة لضنين مولدها، وفسح المجال من جهة أخرى إلى الطغاة والظالمين ليمروا سياساتهم الهدامة، وأفكلهم المويضة إلى عقول الأمة بعناوين إسلامية.

وعوض أن يتفطن الناس إلى ما دبر لهم من تظليل وتجهيل، إلتفوا حول أولئك الذين اشتروا آخرتهم بدنيازائلة لا محالة، فأعطوهم نوافذ عقولهم وأفئدتهم، وأصغوا إليهم بجورحهم إصغاء الأبله المويض، بينما كان القصاصون من الجهة المقابلة يدسون السم في الدسم، وينشرون ما يقوي الظالمين، ويشد أزر سلطانهم، فلم ينتبه إلى الحق إلا القليل، ومضي الأمر على ذلك النسق زمن طويلاً، تربت فيه الأجيال على ثقافة مشوشة بالكذب والبهتان والزور، وجاء عصر التنوين فكتب حق وباطل وأثبت بعد ذلك، ثم وصف بالصحة، ونودي عليه بالسلامة والنقوة، وسمي سنة نبوية، ولو علم الناس انقطاعه عن زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أخنوه وعملوا به.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أستحضر مقالة للإمام علي عليه السلام، تحدث فيها عن أصناف رواة السنة النبوية المطهورة، استكمالا للفائدة المرجوة من وراء ذلك إذ يقول عليه السلام:

إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، وعاما وخاصا، ومحكما ومتشابهها، وحفظا ووهما، ولقد

كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حتى قام خطيباً فقال: " من كذب علي - متعمداً - فليتبوأ مقعده من النار .

" وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتوجح، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كاذب، لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، سمع منه ولقف عنه، فيأخذون بقوله، وقد أخرك الله بالمنفقين بما أخرك، ووصفهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده عليه وآله السلام، فنتقبروا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال، وجعلوهم حكماً على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهو أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً لم يحفظه على وجهه فوهم فيه، ولم يتعمد كذباً فهو في يديه يرويه ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً يأمر به، ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم الناس إذ سمعوه أنه منسوخ لرفضوه.

وأخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب خوفاً من الله، وتعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يهجم، بل حفظ ما سمع على وجهه، فجاء به على ما سمعه، لم يزد فيه ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام، فوضع كل شيء موضعه، وعرف المنتشابه ومحكمه... " نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده ج 2 ص 188/190

لقد كان للعامل السياسي في تفشي ظاهرة الكذب في دين الله تعالى الأثر الأكبر، مضافاً إلى ذلك الإجراء الظالم في منع تنوين الأحاديث النبوية، والذي استمر أكثر من قرن نيف، حتى إجرة التنوين التي صدرت من عمر بن عبد العزيز، وبوشر العمل بها بعده كانت مقيدة ومخصوصة، بحيث لم تشمل جميع من له صلة بالرواية والفقهاء، وإنما تعلق الأمر بالمقربين من البلاط الأموي، بينما أقصي غوهم باعتبارهم مناوئين للسلطة.

وإذا نحن استعرضنا من جانب آخر تشجيع الأمويين، وعلى رأسهم مؤسس سلطنتهم معاوية بن أبي سفيان الطليق، بعض الصحابة كأبي هريرة، والمغيرة بن شعبة، وسوسة بن جندب، وعمرو بن العاص، وإخوانهم بالأموال والأعمال، للكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، في عصر مازال التنوين فيه بعيداً عن الحصول، تكونت لدينا فكرة ثابتة وصحيحة، عن الظروف والأوضاع التي موت بها السنة النبوية التي هي بين أيدينا الآن، أخص بالذكر منها ما هو متعلق بما يسمى بالصحاح والمسانيد، وبقيّة الكتب الروائية عند بني مذهبي الذين كنت منهم.

وعلى ذلك حصل لدينا يقين بأن الله تعالى الذي لا يغرب عنه مثقال فرة في السماء ولا في الأرض، لا يمكنه أن لا يكون إلا حكيما دائما، ومكملا دائما، ومتما دائما ومحسنا دائما، فقد جعل لمسألة حفظ دينه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مستحفظا يذب عنه تعريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وهو الإمام المبين، ومن عنده علم الكتاب، باب مدينة علم الرسول صلى الله عليه وآله والهادي إلى سبيل الله تعالى من بعده، وثقل القآن وعدله، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي لو تأملت سيرته، بما فيها من تضحيات في سبيل الحق، وبذل للمهجة من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ونوره المبين، وتتبعته كلامه الذي قال عنه جهاذة اللغة، وأرباب البلاغة أنه دون كلام الله تعالى وفوق كلام البشر، واستقصيت دعاءه الذي لم يشهد له الناقلون مثيلا من حيث العمق المعنوي، والقوة البلاغية، والتناسق الفكري، والبناء العقائدي، ونظرت إلى من كان حوله من أصحابه وأتباعه، والتفت إلى من نأوته وظلمه وحل به وهضم حقه، تأكدت أن الحق أبلج كالنور، وأعلى كالقمر السماء، فليس بعد الحق إلا الضلال المبين.

إن الإسلام دين خاتم جاء ليصحح ما حرف من رسالات سابقة، وليقوم اعوجاج مسار البشرية، ويوجهها جميع إلى التوحيد الخالص الذي لا شوك فيه، وأعني بذلك فصل الدين عن الحياة، واعتبار أن الدين شيء والسياسة شيء آخر. لقد شوع المولى تعالى دينه الخاتم ليشكل به خلاصة الوصايا السابقة، فهو مجموعة من الأحكام التي تتعلق بعلاقة الفرد مع خالقه ومع غيره من البشر والكائنات، وهذه المنظومة تحتاج لاستئصالها إلى أداة تنفيذ وحفظ تكون من جنس التشريع، والقول بغير هذا كلام غير مبني على أساس، ولا يستند على دليل منطقي.

نقطة الخلاف الأساسي بين المسلمين اليوم، بصرف النظر عن بعض الخلافات في التوحيد والنبوة، هي نظام الحكم في الإسلام، علينا أن نبحث بما توفر لدينا من نصوص عن أصحاب الوأي الأصح، والحجة الأقوى لنكون معهم يدا واحدة بها يتجدد الدين ويقوم أساسه الأول وهو الإمامة.

عليك أيها المسلم الرشيد أن تعيد حساباتك جيدا، وتبحث بين ذلك الركام الذي وصلنا عبر قرون طويلة استتال فيها الظلم والبعي، حتى اصبح ديننا يتعبد به الناس، فتخير سبيل الرشاد، وانظر لنفسك من ستقدم، يوم يدعو الله تعالى كل أناس بإمامهم، واسأل الله تعالى العون على ذلك، مخلصا له في كل حركة تقوم بها، وتأكد أنه لن يتورك سدى.



هذا هو الصراط المستقيم

لما كان الدين مصوره الله تعالى، خالق الكون ومبتدع الحياة، حصل لدينا يقين بأن منشئه قد أقره كاملا متجانسا ومنتاسقا، لا نقص فيه ولا شك في صحة وروده، ولا غبار يحجب عن قاصده الوضوح والإبصار. قال تعالى: " ما فوطنا في الكتاب من شيء".⁽¹⁾ وقال أيضا: " وقرلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء".⁽²⁾ قال كذلك: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً".⁽³⁾

وعلى ذلك فإن كل الوصايا الإلهية تولت إلى البشر كاملة تامة غير منقوصة، ولا محتاجة إلى من يرفدها من المخلوقات يشيئ من الأشياء.

وكل من قال بأن الدين ناقص، أو أنه مخصوص بمجال دون آخر، أو أنه قاصر عن مواكبة تقدم البشر والزمن، أو أن الحكومة ليست من تفاصيله من الناحيتين التصحيحية والثبوتية، فقد نسب إلى الله تعالى التقصير وسوء التقدير، وهو بالتالي قد إقتم باب الكفر والعياذ بالله.

قد يعتقد القارئ عند هذا الحد أنني بصدد الحديث عن أعداء الإسلام والمحلبيين له من خرج منظومته وما يكيون له من مؤامرات، غير أن هذا الاعتقاد ليس طوفاً من حديثنا، بقدر ما نحن بصدد تناول بعض الخطوط التي نسبت نفسها للدين الخاتم، وتوأت داخل أسوره مكانا موموقا، ما كان لها أن تتوآه لو انتبه المسلمون إلى محوى طروحاتها المتصلة بالعقيدة، فعلى سبيل المثال عندما تتبنى تلك الخطوط فكرة فصل الدين عن الحياة، بما روجته من أن النبي لا علم له بكثير من أمور الدنيا، كقصة تأبير النخل التي زحرت بها كتب المؤسسين لفكرة الفصل والتابعين لهم عليها، أو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير معصوم في ما عدا الوحي، بل قد يخطئ أحيانا أثناء تبليغه، والاستدلال بتلك الروايات المدسوسة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لإنفاذ مبدأ الفصل، نترك خطورة الموقف، وجسامة الأمر، وأن المسألة ليست في مقام الإحصاء والذكر التلخي، بقدر ما هي عقيدة تحولت من طور الوضع والدس إلى طور التبني والتجذير، وتواصل مدها بتحريك من القوى المعادية للدين الخاتم ودعم مركز على جميع الأصعدة، وقد تكلفت جهود أعداء الإسلام بالنجاح عندما أمكنها تأسيس أفكار تشبه الدين لكنها بعيدة عنه ومشوهة له، وزرعها في عقول عملائها، وتقوية شوكتهم، ثم فوضهم على المسلمين بالقوة، مثل العميل البريطاني محمد بن عبد الوهاب صاحب المذهب الملقب به الذي كان كرثة على الحجاز والواق، وأصبح فكره المشوه والذي اعتنقه عدد من السذج والجهلة، وباء ينخر في جسد الأمة من أقصاها إلى أقصاها، عانت منه وتعاني باكستان وأفغانستان، وقد ظهرت فقايق أثره في ما يسمى بفسان الصحابة أو جيش الصحابة، وتنظيم القاعدة، الذين والحق يقال أن ما اقترفوه في حق الإسلام والمسلمين والبشوية جمعاء تحت عنوان محاربة الشرك والمشركين، يؤكد أنهم من طينة محترفي القتل

المجاني والبرد، ولا علاقة لهم بالإنسانية فضلا عن التدين، وهم إلى صنف الوحوش أقرب منهم إلى الناس، وإلى العمالة لأعداء الإسلام أميل منهم إلى الدين الخاتم.

الاصطفاء الإلهي مبدأ قرآني ثابت لا يتغير وسمة الصراط المستقيم الكورى

لقد جاء في عدد من الآيات القرآنية، ما يفيد بأن الله تعالى بحكم علمه بمكنون سر خلقه وإطلاعه على مواطنهم، قد اختار منهم من رأى فيه الكفاءة ليكون حجته على خلقه، فاختر الأنبياء، واصطفى منهم رسلا وفضل بعضهم على بعض، فجعل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أقربهم إليه وأحبهم لديه، فسماه حبيبا بعد أن سمى إراهيم عليه السلام خليلا. قال تعالى: " تلك الوسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات".⁽⁴⁾

وكان لابد من أن يستتبع ذلك الدور من التتويج والبلاغ، دورا آخر يتعلق بحفظ الشريعة، وضمان استتوار أدائها في الناس وهو متعلق قوله تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".⁽⁵⁾ ، فاختر من بيوتات الأنبياء صفة أخرى للقيام بأمر الحفظ، وجعل نور الإمامة رداء للنووة، ومقاما آخر من مقامات اللطف الإلهي أحواه وراثته في الصفة الطاهرة من عباده قال تعالى: " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا".⁽⁶⁾

وقال أيضا: " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما".⁽⁷⁾ ولم يكن ذلك الاختيار الإلهي بأي حال من الأحوال، مقلنا أو موزيا لآراء البشر واختيراتهم، لأن الله تعالى أعلم بمخلوقاته، وأولى بهم من أنفسهم، والدين دينه وهو المسئول عن كل متعلقاته، واختيار من يقوم مقام الإمام بعد النبي من مشولاته تعالى، وتاماما للشريعة السمحة.

من ذلك كانت مرحلة الإمامة التي عقبها مرحلة النوة كانت وقاية للشريعة من عبث العابثين من أصحاب المصالح وعباد الدنيا، ومزة اختص بها الصراط المستقيم، وكانت أوا واضحا وعلامة جلية اتسم بها تراثه، وضمانا لبقاء الأحكام الإلهية في إطار الحفظ الذي هو من مشولات البري تعالى كالنوة، ومقابل ذلك كان الكذب على الله ورسوله منتشرا في بقية الخطوط الأخرى إلى نوجة التشويه، وما عقب ذلك من نشوء عدد من الأفكار التي إختلقها أصحابها إعتادا على تلك المفتريات. إن منظومة الإسلام شأنها شأن من سبقها من ديانات، جاءت لتشكل نقطة تحول في حياة البشر، وتوشرهم إلى طريق الله تعالى، بكل ما فيه من أبعاد مادية ومعنوية، روحية وحسية، إجتماعية وسياسية واقتصادية. وتصحيحا لوجهة الناس في توجيههم إلى صراط الله المستقيم.

من الخطأ الاعتقاد بأن الله تعالى قد أوكل مهمة جمع شريعته وحفظها، وتتبع سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتووينها إلى الناس، من نون قيدولا شرط، ولا سبيل إلى افتراض وقوع ذلك لأن المانع الذي يمكن للعقلاء تقديمه هو خاتمية الرسالات والموسلين، يؤكدان على أن سنن الله تعالى في التبليغ والحفظ لشوائعه، لا يتغوان منذ آدم إلى نبينا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وعلى آلهم الطاهرين، قال تعالى: " ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قورا مقورا".⁽⁸⁾

فلا يوجد خلل في منظومته تعالى كلها تنظروا وتطبقوا، وإنما طرا الخلل من تحريف الناس وعصيانهم ورتدادهم عن دينه ومنهاج أوليائه صلواته عليهم أجمعين، وادعائهم بأن لهم نصيب في القيمومة على الدين، وطوف في الحفظ والتبليغ، فحاضوا في دين الله تعالى أيما خوض، وضربوا عرض الحائط بكثير من أحكامه ترصدا وسفها.

للصراط المستقيم الذي أشار إليه المولى تعالى في كتابه العزيز، علامات تشير عليه ودلالات ترمز إليه، منها ما هو متعلق بالمبدأ العام لذلك الصراط، كالتشريع طال كل أوجه الحياة البشوية، واستورليته في الظهور والتميز من آثاره التي لا تتمحي أبدا، ومنها ما هو متعلق بالتفاصيل المحتوية عليه، كضرورة وجود مثال يهتدي به الناس فوق ما أعطوا على المستوى النظري، لأن المثال والنموذج يبقى الأقرب للفهم والأقوى في الحجة ن والأصوب في الهداية.

لقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وآله متعددة النشاط والاهتمام، فهو في نفس الوقت النبي المرسل، والقائد العسكري الفذ، والإمام القوة، والمربي والمعلم والود المعطاء المبادر إلى كل خير قبل غره. أعطى من نفسه المثل والنموذج، ومع ذلك لم يفهمه أكثر المحيطين به فجاءت علاقاتهم معه تنزوها رياح الشك والريبة وسوء التقدير.

كان على النبي صلى الله عليه وآله أن يتدبر أمر القيادة من بعده لأن الفراغ الذي سيتركه لا يمكن لأي شخص أن يملأه، وما كان ذلك ليكون من تلقاء نفسه، كما تصوره كثير من الصحابة في ذلك العصر، ومنع من كتابة وصيته الهامة والمصيرية للأمة في أواخر حياته، ولقي أهل بيته عليهم السلام بعد وفاته ما لم يلقه أهل الذمة، فقتلوا وشربوا وألقي بهم في سجون رهيبة لا يخرج منها المعتقل حيا، ووضع من وضع منهم في أسطوانات وبني عليهم فماتوا بداخلها جوعا وعطشا وعذابا، وصلت لهم قبورا⁽⁹⁾.

كما إن الزعة القبلية المتأصلة في أكثر الناس كان لها دور سلبي في إختيار من يقوم مقامه.

واعتبرا لاطلاع المولى سبحانه على سوائر مخلوقاته، وجب عليه تعالى أن يسبع لطفه على الأمة، بزيادة إيضاح المؤهل بالنور بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان ذلك الشخص ظاهرا غير خفي في الأمة، بما كان يقدمه للإسلام وأهله من توضيحات وأعمال إمتدحها الله ورسوله في غير موضع.

لست في هذه البسطة من الحديث في مقام الاستدلال على أحقية أهل البيت عليهم السلام في إمامة الأمة، واستواض ما جاء في خصوصهم من آيات بينات وروايات بلغت حد التواتر في صحة ورودها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل إنني سلد لبعض النصوص وواضع نفسي هنا موضع المتسائل عن سبب منطقي يبرر إعواض الأمة عن قيادتها الشوعية، واللائم على تقيط ما كان له أن يكون لولا تقصير الأغلبية في حق الأولى بقيادة الأمة.

هذا والآيات بينات والدلالات واضحات تشوان إلى أن من أعرض عنهم بلغوا منزل الكمال، وتسموا علياء الرفعة، ورسخت أقدامهم في علوم الدين والحياة، وكان لهم ما لم يتأت لغوهم، وشهد الشهود من كل جانب على أحقيتهم وتمزهم وعلو قهرهم وعظم شخصياتهم التي كانت تشكل تتابع حلقات النورية التي بعضها من بعض.

والعجب هنا في أمة أدلت ظهورها للأحق بقيادتها ورضيت قيادة من كانوا تحت لوائه، ولم يكن لهم من ذكر يرفع مقامهم

سوى ما أهدقه عليهم حزب النفاق من أكاذيب وتأويل لا تقف مع الحق، مع علمها التام ويقينها بأن لا وجه للمقلنة بين من اختلره الله تعالى وأتم فيه مواصفات وخصائص القيادة، وبين من اختلرته حفنة من الناس في مكان لم يكن مؤهلاً لذلك النور. ولم يكتف المنافقون بما حصلوا عليه من مكاسب على حساب أهل الحق من ثلثة المؤمنين، بل نجحوا أيضا في تغييب قائمة المنافقين التي كانت عند حذيفة، وقلب أصحابها فيما بعد إلى مؤمنين صالحين.

وللمعترض على ما نقول نهمس في أذنه: أين أسماء المنافقين الذين حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة، ولماذا لم يقع تصنيف المبغضين لعلي بن أبي طالب عليه السلام ضمن المنافقين وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله لعلي عليه السلام: " لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق".⁽¹⁰⁾ فكان مؤمنوا الصحابة يعرفون المنافقين ببغضهم لعلي عليه السلام.

لم تمر مسألة إختيار الأولى بالقيادة بعد مرحلة النوبة، في الأمم السابقة في الخفاء، وإنما كان لها مجال علني، وإعلام إسم بحضور الجماهير، ومواكبتها لكل تفاصيل تلك الإعلانات، وفي القوان شواهد من تلك:

الشواهد القديمة التي تحدثت عن حقيقة التعيين الإلهي

الشاهد الأول: قصة طالوت عليه السلام

قال تعالى: "ألم تر إلى الملا من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم إبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين* وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم* وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين".⁽¹¹⁾

الشاهد الثاني: قصة آصف عليه السلام

قال تعالى: "قال يا أيها الملا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوا مسلمين* قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين* قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقوا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم".⁽¹²⁾

الشاهد الأخير على التعيين الإلهي

قال تعالى: " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون".⁽¹³⁾

حادثة الغدير:

قال الله تعالى: " يا أيها الرسول بلغ ما أوّل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس".⁽¹⁴⁾

لئن أخرج أكثر المؤرخين تفاصيل حادثة الغدير كل حسب هواه وفهمه وتمذهبه، فإنهم أجمعوا على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أوقف الناس في هاجرة من النهار ليخطب فيهم، ويبلغهم أمرا لا يستوجب التأخير في تبليغه، وهو من الجسامة والخطورة بحيث حدثت وقائعه في ذلك المكان والزمان الشديدين، فخطب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطبة بليغة قال فيها من جملة ما قال: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه واعد من عاداه وأنصر من نصوه وأخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار".⁽¹⁵⁾ ثم أمر الناس بمبايعة علي عليه السلام أموا للمؤمنين وإماما للناس من بعده، ولا زال كلمات عمر بن الخطاب تتردد بين صفحات كتب التلخيص والسورة والتفسير عندما أقبل مبايعة: "بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة". ولا زال صداها يتردد في ذلك المكان، شاهدا على النكث والانتقال والخديعة والمكر⁽¹⁶⁾ ولم تشفع كثرة الحاضرين للحادثة، في انتقال ولاية الأمر إلى علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث عد المؤرخون من كانوا معه في منصوفه من حجة الوداع ما بين ثمانين ألفا إلى مائة وعشرين ألفا من المسلمين (وكلهم طبعا من الصحابة)، لأن الترتيبات التي وضعها المتربصون بالسلطة وتعاقدهم عليها، وتحينهم لفوصة موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وانشغال أوليائه بتجهزه، وأخذ البيعة لمغتصب الحكم بالقوة والإكراه، ومحاوله إخفاء جانب من الحقيقة تحت عنوان حروب الودة.

سبب الانحراف عن أمر الله تعالى

ومن تدبر القرآن الكريم أرك أن مسألة الاختلاف في الدين منشأها الظلم والبغي بين بني البشر، فحصل لديه يقين بأن الأصل والحقيقة يمتلكها خطو واحد، وما سواه خليط من حق وباطل موه.

لقد أخبرنا الله تعالى عن سبب اختلاف من كان قبلنا من أهل الكتب التي تزلت قبل القرآن.

(17)

قال تعالى: "وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.

وحذر من مغبة الاتواق في منحدر عصيان الأوامر الإلهية، المؤدي بوجه إلى البغي والظلم، فقال جل من قائل: "إن الذين فوّقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يعملون".⁽¹⁸⁾

ولما كان البغي والظلم من دعوى الشيطان وأوليائه فإن من مقدماته الكذب وقلب الحقائق وتحريف الكلم، وهو ما استتبع ظهور موجات من المحرفين من أجل إطفاء نور الله تعالى، حرصا على الوئاسة وطلب السلطة، التي كانت هاجسا واولد عددا من الذين دخلوا الدين طمعا في نيل رتبة أو مقام.

(19)

قال تعالى: "أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال".

وحكى القرآن عن هارون كيف زُيغ عن الحكومة الإلهية واستضعف حتى كاد أن يقتل: "فقال ابن أم إن القوم استضعفوني وكانوا يقتلونني".⁽²⁰⁾

رغم أن موسى عليه السلام قد نصبه على الملأ بأمر من ربه، ورغم أن هارون كان أيضا نبيا مع أخيه، فيظهر من خلال ذلك أن الدنيا كانت ولا زال المعبود الأكبر عند أوليائها، وكثير ما هم في المجتمعات منذ القدم إلى الآن.

ثم دعا جل اسمه إلى الاعتصام بركنه والتمسك بنهجه في عدد من الآيات.

(21)

قال تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا".

(22)

وقال كذلك: "ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون".

(23)

وقال أيضا: "وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون".

لم يكن خافيا على النبي صلى الله عليه وآله ولا غائبا عن أذهان المعاصرين له من صحابته أن يسأوا عن بعض المصطلحات التي جاء بها الوحي، منها الصراط المستقيم، والعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وحبل الله المتين، والتي تشكل في مجموعها مقام الولاية ومقالة القوة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم يمضي خاتم الأنبياء والموسلين حتى بين للناس كل ما يحتاجونه من أمور دينهم ودنياهم، باذلا من أجل ذلك كل وسعه، ومحذوا في نفس الوقت من مغبة إتياع سير من خلوا من قبلنا من الأمم الضالة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم نفسوا وبيانا لما تزل من الوحي في قوله تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين". (24) ، ومخوا بجريان حالة الاختلاف في أمة الإسلام وإتياع سنن المحرفين من يهود ونصرى: "لتحذون حذو من خلوا من قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى إذا لو دخلوا جحر صب لدخلتموه". (25)

وبمعنى آخر جاء حديثه صلى الله عليه وآله وسلم عن الانحرف في عموم الأمة، وابتعادها عن الصراط المستقيم الذي رآده الله تعالى سبيلا وحيدا إلى طاعته وموضاته، مشوا إلى أن الانحرف سيطل أغلب الأمة، وأنه لا يمكن أن تستثنى منه غير طائفة منها بقوله: "لا زال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يظوهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله". (26) ومظوها معالم السبيل الواجب إتياعه، في كثير من الأحاديث التي ربي أكثها على التواتر ولا إصار أعداء الإمامة الإلهية على منع توين الأحاديث للتغطية على جرمهم الخطير المتمثل في غصبهم لمنصب الإمامة.

السير على طريق الهداة من أهل البيت عليهم السلام هو الصراط المستقيم

وعلى الرغم من تصدي عدد من الصحابة لمنع النبي صلى الله عليه وآله يوم الخميس الذي سبق وفاته من كتابة وصيته، فإنه لم يمضي حتى توك لنا فوها قبل رحيله، وكان خطابه في حجرته ودعوته بأن يقربوا له نواة وكتفا، ليملي عليهم أمرا مهما ومصوريا بقوله: "هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبدا". (27) المتأمل في حديث الثقلين رى فيه تطابقا لما كان النبي صلى الله عليه وآله يريد كتابته للأمة، وإفصاحا عن مستمسك نجاتها، تمثل في أنه خلف في الأمة الثقلين، وهما كتاب الله تعالى وعترته أهل بيته، حيث قال: "توكت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض". (28)

كتاب الله تعالى الأداة التشريعية التي تحوي على كل ما يحتاجه الناس من تفاصيل حياتهم الدنيوية والأخروية، والعروة الطاهرة من أئمة أهل بيت النبوة عليهم الصلاة والسلام، الأداة التنفيذية المكلفة بحفظ التشريع ومواصلة بثه في الناس، والقوة

والمثال الحي المجسد لتفاصيل الشريعة من قيم عليا وأخلاق عظيمة.

وحيث أن الكتاب أيضا لا يفرق العزة الطاهرة عليها السلام ولا يفترق عنها، فإن للحديث إشارة إلى وجوب إتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام، هم وحدهم من عندهم علم الكتاب كما أقر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وغوهم عيال عليهم وهذا ما أثبتته التلخيص رغم كتاباته الأحادية، والتي لا تخلو من ميل مذهبي أو سياسي، حجب كثورا من الحقائق. كما إن مسألة تطبيق الأحكام الإلهية، موكلة إلى الصفة الطاهرة في كل عصر، وتبعا لكل رسالة سبقت رسالة الإسلام، فقد آل الأمر في نهاية المطاف، وخاتمة الوصايا إلى الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الله تعالى.

قال تعالى: " أولئك الذين هدام الله فيبدهم اقتده".⁽²⁹⁾

والناظر في سيرة الهداة من أهل البيت عليهم السلام وفق ما دونه عنهم المخالفون لهم قبل الموالين، يقف على حقيقة دور الهداية المناط بهم، والذي تلخصه وظيفة الإمامة المنصوص عليها من الله تعالى ورسوله، ولا عزة لمن أثقل كاهله بالادعاء أن المنصب متروك للأمة تختار من تشاء، لأن الأمة خليط من أناس غير متجانس ومتفاوت في الفهم والاعتقاد، ويشترك فيه كل من المؤمن والمنافق والذي في قلبه مرض، فلا يصح تبعا لذلك أن تكون في عهدها مسألة الإمامة إختيلا وتقلدا هذا من ناحية، والتاريخ المكتوب على علاته لم يعطنا انطبعا حسنا عن مسألة الاختيار والشورى الزعومة، لأن كل فصولها إنبتت على الغضب والقمع والغدر، والأمة لم تختار في حقيقة الأمر حاكمها، بل إن فئة من الناس هي التي أجرت إتفاقها مجرى التنفيذ في سقيفة بني ساعدة في غياب أهل الذكر، وفي مكان لم يكن مؤهلا لذلك النور، ولا جرى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجرى التولية لمعاصويه من ناحية أخرى.

إن تحامل أعداء نظرية الإمامة الإلهية على مسألة الاختيار الإلهي، ووصفه بالوراثة الغير مقبولة، قد أفضى في نهاية المطاف بالناس إلى القبول والإذعان باختيارات الناس وإمضاء وراثتهم في الحكم، فبعد الملك الوراثي العضوض نتهيا في العصر الحديث إلى تجربة فريدة من نوعها تتمثل في استعرة النظم الجمهورية لمبدأ الوراثة في تداول الحكم فيها بحيث قد تعمم الفكرة لتصبح الجمهوريات أيضا ذات نظم وراثية، وقد يطال ذلك مبدأ الانتخاب الذي لم يطح يوما بحاكم عربي، وتطور الأمة في حلقة موفعة من الفعل وتكون دائما نفس النتيجة انتخب أو لا تنتخب فالحاصل واحد، والى متى الاستتكار على التعيين الإلهي، ونحن نتنوق مرة شوري وديمقراطية البشر.

جاء في فاتحة الكتاب المسماة بالسبع المثاني، والتي افودها المولى تعالى بالذكر مقابل القآن العظيم، نظرا لأهميتها الكبرى، قوله تعالى: " إهدنا الصراط المستقيم". ثم عرف ذلك الصراط بقوله جل من قائل: "صراط الذين أنعمت عليهم". ولنا أن نتساءل كما نتوقع تساءل كل من يهمه أمر هذا الدين عن طبيعة ومعنى قوله تعالى؟

لقد كان الوحي في خصوص بعض مولده المتعلقة بالافتداء والهداية منصرفا إلى تركيز منهاج وأسلوب يبسون على المسلم مسألة الفهم، وتقريب الفكرة بشكل عملي واضح، يضمن عملية التواصل بين مرحلة التبليغ والإرشاد التي تختص بها

مرحلة النوبة، وبين مرحلة الهداية والحفظ التي تختص بها مرحلة الإمامة، وتقي الفرد المؤمن مغبة الانحراف والسقوط في مزلق الشيطان، والانغماس في تشعبات طرقه، فلم يكن الكتاب العزيز وحده وسيلة نجاة بالنسبة لمن تعلق به، لأن النقص والخلل فينا نحن وليس في كلمات الله تعالى، وعليه كان لا بد من وجود ناطق عنه، ومبلغ لتفاصيل أحكامه، يكون مثالا يستطيع السالك إلى الله تعالى أن يفهمه ببسر، وفي نفس الوقت يكون المرجع الذي أحصى فيه الله تعالى كل راث الوحي وموآث النوبة، قوة يشتمل على كل الكمالات الممكنة، وله كل الإمكانيات المتاحة لتتسم دفعة قيادة الأمة بكل يسر.

لذلك جعل الله تعالى مسلك أهل بيت نبيه عليهم الصلاة والسلام صراطه المستقيم، وحدد معالمه بأشخاصهم وأمتلتهم ونسبه إليه بكل أبعاده من غير نبذ لشيء فيه، دالا في نفس الوقت على عصمتهم، وتميزهم عاما وعملا، وهو ما توافق على الإقرار به القاصي والداني.

وليس في بيوت الإسلام إذا بيت أفضل من بيت فاطمة وعلي والحسن والحسين والتسعة من أبناء الحسين عليهم الصلاة والسلام، هم من أنعم الله تعالى عليهم بأن أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهرا، وهم من سبقت لهم منه الحسنى، وهم من سماهم أوراء، وجزأهم بما صبروا جنة وحرورا، المتأمل في سوره العطرة يدرك حقيقتهم، ويعي فلسفة وجودهم، ويقر الله تعالى بلطفه بالأخذ عنهم والرجوع إليهم والتمسك بهم، خزع الظالمون منهم فاستقدموهم إلى عواصم سلطانهم، ليكونوا على مرأى ومسمع، تحت رقابة مشددة، وقد تملكهم هاجس فقدان السلطة، كلما تناهى إلى أسماعهم انصواف المسلمين للأئمة أهل البيت عليهم السلام، فقتل من قتل منهم مسموما، بدافع الخوف من استنفاة المسلمين وصحتهم من جراء ذلك الإتياع والتسليم. وإجبار الهداة من أهل البيت عليهم السلام على الانتقال بأمر من الخلفاء العباسيين إلى عواصم ملكهم ومحولة النقوب منهم، وتقوية سلطانهم بالاستعانة بهم علرضين شتى الإغواءات ومن بينها ولاية العهد، غير أن الأئمة الهداة كانوا أبعد تفكروا وأرجح رأيا فلم يسقطوا في فخ الظالمين وهم من كان دأبهم دائما معرضة الظالمين ومقلعتهم بكل وسيلة وتلريخهم حافل بالمواقف الغرة والإباء مقابل الباطل وأهله، ولما ينس أولياء الشيطان في استمالة الصفة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام، وضعوهم تحت الإقامة الجبرية، وضيقوا عليهم كل سبيل، كل ذلك لا يمكن أن يمر في الخفاء، لأنه في حد ذاته دليل على أحقية هؤلاء الأطهار في قيادة الأمة، وبقاءهم في المدينة المنورة قد يعجل بسقوط الظلم، فكانت بغداد وسامراء وطوس (مشهد حاليا) مؤى خمسة منهم، شاهدة على أن العسف والظلم الذي مورس على نوية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فاقا كل المقاييس وتجاوزا كل الحدود.

كل من وقف على سورة الأئمة الأطهار من بيت خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم ورأى مختصواتها في كتب الرجال عند المخالفين لخط الإمامة الإلهية، عرف بكل يسر ودون عناء أن نور الله تعالى ودينه ومنهاجه واحد لا يتعدد، وثيقن من أن صفة الرجال، وأهل الذكر، ومن عندهم علم الكتاب، وغوها من الصفات التي وردت في كتاب الله لا تتعداهم إلى غورهم، ولا تأنس إلا بهم، ولا تحطر حالها إلا في أفنيتهم، ولا تليق حقائق معانيها إلا عليهم.

إرواك الحقيقة في تناولك أيها المسلم يكفي أن تبحث في كتب مذهبك الروائية

الذهبي على سبيل المثال عندما تحدث عن الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام، والمؤسس لجامعة العلوم الإسلامية في مسجد جده صلى الله عليه وآله والتي تخرج منها آلاف الفقهاء والمتكلمين من بينهم مالك بن أنس وأبي حنيفة، يقول عنه: أحد الأئمة الأعلام بر صادق كبير الشأن ن لم يحتج به البخلي، ونقل عن أبي حاتم قوله: لا يسأل عن مثله، وعن يحيى بن معين قوله: ثقة مأمون ثم قال: خرج حفص بن غياث إلى عبادان وهو موضع رباط، فاجتمع إليه البصريون فقالوا: لا تحدثنا عن ثلاثة، أشعث بن عبد الملك وعمرو بن عبيد، وجعفر بن محمد.

فقال: أما أشعث فهو لكم وأنا تركه لكم، وأما عمرو بن عبيد فأنتم أعلم (وكان بصريا معتزليا) وأما جعفر بن محمد فلو كنتم بالكوفة لأخذتم النعال المطوقة. (في إشارة إلى مقام الإمام الصادق العالي في الأمة، وكثرة تردد الناس عليه والأخذ عنه وانتشار حديثه في الآفاق، وكانت الكوفة آنذاك عاصمة العلم والعلماء، فلا تكاد تجد عالما وليس في آخر اسمه نسبه إلى الكوفة.)⁽³⁰⁾

لم يضر الإمام الصادق عليه السلام أن يتجنبه البخلي وأمثاله ممن جعل لهم الظالمون قورا بين المسلمين، وهى له أدعيائهم مكانا متمزا عن بقية الحفاظ، ليس في حقيقة الأمر أهلا لتقلده، ولا كان ليحلم بمعشار قيمته، بقدر ما أضر البخلي نفسه ووضع كتابه موضع النقد والشبهة لمن أشاح عن وجهه غشوة التعصب، لأن الساحة الإسلامية زاخرة بالكتب الروائية التي تفوق كتاب البخلي مكانة، ولكنها لم تتفياً ظلال كتابه، وهنا لا بد لي من أن أنبه كل مؤمن ومؤمنة ممن لم يتوفق بعد لإواك الحقيقة، أن يكون حنوا في التعامل مع الكتب المسماة بالصحيح لأنها تحوي على كثير من السموم التي أنهكت الفكر الإسلامي عقيدة وشريعة، وطفحت بروايات إتخذها أعداء الدين مغزوا وطعنا فيه.

وعليه وجبت مؤزنة الروايات بعوضها على كتاب الله تعالى، ومقرنة ما صح بما لم يصح، وما أجمع عليه المسلمون بما لم يجمعوا عليه والنظر في الشاذ والمخالف للكتاب والعزة الطاهرة التي تمتلك السنة الصحيحة، والعلوم القائمة على أسس سليمة، وترك ما ثبت تأليفه ووضع من طرف الظالمين وأدعيائهم.

قد يعتقد البعض أنني في إطار استتباط أمر جديد، بل أنا في هذا الخصوص مقر ومعترف بالنصوص التي تضافرت وتكاثرت، بحيث قطعت علي وجهتي، وأؤمتي الإقرار بحقيقة عنصر الهداية في الدين، وحجية مقام الولاية الرباني بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مسلك الصالحين من قبل، أمثال سلمان الفارسي الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "سلمان منا أهل البيت".⁽³¹⁾ وعمار بن ياسر الذي قال فيه أيضا وفي أهله: "أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة".⁽³²⁾ وأبو ذر الغفري الذي قال فيه: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغواء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر".⁽³³⁾

والمقداد بن الأسود القائل يوم بدر مقالته التي فوح بها النبي خلاف مقالة الخليفة الأول والثاني اللتين أعرض عنهما غضبا وتأففا من منطق الانهزامية وإكبار الباطل. ومالك الأشتر وحجر بن عدي، وكل من كان لا يخاف في الله لومة لائم، كانوا كلهم أتباع الأئمة الأطهار منذ عهد النبوة، وملتمون بنهج علي عليه السلام بلرشاد وتشجيع ومبلركة وإعداد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بأمر من المولى سبحانه وتعالى، فشكوا بحق نواة الإيمان وفئة حزب الرحمان، جمعنا الله تعالى وإياهم على حوض

نبيه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

علامات الصراط المستقيم

علامات صحة خط الإمامة الذي طوحه أهل البيت عليهم السلام، وتبعه عليه شيعتهم الخالص كثرة ومتنوعة، منها ما هو متصل بصحة العقيدة، وامتناع اختراقها من طرف أعداء الإسلام من يهود ومنافقين، مقابل هشاشة معتقدات بقية الخطوط المنتسبة للإسلام،

ومنها ما هو متعلق بالشريعة وسلامة بنيانها وتوافق أركانها، مقابل اختلاف وتضرب بقية الخطوط، حتى في المحكمات التي لا تحتل التأويل، ومنها ما يتصل بالمعاني التي كانت تحوي على السنة الطاهرين، من أحاديث وأدعية وعلوم، وإجابات لها مضامين عالية التواكيب والمعاني، ومنها ما يرقى إلى أخلاقهم ويتصل بحياتهم العملية، وما نقله الناس عنهم من تجردهم عن الدنيا وهي في أيديهم، فأعطوها للناس إعطاء من لا يخشى الفقر والفوت، ساقوا إليها إليهم، وساقوا أنفسهم إلى الله الواحد القهار، نزلوا أنفسهم له وحده، ولم يكن لهم من هم سوى رضاه، ولم يأسفوا على شيء من حطام الدنيا، حتى الحكومة التي غصبت منهم وتلاقفها الأعداء والطلاقاء، كانوا في واقع الأمر ربانبة الأمة الحقيقيون، بما كانوا يفيضونه على الأمة من علوم ومعرف وتوجيهات، عجز الخلفاء آنذاك عنها، ولا زال اعترافات الخليفة الثاني تتناقلها الكتب بعد أن تناقلتها الركبان لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن". "لولا علي لهلك عمر" مؤكدة على قوله تعالى: "أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون".⁽³⁴⁾

ولعل أكبر ما تميز به خط الولاية، هو اعتماده في إثبات صحة مواقفه على الدليل الذي لا يقبل الشك، من كتاب الله تعالى وسنة الطاهرين عليهم السلام، وربط الوظائف والأحكام الإلهية بالنصوص وليس براء الناس، فالفقيه عندهم فقيه في الخط لا يخرج عنه، ولا يكون كبقية الخطوط التي تسمت بأسماء مبتدعيها الذين تلتهم موجة من الكذب والتزوير لنصرة هذا المذهب على ذلك، واستمر التعصب للباطل داء يفتت قوة الأمة على النهوض، ويباعد بين المسلمين ووجهتهم الصحيحة، وهي التمسك بالعترة الطاهرة عليهم السلام، لم ينقطع نفس الاجتهاد ولا سد بابه عندهم، بينما أغلق عند الآخرين وتباعدت الشقة بينهم وبين عصر تحصيل العلم والاجتهاد بحيث لم يعد هناك إمكان لربى الصدع ورتق الهوة السحيقة التي فصلت زمن التسامح العلمي عن زمن التعصب المذهبي المريبض، وبقي الفويقان فريق الإمامة الوبانية يتزود من معين الوحي الذي لم يداخله شيء من هوى البشر، وبين فريق الخلافة الذي ركبه الطلقاء والمنافقون بلا تمييز فالمشكلة الكوى عند معتنقي ذلك الخط هو اعتبارهم لصحة مسار خط الخلافة بما حواه لا اعتقادهم بأن سقوطها كان في أوائل القرن العشرين وتحديدا عند سقوط الخلافة العثمانية، وهذارأي تبناه أكثر المثقفين عندهم كجماعة حزب التحرير النبهاني، كأن متبني هذا الوأي لم يقوا تزيخ ما ظهر من أفعال وسلوك الخلفاء.

ما يموزه التشيع لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بما في الكلمة من معنى، هو نتيجة الامتثال لجميع الأوامر والنواهي التي جاءت من الله تعالى، وبينها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبقيت في عهدة الأئمة الأطهار عليهم السلام. لأن الدين

الخاتم الذي جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم جاء ليقوج مسورة مائة وأربع وعشرون ألف نبي، وليخلص وينسخ جميع الشرائع ويجعلها في شريعته الخاتمة التي بشر بها هؤلاء جميعاً.

ولأن التشيع لأهل البيت عليهم السلام لم يمر في الخفاء طيلة القرون الخمسة عشرة الماضية، فقد كان متوجاً دائماً بالرفض للباطل، ومقلّعه بالسيف واللسان والقلم، حتى لقب الشيعة بالروافض وكانوا دائماً عنوان التفاني والإخلاص للإسلام وأهله، قدموا أرواحهم في سبيل الله، وكانت ثراتهم التي هزت عروش الظلم الأموي، ولتاعت لامتداها أنظمة البغي العباسي، القبس الذي أوصل إلينا الإسلام المحمدي صافياً بلا كدر ونقيا لا تشويه شائبة، ولولا تضحيات أولئك المؤمنين ولإحاطة الأئمة الهداة بهم، لما قام لدعائم الدين الأصيل قائمة.

لقد كان اتباع الأئمة عليهم السلام مثالا حيا ونموذجاً ناطقا عن مخزون المعصومين عليهم السلام، إن نسبتهم إلى الدين وجدتهم رؤوسه، وإن نسبتهم إلى العلوم كانوا تيجانها ودعائمها، منهم وعنهم أخذ الناس زبدتها، وشروها مروى رحيقها، وتقبوا ظلال أمنها، وإن نسبتهم إلى الشعراء والمتكلمين والفلاسفة وأهل اللغة، لم تخطئ في نسبتك، وإن أشرت إلى مكرم الأخلاق وحسن المعاشرة لم تخطئ قصد سبيلهم، وإن سألت عن عفاء التوحيد، وأرباب الورع والتقوى، فلا إجابة تأتيك من غير بيوتهم، ولئن حاول أعداء خط الإمامة والإسلام المحمدي الأصيل الذي لم يخالطه هوى طاغية، ولا رأي ظالم، التكتم على حقيقة هذا الخط، وطبيعة معتنقيه فإنهم عجزوا في النهاية عن كبح جماح الحقيقة من أن تصل بوكاتها إلى كل طالب، وينتشر عبقها وعبورها في بساتين الراجين لقاء الله تعالى، وبقية أهل الورع في كل مكان.

بقي على مر التاريخ هذا الصراط المستقيم سمة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ينتج ويعطي الخير لكل الكائنات، في حين كان غوه من السبل لا يفيض على الناس إلا شوا وعجزاً وبعداً عن الله تعالى ودينه القويم، وكل إناء بما فيه يوشح. عن شئت تعلقت بسبب من أسباب التمسك به، كان الفوز حليفك حتماً، وإن شئت تماديت في التجاهل والاستكار وإتباع سبل الشيطان وأوليائه، عندها لا تلومن إلا نفسك.

1- سورة الأنعام الآية 38

2 - سورة النحل الآية 89

3 - سورة المائدة الآية 3

4 - سورة البقرة الآية 253

5 - سورة الحجر الآية 9

6 - سورة فاطر الآية 32

7 - سورة النساء الآية 54

8 - سورة الأحزاب الآية 38

9 - الشيعة والحاكمون للشيخ محمد جواد مغنية - مقاتل الطالبين لبي الفوج الأصفهاني - تزيخ الكامل لابن الأثير ..

- 10 - حديث: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق. أخرجه كل من مسلم كتاب الإيمان ح113 - الترمذي كتاب المناقب ح 3669 - النسائي كتاب الإيمان وشوائبه ح 4932 - ابن ماجة المقدمة ح111 - مسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة ح693 ح1010 باقي مسند الأنصار ح 22615 ح25299
- 11 - سورة البقرة الآيات 246/248
- 12 - سورة النمل الآيات 38/40
- 13 - سورة الرعد الآية 43
- 14 - سورة المائدة الآية 67
- 15 - حديث من كنت مولاه بلغ حد التواتر بل فات كل مقياس لو لم تفعل سياسة الظلم والبغي والفساد في امة الإسلام فعلها، اعترف بواقته عدد من علماء العامة منهم الزبيدي والكتاني، من جملة من أخرجه: الترمذي في سننه كتاب المناقب ح 3646 - ابن ماجة في سننه كتاب المقدمة ح 118 - أحمد بن حنبل في مسنده، مسند العشرة ح 606/906/915/1242 مسند بني هاشم ح2903 - مسند الكوفيين ح17749/18476/18497/18519 / 18522 مسند الأنصار ح21867/22028/22062/22461
- 16 - تفسير نظام الدين النيسابوري سورة المائدة الآية: " يا أيها الرسول بلغ ما أتول إليك من ربك". مسند أحمد بن حنبل، مسند الكوفيين ح17749
- 17 - سورة آل عمران الآية 19
- 18 - سورة الأنعام الآية
- 19 - سورة البقرة الآية 247
- 20 - سورة الأعراف الآية 150
- 21 - سورة آل عمران الآية 103
- 22 - سورة المائدة الآية 56
- 23 - سورة الأنعام الآية 153
- 24 - سورة آل عمران الآية 144
- 25 - البخاري في ما يسمى بصحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء ح3197 ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ح6715 - مسلم كتاب العلم ح4822 - ابن ماجة كتاب الفتن ح 3994 - مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين ح 7995 و 11415 و 11372 و 11462 و 9443 و 10407 و 10230
- 26 - البخاري، كتاب الخمس ح2884 ، كتاب التوحيد ح6905 ، كتاب المناقب ح3368 ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ح6767 - مسلم، كتاب الإيمان ح 225 ، كتاب الإمرة ح 3544 و 3545 و 3547 و 3549 و 3551 - الترمذي كتب الفتن

- ح 2155 - أبو داود كتاب الجهاد ح 2125 كتاب الملاحم والفتن ح 3710 - أحمد بن حنبل في مسنده، باقي مسند المكثرين
ح 14193 مسند الشاميين 14595/16351/16305/16246 مسند الكوفيين ح 17493/17462/17433 وسبعة طوق
أخرى - سنن الدارمي كتاب الجهاد ح 2326/2335
- 27 - حديث الوصية ن أو ما يسمى بـرزية الخميس أخرجها كل الحفاظ والمؤرخين وأصحاب السير بحيث لم يخل منها
كتاب، أذكر منها: البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ح 6818 ، كتاب الموضى ح 5237 ، كتاب المغزى ح 4079 -
مسلم كتاب الوصية ح 3091 -مسند أحمد بن حنبل، مسند بني هاشم ح 2835 وح 2945 و غوهم...
- 28 - حديث الثقلين أوجه كل من: مسلم باختلاف يسير في اللفظ كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل البيت عليهم
السلام- الترمذي كتاب المناقب ح 3718 و 3720 -أحمد بن حنبل في مسنده، باقي مسند المكثرين ح
20596/11135/40779/10707/10681/مسند الأنصار ح
- 29 - سورة الأنعام الآية 90
- 30 - ميزان الاعتدال ج1 ص 415/414
- 31 - الطواني في المعجم الكبير- الحاكم النيسابوري في المستترك على الصحيحين وعنهما الوجات الرفيعة في طبقات
الشيعة ص 207 - الفتوحات المكية للشيخ محي الدين ابن عربي.
- 32 - الوجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص 256
- 33 - الوجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص 236
- 34 - سورة يونس الآية 35



على طريق الهدى

نشأت في عائلة متدينة ومحافظة على هويتها رغم محولات المسخ التي أضفيت على المجتمعات العربية تحت عناوين متعددة، وكان والدي أبقاه الله تعالى، منعه بالصحة والعافية، وثبته على منهاج الحق الذي هداه الله تعالى إليه، مالكي المذهب، حريصا على أن تتأصل كل تلك المفاهيم في شخصيتي وتنشعب بها روحي، فنتشكل كما كان يصبو إليه إنسانا مستقيما، ومؤمنا صادقا في كنف المولى تعالى وعلى عينه عز وجل، لتقر بي عينه.

إلا أنني وان لم أتمكن من تحقيق مبتغاه في أن يكون لي مركز مرموق عند الناس، وفي مجتمع لا يعترف إلا بالمناصب والشهادات، دون الالتفات إلى القيم والثوابت التي لا غنى للبشرية عنها، وهي إن زعت منها، أو تباعدت عنها، فإنها مناطة في كل الأحوال بها، لا يستقيم شيء بدونها، لأنها المقياس الحقيقي، والمجس الذي لا يكذب، والبذرة التي تعطي خرا. إلا أنني وفيت حقي لديه، وبلغت أمله في أن أكون رجلا بالمعنى الإنساني للكلمة، في عصر بدأ فيه النوع ينقوض، وغدا البحث عن المثل الذي تجسد في شخصي غير مجد في كثير من الأحوال.

كانت أمي أبقاها الله تعالى المدرسة الأولى التي نحتت شخصيتي وأعطتني من مثالها أخلاقا وحنانا وعظما وحسا موهفا رضعته من ثديها وتلقفته أذناي من كلماتها الحكيمة، في حين كان والدي دام ظله المرشد والولي الذي كان يحوطني باهتمام بالغ، وكنت فوق ذلك كله مأخوذا بشخصه، محتميا بظله، مستشعرا منه مثال الرجل الشجاع، ونموذج الإنسان الأبوي الذي لا تغوره الخطوب، ولا تؤثر فيه سلبا هوائم المجتمع وخيباته، استتسخت من شخصيته الشجاعة والكرم والإياء، وكان الركن الأكثر إضاءة بالنسبة لي في حياته الكريمة يوم حمل يافعا السلاح من أجل استقلال البلاد فقدم نفسه فداء للوطن، ولم ينتظر من أحد أن يرشده إلى ذلك أو أن يشكوه على ما قدم، فكنت والحق يقال فخرا به إلى درجة الإواط.

كان دائب الاهتمام بشعائره، وكان يحثني على الطهارة والصلاة منذ أن بدأت أعي، وقبل أن أبلغ سن التكليف، فانطبعت تلك القيم والمفاهيم في نفسي، وكان لها الأثر الأكبر على هدايتي فيما بعد.

وفوق ذلك كنت متموا بحضور الذهن وسوعة البديهة، ورهف الحس، كانت أوقات فراغي دائما مقسمة بين مطالعة كتاب، أو تأمل طبيعة، أو استماع موسيقى، أو مملسة رياضة، وكانت صحبتي لأقواني مبنية على ذلك الأساس.

كما كنت مجولا على التلقائية والتطوع لخدمة الناس، ومنذ أن ألقف من والدي كان الظلم بالنسبة لي عوا بغیضا، معتورا أن السكوت على الظالمين جريمة كوى.

لست من الذين يلقون الورود على أنفسهم، لكنني في هذه الحال ناقل لانطباع كل من عرفني عن قرب، فأحمد الله تعالى على كل ذلك.

أذكر أنه كانت تستهويني صورة معورة عن الإمام علي عليه السلام وهو يقاقل عمرو بن ود الباهلي، في بيت أحدرفاق

المترسة الابتدائية، فكنت أقف أمامها مورا وتكورها حتى ترسخت في عقلي وروحي من خلال حصص المشاهدة تلك، ودون إراك ولا تفسير واضح يعلل وقوفي في كل مرة أمام تلك الصورة، فانطبعت محبة ذلك الرجل في نفسي، بحيث لم يبق في قلبي ووجداني ذكر وحب لغير الأصول الثلاثة التي عليها مدار الدين كله عقيدة وشريعة وهي توحيد الله تعالى والإقرار بنبوته خاتم الأنبياء والموسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الإقرار بإمامة أمير المؤمنين وسيد الوصيين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وان كنت في سن لا تسمح لي بالتمييز فان فطوتي كانت بالنقلوة والصفاء المطلوبين لانطباع تلك الأصول في داخلين وهو ما فسر لي فيما بعد تلقائية تقبلي لخط أهل البيت عليهم السلام واستيعابي السريع لمنظومتهم التي هي أصل الإسلام وروحه وجوهه.

ولما كوت قأت في التزيخ الإسلامي كل الأحداث والوقائع بالرواية المذهبية المميعة للقضية، والمحورة من مغبة تناولها، فلم ألتفت إلى حقيقة أهل البيت عليهم السلام إلا عندما انتصت الثورة الإسلامية في إيران، على يد ملهمها آية الله العظمى سيدي وهولاي روح الله الموسوي الخميني قدس الله تعالى سوه وطيب ژاه، ذلك الرجل الذي لوخ العالم وحوه، وجاء بالإسلام ليجعله طويقة وأسلوب حكم ونظوية ولاية فقيهه مثلى لقيادة الأمة، وحل لجميع مشاكل البشرية، جاء الإمام بالإسلام من جديد ووضع على بساط الفعل وموقع التأثير، تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: " والله لو كان الدين في الثريا لأقرله رجال من فرس". كان شغله الشاغل عودة الدين القيم إلى فاعليته وشموليته وعالميته، كان خطابه موجها إلى جميع الناس، مخزولا الثقافة الثورية الجديدة، ومبينا معاني الاستضعاف والاستكبار، وموضحا لحقائق الأحكام ومعاني الحكم في الإسلام العظيم. فكنت مشدودا إليه مأخوذا إلى شخصه بحيث جاءت صورته الحاضرة لتلتصق بصورة الإمام علي عليه السلام التي كنت شاهدها في صغوي وانطبعت في ذاكرتي.

تساءلت يوم رأيت أول مرة صورة الإمام القائد قدس سوه الشريف أيمكن أن يكون رجل بهذه الملامح وذلك السر وتلك الشخصية وذلك النور في هذا العصر الذي كدنا نفقد فيه كل أمل في الرجولة ومثلها العليا؟ في يومها كنت منتسبا إلى حركة الاتجاه الإسلامي معتقدا بأن الإسلام لا بد أن يقود الحياة رغم أنوف من يأبى ذلك، وحملت على عاتقي مسؤولية الظهور بمظهر الاستقامة، وتمثيل الأخلاق والمبادئ الإسلامية تمثيلا صحيحا وصادقا، فموضعي من المجتمع لا يحتمل التواني ولا إعطاء الانطباع المعاكس والسيئ لتجربة ما زال في بداياتها وتبحث لها في المجتمع عن موقع صلب لا تزححه الخطوب. أولى مقلناتي جاءت من صورة الإمام الراحل تساءلت عن ذلك المحيا الملكوتي لماذا لا يوجد لدينا ما يشبهه في مجتمعاتنا السنية، والحال أن تسميتنا بالسنة معناها أننا أقوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غيرنا؟ وتعجبت من العمامة السوداء التي وضعها الإمام على رأسه وطويقة لفها، وقلت في نفسي لماذا لبس ذلك الرجل الوقور عمامة سوداء، ولماذا لفها بذلك الشكل على خلاف علماء أهل السنة والجماعة؟ ألا يكون اللون الأبيض أقوب للدين من غوه من الألوان؟ لماذا يخيم الحزن على ملامح هؤلاء؟ وفهمت بعدها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت له عمامة سوداء وكان يلبسها في حروبه وأسفله، اسمها السحاب، أعطاه لأخيه بالمؤاخاتين الإمام علي بن أبي طالب فلم تفرقه حتى استشهد وتولت نريته الطاهرة ذلك

الرمز الذي به يعرف علمؤهم إلى العصر الحاضر.

محيا الإمام الخميني قدس سوه أخذ مجامع قلبي، وشدني إلى ذلك الرجل الذي غير التاريخ وطوع دوران عجلته، إلى حيث رادة قائد وشعب توسخت فيهم تقاليد العشق الإلهي، فكان الدافع الخفي نحو البحث في تفاصيل الثورة وأصولها، وزانهم حب وولاء أهل البيت عليهم السلام فاكتملت شخصية المؤمن عندهم وخطت ملامحها حقيقة التوحيد والولاية.

وباعتبلي أنتمي إلى مجتمع سني منغلق على نفسه، شديد الحساسية في مقربة غره، مواليا منذ نشأته للحكام بمختلف تصانيفهم، لأن تلك المذاهب جاءت بتركية وتثبيت منه والتاريخ يشهد على ذلك، فقد كانت الأخبار التي تروج على الإمام الواحل وثورته والجمهورية الإسلامية في إيران زائفة في معظمها، موجهة من طرف الاستكبار العالمي الذي تقوده أموكا المهزومة والمجروحة بعد هزيمة عميلها الشاه واقتحام وكر التجسس في طهران من قبل شباب الثورة التواق إلى لقاء الله تعالى بلا أدنى خوف أو وجل من أي كان،، وتفاقم الأمر عند العنوان البعثي الصدامي التكريتي عليهم لعائن الله جميعا، بحيث أصبح الراء يواجه تركيبة من الأتواق الدعائية الكاذبة لتغطية العنوان، والإعفاء عن الجريمة النكراء التي تقترف ضد الإسلام والشعب الإيراني المسلم الذي لبي نداء الإمام في أن ينخرط في التجربة الإسلامية الجديدة، وتحت غطاء القومية العربية كانت صحافتنا واخص بالذكر منها الشروق والصبح التين كانتا من النافخين في صورة صدام وعصابته المعجزة إلى أن أصبح بطلا عند العامة في شمال أفريقيا، كيف لا وهو الذي ضرب الكيان الصهيوني في عقر دله، لم يدر في خلداهم وقتها وقد أسكرتهم نشوة تلك التمثيلية المفضوحة أن الصوريخ التي أطلقها صدام لم تكن تحقوى على أية حشوة، وأن اتفاقا كان يقضي بحفظ ماء وجهه من الهزيمة التي تلقاها في بعد، ودعما للكيان الغصب للقدس بالأموال التي اتفق على أن تعطيهها التواق من عائداتها النفطية، وإلا إن كان هناك عدل وإنصاف، لماذا لم يطبل هؤلاء المهوجون لانتصار التلة المؤمنة من حزب الله في جنوب لبنان البطل على كيان مؤال يوخ أكثر من عشرين تولة عربية؟

من أجل ذلك الخيار وقف الجميع ضد الإمام الواحل والثورة الفتية، وحوربت بكل الأشكال التي يتصورها عاقل، حتى نوي المولات الإسلامية، وأصحاب الأفكار التي تعتمد طرح الدين كبديل لإنقاذ المجتمعات الإسلامية من التفسخ وفقدان الهوية، سقطوا في فخ الدعاية، ووقفوا موقفا سلبيا من الإمام والثورة على اعتبارها طائفية لا تلبى طموحاتهم، ولا تستوعب ما عداها من أفكار إسلامية.

في ذلك الإطار أذكر أنه قد نشر مقال صغير عن الثورة الإسلامية تحت عنوان: "الرسول ينتخب إيران للقيادة" على صفحات مجلة المعوفة التابعة لحركة الاتجاه الإسلامي في تونس

أثار فيه صاحبه بأن الثورة بقياداتها وتفصيلها هي من نوءات الوآن الكريم، وتوضيحات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد اعترف كاتب المقال السني المذهب بما أخرج المفسرون والحفاظ من أسباب نزول الآية التي في سورة الجمعة وهي قوله تعالى: "وأخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم". عندما أخرج أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن الذين لما يلحقوا بهم فقال مشوا إلى سلمان الفلرسي: "هم من قوم هذا والله لو كان الدين في الثريا لأتوله رجال من

غير أن توجه التأييد والاعتراف بإسلامية الثورة تقلص سريعا تحت ضربات الاستكبار وترايد نفوذ داء الوهابية الذي استغلته أمركا لقضاء مربين، الأول جندت ما أمكنها تجنيده من المسلمين التواقين إلى الجهاد والشهادة من عرب إفريقيا والشرق الأوسط من نوي الأصول الأشعرية، على يدي أسامة بن لادن في بيشلور الباكستانية، وفي مكتبه الذي كان يستقبل الوافدين عليه، على الحدود الأفغانية في محاولة لهزم الاتحاد السوفييتي الغري لأفغانستان، لحماية نظام حكم نجيب الله اليسري الموالي للمعسكر الشرقي، أثناء الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي بقيادة أمركا والشرقي بقيادة السوفييت. والثاني لما تأكدت نخب الحركة من التوجه الفكري للثورة الإسلامية في إوان سلعت إلى الوقوف على رابية أبي هرة، بل فيها من باشر محاربة الثورة وركوب ظهر الدعاية المغوضة ضدها.

لقد كان لانتقالي من مدينة بنزرت حيث يقطن إلى الآن والداي وإخوتي إلى مدينة قابس للعمل بأحد مصانعها، الأثر الأكبر في استبصلي ومعرفتي لطريق الحق، وهي السفة التي غيرت مجرى حياتي، وجعلت مني إنسانا مفكرا وباحثا عن الحقيقة في البداية وكاتباً لما وقفت عليه من فنانعات بعد ذلك.

وصلت إلى مدينة قابس فوجدت ابن عمي الشيخ مبرك بعداش في وضع لا يحسد عليه بعد الخلاف الذي دب بينه وبين حركة الاتجاه الإسلامي والتي عرفت فيما بعد بحركة النهضة، وكان أحد مؤسسيها وقائدا من قياداتها، محاصوا في منطقته بشتى الدعايات التي حيكت ضده لتفجير الناس منه، فكان علي أن أسعى بما أمكنني إلى فك ذلك الحصار من جهة والدفاع عنه برد الدعايات على أصحابها من جهة أخرى. كنت أذهب إليه بعد العصر وفي المساء، بعد ما ألفت جلساته ومسامراته، حتى أصبحت لا أطيق فاقه والابتعاد عن مجلسه.

في أحد الأيام جئت إليه فوجدت بين يديه كتابين، سألته عنهما فقال لي إنهما جاءاه من طريق شخص أبح على أن يؤأهما ويبيدي رأيه في محتواهما، لم يخف الشيخ عدم تحمسه للفكرة، لكنه كان في النهاية مقتنعا بأنه لا بد من الاطلاع على تصورات وأفكار وعقائد فريق من المسلمين ظلت طروحاته مغيبة قرون طويلة بدافع عصبية الأطراف المقابلة.

الكتاب الأول هو كتاب العراجات للسيد عبد الحسين شوف الدين الموسوي، والثاني هو كتاب دلائل الصدق للشيخ المظفر طيب الله واهما. فاستحسننت الفكرة، سيما وشغفي بالمطالعة لازال يلازمني كظلي، وانفقت مع الشيخ أن نبدأ بكتاب العراجات، فاستأذنته في أن آتي معي ببعض الأصدقاء ممن يروم جلسات الحوار وتبادل الأفكار والنقاش العلمي في المسائل التي لها علاقة بالدين.

ومن الغد جئت ومعني موافقان، وبدأ المجلس الأول بالمراجعة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة حسمت بالنسبة لي مسألة الإتياع والأحقية، باعتبار انه لا دليل على رجحان المذاهب في مقابل خط الإسلام الصحيح الذي يمثله أهل البيت عليهم السلام، لا من حيث تقليد الناس لهم لتأخره عن القرون الثلاثة الأولى، التي عاش فيها أئمة أهل البيت عليهم السلام، ودل أخذ مالك وأبا حنيفة العلوم عن الإمامين محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب الملقب بباقر العلوم وابنه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما

السلام، على أن الناس كان توجههم إلى الأئمة الهداة بلا فصل، مما دفع بالأنظمة الحاكمة في رقاب المسلمين ظلما وعوانا إلى اتخاذ إجراءات النفي والسجن في خصوص الأئمة عليهم السلام وأتباعهم.

وان كنا قد ثبتنا النصوص الخاصة التي جاءت في الأئمة الهداة عليهم السلام فان النصوص العامة التي تحدثت عن انقسام الأمة، والنص الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لا زال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يظوهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله". وواضح الدلالة على أن الطائفة هي شيعة محمد وآله الأطهار صلى الله عليهم، لأنه لم يثبت في غيرها حقيقة الإسلام الصافي النقي، وجلاء النصوص، وتميز الخط بالعلم والحياة، والتضحية والفداء، والتقوى، بينما لم تأت بقية الخطوط بغير التلوع والاختلاف، ولم تقدم عن الإسلام صورة واضحة ونظيفة.

وقالت الجلسات والمواجهات إلى أن حصلت لدي قناعة بأن الحق لا يمكنه أن يحيد عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لما توفر من نصوص حاسمة وواضحة وجلية لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولم يمر علي يوم وتطوي الظلمة فيه سدولها إلا وقد زددت يقينا بأحقية هؤلاء الأطهار في قيادة الأمة الإسلامية، وتحقيقا للنصوص التي كان السيد المجاهد عبد الحسين شرف الدين الموسوي يقدمها للشيخ سليم البشوي شيخ جامع الأزهر في ذلك الوقت، كنت أعود إلى مراجعة تلك الأحاديث بما توفر لدي من مراجع كفتح البلي في شرح صحيح البخاري لابن حجر الهيثمي وجامع الأحاديث لمسلم النيسابوري، وزيادة للاطمئنان كنت أذهب إلى المكتبة العامة بالمدينة عند فقد المراجع التي لا توجد عند الشيخ مبارك. ولعل هذا أبلغ ما يمكن أن يحتج به، أن يأتي صاحب الاحتجاج بحجته من كتب الطرف الآخر، ولا يرى من وصلته الحجة فبقي في مستنقعها إلا لئima خبيثا أو جاهلا لا يعي شيئا.

ومن خلال قراءتنا للمواجهات كانت تتورد علينا من حين لآخر أسئلة واستنتاجات على هامش الموضوع المتناول، ففي السورة مثلا وبعد النظر في أبوابها تبين لنا أن هناك سياسة متبعة في تدوين السورة تعتمد على تجاهل الأحداث المتصلة بأهل البيت عليهم السلام، وان مر حافظ منهم على شيء من ذلك فمرور الكوام، وإلا لماذا يقع تجاهل مبيت الإمام علي عليه السلام على فاش النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ ولا يعطى المسألة حقها الذي تستحق بينما توقع طبول التضخيم لصاحب الغار. ولماذا تعفى هجرة علي عليه السلام بالفواطم كأنما الحادثة في منتهى البساطة، والحال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكث في قبا ثلاثة أيام ولم يدخل يثوب؟ ولماذا تعفى علاقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعلي عليه السلام قبل البعثة وأثناء البعثة، وطيلة عمر الشريف، فلا نوا غير جاء النبي ومعه أبو بكر وعمر، والحقيقة غير ذلك تماما، لأن النبي صلى الله عليه وآله ليس له وزير ولا أخ ولا صاحب لم تتغير علاقته به إلى أن مات غير علي عليه السلام.

لماذا تمر بطولات علي عليه السلام وأعماله العظيمة للإسلام من الباب الصغير بينما تبنى الصروح لأوهام ما كان لها أن تجد طريقا إلى الكتب الإسلامية ولا سياسة المكر والدهاء التي مورست على المسلمين دهورا طويلا.

لازلت أستشعر تلك الفوحة التي تملكنتي، وأنا أقف على أعتاب علي وفاطمة عليهما الصلاة والسلام، مدفوعا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي قال فيها: "إني ترك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله

وعرتي أهل بيتي". لا الحديث المحرف الذي كان مالكا أول ناقله: كتاب الله وسنتي، لأن الخلاف ليس في السنة وإنما فيمن ينقل عنه، ولعل عدم اطمئنان مالك لصحة سنده جعله ينقله بلاغا. وقوله صلى الله عليه وآله أيضا: "إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق". بحيث لم يتوك هذا المثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذي وجهة وجهته، فالحالة التي وصفها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتي أملت بالأمة هي طوفان كطوفان فوح، وحيث لا جبل يعصم من الماء غير سفينة أهل البيت عليهم السلام، فمن ركب السفينة فقد نجا من الغرق في متلاطم الفتن وغياب التحريف والضلالة ومن أحجم عن الركوب ذهب به مذهب في أبحر الغي والجهل كما يقول الشافعي.

يومها فقط فهمت أن السنة التي هي بيان لكتاب الله تعالى لا يمكن أن تتوك للناس يفعلون بها ما يشاعون، وفهمت أن الإمامة ليست حكرًا على الصلاة فقط بل إن منصبها جسيم وخطير، لأنها في الحقيقة تجسيد للدين، ومثال حي لكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وحاجة الناس على اختلاف عقولهم وتباين أفئدتهم في أن يكون لهم مثال ونموذج يهتدون به ويقتنون بشخصه، لم يكن للوقت الذي نقضه في جلساتنا وزن ولا قيمة، طالما أنه يحمل إلينا في كل جلسة هديا جديدا وعلما حقيقيا لا غبار عليه ولا تروير فيه، كانت كل النصوص التي استدل بها السيد صاحب الرجعات من كتبنا ومن صحاحنا، فلم نستطع ردها، ولا أمكن مجالات التستر على مضامينها، على طريقة سد عين الشمس بالغربال المعتمدة عند وعاض السلاطين الذين نهلنا من مائهم الآسن دها، فلم نجن منهم غير الخيبة والبعد عن الله تعالى، وإتباع مسالك الظلم والظالمين الذين عمروا طويلا في منظومتنا الإسلامية تحت مظلة التسامح وغطاء الطاعة العمياء، ولكن هيهات أن يستمر مسلك الشيطان في غواية من في قلبه مثقال نوة من إيمان.

حتى أشباه المشايخ والعلماء الذين كان يقصدهم البعض تثبيتا لما وصل إليه من أدلة عقلية ونقلية، لم يكن في حوزتهم ما يوعون به عن مذاهبهم، ولا توكوا انطبعا حسنا لمن قصد مجالسهم، وأذكر في هذا الخصوص أن إمام مسجد الصحابي أبي لبابة الأنصاري بمدينة قابس كان يلقي لرسا بعد صلاة المغرب حتى صلاة العشاء (ساعة ونصف بين الصلاتين) في الفقه، سأله أحد الحاضرين عن الذين يمسحون رءجلهم في الوضوء، فثرت ثائرة الرجل، وتوعد من الغد أن يأتي بالدليل على أن حكم الرجلين هو الغسل في الوضوء.

لم أكن حاضرا ذلك اليوم، لكنني علمت عشية اليوم الموالي من الشيخ مبرك الذي أعطاني الجزء الأول من كتاب فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام للشيخ محمد جواد مغنية، وطلب مني أن أذهب لحضور الدرس ومناقشة إمام الجمعة بخصوص حكم الأرجل في الوضوء، دفاعا عن الحق، وتقوية لوضع الإخوة المستبصرين الجدد، فما كان مني إلا أن قصدت المسجد المذكور فصليت فيه المغرب وجلست أنتظر قدوم الإمام، لم يدم انتظري طويلا إذ جاء الرجل يحمل قفة من الكتب، وما إن وصل إلى المكان الذي يلقي منه رسه حتى وضع القفة وجلس، ثم انطلق يقرأ حكم غسل الرجلين من كتب التفسير التي جاء بها معه في القفة، كان يردد بعد كل كتاب تناوله: هذا ما قاله الطوي في تفسيره، هذا ما قاله الولي في تفسيره،

هذا ما قاله القوطي في تفسيره، هذا ما قاله ابن كثير في تفسيره...

وما إن انتهى الرجل من استعراضه للحجج القائلة بالغسل، ورفعت يدي طلبا للكلام، حتى انوى قائلا: أقم الصلاة" فصليت وراءه مع من صلى، ولما فوغنا من الصلاة والتعقيب، تقدمت إليه وهو يستعد للخروج ولا مفر له من أن يستمع إلي وهو محاط بكوكبة من المصلين، فقدمت له الكتاب، فلم يتمالك من التأخر خطوة إلى الراء قائلا: " أنا مكتف بما عندي". فقلت له: " سبحان الله، إن الذي قدمته لك كتاب فقه لإمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام أقر له الجميع بالفضل والأعلمية، ودرس من درس على يديه علوم الدين، منهم الإمام مالك بن أنس صاحب مذهبك وأبو حنيفة وغورهم مما لا يتسع المقام لذكورهم". ولما أصر الرجل على موقفه وامتنع من تناول الكتاب حضوني سؤال على البدهة فقلت: " أسمح لي بسؤال؟ " فقال: " تفضل" فقلت له: " باعتبار أن مذهبكم والذي كنت منتما إليه يجوز المسح على الخفين والجورب حال السفر، فهل يجوز لي أن أمسح على الفقاز في إحدى يدي؟

لم يكن إمام المسجد ينتظر سؤالاً كالذي ألقىته عليه لذلك لم يتمالك من القول بأنه لا يوري ما يقوله لي، فقلت له: " أنا أقول لك انه لا يجوز لأن حكم اليدين هو الغسل، فلا يمكن مسحهما، وجوز فقهاءك المسح على الحائل في الرجلين باعتبار أن الحكم الأصلي هو المسح لا الغسل، كما إنني ألومك أيها الشيخ لأنك لم تقوا للناس أقوال العلماء بخصوص مسح الرجلين في الوضوء من نفس الكتب التي قأت منها". توج الرجل من كلامي فأنهى الحوار الغير متكافئ بقوله: " إن كنت مقتنعا بالمسح فامسح". وكان ردي قاسيا ودون رادة مني: " لست محتاجا إلى توكيتك ورأيك حتى أستمر في منهجي التعبدي". ليلتها خرجت من المسجد وأنا في قمة الرضا وفي تمام اليقين بأن الإسلام الحق ليس له مكان ولا وجهة غير البيت الذي اذهب الله تعالى عنه الوجس وطوره تطهرا.

إمام من أئمة أهل السنة في المنطقة يكتم الحق ويتستر على أقوال من أجل نصوة الرأي الذي تبناه طيلة حياته، كأنما يرفض الإذعان للحق، وقد عرف الرجل فيما بعد بموالاته لوهابية، ذلك لأن ابن عمه الدكتور كان من الذين تفسحوا في الحجاز وجمعوا البيئروولار ما شاء لهم أن يجمعوا.

واذكر أيضا أن أحد أقرب الرجل قد اقتنع بأحقية أهل البيت في إمامة الأمة، فؤاد أن يكشف جزءا من الحقيقة للإمام والمسألة التي أثارها هي رزية الخميس، مستدلا بها من البخري فاستجد الإمام بالدكتور ابن عمه، وكانت المفاجئة في أن الدكتور أنكر وجود الرواية في البخري (في الحقيقة اخرج البخري أكثر من طويق لتلك الحادثة الأليمة) ولما قدم إليه المحتج البخري وقأ الرواية لم يتمالك من القول: " وأنت أصبحت منهم؟ "

وانطلقت مع الشيخ في حملة دعوية رغم قلة الكتب والمصادر، وبإمكاناتنا الخاصة وبعون الله تعالى انتشر التشيع في روع تونس من الشمال إلى الجنوب بعد أن كان محصورا في مدينة قفصة فقط وبين عدد لم يتجاوز العشرة أواد لما التقيت بهم مع الشيخ مبلرك في بيت أحد الفضلاء حفظه الله تعالى ورعاه، وفي فترة وجيزة تمكنا من إيصال التشيع إلى الجامعة ومنها انطلق يحشد الموالين للحق وأهله، لم يكن لنا التأثير الذي تركته الثورة الإسلامية المبلركة في إوان فكلنا كان يحتمي بإشعاعها ويقدمها على أنها العنوان المادي الذي يؤكد صحة الدعوى التي أطلقناها، كما كان حزب الله في لبنان وانتصار ثلثته

المؤمنة على العدو الصهيوني، وقناة المنار الفضائية وقناة سحر معها، المادة التي بها توسع التشيع في تونس، ذلك أن الناس ملئت الوعود الفلغة، وسئمت من أصحاب المناير الجوفاء، بحيث لم يعد لهم متسع من الوقت ليستغفروا في أحلام لا يسفر ليلها عن صبح الحقيقة وبلوغ الغاية التي يصبو إليها كل مسلم غيور على دينه، فأى المكلمون منهم والمتحيرون ومن بداخلهم حمية لا تطفأ على الدين وأهله، أن النموذج الحق والمثال الصادق حل بأفقههم فبادروا إلى الإقرار به والالتزام بمنظومته والسعي قدر الإمكان إلى نثوره بين المسلمين ولم يبق لنا من عمل، غير التوجيه والإرشاد والإجابة على بعض الإشكالات التي كانت تطرح من حين لآخر هنا وهناك.

لم تجد قيادات حركة النهضة بدا من محاربة ذلك المد العقلاني في صفوف المتدينين في تونس فسعت بما توصلت إليه من إمداد وهابي إلى محاربة تلك الظاهرة الفتية فوج قياداتها كتاب الثرة البائسة للخبث موسى الموسوي وكتب اللعين إحسان الهي ظهير الشيعة والقوان وغوها من الإصدارات التي لا تحمل بين طياتها غير السواب والكذب والبهتان والدعاية المغرضة، ورغم أن كل تلك الإصدارات قد وقع الود عليها من طرف العلماء الأجلاء رضوان الله تعالى عليهم ولم تكن بحوزتنا، فقد كنا متيقنين من ثبات موقفنا وسلامة طريقتنا، لأنه طريق الطاهرين من آل محمد صلى الله عليهم جميعا، فلم تحركنا تلك الشطحات، بل زادت من عزيمتنا في المضي قدما من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من أوفاد هذه الأمة المستخف بها. وجاءت كلمة زعيم حركة النهضة إجابة على سؤال طرح عليه بخصوص ظاهرة التشيع في تونس فقال: "لقد أعلننا السلطة بحقيقة الشيعة، ولا بد من التصدي لهذه الظاهرة، لأنه ليس لها مكان في شمال أفريقيا". والكلام مسجل على الرجل في شريط منذ أن نطق به.

لقد كان يرى أن الشيعة والتشيع قد قضى عليهما في مجازر جماعية في أواسط القرن الخامس على يدي من أسموهم بقيادة حركة الإصلاح وزعماء الاعتدال، وما هم في الحقيقة غير عصابة من المجرمين المنفذين لرغائب أعداء الله تعالى، وقتلة الأنفس المحترمة بغير وجه حق..

وعليه فلا عودة للتشيع بعد الإبادة، كأنما يريد القول بأن تلك الظاهرة قد ماتت ولفتها بطون كتب التاريخ بدون ذكر ولا إشارة إلى خطورة ذلك الجرم المقترف في حق أصحاب رأيهم أحرار في النهاية بتبنيه والاعتقاد به، وعليه فإن عودة التشيع من جديد إلى هذه الروع يعتبر شنودا يجب التصدي له، فدعا الرجل إلى قمع الفكرة من وضع القمع الذي هو مسلط عليه، فهل في ذلك عقل وتعقل؟ أمات تصوره بأن التشيع لن ينجح في تونس، باعتباره حالة غريبة عن تقاليد البلاد، مقاييسا صعوبة نقل السني المالكي من التقليد الأعمى المنغلق إلى الانفتاح على الأفكار ومجراة العصر، فالحاصل الآن يفند قواعده، ويؤكد أن الفكرة الصائبة تنمو في كل مكان حتى لو كان جدبا، أما ادعؤه بأن عقائد الشيعة فاسدة، فإن الكلام ليس كلامه وإنما هو متبع في ذلك لأقوال من سبقوه كابن تيمية وابن الجوزية، أثر إتيان البيوت من ظهرها، فضل وأضل.

لم تكن مسألة الإمامة التي عليها مدار الخلاف الجوهري بين الفويقين لتحجب عنا بقية العقائد وخصوصا التوحيد والنبوة، فكان كتاب دلائل الصدق الموسوعة التي أعطتنا التصور الصحيح لمعاني التوحيد، بعيدا عن شك بقية الفرق في اعتقاد أن

صفات الله تعالى هي غير ذاته، وتجسيم المولى بالادعاء عليه بأن له أعضاء وجوارح، وتزوله إلى السماء الدنيا، ووضع رجليه في النار، ورؤيته يوم القيامة، والاعتقاد بقدوم الوآن وغير ذلك من الشطحات التي لا تقف على دليل سليم. كما في نوبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم خلاف فمن ينتسبون لسنته، يعتقدون بعدم عصمته في ما عدا الوحي، بينما يعتقد أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن ورائهم شيعتهم بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقا ودون تخصيص، ذلك أن حياة المصطفى كلها تشوبع ووحي، وهي بالتالي محكومة بملكة العصمة التي لا مناص، منها لتحقيق الثقة والتسليم لدى الناس في تلقيهم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أذكر كذلك في بداية تشيعنا أننا وفي إطار حملتنا الدعوية قد فتحنا باب الحوار والنقاش مع كل الشوائح الإسلامية المتواجدة على الساحة الداخلية، غير أن أطرف ما يمكن ذكره هنا أن أحد قيادات حركة النهضة قد استتجد بأحد عناصر حزب التحرير لمواجهتنا وإفحامنا، وقد كنا ناقشنا قبل ذلك قياداته أذكر منهم الأستاذ محمد سعيد الذي كان منغلقا جدا على كتابات شيخه تقي الدين النبهاني، أعطينا كتاب الغدير للشيخ الأمين فلم يقوؤه، وان بحث فيه فعن سابق نية بعدم قبول شيء منه، لأنه بعد ذلك جاء ليستنكر وجود نجمة سداسية بين صدر وعجز الأبيات الشعرية في الكتاب ولسان حاله يردد أن اليهود يقفون وراء هذه الكتب، فقلت له هذا ما وجدت من عيب في الكتاب، وهو مما لا يعاب عليه الكاتب، ثم إن النجمة الخماسية والسباعية والثمانية وغيرها أشكال هندسية لا علاقة لها بالعقيدة وان نسبت السداسية للنبي دلوود عليه السلام فليس فيها ما يعيب كاتبها ولا كتابها ولا مطبعة.

كانت المناظرات مع ذلك الرجل رتيبة ثقيلة، لأنه لم يترك لنا مجالا لمقولة الحجة بالحجة والدليل بالدليل والوهان بالوهان، ليس لديه غير ما قاله النبهاني، حتى أنه تحوأ ورد حديث الغدير واعتوه موضوعا وأن الحادثة من اختلاق الشيعة، لأن عليا عليه السلام كان باليمن ولم يلحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحج، وهو من خلال كلامه ذلك ناقل لما كتبه النبهاني في كتابه الشخصية الإسلامية، باب الشوع لم يعين خليفة.

وكانت إجابتنا أن أصحاب السير والتاريخ كلهم قد أجمعوا على وقوع الحادثة وصور الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وموافاة علي عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع، وحجه لتلك الحجة قرنا كحج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينما حج بقية الناس حج تمتع، وذلك الوآن يفيد معاني عدة منها أن النوبة والإمامة مقامين مقدسين في الأمة يجب وضعهما موضع الطاعة المطلقة والولاء الذي لا يخالطه شك في رتباطهما ببعضهما من حيث التكليف الإلهي المتمثل في الحفظ والتطبيق.

ولما جابهنا الأستاذ بحجج حضور علي عليه السلام لحجة الوداع وظهر كذب النبهاني، تظاهر بتسجيل تلك المعلومة، لمزيد البحث ولا رآه فعل ذلك.

وقد وجدت في إحدى المكتبات المحسوبة على حركة النهضة بمدينة قابس عددا من الكتب التي تنتهجم على التشيع وعلى الثورة الإسلامية في إوان، فما كان مني إلا أن توجهت باللوم إلى أحد القيادات المعروفة وكان متواجدا في تلك اللحظة، فما

كان منه إلا أن أمر البائع بسحب الكتب، لكنني لما عدت في اليوم الموالي وجدتها معروضة من جديد.

أجمل الذكريات التي لا تزال عالقة بذاكرتي ولن تتمحي يوماً، إنني في بداية تشييعي سنة 1981 رأيت في منامي أن في يدي رسالة من الإمام علي عليه السلام حملها وأنا داخل إلى بيت الله الحرام لأسلمها إلى صاحب الزمان الإمام المهدي عليه السلام وعجل الله تعالى فوجه وسهل مخرجه، جعلني الله وإياكم من جنده وأنصره وأعوانه والمستشهرين بين يديه.

فكانت تلك الرؤيا دافعا كبيرا وحاوا على مزيد العمل والبذل من أجل إعلاء كلمة الله تعالى.

وإنني إن نسيت شيئا فإنني لن أنسى أخي وحببي ورفيق تربي عبد الله السويلمي الذي كان رجلا قل أن التقيت بمثله في حياتي، الذي سهل علي استبصاره، هو انقياده لفظوته وعيشه في الحياة بدون أدنى زينة، كان تلقائيا بما في الكلمة من بعد، وكان إنسانا بما في اللفظ من معنى، تعرفت عليه في عملي، فلم أتمالك من الاقتراب منه والتودد إليه، وكانت استجابته أسوع، فاتخذته صديقا وأخا، رُدت منذ البداية أن أعرفه بإسلام أهل البيت عليهم السلام، فوجدت في داخله مخزونا خاما لروح التشيع، ومكنا في ثنايا وجدانه لمعانيه السامية، وجدت ذلك كله لديه ولكن بلا مسميات ولا عناوين، مما سهل علي عملية إخراج ما يخترله من قيم ومعاني، وإعطائها العنوان الذي تقبله بكل فح وسرور، ومن اليوم الذي حدثته فيه عن أهل البيت عليهم السلام، كانت رؤاه وأحلامه تصب في إطار واحد، لقد كان عبد الله يعيش جزء من ليله مع أعداد كبيرة من أصحاب العمائم السود والبيض، وفي اليوم الموالي يأتيني منشورا ليحكي لي حلمه الجميل والرائع.

رجل حمل الصدق في قلبه وانطلق في هذه الدنيا غريبا يبحث عن رفيق يقاسمه الصحبة والطريق، لم يجد غوي في وحشته على هذه الفانية، ولم أجد غيره مؤمنا خالصا لله تعالى، وكان له الأثر البالغ في تشيع ثلة مؤمنة بإحدى جهات الجنوب الغربي التونسي، أسأل الله تعالى له ولكل مؤمن الفوج وقبول الأعمال ومرافقة محمد وآل محمد دنيا وآخرة.

لعل أطرف ما يمكن ذكره هنا أنني في إحدى سفاتي إلى إحدى مدن الجنوب التونسي مرفوقا بالشيخ أو وحدي، حصلت ناورة وجب ذكرها للإخوة تمثلت في أن الشخص الذي كنا نذهب إليه لدعوته، كان يقبل منا الحديث والكتب، ويظهر إصغاء يعبر عن قناعة تامة بكل ما نحدثه به، والأخ الكريم وان لم يحصل لديه في واقع الأمر يقين كامل بصحة كل ما ننقله إليه، فانه كان مقتنعا ببعضه على الأقل الأمر الذي جعله يفتح أحد أقربه من كبار السن، ذلك الرجل لم ينم ليلته تلك وبات متقلبا على فاشه إلى أن قرب الفجر عندها أحس بيد توقظه، وصوت يناديه قائلا: " قم فان أهل السنة على باطل ".

وما إن انبلجت تباشير الصباح حتى هرع الشيخ إلى قريبه راويا له ما قع الليلة الفلرطة، مختتما قوله علمني الآن فقه أهل البيت عليهم السلام في الوضوء والصلاة لتكون عبادتي صحيحة وموالاتي لهم تامة. فكان ذلك الدافع والحافز لتشيع الأخ

الثاني.

وكان الابتلاء أسوع إلي من أي شيء تصديقا لقول الإمام علي عليه السلام عندما جاءه رجل فقال له إنني أحبك يا أمير

المؤمنين فقال له: استعد للبلاء جلبابا.

فقد تم اعتقاله ثلاثه مرات تحت عناوين مختلفة، ووقعت مدامه بيتي بحجة التفثيش والتثبت، وأخرجت من عملي بدعوى

إعادة هيكلة المؤسسة والحقيقة تقول غير ذلك، فأحمده تعالى على السواء والضواء وأفوض إليه أمري، وألجئ ظهري، وأسأله
تعالى أن يلهمني في مواقف الشدة والبلاء صواباً، انه سميع مجيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين.



التوحيد

بين تنزيه أهل البيت عليهم السلام

وتشبيهه غيرهم

المقدمة

يمثل التوحيد في العقيدة الإسلامية رأسها ودعامتها، ومن دون توحيد سليم قائم على معرفة صحيحة لا يكون البناء العقائدي قويا وثابتا لدى الفرد المسلم. لذلك حث المولى سبحانه وتعالى مخلوقاته العاقلة على الأخذ بأسباب العلم لبلوغ الغاية من المعرفة في التوحيد وفي سائر العقائد الإسلامية الأخرى، فقال في محكم تنزيله: " فأعلم أنه لا اله إلا الله".⁽¹⁾ وقال أيضا: " شهد الله أنه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله إلا هو العزيز الحكيم".⁽²⁾

فالآيتين تشوان إلى أن العلم هو الطريق الوحيد والمسلك الرشيد لبلوغ رُكان العقيدة وأعلى مراتب التوحيد. لذلك لم يجز على المسلم أن يكون مقلدا في التوحيد وفي سائر العقائد، ووجب عليه أن يسلك من أجل تحصيل العلم بذلك سبيل البحث والتأمل تثبيتا لدعائم الإيمان وتوكية للفتوة التي فطر الخلق تعالى الناس عليها.

وطبيعي أن ينتهج الناس في قناعاتهم وانتماءاتهم العقائدية كل طريق ممكن تبعا لما أؤموا به أنفسهم، ووطنوا عليه عقولهم وأفئدتهم. لذلك فانك قد لا تجد مخلوقين متساويين في المعرفة عموما وفي إرواك كنه الخالق خصوصا وتوحيده، كما جاء في الأثر: " الطوق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق". على أن هنالك حدا أدنى لا تستقيم العبادة إلا به، ولا يقبل المولى تعالى إلا ببلوغه، وهو أن لا تطأ على الفتوة التي فطر الناس عليها شيء من التبعية أو التقليد السقيم الذي ابتليت به الأمة.

وحسب قواعدي للحقبة الأولى من تزيخ الإسلام، فانه لم تنشأ في المسلمين فورة تبنت رأيا شاذا عن المسار العام للعقيدة، إلا ما صدر من تساؤل حول القضاء والقدر، والذي أوجد الإجراء المؤكدي من طرف حكومات بني أمية التي مرست الظلم والقهر في ابشع مظاهره، ثم كتوير لتلك المظالم نسبتها إلى الله تعالى رجأت بذلك محاسبة مقترفيها إلى يوم القيامة.

نعم قد كان هناك خلاف حول مسألة الإمامة الكورى، هل هي من مشولات البري تعالى كالنبوة؟ أم إنها تخص الناس، لهم وحدهم الحق في اختيار من يحكمهم بعيدا عن الوحي وأحكامه؟

وقد أثر ذلك الخلاف في وحدة المسلمين وتماسكهم فانقسموا وظهرت عليهم أعراض الضعف والوهن، وخرجت من بينهم فوق إسلامية المظهر، منحرفة الجوهر. وزاد في تعميق الانحراف وتأصيل الاختلاف إصار أنظمة الظلم والجور على التماذي في تغريب الأئمة الشوعيين والقادة الهداة الربانيين عن الأمة وفصلهم عن نورهم بالسجن والإقامة الجوية، وقتلهم صوا أو دس السم لهم غيلة وغوا. ومقابل ذلك سعت إلى تشجيع أشباه علماء وفقهاء بلاطاتها، فخرجوا للناس بتصورات

بعيدة عن الدين، تخدم مصالحها وتشد أزر سلطانها، محرمة الخروج عليها ومؤمنة الناس باتباعها، فأخذها العامة وعملوا بها والناس على دين ملوكهم.

وكان أشد الدين ضررا من ذلك المنحى الجانب العقائدي، وباعتبار أن صحة الدين متعلقة بصحة المعتقد، فقد كان توجه المناوئين للدين والدخلاء عليه للإيقاع به من ذلك الباب، فنجحوا في التمويه على جم غفير من المسلمين بوضع أحاديث نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واختلاق تأويلات غريبة لكثير من الآيات القرآنية فأخذ جانب من المسلمين تلك المرويات اخذ المسلم بصحة صدورها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فتعبوا بها، وتقربوا بها إلى الله زلفى، وهم يعتقدون صدورها عن الوحي والنبى صلى الله عليه وآله وسلم، فلم تودهم من الإسلام الحق إلا بعدا وانحوا، وعن المولى تعالى إلا تتكبا وانصوا، وكيف يكون لهم حظ من معرفة صحيحة وقد بهقوا دينهم وقوضوا عقيدتهم بأخذها عن كل من هب ودب، بعنوان صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تاركين الأولى بالإتباع والأخذ عنهم والتعلم منهم، لأنهم الباب الذي أمروا بإتيانه والدخول منه إلى الدين الحق، وكل من جاء من غير الباب فقد خالف أمر الله تعالى. وحتى يتسنى لنا إمطة اللثام عن تلك المعتقدات الباطلة، وينصف بحثنا نحو وجهته الصحيحة لا بد من الانطلاق من البداية فنقول:

لا يختلف عاقلان في القول بأن خالق الكون والحياة موجود، وآياته وآثره خير شاهد عليه. فإذا تأملنا في حالنا وما يحيط بها من أجرام وما يتخللها من حالات الطوع والأفول، وما يحيط بها من هواء، ورياح وغرات وسحاب، وأمطار وجبال وبحار، وما بث فيها من الزرات إلى أعظم المخلوقات، لعلمنا أن خالقها مبتدع الكون كله، ظهر ببديع صنعه لخلقها فلا شيء أجلى من آثره، وليس أدل منها على وجود المؤثر وعظمته.

ولو أمعنت الفكر في السماء ومن بناها، وزينها بما يصل إلى بصرك من ضوء كواكبها، منها ما قد يكون اندثر قبل وصوله إليك؟ ومن أمسك تلك الكتل العظيمة في مواقعها، وأجرى لها

مجري ثابتة ومتحركة؟ وما استوتت عليه قدمك من فلك الأرض؟ من يمسكها بقترته ويجريها بألطافه ورحمته؟ هل تحس لها من حركة وهي تنور حول نفسها في اليوم والليلة بسوعة تفوق الألف والستمائة كيلومتر في الساعة؟ غير سعتها التي حول الشمس، فسبحان من لطف السوعة، وخفف الكثافة، وشد إليها ما ليس مركزا فيها.

والمأمل في خلق نفسه كيف لم يكن شيئا، ثم أودع في الأصلاب، وقر في ظلمات ثلاث، نطفة امتوجت ببويضة، فصلت علة ثم تحولت إلى مضغة ثم تكونت عظاما ثم كسيت لحما، فتبلك الله أحسن الخالقين، وفي اختلاف الخلق آيات للعالمين، منهم من جعل له شهوة بلا عقل، ومنهم من جعل له عقلا بلا شهوة، ومنهم من أودع فيه العقل والشهوة، ومزهم على بعض، فقدم من أودع فيه الشهوة والعقل لتكون صفوته المفضلة على جميع مخلوقاته، منهم الظاهر ومنهم المستتر، ومنهم من يمشي على قدمين ومنهم من يمشي على أربع، ومنهم من يزحف على بطنه، ومنهم الطائر في الجو، تعدت مخلوقاته وتوعدت أصنافها، فتبلك خالقها وجل مبتدعها.

قال تعالى: " ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون * ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا

إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتعاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ويقول من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون * ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون⁽³⁾ وإيمان المخلوقات بوجود الخالق فطوي أودعه فيها، ليكون منطلقا للمعرفة وأساسا لها. قال تعالى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها".⁽⁴⁾ قال الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تفسير معنى الآية: " فطوهم على التوحيد".⁽⁵⁾

وذلك الإيمان الفطوي يشمل جميع الكائنات العاقلة وغير العاقلة، حتى الجمادات التي لا نتصور فيها حياة، توحد الخالق وتعبده وتسبحه. قال تعالى: " وان منها لما يهبط من خشية الله".⁽⁶⁾ وقال أيضا: "وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون".⁽⁷⁾ وقال أيضا: " وان من شيء إلا يسبح بحمده".⁽⁸⁾

ولم تكن الفطرة وحدها دالة على الخالق سبحانه وتعالى، فقد جعل في خلقه أژا موصلا له، ثم اصطفى منهم أدلاء عليه، جعلهم أبوابا إلى معرفته، وطريقا إلى رحمته، وسببا لرضوانه، فمن تمسك بهم وعمل بهديهم، عرفهم فعرفوه، فقد عرف ربه حق المعرفة، ومضى إلى دينه على بصوة من أمره. ومن حاد عنهم، واتبع املاءات أئمة سلاطين الجور، وإيحاءات فقهاء حكام الفجور، فقد جهلهم وجهلوه، ولم يهتد إلى سبيل الرشد وسبب النجاة، لم يعرف له ربا غير الوهم الذي صور له، يعبده فلا يجد له حقيقة.

وتوجه البشر نحو معرفة الخالق تعالى، كتوجه سائر المخلوقات العاقلة، كما في الحديث المأثور عن الأئمة الهداة عليهم وعلى سيدهم أفضل الصلاة وركى السلام: " إن الله قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وان الملاء الأعلى يطلبونه كما يطلبونه".⁽⁹⁾

وكل ما علمناه من أصناف الملائكة ورفق الجان، وما لم نعلمه من مخلوقات الخالق الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، سالكون طريق المعرفة، باحثون عن كنه الخالق تعالى. وليس هناك كائن أقرب إلى تمام المعرفة وكمالها، بل وهو حائز على لبها وجرورها، غير سيد الكائنات ومجتبى الخلق من المخلوقات، أفضل من وحد، وسيد من عبد وحمد، إمام المرسلين أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فعروجه إلى السموات العلى، وبلوغه إلى ما قصر عنه الروح القدس، دليل على انه لا يوجد مخلوق بلغ الغاية من معرفة الخالق غوره، ويتلوه شاهده ووزوه وأخيه في مرتبة المعرفة، أمير المؤمنين وورث علمه وعلوم النبيين، وقائد الغر المحجلين، ومن بيده الشريفة لواء الحمد يوم الدين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولكي لا نقع فيما وقع فيه غرنا من انحراف وزيف عن أسس الدين وثوابته، وجب علينا الاقتصار في أخذ معالم الدين،

عن جعلهم المولى سبحانه وتعالى أبوابه والدلاء عليه، والناظر في تراجم يترك حقيقة علومهم، وصدق ما ورثوه عن جدهم، ووى باقي المسلمين عيالا عليهم، ولو أن كل المسلمين تأبوا إلى رشدهم من بهوج الظلمة، وسواب سنة الصحابة، التي لا زالون يعتمدون على مجملها، بما حوته من سقيم وموضوع، لوجدوا فيمن أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطوهم تطهروا ملاذا وعصمة، لأنهم وحدهم من امتلك حقائق هذا الدين ظاهرا وباطنا، واليه يرجع المنقطعون، وبهم نجا المتحيرون، كما كان شأن أصحاب القرون الثلاثة الأولى. وفي هذه التراسة دليل على أن من أوكل إليهم المولى أمر دينه، وأعطاهم ولاية أمر المسلمين، أحق بالطاعة والإتباع من مجهولي الحال، أو متعاوني أئمة الجور والضلال، فماذا قال أهل البيت عليهم السلام في التوحيد؟ وماذا قال غورهم ممن ينتسب للإسلام انتسابا ويتخذ من مظهره جلبابا؟

هذه الحقيقة لم يكن من السهل على ورث للخط السني (الأشعوي) مثلي أن يصل إلى فك رموزها، ومعرفة دقائق أمرها، ولا ألطاف البري تعالى وعنايته لما أركت طريق الهداية، ولما استمسكت بحبل الولاية، عندها تيقنت أن مسيرتي العبادية الأولى كانت سوابا ووهما في شكل معرفة لا أثر لها على النفس، ولارابطة، بينها وبين الرب تبارك وتعالى. ولما غصت في مصفى نبع علوم أهل البيت عليهم السلام، بما فيه من عقائد وشوائع وعبادات وأخلاق، وسير عطرة بمعاني الإسلام النقي الصافي، أيقنت بالنجاة، وانفتح قلبي وعقلي نحو آفاق رحبة من المعرف الحقة لعقائد الدين وأحكامه.

إن المتأمل في أمهات كتب الإمامية الإثني عشرية، يلاحظ اهتماما بالغا ما انفك يوليه أئمة أهل البيت عليهم السلام لكل ما يتعلق بالدين عقيدة وشريعة. وقد جاء من آثرهم ما أظهر تصديهم لكل دخيلة في الدين جاء بها متفيقه لم يحصل غير اللعق، حتى إنهم كانوا يتحسسون مواضع الداء قبل استفحاله، فيعطوه اهتمامهم ويمنوه الأولوية في الإصلاح. ففي يوم معركة الجمل التي أبطلت بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقف يرد على رجل من جنده عندما سأله قائلا: أتقول إن الله واحد؟. فحمل الناس عليه وقالوا: يا أعوابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "دعوه فإن الذي يريده الأعوابي هو الذي نريده من القوم. قال: "يا أعوابي إن القول أن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منهما لا يجوزان على الله عز وجل ووجهان يثبتان فيه. فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال ثالث ثلاثة. وقول القائل هو واحد من الناس يريده النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه، وجل ربنا وتعالى عن ذلك. أما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبيه كذلك ربنا عز وجل، وقول القائل انه ربنا عز وجل أحدي المعنى، يعني أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل".⁽¹⁰⁾

ومن هذا النص نستشف أن أمير المؤمنين سلام الله عليه لم يكن في حروبه الثلاثة التي ألقى إليها بعد النبي صلى الله عليه وآله مدافعا عن موكه كإمام للمسلمين، وإنما خرج ليدفع عن الدين ما بدأ يعتريه من دخائل غريبة عنه وليست منه. فقله عليه السلام: "دعوه فإن الذي يريده الأعوابي هو الذي نريده من القوم". دليل على أن وقائع الجمل وصفين والنهوان، كانت كلها حروب تصحيحية، من أجل الحفاظ على نقلة الإسلام المحمدي النبوة، العلوي الإمامة مصداقا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

"إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تتويله. فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو، قال: لا، قال عمر: أنا هو، قال: لا، ولكن خاصف النعل يعني عليا (وكان علي سلام الله عليه يخصف نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحجرة)، قال أبو سعيد الخدري: فأثينا فبثونا، فلم يرفع رء أسه كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.⁽¹¹⁾

والتصفح لنهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام يلاحظ تعدد الخطب التي تحدث فيها عن الخالق عز وجل مضمنا إياها معالم التوحيد وأساس الاعتقاد السليم، سأقتصر منها على أربعة خطب، ومن شاء المزيد فليميم وجهه شطر البيوت التي أذن الله أن ترفع، وليقصد القوى التي قدر فيها تعالى أمن الدنيا والآخرة فانه حتما سيجد سؤله، ويعتصم بحبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، وسيكون في حصن الله تعالى وحرزه، طالما انه قد اهتدى إلى أوار الأمة وهداة الدين ومستحفظي الشريعة، عدل القرآن وكوائمه.

يقول إمام المتقين وقائد الغر المحجلين صاحب لواء الحمد يوم القيامة في الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ول يؤدي حقه المجتهون، الذي لا يركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح ورحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة انها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد خراه، ومن خراه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدده، ومن قال فيم فقد ضمنه، ومن قال علام فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقلنة، وغير كل شيء لا بزائلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده.⁽¹²⁾

ويقول عليه السلام في الثانية:

الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور، ودلت عليه أعلام الظهور وامتنع عن عين البصير، فلا عين من لم وه تتركه، ولا قلب من أثبته يبصره، سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقر بفي الدنو فلا شيء أقرب منه، فلا استعلاؤه بأعده عن شيء من خلقه، ولا قربه سلواهم في المكان به، لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجود، تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون علوا كبيرا.⁽¹³⁾

وقال عليه السلام في الثالثة:

الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تنال لإوجوده، وحجب العقول عن أن تتخيل ذاته في امتناعها عن الشبه والشكل، بل هو

الذي لم يتقلت في ذاته، ولم يتبعض بتجربة العدد في كماله. فلق الأشياء لا على اختلاف الأماكن وتمكن منها لا على مملجة، وعلم بها لا بلادة لا يكون العلم إلا بها وليس بينه وبين معلومه علم غيره. إن قيل كان فعلى تأويل لُليه الوجود، وان قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم".⁽¹⁴⁾

وقال عليه السلام في الرابعة:

الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كون ما قد كان، المستشهد بحدوث الأشياء على لُليته، وبما وسمها به من العجز على قوته، وبما اضطرها إليه من الفناء على نوامه، لم يخل منه مكان فيرك بانيتها، ولا له شبح مثال فيوصف بكيفيته، ولم يغيب عن شيء فيعلم بحيثيته، مباين لجميع ما أحدث من الصفات، وممتنع عن الإلراك بما ابتدع من تصريف النوات، خلج عن الكرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات، محرم على نورع ناقبات الفطن تحديده، وعلى غوامض ثاقبات الفكر تكييفه، وعلى غوائص سابحات النظر تصوره، لا تحويه الأماكن لعظمته ولا تتركه المقادير لجلاله، ولا تقطعه المقائس لكبريائه، ممتنع عن الأوهام أن تكتتهه وعن الأفهام أن تستغرفه وعن الأذهان أن تمثله، وقد يُست من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبت عن الإشلة إليه بالاكنتاه بحار العلوم ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قوته لطائف الخصوم. واحد لا من عدد، دائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، ليس بجنس فتعاده الأجناس، ولا بشبح فتضلعه الأشباح، ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات. قد ضلت العقول في أمواج تيار إواكه، وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر لُليته، وحصرت الأفهام عن استشعار وصف قوته وغرقت الذهان في لجج أفلاك ملكوته، مقتدر بالآلاء، وممتنع بالكرياء، ومتملك على الأشياء، فلا دهر يخلقه، ولا زمان يبليه ولا وصف يحيط به وقد خضعت له الوقاب الصعاب في محل تخوم قورها، وأذعنت له رواسن الأسباب في منتهى شواهد أقطرها مستشهد بكلية الجناس على ربوبيته وبعجزها على قوته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقاءه، فلا لها محيص عن إواكه إياها، ولا خروج من إحاطته بها، ولا احجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع عن قوته عليها، كفى بإتقان الصنع لها آية، وبمركب الطبع عليها دلالة، وبعثوث الفطر عليها قدمة، وبإحكام الصنعة لها عورة فلا إليه حد منسوب، ولا له مثل مضروب، ولا شيء عنه محجوب، تعالى عن ضرب المثال والصفات المخلوقة علوا كبيرا".^(*)

إن المتأمل فيما أطلقه أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين، سيد من علم وعبد بعد النبي أبي القاسم محمد صلى الله عليهما كما هما أهل لذلك، وكما أوجب ذلك، يرك حقيقة التوحيد الذي عليه هذا الرجل الذي لم يظلم أحد في التاريخ مثل ظلامته، ولو أنك جمعت الشواء والأدباء والخطباء والعلماء والفلاسفة من الأولين والآخرين على أن يأتوا بمثل أقواله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، وتلك حقيقة أقر بها كل من اطلع على ما جمع من خطبه عليه السلام، ورأى فيها ذخوة لمن يسعى المعرفة. ومثلما سلك الإمام عليه السلام في الاستدلال على الخالق والتعريف به، بحيث لا يتطرق إلى أهواله تحريف أو تأويل، سلك الأئمة الهداة من بنيه عليهم السلام مسلكه في البيان والذب عن أركان التوحيد والدين، كلما سنحت لهم فوصة، فكانوا على مر العصور حماة الدين ورعاة آثار وتراث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المبلغ عن رب العالمين. بما استودعوه من علوم

صحيحة وأفكار متطابقة صريحة سأقتصر منها على قلة المراجع التي بحوزتي ما طالته يدي من مآثور أقوالهم ومستصفي
لرائهم التي هي امتداد لمركز النبوة، وهدى من نور الإمامة، فهذا أبو عبد الله الحسين بن علي سيد الشهداء عليه السلام يقول
في دعائه الشهير يوم عرفة، الذي رُهفت له آذان السامعين، وتحوت منه عقول الحاضرين وهز نياط قلوب المؤمنين، بما
حواه من سبحات القدس، ولواعج الأنس:

كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفترق إليك، أيكون لغريك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى
غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك ولا زال عليها
رقيبا وخسوت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا".⁽¹⁵⁾

قوله عليه السلام عميت عين لا تراك إشارة لطيفة إلى بصوة النفس لا إلى بصر العين لاستحالة رؤية المولى سبحانه
وتعالى بالعين البصولة.

وهذا علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يقول في صحيفة دعائه المسماة بالصحيفة السجادية: " الحمد لله الأول بلا
أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصوت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين،
ابتدع بقرته الخلق ابتداعا، واخترعهم على مشيئته اختراعاً، ثم سلك بهم طويق رادته، وبعثهم في سبيل محبته..."
وتعددت أدلة الأئمة من أهل بيت النبوة عليهم السلام في إثبات وجود الخالق وبيان معنى صفاته، فجاءت متنوعة ومتفاوتة
المعاني، على قدر عقول السائلين.

جاء رجل إلى الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال له: دنني على معبودي؟ فقال له: اجلس، وإذا
غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها، فقال له عليه السلام: ناولني يا غلام البيضة، فنأوله إياها فقال: يا ديصاني هذا حصن
مكون له جلد غليظ، وتحت الجلد الغليظ جلد رقيق، وتحت الجلد الرقيق ذهب مائة وفضة ذائبة، فلا الذهب المائة تختلط
بالفضة الذائبة، ولا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المائة، فهي على حالها لم يخرج منها خلج مصلح فيخبر عن صلاحها، ولا
دخل فيها داخل مفسد فيخبر عن فسادها، لا يوي الأذكر خلقت أم للأنتى تتفلق عن مثل ألوان الطواويس. أوى لها مدوا؟ قال
فأطوق مليا ثم قال: أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأنتك إمام حجة من الله على
خلقه، وأنا تائب مما كنت فيه.⁽¹⁶⁾

وقيل للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: يابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم؟ فقال له عليه السلام: انك لم
تكن ثم كنت، وقد علمت أنك لم تكون نفسك، ولا كونك من هو مثلك".⁽¹⁷⁾

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام بماذا عرفت ربك؟ قال: بفسخ الغرائم ونقض الهمم، لما هممت فحيل بيني وبين همي،
وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي، علمت أن المدبر غوي".⁽¹⁸⁾

وعن إثبات الصانع قال عليه السلام: " البعوت تدل على البعير، والروثة تدل على الحمير، وأثر القدم تدل على المسير،
فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة ألا يدلان على اللطيف الخبير؟"⁽¹⁹⁾

وتتوّد الأئمة من أهل بيت النبوة عليهم السلام في الاستدلالات العقلية والأجوبة المنطقية في التوحيد وغوه من عقائد الإسلام، مضافا إلى سؤهم لأغوار الوحي ونيلهم العلوم الإلهية ما فاض على أتباعهم معلف وحقائق جعلتهم على بصورة من أمرهم وجعلت غورهم من المتكبين عنهم في حوة يعبدون الله على حرف أو دونه.

وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام في جواب الزنديق الذي سأله: لم لا يجوز أن يكون صانع العالم أكثر من واحد؟ فقال عليه السلام: لا يخلو قولك أنهما اثنان من أن يكونا قديمين قويين أو ضعيفين أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا. فان كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه وينفود بالتدبير؟ وان زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد، كما نقول للعجز الظاهر في الثاني، وان قلت إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظما والفلك جليا، واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر، دليل على صحة الأمر والتدبير واتتلاف الأمر، على أن المدير واحد، ثم يؤمك إذا ادعيت اثنين فلا بد من فجة بينهما حتى يكون اثنين، فصلت الفجة ثالثا بينهما قديما معهما فيؤمك ثلاثة، وان ادعيت ثلاثة لؤمك ما قلنا من الاثنين حتى تكون بينهما فوجتان فيكون خمسة ثم ينتاهى العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة".⁽²⁰⁾

وعنه أيضا عليه السلام عندما سأله هشام بن الحكم: ما الدليل على أن الله واحد؟ قال: اتصال التدبير وتام الصنع، كما قال عز وجل: " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا".⁽²¹⁾

وللإمام علي بن موسى الرضا ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام مناظرات واحتجاجات ودروس ومحاضرات في شتى العلوم الإلهية، تضمنت من الأجوبة الشافية والردود الوافية والقناعات الكافية، ما ألجم أهواه المشككين، وأتلج صدور المؤمنين، وقصم ظهر الباطل، وأعاد الحق إلى نصابه. وقد جاء عنه عليه السلام في التوحيد:

عن محمد بن عبد الله الخواساني خادم الرضا عليه السلام قال: " دخل رجل من الزنادقة على الرضا عليه السلام وعنده جماعة، فقال لأبي الحسن عليه السلام رأيت إن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون، ألسنا وإياكم شوع سواء، لا يضونا ما صلينا وصمنا وزكينا وأقرنا؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: "وان يكن القول قولنا وهو قولنا وكما نقول أستم قد هلكتم ونجوننا؟ قال: رحمك الله فؤجدي كيف هو؟ قال: ويلك إن الذي ذهبت إليه غلط وهو أين الأين وكان ولا أين، وكيف وكيف وكان ولا كيف، فلا يعرف بكيفية ولا بأينونية، ولا يبرك بحاسة ولا يقاس بشيء. قال الرجل: فإذا انه لا شيء إذا لم يبرك بحاسة من الحواس. فقال أبو الحسن عليه السلام: ويلك لما عجزت حواسك عن إرواكه أنكوت ربوبيته، ونحن إذا عجزت حواسنا عن إرواكه أيقنا أنه ربنا، وأنه شيء بخلاف الأشياء. قال الرجل: فأخبرني متى كان؟ قال أبو الحسن: فأخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان؟ قال الرجل: فما الدليل عليه؟ قال أبو الحسن: إني نظرت إلى جسدي فلم يمكنني زيادة ولا نقصان في العرض والطول، ودفع المكروه عنه وجر المنفعة إليه علمت أن لهذا البنيان بانيا فأقرت به مع ما رى من دوران الفلك بقدرته وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقنات علمت أن لهذا مقورا ومنشأ. قال الرجل: فلم احتجب؟ قال أبو الحسن: إن الحجاب على الخلق لكثرة ذنوبهم، فأما هو فلا يخفى عليه

خافية في آناء الليل والنهار. قال: فلم لا تركه حاسة الإبصار؟ قال: للفق بينه وبين خلقه الذين تركهم حاسة الإبصار منهم ومن غوهم، ثم هو أجل من أن يركه بصر أو يحيطه وهم أو يضبطه عقل. قال: فحده لي؟ قال: لا حد له. قال: ولم؟ قال: لأن كل محدود متناه إلى حد، وإذا التحديد احتمل الزيادة، وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان، فهو غير محدود ولا مؤيد ولا متناقص ولا متخوئ ولا متوهم... إلى آخر الحديث. (22)

حدثنا علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال سألت الإمام علي بن موسى الوضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون". فقال إن الله تعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده، ولكنه يعني إنهم عن ثواب ربهم محجوبون. قال وسألته عن قول الله عز وجل: "وجاء ربك والملك صفا صفا". فقال إن الله تعالى لا يوصف بالمجيء والذهاب تعالى عن الانتقال إنما عني بذلك وجاء أمر ربك والملك صفا صفا. قال وسألته عن قول الله عز وجل: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة". قال: "يقول هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام. قال وسألته عن قوله تعالى: "سخر الله منهم". وعن قوله: "الله يستخوي بهم". وعن قوله: "ومكروا ومكر الله". وعن قوله: "يخادعون الله وهو خادعهم". فقال إن الله تعالى لا يسخر ولا يستخوي ولا يمكر ولا يخادع ولكنه يجزيهم خواء السخرية وخواء الاستهزاء وخواء المكر والخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. (23)

وعن الحسن بن سعيد عن أبي الحسن الوضا عليه السلام في قوله عز وجل: "يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود". قال حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجدا، وتدمج أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود". (24) ومن ذلك المثال العربي: كشفت الحرب عن ساق. أي أظهرت نتائجها.

عن محمد بن عبيدة قال سألت الوضا عليه السلام عن قول الله عز وجل لإبليس: "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي". قال عليه السلام: "يعني بقترتي وقوتي". (25)

وعن الحسين بن خالد قال قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "إن الله عز وجل خلق آدم على صورته". فقال قائلهم الله، قد حذفوا أول الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر وجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: "قبح الله وجهك ووجه من يشبهك". فقال صلى الله عليه وآله: "يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فإن الله عز وجل خلق آدم على صورته". (26) فيكون الضمير عائدا على الرجل الذي وقع عليه السب.

وعنه أيضا، قال قلت للرضا عليه السلام: يابن رسول الله إن قوما يقولون لم يزل الله عالما بعلم قاوا بقرورة حيا بحياة قديما بقدم سميعا بسمع بصوا ببصر. فقال عليه السلام: "لم يزل الله عز وجل عليما قاوا حيا سميعا بصوا لذاته تعالى عما يقول المشوكون والمشبهون علوا كبيرا". (27)

عن عبد السلام بن صالح الهروي قال قلت لعلي بن موسى الوضا عليه السلام: يابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث أن المؤمنين يزورون ربهم في منزلهم في الجنة. فقال عليه السلام: "يا أبا الصلطان إن الله تبارك وتعالى

فضل نبيه محمدا صلى الله عليه وآله على جميع خلقه من النبيين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومتابعته متابعته، وزيلته في الدنيا والآخرة زيلته، وقال عز وجل: " من يطع الرسول فقد أطاع الله".
وقال: " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم".⁽²⁸⁾

وقال النبي صلى الله عليه وآله: " من زلني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله تعالى". وروحة النبي صلى الله عليه وآله في الجنة لرفع الدرجات، فمن زله في زوجته في الجنة من مثله فقد زار الله تبرك وتعالى. قال: وقلت له يا بن رسول الله فما معنى الخبر الذي رووه أن ثواب لا اله إلا الله النظر في وجه الله تعالى؟ فقال عليه السلام: " يا أبا الصلط من وصف الله تعالى بوجه كالوجه فقد كفر، ولكن وجه الله تعالى أنبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم هم الذين بهم يتوجه إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته. قال الله تعالى: " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام". وقال عز وجل: " كل شيء هالك إلا وجهه". فالنظر إلى أنبياء الله تعالى ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة. وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: " من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرنى ولم أره يوم القيامة". وقال أيضا (موجه خطابها إلى الصحابة): " إن فيكم من لا واني بعد أن يفرقني". يا أبا الصلط إن الله تبرك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام.⁽²⁹⁾

وعن إواهيم بن أبي محمود قال قال علي بن موسى الرضا عليهما السلام في قول الله تعالى: "وجه يومئذ ناضرة إلى ربها ناضرة". قال: " يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها".⁽³⁰⁾
وقد جاء في القوان الكريم ما يفيد هذا المعنى في قوله تعالى: " فاني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون".⁽³¹⁾
أي منتظرة بم يرجعون.

وعندما نقلنا هذا الفهم الرباني الذي يتقبله كل عقل سليم، مع ما أخرجه أبو العباس السراج في تزيخه عن الحسن بن عبد العزيز الجروي وهو من شيوخ البخاري قال سمعت عمرو بن أبي سلمة يقول سمعت مالك بن أنس (صاحب الموطأ والمذهب) قيل له: يا أبا عبد الله قول الله تعالى: " إلى ربها ناضرة". يقول قوم: " إلى ثوابه؟ فقال: كذبوا فأين هم عن قوله تعالى: " كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون".⁽³²⁾

أنظر - أيها الخ الكريم - إلى هذا الصلف وهشاشة الفكر وبلادة الود، كيف يتمادى الانحراف والتزيغ بأصحابه إلى درجة الإصوار على الخطأ. على أن الآية لا تفيد المعنى الذي قصده أصحاب التجسيم لأن المعنى الحقيقي الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن بعده أهل بيته عليهم السلام، لأنهم أهل الذكر، والراسخون في العلم، والمستحفظون على كتاب الله تعالى وشريعته، يقول إنهم محجوبون عن رحمة ربهم يوم القيامة.

والتوحيد الذي يصح به الإسلام على أربعة وجوه هي:

أولاً: توحيد واجب الوجود، بكونه لا شريك له في وجوده ووجوده.

ثانياً: توحيد صانع العالم ومدبر النظام.

ثالثا: توحيد الإله المستحق للعبادة ونفي الشريك عنه.

رابعا: توحيد الإله في الخلق والرزق.

أما صفات المولى سبحانه وتعالى فهي قسمين: صفات ثبوتية، وصفات سلبية.

أما الصفات الثبوتية: وقد يطلق عليها صفات الكمال والجمال، فهي صفات الذات التي لا حصر لها، لأن الخلو عن الكمال نقص والنقص منتف عنه تعالى. والمواد بالصفات الثبوتية نفي أضدادها لأن صفاته تعالى لا كيفية لها، ولا يمكن إرواها، وهي عين ذاته وليست زائدة عنها وهي:

أولا: القوة:

وهي أنه تعالى لا يعجزه شيء في كل ما يريد، إلا أن المعتولة خالفوا أتباع أهل البيت عليهم السلام، فقالوا بأن الله لا يقدر على القبيح والشر، لاستزمامه الظلم، فورا من نسبة الظلم إليه تعالى إلى نسبة العجز له. وقدرته تعالى على القبيح والظلم لا تستلزم وقوعهما منه لأنه مزه عن ذلك. فالمؤمن الصالح قادر على فعل المعاصي وأنواع الشرور ولكنه لا يفعلها مع قدرته عليها لعلمه بقبحها، فلا نقول انه عاجز عنها. قال تعالى: "وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قدرا".

وقد خالف الشاعرة (وهم عموم أهل السنة من أتباع الأربعة في الفروع، اختاروا، - أو بالأحرى اختير لهم، لأن من حصوم في ذلك الاتجاه هي الأنظمة التي حكمت رقابهم - إتباع أبي الحسن الأشعري في الأصول) أيضا أتباع أهل البيت عليهم السلام من الإمامية الإثني عشرية، فنسوا فعل الشر إليه تعالى ووقعه منه، وهو قول باطل، لأنه ظلم، ففروا من الشرك في الخلق ووقعوا في الظلم.

ثانيا: الاختيار:

وهو أنه تعالى مختار في أفعاله، إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل.

ثالثا: العلم والحكمة:

انه تعالى عالم حكيم يعلم الأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها.

رابعا: القدم والألية:

انه تعالى لولي سومدي قديم غير مسبوق بعلة ولا يعقوبه عدم.

خامسا: السميع البصير:

انه تعالى سميع بصير، لا بجلحة، كما يدعي المخالفون لأهل البيت عليهم السلام، بأن له عينا بلا كيف، ذلك مبلغهم من الجهل، بل البراد انه تعالى عالم بجميع المسموعات والمبصوات من دون آلة.

سادسا: الحياة:

انه تعالى حي ليست له بداية كما ليست له نهاية.

سابعا: الإبراك:

انه تعالى مبرك بلا حاسة.

ثامنا: الإرادة والكوامة:

انه تعالى مريد لأفعاله كله لها.

ومريد بمعنى أنه خصص إيجاد الحوادث في وقت دون وقت، وعلى صفة دون أخرى، مع عموم قدرته، وكون الأوقات والصفات كلها صالحة للإيجاد بمقتضى قدرته تعالى.

وكله بمعنى انه ترك إيجاد الحوادث في وقت دون وقت، والأوقات كلها صالحة للترك بمقتضى القوة، وهو أيضا مريد لبعض أفعال عبده كالطاعات وأعمال الخير، وكله لبعضها كالمعاصي والظلم والشور.

تاسعا: الكلام:

انه تعالى متكلم، بمعنى أنه موجد للكلام في جسم من الجسام، كما خلق ذلك في شجرة الطور وكلم منها موسى، وكذلك طبقات الأفلاك، فتسمع الملائكة، وكذا في قلوب الأنبياء والرسول، وكيف كان وصفه تعالى بالكلام، وقدرته على إيجاد الكلام، كخلق الحروف والأصوات، ونفس الكلام من صفات الفعل الحادثة كالحالقية والزلقية ويدل على حوثه العقل والنقل.

أما من جهة النقل فلقله تعالى: " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" والذكر هو القوان لقله تعالى: " إنا نحن قولنا الذكر". وقد وصفه الله تعالى بالحوث، ولاريب أن الخطاب قبل وجود المخاطب لغو صريح، وهو في حق المولى سبحانه وتعالى غير صحيح، فقله: " يا فوح" و"يا إبراهيم" و" يا يحيى" و" يا أيها الرسول" و"يا أيها الذين آمنوا" و" يا نساء النبي" و" يا أيها الناس" و" قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها" و سأل سائل بعذاب واقع". و: " يسألونك عن الروح".

وغوها كثير، فلو أن الكلام قديم فكيف يحسن الخطاب؟ وقد ذهب الحنابلة إلى أن كلامه تعالى حروفا وأصواتا قديم، وذهب الأشاعرة هم بقية أهل السنة إلى إثبات الكلام النفسي له تعالى، وقالوا إن كلامه تعالى معنى واحد بسيط قائم بذاته قديم، وهي أقوال باطلة لأنها تستلزم ثبوت النفس له تعالى فيكون جسما محلا للحوادث.

عاشرا: الصدق:

انه تعالى صادق لا يجوز عليه الكذب مطلقا.

وصفاته تعالى هي عين ذاته لسببين:

1. لأنها لو كانت غير ذاته لكان تعالى محتاجا في كماليته إلى صفاته، ولو كان محتاجا لكان ممكنا.

2. لو كانت غير ذاته، فإما أن تكون قديمة أو حادثة قائمة لذاته أو لغوها، وإذا كانت قديمة، فيلزم تعدد القدماء، فيكون الله تعالى قديما وقدرته التي هي غيره قديمة أيضا، وكذلك بقية صفاته. فيكون النصري أقل شوكا باعتقادهم أن الله ثالث ثلاثة بينما

هؤلاء يقولون بقدوم الله وصفاته العشرة.

وان كانت قائمة بغير ذاته تعالى كان الموصوف بها ذلك الغير، فيكون تعالى على حد قولهم عليا من الكمالات. والقول بأنها ليست في محل حمق، إذ يستحيل وجود صفة إلا في محل.

فزيادة الصفات مع القول بالحدوث كفر مستلزم لإنكار الواجب، ومع القدم شك يستلزم تعدد القدماء، فتعين أن تكون صفاته تعالى هي عين ذاته.

ولا يمكن حصر الصفات الثبوتية ولا الصفات السلبية، لأن الحصر حد والحد نقص والنقص موه عنه المولى تعالى. أما الصفات السلبية وسميت بالسلبية لأنها سالبة للنقائص عنه تعالى، واثبات الكمال لا يكون شاملا إلا بنفي كل نقص عنه، ويطلق عليها صفات الجلال، وأصولها التي ذكرها علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية، لا تقف عند حد سوى قصور عقول الناس عن إواكها والإحاطة بها، كما قال تعالى: "ولا يحيطون به علما". وقد ذكروا منها:

أولاً: نفي الشريك عنه تعالى:

ليطلان تعدد الواجب، بل اله واحد أحد فرد صمد لا شريك له ولا ند.

ثانياً: نفي الاحتياج:

كما في الحديث، "كان الله ولم يكن معه شيء".

ثالثاً: نفي التركيب والتجزئة:

انه تعالى غير مركب من الخواء الخلجية، ولا من الأخزاء الذهنية.

رابعاً: نفي الحوادث والعروض:

انه تعالى ليس محملاً للحوادث والعروض كالنوم واليقظة والحركة والسكون والقيام والقعود والطلع والنزول والوحد والضحك والبكاء، لأن واجب الوجود لا يمكن أن يكون محلاً للحوادث، لأنها من لولم الجسم، والله تعالى ليس بجسم وموه عنها، وهي كلها مخلوقة له تعالى موه عن الاتصاف بها.

وما ورد من وصفه تعالى بشيء من ذلك في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: "رضي الله عنهم". وغضب الله عليهم " فلما آسفونا انتقمنا منهم". و"الذين يؤثرون الله ورسوله". ويد الله فوق أيديهم". ونحو ذلك أن العواد منها غاياتها دون مباديها فغاية الرضا الإكوام والإحسان وغاية الغضب العقاب والعذاب، لذا قيل خذ الغايات واترك المبادئ.

خامساً: نفي الحلول والاتحاد:

انه تعالى لا يحل ولا يتحد بغوه لأن الحال مفتقر إلى المحل الذي يحل فيه والاحتياج من خواص الممكن، ولأن الحلول في مكان يستلزم الخلو من مكان آخر، وهو تعالى موجود في كل مكان لا بمداخلة وخلج عنه لا بغزيلة كما في حديث سيد البلغاء عليه السلام.

وقد زعم بعض المتكبين عن صواط الأئمة الأطهار من نوية خير الأخيار صلى الله عليهم وهم عدد من فوق الصوفية، أن العبد إذا بلغ العرفان وفاز بمتولة الإيقان اتحد بربه، وسقط عنه التكليف، نعوذ بالله تعالى من شطحات الغلقين في تيه الشيطان وحزبه.

سادسا: نفي الجسمانية:

انه تعالى ليس بجسم، لأن الجسم من خواص الممكن، ويقبل الأبعاد الثلاثة: الطول والعرض والعمق، مع المكان والحيز، وسنوعض لهذه الصفة في مقارنة مع إخوتنا من الأشاوة (أهل السنة)

سابعا: نفي الرؤية:

لأنه تعالى لا يرى بحاسة البصر لا في الدنيا ولا في الآخرة، وسنوعض لهذه الصفة في مقارنة مع إخوتنا من الأشاوة (أهل السنة)

ثامنا: نفي فعل القبيح:

انه تعالى لا يفعل القبيح.

تاسعا: نفي الشبه:

انه تعالى لا يشبهه شيء.

وخالف الشاوة باعتقادهم أن الله خلق آدم على صورته.

كما تنقسم صفاته تعالى إلى قسمين، صفات ذات وصفات فعل.

فالوجود والعلم والقوة والحياة وغورها من صفات الذات التي لا حصر لها هي عين ذاته، والخالقية والرزقية والإحياء والإماتة حادثة باعتبار المخلوق والموزوق والمحى والممات، وهي ليست قديمة، فقد كان الله تعالى وحده ولم يكن خالقاً ولا رزقاً ولا محيياً ولا مميتاً، وهي ليست من صفات الكمال حتى يترتب النقص من انتفائها عنه تعالى، بل الكمال في قدرته على الخلق وعلمه بمصلحة وقت إيجادهم.

وخلاصة الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، إن صفات الذات هي ما اتصف بها المولى سبحانه وتعالى وامتنع اتصافه

بضدها. فنقول إن الله عالم، ولا يجوز أن نقول انه غير عالم، أو قادر فلا يجوز أن نقول انه غير قادر. وصفات الفعل ما

يتصف المولى سبحانه وتعالى بها وبضدها كأن نقول إن الله خلق فلانا ولم يخلق فلانا.

ولا يمكن مزيد إظهار صحة ما عليه أهل بيت النبوة من توحيد سليم، إلا بعوض ما يعتقدونه غورهم من المسلمين، والذين

كنت منتمياً إليهم بحكم المولد والنشأة، وما استتبعها من تقليد لا يسمن ولا يغني من علم، فأقول:

أما المتكبون عن صواط الأطهار من أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد ذهب بهم مذاهبهم إلى تبني معتقدات أساسها

الكذب على الله تعالى وعلى رسوله الكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بما ابتدعه لهم علماءهم وفقهاءهم، وما زكاه لهم حكامهم

من أباطيل، لو ثابوا إلى رشدهم منها لبكروا على ما فوطوا في جنب الله تعالى بقية حياتهم، ولضحكوا في قولة أنفسهم على تفاهة عقول مبتدعيها ومنتحليها. وأي بناء لا يكون أساسه سليما مآله السقوط، والعقيدة التي اختلط فيها الغث بالسمين والسقيم بالسليم لا يمكن أن تفرز بعدا غيبيا ولا تواسلا إلهيا، وهي أقرب إلى الجهالة منها إلى المعرفة، وإلى النوة منها إلى الحب. والمنتبع لجملة الأحاديث التي أوردها هؤلاء في إثبات جسمانية الخالق، وتفاصيل أخرائه، وجلوسه ونزوله، وتكروه وضحكه، ورؤية المؤمنين له يوم القيامة، يلاحظ إصرا غريبا من حفاظهم على نقل تلك المفتريات المتعرضة مع القوان الكريم، ومع غيرها من الروايات القطعية الدلالة والورود.

وتوى هؤلاء المتكبين عن الصواب المستقيم يحثون أتباعهم على التدين بجملة تلك المعتقدات الفاسدة حثا، ويخوفونهم من تركها أو التشكيك فيها، بل جعلوها عناوين مذهبهم، فلم ينشأ بينهم غير التعصب الأعمى والتدين الوج، وتولدت فيهم جراء تلك الروايات الفاسدة، عقيدة عقيمة وتوحيد أقرب إلى الوثنية وآلهة الإغريق منه إلى توحيد الحق تعالى، وحلت بذلك الخوافة محل العلم الإلهي، وظهر القصاصون محل العلماء العنول، فطفت كتبهم بها، حتى أنك لا تجد كتاب عقائديا أو روائيا إلا وفيه نصيب من ذلك الباطل.

وبما أنني بصدد تناول مقام واحد وهو التوحيد، فقد أخرجت ما هو متعلق به على أن يكون للنووة مقام آخر منفردا. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما من حفاظ الخط الأشوي ما يلي:

- 1 . عن صهيب عن النبي (ص) قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تريون شيئا أريدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتتجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل⁽³³⁾.
- 2 . عن أبي هريرة أخبر أن أناسا قالوا لرسول الله (ص) يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله (ص) هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في الشمس ليس نونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك⁽³⁴⁾.
- 3 . عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) قال يد الله ملاي لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال: رأيت ما أنفق منذ خلق الله السموات والأرض، فإنه لم يغيض ما في يده، وقال: وعوشه على الماء وبيده الأخرى الموزان يخفض و يرفع⁽³⁵⁾.
- 4 . عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: ينتقل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى الثلث الأخير من الليل فيقول من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفني فأغفر له؟⁽³⁶⁾
- 5 . في حديث طويل عن ابن مسعود جاء فيه.. "قالوا مم تضحك يا رسول الله قال من ضحكك رب العالمين"⁽³⁷⁾.
- 6 . وعن جابر بن عبد الله في حديث طويل أيضا "... ثم يأتي ربنا بعد ذلك، فيقول من تنتظرون؟ فيقولون ننظر ربنا، فيقول أنار بكم، فيقولون حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك، قال فينطلق بهم ويتبعونه"⁽³⁸⁾.
- 7 . عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) قال: خلق الله عز وجل آدم على صورته، طوله ستون ذراعا...⁽³⁹⁾

8 . عن أنس بن مالك أن النبي (ص) قال: " لا زال جهنم تقول ها من مزيد حتى يضع فيها رب الغرة تبرك وتعالى قدمه، فتقول قط قط وعزتك، ويزوى بعضها إلى بعض".⁽⁴⁰⁾

9 . وفي حديث طويل أيضا: فيأتيهم الله تبرك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتي ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا، فيتبعونه". وفي رواية أخرى: فيتجلى لهم يضحك.⁽⁴¹⁾

10 . عن ابن مسعود قال جاء حبر من الأبحار إلى رسول الله (ص) فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثوى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي (ص) حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قأ: " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة".⁽⁴²⁾

11 . وفي رواية أخرى: " والجمال والشجر على إصبع ثم يهوهن فيقول: أنا الملك أنا الله"⁽⁴³⁾

12 . وفي رواية أخرى يجعل السموات على إصبع، والماء على إصبع، والثوى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع.⁽⁴⁴⁾

13 . وعن ابن عمر مرفوعا: " يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟"⁽⁴⁵⁾

14 . وعن ابن عباس قال قال رسول الله (ص): " ما السموات السبع والأرضون السبع في كف الرحمان إلا كخردلة في يد أحدكم".⁽⁴⁶⁾

هذه الروايات، وغورها مما لم أتوصل إليه، لأنني استقيتها من ثلاث مصادر هي جامع الحديث لمسلم، والبخري وكتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، مؤيدة للاعتقاد العام المتداول عند تلك الطائفة في أن الخالق تعالى عن ذلك جسما، وجعلوا له صفات، وقالوا بأنها غير ذاته، وإن له أعضاء كالوجه واليدين والعينين والرجلين وأنه يقول ويأتي ويضحك ويتنكر إلى غير ذلك من الأعضاء والحركات التي لا تجوز على الذات الإلهية لأنها كلها من مستلزمات الممكن والحادث، وما هي في حقيقتها إلا سفسطات وسخافات وتحريفات جاء بها اليهود إلى المسلمين (السنة) ليدخلوهم في نفس عقيدتهم التي اختلقوها وعكفوا عليها مذطلوا رؤية الله تعالى، وجاعوا بالعجل، متصورين أن الله تعالى جسم قوي جدا ليس كالبشر ورأوا أن العجل قد يكون أقرب إليه من غيره. ولكي نناقش هذه المسألة من جميع جوانبها ينصرف بحثنا إلى وجهتين:

الوجهة الأولى: نظرة في أسانيد الأحاديث

لم يكن بالإمكان غير مجزأة النسق، بالاعتماد على كتب الجرح والتعديل التي اخذ بها أتباع هذه العقيدة الفاسدة، ولو كان في الإمكان تجنبها لفلعت، لأنني لم أر فيها غير عجائب الجرح وغرائب التعديل، فهذا الحافظ يوح الآخري، وذلك الروي يفسق صاحبه، وهذا لا يرضى عن نظوه، لأسباب تافهة وواهية لا ترقى إلى المقاطعة والتفسيق والتوك ورد الحديث. لكن إثبات بطلان عقيدة التوحيد عند ذلك الجانب من المسلمين، دفعني إلى أن تكون الحجة من كتبهم المعتمدة كاملة، لعل الله تعالى

يجعلنا سببا إلى هدايتهم، وإعادتهم إلى منهاج الصالحين وسبيل الأوار، محمد وآله الأطهار.

ومسألة الجرح والتعديل وحدها، تتطلب بحثا مستقلا لإمطة اللثام عن تجاوزات أصحابها. لذلك فحري بنا أن نمضي لنأخذ ما يفي بالحاجة، ويقم الدليل على بطلان تلك الصفات، وعدم صحة ذلك التمثيل الذي لا يجوز على بديع السموات والأرض، فنقول:

- حماد بن سلمة بن دينار: قال فيه الذهبي: له وهام، عن عبد الرحمن بن مهدي: كان حماد لا يعرف بهذه الأحاديث التي في الصفات حتى خرج موة إلى عبادان فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلا شيطاننا خرج إليه من البحر فألقاها إليه. قال ابن الثلجي سمعت عباد بن صهيب يقول: " إن حمادا كان لا يحفظ وكانوا يقولون إنها دست في كتبه، وقد قيل أن ابن لأبي العوجاء كان ربيبه، فكان يدس في كتبه، ومن أمثلة أحاديثه غير ما رواه مسلم والبخري:

1 . عن حماد بن سلمة عن أنس أن النبي (ص) قرأ: فلما تجلى ربه للجبل قال: أخرج طرف خنصره وضرب على إبهامه، فساخ الجبل. فقال حميد الطويل لثابت: تحدث بمثل هذا؟ قال فضرب في صدر حميد وقال: يقوله أنس ويقوله رسول الله (ص) وأكتمه أنا. رواه جماعة عن حماد وصححه الترمذي.

2 . وقال ابن عدي: حدثنا عبد الله بن عبد الحميد الواسطي حدثنا النضر بن سلمة شاذان بن عامر عن حماد عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس أن محمدا رأى ربه في صورة شاب أمد دونه ستر من لؤلؤ قدميه وأرجليه في خضوة. (47)
قال الملوردي قلت لأحمد بن حنبل يقولون لم يسمع قتادة عن عكرمة، فغضب وأخرج كتابه بسماع عكرمة في ستة أحاديث.

الحسن بن سفيان حدثنا هبة قال: صليت على شعبة، فقيل رأيت؟ فغضب وقال: رأيت حماد بن سلمة وهو خير منه. كان سنيا وكان شعبة رأيه رأي الكوفيين. (48)

- ثابت البناني: قال فيه الذهبي: كان قاصا. قال ابن عدي ما وقع في حديثه من النكرة، وإنما هو من الولوي عنه، لأنه روى عنه ضعفاء. (49)

- عبد الرحمن بن أبي ليلى: قال فيه إواهيم النخعي: كان صاحب أراء. (50)

- روح بن عبادة القيسي: قال ابن الديني: نظرت لروح في أكثر من 100 ألف حديث كتبت منها 10 آلاف. تكلم فيه القولروي وقال: لا أحدث عنه. وقال أحمد بن الوات طعن في روح 12 رجلا فلم ينفذ قولهم فيه، وروى الكتاني عن أبي حاتم قال: لا يحتج به. وقال النسائي في العتق والكنى: روح ليس بالقوي. وكان عفان لا يرضى أمر روح. (51)

- معمر بن راشد: قال فيه الذهبي: له وهام معروفة. قال أبو حاتم: ما حدث به في البصوة ففيه أغاليط. وروى الغلابي عن يحيى بن معين قال: معمر عن ثابت ضعيف. (52)

- محمد بن مسلم ابن شهاب المعروف بالزهري: كان داعية الأمويين، وولاه يزيد بن عبد الملك القضاء، واختاره هشام بن عبد الملك معلما ومؤدبا لأولاده، أنهى حياته موصولا إلى جانب الأمويين ومن أفضل المقربين عندهم، وقد استعان به عبد

الملك بن مروان لما ضج المسلمون من منعهم عن الحج إلى بيت الله الحرام عندما كانت الحجاز تحت سيطرة عبد الله بن الزبير. فوضع له الزهري الحديث المعروف: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجد بيت المقدس". وروى له أن رسول الله (ص) قال: " الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة."

- وروى الخطيب البغدادي عن عبد الزاق بن همام عن معمر بن راشد تلميذ الزهري أن الوليد بن إواهيم الأموي جاء إلى الزهري بصحيفة وضعها أمامه وطلب إليه أن يأذن بنشر أحاديث منها على أنه سمعها منه فأجله الزهري على ذلك من غير تردد كبير، وقال له: من يستطيع أن يخبرك بها غوي؟ وحدث معمر عنه قال: لقد أكرهنا هؤلاء الأبراء على أن نكتب أحاديث. (53)

هؤلاء بعض رواة أحاديث التجسيم والرؤية نتوقف عندهم اختصاراً، لأن ما ذكر عنهم يسقط روايتهم وروايات غوهم، التي هي على نفس الشاكلة، والمختلفة عنها سنداً لحصول تدليس فيه، وقد كان التدليس في سند الرواية عنوان أغلب حفاظهم وروايتهم، خاصة إذا كان قاصاً. والقاص الذي يجلس في المسجد بحماية وأمر من بني أمية ليملا عقول المسلمين أوهاماً، وصاحب أبراء الظلم والجور، وداعيتهم بكذبه وبهتانه لتزوير أفعالهم وتقوية لركان ملكهم، حوى بمن يخشى الله أن لا يأخذ عنه، ولا يلتفت إلى مقالاتهم. كما في الحديث المشهور والمروي من طويق الطاهرين والصادقين من نزية رسول الله صلى الله عليه وعليهم: " إذارأيتم الفقهاء على أبواب السلاطين فاتهموهم". (54)

ثم انظر إلى ضيق صدور هؤلاء الذين واهم بغضبون، ويتشجنون ويضربون على صدور الناس، ويطردونهم لمجرد سؤال، فأبي علم يسمح لهم بذلك؟ وأي دين يبيح لهم مثل تلك الحركات؟ لكنه في عرف المعدلين عندهم طالما أنه سني منتصر لمذهبه فلا بأس عليه، وان فعل ما فعل وقلف ما قلف، وجاء بالطامات والغرائب ونسبها إلى النبي صلى الله عليه وآله، وان اتهمه أهل الأرض، وليس 12 رجلاً كما في شأن روح، ما نفخوا إلى إسقاطه وتجريحه. عاملين يمثل مغوى وان طرت. والذي رأيته من خلال تصفحي لكتب الجرح والتعديل أن صاحب البدعة والمخالف لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يضىف عليه لقب سني وصاحب سنة، والمتتبع لأقوال رسول الله وأفعاله وتقواته، يلقبونه صاحب بدعة أورافضي بغيبض. هذا من حيث الأسانيد، أما متون الأحاديث المخرجة، ففيها ما ينبئك عن دسها من بين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو منها واء.

فالأحاديث: 1-2-6-9 تتحدث عن رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى يوم القيامة.

والأحاديث: 3-4-5-7-8-10-11-12-13-14 جاءت مجسمة للمولى سبحانه وتعالى، مجزئة له وجاعلة له أعضاء كالوجه واليد والأصابع، ومحلا للحوادث كالضحك والتتكر، ومنحزاً في جهة كنزوله، وذهابه بالمؤمنين إلى الجنة، ووضع قدمه في النار.

كل هذه النعوت والصفات لا تجوز عليه سبحانه حتى وان أطلقها كناية في كتابه العزيز لأن كلامه تعالى جاء مساوراً لأسلوب العرب في اللغة وكثرة الأمثال والمجاز فيها من ناحية، ولأنه تعالى خاطبنا في كتابه العزيز على قدر عقولنا، تقرباً

للفهم إليها، لأنه لا مجال لاستيعاب حقيقته المطلقة ومن المجاز الذي جاء في القرآن الكريم:

"أيد الله فوق أيديهم."

: "واصنع الفلك بأعيننا".

: "ولتصنع على عيني".

: "فانك بأعيننا".

: "ولو ترى إذ وقفوا على ربهم."

: "يا حسرة على ما فرطت في جنب الله".

: "كل شيء هالك إلا وجهه".

: "يخافون ربهم من فوقهم".

: "الله يستهزئ بهم"..... إلى آخره

فأحاديث الرؤية مثلا لا تستقيم لأن جميع العقلاء وضعوا للرؤية شروطا ثمانية، لا تتم إلا بها وهي:

وَألا: سلامة الحاسة

ثانيا: المقابلة أو حكمها.

ثالثا: عدم القرب المفوط. لأن المرئي لو التصق بالعين لا يمكن رؤيته.

رابعا: عدم البعد المفوط. لأن المتناهي عن مدى العين لا يمكن رؤيته.

خامسا: عدم الحجاب بين الرائي والمرئي.

سادسا: عدم الشفافية، لأن الجسم الشفاف لا يمكن رؤيته.

سابعا: تعمد الرائي للرؤية.

ثامنا: وقوع الضوء عليه. لأن الواقع في الظلمة لا يمكن رؤيته.

وقد أكد أئمة الهدى من أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وعليهم تبعا لما ورثوه عن جدهم، وكما قال تعالى: " ثم أورثنا

(55)

الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا.

إن المولى سبحانه وتعالى لا يرى بحاسة البصر لا في الدنيا ولا في الآخرة، وتبعهم علماءهم وشيعتهم، واستدلوا على ذلك

بأمور هي:

وَألا: إن المرئي بحاسة البصر لا بد أن يكون جسما ومقابلا وذا مثال وصورة ومكان، والمولى سبحانه وتعالى مؤه عن

كل ذلك.

ثانيا: إن المرئي محاط بالبصر، والمولى تعالى محيط بكل شيء فكيف يمكن للمحيط أن يحاط؟

ثالثا: تعرض ذلك مع القرآن الكريم، كقوله تعالى: " يسألك أهل الكتاب أن تقول عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى

أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهوة فأخذتهم الصاعقة ظلمهم.

وقوله تعالى: " لا تتركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير".⁽⁵⁷⁾

وفي تفسير هذه الآية قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: إنما عني إحاطة الوهم، فإله أعظم من أن يرى

بالعين.

وقوله تعالى: " انك لن تاني".⁽⁵⁸⁾

واستعماله تعالى للن التأبيدية دليل على عدم إمكانية رؤية المولى سبحانه وتعالى، ولو كانت جاؤة لما عد طلبها أورا

عظيما، ولما أرسل عليهم صاعقة، ولما حكم بظلم الطالبين لها.

عن محمد بن علي الباقر عليه السلام: " أوهام القلوب أدق من أبصار العيون، أنت قد تترك بوهمك السند والهند والبلدان

التي لم تدخلها ولا تتركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تتركه فكيف أبصار العيون".⁽⁵⁹⁾

وعن عاصم بن حميد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: ذاكوت أبا عبد الله عليه السلام في ما يروون

من الرؤية، فقال: " الشمس جزء من سبعين جزءا من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب،

والحجاب جزء من سبعين جزءا من نور السر، فان كانوا صادقين فليملأوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب.⁽⁶⁰⁾

أما أحاديث التجسيم، ولكي يستكمل هؤلاء صورة المولى سبحانه وتعالى، بعدما نسوا له من الأعضاء ما يتطابق مع

المخلوق وجاءوا بفرية أكبر من سابقتها، فقالوا على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: " إن الله خلق آدم على

صورته طوله ستون ذراعا".

وبتجميع بسيط لما أخرجه من روايات متهافة لحمد بن سلمة، وتأويلات متهاكة لمجاهد بن جبير الموقى المكي المفسر،

صاحب السنة حسبز عمهم، أنه قال في تفسير قوله تعالى: " عسى ربك أن يبعثك مقاما محمودا". يجلسه معه على

العرش⁽⁶¹⁾

وطالما أن مبلغ علمهم أوصلهم إلى الاعتقاد بتطابق الخالق مع المخلوق في الشكل فلم لا يجلسه معه على العرش، وأي

عرش هذا الذي يجول في خاطهم؟ وأي كوسي يتصورون حتى يستشفون منه الجلوس، وقد جاء عن أئمة أهل البيت عليهم

السلام أن العرش والكوسي علمان من علومه، علم جعله لخاصته وأوليائه، وجعل منه للناس، وعلم لا يعلمه إلا هو. لذلك فان

اصطلاح اللغة على العالم بالكوسي درجة عند العرب، ومنها قول الشاعر:

تحف بهم بيض الوجوه وعصبة كواسي بالأحداث حين تتوب

وقول آخر:

ثم تعالى إلى من روعت الخوافة في كتبهم، وتقبلوها بالتسليم، لنسألهم، ما مقدار الزواج التي قاسوا بها آدم عليه السلام؟ فان كانت بمقدار مقياس الزواج اليوم فلن يكون طول آدم أقل من ثلاثون متراً، وان جرينا هؤلاء الحشاشين في تخيلاتهم واعتبرنا أن مقياس الزواج في العصر النووي أكبر من مقياس زواج اليوم فان طول آدم سيكون حتماً أطول مما أثنوا إليه، وعليه فان الدينصورات التي اكتشف وجودها علماء الآثار والأحياء ليست إلا سحالي وحيوانات صغيرة مقرنة بطول آدم، ثم إذا سلمنا بذلك يجب تبعاً له أن نؤمن بنظرية الزواج الفيزيولوجي والتقلص في أحجام البشر، وانه سيأتي يوم يصير الإنسان فيه قوماً بطول الزواج أو أقل وقد يصل الأمر إلى أن يصبح بحجم لا يرى فيه بالعين المجردة، لأن القامة الأولى لآدم تناقصت بسوعة كبيرة توحى بالمآل الذي ذكرناه، وإنني إن أسفت على شيء فإنني لا آسف إلا على عقول أودعها المولى سبحانه وتعالى في هؤلاء القوم وجعلها وعاء العلوم والمعرف كيف انقلب حالها لتصبح أوعية لمعتقدات واهية لا تستند إلى منطق.

إن المتتبع للكتب العقائدية والروائية عند عامة هؤلاء القائلين بتجسيم المولى تعالى، يدرك وهو يتصفح أو يقرأهم ورواياتهم في الخصوص، مدى إصرار هؤلاء القوم على التمسك بما لم يثبت بالدليل، إنما أخذ بالتقليد الذي لا يجدي نفعاً، ويتوقع من الأشاعرة في هذا الاعتقاد خصوصاً المالكية والحنابلة، من جاء بعدهم من أتباع ابن تيمية وتلميذه ابن الجوزية، والوهابية من أتباع محمد بن عبد الوهاب، لم يكتفوا بما أحدثوه من انحراف في عقيدة من اتبعهم، بل قالوا إنهم أصحاب الدين السوي، والعقيدة الحقة الخالية من البدع والضلالات التي نسوها لغوهم ظلماً وعواناً وافتراءً، ليس عن حجة ووهان، ولا دليل وبيان، سوى ما عكفوا عليه من تعبد بالنص المكثوب، وتأويل غريبة عن العقل والمنطق والشعر، والمتصفح لكتبهم ككتب ابن تيمية ورسائله كالعقيدة الحموية والعقيدة الواسطية، وكتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب يقف على مدى توسخ مسألة التجسيم للمولى تعالى فيهم بما يعتقدونه من إثبات لجهة وجوده، وما ينسبونه إليه من الجورح والحالات التي تطوأ على الجسم، والقول برويته تعالى يوم القيامة.

ولم يقف هؤلاء عند ذلك الحد في تطولهم السخيف بل راحوا يستكثرون ويشنعون على كل من قال بتقريبه المولى عن كل نقص، ولم تكن لهأصاتهم ولا شطحاتهم تلك وليدة استنتاج علمي أو بحث فكري حتى تصنف في خانة الاجتهاد، وإنما هو دليل يروج به كل ذي بصيرة بعد اطلاعه عليها يعبر عن سطحية وضحالة علوم كل من تبنى عقيدة هؤلاء الذين أطلق عليهم طواغيت العصور أهل السنة والجماعة، وهم للبدعة أقرب وأولى بالتسمية، فعن أي سنة يتحدثون؟ إن كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأهل بيته الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهراً، وقونهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالكتاب العزيز، أقرب وأولى عقلاً ونقلاً، وان كانت سنة الظالمين والمحرفين الكلم عن مواضعه، كحكام بني أمية ومن جاء بعدهم، فإنها لا تغني عن الحق شيئاً.

قال أبو حاتم أحمد بن محمد الرلي في معرض بيانه لهؤلاء الذين يعتقدون أن الله تعالى جسم: ويطلق على بعضهم الصفاتية والحشوية، وقد لفقوا بذلك لاحتمالهم كل حشو روي من الأحاديث المختلفة والمتناقضة، ولروايتهم أحاديث كثيرة مما أنكوه عليهم أصحاب الرأي وغوهم من الفرق في التشبيه وغير ذلك ويقال لهم المشبهة لروايتهم الأحاديث الكثيرة في التشبيه، واحتمالهم الأخبار المنكوة عند غوهم مثل قولهم: إن الله عز وجل يقول إلى السماء الدنيا في قفص من الملائكة⁽⁶²⁾

وعلى ذكر القفص من الملائكة، فقد روى آخرون من نفس الفریق الذي يدعي تبنيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن الله تعالى يقول إلى السماء الدنيا على ظهر حمار، فقد يكون في اعتقاد أصحاب رواية القفص أنهم وضعوا الله تعالى على وسيلة أفضل. لكن الذي جاء من بعدهم لم يستسغ مسألة النزول بذلك الشكل وعلى تلك الحال، فأقر بالنزول وأنكر الكيفية، لذلك فانك عندما تتصفح كتبهم الروائية المعتمدة، فانك تجد روايات النزول، بغير كيف، ولا يمكنك أن تعثر على النزول بالكيف إلا في الكتب التي ألفت في الفرق الإسلامية ككتاب الفرق بين الفرق وكتاب الملل والنحل من أتباع تلك المذاهب.

ويطلق عليهم السلف لقول الشهرستاني: اعلم أن جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات زلية ولا يفوقون بين صفات الذات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوقا واحدا، وكذلك يثبتون صفات جبرية، مثل اليدين والجلين ولا يؤولون ذلك، فبلغ بعض السلف في إثبات الصفات، إلى حد التشبيه بصفات المحدثات⁽⁶³⁾

أما ابن تيمية فيقول: وأصحاب الحديث ليسوا جميعا على كلمة واحدة، وإنما كان لبعضهم رأي لم يوافقه عليها غيره فيضطر احدهم أحيانا للوقوع بالبدعة في رده على البدعة، كما وقع الإمام أبي القاسم عبد الرحمن بن منده في قوله: خلو العرش إذا قول الله إلى السماء الدنيا، وكتب في ذلك مصنف سماه: الود على من زعم أن الله في كل مكان وعلى من زعم أن الله ليس له مكان وعلى من تأول النزول على غير النزول⁽⁶⁴⁾

وابن تيمية نفسه على ما حكى عنه ابن بطوطة في رحلته، قد سمعه يخطب على منبر الجامع الأموي بدمشق: إن الله يقول إلى السماء الدنيا كنزولي هذا. وتقول مرقاة.⁽⁶⁵⁾

وذلك هو الرأي السائد لدى فرق السنة والجماعة بكل توجهاتها، ولم ينح من راثن معتقدهم هذا إلا قلة ممن كان يستتجد بعلوم أهل البيت عليهم السلام. ويظهر من خلال ذلك كله أن واضعي أحاديث النزول لم يكونوا من الذين يعتقدون بكروية الأرض، بل الظاهر هو اعتقادهم بتسطحها، لأن الثلث الأخير من الليل لا ينتهي من السماء الدنيا إلا بانتهاء الدنيا نفسها، ولو فكر ابن تيمية وابن ومنده وأبو الفاء ومن تبعه من الحنابلة ومالك وأتباعه وأعطوا لعقولهم مجال السؤال والبحث والإجابة لروا حديث النزول لاستحالة إمكانه. وإلى الذين لا زالون يعتقدون بصحة أحاديث النزول نقول لهم إذا سلمنا بمقالتكم تلك في نزول البرلي تعالى فمتى يكون الصعود؟

وقد عرض حديث النزول على الإمام علي بن موسى الوضا ثامن أئمة أهل البيت عليه السلام فقال: " لعن المحرفين الكلم عن مواضعه، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " يبعث المولى تبارك وتعالى ملكا إلى السماء الدنيا مناديا: هل⁽⁶⁶⁾

من تائب يتوب الله عليه، هل من مستغفر فيغفر الله له، هل من سائل فيعطيه مسألته؟

لأن المولى تعالى ليس في حيز ولا في جهة ولا هو محتاج إلى فعل كي يفعله: "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون".

أما التجسيم في عمومه فان الشيخ إسماعيل بن عبد الرحمان النيسابوري الصابوني قد قال: ويثبتون له جل جلاله ما أثبت في كتابه وعلى لسان رسوله، فيقولون: انه خلق آدم بيده، وكذلك يقولون في جميع الصفات من السمع والبصر والعين والوجه... والروح والضحك وغوها، ويضيف الشيخ: ويعتقد أهل الحديث ويشهدون، أن الله سبحانه وتعالى فوق سمواته على عرشه، ويثبتون نزول الوب سبحانه إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له. ويؤكدون علمه إلى الله، وكذلك يثبتون المجيء والإتيان المذكورين في قوله عز وجل: "هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة". و: "وجاء ربك والملك صفا صفا". (67)

ولأهل السنة في ورأهم من الإعراف بالتقصير وقلة العلم وفقدان الحجة، طريق يسمونه ترك التأوويل وتوكيل العلم فيه إلى الله تعالى، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: "والواسخون في العلم يقولون آما به كل من عند ربنا". وقد رد عليهم الشيخ محمد حسن المظفر طيب الله ثاه بقوله: إن الآية الكريمة التي يعتبر هؤلاء نص على أن الواسخين في العلم جاهلون بالمتشابهات، ويؤكدون علمها إلى الله تعالى بدعى أن قوله تعالى: "والواسخون في العلم يقولون" جملة مستأنفة، ولا أظن عرفا يرضى به، وينكر أن يكون الواسخون عطفًا على لفظ الجلالة، كيف وذلك يستلزم مخالفة الظاهر في أن يكون علم التأوويل مختصا بالله تعالى، فيكون النبي صلى الله عليه وآله موسلا بما يجله، وما يخلو من الفائدة له ولأمته، وخطئا في حق أمير المؤمنين عليه السلام أنه عالم علم الكتاب. وظني أن الداعي لهم إلى مخالفة الظاهر والوأم هذه المحاذير هو إنكار فضل آل محمد صلى الله عليهم، فإنهم لو أقروا بأن قوله والواسخون عطف على لفظ الجلالة لم يمكنهم إنكار فضل آل محمد، العالمون بمتشابهة القرآن بعد أن أخبر النبي صلى الله عليه وآله أنهم قراء القرآن لا يفلقونه حتى يردا عليه الحوض. فانه يقتضي علمهم بكل ما فيه، وإلا لفرق بينهم وبينه الجهل به. فالحق أن الواسخون في العلم عالمون بالمتشابه كله، وإنهم مخصصون بالعودة الطاهرة، وإذا خصهم رسول الله صلى الله عليه وآله بعدم المفارقة للقرآن أوجب على أمته التمسك به (68) وبهم.

وعلى ذلك فان دعوى اختصاص المولى بعلم متشابهة القرآن باطلة عقلا ونقلا، لأنه تكليف بما لا يطاق من جهة، ولا يستند إلى أساس منطقي من جهة أخرى، كما لا يدخل المتشابهة من القرآن في علم الغيب، حتى ينصرف الاعتقاد به مجملا.

عن إسحاق بن راهويه قال: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله (ص) يقول ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف يقول؟ قال: قلت أعز الله الأمير لا يقال لمر الوب كيف؟ إنما يقول بلا كيف". (69)

وعن محمد بن سلام: سألت عبد الله بن المبارك عن نزول ليلة النصف من شعبان، فقال عبد الله: يا ضعيف ليلة النصف، يقول كل ليلة. فقال الرجل: يا أبا عبد الله كيف يقول؟ أليس يخلو ذلك المكان منه؟ فقال عبد الله: يقول كيف يشاء. ثم قال:

وخبر نزول الرب كل ليلة إلى السماء خبر متفق على صحته، مخوج في الصحيحين من طريق مالك بن أنس عن الوهي وابن سلمة عن أبي هرة. (70)

وأخرج البيهقي في الاعتقاد عن جعفر بن ميمون قال: سئل مالك بن أنس صاحب الموطأ عن قوله تعالى: "الرحمان على العرش استوى". كيف استوى؟ قال الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالا. وأمر به أن يخرج من مجلسه. (71)

واستمر ترسيخ عقيدة التوحيد المحرفة بذلك الشكل، والتي تتطابق إلى حد بعيد مع عقيدة اليهود والنصرى في التجسيم ومن قبلهم قدماء الإغريق والوبر وعرب الجاهلية، إلى أن جاء أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (270/324) برأيه التي خرج بها إلى الناس في العقيدة وقد كان من قبل مائلا إلى الاعتوال، وانصوف عامة أتباع تلك المذاهب التي لا ترى عن الصحابة بما فيهم من بر وفاجر، بديلا عن أخذ الدين والعقيدة، إلى الأخذ بأقواله ورأيه في العقيدة، من جملة ما جاء به الأشعري في التوحيد قوله: إن الله استوى على عرشه كما قال: "الرحمان على العرش استوى". ، وان له وجهها كما قال: ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام". وان له يدين بلا كيف كما قال: "لما خلقت بيدي". وكما قال: "بل يدها مبسوطتان". ، وان له عينا بلا كيف كما قال: "تحري بأعيننا". ، وتأيد ذلك بقوله: ونصدق جميع الروايات التي يثبتها أهل النقل من نزول إلى السماء الدنيا. (72)

أما بخصوص الرؤية فإنهم أجازوا رؤية البري تعالى في الآخرة.

قال ابن بطال: ذهب جمهور أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته. (73)

قال القوطي: وأهل السنة لا يشترطون شيئا من ذلك سوى وجود المرئي، وان الرؤية إواك يخلقه الله تعالى للوائي فوى المرئي، وتفتون بها أحوال يجوز تبديلها (74)

وقال النووي أيضا: مذهب أهل السنة أن رؤية المؤمنين ربهم ممكنة ونفتها المبتدعة، ومن جهل منهم، وقد تضافت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وسلف الأمة على إثباتها في الآخرة للمؤمنين، وأجاب الأئمة من اعتراضات المبتدعة بأجوبة مشهورة، ولا يشترط في الرؤية تقابل الأشعة ولا مقابلة المرئي وان جرت العادة فيما بين المخلوقين. (75)

انظر هداك الله تعالى إلى هذا الهوس، وتأمل بعقلك مدى اجزاء تلك الفرق على الله تعالى، كأنهم في ذلك يتبعون بني إسرائيل، وان ضوب الله تعالى بهم مثلا، قال تعالى: " أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين". (76)

ولم يقفوا عند ذلك الحد فجزوا رؤية المولى سبحانه وتعالى في المنام. قال ابن حجر في فتح البلي: وجزوا رؤية البري عز وجل في المنام مطلقا، فتلة بعير بالسلطان، وتلة بالوالد، وتلة بالسيد، وتلة بالورئيس في أي فن كان. (77)

وقال الغوالي: ليس معنى قوله رآني انه رأى جسمي وبدني، إنما المراد أنه رأى مثالا، صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه. ومثل ذلك من وى الله سبحانه وتعالى في المنام، فان ذاته مؤهبة عن الشكل والصورة، ولكن

تنتهي تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غوه، ويكون حقا في كونه واسطة في التعريف، فيقول الرائي رأيت الله في المنام. (78)

ويضيف أبو القاسم القشوي ما حاصله: إن رؤيته على غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو، فانه لورأى الله على وصف يتعالى عنه، وهو يعتقد أنه مزه عن ذلك، لا يقدح في رؤيته. (79)

هكذا إذا زاهم يتشبثون بكل حبل ويلونون بكل ناحية في الاعتقاد بالله والتقرب منه، دون أن يحتملوا ولو بنسبة ضئيلة وسلوس الشيطان والأعبيه وخدعه التي لا تكاد تحصى، ومنها الأحلام التي سقط في شواكها أكثر الناس، ولو كان الله تعالى روى في المنام كما زعم هؤلاء الذين تتسموا علياء العواكر العلمية عند عامة المسلمين ظلما وزورا، لأمكن للصفوة الطاهرة من أنبياء ورسول وأئمة أن يروه كذلك، وأن يأتينا الخبر اليقين عن طريقهم وبواسطتهم.

في تفسيرهم للإستواء: فقد قال ابن حجر اسقوى قال مجاهد: علا على العرش، وقال آخرون: استقر وارتفع، وقال أيضا: واختلف أهل السنة هل الاستواء صفة ذات أم صفة فعل (80)

وأخرج البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي العري عن سفيان بن عيينة قال: كل ما وصف الله نفسه في كتابه فتفسره تلاوته والسكوت عنه، وهذه طويقة الشافعي، وأحمد بن حنبل، والثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك وابن عيينة، والأوزاعي، والليث، ومن عاصوهم. (81)

وفي تفسيرهم للنزول فقد قال ابن حجر: استدل بهذا الحديث - أي حديث نزول المولى عندهم - على إثبات الجهة، وقال: هي جهة العلو وهو مذهب أهل السنة، وهم الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان، فإنهم يثبتون لله الجهة، ويؤمنون بأنه سبحانه فوق العرش بلا تمثيل ولا تكييف، والأدلة من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر. (82)

وبذلك قال شهاب الدين السهروردي في عقيدة كتابه رباب النقى: أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله (ص) الاستواء، والنزول، والنفس، واليد، والعين، والأصابع. وقال البيهقي: ومنهم من قال العين صفة ذات كما تقدم في الوجه. (83)

وفي تفسيرهم للمجيء استدل ابن قتيبة وغوه على أن الصورة التي يأتي فيها الرب تبارك وتعالى ليست كالصور كما انه شيء لا كالأشياء. (84)

قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: اعلم أن جماعة كثيرة من السلف (السنة والجماعة) كانوا يثبتون لله تعالى صفات لولية من العلم والقوة والحياة والإرادة والسمع والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والغرة والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوفا واحدا، وكذلك يثبتون صفات خيرية مثل الساق والوجه ولا يؤولون ذلك، فبالغ السلف إثبات الصفات إلى حد التشبيه بصفات المحدثات، ثم إن جماعة من المتأخرين زاولوا على ما قاله السلف، فقالوا لا بد من إحوائها على ظاهرها، فوقوا في التشبيه الصرف. (85)

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته، وعند استواضه لنشأة علم الكلام، قوله: ووقع في كلام الشلوع صلوات الله عليه، وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها، ثم وردت في القوان أي أخرى قليلة توهم التشبيه، وقضوا بأن الآيات من كلام الله،

فأمّوا بها ولم يتعزوا لمعناها ببحث ولا تأويل، وهذا معنى قول الكثير منهم أقولها كما جاءت ولا تتعزوا لتأويلها ولا تفسوها لجاز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والإذعان له، وشذ لعصوم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه، ففريق شبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت بذلك فوقوا في التجسيم الصريح ومخالفة أي التثويه المطلق... ثم يفرون من شناعة ذلك بقولهم جسم لا كالأجسام... وفريق منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات كإثبات الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف، وأمثال ذلك، وآل قولهم إلى التجسيم فزوعوا مثل الأولين إلى قولهم صوت لا كالأصوات، جهة لا كالجهات نزول لا كالنزول... وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين فتوسط الطرق ونفى التشبيه وأثبت الصفات المعنوية وقصر التثويه على ما قصر عليه السلف وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه، فاثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق العقل والنقل".⁽⁸⁶⁾

ولو أنك تصفحت بقية كتبهم الكلامية، وجالت عينك في صفحاتها، لأمكنك أن تقف على ضحالة الفكر والمعتقد عندهم، بحيث يخلتقون الأعداء والتبروات عند العجز عن الجواب، ويفرون من جهلهم إلى نسبة النقص في دين الله، وتكليفه لخلقه بما لا يعلمون، بالتالي بما لا يستطيعون، وهو مخالف لقوله تعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها".⁽⁸⁷⁾

ولا أخال عاقلا يقول بأن الله تعالى أرسل نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما يجهل، وكلف الناس بما لا يعرفون، وتوكلهم في حوة من أمرهم بين سائل ومسلم، وبين مؤه ومجسم، وبين قروي ومروحي، وجوي ومفوض.

أخروا وبعد أن أهلك أيها القارئ العزيز على جملة من مقالات أصحاب هذا الاعتقاد في التوحيد، ممن ينتسب إلينا عقيدة وشريعة، بل لعلمهم من الذين يعتقدون أنهم على خير كثير، كيف لا وهم في تصورهم أتباع الرسول وسنته، وغوهم بعيون عن إسلامهم، منتكبون عنه، حوي بي وبك أن نقف على رداءة ذلك الاعتقاد والتصور، وسخافة ما ساقوه من تبروات واهية، وهم الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا، يقذفون البيوت التي أذن الله تعالى أن ترفع بكل بلية وفوية، وبيوتهم لا تكاد تحصى عورتها، وتخطبهم في التوحيد وصفات الله تعالى كالمحتضر حال الزوع، موقوف بين عالمين، فمن جهة تاهم يتهبون من التجسيم ليس إلى تثويه المولى سبحانه وتعالى، كما هو شأن أئمة أهل البيت الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهرا، بل إلى تجسيم عجيب وغريب اخترعته عقولهم، وتفتقت به أذهنتهم، فقالوا بعدم الكيف، وأبطلوا السؤال مع إثبات صفات الجسم والحال، وعنوا غوهم ممن دان بالتوحيد الصحيح، ورفض الإذعان لخوات سلاطين الظلم والجور، مبتدعة ورافضة.

أخي المسلم لا شك أن الدين قد مر قبل وصوله إلينا بقوات مشوهة كان لها أثر كبير في تحريف ما وصل إلينا منه، وقد تضررت عقيدة السواد الأعظم من المسلمين، بما علق بها من أكاذيب وتأويل خاطئة، وقد حان الوقت لتستأصلها ونعيد الحق إلى نصابه، والدر إلى معدنه، بالعود إلى المستحفظين على كتاب الله والناطقين عنه، ثقله الأصغر، كما أحالنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل بقوله: " تركت فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما".⁽⁸⁸⁾

والمعتصم بهم آمن من الرعب والانهوف، وبمنأى عن التناحر والاختلاف، محفوظا في كنف المولى تعالى من الانصواف إلى أئمة النار وحزب الشر والأشوار، أتباع الشيطان وأوليائه من الدعاة إلى التعبد بالشك والظن.

والآن وبعد أن عرضت عليك العقيدتين، وأبنت لك الخيلين، وظهرت من خلال ما قلته رايات الهدى خفاقة على رايات الضلالة، ليس أمامك غير طويقين لا ثالث لهما، فإما أن تعبد الله الحق اله الأنبياء والموسلين، اله محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وآله. الذي لا يتخوأولا يتحيز ليس كمثل شئ لا وى في الدنيا يقظة أو مناما، ولا وى في الآخرة لامتناع الإحاطة بالمحيط، ذو الصفات التي لا حصر لها وهي عين ذاته المقدسة، آياته وآثره دالة عليه، وقدرته في خلقه إثبات على أنه موجود. وكل ما ورد علينا في كتابه العزيز وما جاءنا من صحيح كلام سيد الموسلين بخصوص خالق الكون، ما هو في حقيقته غير تقرب للذهن، وإشارات للعقل، وإلا فان تركيبة التحصيل في البشر الضعيف عاجزة عن الوصول إلى حقيقة المعرفة، وليس أدل على ذلك من قوله صلى الله عليه وآله: " إن الله تعالى قد احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وان المأ الأعلى يطلبونه كما يطلبونه".⁽⁸⁹⁾ أو أن تعبد هذا الذي يعرضه عليك هؤلاء التائهين، الذين اتخفوا من عنوان سنة سيد الموسلين مطية لتوير الكذب والبهتان على أنه سنة، ومن ذلك ما جاؤوا به في التوحيد من أن الله تعالى على صورة آدم، وان قالوا بلا كيف، فقد كيفوا نتيجة انصوافهم عن آل طه، وانصوافهم عن الراسخين في العلم.

نسأل الله تعالى ختاماً أن يلزمنا كلمة التقوى، ولا يحيد بنا عن صوابه المستقيم، ولا يباعد بيننا وبين أوليائه الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهروا، ويهدي أمة الإسلام بالروح إليهم بعد قرون التيه والضياغ، انه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1- سورة محمد الآية 19

2 - سورة آل عمران الآية 18

3 - سورة الروم الآيات: 20/25

4 - سورة الروم الآية 30

5 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد عبد الله شبر ج 1 ص 35

6 - سورة البقرة الآية 74

7 - سورة الأنعام الآية 38

8 - سورة الإسراء الآية 44

9 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد عبد الله شبر ج 1 ص 97

10- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام

11 - أخرجه الحاكم في المستدرک ج 33 ص 122 واعترف الذهبي بصحة الحديث في تلخيصه - مسند أحمد بن حنبل ج 3

ص 33 - البيهقي في شعب الإيمان - حلية الأولياء لأبي نعيم ج 2585 - خصائص النسائي ص 1331 الصواعق المحرقة

- لابن حجر - كنز العمال للمتقي الهندي ج15 ص 94 ح 266 - أسد الغابة لابن الأثرج3 ص282 - ذخائر العقبى للمحب الطوي ص76 -البدايةوالنهاية لابن كثير ج6ص217-...
- 12- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام. الخطبة الأولى.
- 13- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام الخطبة 49 ص152
- 14- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام
- (*) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام
- 15 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج 1 ص 40
- 16 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج 1 ص32
- 17 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج 1 ص32
- 18 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج 1 ص32
- 19 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج 1 ص 33
- 20 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج 1 ص 33
- 21 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج 1 ص48/49
- 22 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج 1 ص 49
- 23 - عيون أخبار الرضا عليه السلام ج 2 ص 105/135
- 24 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج 1 ص
- 25 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر ج1 ص
- 26 - عيون أخبار الرضا للصدوق
- 27 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر
- 28 - سورة الفتح الآية 10
- 29 - عيون أخبار الرضا للصدوق
- 30 - حق اليقين في معرفة أصول الدين للسيد شبر
- 31 - سورة النمل الآية35
- 32 - عقيدة التوحيد ص 677
- 33 - أخرجه مسلم في جامعه المسمى بالصحيح ج1 ص112 والبخري وغوهما
- 34 - أخرجه مسلم في جامعه المسمى بالصحيح ج1 ص114 البخري (جامع الأحاديث)
- 35 - البخري في تفسير سورة هود باب قوله تعالى: "وكان عرشه على الماء" - مسلم في الزكاة باب الحث على النفقة-

- 36 - فتح البري ج 3 ص 29 وج 13 ص 464 وج 3 ص 29 - البخري باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، وفي الدعوات، باب الدعاء منتصف الليل، وفي التوحيد باب ققول الله تعالى: " يريدون أن يبدلوا كلام الله". أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب التوغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، التومذي في الدعوات باب رقم 80 ، أبو داود في الصلاة باب أي الليل أفضل. مسلم ج1 ص120
- 37- مسلم ج 1ص122 البخري
- 38- مسلم ج8 ص149 البخري
- 39- مسلم ج8 ص152 البخري
- 40 - فتح البري ج13 ص 369 - البخري في تفسير سورة ق باب: " ونقول هل من مزيد". - وفي الإيمان والنذر - باب الحلف بغير الله وصفاته وكلماته - وفي التوحيد باب قوله تعالى: " وهو العزيز الحكيم "- مسلم باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء وج 1ص 113 و122 - التومذي في التفسير باب ومن سورة ق. عقيدة التوحيد ص 202
- 41 - فتح البري ج13 ص 419 / 420 وج11 ص 445 عقيدة التوحيد ص 206 مسلم ج8 ص 126 - كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب.
- 42 - فتح البري ج13 ص397 - كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب
- 43 - كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب - مسلم ج 8 ص 125//126
- 44 - كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب
- 45 - كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب
- 46 - كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب
- 47 - ميزان الاعتدال للذهبي ج1 ص588 / 589
- 48 - ميزان الاعتدال للذهبي ج1 ص362
- 49 - ميزان الاعتدال للذهبي ج2 ص584
- 50 - ميزان الاعتدال للذهبي ج2 ص58
- 51 - ميزان الاعتدال للذهبي ج4 ص154
- 52 - الموضوعات في الآثار والأخبار للسيد هاشم معروف الحسني ص 134/133
- 53 - الإمام جعفر الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر
- 54 - الإمام جعفر الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر
- 55 - سورة فاطر الآية 32

- 56 - سورة النساء الآية 153
- 57 - سورة الأنعام الآية 103
- 58- حق اليقين ج1ص 86
- 59- حق اليقين ج1ص 86
- 60- حق اليقين ج1ص 86/87
- 61 - ميزان الاعتدال للذهبي ج3ص439
- 62 - كتاب الرينة ص 267 - عقيدة التوحيد ص 84
- 63 - الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 116
- 64 - شرح حديث النزول لابن تيمية ص 46
- 65-رحلة ابن بطوطة
- 66 - عيون أخبار الرضا للصدوق
- 67- عقيدة التوحيد ص 227
- 68- عقائد الامامية للمظفر ج ص
- 69- عقيدة التوحيد ص 228
- 70- عقيدة التوحيد ص 229
- 71 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص
- 72 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص
- 73 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص 689
- 74 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص 688
- 75 - شرح النووي بهامش جامع الأحاديث لمسلم
- 76 - سورة الزخرف الآية 40
- 77- عقيدة التوحيد
- 78- فتح البري لابن حجر ج13 ص 387/388
- 79 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص345
- 80 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص345
- 81 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص 228 فتح البري لابن حجر ج13 ص 405
- 82 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص227 فتح البري لابن حجر ج13 ص 408

83 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص 230

84 - عقيدة التوحيد في فتح البري لأحمد عصام الكاتب ص 229

85 - الملل والنحل للشهرستاني ج 1 ص 104

86 - مقدمة ابن خلدون ص 513/514

87 - سورة البقرة الآية 286

88 - حديث الثقلين أخرجه كل من: مسلم في جامعه ج7 ص122، 123، 124 - الترمذي ج5 ص663 حديث: 3788-

خصائص النسائي ص 41 . - سنن الدلمي ج2 ص431 - مصنف ابن أبي شيبة ج11 ص452 حديث: 11725 - السنة لابن

أبي عاصم ج 2 ص336 ح: 754 و628 و630 وحديث: 1548-1549 - 1553 - طبقات بن سعد ج2 ص194 - مشكل

الآثار ج 2 ص368 - حلية الأولياء لأبي نعيم ج1 ص355 - المعجم الكبير للطواني ج 5 ص153-154 ح 4921-4923

وص 169-170 ح 4980-4982 - المعجم الصغير ج1 ص131 - المناقب لابن المغزلي الشافعي ص234-235 ح

281-283 - مصابيح السنة للبغوي ج4 ص190 ح4816 - جامع الأصول ج1 ص278 . - أسد الغابة ج2 ص12 - ذخائر

العقبى للمحب الطوي ص16 - إحياء الميت للسيوطي ص30-32 ح6-8 - مجمع الزوائد للهيثم ج1 ص170 وح9

ص162 - كنز العمال للمتقي الهندي وفيه 17 حديثا ج1 ص172-173 وص185-186 وص187 - تفسير الوري

ج8 ص163 - تفسير ابن كثير ج4 ص122 - الصواعق المحرقة لابن حجر ص126 - فيض القدير للمنوي ج3 ص14-

15 - وأخرجه صاحب غاية العوام فعدد طرقه. - جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية، أخرجت الحديث في رسالة مختصرة

شافية وتتبع مصافه. مستترك الصحيحين للحاكم ج3 ص109 وص148-533 - الدر المنثور ج2 ص60 تليخ بغداد

ج7 ص442 - شوح العقيدة الواسطية لابن تيمية ص120....

89- حق اليقين للسيد عبد الله شبر ج1 ص97



ولاية الله تعالى

قال تعالى: " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون".

وقال أيضا: " ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم المفلحون".

وقال كذلك: "المؤمنون بعضهم أولياء بعض".

ترددت كلمة ولي ومولى وولاية، في عدد من الآيات القرآنية، لتحمل في مضامينها معنى واحدا وهو الحكومة والقيادة، وقد أسست كلها تقريبا لمعالم وأساس نظام الحكم في الإسلام، وكل من حاول الفوار من هذا الفهم إلى تعديد المعاني المحتملة للولي والولاية، سقط في المحذور، ووقع في مستنقع الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ولم يقدم بديلا يمكن الاعتماد عليه والتوجه له. ومسألة الولاية بالمعنى الذي نقصده، لا يمكن للوحي ولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم السكوت عنها، لأنها أساس الشريعة، وجوهرة الحفاظ عليها، وسبب لاستمرار الفيض الإلهي.

ولئن كان توجهنا في هذه الورقات، منصب على الآثار المترتبة على الانضواء تحت غطاء الولاية، بما يضع الفرد المؤمن على كفة موزان الطاعة، ويبين أن للولاية بعد أداء الواجب نحوها وهو البيعة، مؤثران عليهما مدار عمق إيمانه.

الحب والبغض، والولاء والرواءة، والمودة والعداء، أحاسيس تنمو في البشر، وتتفاعل زيادة أو نقصانا، كلما طرأ على القلب طارئ، فأنت عندما تحب أحدا، يكون لحبك سبب دفع بقلبك إلى أن يفسح المجال لذلك الإحساس، كي يستقر فيه وينمو. وأسباب الحب والود عديدة تتلوح بين التفاهة والأهمية، بين أن يكون لك قلب ورد عليه إحساس غاوي بالحب فيحب شيئا ما، بما انطبع فيه من صور وردت عليه من العين، أو الأذن، وبين أن يكون لك قلب ورد عليه إحساس عقلي روعي بقيمة من القيم، فيهفو لها ويذوب في حبها وينهل من رحيقها الصافي، وشتان بين منخدع بظاهر جسد فان، ليس له من ورائه غير المصلحة الذاتية، وبين متيقن أحب جوهر روح بما انطبع فيها من رفعة وسمو أخلاق، وما بين جامع للجوهر وجامع للأصداف، تتفاوت طبقات الناس.

معرفة الحبيب بالعقل، أنفذ وأعظم من إواكه بالعين، لأن العين جلحة محدودة المدى بظاهر ما تقع عليه، في حين إن العقل مجاله أوسع وأشمل وأعمق، وان كان كلاهما نافذتان مفتوحتان على القلب، كما إن للقلب بصورة تميز ما خطر عليه وتودد من مركات، وصلاح القلب مرتبط بصفاء بصيرته وجلائها، ولا يتحقق ذلك إلا بالنظر في ملكوت الله تعالى، والتأمل في آياته، والتقدير لكتابه وشريعته لأن في ذلك تمام معرفته. قال رسول الله (ص): "ألا إن في الجسد لمضغة، إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله".⁽¹⁾

وقال (ص) أيضا: "العوء بأصغريه قلبه ولسانه".⁽²⁾

و القلب دليل الإنسان في كل ما يعرض له ويقول عليه، بل هو إمام البدن، وقائده إلى الخير أو الشر، بما انطبع فيه من

قيم، لذلك ترى المولى سبحانه يثني على نوي القلوب والألباب، أولي البصائر وأرباب العلم والحلم، وأصحاب الحبّ في عدد من الآيات كقوله: "إنما يذكّر أولوا الألباب"

لأن ذلك الوعاء المركب في أبدانهم، صلح وصفا وطهر ونمى، ليتقبل بفرة الحب الحقيقي وما ستنوره شجرتها. عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: "إن القلوب ثلاثة: قلب منكوس، لا يعي شيئا من الخير، وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يعتلجان، فأيهما كانت منه غلب عليه، وقلب فيه مصباح زهر لا تطفئ نوره إلى يوم القيامة، وهو قلب المؤمن⁽³⁾

وفي نظري ليس في الوجود حب ثابت غير حب الله تبرك وتعالى، كل حب لا يكون هو أصله وأساسه ومرجعه، وهم منقطع زائل.

قال الله تعالى: "الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين".⁽⁴⁾

وقال أيضا: "يوم يفرّ المؤمن من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه"⁽⁵⁾

ذلك لأن أحاسيسهم التي وصفوها بالحب، وعلاقاتهم التي كانت بالصّحبة الوثيقة والقاربة القويبة، محكومة بالعاطفة الزائفة والمصلحة الآنية، منتهية بفتور العاطفة وانتفاء المصلحة.

ويتملكك العجب من الذين يقطعون الولي والبحار. ويعتّلون ويُرّقون من أجل جسد فان ولذّة زائلة، وتوداد عجا من الذين يضعون حدا لحياتهم بشتى الوسائل، خزنا وخزعا على فاق حبيب يموت أو بغوره، ولا يلتفتون ولا يأبهون لمعرفة الأحق بالحب، والأولى بالعشق والاهتمام، ولو إنهم رجوا إلى أنفسهم، وثابوا إلى رشدهم وطرقوا بابه، لوجوده عندهم ولبادلهم شعرهم، كما فعل مع كل من انغمس في أنوار حبه وتعلق بلطائف وده وقوبه. قال جلّ من قائل: "سوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"⁽⁶⁾

وهو مصداق قول رسول الله (ص) في غزوة خيبر لعلي عليه السلام " غدا أبعث رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كزار غير فار، يفتح الله على يديه".⁽⁷⁾

وذلك بعدما انهزم المسلمون في حملات عدّة على الحصن الأكبر لليهود.

وفي كلامه صلى الله عليه وآله إشارة إلى أن العلاقة بين الله تعالى وعبده لا تكون كاملة وتامة، إلا إذا انغمس العبد من مقام العبودية في جوهر الربوبية، لأن معرفة النفس طريق إلى معرفة الرب، ومعرفة الرب نتيجتها القرب والوصال والحب الذي ليس فوقه شيء يؤثر.

فما هو الطريق للوصول بالقلب إلى حبّ الله، وتبادل الودّ معه تعالى؟

أول خطوة على طريق الحب الإلهي، هي معرفة المحبوب، فلا يعقل أن نحبّ بلا معرفة، وان وجد في قلوب الناس حبّ بلا معرفة، فهو لا يتعدى كونه إحساس سطحي منقلب غير ثابت، لأنه يصطدم دائما بعائق جهل المحبوب.

ثاني خطوة تأتي اثر المعرفة، هي الإتياع والملازمة، لأن الوصال يقتضي مداومة على الإتياع، واستئورا في الملازمة،

ونتيجة لذلك يأنس القلب ويهناً بمحبوبه، وتعزّيه في الأثناء نفحات العشق، ولفحات الشوق كلما أحسّ بالبعد عنه، فيسقط كل شيء دون ذلك غير مرتبط به من قلبه، ولا يبقى شيء من أمر الدنيا وحطامها ذا قيمة عنده، إلا ما كان موصولاً به، أو موصولاً إلى رضاه وحبّه تعالى.

جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: "المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يتلذذ شواهاً، ولا يستطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يؤي دراً، ولا يسكن عروناً، ولا يلبس لينا، ولا يقر قراً، ويعبد الله ليلاً نهلاً، راحياً الوصول إلى من يشتاق إليه، ويناجيه بلسان شوقه، معوّماً عما في سريره، كما أخبر الله عن موسى بن عمران عليه السلام، في معادريته بقوله: "وعجلت إليك ربي لتوضي".⁽⁸⁾

وعلامه حب الله تعالى، فوثق عما يبعدك عنه، وألفك منه وتعهد قلبك لجوارحه بمناجاته والثناء له، والتدلل عنده، والتعهد لعبادته، والإنشغال به عن سواه، والخوف منه والرجاء له، والصبر على بلواه، والبكاء على ما أذنت في حقه، والبكاء على ما فوطت في جنبه، ثم البكاء تعبدًا وتلطفاً وتخشعاً وتبتلاً، بحيث لا يكون هناك أثر ظاهر للحب على المحب غير البكاء، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: "إن شعيب عليه السلام بكى من حب الله عز وجل حتى عمي، فودّ الله عليه بصوه، ثم بكى حتى عمي، فودّ الله عليه بصوه، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: "يا شعيب إلى متى يكون هذا أبداً منك؟ إن يكن خوفاً من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنة، فقد أبحتك. فقال: الهي وسيدي، أنت تعلم أنني ما بكيت خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي، فلست أصبر حتى أراك، فأوحى الله جل جلاله: "أما إذا كان هذا هكذا، فمن أجل هذا سأخدمك كليماً موسى بن عمران".⁽⁹⁾

وكذلك سلك أصفياء الله وأخلاقه وأحبوه مسلك المعرفة والحب، فوصلوا محبوبهم بما بذلوه من وقت وجهه لطاعته، وأداء حقوقه وتعجل الخير والإكثار منه، والوفاء من الشر والتباعد عنه، والغافل في هذه الدنيا الدنيّة من يعتقد أنه محب لله تعالى ومخلص له، ولم يخل قلبه من غره ويؤغه له. أشرك حب من نونه، وجفا مواعيد لقائه، ولم يتعاهد أسحار ليله لقبه ومناجاته. قال تعالى: "ففرّوا إلى الله إنني لكم منه نذير مبين"⁽¹⁰⁾

وقال أيضاً على لسان موسى بن عمران عليه السلام: "وعجلت إليك ربي لتوضي".⁽¹¹⁾

وكل فرار مذمة ونقيصة وجبن، غير الفرار إليه تعالى من أنفسنا الأمّرة بالسوء، وحواتها عليه باقتحامها مواطن غضبه، ولرتكابها من الذنوب ما يحول بينها وبينه، وكل عجلة غير محمودة غير العجلة إليه تعالى لتوضي، وما الحب إلا فرار إلى الحبيب، وعجلة وتعجل لنيل وصله ورضاه.

أول باب محبة الله تعالى: حبّ الأدلاء عليه، وهم وسائطه بينه وبين خلقه، لأن حبهم وموالاتهم وإتباعهم عائد إليه تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله".⁽¹²⁾

ولما كان الله متعالياً مرتفعاً ومحتجباً عن خلقه بخلق، كانت العلة من إرسال وتعيين الأئمة وإيتاء الحكمة وفصل الخطاب لمن ارتضى من أوليائه، أمر لسائر البشر بإتباع الهداة واقتفاء أثر النقاة بواسطة السفير الأعظم، والرسول الأكرم، ومن خلال

الافتداء والإتباع والطاعة، تفتتح على القلب فسخ المعرفة والحب، وتنتشر في أرجائه عبق العشق الإلهي، كلما انغمس السالك في بحر إراكه، فهو أول العرفين لذاته المقدسة، وقبه منها وانجذابه لها يبين الحظوة، ويبرز المكانة التي لا يدانيها ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله أول العرفين بالله، لما تمكن من العروج إليه والقرب منه. بذل الحب له حتى خلس لذاته المقدسة، فصار حبيبا لها. إن الذين يقولون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر كسائر الناس، تأويلا خاطئا لظاهر الآية الكريمة: " قل إنما أنا بشر مثلكم". قد استدلوا بكلمة حق رأوا بها باطلا من حيث لا يعلمون، ذلك أن المعنى الذي قصدته الآية يتجه إلى جنس النبي صلى الله عليه وآله، وكونه من البشر، وفي ذلك إشارة إلى المرتبة الرفيعة التي تتسمها، وليس إلى الاعتقاد بأنه بشر يخطئ ويصيب مما يستوجب نفي العصمة عنه وعن سائر الرسل عليهم السلام، ولعل الاستكراكات التي جاءت بها الآيات على لسان المشركين والمنافقين والكافرين، والتي نقول أنهم لم يستسيغوا أن يرسل الله سبحانه وتعالى بشرا مثلهم ليهديهم إليه، لما يروه في أنفسهم من مفارقات واحتياجات بشرية تضعف الجانب الرسالي للور الموكل إليه في تصورهم، لجهلهم بالإعداد الإلهي لذلك البشر وتهينته تعليما وإرشادا وتسديدا وتأبيدا وحفظا، ليقوم بدوره على أكمل وجه، لذلك فانك تراهم يعجبون ويستكثرون ويصدون عنه صدودا.

قال الله تعالى: " ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودنا فكفروا وتولوا.." (13)

وقال أيضا: " وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشوارسولا. قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا". (14)

وقال أيضا: " وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون. ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون". (15)

فلا معنى إذا من ذلك التصنيف، غير قصور المشركين ومن يعتقد فكوتهم، عن فهم مقام النبوة، ولم يكن الودّ الوآني على ذلك لإزياة في الإعجاز، وسنة الإلهية في رسال الرسل إلى المخلوقات بحسب أجناسهم.

صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وآله بشر مثلنا، يأكل كما نأكل وينام كما ننام ويولد ويتزوج ويولد ويمرض ويموت، ولكنه غيرنا في السووة والسلوك، حتى الطينة التي خلق منها المولى سبحانه وتعالى رسوله الأعظم وآله الطاهرين عليهم السلام، مخصوصة مخزونة عن طين بقية الخلق.

عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله عز وجل مطيعا، يسبح لله ذلك النور ويقده قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه، فلم يزل في شيء واحد حتى افترقا في صلب عبد الطلب، فجزء أنا وجزء علي". (16)

فكيف يسقوي هذا النداء وذلك الادعاء، قال تعالى: "وما يسقوي العمى والبصير. ولا الظلومات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور. وما يسقوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور". (17)

ومحبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله توجب بل تحتم علينا تقريه عن كل شبهة ونقيصة، كدعوى من ينتسب إلى

سنته بنسبة بعض النفاص له كذبا وبهتاناً وجهلاً وهذياناً، ويرفعون بعد ذلك لافتة حبه وشعار مودته، وهما بعيدتان عنهم بعد المشوقين، وإلا كيف تنسجم محبتهم له صلى الله عليه وآله مع ما أخرجه في كتب رواياتهم من كون خاتم الأنبياء والموسلين يصدر عنه ما يستحي منه أقل المخلوقات، كالتبول واقفاً، ولتكاب المحرمات كإتيان الحائض، وقول الكفر، وغير ذلك مما يطول بنا المقام فيه، وأخوها نسبة العبوس والتولي إليه في سورة عبس، رغم أن الآية لم تكن موجهة للرسول صلى الله عليه وآله وأله بأي حال، لأن ضمورها مبني للمجهول، ولم تجر عادة خطاب المولى سبحانه وتعالى، لوسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك النحو، بل كان يوجه إليه كلامه دائماً بضمير المخاطب، ولم يخاطبه باسمه، بل كان يناديه بصفته إكروما له.

أما العبوس والتولي، فلم تكن من صفاته صلى الله عليه وآله، ولم يؤثر عنه أنه عبس في وجه أحد أو تولى عنه، حتى لو لم يحدث أمر بتجنب ذلك، لأن الله تعالى أدبه فأحسن تأديبه، كما يقول صلى الله عليه وآله، ولأن المولى سبحانه وتعالى أمره قبل نزول سورة عبس أن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وبالإعاض عن المشركين، ولو قدر أن فعل كما قالوا، لكان ذلك مخالفة لأوامر مولاه، مع ما اتصف به أخلاق رفيعة، وعفة نفس وتوكية القرآن الكريم لذلك بقوله: "وإنك لعلى خلق عظيم" وقوله: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم".⁽¹⁸⁾

فتعظيم خلقه صلى الله عليه وآله من قبل المولى سبحانه وتعالى في الآية الأولى، وحرصه ورأفته ورحمته بالمؤمنين في الآية الثانية، ما يدحض دعوى العبوس والتولي اللذان هما من مسوئ الأخلاق، بل من صفات المنحرفين والجهلة، مثلما حدث القوان بشأن الوليد بن المغيرة فقال: "ثم عبس وبسر".⁽¹⁹⁾

ويستمر خط إصاق الموبقات بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله في المضي قدما بما يحتفظ به من روايات موضوعة رافضا التخلي عنها بدعوى أن من نقلها قد مؤها من آلاف الأحاديث الصحيحة، حتى تولدت فيهم عقلية قبول صدور الذنب من النبي صلى الله عليه وآله ورفضه من الصحابي، لذلك تاهم يقبلون إصاق هذه التهمة دون بيبة برسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يقبلون النص الصريح في نزول الآية بعثمان بن عفان، الذي عبس وتولى عندما جلس بجنبه ابن أم مكتوم، تقفوا وتأففا منه، وإصاق النقيصة بالمصطفى صلى الله عليه وآله ليست من علامات المعرفة والحب، لان المحب عادة ما يكون غيرا على حبيبه.

و تتويه الأنبياء والرسول والأوصياء عن ارتكاب المعاصي، واقتراف الجائر كبرها أو صغورها، عمدتها أو سهوها، واجب على كل موحد، لأن النوبة والإمامة مقامين جعلهما المولى سبحانه وتعالى ليكونا دليلين عليه ولا، وليقتبس الناس منهما أنوار المعرفة والقوب، وإشواق الحب والأنس، من دون شك فيما يصدر عنهم ثانياً، وأخيراً لأن الشك تعطيل لقبول الأوامر والنواهي، وانقطاع عن الإقتداء والاتباع، وإذا تعطلت الغاية من رسال الحجج على الخلق، وهي البلاغ والإنذار والهداية لم يستقم الدور، وذلك محال في حكمة المولى سبحانه وتعالى.

ثاني أبواب محبة الله سبحانه وتعالى حب أهل بيت النبوة، ومهبط الرسالة، ومقر الوحي، ومختلف الملائكة عليهم أفضل صلاة ورؤى تسليم، فلا دين لمن لم يتدين بحبهم، ولا ملاذ لمن غفل عن بيوتهم، ففي بيوتهم قول وحي الله على جدهم عليه

وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وفي أفنيتها كان صوت جويل عليه السلام ينطق بأيات ربهم. هم الذين قول بينهم الذكر، وهم المستحفظون عليه، سنة الله تعالى في الاصطفاء، ولن تجد لسنة تبديلا. وعندما استعاض رسول الله صلى الله عليه وآله أجر رسالته بمحبة أهل بيته، كما أمره المولى سبحانه وتعالى في الآية الكريمة: " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى" (20) ، لقد اجمع المفسرون انه لما قرئت هذه الآية تساءل من كان حاضرا من الصحابة". من الذين وجبت علينا مودتهم من أهل بيتك يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم علي وفاطمة وأبنائها" (21) لقد كان منتظرا من الأمة الإسلامية في كل عصر أن تمتثل لأمر الله تعالى في محبة أهل البيت عليهم السلام، لأنهم أهل لذلك، ولأن ذلك من الدين، وهذه المودة ليس كما يعتقد ويتدين به كثير من الناس، ويعتبرونها شفقة ورأفة، وإنما هي معرفة وحب والتزام واقتداء، يتلخص ذلك كله في طاعتهم عليهم السلام.

وقد حض الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على محبة آل الكرام في أحاديث كثيرة، نختصر منها ما تقوم به البيعة، وتستبين به سبيل الولاء لهم، فقد قال صلى الله عليه وآله: "أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة، المكوم لثريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي في أمرهم، والمحبذ لهم بقلبه ولسانه". (22)

وقال صلى الله عليه وآله أيضا: "الحسنة كل الحسنة حبنا أهل البيت، والسيئة بغضنا". (23)

وقال صلى الله عليه وآله أيضا: " فاطمة مهجة قلبي، وأبنائها ثروة فؤادي، وبعلمها نور بصوري، والأئمة من ولدها أمناء ربي، حبل ممدود بينه وبين خلقه، من اعتصم بهم نجا ومن تخلف عنهم هوى". (24) وقال صلى الله عليه وآله أيضا: " من أحبني وأحب هاذين وأباهما، كان معي في لوجتي يوم القيامة" (25)

وقال صلى الله عليه وآله أيضا: "إنما يحب محمد الله، وإنما يحب آل محمد لمحمد، فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر". (26) وقال أمير المؤمنين عليه السلام: " لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على إن يبغضني ما ابغضني، ولو صببت الدنيا على منافق يحبني ما أحبني، ذلك أنه قضي فانقضى على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله انه لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق" (27)

الدين كل الدين ليس إلا توليا وتوريا، توليا لأولياء الله، وما يستوجب ذلك من المعرفة والحب والافتداء والإتباع والنصرة والمؤازرة، وتوريا من أعدائه وما يستوجب ذلك من معرفتهم وبغضهم ومقاطعتهم ومنالوتهم وحربهم. وان كنت من أهل الدين، فابحث داخل قلبك عن التولي والتوري، فان وجدت لهما مكانا فانك على خير، وان لم تجد أحدهما فانك تتلجج بين طريقي الهداية والغواية، وإن لم تجد كليهما فكبر على دينك وعموك الذين ضيعتهما خمسا.

واعلم أنه ليس في بيوتات الإسلام، ولا في بيوتات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، أفضل من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبيت علي عليه السلام.

وحادثة سدّ أبواب الصحابة إلا باب علي عليه السلام، إشارة لطيفة إلى أنه الباب الوحيد الذي لا بد للمسلم أن يورد للدين منه بعد النبي صلى الله عليه وآله، وبيان لقوله تعالى: "ليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت

من أوبها واتقوا الله لعلمكم تفلحون"

وكل من لم يرد باب الإمام علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، فقد أتى الإسلام من ظهوه، ومن أتاه من غير وجهته، فلن يصيب شيئا. ولو لم تكن محبتهم فريضة جاء بها الدين، لكان من باب المروءة ورد الجميل أن نحبهم وننوب في ودهم، لأنهم معدن الرسول وأصله، وبقيته في أمته، والمستحفظون على رسالته. تقدموا علينا إسلاما وإيمانا، وعلماء وعملا، ونسبا وكرامة، وخلقاً وخلقاً، والتاريخ والسورة النبوية يشهدان أن عليا عليه السلام لم يتقدم عليه أحد من الصحابة، بل كان قائدهم ورئيسهم، ولم يكن لواء الحمد إلا معه. ومن أخطونا النبي صلى الله عليه وآله أنه صاحب لوائه يوم القيامة، أفلا يكون تأخوه عن مكانته انقلابا، وعنوان كراهية وبغض؟ وان عجبت يوما من شيء، فأعجب من أمة تركت قائدها الشوعي، وحاكمها الأولى، لتسير وراء جندي فاشل من جنوده، فمن حنين وأحد وإنهم في خبير شر هزيمة، ولم يذكر له ولصاحبه قتيلًا واحدا في المعرك التي خاضها النبي صلى الله عليه وآله.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " أنا سيد من خلق الله عز وجل، وأنا خير من جبريل وميكائيل واسرافيل وحملة العرش، وجميع ملائكة الله المقويين، وأنبياء الله المرسلين، وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف، وأنا وعلي أبوا هذه الأمة، من عرفنا فقد عرف الله، ومن أنكرنا فقد أنكر الله، ومن علي سبطا أمتي سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ومن ولد الحسين أئمة تسعة، طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي تاسعهم قائدهم ومهديهم ⁽²⁹⁾ عن الصادق عليه السلام قال: " إن الله خلقنا من نور عظمته، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقا وبشرا نورانيين، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا" ⁽³⁰⁾ .

وكما كنت أسلفت القول في بداية بحثي، بأن الحب يستوجب تتاعما بين المحب وحببيه، ونتيجة بوجها عاجلا أو آجلا، كما في الحديث الشريف: " يحشر المرء مع من أحب" ⁽³¹⁾ .
وقد قال أحدهم في مدح أهل البيت عليهم السلام:

فرض من الله في القآن أتوله

حبكم آل بيت رسول الله

⁽³²⁾ من لم يصل عليكم لا صلاة له

يكفيكم من عظيم القدر أنكم

فكيف يدعي مدّع حب أهل البيت عليهم السلام، ولا يظهر منه ما يدل على ذلك؟ أم كيف ينتسب للإسلام من قال أنا أولى بأهل البيت، ثم زاه لا يرد حياضهم حتى على سبيل التطلع إلى آثار الحبيب، إذا كان هناك حبيب من الأساس؟ بل لعله يستقي دينه عمّن ناصب لهم العدا، وحربهم وقتلهم من حيث يوري أو لا يوري. ولو قدر للحيرّ المؤمن الذي يفصله عن صفين، أو الجمل، أو النهروان، أو كوبلاء، أو غوها من حروب ومحن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام أن ينحسر، لوجد الواهم نفسه مع أصحاب السقيفة، الأساس الأول للظلم المسلط على أهل البيت عليهم السلام، وما أفرز من انحرافات وانتهاكات كادت تذهب

بالدين من جنوره، وكان كلما تقدم في الزمن منتقلا بين طاعة ظالم، أو طليق منافق، أو خرجي منحرف عن الحق.

المحبة ليس لها معان أو مفاهيم عديدة حتى نتردد في أدائها، فأنت عندما تحب الله سبحانه وتعالى، لا بد أن تستجيب لكل أوامره ونواهيه، وتطيع أهل وه، وأنت عندما تحب رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله، لا بد أن تقدمه على كل شيء حتى نفسك، كما قال المولى تعالى: " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم".⁽³³⁾

وقد جاء في كتب الحديث المعتمدة، أن عمر بن الخطاب جاء للنبي صلى الله عليه وآله فقال: والذي نفسي بيده لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي التي بين جنبي. فقال رسول الله (ص) لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه. فقال عمر: لأنت أحب إلي من نفسي. فقال رسول الله (ص): " الآن يا عمر؟ " ⁽³⁴⁾ استنكروا ولوما، وليس إلى ما ذهب إليه من

أعماء حب ذلك الرجل إلى تفسير قول رسول الله صلى الله عليه وآله، أي الآن كمل إيمانك. ولا ترى عاقلا مبركا للحب ومعانيه وآثره يؤمن بأن قناعة عمر بتقديم نفسه على النبي لا يمكن أن تتغير فجأة وبدون مقدمات. وقد كشفت الرواية عن زعة الرجل الميالة إلى الاستكبار حتى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كان تغره الذي ذهب إليه هؤلاء العميان صحيحا، لكان له موقف آخر في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في أخريات حياته الشريفة، وفي موضه الذي توفي منه، عوض التعرض له ومنعه من كتابة وصيته، وادعؤه بأن النبي صلى الله عليه وآله يهجر، وموقفه من موت النبي صلى الله عليه وآله كان موبيا بحيث زعم بأنه لم يمت، وحتى بعد أن استقدم صاحبه في السقيفة لم يتغير في شيء، ولم يظهر منه حزن ولا نرف دمعة، ولا شهد دفنه صلى الله عليه وآله، ثم كان منه ما كان بشأن موث النبي، ومداهمته لبيت فاطمة سيدة نساء العالمين عليها السلام، فعن أي حب يتحدث هؤلاء؟ تلك نماذج من أصحابهم، تكشف عن زيف ما يفترونه.

أنت عندما تحب رسول الله صلى الله عليه وآله، تسعى جهدك للتأسي به والاقتراء بشخصه، فضلا عن توقره، ووضع موضعا أسمى من النفس، وأنت عندما تحب عليا وفاطمة والحسن والحسين، فإن ذلك الحب فيض من حب رسول الله صلى الله عليه وآله، وامتداد له، يحتم عليك أن تتبع آثرهم، وتتخلق بأخلاقهم، وتنهل من علومهم، لأنها من آثار وأخلاق وعلوم رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم لا بد للمحب أن يكون مع محبوبه في الخير والشر، والحزن والفرح، لأن من نحبهم أولياء الله وأحباءه، أحياء عند الله تعالى يرزقون، الشهداء على الخلق يوم القيامة وفوحك أيام مواليدهم وأيام أواحهم التي هي أيام الله تعالى من مستزمات حبههم ومودتهم، وحزنك عند شهادتهم ووفاياتهم، وفي كل حزن أصابهم، هو أيضا من مستزمات ذلك الحب والطرف الذي لا يشرك الطرف الآخر أحاسيسه أيا كانت، فانه لا يعتبر محبا كما لا يكون الطرف الآخر قابلا للحب.

ولا يكون الحب ذا قيمة ومعنى إلا إذا فاض على الجراح من القلب ولاء وتعلقا، فوح شيعه آل محمد لوح آل محمد، وحزنهم لأخوان ومصائب آل محمد من مستزمات الحب الحقيقي، ونتيجة طبيعية لذلك التعلق والولاء، والمحب الذي لا يأبه لذلك لا يعتبر محبا، وإنما هو متوهم للحال، أو كاذب مدع لما لا وجود له في قلبه.

والدعوى التي تظهر من حين لآخر، مستنكرة ظاهرة الحزن والغواء على مقتل الأوار من آل محمد صلى الله عليهم،

والاستوار على ذلك التتديد والاستهجان لا يخلو من جهل بحال تلك الظاهرة وعدم إواك لها، وهي من الخطورة بما كان، ومدعاة لانسلاخ المسلم عن عقيدته، تماما كما تنسلخ المحبة عند جفائها من قلوب أصحابها.

وشخص في مقام الإمام الحسين عليه السلام، ومن معه من الأطهار من أهل بيته والنجباء من صحابته، غير خاف على كل موحد، وكيف يخفى سيد شباب أهل الجنة، وريحانة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وابنه وقوة عينه وشبيهه، وحرأة المسلمين من أبناء الصحابة في ذلك العصر، وإقدامهم على قتل الطاهرين عليهم السلام، من قول في خصوصهم أمر محبتهم ومودتهم، هو في حقيقته قتل للنبي صلى الله عليه وآله، ومحق للدين وحرأة على الله تعالى لا قولها حرأة. إن أي مسلم لم يستوجع ألم تلك المحن، وخصوصا فاجعة كربلاء ومقتل الأطهار فيها، ولم تحزنه تلك الفاجعة حزنا يفيض من القلب إلى العين دموعا فلواجع نفسه لأن في قلبه خلل لا بد من تدلكه قبل فوات الأوان.

ومن المسلمين اليوم من يتعلل بأن الحادثة قد مر عليها أربعة عشر قرنا، عفا الدهر عنها، ومن المبالغة الاستوار على ذلك النحو وتلك الوترة من إحياء لمواسمها، هروبا وتتصلا وجهلا، دون الالتفات إلى أن كل جيل من المسلمين موتهن بتكليفه، ومحبة آل الرسول صلى الله عليه وآله ومودتهم تقتضي ذلك. وقد وجب علي أنا واحد من هذا الجيل أن أقدم الله تعالى امتثالا لأمره في مودة قوبى النبي، وان استجيب للرسول في دعاني إليه من محبة علي وفاطمة والحسن والحسين وبقية نريته الطاهرة، فافوح لوفهم واحزن لحزنهم ن طالما أن ذلك هو تكليفي الآن ودليلي الذي أقدمه لسلسلة الولاية بأنتي من أعباء الله تعالى وأعباء أوليائه، ولو قدر أن أكون في عصوه لما تخلفت عنه ولكنك من المستشهادين بين يديه.

ويأتي أناس ممن ينتسب للإسلام، ويدعون حب أهل البيت عليهم السلام، يستكثرون البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، والرسول الكرم صلى الله عليه وآله يقول: " من بكى على الحسين في محنته يوم عاشوراء كان معه في لوجته يوم القيامة".⁽³⁵⁾ ن وقد كان النبي صلى الله عليه وآله أول الباكين، عندما أنبأه جويل عليه السلام بأن أمته ستقتل ابنه الحسين، وكان بكاءه شديدا وتكرر كلما رأى الحسين عليه السلام، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد بكى عليه قبل شهادته عليه السلام بعشوات السنين، وهو أمامه حي يبرق ينعم بملاطفته ومداعبته، فكيف لا نبكي عليه نحن بعد شهادته استيفاء للمودة التي تعدل أجر الرسالة. كما أننا نبكي في الحسين المثال المجسد للإسلام بكل أبعاده وتفصيله والقوة العظيمة التي غيبتها الظلم عن مجتمع إسلامي لا يبرك معنى المثال والقوة، رضي أن ينخوط في حزب عبيد الدنيا، وانطفأت المثل عنده، فلم يبق لديه غير موالاة الظالمين.

والإمام الحسين عليه السلام غير محتاج لبكائنا عليه، بل نحن المتحاجون لمزيد من الدوع والعاطفة حتى تتطهر قلوبنا، وتصفو وتزوي عن الدنيا، لأن قاتلي الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه كانوا عبيدا للدنيا، وأصحاب مصلحة آنية، لا نظر لهم غير البهلج والؤخرف والمتاع الفاني، في حين كان أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام يريد إصلاح ما أفسده المفسدون في دين جده المصطفى صلى الله عليه وآله. وإذا لم نبك على مثال كريم وإمام عظيم مثل الإمام الحسين عليه السلام، فهل ترى قلوبنا تبكي على الحق وهو ينقطع، والدين الخاتم وهو ينحسر مفاهيمها وقيما صافية من تفاصيل حياة

البكاء على الإمام الحسين عليه السلام تربية وتوطين للقلب والنفس على الشعور والإحساس بما تربطنا به وأصر الدين ووشائج القربى، وباقي بني البشر الذين لا حول لهم ولا قوة لا بالله، حتى الحيوان الذي لا يعي من الدنيا شيئاً غير ما يحصله في بطنه وفوجه وما أدعه الله تعالى فيه من ذكر وتوحيد مطالبون بالإحساس به والشعور بما يعتريه كما قال الشاعر:

عش بالشعور وللشعور فإنما دنياك كون عواطف وشعور
شيدت على العطف العميق وإنها لتجف لو شيدت على التفكير (36)

وإذا كان يعقوب نبي الله عليه السلام قد بكى على فواق ابنه يوسف عليه السلام حتى ابيضت عيناه (عمي) وهو يعلم يقينا أنه لم يمت أفلا نبكي لحل على جريمة بشعة في حق نرية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومواساة له، وحرنا معه، وتغوية ومساندة لأهل البيت عليهم السلام، بأبسط ما يمكن أن يقدمه موال لهم وهو الحزن والدوع، ولو كان في اليد حيلة لفديناهم بأرواحنا، فمعكم سادتي معكم، لا مع أعدائكم ولا مع الجاهلين لحقكم ومكانتكم، وإذا كانت هناك كرامة من الله علينا نحن محبوا وشيعة أهل البيت عليهم السلام فهي محبتكم ومودتكم.

ثالث أبواب محبة الله تعالى هو حب العلماء، وطاعة العارفين والفقهاء، واتباع نصائحهم وإرشاداتهم، لأنهم أمناء الله تعالى على شريعته، والأدلاء على هدي وسائطه، أتولهم متزلزلاتهم، وأعطاهم المكانة التي تؤهلهم للإشراف وقيادة الأمة في غيبة المعصوم عليه السلام. ضربوا لنا أمثلة عدة على مر التاريخ في الحزم والعلم والتقوى، وكانوا بحق نماذج، يؤخذ بها ويرجع إليها، تمسكا من التلة المؤمنة بناصية الحق، وتطبيقا لأمره عليه السلام الذي قال فيه: " فأما من كان من فقهاءنا، صائنا لنفسه حافظا لدينه، مخالفا لهواه، متبعا لأمر هواله فللعوام أن يقلوه". فكان من الواجب على كل مؤمن ومؤمنة، أن يسولع إلى الأخذ بفتوى من يرونه الأعلم والأعدل من راجع الأمة الكوام.

على أنه ظهر في العصر الحديث ما قد يغير من ذلك التصور الصحيح، إلى واقع آخر أصح منه، وأكثر حجة، وهو اتباع ولاية الفقيه، التي جاء بها الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس سوه الشريف، استنادا إلى مضامين الروايات التي تؤكد على ضرورة تقليد واتباع الفقيه العادل، وباننتصار الثورة الإسلامية المبركة في إوان على يد ذلك المصلح العظيم، وجد المؤمنون أنفسهم أمام واقع جديد، وحقيقة تقول: إن خط الفقاها لا بد له من أن يأخذ بتفاصيل الحياة من الناحيتين التشريعية والتنفيذية، ويضع يده على زمام القيادة التي كانت بعيدة عن متناوله في العصور القديمة. فكان لمفجر أعظم ثورة إسلامية عرفها التاريخ أن أعاد الاعتبار للفقيه الأولى والأعلم والأقدر على قيادة الأمة، في أن يباشر مهمته التي أبعد عنها قرون طويلة، كما أبعد أصحابها الحقيقيون من أئمة أهل البيت عليهم السلام، تكريسا لدعوى فصل الدين عن الحياة.

وقد ذكر الله تعالى العلماء في كتابه فأثنى على الصالحين منهم.

قال تعالى: "وما يعقلها إلا العالمون".

وقال أيضا: "هل يسوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون".⁽³⁸⁾

وقال كذلك: "رفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات".⁽³⁹⁾

وأمة بلا علماء يمزوهم العمل بما علموا، ليكونوا للناس مثلا وقوة يحتذى بها، لا تسوي شيئا في معادلة تمييز الأمم، وحري بها أن تبقى أبد الدهر بعيدة عن الفهم والمعرفة والتطور، تتقاذفها أمواج الفتن والجهل، وتفنك بأوصالها صيحات العصية ونعيق الجاهلية. فلا شيء أعود على الأمم من إتباع العلماء العذول وأخذ الفقه عنهم، وطاعتهم وموالاتهم، لأنهم ورثة الحق جل جلاله، وحملة شريعته من بعد أهل العصمة من أنبياء وأئمة هداة.

قال الإمام الباقر عليه السلام: "عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد".⁽⁴⁰⁾

وقد حث الأئمة الهداة عليهم السلام على اتباع عدد من تلامذتهم لما لمسوه من كفاءتهم، وتأسيسا للرجعية في المستقبل، فكانوا يأمرهم أتباعهم بالعودة في المسائل إلى شخصيات ذكروها بالاسم، فحكم أولئك وفق تعاليم الأئمة عليهم السلام، ورضوا بما كانوا ويفتون به.

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلوا العلم في مظانه، واقتبسوا من أهله، فإن تعلمه لله حسنة، وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدث في الخوة، والدليل على السواء والضواء، والسلاح على الأعداء، والزين عند الأخلاء يرفع الله به أرواما ويجعلهم في الخير قادة، تقتبس آثرهم، ويقتدى بأفعالهم، وينتهي إلى رآئهم، تَرغب الملائكة في خلتهم، وبأجنتها تمسحهم، وفي صلاتها تبرك عليهم، ويستغفر لهم كل رطب ويابس، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه".⁽⁴¹⁾

فمقام العالم خطير في الأمة إذ به يعرف الحق، ويجتنب الباطل، ويعبد الله تعالى بواسطة حق عبادته. به تتم خصائص الحكومة، وإليه ينتهي مقامها، لأن كل شريعة لا تقوأ حسابا لقيادة تكون من جنسها، لا يمكنها أن تحافظ على نقاء تفاصيلها، ولا تجزؤه في الناس.

إذا يمكن الخلوص إلى أن خطو لاية الفقيه ليس بدعا من القول، وإنما هو تجسيد للإمامة العادلة من ناحية، وامتداد لحركة الإمامة المعصومة من ناحية أخرى، به يجمع أمر الأمة، ويتوحد صفها، وهي أحزم في أمر الأمن من الفرقة والاختلاف.

رابع أبواب محبة الله تعالى هو حب أوليائه وشيعته، لأن أساس الدين الحب في الله والبغض في الله، كما في حديث أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: "كل من لم يحب في الدين، ولم يبغض في الدين، فلا دين له".⁽⁴²⁾

لذلك بني الدين، وعلى ذلك الأساس قامت دعائمه، فأنت عندما تسعى لنيل حب الله تعالى، قد حددت وجهتك لأنه أصل كل حب، وأهل كل حب، وإليه ينتهي مصير كل حب. ولأن حبك إياه انغماس في رضاه، ولجوء إلى كهف عظمته، وتمسك

بأوصار سومديته، وتفعل كل ما في وسعك من أجل أن تأخذ بوجه وقوبه، ولا يكون ذلك إلا باقتفاء سبيل أحبائه من أنبياء ورسول وأوصياء وعلماء ومؤمنين، لذلك عليك أن تسلك مسلك محمد وعلي، أو مسلك علي ومحمد لا فوق في التقديم والتأخير لأنهما نفس واحدة، ونور واحد، وان لا ترى شيئاً إلا ويكون الله تعالى قبله وفيه وبعده، كما صوح بذلك أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: " أي عوى الإيمان أوثق؟ فقالوا الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: " الصلاة". وقال بعضهم: " الزكاة". وقال بعضهم: " الصيام". وقال بعضهم: " الحج لله والعبادة". وقال بعضهم: " الجهاد". فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: " لكل ما قلتم فضل، وليس به، ولكن أوثق عوى الإيمان، الحب في الله والبغض في الله، وتولي أولياء الله، والتوي من أعداء الله".⁽⁴³⁾

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: " إذا جمع الله الأولين الآخرين، قام مناد فنادى يسمع الناس، فيقول: " أين المتحابون في الله. قال فيقوم عنق من الناس، فيقال لهم أدخلوا إلى الجنة بغير حساب. فنتلقاهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون إلى الجنة بغير حساب. قال فيقولون فأبي حزب أنتم من الناس؟ فيقولون نحن المتحابون في الله، قال: فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله، ونبغض في الله. قال: فيقولون: نعم أجر العاملين.⁽⁴⁴⁾
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: " ما التقى مؤمنان قط إلا كان أفضلهما، أشدهما حبا لأخيه".⁽⁴⁵⁾

فلا تغنك كثرة صلاة الوء، ولا صيامه ولا بقرية مناسكه، طالما لم ينعكس ذلك على سلوكه ليفيض على المؤمنين تواضعاً وذلّة وصلّة ولو بالقليل، وعلى الناس سماحة ورحمة، لأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله رحمة الله تعالى المهداة إلى البشرية، كان أول المبارزين إلى مكرم الأخلاق، والساعين إلى خدمة المؤمنين وتأليف الناس، ورسالته الخاتمة جاءت لتؤكد على معاني الرحمة والأخوة في الله تعالى، لأننا وبكل بساطة منه وله واليه. ومن لم تسكن في نفسه الرحمة، ولم تزين أعطاف حركاته مكرم الأخلاق، فليس من الدين في شيء، ولن تقوم للدين قائمة طالما أن أهله متباعدون عن حقوق بعضهم، متنافرون عن المحبة والود الذي يميز الظاهرة الإسلامية الحقّة.

وقد روى معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له: " ما حق المسلم على المسلم، قال: سبع حقوق وواجبات ما منهن حق إلا وهو عليه واجب إن ضيع منها حقاً خرج من ولاية الله تعالى وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب. قلت جعلت فداك ما هي؟ قال: " يا معلى إني عليك شفيق، أخاف أن تضيع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل. قال قلت له: لا قوة إلا بالله. قال: " أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكوه له ما تكوه لنفسك.

والحق الثاني أن تتجنب سخطه، وتتبع مواضاته وتطيع أمره.

والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

والحق الرابع أن تكون يمينه ودليله وموآته.

والحق الخامس أن لا تشبع ويوع، ولا تروى ويظماً، ولا تلبس ويوعى.

والحق السادس أن يكون لك خادم، وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه، ويصنع طعامه، ويمهد فؤاده.
والحق السابع أن تبر قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنزته، وإذا علمت أن له حاجة، تباروه إلى قضائه، ولا تلجئه إلى أن يسألكها، ولكن تباروه مباورة.

(46)

فان فعلت ذلك وصلت ولايتك ولايته، وولايته ولايتك.

وعن أبان بن تغلب قال: كنت أطوف مع أبي عبد الله عليه السلام، فعرض لي رجل من أصحابنا، كان سألني الذهاب معه في حاجة، فأشار إلي، فكهت أن أدع أبا عبد الله عليه السلام وأذهب إليه، فبين أنا أطوف إذ أشار إلي أيضا، فآه أبو عبد الله عليه السلام، فقال: "يا أبان إياك يريد هذا؟ قلت: نعم. قال: فمن هو؟ قلت: رجل من أصحابنا. قال: هو على ما أنت عليه؟ قلت: نعم. قال: فإذهب إليه. قلت: وأقطع الطواف؟ قال: نعم. قلت: وان كان طواف الفريضة؟ قال: نعم. فذهبت معه، ثم دخلت عليه فسألته فقلت: أخبرني عن حق المؤمن على المؤمن؟ فقال عليه السلام: يا أبان أدعه لا توده. قلت: بلى جعلت فداك، قال: يا أبان لا توده. قلت بلى جعلت فداك، فلم رُل رُده عليه، فقال: يا أبان تقاسمه شطر مالك، ثم نظر إلي فوأي ما دخلني، فقال: يا أبان أما تعلم أن الله تعالى قد ذكر المؤمنين على أنفسهم قلت: بلى جعلت فداك فقال: أما إذا أنت قاسمته فلم تؤؤه بعد، إنما أنت وهو سواء، إنما تؤؤه إذا أنت أعطيته من النصف الآخر.

(47)

لقد دأب الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام، على تربية شيعتهم وفق المنهاج المحمدي صلى الله عليه وآله، فجاءت علومهم عنه مستشرفة قمم الآداب، موفوفة في أجواء مكرم الأخلاق، غائصة في عمق تعاليم القرآن الكريم، لم تتطرق ألسنتهم إلا صوابا وحكمة، ولم تأت آثرهم إلا يمينا وبركة، ولم تقض علومهم على الخلق إلا هدى ورحمة، لذلك فإنهم لم يصحوا في حياتهم غير الوهاد والعباد، من تلامذتهم الذين تخرجوا على أيديهم، علموهم فتعلموا وبصروهم فأبصروا، لم يركتوا إلى ظالم أبدا، وكانت سرائرهم كعلانياته بيضاء نقية، طاهرة زكية، وكان يزنيهم ويفوحهم أن يألفهم الموالي ويألفوه، ويتبع خطاهم ويفتدي بهداهم، ويحزنهم أن ينتسب إليهم من يشينهم ويضعهم موضعا لا يرغبونه، فكانوا بعد اليأس منه يتبرؤون، والى الله تعالى يلجئون، فتألفهم الموالي والمخالف، وتقرب منهم القاصي والداني، طمعا في الحكمة والنصيحة، وأخذوا بالأحاديث الصحيحة عن النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، وطاعة لله يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وقد وصف علم الهدى ومصباح الدجى، السيد المرتضى عليه السلام، أولياء الله وأحباءه في خطبة بليغة قال فيها: "أما بعد، فإن الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم، آما من معصيتهم، لأنه لا تضوه معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه، فقسم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منقطعهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيمهم التواضع، غضوا أبصرهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسمعهم على العلم النافع لهم، تولت أنفسهم منهم في البلاء كالتى تولت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب لهم، لما استنوت أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن رآها، فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن رآها، فهم فيها معذبون، قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة،

وأنفسهم عفيفة، صبروا أياما قصوة، أعقبتهم راحة طويلة، تجلة مريحة يسوها لهم ربهم، رأدتهم الدنيا، فلم يربوها، وأسرتهم ففوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القآن، يرتلون توتيلًا، ويحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به نواء دائهم، فإذا مروا بأية فيها تشويق ركعوا إليها طمعا، وتطلعت أنفسهم إليها شوقا وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بأية فيها تخويف، أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم، واكفهم وركبهم، وأطواف أقدامهم، يطلبون من الله تعالى فكاف رقابهم، وأما النهار فحلمااء علماء أوار أنقياء، قد واهم الخوف وي القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مريض، وما بالقوم من مرض، ويقول قد خولطوا، ولقد خالطهم أمر عظيم، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذ اركى أحدهم خاف مما يقال له، فيقول أنا اعلم بنفسي من غوي، وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون. فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزما في لين، وإيمانا في يقين، وحوصا في علم، وعلما في حلم، وقصدا في غنى، وخشوعا في عبادة، وتجملا في فاقة، وصوا في شدة، وطلبا في حلال، ونشاطا في هدى، وتحرجا عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسى وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يبيت حزا، ويصبح فوحا، حزا لما حذر من الغفلة، وفوحا بما أصاب من الفضل والرحمة، إن استعصت عليه نفسه فيما تكوه لم يعطها سؤلها فيما تحب، قوة عينه فيما لا يزول وزهاده فيما لا يبقى، يزوج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، زاه قريبا أمله، قليلا لله خاشعا قلبه، قانعة نفسه، متزورا أكله، سهلا أمره، حرزا دينه، مية شهوته، مكظوما غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين، يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيدا فحشه، لينا قوله، غائبا منكوه، حاضوا معروفه، مقبلا خوه، مدوا شوه، في لؤلؤل وقور، وفي المكلاه صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يأنم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكر، ولا يناز بالألقاب، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق، إن صمت لم يغمه صمته، وإن ضحك لم يعل صوته، وإن بغي عليه صبر، حتى يكون الله هو الذي ينتقم له، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، رآح الناس من نفسه، بعده عن تباعد عنه زهد وزاهة، ودوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة".⁽⁴⁸⁾

أولئك هم المؤمنون حقا، والمقربون إلى الله تعالى صدقا، قنوا أنفسهم بأوامره وأحكامه، والتزموا بمنهج كتابه، بلغوا من القرب والولفى ما أعطاهم لديه الكرامة والتقى، يطلبون فيعطون ويسألون فيجابون، مصداق حديثهم عليهم الصلاة والسلام: " إن الله تعالى خلق خلقا من رحمته ورحمته لرحمته، هم الذين يقضون حوائج الناس، فمن شاء منكم أن يكون منهم فليكن."

ومحبة الله تعالى، ومحبة أحبائه وأوليائه، ليست شعرا أجرفا، ولا سوابزا ئفا وإنما هي اقتداء واتباع وتأس، عمل طبق العلم، فلا ينفع من ادعى حب علي عليه السلام، أهل بيته ما لم يكن سالكا نهجهم ومستنوا بأثرهم، كما لا ينفع من ادعى حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لم يأت أهل بيته عليهم السلام ويؤلاهم، ويأخذ دينه وسننه عنهم، كما في الحديث الذي

رواه جابر عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام حيث قال: " يا جابر أيكثفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخضع والأمانة، وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين، والتعهد للجوان من الفقاء وأهل المسكنة، والغلمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائهم في الأشياء. قال جابر فقلت: يا بن رسول الله ما نعرف اليوم أحدا بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول أحب عليا وأولاه، ثم لا يكون مع ذلك فعلا، فلو قال إني أحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوسول الله خير من علي، ثم لا يتبع سيرته، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئا، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله تعالى وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر ما يتقوب إلى الله تعالى إلا بالطاعة، ما معنا واءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعا فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو، ما تتال ولايتنا إلا بالعمل والرع." (49)

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: " شيعتنا ثلاثة أصناف، صنف يتزينون بنا وصنف يستأكلون بنا، وصنف منا والينا، يأمنون بأمننا، ويخافون بخوفنا، ليسوا بالبذر المذيعين، ولا بالجفاة الرائين، إن غابوا لم يفتقوا، وإن شهوا لم يؤبه لهم أولئك هم مصابيح الهدى." (50)

وفي قوله تعالى علامات دالة عليهم:

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * والذين يبنيون لربهم سجدا وقياما * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما * إنها ساءت مستقوا ومقاما * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما * * * * * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا ونزيبتنا قوة أعين واجعلنا للمتقين إماما * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقوا ومقاما. (51)

وبقدر ما جاءت النصوص دالة ومبينة لكل تفاصيل وخصائص الفود المؤمن، بقدر ما تبين بعد طول لأي وبحث عن من يملك تلك المواصفات أو بعضها، أن الباحث عن هؤلاء قد يطول به النوى فلا يحصل على مرغوبه، لأن الدنيا قد أسوت جل الناس، ولم يفتد منها غير القليل، فلنحرص على أن نكون نحن من أصحاب هذه الخصائص، لأن في التوأمنا مدعاة إلى الله تعالى كي يحقق وعده، ويتم كلمته، ويعلي رايته.

ختاما نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأداء ما علينا من الطاعات، ومراعاة حقوقه وحقوق وسائطه وأوليائه، وأن يطهر قلوبنا، وزهر ربيعها بحبه وحب من يحبه، حتى لا يكون لنا من الدنيا شيء إلا وهو متعلق به متم بحبه، ومخصوص له، وأن يباعد بيننا وبين أعدائه، ولا يجمعنا بهم في دنيا ولا آخرة، إلا إذا كانت جهادا لهم تحت راية هدى، إنه ولي التوفيق، وصلى الله على أفضل الخلق أجمعين محمد الأمين، وآله الأوار الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

- 1- متفق عليه
- 2- متفق عليه
- 3- الكافي ج 3 ص 423 الإعتلاج: المصلحة
- 4 - سورة الأعراف الآية: 67
- 5 - سورة عبس الآية 34/36
- 6 - سورة المائدة الآية 54
- 7- مسلم ج 7 ص 119
- 8 - مصباح الشريعة ص 196
- 9 - علل الشرائع ج 1 ص 57
- 10 - سورة الذريات الآية 50
- 11 - سورة طه الآية 84
- 12 - سورة آل عمران الآية 31
- 13 - سورة الإسراء الآية 94/95
- 14 - سورة الأنعام الآية 8/9
- 15 - سورة فاطر الآية 19/22
- 16 - الحقائق للكاشاني - المناقب لابن المغزلي ص 78 - كفاية الطالب ص 176
- 17 - سورة فاطر الآية
- 18 - سورة التوبة الآية 129 - سورة ن الآية 4
- 19 - سورة المدثر الآية 23
- 20 - سورة الشورى الآية 23 - الحديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور - ابن حجر في الصواعق
- 21- الصواعق لابن حجر ص 139 - الإتحاف ص 15
- 22 - أخرجه الترمذي في سننه
- 23- مجمع الهيتمي ج 9 ص 172
- 24 - الأوسط للطواني
- 25 - الأوسط للطواني
- 26- الحقائق ص 405 - إكمال الدين ص 261
- 27 - بصائر الدرجات ج 3 ص 40 - الحقائق ص 405

- 28 - سورة البقرة الآية 189
- 29- المحجة البيضاء - الكافي للكليني
- 30- المحجة البيضاء - الكافي للكليني
- 31- متفق عليه
- 32- شعر منسوب للشافعي
- 33 - سورة الأحزاب الآية 6
- 34- الكافي ج2ص127
- 35- مسند احمد ج5ص146- الكافي ج2 ص125
- 36- أبو القاسم الشابي - أغاني الحياة
- 37 - سورة العنكبوت آية 41
- 38 - سورة الزمر الآية 38
- 39 - سورة المجادلة الآية 11
- 40- جامع السعادات ج 1 ص 140
- 41- أصول الكافي ج 1 ص 130
- 42- الكافي ج2ص126 - الحقائق ص319
- 43- الكافي ج2 ص127 - الحقائق 319
- 44- المحجة البيضاء ج3ص292 الكافي ج2ص126
- 45- الكافي ج2ص171
- 46- المحجة البيضاء ج3ص354 - الكافي ج2ص169
- 47- المحجة البيضاء ج3ص356/357 - الكافي ج2ص171
- 48- نهج البلاغة ج2 ص160
- 49- الكافي ج2ص74
- 50- المحجة البيضاء ج4ص356
- 51 - سورة الفرقان الآيات: 63/68 و72/75



حاكمية الله أم حاكمية الناس

توطئة:

عندما بدأت أتعرف على الدين الإسلامي أحول فهم تعاليمه وتطبيق أواصره ونواهييه كان العامل الوراثي هو المحدد لخيراتي والمثبت لقناعاتي فسلكت طريقي بين مورثات عديدة لم افق على حقيقة انتمائها للدين إلا بعد أن إصطدمت بالواقع المعاش، وبحال الأمة كيف تودت إلى حضيض الأمم وأصبحت مطمع الطامعين. تساءلت يوم بدأت الشكوك تسلورني والظنون تتقاذفني لتلقي بي على ساحل من الأسئلة التي تبحث عن قوائنها من الأجوبة الشافية. لماذا هذا الضياع والانحطاط الأخلاقي والعلمي؟ لماذا أصبحت أغلبية الأمة غناء كغناء السبل؟ ما هي الأسباب التي أدت بصاحبة اعظم دين واكمل شريعة إلى أن يصبح حالها كقطيع شرد في ليلة مظلمة مطوة بلاراع وحام؟.

منذ بدأت اعي شيئا من السياسة كنت رى العرب المنتسبين إلى الإسلام بالاسم وحتى الذين يطبقون منه بعض الأحكام، يتقافرون مع كل صيحة ويتبعون اثر كل ناعق يستهويهم كل بهوج وتفتتهم كل زينة مذبذبين في ولاءاتهم متحيرين في حركاتهم، أي طريق يسلكون والى أي ركن يلجئون بعد ما تتفاوت روايات الحكومة وتباينت، كأنما أوغت شريعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من سياسة الناس؟ وخلت من منصب القيادة حتى انثال المسلمون على الأدعياء وسلخوا طريق الغرباء لمجرد شعرات زائفة وكلمات واقة ومظاهر خادعة؟ هل هو بسبب عجز الدين وقصوره بحيث لا يفي في مجموع تشريعاته بحاجة الناس؟ أم أن المسلمين هم الذين أفضوا بتقويتهم إلى هذه النتيجة من التودي والانحطاط؟

وجاء الجواب بحكم اطلاعي على أهم الأحداث التي شكلت واجهة تليخ الأمة ومحصل حالها، أن هذا الدين الخاتم ليس فيه ما يفيد العجز والقصور ولا يستشف من مجمل مفاهيمه غير الكمال والتمام فضلا عن شموليته وعالميته. فالمولى سبحانه وتعالى أفادنا في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعن طريق نبيه قائد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن الناس بان الإسلام الذي هو بشلة الأنبياء ورسالاته السابقة هو الدين الأوحد والقيم على كل دين وجوهه، فيه خلاصة التوحيد وصفوة الأحكام وعظمة الحاكمية. تضافت بيناته واستحكمت آياته فلم يجد أحد من أعدائه فيه مغزوة ولا ثلثة ولا نقيصة حتى يحكم الطعن، ولو كان غير ذلك لأبانوه أجهزوا عليه ولألقي على رف النسيان. غير أن الذي ألقاه فوق من أهله وأخواب من المنتسبين إليه قال تعالى: " وما فرطنا في الكتاب من شيء "

وقال أيضا: " فيه تبيان كل شيء " وقال كذلك: " ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ".

تشير الآيات الثلاث إجمالا إلى أن القوان جامع لكل ما يحتاجه الناس لدنياهم وأخرتهم وعلى ذلك يمكنهم القول بان التصريح إلهي ينرج ضمن الاعجاز الذي جاء في مضمون الكتاب. ولقائل أن يقول: طالما أن الكتاب فيه تبيان كل شيء وان المولى سبحانه وتعالى لم يفوط فيه من شيء فأين تكمن معالم الحكومة الإسلامية أو الإلهية؟ لكن قبل كل أن يتصل بحثنا

ويفضي إلى مبتغاه لا بد من الإشلة ولو بإيجاز إلى أن بيان الأحكام لا يكون إلا من نظير القوان وعدله وهو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهرة عليهم السلام من بعده حفظة وقائمين عليه.

لقد أشار البلري تعالى في محكم كتابه إلى حكومته وحدد معالمها ف جاء قسم منها شاملا وعماما لمعناها ناسبا إليه مقاليد جعلها باعتباره خالق الكون والحياة ومنشئ كل النواميس والقوانين المثلى فقال: " إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون " يوسف 40 قال أيضا: " إلا له الحكم وهو أسوع الحاسبين " الأنعام 62. وقال أيضا: " ومن لم يحكم بما أتول الله فألئك هم الكافرون " المائدة 44 . وقال أيضا: " ومن لم يحكم بما أتول الله فألئك هم الظالمون " المائدة 45 وقال أيضا: " ومن لم يحكم بما أتول الله فألئك هم الفاسقون " المائدة 47.

فيفهم من هذه الآيات وغورها أن مسالة الحاكمية لله تعالى بصفته المشوع الأوحد، منه تبتدأ واليه تنتهي فلا يحق لمخلوق أن يدعي الحاكمية على الناس إلا إذا كان مستمدا ذلك من حاكمية المولى سبحانه وتعالى. ولئن انتهى دور الأنبياء والموسلين عليهم السلام بمجرد وفاتهم بصفتهم حكاما موشدين الى الحق، فقد بدأ بعدهم مباشرة دور الحاكمة الهادية التي لا تنفك بزوال النبي صلى الله عليه وسلم بل تتواصل في اطار آخر وهي الأمامة والتعبد إلى الله تعالى بحكومة والتقرب منه بواسطة التي جعلها بينه وبين الناس، وجعونويحتكمون إليها، ويسلمون لها في أسمى معاني العبودية والتقرب منه تعالى، لذلك عنون المولى تلك العلاقة واعتروها دينا قيما.

وقسم ثان خاص ومعدد في معناه دالا على أن الحكم الذي هو الله تعالى بالأصالة موكول إلى أشخاص معينين اصطفاهم وزكاهم واختلهم بون غرهم لعلمه بحقيقتهم الباطنة وإمكانياتهم التي يعجز المخلوق عن إواكها لان المعرفة عند المخلوق في عمومها تقف عند بعض ظواهر المخلوقات.

في احدى تاملاتي وبينما انا جالس قريبا من البحر لاحت لمرآي سفينة تشق عبابه قد تملكها الماء وأحدقت بها الأمواج. بمجرد أن شاهدت موقعها ولاحظت محيطها ابتدوني سؤال الح علي في الإجابة يقول: " هل يمكن لسفينة أن تسير بلاربان وهي تحمل في بطنها نفائس المتاع وطبقات الناس؟.

وطبيعي لا يتأخر الجواب لان العقل والمنطق يقولان عكس ذلك اذ يستحيل على أي سفينة أن تكون بلاربان يقودها ويحركها وسط ذلك العباب الأخر من مرفأ إلى آخر سالكا بها طويق الأمان. والسفينة بلاربان كالأعمى بلا دليل، تتلاطمها الأمواج وتحملها إلى حيث تتكسر وتغرق.

وفي يوم آخر، بينما أنا استعد لمغاورة منطقة جبلية، استوعى انتباهي تناثر عدد من بيوت النحل البيضاء تحت الأشجار، وإذا بطنين نحلها يملا الفضاء، كلما اقتربت منها. هناك أيضا ألح علي سؤال يقول: " هل يمكن لهذه الأمم من النحل أن تعيش أو تنتج عسلا من دون تلك التركيبة التي أودعها المولى سبحانه وتعالى فيها؟ ويأتي الجواب بلا تردد وانتظار لا يمكن ذلك لأنها مجتمعات عجيبة التركيب منظمة بشكل يأخذ اللب ويحير العقل. يعيش النحل على شكل تجمعات دقيقة التنظيم يتمحور أودها حول (إمامة) الملكة التي من دونها لا يمكن لأسواب النحل العامل أن تجتمع لتكون وحدة واحدة متماسكة بحيث لا يمكن لاي

نحلة من خراج تلك الوحدة أن تكون ضمنها مهما حاولت، وان تناقص عدد تلك الخلية.

وصادفني في كثير من الأحيان أن شاهدت في السماء سرباً أو أسراباً من الطير أو البجع يتقدمها دائماً قائد يتحكم في بقية السرب ويحدد وجهته... ولو أنني غصت في أعماق البحار لما وجدت حيوان البحر مختلفاً عن الحيوان البري في شيء من تركيبته الاجتماعية كذلك الجمادات فإذا لها قطب يشكل نواتها ومحور تفاعلاتها وأيضاً فإن الأرض والمجموعة الشمسية حول الشمس وكذا بقية المحوات بشكل دقيق يكشف عن مدى أهمية القطب لتوازن الحياة وانتظامها.

والمأمل في نفسه وما حواه جسمه واشتملت عليه جولحه يدرك القيمة الحقيقية للإمامة والقيادة ولا يرى عنها محيصاً. وكما إن الخالق تعالى قد بث الإمامة في الحيوان وجعلها أساس انتظامه وجامعة كيانه،

وبثها في الجمادات من أبسط النوات إلى أعظم المحوات، فإن هذا الإنسان الذي أودع فيه العقل مستودع الإحساس والعلوم حوي بها (الإمامة) وهي من مستلزمات بقائه، وجودها من تمام نظام الملة وانعدامها فوضى واضطراب وبذلك يقر كل عاقل، ومن شذ عن هذه القاعدة لا يعتد بقوله كما فعل الخوارج في بدا نشأتهم ثم عانوا إلى الإقرار بضرورة الإمامة لما اصطدموا بخطورة فكوتهم واستحالتها في الواقع.

وفي إحدى قراءاتي استوقفتني رواية استدلالية عجيبية لأحد أساطين العلماء هشام ابن الحكم تلميذ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

تتضمن الرواية حورا حوى بين عالمنا المذكور وهو شاب وشيخ المعولة عمرو بن عبيد البصوي نختصر منها حوره حيث قال: "أيها العالم اني رجل غريب اتاذن لي مسالة" فقال: "نعم" فقال: "ألك عين؟" قال: "نعم" قال: "فما تصنع بها؟" قال: "أرى بها الألوان والأشخاص" قال: "فلك انف؟" قال: "نعم" قال: "فما تصنع به؟" فقال: "أشم به الرائحة" قال: "ألك فم؟" فقال: "نعم" قال: "فما تصنع به؟" قال: "أنوق به الطعام" قال: "الك اذن؟" فقال: "نعم" قال: "فما تصنع بها؟" قال: "أسمع بها" قال: "ألك قلب؟" قال: "نعم" قال: "فما تصنع به؟" قال: "أميز به كلما ورد على هذه الجروح والحواس. قال: "أو ليس في هذه الجروح غنى عن القلب؟" فقال: "لا" فقال: "فكيف ذلك وهي صحيحة سليمة؟" فقال: "يا بني ان الجروح اذا شكت في شيء شتمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردتته إلى القلب فيستيقن ويبطل الشك" فقال هشام: "فانما اقام الله القلب لشك الجروح (أي لضبطها)؟" قال: "نعم" قال: "لا بد من القلب وإلا لم تستيقن الجروح؟" قال: "نعم" قال: "ياأبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم اماما يرون إليه شكهم وحيرتهم ويقيم لك اماما لجروحك ترد إليه حيرتك وشكك؟". قال هشام: "فسكت ولم يقل لي شيئاً (الكافي ج1 و180).

الإمامة هي القيادة في المنظومة الإسلامية، هي راس الأمة وروحها التي تحركها وعينيها اللتين تبصر بهما وتميز، ومن دونها تفتقد الدليل الموصل إلى الهدف والمرشد الراعي للمصلحة العليا وقد يصطوح عليها البعض لفظ الخلافة والخليفة. الامام هو القائد الذي انبسط به عهدة هداية الأمة ولشادها والسير بها وفق تعاليم الاسلام الحنيف.

اختلف القائلون بموجب نصب الامام الى قولين أساسيين:

القول الاول:

وقد اعتمده جانب من المسلمين وتتخلص رؤيته في أن الامام لطف واجب على الله تعالى لحفظ دينه وتطبيقه في الناس. يكون تعيينه بالنص منه تعالى ويكون على النبي (ص) أمر البلاغ والتنصيب.

القول الثاني:

وقد اعتمده جانب آخر من المسلمين، وتتخلص رؤيته في أن الخليفة قائد الامة يوكل أمر تعيينه للمسلمين ويرون أن السياق التاريخي للخلافة وما وقع في الحقيقة دليل على أن الشورى هي المبدأ الواقعي في اختيار الخليفة لأنه لا نص يرونه في اختيار الخليفة من قبل البري تعالى.

وباعتبار أن هاتين المدرستين تشكلان الغالبية العظمى من المسلمين فان استعراض أدلة كل منها في مسعى لمعرفة القول الأصح والنظرية المثلى التي تتطابق مع ما جاء من أحكام لأجل استنهاض الأمة وتحريكها من الجمود وحالة التيه واللامبالاة التي تهيم على أوادها.

وباعتبار عظم خطر الإمامة وجسامة دورها وثقل مسؤوليتها وفداحة فقدها في الأمة، كان لابد من المقارنة بين الرأيين لتوجيه الأولى مساهمة في بيان تجربتي ووراساتي التي وضعتني على أعتاب البيوت التي ذكرها البري تعالى في كتابه العزيز فقال: " يا أيها الذين آمنوا لا تأتوا البيوت من ظهورها وآتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ".

عندما نتأمل راء القائلين بمبدأ الشورى في اختيار الإمام بعد الرسول الأعظم (ص) نرى أنها مشوشة ومضطربة ولا تكاد تقف على أساس سليم. فلا النصوص التي شحنوا استنهاضها لتكون ابغ في اصابة الهدف. وفت بما املوه منها ولا النتائج التي حصلت من جراء تطبيق ذلك المبدأ افرزت نظرية يمكن الاستئناس بها والاعتماد عليها فقد طغى على جميعها تضارب وتناقض فيما بين النصوص والتطبيقات ولقائل ان يقول: هل كانت الشورى طريقا الى اختيار الامام؟ واذا كانت كذلك لماذا لم نجد بين ايدينا نصوصا تحدد كيفيةها؟ هل هي مبدأ عام يشمل كل المسلمين؟ ام هو خاص بخاصتهم ووجهاتهم؟ وماهي خصائص الامام حتى يكون مؤهلا لاختيار الناس؟ ام ترى ان القوة هي ديدن المتسلقين كرسى الامامة؟ ومع ما أهمله المؤرخون من أحداث وحقائق تبعا لانتمائهم الفكري والعقائدي وتحت تاثير السلط الحاكمة في رقابهم زمن حياتهم فانه قد مر إلينا من النصوص ما يقيم الدليل على أحقية الفكرة دون الأخرى وعلى صحة هذا الرأي دون الآخر كل ما هو مطلوب منا شيء واحد فقط أن نزع عن أنفسنا غائلة التعصب الاعمى الذي ظل مكبلا لعقولنا وقلوبنا مستحكما طوقه على آبائنا قرون عديدة، أنا واحد من الذين هدام البري تعالى إلى إماطة هذا الداء العضال عن قلبي وعقلي فابصرت كثيرا من الحقائق التي كنت من قبل أمر عليها مرور الكرام دون التفات إلى جواهرها السنية ومعانيها التي لا تحتاج إلا إلى وقفة تأمل.

أول الحقائق التي لا تخفى عن عين البصير هي أن ما جاءنا من تراث تحمله بطون كتب التاريخ واليسر والحديث قد اختلط فيه الغث بالسمين والسليم بالسقيم والصحيح بالمفترى وهذا ليس استنتاجا حاصلًا لدي فقط وانما هو قوار من السواد الاعظم من الحفاظ واصحاب الرواية بعلم أحوال الرجال (الروح والتعديل) فقد طفحت كتب روايات الحديث والسير والتاريخ

بعدد من المرويات التي لا علاقة لها بالرسول (ص) اخضعها المتولفون للسلطين واخزَعها المتكبون عن الدين، وقد بلغ بمؤلاء الأمر لتعريب بدعهم واهوائهم إلى اختلاق شخصيات وهمية لا وجود لها والبوها جلاباب الصحبة وجعلوهم جميعا عدول الامة وثقات العصر النووي.

استند القائلون بحرية اختيار الخليفة أو القائد على نقطتين الأولى: الآيتين القوانيتين " وشورهم في الامر " و " أمرهم شورى بينهم " .

والثانية: أن الصحابة اختاروا أبا بكر خليفة بعد مشورة. وباعتبار أن فهمهم لمبدا الاختيار كان جماعيا فان عملهم حجة مطابقة لما جاءت به.

اما بخصوص الآيتين:

فليس هناك ما يدل على ان الرسول (ص) اخذ بمشورة احد من الصحابة لان الاية الأولى اشلت الى الغمراجع الى النبي (ص) كلما في الامر انه كان يحاول ان يربيههم على مبدا متعلق ببعض المصالح دون الحاكمة. اما الاية الثانية فتحدثت عن الامر العائد الى المسلمين وهو في ظاهره غير متعلق باي امر من امور التشريع لانه من اختصاص البري تعالى. اما ما روي من ان النبي (ص) اخطا في التقدير ثم اخذ بتصويبه عدد من الصحابة كالحباب بن المنذر في نزول بدر وعمر بن الخطاب في الاموى مضافا اليها رواية تأبير النخل، فهي روايات لا تقوم مع الحقيقة القوانية التي وضعت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مقام العصمة المطلقة والتثريه التام عن زهات وموبات ونقائص لو كانت موجودة فيه لما وصلنا من الدين شيئا. وبصوف النظر عن اسانيدها الواهية فقد تصدى لتلك المقويات على الرسول (ص) عدد من العلماء كشفوا فيه زيف تلك الدعوى وبطلان تلك المقويات.

اما ثانيا فان عددا لا يستهان به من الصحابة لم يكون حاضرا في السقيفة حتى تتحقق فكرة الشورى، وفيهم من امتنع عن البيعة زمنا. أما المكان الذي وقعت فيه ما سمي بالشورى وهو سقيفة بني ساعدة فانه في حقيقته محل شبهة يدعو الى التساؤل لماذا حصلت عملية الاختيار تلك في مكان لم يعهد فيه رسول الله (ص) ولاربي جبل الصحابة على لتياده. وقد كان دابه جمع الناس واقامة العقود واوام العهود في المسجد الذي اسس على التقوى، والمتامل لتلك الحادثة يتساءل ايها اولى، تجهيز ووداع رسول الله (ص) ام تجاهله حتى دفن ليلا؟ وهل كانت الامامة تستحق كل ذلك الاهتمام وسوعة التنصيب من قبل الناس ولا تستحق ذلك من قبل المولى سبحانه وتعالى ورسوله (ص) والدين آخر الأديان وخاتمها؟

إذا لم يجد القائلون بالشورى في اختيار ولي أمور المسلمين غير الانصياع إلى الواقع القائم وإقرار ما وقع من اختيار رغم انه لا يمت الى الشورى بصلة وهوالى المنزعة والاعتصاب اقرب منه الطواعية والرضا. وعمر المؤسس لذلك الاختيار وقف في خلافته قائل: ان بيعة أبي بكر فلتة وتقى الله المسلمين شوها فمن عاد الى مثلها فاقتلوه. وحكم بالتالي على بطلان اختيله. أننا كلما تأملنا في روايات القائلين بمبدأ الشورى في اختيار الخليفة كلما انكشفت لدينا ملامح التعريف وعلامات الدس بتضرب الروايات وتنافرها لحد التناقض والافتضاح. اخوج الشيخان: عن ابن عمر في حديث أنه جاء أباه فقال له " إني

سمعت الناس يقولون مقالة فأليت أن أقولها لك، زعموا أنك غير مستخلف وأنه لو كان لك راعي إيل أوراغي غنم جاعك وتوكها رايت أنه ضيع، فعاية الناس أشد. قال: فرافقه قولي فوضع راسه ساعة ثم رفع الي فقال ان الله عز وجل يحفظ دينه واني لئن لا استخلف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وان استخلف فان ابا بكر قد استخلف. قال فوالله ما هو الا ذكر رسول الله و ابا بكر فعلت انه لم يكن ليعدل بوسول الله احدا وانه غير مستخلف. مسلم ج6ص5.

إن المتأمل لهذه الرواية يلاحظ حرص عبد الله بن عمر على الامة لما علم ان اباہ غير مستخلف فواد تذكره بخطورة عدم الاستخلاف عندما ضرب له مثلا الراعي للابل والغنم بل لعل حرص ابن عمر أقوى واكثر من الله ورسوله لتقويتها امر الامة الاسلامية مقابل تقطنه هو سعيه للتضحية وتذك الامر فهل خفيت الامامة على الله ورسوله حتى تتجلى اهميتها لابن عمر ولعل اغرب ما اتت به الرواية هو قول عمر نفسه واني لئن لا استخلف فان رسول الله صلى الله لم يستخلف وان استخلف فان ابا بكر قد استخلف.

فهل أن رسول الله لم يستخلف حقا؟ وان ابا بكر احرص منه على الامة؟

النصوص التي بين أيدينا والروايات بالخصوص نقول غير ذلك ولعل أولها دأبه كلما خرج من المدينة الاستخلاف فكيف يكون احرص على الاستخلاف في حياته عليه حين وفاته مع علمه بانه اخر المسلمين وان النصح للامة يفتضي ان يختار لها الاصلح، وقد فعل فحدثت المتولة وحديث الولاية وحديث الثقلين وحديث الخلفاء الاتني عشرو حديث الغدير وغوها دالة في مضامينها على الاستخلاف.

وهل ان استخلاف ابي بكر حجة حتى يوضع مقابل دعوى عدم استخلاف رسول الله (ص).

هل يعتوه هؤلاء شريكا مع الرسول (ص) فيكون الاخذ بقول ابي بكر والتوك لقول رسول الله (ص) موى للذمة؟

ثم من أين علم ابن عمر ان اباہ غير مستخلف حتى يوجع كفة عدم استخلاف؟ كلما قاله عمر هو انه مخير بين امرين. وهل ان عمر لم يستخلف فعلا؟ الحقيقة غير ذلك فعمر اصطدم بحقيقة موة بالنسبة اليه وهي ان صاحبية الذين اسسا للسقيفة وراود استخلافهما وهما ابو عبيدة عامر بن الجراح حفار القبور وسالم مولساي حذيفة قد ماتا، لذلك قال " لو كان ابو عبيدة حي لاستخلفته " ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حي لاستخلفته ".

وعوضا من أن يسخلف واحدا اخر ممن قد يحسم مادة الفتن والخلاف استخلف ستة في عملية نسبها القائلون بمبدأ حرية اختيار الناس للامامة الى الشورى وأي شورى تلك وهي التي اذكت الاحقاد ووأغلت الصدور وكثرت من الحلصين على الحكومة. فقامت بينهم الحروب وسفكت دماء المسلمين في مواجهة بعضهم حرصا وطمعا في الحكم.

ولئن أفضينا إلى القول بان الحاكمة هي من اختصاص المولى سبحانه وتعالى عائدة اليه في كل متعلقاتها. وجب علينا ان نستأنس بعدد من روايات الرسول الاعظم (ص) تناولت مسألة الامامة العامة لتكون متظاوة مع آيات الكتاب العزيز وكيف لا تكون كذلك وهي الشلحة لمعانيه والمفصلة لأحكامه قال رسول الله (ص). " سيكون عليكم اثنا عشر خليفة (إماما) من بعدي ". اجمع الحفاظ كلهم على صحة الحديث واخروه في كتبهم كلهم نون استثناء، أخص بالذكر منهم ما يسمى بأصحاب

(الصاح) الستة، والحديث جاء مفصلاً وشرحاً لآية: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم". ومحدداً أن أولي الأمر المقصودين هم النبي عشر أئمة والمشار إليهم في الحديث. وبقطع النظر عن تسمية الإمام بالخليفة أو توسيع نسبة الأئمة عليهم السلام في قريش فإن ما يهمنا في الحديث عددهم وما يعنيه من أبعاد غيبية فنقباء بني أسرائيل مثلاً اثنا عشر والأعين التي انبجست لموسى عليه السلام 12 عينا وعدة الشهور 12 شهراً وعدة بروج السماء 12 بروجاً، إلى غير ذلك من التوافقات والتطابقات التي لا تصدر إلا عن حكيم عليم.

وعدد الأئمة هذا لم يجد له اختتاماً من الأشاعرة (أهل السنة والجماعة) حلاً، بحيث لم يرسوا فيه على ساحل ولعل أقواهم فيه الحافظ جلال الدين السيوطي الذي وصفه أحد العلماء بأنه في هذا الخصوص كحاطب ليل حيث خلط الحابل بالنابل والبر بالفاجر ووصل تعداده إلى عشرة وقال بعد ذلك أما الآخون الباقيان فأحدهما المهدي المنتظر.

وقال رسول الله (ص): "كانت بنوا أسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي وستكونوا خلفاء فتكثروا. قالوا: يا رسول الله فما تامونا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول". أخرج الشيخان

في هذا الحديث دلالة على أن هناك ترتيب في الأئمة لا بد من مراعاته وإعطائه حقه فقله (ص): فوا ببيعة الأول فالأول إشارة واضحة إلى ذلك الترتيب ويؤيده حديث عدد الأئمة.

قال رسول الله (ص): "من كنت هولاه فعلي هولاه"

وقال كذلك مخاطباً علياً عليه السلام: "أنت مني بمقالة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. أخرجاهما كل الحفاظ بدون استثناء.

ومتولة هارون من موسى أشهر من نار على علم في كتاب الله حيث يقول تعالى: "واجعل لي وزوا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري واشركه في أمري".

ويقول أيضاً: "إذ قال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين"

وإذا نحن استثنينا النبوة عن علي عليه السلام فإن بقية المنزل هي بحسب المنظور القواني - الأخوة - الوزرة - الأشواك في الأمر والخليفة في القوم وليس الأهل كما يحاول البعض من عميت قلوبهم.

إن الاصطفاء سنة الهية متعلقة بأصل الوجود وخيار رباني لا مفر منه وتغيير يطوأ عليه منذ آدم إلى يوم الدين، يكفيك أن تراجع القرآن الكريم لتقف على تلك الحقيقة الربانية.

قال تعالى: "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إراهيم وآل عمران على العالمين نزية بعضها من بعض".

حتى الملائكة لا يخلوا منهم مبدأ الاصطفاء. قال تعالى: "الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس".

وقال بخصوص آل إراهيم "فلقد آتينا آل إراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً" النساء 54 ولئن آتى المولى تعالى

آل إراهيم ما آتاهم في هذه الآية فإن آل محمد (ص) أفضل من آل إراهيم وأولى بالمراتب الإلهية والخصائص الربانية.

وقال بخصوص الرسول يحيى عليه السلام: "يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناك الحكم صبياً".

وقال بخصوص الرسول الأعظم (ص): " وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين.

ثم توجه بالنداء والأمر الى الأمة فقال تعالى: "ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فان تنزل عثم

في شيء فؤوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا". النساء 59

الخطاب في مستهل الآية متجه الى المسلمين حيث طلب منهم المولى سبحانه وتعالى طاعته وطاعة رسوله وطاعة اولي

امره. غير ان الآية لم تفصل طاعة اولي الامر عن طاعة الرسول (ص) وجعلتها راجعة اليه بالاصالة لان دورهم يتلخص في الهداية والقيام على الشريعة حفظا وتطبيقا فهم الناطقون عن كتاب الله وهم المبينون لعلوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ص) والمستودعون لكل ما يتعلق بالاحكام والمستحفظون على كل ذلك.

وحتى نرفع اللبس عن أولئك الذين يعتقدون خطأ ان الآية عامة وليس فيها تخصيص وان التنزل ممكن مع اولي الامر

بدليل الآية نقول لقد جاءت الآية مخاطبة للمؤمنين آوة اياهم بطاعة الله تعالى وطاعة الرسول وأولي الامر ثم عادت لتوجه

الخطاب إلى المؤمنين بحصر التنزل بينهم لان الآية صريحة المعنى بوجوب طاعة سلسلة الولاية ومخالفة ذلك انحراف

ومعصية كبيرة والورد المقصود في الآية يقع الالتجاء اليه عبر اداته وهي الرسول (ص) أو من يقوم مقامه من الائمة عليهم

السلام.

ثم تاتي الآية التي في سورة النساء والتي يقول "واذا جاءهم امر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ولوروه الى الرسول

والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكيف يمكن اذا أن تنزل معهم اذا كان امر الورد اليهم؟.

والآيتان تشوان الى خاصية في اولي الامر غير موجودة في غوهم لحاجة النور الى ملا الواع الذي سيتوكله الرسول

الاعظم (ص) وهي العصمة ومن هنا نفهم ان المولى سبحانه وتعالى لم يامر بالطاعة التي تتوتب عنها معصية لاستحالة

اجتماع الضدين او النقيضين في احكامه بل امونا بالطاعة التي تنتج طاعة ورضى، وعليه لا بد ان يكون اولو الامر المشار

اليهم في الايتين معصومون.

أما متعلق الآية فيتحدث عن امكانيات اولي الامر التي هي مساوية لامكانيات رسول الله (ص) في كل ما يتعلق بالسلم

والحرب (الامن والخوف) وقد اختزلت الآية حاجات الناس ومطالبهم في كلمتين.

وهنا لا بد من طرح سؤال يتمحور حول البحث وفي سياق الحديث وهو ما معنى العصمة؟ وهل يجب ان يكون الواسطة

بين الخالق تعالى ومخلوقاته من بني البشر معصوما؟

ساء فهم كثير من المسلمين للعصمة لسببين:

الاول: عدم القدرة على استيعاب المعنى الحقيقي لها.

ثانيا: سعي الظلمة والمنائين للائمة الشوعيين الى طمس تلك الخاصية وحتى يتسوى الناس في طلب الامامة.

الثالث: الاعتقاد الخاطيء بان العصمة محصورة في النبي (ص) عند التبليغ عن الخالق تعالى وما عداها من أقول وأفعال

صاورة عنه (ص) غير مشتملة عليها. الا اننا عندما نحاول ان نفقرب من هذا المفهوم لنستجلي المعنى المراد للكلمة نجد ان

النور واعني به النبي أو الامام عليهما السلام يستوجب ملكة تمنع القائم من الوقوع في ما يترتب عنه العيب والتقصير .
لنأخذ مثلا على ذلك: المؤمن وهو في طريقه المعرفي يحاول ان يتطور كل يوم باتجاه اوارك الحقائق الكلية واستيعاب المقاصد الشرعية ويسعى الى تفادي الكبائر فضلا عن الصغائر وقد يصل في يوم أو في عدد من الايام إلى ان تصافحه الملائكة لانه قد عصم نفسه من الوقوع في أخطاء ما . وهو بذلك قد وصل الى تحقيق ما هو مطلوب منه لزيد القرب من الله تعالى .

اذا تمكننا أن نعرف العصمة بانها استعدادات روحية وعقلية انطبعت عليها أوامر الخالق تعالى ونواهيها بحيث صلت الدافع والمحرك نحو فعل الخير والامتناع عن الشر وشكلت دائما وابدا حضورا ذهنيا وقلبيا ووعيا بقيمة الفعل واثره وقد دلل امير المؤمنين عليه السلام على ذلك بقوله " . مارايت شيئا الا ورايت الله قبله ومعه وبعده " .

يمكن الاستدلال على العصمة من وجهتين شرعية وعقلية .

أما الشرعية:

فأية التطهير: قال تعالى " . انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا " .
وقد اجمعت الروايات على أن العواد من أهل البيت أصحاب الكساء الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام .

ولم تدع واحدة من أزواج النبي (ص) دخولها في معنى الآية . بل أم سلمة وعائشة روتا خصوصها بالخمس ولم تثبت لاحدهما عصمة كما ثبتت لاهل البيت عليهم السلام فعائشة مثلا خالفت الوآن: عندما امرها بان تقرر في بيتها وخرجت محربة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام فقتل بسببها آلاف المسلمين .
ان المدقق في الآية والمنتدبر لها يترك أن اذهاب الرجس وهو كل عمل شيطاني مع تأكيدته تعالى على شدة تطهير أصحاب الكساء دليل على عصمتهم .

حديث الثقلين: قال رسول الله (ص): "اني ترك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعوتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض" .

أخرج الحديث كل من مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد بن حنبل وغوهم مما لا يسع المجال لعددهم .
وفي حديث دلالة واضحة على عصمة الائمة من اهل البيت عليهم السلام لاقترانهم بالقوان واعتبارهم ثقلا له فهو لا يأتيه الباطل وهم كذلك، باعتبارهما عاصمين من الضلال لكل من تمسك بهما .
قال رسول الله (ص): " الحسن والحسين امامان قاما او قعدا " . متفق عليه .

في هذا الحديث بيان لاسمين من اسماء الامة الاتي عشر ودليل على ان منصب الحكومة بعد النبي (ص) لا يمكن ان يتوك شاغوا لخلو الحكمة من ذلك التوك الزعوم . أما قوله (ص) امامان قاما او قعدا ففيه اشارة بليغة الى معنى الطف الإلهي في تحديد واختيار واصطفاء الاشخاص لمنصب الامامة . فالمولى تعالى يحدد لطفه وعلى الناس ان يستجيروا ويمتنوا . وان لم

يفعلوا فقد ظلموا انفسهم واضروا دنياهم واخرتهم.. ويبقى الامام اماما تسلم مقاليد الامامة الظاهرة. ام لم يتسلم لا يمنعه شئ من امامته الظاهرة والباطنة المتمثلة في الاستحفاظ والبيان للناس والعلاقة بالخالق تعالى.

لم تكن معالم الحكومة الاسلامية ولا تركيبها غائبة عن المولى سبحانه وتعالى وعن رسوله الاعظم (ص) حتى تكون حاضرة عند الشيطان واوليائه. وكما اشونا فان الوحي ولاها اهمية كبرى وخصص لها حزا في منضومته التشريعية، لانه لا معنى لقانون بدون حكومة، ونسبة النقص والتقصير الى الله تعالى في هذا الاطار مساس بجوهر التوحيد وطعن في جنب الله تعالى لا يمكن لموحد عاقل ان يقبله وانما السياسة وما اقتضته في اول فجر الاسلام من صوف للامامة عن اصحابها الى غوهم بعدد من الدعوي التي لا اساس لها سوعان ما نقضوها وهنوا دعائمها. فالسقيفة نظر لها بانها صفة الشورى رغم ان صاحبها قال انها فلتة والخليفة الاول نص على الثاني كتابة. والثاني وضع اساس الملك الاموي. ولو كان صاحبا في السقيفة احياء واعني بهما (ابو عبيد بن الجراح حفار القبور وسالم مولى ابي حذيفة) لما عدل بهما أحدا. ثم حدد الشورى النزومة في ستة زادت في عدد الطامعين لمنصب الامامة.

لقد تسالم الناس منذ غادر الائمة على الانضواء تحت تركيبة حكومية معينة ولوحت بين الحكم القبلي او العشائري الى الحكم الملكي الى النظم الديمقراطية المعمول بها اليوم. وكانت حاجتهم الى من ينظم امهم هي التي دفعتهم الى الدخول تحت كل غطاء متاح طوعا او كرها ولئن تعددت المسميات في الحاكمية الا ان الطابع الاستبدادي هو الذي كان طاغيا على عمومها. والمتأمل في سياقها لا يجد في رحلة الانسانية منذ بداية الخلقة محطة عدل وقسط سوى امدادات الخالق تعالى في انقاذ البشرية وتقويم انحرفاتها. لقد اشار الكتاب العزيز الى حالتين ناشئتين في الامة الاسلامية وهي في خطوات نموها الاولى وفي الامم السابقة من باب التنبية والتحذير. فقال: "وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فان يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين". وقال ايضا: "وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم".

فالانقلاب كما اثرت الآية الكريمة حصل في غزوة احد عندما فر جل الصحابة ان لم نقل كلهم عدا الامام علي عليه السلام وعدد من بني هاشم. وفي الآية احياء بتكرار حدوث الانقلاب في قوله افان مات، بعد موته (ص) وقد حصل فعلا. ليس في ما روج له من حروب الودة لأن تلك لحروب في معظمها كانت اخضاعا بالقوة لعدد من القبائل التي رفضت الانصياع الى الحكومة التي قدمها حزب النفاق الاموي لتكون الممهد لسلطانهم الذي اتّوعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم، ويرون استوجاعه بالمكر والخديعة.

والاختلاف حصل ايضا بفعل بغى البعض على البعض الاخر فالسقيفة وما اعقبته من حروب وويلات محصلة ذلك البغي ويؤكد ذلك قول رسول الله (ص): "لنحون حذو من خلوا من قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى اذا دخلوا جحر ضب لدخلتموه".

وفي الحديث اشارة متناهية في الدقة الى ان امة الاسلام ستسلك مسلك الامم السابقة في الانحراف والاختلاف وتجاهل

الاحكام وتعطيل الامامة وما حصل لهارون عندما تركه قومه بعدما نصبه موسى خليفة فيهم واتبعوا بدله السامري والعجل.
حصل للامام علي عليه السلام

لم يتوك المولى سبحانه وتعالى مسألة القيادة في الأمة للناس يفعلون بها ما يرونه بل انه قننها ضمن تشريعاته وجعل لها
حزا في منظومته، علما منه تعالى بجسامتها وخطورة خلوها في زمن من الأمانة ذلك اللطف الالهي المؤهل لملئالفواع
الحاصل في مقام النبوة.

اذ لم تكن مسألة الحاكمية غائبة عن الاطار التشريعي بقدر ما كانت مهيمنة عليه وجاءت معالمها في رق تركيبة عرفها
التاس. فهي الاصل الذي لا يتبدل، وفي الآية التي في سورة المائدة والتي تقول: " انا نحن تولنا الثروة فيها هدى ونور يحكم
بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء".
اثبات لراينا في الامامة، لقد افتضت حكمة الخالق تعالى في اختيار الحاكمين بامره بعد الانبياء والمرسلين على اعتماد
مرحلتين:

الرحلة الاولى:

وهي مرحلة اتعيين الاختيار على الاسم والشخص، حيث كانت تقتضي بأن يكون القائد او الامام منصوصا عليه معينا على
وجه التحديد شخصا بعينه مؤهلا لأداء الدور المناط به لأسباب أهمها.
-علمه تعالى بمكونات مخلوقاته يقتضي أن يحسم بذلك التعيين حرة الناس في اختيار الأولى والأقدر من بينهم وهو لطف
منه لا يمكن أن يتأخر عنه.

-حادثة عهد الجيل الأول من امسلمين المعبر عنه بالصحابة، وعدم المامهم بالدين فضلا عن فهمه وتطبيقه. وحتى لا
يتهمني أحد بالتجني على الصحابة والتطول على مقامهم لا بد لي من أن أشير مختصوا على صحة دعواي بما أخرجه حفاظ
هؤلاء من مرويات تحكي مسوى فهمهم البداية تكون من الكتاب العزيز.

قال تعالى: "واذاروا تجرة أو لها انفضوا البيها وتوكوك قائما".

ولو لم يكن هناك غير هذه الآية المعورة على المسوى الفكري والعقائدي للصحابة لكفى.

وقد كنا أشونا الى آية الارتداد والتي تخص في أسباب نزولها الصحابة الفلين والذين تستر على معظمهم الحفاظ.

أما الأحاديث النبوية فاني أحيلك على أحاديث الحوض لتتأكد من تطابق مدلول الآيات على الأحاديث. وقد أخرجه كل
الحفاظ بلا تحفظ. ومن أراد الاطلاع عليها فالراجع.

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة الاختيار على الصفاة والشروط (والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله..) (وأما من كان من فقهاؤنا حافظا لنفسه
صائنا لدينه مخالفا لهواه متبعا لأمر هواه فللغوام أن يقلوه)

بمعنى أن المرحلة اقتضتها ظروف وعوامل عديدة لعل أهمها توط الناس وتقصورهم ما ساهم بشكل مباشر في تحييد

الامام وتغييبه عن دوره. نور العلماء يكون في زمن الغيبة منحصر في مرجعيتهم للناس وتصديهم لبيان الاحكام ولشادهم الى معالم دينهم.

لقد وقف الرسول الاعظم (ص) في اكثر من مرة واكثر من مناسبة ليشدد على قيمة الامامة وولاية الامر ويؤكد على اهميتها التي تفوق العبادة بتفاصيلها قائلًا: "من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية". او ما روي عنه من قوله: "من مات وليس في عنقه بيعة فميتته جاهلية". وما روي عنه في نفس الإطار: "من خلع يدا من طاعة لقي الله تعالى يوم القيامة لا حجة له". ولئن لم تكن هنا بصدد المولنة بين الروايتين لمعرفة أيهما أصح من الأخرى، فإن المعنى الذي تحتويه يصب في إطار واحد وهو القيادة وعظم مكانتها ولامها الذي هو البيعة تماما كحديث الثقلين الذي تقوى به رواية كتاب الله وسنتي المقطوعة السند لان السنة النبوية المطهرة لا تكون الا عند من اذهب الله تعالى عنهم الوجس وطهورهم تطهروا.

لان القوان كتاب والسنة كتاب كما قال رسول الله (ص): "لقد اوتيت القوان ومثله معه".

وهما رغم محاولة فصلهما عن بعضهما شيء واحد لا يتجزأ القوان هو المجمل الجامع للاحكام والسنة المطهرة هي المفصل المبين لتفاصيل تلك الاحكام.

لقد تناول والقوان الكريم مسألة الامامة من عدة زوايا ولولاها أهمية قصوى بالنظر إلى حاجة الناس الماسة اليها فقسما قسامين.

القسم الاول:

امامة الهداية: قال تعالى: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا

القسم الثاني:

"امامة الغواية: قال تعالى وجعلنا منهم أئمة يدعون الى النار".

ثم جاءت الآية الثالثة لتبين نتيجة وجوب الامامتين بقوله تعالى: "يوم ندعو أناس بامامهم.

بمعنى ان الامام هو في الدنيا قائد ودليل وهاد وفي الاخرة أحد رموز الشهادة. والشهداء هنا هم الذين يشهدون يوم القيامة أمام البري تعالى على أعمال أممهم. قال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا".

فالأئمة عليهم السلام هم الأمة الوسط والأمة من منظور قواني لا تخضع لعدد بقدر ما تخضع للقيمة الفكرية والعقائدية، كما هو حال اواهيم عليه السلام: "ان اواهيم كان أمة قانتا لله".

هناك أيضا عدد من الآيات التي ترمز إلى خط الولاية تتضمن معاني الاتباع والافتداء والولاء

فقد جاء الخط بمعنى البيوت. قال تعالى: "في بيوت أذن الله أن ترفع يسبح له فيها بالغدو والآمال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع ولا خلال عن ذكر الله".

والبيوت هنا هي بيوت الانبياء عليهم السلام والرجال هم عناصر الولاية.

قال تعالى: " وأوحينا إلى موسى وأخيه هارون أن توءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة". وقال أيضا: " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا ".
وجاء خط الولاية بمعنى القوى قال تعالى: " وجعلنا بينهم وبين القوى قوى ظاهرة و قدرنا فيها السير قل سبروا فيها أياما وليالي آمنين ".

القوى المعرفة في الاية هم الانبياء والقوى الظاهرة هم الائمة عليهم السلام والظهور هنا يدل على وضوح المقام والشخص. أما السير وتقدير السير فهو كناية لأعمال الناس وآجالهم كما اصطلح القوان الكريم على خط الولاية بمعاني اخر كالعرة الوثقى وحبل الله وسماهم رجال الاعواف يوم القيامة قسماء الجنة والنار ونواب البري تعالى في الدنيا وفي الآخرة يوم الحساب.

ان من مستلزمات بقاء الامة وجود قانون الهي متكامل تتفاعل معه بحيث يكون اساس كل حرية فيها. كما ان مستلزمات استمرار التواصل والتفاعل بين القانون والامة وجود مرجع بحسم مادة الخلاف فيها ويسهر على تطبيقه بكل ابعاده وبمجموع هياكله. والذي عليه أغلب المجتمعات الاسلامية اليوم ان الدين وصل الى مرحلة الاكنسة بمعنى انه تحول من دين كامل جاء من ليحل مشاكل البشرية الى مجرد طقوس عبادية محصورة بين الخالق والمخلوق في زاوية المسجد أو المعتكف.

القيادة هي ركزة النظام الذي راده الخالق تعالى والقائد الرباني من منظور آخر هو الشخص الذي اطلع المولى سبحانه وتعالى على سيرته فوجدها قابلة لانطباع رادته فيه فركاه واصطفاه وجعل منه القوة والهادي وليست هذه النظرية مخصصة بالبشر فقط بل الكون كله مستودع للقيادة ولولاها لما صح نظام.

والقانون الذي لا واعي مسألة القيادة والوجعية في تركيبته هو قانون منقوص بلاراس لا يمكنه الاستمرار في الحياة والعتاء والتطبيق شأنه شأن الجسد الذي فصل منه راسه فهو ميت في طريقه للتحلل والاندثار.

كل عاقل يرى ان كل دستور ليس فيه حاكمية لا يمكنه ان يقوم بنفسه وان قام بغوره فهو هجين. وجب عليه ان نزه المولى سبحانه وتعالى عن التفريط في شريعته وان نود على القائلين بتوك مسألة قيادة الامة للناس يفعلون فيها ما يريدون كما حصل في السقيفة بان قولهم لا يستند الى دليل واحد يقوي جبهتهم ناهيك ان الشواهد التاريخية والنصوص الالهية تصب كلها في خانة الاقوار بان تجوبة القيادة التي موت بها الامة هي بشوية من صنع فئة ردت ان لا يتم التعيين الالهي لانه يتعرض ومصالحها.

ونتج عن تلك التجربة ضياع الحاكمية الالهية بحصول انقلاب السقيفة وانهيار نظرية الشورى بانقلاب الحكم الشوري الى ملك وجيروت وتسلط جنت منه الامة الاسلامية الويلات ولا زال الى الآن تكوي بحر نزه.

ونلخص في الخاتمة ما جئنا به

فنقول يجب على الله تعالى تعيين قائد على أمة الاسلام إمام مستخلف من قبله ناصا عليه عن طريق رسوله (ص) لاسباب

أولاً: لان مسألة الاختيار تلك هي من أطافه تعالى ورحمته، فعلمه بالاولى والاصح يحتم ذلك التعيين الذي يدخل في دائرة الاصطفاء.

ثانياً: لان الامامة أو القيادة هي من مستزمات القانون الالهي وطرف فيه.

فهي وعاءه وحافظته ودعامته ومن دونها يتلاشى ذلك القانون ويكون عرضة لعبث العابثين ومن هنا وجب حفظ الشريعة بها.

ثالثاً: حداثة عهد الشريعة ومعتقياها تستوجب أن يكون اختيار الامام أو القائد من قبل الاولى بالاختيار لقصور الناس عن اوارك ابسط المسائل المتعلقة بالدين فضلا عن الامامة.

رابعاً: الخطر المحدق بالنظام الناشئ من الداخل وهو حزب المنافقين الذين حاولوا هوات عديدة وبطرق مختلفة اطفاء جذوة الاسلام وتصفية الرسول (ص) وحتى قتله، يحتم اختيارا مسبقا ومدروسا.

خامساً: الخطر المحدق بالنظام الناشئ من الخرج وهما الروم والفس يستوجب التنبه لهما خاصة وان الرسول (ص) قد شوع في محاربة الروم فكيف يعلن حربهم ثم يتوك لهم أمة بلا قائد.

سادساً: خلو منصب النبوة وانقطاع الوحي باعتبار ان الوسالة الاسلامية هي الخاتمة يتطلب خلوص أصحابها الله والرسول الى الطريقة المثلى في اختيار الورث (ليس بالمعنى البشري) بعد ما جاءنا من انباء الامم السابقة في القوان ما يفيد ذلك الاختيار.

سابعاً: ان القوان الكريم الذي بين ايدينا هو معجزة الرسول (ص) ودستور الامة فيه المحكم وفيه المتشابه وفيه العام وفيه الخاص وفيه الناسخ وفيه المنسوخ وكل ذلك لا بد له من عالم به متوك له تمام الاوارك ومن العبث على عاقل مثلا ان يتوك نفائسه ودرره بين أيدي صغار له لم يبركوا بعد معانيها الكاملة وقد رحل عنهم الى عالم الملكوت.

ثامناً: ان بيان وتفصيل الشريعة والمعبر عنه بالسنة النبوية لهما في حقيقتها جزءان لا يتجزأان، القوان والوحي. هذه السنة هي من الحجة والوهان بما كان لم يامر الرسول الاعظم كما جاء في روايات جمهور المسلمين بكتابتها كما كان يفعل في القوان ليس تفويطا منه بل لان الله تعالى اودعها في صفوته وخاصته الذين اذهب عنهم الرجس وطهروهم تطهروا.

تاسعاً: تأكيداً على ما أوردناه من أسباب نخلص الى فشل نظرية القائلين بحوية الناس في اختيار الامام وسقوطها بعد ربع قون من التجربة انتهت على حروب دامية كادت تاتي على بلرقة الاسلام، انتقل بعدها الناس طوعا وكوها إلى الرضا والتسليم بالملك المتسلط الذي لا يستند على شريعة او دين الا بضرب من التسوية والكذب. ولو قبلوا اختيار المولى سبحانه وتعالى لكان اصلح لهم في معاشهم ومآبهم ولكنهم حانوا عنه بدعوى مختلفة فنالهم من ذلك العصيان ما نال سابقهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

رغم أنني لا أنكر أن فطرتي في حب أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام هي التي دفعتني دفعا وأنا أتصفح الورقات الاولى من كتاب المراجعات على معانقة الولاة الحق وتبني النظرية الإسلامية التي طرحها أئمة أهل البيت عليهم السلام للناس والتي تشكل في مضامينها مطابقة الحجة لدليلها. رغم ذلك فان ما لفت انتباهي وشد اهتمامي قوة الادلة التي في حوزة المسلمين الشيعة وعلى وجه الخصوص منهم الامامية الاثني عشرية. تلك النصوص التي حفلت بها كتب مخالفيهم قبل كتبهم. وهل توجد حجة أقوى من أن يحتج صاحب الدعوى على خصومه من كتبهم. لكن لماذا لا يدرك هؤلاء الخصوم بان الدين الحقيقي والصحيح لا يقوم الا على الحجة والبرهان والدليل والبيان لا على التبعية العمياء والتورث البغيض؟ حقيقة واحدة حالت دون بلوغ هؤلاء لإثبات الصواب وهي قصورهم عن البحث والاطلاع واقتصر لهم على ما قرره علمؤهم (أن صحت التسمية) بخصوص التشيع وأهله دون التثبت فيما جناه هؤلاء المتقولون لطمس الحقيقة والنأي بها عن عقول الناس.

ولكن للحق صولة. وتبرق من بين ثنايا ظلمات الباطل برقة الحق. فتدحض الدعوي الأوائفة والتوسبات الغريبة بوميض صدقها وقوة دلالتها واستقامتها وهانها.

تعرفت في عملي على أحد الأصدقاء وبمرور الايام اصطفيته لنفسه أخي وصديقا. فتشنت العلاقة وتوطدت وأصر المودة بيننا حتى صونا قليلي الاختراق عن بعضنا. حدثته عن التشيع لأهل البيت عليهم اسلام فوجدته متهايا سابقا ردي علي قائلا في يوم من الايام بأنه تشيع بفضل آية واحدة وهي " بسم الله الرحمن الرحيم " كان الرجل مالكا بالوراثة شأنه عموم اتباع المذاهب الاربعة (الحنفية المالكية الشافعية الحنابلة) استوقفته الآية تساعل عن عزوف المالكية عنها واعتبرها مكروهة في القواء أثناء الصلاة وهي تكاد تكون الاسم الاعظم حسب ما جاء من روايات بخصوص عظم قورها وعلو مقامها كان ذلك أول الخيط الذي أمسك بطرفه ليبرك الحقيقة أخوته بعدها بأن معاوية ومن تبعه من حكام بني أمية على ذلك هو أول من منع البسملة في الصلاة كما صدع بذلك في تفسيره بهامش تفسير الطوي حيث تعرف لاختلاف روايتي أنس بخصوص البسملة منعا واجرة فقال وكان بنو أمية.

إذا تلك دلالة قوية تقول بأن الدين الاسلامي الذي جاء به خاتم الانبياء والموسلين وقع تحت طائلة الطغاة والظالمين وحسب أهوائهم ومصالحهم ونزواتهم يجيزون للناس ما يرونه ويمنعون عنهم ما لا يرونه حتى وان كان لا يشكل عليهم خطرا كالبسملة التي منعها معاوية لا لشيء سوى أن عليا عليه السلام كان يستفتح بها في كل صلاة يصلحها امعانا منه في ابطال اثره. كانما علي عليه السلام مبتدع ومعاوية الطليق ابن اكلة الاكباد مصحح وموجع وهل علي عليه السلام سوى نفس رسول الله بمنطوق اية المباشلة التي تقول فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك العلم فقل تعالا ندع ابناؤنا وابناؤكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم فتبتهل فتجعل لعنة الله على الكاذبين. اتفقت الروايات على ان رسول الله اخراج لمباهلة وفد نصرى نوان الحسن والحسين (ابناؤنا) وفاطمة (نساءنا) وعلي (انفسنا) عليهم الصلاة والسلام. وهل علم علي عليه السلام الاباب لعلم رسول الله صلى الله عليه وآله كما في الحديث المشهور "انا مدينة العلم وعلي بابها" ولم يكن هناك بشر بعد رسول الله (ص) اعلم منه

حتى ابن عمه عبد اله بن عباس الذي حول البعض جعله بديلا للامام علي عليه السلام فمحوه القابا لاتستقيم له في وجود علي والحسن والحسين عليهم السلام. فقالوا بانه حبر الامة وتوجمان القوان ابن علمه من علم علي قتال رافعا لكل شبهة " كقطرة ماء في البحر المحيط ". وهل صلاة علي عليه السلام معه والناس عاكفون على اصنامهم يعبدونها فعرف الله تعالى ووتقرب له اقتداءا وتاسيا وتعلما من ابن عمه واخيه بامواخاتين في مكة والمدينة. كان عليه السلام يقول "فكنت اتعبد...."

فكيف تستقيم مقايسة التبر بالتين والثريا باثرى " انها لا تعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور " لقد كانت فترة المراجعة التي قمت بها لتمييز الحق من الباطل كافية لاواز عدد من العلامات الدالة على صحة دعوى المسلمين الشيعة بانهم الفوقة الناجية وانها هي على الحق لا تزال تمسك بحبل الله المتين وتستمسك باعروى الوثقى التي لانفصام لها وانها على الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم علي وفاطمة والحسن والحسين والائمة من اهل البيت اذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهرا. من بين تلك العلامات ايضا على سبيل الذكر لا الحصر.

العلامة الأولى:

لماذا عرف رواة الاشاعرة عن الرواية عن الامام علي عليه السلام واستدلوه بغوره ممن لا وجه لمقرنته معه؟ حتى الآيات التي نقلوها عنه من باب التلفيق عليه والكذب الخسيس الذي روجه عنه بامر من الطغاة والظالمين فعلى سبيل المثال نجد انهم يفترون عليه القول بتحريم المتعة والحال أنه قد تسالم الجميع على أنه صاحب القول بأنه لو لا أن نهى عنها عمر ملزناً إلا سقى.

ينقلون في أمهات كتبهم بأنه باب مدينة علم رسول الله (ص) وينقلون عنه عليه السلام قوله: علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب " وقوله لو كان رسول الله (ص) يؤقني العلم زقا وكان: يقول سلوني قبل ان تفقدوني وكان يشير إلى صوره فيقول: " إن ها هنا لعلما جما "

ورغم ذلك كل يجد أنه لاحظ له بين أكثر الرواة عندهم رواية أمثال أبي هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وغيرهم ممن عدت رواياتهم بألاف العلم هؤلاء الذي فاق علم باب مدينة العلم أم لسياسة كانت متبعة في العصر الاموي دفعا لمكانة أهل البيت ومقام الصفة الطاهرة؟

لماذا تتمحور جل رواياتهم في أسانيدھا على أسماء لم تعرف بالعلم ولا بالسبق خاصة ولدينا قوينة تقول بتأخر عصر التكوين عندهم الى القرن الثاني. فهل كان ذلك لتمييز بين تلك الأسماء ومن اذهب الله تعالى الرجس عنهم وطهرهم تطهرا أم أن تأخر التكوين كان حواد منه تكبيل الشيعة وتعطيلها ان لم نقل محققها وتضييعها والباحث المنصف يقف أمام حقيقة دفع الحق عن أهله وتغيب مضامين الدين القيم عن الناس ليستمر العمل على هدمه دون رد فعل.

العلامة الثانية:

لفت انتباهي وأنا في مرحلة المقارنة والبحث عند تصفحي لكتاب جامع الروابات الملقب ب (الصحيح) لمسلم النيسابوري القشوي وأنا أتصفح باب الامرة عددا من الروايات التي يتوقف عندها كل عاقل ولا يتجاوزها حتى يدرك شيئا من الحقيقة: الرواية الأولى: التي صوح فيها رسول الله بأن الأمة سيكون عليها اثنا عشر خليفة او اماما. الرواية الثانية: والتي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: "سيكون خلفاء فيكثروا. فقالوا: فما تأمونا يا رسول الله؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول.

الرواية الثالثة: التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. الروايتين الأولى والثانية اللتين في مسلم تحدثتا عن عدد محدد من الخلفاء الذين سيكونون في الأمة ولم أجد تفسيراً لذلك العدد غير ما يعتقد المسلمون الشيعة الامامية الاثني عشرية، ولعل وصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأن نفي ببيعة الأول فالأول دالة على أن الاختيار خرج عن اطار الناس وانما هو تعيين الهي بحت علينا فيه بالسمع والطاعة والبيعة لمن رتبهم الله ورسوله ولا بأول وهم المام علي بن أبي طالب عليه السلام وآخهم الحجة المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا. أما رواية الأخوة والتي لم يخرجها ملم وأخرجها غيره فهي مبينة لأهمية الامامة في الأمة ومدى عظم شأنها بحبث يموت فاقدتها ميتة جاهلية وان قام ببيعة واجباته الدينية. ان نظم أمر الحاكمة يستتبع نظم أمر الأمة وفقد الوأس يطيح ببقية الجسد لأن الاممة رأس الدين وروحه التي بها يحيا، ومن تتبع سوة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في هذا الخصوص لاحظ حرصا شديدا منه علأن لا يتوك أمر جزئ من الأمة بلا قائد فما بالك وهو يستعد لرحيل طويل.

العلامة الثالثة:

بعد البسمة التي اتينا على ذكرها:

قال تعالى: " قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القوي "

مودة آل محمد صلى الله عليه وسلم راجين بمنطق الاية ولم رى فريقا في المسلمين له من مودة ال محمد ما يتطابق والاية غير المسلمين الشيعة الذين جعلوها شعولهم وتقويوا بها الى الله تعالى هم من حافظوا على الصلاة الكاملة عليهم وهم من يحيى الى الان اثرهم وسنتهم ومواليدهم ووفياتهم يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم وغيرهم اما غافل وغير عابئ

العلامة الرابعة:

الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خرج عن ادائها عامة المسلمين واقام عليها المسلمون الشيعة فعندما يذكر رسول الله صل الله عليه وسلم يصلي المخالفون عليه بقولهم صل الله عليه وسلم وعلية الصلاة والسلام: مخالفين النص الدال ومجانين نهيهم صل الله عليه وسلم عن الصلاة اشراك في ان يصلي عليه الصلاة والسلام مفودا ويمسك. في حين ان المسلمين الشيعة يصلون عليه الصلاة الكاملة التامة وهي الصلاة عليه واله بقولهم صل الله عليه واله وسلم دونما كل ولا ملل امتثالا

لاوره تعالى في اداء هذه الشعرة تامة غير منقوصة كما يريد هو لاكما يصر على ادائه الظالمون واتباعهم ممن لم يستسغ اوج ال محمد في الصلاة.

العلامة الخامسة:

والتي سوعان ما وضعت الصحابة على طرفي نقيض واختلاف في ابسط الشعائر واكثرها وضوحا وبساطة وهي عدد تكبوات الصلاة على الميت...

فهل يعقل ان يختلف هؤلاء في مسألة بسطة في تناول كل فود يوتي بها فوض كفاية.

ولو انك تسئل من يكبر ربعا لماذا تكبر ربعا على الميت لما جاز لك جوابا ولو انك تغيد طوح السؤال نفسه على ابسط مسلم شيعي لقال لك: انها بعدد لكان العقيدة وعدد الصلوات اليومية. ولقال لك ايضا ان رسول الله عليه وسلم كان يصلي على كل حتى المسلمين مؤمن كانوا ام منافقين غير انه كان يكبر على المؤمن باعتبارهم مسلمين الايمان ويكبر ربعا على المنافقين الى ان تولت الاية التي مستحبة من الصلاة عليهم فاختلف الامر على جانب في المسلمين مما دفع بالخليفة الناس الى جمع الناس على 4 تكبوات ولو انهم رجوا الحق لاصحابه لما التبس عليهم الامر في مسألة كالصلاة على الميت.

العلامة السادسة:

من المسائل التي كان من المفترض ان لا يقع فيها خلاف بين المسلمين ولكن السياسة دوليتها العصبية المذهبية وما اقتضيتها من اسباب دعت الى تعريف تلك العبادة وتويق المسلمين بين مطبق للاية كما جاءه للوصى. وبين معرف لها بدوى واهية وظنون لا تقوم على اساس. اما دعوى النحو وعطف الارجل فقد بخر لها الرلى بالاعتراف وصوح بان القوائتين حكمها المسح ولكنه في خاتمة اعترافه اتبع الضن بميله الى توجيه الجهل على العلم والشك على اليقين فعاد الى القول بال غسل في حكم الرجلين من خلال اعتماد روايات نسبت الى رسول الله تقول الويل للاعقاب من النار. ظاهر تلك الروايات لا علاقة له بالموضوع ولا بالصلاة. بل لعل المقصد منها المنقلب على عقبيه من المسلمين في مواجهة الشركين.

وبمقرنة بسيطة يتضح حكم الرجلين في الوضوء

لقد كان رسول الله يتوضىء بمد (والمدة ثلاث أكف) وهي لا تكفي لغسل رجل واحدة لو كان حكم الرجلين مسعا في حين أن الأكف الثلاثة للأعضاء المغسولة وهي الوجه واليد اليمنى واليد اليسرى ويمسح الرأس والوجان بببل اليدين مقرنة التيمم بالوضوء على الروايات التي أخرجها الطوي وغوه عن ابن عباس والتي تقول: ألا ترى أنه ما كان مغسولا في الوضوء يمسح في التيمم وما كان ممسوحا في الوضوء يسقط في التيمم فسقط الرأس والوجان. ذلك هو دين العلم وعبادة المعوفة لا دين الوراثة والاتباع الأعمى.

العلامة السابعة: الجمع في الصلوات:

هل كان رسول الله (ص) يجمع في صلاته وهل هناك دلالات على ذلك؟ ولماذا يتغافل عن ذلك عدد هام من المسلمين؟
لقد كتب الذين لا يجمعون في صلواتهم بالروايات التي تنير إلى كون أن رسول الله (ص) جمع بين صلاتي الظهر والعصر وبين صلاتي المغرب والعشاء ومن ناحية صوح بذلك القوان الكريم حيث ذكر للصلوات الخمس ثلاثة اوقات وهي:
- "اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقوان الفجر" ..

- "اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل.." -
- ومع ذلك بقي شاهد آخر يقوي صحة الدعوى وهي جمع الحجاج لصلاتي الظهر والعصر من ناحية والمغرب والعشاء من ناحية أخرى.

العلامة الثامنة:

اسقاط الخمس رغم أنه حكم من أحكام الله في القوان الكريم وحصوه في غنائم الحرب والحال ان الآية تشير الى مطلق الغنم. ليس هناك سبب يبرر ذلك سوى أن أهل البيت عليهم السلام يعود إليهم التصوف في تلك الخمس. نون الزكاة التي حرمها على نفسه وعليهم لذلك فان بصمات اعداءهم جلية في اسقاط الخمس لكي لا تصل تلك الاموال اليهم لتكون لهم عونا على من ظلمهم.

العلامة التاسعة: الدعاء أو القنوط في الصلاة.

هذا السلاح الرهيب الذي جعله الله تعالى وسيلة للمناجاة بين العبد وبينه وسببا من أسباب ديمومة الرحمة والخير قال تعالى: " قل ما بعبء بكم ربي لولا دعاكم ".
اجئت من موقعه في الصلاة فاضحت ببقية أخائها جوفاء فلغة بلا روح. فمن جهة يقولون بان رسول الله (ص) ق يقتصرون القنوط على صلاة الصبح فقط والحال ان الصلاة واحدة في مفهومها وروحها والوكانها وستتها وصدق من قال في الجامع المسمى بالصحيح لمسلم: اننا اصبحنا ننكر كل شيء عهدناه على عهد رسول الله (ص) وحتى في هذه الصلاة قد ضيعت.

فاين هؤلاء القوم من قوله (ص) " الدعاء مع العبادة "

الدعاء موج المؤمن " وغورها من الروايات التي تحث على الدعاء في الصلاة وتدعو الى التمسك به باعتباره مخا وموجا واساسا ولبا للعبادة.

قيل للامام علي عليه السلام لم نرفع ايدينا الى السماء عند القنوت في الصلاة فقال: " وفي السماء رزقكم وما توعدون ".

العلامة العاشرة: توقيت الافطار في يوم الصيام

يتملك العجب عندما تقوا الاية التي في سورة البقرة والتي تتحدث عن الصوم وهي: " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل".

عندما ترى السواد الأعظم من المسلمين كيف يتحرى في امساكه للصيام ويبدأ صيامه ليلا وقبل الفجر بوقت طويل.
كم لا يتحول في افطره فيقطع صيامه وضوء النهار مؤال يعم الاجراء والمسلمين تعالى يؤكد على اتمام الصيام الى الليل: أي الى غسقة كما في اية توقيت الصلاة أي على دخول الليل.
والمعبر عنه بذهاب الحرة الشرقية وقت دخول صلاة المغرب. فهل لهذا تفسير سوى ان الناس اجمعت على التقليد الاعمى. وسلوك منهج غير علمي ولا يخضع الى قوة الدليل في اعتماد الاحكام والسنن الالهية. ومقابل تلك الدلالات الواضحة نجد في تصرف الكثير من هؤلاء اصولا على المضي الى الباطل قدما وتمسكا بعكس سنن سيد المسلمين صل الله عليه وسلم فمن ذلك مثلا وكنموذج على التعصب الاعمى والانغلاق المقيت الذي فرض صوح الاسلام العظيم وجعله في مقام متدن لا يليق به.

ان هؤلاء المتعصبين يخالفون السنة في كثير من المولد يدعون ستين غوهم بها.
على الرغم من انتسابهم لها. فالتختم في اليد اليمنى سنة يقرون بها ولا يتقيدون بها بل ويذهبون الى التختم بالشئ مخالفة للمسلمين الشيعة. وزي كذلك تسنيمهم للقبور في حين ان السنة تستطرحها مخالفة للمسلمين الشيعة... الى غير ذلك من التجاوزات التي يرون فيها المساس بالنص ومخالفته افضل من اتباعه والتشبه فيه بالمسلمين الشيعة. وان كان فرضا اوسنة. اخوا هل اناك خبر الوضاعة الكبير؟ وهل مررت به في باب الفقه من كتب هؤلاء القوم. لعل موطا مالك اولها ثم ما يسمى بالصحيح.

النقطة الحادية عشرة: اسماءهم عليهم السلام.

فان الملتفت الى هذه الاشارة يدرك جيدا مدى عمقها، ودلالاتها على احقية هؤلاء الصفوة في قيادة الامة. فعلي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام اسماء لم تكن معروفة قبل في قويزش ولا في بلاد العرب قبل ولادة هؤلاء.
بل اننا قد نجد في الروايات والاحاديث التي تشير الى ان تلك التسميات الالهية بحتة كلها مشتقة من الأسماء الحسنى. ففي الحديث القدسي الذي خاطب فيه المولى سبحانه وتعالى نبيه الاعظم صل الله عليه وآله وسلم بقوله: " اني قد اطلعت على الارض اطلاعة فاخوتك منها واشتقت لك اسما من اسمائي فانا المحمود وانت محمد ثم اطلعت ثانية فاخوتت عليا واشتقت له اسما من اسمائي فانا الاعلى وهو علي". هذه اشارة لطيفة لمن القى السمع وهو شهيد. قد تعيد من لم تتلوث فطوته براء اشباه العلماء والفقهاء والمتكلمين ممن باعوا ضماؤهم واخرتهم، تولفا لملوكهم وسلاطينهم، أو استكبرا من عند أنفسهم.

العلامة الثانية عشرة:

وان فاتك اواك كل هذه المعاني والاشارات. فلا تفوتك سوة هؤلاء الذين لم يسجل لهم التاريخ غير المكرم والفضائل التي لا يدانيها احد من العالمين.
ان شئت هذا علي نفس الرسول الاعظم صلى الله عليهما قد اخذ بمجامع العلوم فكان الاصل الذي عاد اليه كل صغير وكبير حتى عد اصل كل علم بعدما عده النبي باب مدينة علمه.

أما أخلاقه وسيرته فهي تنبئك على ان الذي وفعت عليه كان سفينة النجاة وباب حطة منه تعلم العرفون التعامل مع الدنيا والعيش فيها فكان بحق سيد الزاهدين وفضل العابدين بعد الرسول الاكرم (ص) ونحنا نوره نريته وصفوته الطاهرة يسلكون نهجه وقلوبهم وجلة من خشية الله لم تداخلهم الطمئينة في جنب الله تعالى حتى يتسأنسوا بالوضى، فكانت حياتهم كلها تضحية وعطاء.

العلامة الثالثة عشرة:

استمرار العمل بالاجتهاد من عصر الرسول الاكرم (ص) والأئمة عليهم السلام لدى المسلمين الشيعة. فهو متصل بعصر النبوة والامامة متواصل في أداء دور بيان الأحكام الشرعية إلى عصرنا هذا لم تقطع أبدار غم محاربة الأعداء والظالمين لهم بينما لم يكن فقه غوهم ولا علومهم متصلة بعصر النبي (ص) فهذان أقدم فقهاءهم أبو حنيفة ومالك لم يعاصروا رسول الله (ص) ولا اخذا عن عاصره، ولولا تتلمذهما على يدي الامام السادس لأهل البيت عليهم السلام لما كان لهما ذكر يتورد بين الفقهاء.

ثم جاء من الحكام من منع الاجتهاد وحرمه على الناس فوقفوا دينهم وفقههم على مذاهب أربعة هي اضافة الى ما ذكرت الشافعي وابن حنبل وكل من جاء بعدهم لم يتجروا على الاستقلال بفتواه فكانت في غالبيتها مطابقة لاصول أصحابها الأربعة.

العلامة الرابعة عشرة:

الظهور على الحق: قال رسول الله (ص) في حديث أخرجه حتى المخالفون كمسلم والبخلي: " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يظوهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله. فأى فوقة من المسلمين ظلت ظاهرة على مدى لتاريخ بعلمها ومواقفها وتاريخها وقلة عددها لأن الكثرة غناء مذموم عند الله وعند رسوله، غير هؤلاء الذين لهم في كل زمن شاهد على حضورهم.



الدعاء والعبادة عند أهل البيت عليهم السلام

دعا يدعو دعاء، والدعاء هو النداء لغة، أما شوعا فهو مخاطبة الخالق سبحانه وتعالى، ومناجاته في الصلاة، وفي سائر العبادات.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عبده بالإنابة إليه والدعاء بين يديه بإخلاص، وتكفل بالإجابة فقال: " أدعوني أستجب لكم".⁽¹⁾
وقال جل من قائل أيضا: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان".⁽²⁾
وقال كذلك: " أدعوا ربكم تضرعا وخفية".⁽³⁾

ولما كان الدعاء هو السبيل الوحيد إلى مخاطبة الخالق لتعالیه واستعلائه على مخلوقاته، لم تجز مخاطبته كما يتخاطب الناس فيما بينهم ولا محادثته، لأن المخاطبة والمحادثة لا يفيدان في طلب شيء من الذات الإلهية، كأن تقول خاطبت أو حادثت مستشعوا فيهما التسلوي والندية، في حين أنك إذا قلت دعوت، أو ناجيت، أو توسلت، أو تضرعت، فهي لاثقة بالمقام الإلهي ومنصرفة إليه.

وقد جاء في الحديث: " الدعاء مخ العبادة".⁽⁵⁾

لأن عبادة العبد من دون لجوء وتوجه إلى الله تعالى، ودعاء مرفوع منه إلى خالقه كي يستجيب له في ما يحتاجه في دنياه وآخرته، تعب وعناء بلا فائدة، استخفاف بروح العبودية التي جعلها البري تعالى عنوان كل عاقل أدرك حقيقة العبودية لله تعالى. والدعاء لب العبادة وجوهرها، فإذا كانت العبادة صدفة فالدعاء لؤلؤها، وإذا كانت جسدا فهو روحها، وإذا ما زعت اللؤلؤة من موضعها، صلت الصدفة بلا قيمة كالجسد الذي إذا فرقت روحه، صار بلا حركة وعوضه للتغير والتحلل والاندثار. كذلك فإن الصلاة التي هي موج المؤمن إلى ربه، إذا كانت خالية من لغة الوصال والقرب، عجفاء من الدعاء فإنها لا تحقق العروج المؤمل، ولا القرب المراد ولا الألفة المتجاة، وقد تتوك نتيجة عكسية. والحديث الذي جاء مشبها للدعاء بالمخ دالا في مضمونه على قيمة ذلك التوجه وأهميته في البناء العبادي. فلا تستقيم صلاة بلا دعاء وحال المصلي الذي لا يتجه في صلاته بالدعاء إلى خالقه، حال المستكبر الذي لا يعي من مقام العبودية غير حركات القاءة والركوع والتسبيح والسجود والتشهد نون الالتفات إلى العلة من الصلاة والعبادة.

وقد جاء عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر خامس أئمة أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى: " إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين". قال: " هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء".⁽⁶⁾

وقال في قوله تعالى: " إن إواهيم لأواه حليم". الأواه هو الدعاء. وسئل عليه السلام "أي العبادة أفضل؟" فقال: " ما من شيء أفضل عند الله من أن يسأل يطلب ما عنده،⁽⁷⁾ وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: " أحب الأعمال إلى الله تعالى في الأرض الدعاء، وكان عليه السلام رجلا دعاء".⁽⁸⁾

وإذا أمعنت النظر في حال المسلمين اليوم على الاختلاف مثل ربهم وفوقهم، تلاحظ عزوفا عند معظمهم عن دعاء القنوت في أغلب الصلوات المفروضة، وكل الصلوات المسنونة، لتتكبهم عن مورده الأساسي وجهلهم به كلغة تخاطب مع الخالق تعالى. أما عن تكبهم عن مورده، وجهلهم به فان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، شأنه في ذلك شأن بقية المرسلين عليهم السلام، لم يتكروا أمرا من أمور الدين إلا بينوه، ولم يألوا أقوامهم نصيحة، فإلوا ما عليهم، وتكروا آثرهم وشوائبهم للهداة والمستحفظين من آلهم عليهم السلام، كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أمته ن ونصح لهم بما لم ينصحه احد من قبله، والنصوص النقلية والعقلية التي بين أيدي المسلمين اليوم لا تدع مجالا للشك في ذلك، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: " إني أوشك أن أدعى فأجيب واني ترك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعوتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما".⁽⁹⁾ والعزة الطاهرة التي أذهب الله سبحانه وتعالى عنها الرجز وطوها تطهروا، لأجل تأهيلها لحمل عبئ الشريعة وحفظا وتطبيقا، دون أن يتطرق شك من حملتها، ولا تحريف في أدائها.

وقوله (ص): " إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق" ⁽¹⁰⁾ وهو من الأحاديث الواضحة في دلالتها على مقام الأئمة من أهل البيت عليهم السلام من الأمة، وتشبيهمهم بسفينة فوح يؤكد على وجوب اللجوء إليهم نجاة من طوفان التحريف والنفاق، وأن المتخلف عنهم غرق لا محالة في ظلمات بعضها فوق بعض.

وتخلف الأمة عن هدايتها وأدلائها ومستحفظيها، واستعاضتها عنهم بالغايبين لحقهم الإلهي، ومن قلب بعد ذلك ظهر المجنّ للدين كله، جعلها عوض أن تتقدم في فهم شعائرها ومعتقداتها على الوجه الذي جاء به الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، تتولى متفهوة عن مراجعها حتى تباعدت الشقة بينها وبينهم، فنسوا حضا مما ذكروا به، وأسلموا أنفسهم لمجهولي الحال وقليلي العلم، يسوقونهم إلى سلاطين الجور وأئمة الضلال سوقا النعاج، يحلون لهم إبتاعهم ويحرمون الخروج عليهم وخلافهم، وكان فيما كان منهم أن زعوا عنهم لب عبادتهم وجورها، لكي لا يصل شيء منها إلى الله تعالى فيردون مولدهم.

قال تعالى: " وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكوآنا فأضلونا السبيلا" ⁽¹¹⁾ ولو كان في هؤلاء المنتسبين إلى الإسلام من يعقل لرجع إلى أعظم الآيات القوانية بدل نبذها وتكها، والغريب والعجيب أنك تسمعهم لا يبسمون (بسم الله الرحمن الرحيم) في الفوائض الخمس بدعوى أنها مكروهة ويبسمون في نوافل شهر رمضان، بدعوى أنها من السنة، أفيكون في كلام الله تعالى ما هو مكروه حتى ينعنون بالبسملة بذلك النعت، أم إن أسماء تعالى الثلاثة (الله الرحمن الرحيم) هي مكروهة عندهم، ومن أكبر جودا ممن يستهين بكلام الله تعالى وينعته بالكواهة تطولا عليه. قال الله تعالى: " قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا".⁽¹²⁾

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: "بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من بياض العين لسوادها".⁽¹³⁾ أما الحقيقة التي خفيت عن كثير من المسلمين، والعلة التي تسببت في جريان ذلك المجرى التعيس في عبادتهم، فهي أن معلوية بن أبي سفيان وحزبه كانوا شديدي العداء لعلي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام، فسعوا إلى إبطال كل ما هو

متصل به حتى انه رُأى البسملة التي كان أمير المؤمنين يجهر بها في كل صلاة حتى السوية منها، قد أعماه الحقد عن ثابتة أن صلاة علي هي عينها صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ممن أخرج هذا المعنى النيسابوري في هامش تفسير الطوي حيث قال: وكان مذهبه الجهر بها يعني البسملة ومن اقتدى به لن يضل قال (ص): " اللهم أدر الحق معه حيث دار... ". فلما كان زمن بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعياً إلى إبطال آثار علي بن أبي طالب ففعل أنسا خاف منهم، لهذا اضطربت رواياته"⁽¹⁴⁾.

ثم يعمد هؤلاء أيضاً إلى دعاء القنوت في الصلاة فيزيلونه منها تبعاً لما ورثوه، دون التفات أو تساؤل عن سبب استثناء صلاة الصبح من ذلك، والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يقول: " أفضل الصلاة طول القنوت"⁽¹⁵⁾ من غير مفاضلة لصلاة علي أخرى.

وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، كثير من الأحاديث التي تؤكد على القيمة الروحية للدعاء، وورثه في البناء العقائدي، نورد منها الآتي:

- الدعاء هو العبادة، الدعاء سلاح المؤمن، ليس شيء أكرم على الله من الدعاء⁽¹⁶⁾
- لا يردّ البلاء إلا الدعاء أعنوا للبلاء الدعاء، الدعاء عماد الدين.⁽¹⁷⁾

- الدعاء مفاتيح النجاح، ومقاليد الفلاح، وخير الدعاء ما صدر عن صدر تقي، والقلب نقي وفي المناجاة سبب النجاة، وبالإخلاص يكون الخلاص، وإذا اشتدّ الوع فإلى الله المؤج.⁽¹⁸⁾

و الدعاء واجب لا تستقيم الصلاة إلا به، ولا توج من دونه، وكان من سنن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، أنه متعهد لباب الدعاء الذي فتحه المولى سبحانه وتعالى بينه وبين خلقه، حاثاً لامتته على الطلب منه، والرجاء لديه، ولم يؤثر عنه أنه صلى صلاة واحدة من دون قنوت.

وما رأى الذين تنكروا عن القنوت في الصلاة، إلا إتباعاً لمن زين لهم إهمال ذلك الباب، واستهانة بقيمته العبادية، ومن فقد الدعاء، حرم الإجابة، وكانت صلاته كأنها مكاء وتصدية، عوض أن تكون تخشعاً وقنوتاً، كما يقول تعالى: " وقوموا لله قانتين".

ومن أراد إحصاء الأحاديث والروايات التي تتحدث عن قنوت رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع الصلوات المفروضة والمسنونة فلواجع كتب الحديث والسنن عند من تسماوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، ففيها ما يقيم الدليل على أن سيد المرسلين كان يقنت في كل صلواته، لعله إذا فعل ذلك يتقيد بسنة الرسول صلى الله عليه وآله التي نسب لها مذهبه قولاً، وخروج منها فعلاً وعملاً، إلى تحريف وبدع ما اقول الله بها من سلطان، كبتز الصلاة عليه، واستثناء آله الأطهار، إتباعاً لآثار بني أمية ومن هذا حنوهم، صلى الله عليه وعلى اله وسلم وفي بتر الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله دليل على تأصل جنور الحقد الأموي في أمة الإسلام، وبقاء هذا التحريف دليلاً على حرائم حكاهم بني أمية في حق الإسلام وأهله فلماذا الإصرار على التماذي في مسالك أئمة الظلم والجور ن والله تعالى دعانا إلى منابذتهم وإتباع سبيل أوليائه الذين اصطفاهم

على بقية مخلوقاته، فرضي بهم عبدا خالصا له، ورضوا به ربا عظيما ليس كمثلته شيء، فأقر طريقتهم، وبرك نهجهم، وجعله السبيل الوحيد إليه.

وإقامة صلاة التراويح في المسجد جماعة، ونسبة ذلك الفعل له، رغم شدة غضبه عليه، والتعبير عنه بقوله صلى الله عليه وآله: "ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة الراء في بيته إلا صلاة المكتوبة"⁽¹⁹⁾ واعترف مالك ابن انس في موطأه، وروايته له عن عمر بن الخطاب أنه هو الذي جمع الناس في المسجد على قرئ واحد، بعد أن وجدهم يصلون أزاعا متوقون، ولم يصل معهم، وإنما مرّ عليهم بعد أن أمر أبي بن كعب أن يصلي بهم، وقال: "بدعة ونعمة البدعة والتي ينامون عليها خير"⁽²⁰⁾.

و عمر شأنه شأن غيره من المسلمين، مكلف بتطبيق الشريعة، كما جاء بهار رسول الله صلى الله عليه وآله، ليس من حقه أن يدخل شيئا فيها لأن ذلك من مشغولات الوحي والنوّة. ولم تقم بدعة صلاة التراويح جماعة إلا في فترة من خلافته، وفي الحديث الذي يقول انه صلى الله عليه وآله كان رغب في قيام رمضان من نون أن يأمرهم بغزيمة، فيقول: "من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه". فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله والأمر على ذلك النحو، ولم يتعوا الخليفة الأول أن يرى وأيه فيها.⁽²¹⁾

ولما قام أمير المؤمنين علي عليه السلام بأعباء الإمامة مكرها بعدما انوط عقدها، وألجأه الناس إليها إلباء، أرسل ابنه الحسن على المسجد لإخراج الناس منه، وإبطال تلك البدعة. وبعد استشهاد علي عليه السلام، واستتباب الأمر لمعلوية بالمر والخذية، أحيا كل بدعة أماتها سيد الأوصياء، وأمات كل سنة أقامها.

لقد أكد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام على أن نتعهد ببيوتنا بالصلاة خاصة المسنونة منها كوافل الصلوات اليومية، ونوافل شهر رمضان بقوله: "لا تجعلوا بيوتكم قبورا"⁽²²⁾ أي لا تصلون فيها، ومن وطن نفسه على أداء نوافل الصلاة في المسجد، فقد جعل بيته قورا، وخالف أمر نبيه صلى الله عليه وآله، وتجنب نصيحته.

واعطف على تلك صلاة ما اقول الله بها من سلطان سمّوها صلاة الضحى، قالوا إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلّاها، واليك روايتها المتناقضة المتناثرة والتي تدل على عكس ما ذهبوا إليه:

عن عائشة أنها سئلت هل كان رسول الله (ص) يصلي الضحى؟ قالت: لا إلا أن يجيء من مغيبه"⁽²³⁾ فتبين من الحديث أنه صلى الله عليه وآله لم يكن يصلي الضحى، والاستثناء الذي جاء لا يمكن أن يلغي النفي الثابت، لان السفر حالة شاذة، وصلاته صلى الله عليه وآله عند قنومه، لا تتفق يوما مع التوقيت الذي وضعه، وإنما هي صلاة شكر على سلامة السفر، أو هي تحية للمسجد لأنها ركعتان فقط.

وقد سئلت عائشة عن صلاة الضحى فقالت: ما رأيت رسول الله (ص) يصلي سبحة الضحى قط."⁽²⁴⁾

وعن عبد الرحمان بن أبي ليلي قال: ما أخونني أحد أنه رأى النبي (ص) يصلي الضحى إلا أم هانئ فإنها حدثت أن النبي (ص) دخل بيته يوم فتح مكة فصلى ثماني ركعات.⁽²⁵⁾

وبما أنه صلى الله عليه وآله لم يصل تلك الصلاة إلا يوم فتح مكة، فإنها منصوفة إلى تفسير واحد يقول، إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى الله عليه وآله شكوا لله على فتح مكة تلك الصلاة الخاصة به.

ولم يأمر أم هانئ مثلاً بأدائها، ولا فاطمة الزهراء عليها السلام التي سوتته في غسله، ولا أمر المسلمين بالقيام بها بعد أن أداها، ولا تسالم المسلمون على تلك الصلاة حتى وفاته، لذلك فإن تلك الصلاة بدعة ظاهرها طاعة، وباطنها خمول وتواكل، وكيف تستقيم صلاة في ذلك الوقت الحساس من بداية يوم والناس أصحاب معاش؟ ولماذا أصر الناس على أداء شعيرة لم يفعلها رسول الله صلى الله عليه وآله على النحو المعمول به عند السواد من اليوم، ولم يسمها بتلك التسمية ولا أمر بأدائها على ذلك الوجه؟ وحتى لو تأكد لدى هؤلاء المبتدعة خطأ ما هم فيه فإنهم سيعتذرون بأعذار لا تستقيم مع النصوص الصريحة "إن يتبعون إلا الظن، إن الظن لا يغني عن الحق شيئاً".

لقد جاءت كثير من الآثار والروايات لتحدثنا عن عبادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين وتبين لنا معالمها وأسورها لنقتبس من هديها ونستنير بأورها امتثالاً لأمر الله تعالى إذ يقول جل من قائل: " أولئك الذي هداهم الله فبهداهم اقتده".

لأنه تعالى قد أوكل مهمة بيان عبادته وتفصيل أركانها وسننها وحركاتها وآدابها لرسوله صلى الله عليه وآله والمستحفظين من آله عليهم السلام. وعلى كل مسلم امتثالاً لأمر الله أن يقتفي أثر الهداة الأبرار في تعبدتهم، ولا يلتفت إلى من انحرف عن نهجهم القويم وصراطهم المستقيم، وخروج للناس بآثار وسنن مبتدعة في الشكل خاوية من المضمون، لم تود قلوبهم وأرواحهم من الله إلا بعدا.

وأنت أيها المؤمن عندما تقيم شعائرك وتبني عبادتك، فانك توجو القرب والزلفة من الله تعالى خالق الحياة ومنشئ الكائنات، وإذا لم يتم ذلك المؤمل فالبحث عن الخلل من عدم نشوء تلك العلاقة، وتمنتها كالساقى الذي أرسل دلوه مع الدلاء، فعادت إليه فلغة.

و لما علمت أن الخالق تعالى عندما أمرنا بعبادته ودعائه، تكفل بالقبول والإجابة، تبين بعد طول المدة وفقدان النتيجة، أن العلة تكمن في نفسك وزادها، أما النفس فهي ممتدة على مقام العبودية جموحة ميالة إلى عاجل الدنيا، فإذا لم توطنها في مقامها وتسلك بها طريق الآخرة شردت بك إلى المهالك. وأما الواد فهو على أربعة أقسام:

الأول:

تحقيق معرفة الخالق واليقين منه حتى تكون وجهتك في العبادة والدعاء والطلب معروفة ومعلومة.

الثاني:

موالاة أوليائه والواعة من أعدائه لأن الدين جوهر الولاية والواعة

الثالث:

تحقيق عبودية النفس بتوطينها على النور من الإنية والاعتداد

الرابع:

لغة التواصل والمناجاة، لأن التقرب إلى الله لا يكون إلا بالطيبات.

و من المفردات أن ترى شخصا ظفر بمقابلة سلطان، كيف هيأ نفسه، وطهر بدنه، ولبس أحسن ثيابه، وتعطر بأحسن عطر، وجهاز من مديح الكلام، ما يظن استيفاءه للقبول وقضاء الحاجة، زاه هو بعينه لا يبيدي استعدادا، ولا يولي أهمية للقاء خالقه وخالق ذلك السلطان.

ولما علمنا أن باب معرفة الله سبحانه وتعالى هو إتباع رسوله، وتولي أهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهورهم تطهروا، فهم العرفون له والأدلاء عليه، والموصولون إلى حبه ورضوانه، فإتباعهم إتباعه، وحبهم وحبه اتجه الأخذ عنهم معالم الدين، والتسنن بسننهم في العبادة والدعاء، لأن ما جئوا به إلى الناس، ليس إلا ذلك الزاد وتلك التربية والعلم الذي علمهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد نظرت نظر المتفحص في ما جاءنا من مآثور العبادة والدعاء، فلم أجد فيضا من الأسوار الإلهية والأتوار القدسية كفيض أهل البيت عليهم السلام في الدعاء والعبادة، لان استعدادهم للطاعة والعبادة كاستعداد سيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا وجه لمقرنة صفة الخلق ببقيته، وقد جاء في حديث أخرجه مسلم النيسابوري قوله صلى الله عليه وآله: " أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يملّ حتى تملون أن أحب الأعمال عند الله ما نووم عليه وان قلّ وكان آل محمد (ص) إذا عملوا عملا أثبوه".⁽²⁵⁾ إن المولى سبحانه وتعالى لا ينظر إلى أشكالنا ولا أواننا، ولكنه ينظر إلى أفئدتنا، فان فيها مستقر اليقين، وبصائر الأخلاق في العبادة والدين، وكل علم لم يكن متوعا بالعمل يخلف النفاق والافتراق عن الخالق تعالى.

وقد جاء عن الصادق عليه السلام قوله: " الخوف رقيب القلب، والرجاء شفيح النفس، ومن كان بالله عرفا، كان من الله خائفا واليه راجيا، وهما جناحا الإيمان يطير بهما العبد المحقق إلى رضوان الله، وعينا عقله يبصر بهما وعد الله ووعيده، والخوف طالع عدل الله باتقاء وعيده، والرجاء داعي فضل الله، وهو يحيي القلب والخوف يميت النفس".⁽²⁶⁾ عنه عليه السلام أيضا أنه قرأ " أمّن يجيب المضطر إذا دعاه" فسئل مالنا ندعو فلا يستجيب لنا؟ فقال لأنكم تدعون من لا تعرفون، وتسالون ما لا تفهمون.⁽²⁷⁾

فالعبادة والدعاء مقامات القرب من الله تعالى، وملاذات اللجوء إليه في الأمن كما في الخوف وفي الرخاء كما في الشدة وفي الصحة كما في المرض، وإذا استقامت عبادة الرء ودعؤه في أمنه، فإنها ستستقيم في خوفه، كذلك في باقي الحالات، ومن لم يستشعر في كل صلاة لزيادة خوفه، وكثرة رجائه، وتضائل نفسه وتناهيها أمام عظمة الخالق وجلاله، فانه لم يحقق من عبادته ما يتوجاه لنفسه، وما هو مطلوب منها، فهو كالمسافر الذي أخطأ الطريق، ولم يصب من سوه غير التعب والضيق، وعليه أن واجع نفسه، ويتدرك ما بقي له حتى تكون مطيته موصلة إلى الغاية والمبتغى.

ولقد أترك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من شدة خوفه ورجائه، أعلى لوجات المحبة والأنس، فكان ينزوي عن

الناس في غار حراء قبل البعثة، ليختلي بربه فيعبده ويناجيه ويدعوه، وبعد كفالته لعلي بن أبي طالب عليه السلام من عمه صار يصطحبه معه، ليقنّبس من هديه فنون العبادة والمناجاة والذكر والتأمل، وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام "صليت قبل أن يصلي الناس بسبع سنين"⁽²⁸⁾ وفي حديث عن محمد بن علي الباقر خامس أئمة أهل البيت عليهم السلام قال: "هكذا صلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظّم فبكى وأبكاهم من خوف الله ثم قال والله لقد عهدت أرواما على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنهم ليصبحون ويمسون شعثا غوا خمصا، بين أعينهم كركب المغوى، يبيتون لربهم سجدا وقياما، ولوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربهم ويسألونه فكأن رقابهم من النار، والله لقد رايتهم مع ذلك وهم خائفون مشفقون".⁽²⁹⁾

أما أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد قال في إحدى خطبه يوصي فيها أصحابه: "تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها وتقربوا بها، فإنها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، ألا تسمعون إلى حواري أهل النار حين سئلوا: ما سلككم في سقر؟ قالوا لن نك من المصلين.. وإنما لتحتّ الذنوب حتّ الورق، وتطلقها إطلاق الوبق، وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحمة، تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن. وقد عرف حقها رجال من المؤمنين، الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قوة عين من ولد ولا مال، يقول سبحانه: "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة" وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصبا بالصلاة بعد التبشير له بالجنة، يقول الله سبحانه: "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها" فكان يأمر أهله ويصبر عليها.⁽³⁰⁾

وقد سأله ذعلب اليماني: "هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تتركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد عنها غير مباين، متكلم لا بروية، مريد لا بهمة، صانع لا بجلحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالوقفة، تعنوا الوجوه لعظمته، وتجيّب القلوب من مخافته".⁽³¹⁾

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام وآله، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله دائم الفكرة، طويل الحزن، كثير التوجه والدعاء، عرف الله حق معرفته، فملك قلبه واستولى على عوى فؤاده، حلّ الأُنس بنفسه حلول المقيم، فتمسكت به تمسك الغريق، ولولاه لطلت روحه من بدنه شوقا إلى الله تعالى.

عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في حديث له عن جدّه وآله الكوام يقول: "والله ما أكل علي بن أبي طالب من الدنيا حراما قط حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قط هما لله رضا، إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما تولت رسول الله صلى الله عليه وآله نزلة قط إلا دعاه ثقة به، ما أطاق أحد عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمة غوه، وإن كان ليعمل عمل رجل كان وجهه بين الجنة والنار، ورجو ثواب هذه، ويخاف عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله عز وجل، والنجاة من النار مما كدّ ببديه، وشرح منه جبينه وإنه كان ليقوت أهله بأزيت والخل والعجوة، وما كان لباسه إلا الكوابيس، إذا فضل شيء عن يده من كمه دعا بالجم فقصه، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبا

به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام، ولقد دخل إبنه أبو جعفر عليه السلام عليه، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فأه قد إصفر لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقيه وقدماه من القيام في الصلاة، قال أبو جعفر عليه السلام: " فلم أملك حين رأيته بتلك الحال من البكاء، فبكيت رحمة له، وإذا هو يفكر، فالتفت إلي بعد هنيهة من دخولي وقال: " يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام". فأعطيته فقرأ منها شيئاً يسوا ثم تركها من يده متضجوا وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام⁽³²⁾. وما أقر به أعيان تلك العصور من العرفين والمتعلمين من أهل البيت عليهم السلام في العبادة، وتطاولهم لها فاستطالوا عليها، حتى أصبحوا زينة لها، واستوثقوا منها أجنحة القبول، فطرت بهم إلى أعلى درجات المخلوقين، فهم كما قال فيهم سيد الوصيين، ونفس رسول رب العالمين عليه السلام: " هم قوم هجم بهم العلم على الحقيقة الأمر، فباشروا روح اليقين، واستلانوا بما استوعوه المتوفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحوا الدنيا أبداناً أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه".⁽³³⁾

ذلك حال الأئمة الأطهار من أهل بيت النبوة ومقول الوحي ومختلف الملائكة استتسخوا الدين عن جدهم استتساخا، وأشرب في أفئدتهم وقلوبهم إثوابا، قبل أن يلبسوه جلبابا ففاض من قممهم الشامخة علوما هدية ربانية. لم يستؤهم سلطان حتى يوشوا الناس إلى حضوته، غير سلطان الحضوة القدسية، ولم يدعو إلى بابهم متهم حتى يكونوا إلى التهمة أقرب بل كانت سيرتهم في الناس بيضاء ناصعة للقاصي والداني، ومن حيث ما تناولت منها وجدت ضالتك، وأركت حاجتك، بمنأى عن فقهاء السلاطين، ودعاة الجباوة والظالمين، فبذلوا دمائهم ومهجمهم من أجل أن تبقى شريعة الإسلام طاهرة نقية في بيوتهم وقصد هديها، وأعطوا من أنفسهم ما لم يعط غورهم، ليس من فراغ لأن فاقده الشيء لا يعطيه، بل عن علم وعمل ووراثة، وما أخرجه ابن حجر في صواقه تنمة لحديث الثقلين عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: " فلا تقدموهم فتهلكوا ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم".⁽³⁴⁾ إلا دليل على مقامه العالي عن استتالة الناس واستثوافهم له، ومكانكم الداني من الله تعالى دنو قاب قوسين أو أدنى، كوهوا لأنفسهم وشيعتهم ما كوهه الله تعالى لهم وأحووا لأنفسهم وشيعتهم ما أحبه الله تعالى لهم، فحوى ذلك المجرى من العلاقة على كامل أوجه الحياة، ولم يبق شيء متعلق بدين أو دنيا إلا بينوه وأظهروه، وأمروا مواليتهم بالعمل به وأو الامتناع عنه.

للدعاء نصيب من الإيضاح والبيان عند أهل البيت عليهم السلام ليس على سبيل التأليف والكتابة. وإنما على سبيل التطبيق والممارسة، وقد ظهرت آثاره عليهم من وقوفهم بين يدي البري تعالى. ومما علموه مواليتهم وتلامذتهم من أفعال وأقوال، تسوق المتعبد إلى المعرفة والقوب والحب، فهذا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يعلمنا أدب الدعاء فيقول: "حفظ أدب الدعاء وأنظر من تدعو، وحقق عظمة الله وكبريائه، وعابن بقلبك علمه بما في ضمورك، وإطلاعه على سوك، وما يكن فيه من الحق والباطل، وأعرف طريق نجاتك وهلاكك، كي لا تدعو الله بشيء فيه هلاكك، وأنت تظن أن فيه نجاتك. قال الله تعالى: " ويدعو الإنسان بالشر دعؤه بالخير وكان الإنسان عموماً". وتفكر ماذا تسأل؟ ولماذا تسأل؟ والدعاء استجابة الكل

منك للحق، وتنويب المهجة في مشاهدة الرب، وترك الاختيار جميعا، وتسليم الأمور كلها ظاهرها وباطنها إلى الله، فإن لم تأت بشروط الدعاء، فلا تنتظر الإجابة، إنه يعلم السر وأخفى، فلعلك تدعوه بشيء قد علم نيتك بخلاف ذلك، واعلم أنه لو لم يكن أمرنا الله بالدعاء، لكننا إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالإجابة، فكيف وقد تضمن ذلك لمن أتى بشوائب الدعاء، قال: فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرايط الدعاء، وأخلصت سوك لوجهه، فأبشر بإحدى ثلاث، إما يعجل لك بما سألت، أو يدخر لك ما هو أعظم منه، وإما يصوف عنك من البلاء ما إن أرسله عليك لهلكت".⁽³⁵⁾

والمأمل في حال الصلاة وكيفيةها، والمتبصر لمعانيها وأسرلها، لا واهل إلا مقدمة لدعائه وندائه تعالى، وغلافا لوجهه ورجائه، حتى يحقق القوب كله، ويستأثر العبد بأغلب التوجه إلى الله تعالى.

جاء عنهم عليهم السلام في مقدمة الصلاة، وآداب التهيو لتحصيل التوجه والخشوع والانقطاع إليه تعالى الإتيان بسبع

تكبوات كالآتي:

تكبر ثلاثا وتقول:

" اللهم أنت الملك الحق المبين، لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

ثم تكبر اثنتين وتقول:

"بيك وسعديك الخير بين يديك والشر ليس إليك المهدي من هديت عبدك ابن عبدك ذليل بين يديك منك وبك ولك واليك لا ملجأ ولا منجى ولا مفر منك إلا إليك سبحانك وحنانك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت الحرام.

ثم تكبر اثنتين وتقول:

"وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة حنيفا مسلما وما أنا من المشركين إن صلاتي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أموت وأنا من المسلمين". ثم تدخل في صلاتك بالاستعاذة ثم القاءة. ويكون دعاء القنوت في الركعة الثانية من الصلاة بعد القاءة، بأن يرفع يديه حيال وجهه فيدعو الله بمطالبه، ويستحب من الدعاء فيها بما جاء في الكتاب العزيز، وما نطق به المعصوم، لأنه الأقرب إلى الله تعالى، وإحدى الوسائل إليه.

وكما جاء الدعاء تهيئة ومقدمة للصلاة التي هي مقدمة للقوب والمناجاة، جاءت بقية العبادات والحالات التي يتقلب فيها المؤمن بين الأمن والخوف، يتقدمها الدعاء والتوجه، وما ورد عن أهل البيت الأطهار من الأدعية، كنز لا يقدر بثمن، ومورد كاف وينوع معرفة صاف، وكل تلك النفحات رسول الله أصلها، وهم عروتها الوثقى التي لا انفصام لها، فعلمهم عليهم السلام علمه صلى الله عليه وآله، وعبادتهم عبادته، ودعؤهم دعؤه. أليس أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام باب مدينة علم رسول الله؟ فلماذا ينحرف عنه المنحرفون؟ أليس في دعائه ومناجاته وتضوعه وعبادته نفحات قدس من نفحات رسول الله صلى الله عليه وآله، والدعاء المسمى باسم صاحبه كميل بن زياد، هو من علم النبي صلى الله عليه وآله، وكذلك بقية ادعيته وكلامه، وكل ما خرج إلى الناس من ذلك البيت الذي أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهره تطهرا هو من معين النبي وفيضه الصافي، هم مستودعه وحفاظه ووعاته ورعاه. والصحيفة السجادية المنسوبة للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه

السلام هي مهجة الدعاء وخلصته، بين فيها الإمام عليه السلام معالم العقائد ومكرم الأخلاق وآداب الدنيا والدين وما حوته من بديع المعاني وصفوة الكلم يغنيك عن اللجوء إلى غرهم عليهم السلام في الدعاء لأنه لا وجه للمقونة بين الثريا والثرى وتعميما لفائدة دعائهم عليهم السلام على الأمة الإسلامية تنقل جملة منها مأخوذة من كتب الدعاء المخصوصة والمعنونة كمصباح المتهدج، والبلد الأمين، وجمال الأسوع، ومفاتيح الجنان، ومفتاح الجنات، وضياء الصالحين وغيرها من كتب علماء أهل البيت عليهم السلام.

أما أتباع الأئمة الهداة، وشيعة إسلام أهل البيت عليهم السلام الخالص الذين مضوا على بصيرة من أمرهم، فقد سجل التاريخ لهم صفحات عز ومجد، وكانوا على مداه مضربا للمثل العليا، وعنواوين كبيرة في العبادة والأخلاق والهدى والكوم والشجاعة والعلوم بأصنافها، ولو أطلقت العنان لذكر أسمائهم لما وسعني المقام، ولكنني سأتشرف بذكر بعض أركانهم، ليكون حافوا لمن يبتغي المزيد لبذل الجهد في معرفة الحقيقة التي ظلت مخفية عن الكثيرين: فسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، والمقداد الأسود، وأبو ذر الغفلي، ومالك الأشتر، وميثم التمار، وحجر بن عدي الكندي قدس سوهم الشريف.

وإذا التفت إلى العلوم العرفانية التي هي محصل المعرف والتطبيقات العبادية الحققة، وجدت أن الأئمة الهداة وأتباعهم قد وضعوا أسسها، وشكلوا من أعماق توجهاتهم خيوط نسيجها، فروع من أخذ عنهم، وأبحر في السلوك إلى الله تعالى من تتلمذ عليهم، والإمام الخميني قدس سوه الشريف في كتاباته الآداب المعنوية للصلاة، وبقية كتبه كمصباح الهداية وجنود العقل والجهل، والأربعون حديثا، وكذا بقية المراجع العظام الذين كتبوا في العرفان والأخلاق، كان مرجعهم إلى الأئمة الهداة، ومدار تحقيقاتهم في ما توصلوا إليه من معين صاف، وينبئ عن جدلتهم بالإمامة وقيادتهم للأمة رغم أنوف الحاسدين، وعدولة الظالمين.

وفي الختام، أليس في هذا كله أدلة تقضي إلى القول بأن المعين الصافي الذي بحوزة أهل البيت عليهم السلام من عبادة ودعاء وأخلاق، هو الإسلام الحق الذي لم تشبهه شائبة حكومات الظلم؟
إن منظومة الهداة من آل محمد متكاملة من الجانبين النظري والتطبيقي، لا اختلاف في أحكامها، ولا تضارب في تشريعاتها، من قبل عليها غنم دينه، ومن فرقها خسره، إذ لا سبيل إلى الله تعالى غير سبيلهم ولا صراط لتضاه للناس غير صراطهم المستقيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1- سورة غافر الآية 60

2 - سورة البقرة الآية 186

3 - سورة الأعراف الآية 55

4 - سورة النمل الآية 62

5- الحقائق للكاشاني ص 274

6- الكافي ج 2 ص 466 / عدة الداعي ص 39

- 7- الكافي ج2ص466 / مكرم الأخلاق ص 268 / عدة الداعي ص29
- 8- الكافي ج2 468 عدة الداعي ص 29
- 9 - حديث أخرجه مسلم باختلاف في اللفظ والنسائي في الخصائص وأبو داود وابن ماجة وابن حنبل في مسنده بعدة طرق.
- 10 - حديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده
- 11 - سورة الأحزاب الآية 67
- 12 - سورة الكهف آية 102 و103
- 13 - مجمع البيان في تفسير التّوآن ج1ص4
- 14 - تفسير الطوي ج1ص78/79
- 15- مسلم ج 2 ص175
- 16- أخلاق محتشمي ص42
- 17- أخلاق محتشمي ص42
- 18- أخلاق محتشمي ص42 المحجة البيضاء
- 19- مسلم ج2ص188
- 20- الموطأ
- 21- مسلم ج2ص156
- 22- متفق عليه
- 23- مسلم ج2ص156
- 24- مسلم ج2ص156
- 25- مسلم ج2ص157
- 26 - مصباح الشريعة/ الحقائق للكاشاني / المحجة البيضاء
- 27- كتاب التوحيد ص189
- 28- مسند احمد بن حنبل
- 29- المحجة البيضاء ج7ص178/179
- 30- نهج البلاغة ج2ص178/179
- 31- نهج البلاغة ج2ص99/100
- 32- المحجة البيضاء ج4ص234/235
- 33 - نهج البلاغة قسم المواعظ والحكم رقم 147

34 - الصواعق المحرقة لابن حجر

35 - مصباح الشريعة ص 132



دفاعا عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

بعد الفراغ من التوحيد الذي هو الأساس الأول للعقيدة الإسلامية، ننطلق بعونه تعالى إلى الأساس الثاني وهو النبوة، والتي لم تسلم هي الأخرى من الدس والتشويه على خطى اليهود، من قبل كل من كانت له مصلحة في تضليل الناس، ودفعهم عن الاعتقاد الصحيح بمقام النبوة وعصمة أصحابها، ويظهر أن الأنظمة التي كانت تحكم رقاب المسلمين في العصور الأولى، هي التي أسست لعقيدة الضلال تلك، وحالت بين المسلمين وبين الاعتقاد الصحيح بالنبوة والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فقد كانت ترى أن كل أساس سليم للدين يهدد سلطتها، ويشكل خطرا مهددا لعروشها، فنجحت من خلال استمالتها لعدد من المنفيقين في لرساء عقيدة مشوهة بين المسلمين، حثتهم على اعتناقها عنوة، وفسحت المجال لها وحدها لتتربس، ويتخرج بها طلاب متاع الدنيا. وان كان للنبوة نصيب من ذلك، حيث استهدف هذا الركن إلى حملات عديدة أراد أصحابها الحط من مقام النبوة العالي، وزع القداسة عنه تمهيدا لضوب غره من المقامات الإلهية. قال تعالى: " يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون".⁽¹⁾

ولم تكن أنظمة الجبت والطاغوت منطلقة في عملها من فراغ، وهي التي كانت مقتفية في ذلك أثر حزب النفاق، الذي كان سباقا إلى زرع بذور الشك والريبة لإبطال نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بما روج عليه من أكاذيب حتى قام خطيبا في جوع المسلمين (الصحابة) فقال: " من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار".⁽²⁾

حتى هذا الحديث أيضا لم يسلم من التعريف، فقد أصقوا به لفظ متعمدا لتتواصل سلسلة الكذب. وقد وجدت ستة روايات خالية من ذلك اللفظ وهي كالآتي:

حديث عن علي عليه السلام: " من كذب علي فانه يلج النار".⁽³⁾

حديث عن سلمة بن الأوع: " من قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار".⁽⁴⁾

حديث عن أبي قتادة: " من تقول علي ما لم أقل...".⁽⁵⁾

حديث عن جندره: " من كذب علي أو قال علي غير ما قلت بني له بيت في جهنم".⁽⁶⁾

حديث عن أوس: " من كذب على نبيه لم يرح رائحة الجنة".⁽⁷⁾

حديث عن رافع بن خديج: " وليتبوأ من كذب علي مقعده من جهنم".⁽⁸⁾

وفي هذه الروايات الستة دليل على أن زيادة " متعمدا " لم يقلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما وضعت لغاية تخفيف خطورة الكذب عليه، فمن كذب غير متعمد أو روى كذبا عن كاذب، فهو غير متعمد، والتهديد لا يشملها، فكانت الإضافة معذرة وملاذبا للمتعصبين من أصحاب البدع والأهواء، المتكبين عن صراط الصفة الطاهرة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، ومطية سهلة الكوب لنصوة مذاهبهم وتأبيد حكامهم. وبين الضغوطات السلطوية والمذهبية خرج الاجزاء على

الله ورسوله، وظهرت أعلام التشويه والانحراف، لذلك وجب علينا إن لا نسلم بكل ما القى إلينا من عقيدة، حتى نستصفي منها الصالح والسليم، ونود كل ما وقع فيها على أعقابها مخفولا مقهرا، لأنه من عمل الشيطان وحزبه.

أسباب الكذب على الله ورسوله صلى اله عليه وآله وسلم

تعدد دافع الكذب على الله ورسوله بتعدد مصاروه، حسب مصالحهم وأهوائهم وغاياتهم، فالمنافقون وحزبهم الذي كان نشطا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحقق بعض النجاح في بث الشك والريبة في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما في الرواية التي نقلها مسلم عن عبد الله بن عمرو حيث قال كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أكتب كل شيء تسمعه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأوماً بإصبعه إلى فيه فقال أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق". لذلك لم تنته حملة التشكيك، وتوفت بعد وفاته بأن منع توين السنة النبوية، بل وأقدم الخليفة الأول والثاني على حرق ما طالته أيديهما من أحاديث، كانت مدونة عند عدد من الصحابة الذين خدعوا بالدعوة التي أطلقت من طرفهما: "من كان عنده شيء من حديث رسول الله فليأت به". ولا يخفى عن كل ذي لب وبصيرة أن السبب الأول الذي دعا هؤلاء القوم إلى اتخاذ ذلك الموقف المنوئ والمعادي للسنة، هو فصل الناس عن المعاني الواضحة، والتفاسير الدقيقة لعدد من الآيات القوانية، التي تحدثت عن الولاية والحكومة الإسلامية، كيفيتها وطريقة نصبها، فكلامه في حقيقة الأمر وأن مفسر، لما قول عليه من قرآن مجمل، لذلك فإن الله تعالى عد كلامه صلى الله عليه وآله وسلم قرآنا بقوله: "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل ربي زدني علما".

واستمر أمر حرق ومنع السنة النبوية من أن تكون قريبة من الناس من طوف الحكام الذين تسلطوا على رقاب المسلمين بدأ من السقيفة حتى جاء الطلقاء من بني أمية الذين ما كان لهم أن يحملوا بتتسم مقاليد أمر المسلمين وهم من أسس أساس الحرب عليهم وعلى نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم، لولا جماعة السقيفة الذين كانوا في حقيقة الأمر الوطاء الذي مهد لهم اعتلاء سدة الحكم. كما كان لبني أمية موقف آخر من السنة أشد خطأ وأكثر ضرا، فمعاوية هو من شجع الكذب على الله ورسوله وأعطى ما أعطى من أموال ومناصب، فخلط أوراقها وبث فيها سموما كثرة وهي التي لم تكن مدونة عند الكثيرين، كما لا يخفى على الدرس للتاريخ بما حواه من نقائص وكتب الحديث والسوة وطبقات الرجال ورى جليا بصمات اليهود على الروايات التي تتعلق بالتوحيد والنهية، فقد أمكن لكعب الأحبار أن يجد له مكانا مقدما بين الصحابة بفضل الخليفة الأول الذي أتاح له أن يقص في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويوغ سمومه في عقول من كان يستمع إليه من الصحابة، فنجح في تلوين العقيدة الصافية التي ترك عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم نشأ الاعتقاد اليهودي للتوحيد والنهية تحت غطاء وبعنوان إسلاميين. وكانت معاناة أهل البيت عليهم السلام في تلك الحقبة من الزمن كيرة، وكان عليهم أن يستميتوا في حفظ تراث جدهم والدفاع عن مقامهم في الأمة، والخروج بين هاذين المطالبين بأخف الضوار عليهم وعلى التلة المؤمنة التي والتهم، واتبعت وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم. وكان لهم أن نجوا في أداء مهمتهم للأمة،

فبينوا حقيقة التوحيد، ووضروا معاني النوة وذروا عنهما ما ألصقه الظالمون والجهلة من زهات لا تليق بهما. وبما أننا قد ذكرنا في بحث منفصل أسس التوحيد الصحيح لأهل البيت عليهم السلام، أشرنا إلى عقيدة غورهم ممن تتكبر عن نهجهم، في مقارنة تقطع على الصادق وجهته، فإننا في هذا المقام نتعرض لمعاني النوة وحقيقتها في عقيدة أهل البيت عليهم السلام، مشيرين في نفس الوقت إلى ما يعتقدونه غورهم من بقية الفرق الإسلامية بخصوص النوة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، تركين أمر اختيار الاعتقاد الصحيح إلى من في قلبه بصيص من نور وبقية من رجاء، فنقول بعونه تعالى:

النوة هي مركز الاجتباء ومقام الولاية الثاني، جعله المولى سبحانه وتعالى سببا بينه وبين خلقه، وطريقا إليه، فهي بابها الذي يؤتى منه تعبدا وطاعة، وهي نوره ووجهه ولطفه ورحمته، وهي حجته على خلقه وبنوع علمه ومعرفته. والأنبياء اختلهم المولى سبحانه وتعالى ليكفروا وسائط بينه وبين خلقه، واختصهم برسالاته وشريعته لما ظهر من صفاء معادتهم وجلاء أرواحهم. سبقوا بقية الخلق إلى معرفته تعالى، فكافاهم بان اختلهم واصطفاهم قال تعالى: " إن الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس".⁽⁹⁾

وبما إن خالق الخلق غير متناه في كمال وفي جلال، وفي غورهما من الصفات التي لا حصر لها ولا عد، فقد عسر على غير الصفة معرفته حق المعرفة والدلالة عليه، لان تجلياته تعالى تتطلب وعاءا خاصا مستعدا لانعكاس الفيض الإلهي عليه، فدل ذلك على إن منتهى النقص لا يمكن له إرواك منتهى الكمال، إلا بواسطة تكون خالية من النقص، قابلة لاشواقات البري تبرك وتعالى.

لقد دأب الأئمة الأطهار من آل محمد صلى الله عليه وعليهم، على توضيح معالم الدين وأحكام الشريعة لكل من قصد بيوتهم التي أذن الله أن ترفع، رغم عداة الظالمين لهم، ومحاولة فصلهم عن نورهم الإلهي، استطاعوا أن يحفظوا المعالم الحقيقية التي جاء بها جدهم صلى الله عليه وآله وسلم، وبيثوها صافية من أوران الطغاة نقية من شوائب أئمة الضلال عرية من كل شبهة جلية المعاني واضحة المعالم ولولا أظافهم الإلهية، لانترست معالم الدين، ولن أكون مغاليا في قلبي هذا، لان كل من تجرد من عصبية التمذهب العمياء، سيقف على محجة الصادقين والسابقين، وسيكون بإذنه تعالى في زهرة أصحاب اليمين.

جاء عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، في جوابه للزنديق الذي سأله: من أين اثبت الأنبياء والرسول؟ قال: " إنا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا، لم يجز أن يشاهد خلقه ولا يلامسوه، فيباشروهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجره، ثبت أن له سواء من خلقه يعبرون عنه إلى خلقه وعبادته، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاءهم وفي تركه فناءهم، فثبت الأمور والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، المعبرون عنه عز وجل، وهم الأنبياء صفوته في خلقه، حكماء مؤيدين بالحكمة، مبعوثين بها غير مشركين للناس على مشركتهم لهم في الخلق والتوكيب في شيء من أهرالهم، مؤيدين عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك بكل دهر وزمان مما أتت به الرسول والأنبياء من الدلائل والواهين لكي لا تخلوا أرض الله من حجة، يكون معه علم يدل على صدق مقالته، وجواز

إنقسم المسلمون في فهمهم وإراكمهم لحقيقة النية وجرورها إلى قسمين:

القسم الأول:

يقول بعضمة الأنبياء قبل النية وبعدها، لما معناه عدم جواز صدور الذنوب عنهم صغرها وكبرها، عمدها وسهوها، واستدلوا على ذلك بأدلة عقلية ونقلية، وهم أتباع الأئمة الطاهرين من آل محمد الميامين صلى الله عليه وآله وسلم.

القسم الثاني:

يقول بعدم عصمتهم قبل النية، أما بعدها ففي التبليغ عن الله تعالى فقط، وجوزوا عليهم الأخطاء عمدا وسهوا ونسوا لهم ما لا يجوز حتى على أهون المسلمين، وهم أتباع ما يسمى بالسنة والجماعة.

وحتى يتبين الورد من الغي، وتظهر أعلام الحق عالية، لا بد من مؤزنة بين الوأيين، فماذا يقول أصحاب الوأي الأول

شيعة الأئمة الإثني عشر خلفاء الله في أرضه، والمستحفظين على شريعته بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟

إقتضت أطفاف المولى سبحانه وتعالى أن يكون الواسطة بينه وبين خلقه معصوما، لما لا يخفى من حكمته، واصطفوه

لوسائطه من خلقه مبني على ذلك الأساس، وليست العصمة بالمعنى الذي إنغرس خطأ في بعض العقول، والذي مفاده إن

المعصوم مجبور على عدم فعل المعصية. وإنما هي ملكة عقلية وحسية بلغت من المعرفة للخالق تعالى والإواك له، بحيث

يكون صاحبها ممتنعا عن المعاصي مع قدرته عليها، ثم مسددا من قبل المولى بعد ذلك لما يظهر له من تجليات آياته تعالى.

وبناء على ذلك نقول: انه لما كان المولى سبحانه وتعالى مطلقا على استعدادات خلقه وإمكاناتهم الباطنة فضلا عن الظاهرة،

فان اختياره كان متجها إلى الأصلاح والأكثر استعدادا على القيام بوظيفة التبليغ عنه، فيفعل به أطفافا، ويهيأ له ما يؤهله إلى

الأداء عنه. فلا بد إذا من أن يكون الواسطة بين الله تعالى وخلقه أفضل وأحسن عقلاء عواده، معصوما من كل ذنب مؤا من

كل تهمة، خاليا من كل نقيصة وعاهة، متكاملا خلقا وخلقاً مؤها عن وضاعة الأصل ككفر الآباء والأمهات، معلوما عند

الخالق تعالى قبل الخلق، غير مستترك بعده، وإذا كانت هذه الصفات غاية يسعى للحصول عليها الفؤد المؤمن وهو في طريقه

المعرفي والعملي، فكيف لا تكون محصلة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ والعصمة هي قوة باطنة للعقل والفؤاد، موجودة

في النبي صلى الله عليه وآله وسلم، متنامية مع نمو جسده الشريف، ملبية لمتطلبات أوله الحياتية واجبة لاستكمال وثوق

الناس به، والتسليم له نون أدنى شك أو ريب في ما يصدر عنه، أهو من المولى تعالى أم منه؟ فلو جاز صدور الذنب عنه،

لسقط مقامه في الناس وكان موضع رد ولوم بحسب الذنب الصادر عنه، وقد يقتضي ذلك من باب الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر تغرؤه وإيذاءه، وذلك مما لا يليق بالمقام العالي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والذي هو نيابة عن المولى سبحانه

وتعالى.

والمصطفى سبقت العناية الإلهية إليه إعدادا وتهيئة، لحصول التكامل مع الوظيفة المناطة به، قال رسول الله صلى الله عليه

(11)

وآله وسلم: " أدبني ربي فأحسن تأديبي".

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه: "وقد قون به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكرم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهله".⁽¹²⁾

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤاً من كل العيوب مزه عن كل النقائص حتى السهو والنسيان والغفلة لا تجوز عليه لمعلضتها للدر المناط به ويؤيد ذلك ما ورد في القوان الكريم كقوله تعالى: "... وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" ⁽¹³⁾.

وقوله تعالى: " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا " ⁽¹⁴⁾ . وقوله تعالى: " سنقونك فلا تنسى " وقوله تعالى: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا " ⁽¹⁵⁾ . حتى وإن سلمنا بانقسام حياة النبي إلى محطتين، الأولى فقرة ما قبل النبوة والثانية فقرة النبوة، فإن ذلك التقسيم لا يتعدى كونه بيانا وفصلا تزيخيا لفتوتين. أما الحقيقة فقد جاءت على لسان سيد الأنبياء والموسلين صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول: " نبئت وآدم بين الماء والطين".⁽¹⁶⁾

بمعنى أن خلقه ونبوته كان قبل خلق آدم عليه السلام، ولولا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما خلق الله تعالى رضاء ولا سماء، ومن أجل محمد صلى الله عليه وآله وسلم خلق الله تيلك وتعالى الخلق، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تقرب الأنبياء والموسلين، وبه وبوسالته بشروا أمهم، فلا مجال للقول بعد ذلك بفترة ما قبل النبوة، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان نبيا في عالم الملكوت، عرفا عالما بنفسه متيقنا من ذاته، غير انه لم يكن مأمورا بالإفصاح عن مكنونه، وإظهار نبوته وشريعته طيلة أربعين سنة من ولادته. قال تعالى: " ولا تعجل بالقوان من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربي زدني علما " ⁽¹⁷⁾.

أجمع المسلمون المتشيعون لمحمد وآله الأطهار صلى الله عليهم، على طهارة آباء وأمهات النبي صلى الله عليه وآله، وتزهيم عن الشرك والكفر، وما يضع من مقامه الشريف كالأزنا ووضع الأصل. قال تعالى: " وتقلبك في الساجدين".⁽¹⁸⁾

وجاء تفسيرهم للآية بما وجوه مرويا عندهم، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، وأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قولهما: " تقلب النبي صلى الله عليه وآله في أصلاب الموحدين والنبيين نبي بعد نبي، وموحد بعد موحد حتى أخرج من صلب أبيه عبد الله، وأمه آمنة عليهما السلام.

فآباء الأنبياء كلهم موحدون مؤمنون، كذلك آباء النبي وأمهاته. فعبد المطلب عليه السلام كان موحدا، كذلك الحال بالنسبة لعمة سيدنا أبو طالب عليه السلام، ولم يكن كافوا كما يعتقد السواد الأعظم من المسلمين، وكما استطاع بنو أمية أن يغرسوه في اعتقادهم فيظلموا سيد قريش. ولم يؤثر عنه أنه سجد لصنم أو قرب قربانا لآلهة قريش طوال حياته الشريفة، بل جاءنا ما يفيد عكس ذلك تماما، فقد كان عبد المطلب يتعبد في غار حراء، ومن بعده أبو طالب قبل أن يسلك النبي صلى الله عليه وآله مسلكهما. من أشعار أبي طالب عليه السلام والتي تثبت اعتناقه للإسلام:

من خير أديان الولاية دينا

ولقد علمت بأن دين محمد

وهو الذي لوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصوه، ورد عنه أذى المشركين، وتحمل من أجله لتبعات ذلك، فنفي من جملة من نفي إلى شعاب مكة، وقد سمي المنفى بشعب أبي طالب عليه السلام.
قال تعالى: "والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا".⁽¹⁹⁾

فمصلحة تعامله مع وجهاء ورؤوس قريش كانت تقتضي بان يكتم أبو طالب إيمانه، وكان حري بأن يلقب بمؤمن قريش كما لقب حزقيل عليه السلام مؤمن آل فوعون.

لكن بني أمية ومن حذا حنوهم، كبر عليهم أن يكون محمد وآله صلوات الله عليهم بلا عيب ولا مغزوة، وسلاواتهم غلقة في الشرك وخبائة الموالد، فوضعوا أحاديث تكفر آباء وأمهات وأولياء النبي صلى الله عليه وآله.

أما تعبه قبل الإذن له بالدعوة، فقد كان على دينه، وليس على دين أي من الأنبياء الذين سبقوه، لثلاثة أسباب هي:

السبب الأول:

لأنه كان نبيا و آدم بين الماء والطين.

السبب الثاني:

لأن كل الأنبياء جؤوا لبيشروا بنبوته وبدينه. قال تعالى: "ووصى بها إواهيم بنيه يا بني إن الله قد اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون".⁽²⁰⁾

السبب الثالث:

لأنه إمام الأنبياء والموسلين وأفضلهم، وكان متوعا ولم يكن تابعا.

معنى النبي الأمي

جاء عن الصولي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قلت له: يا ابن رسول الله، لم سمي النبي الأمي؟ قال ما يقول الناس؟ قلت: يقولون إنما سمي الأمي لأنه لم يكتب. قال: كذبوا أنى يكون ذلك والله تعالى يقول في محكم كتابه: " هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ينلو عليهم آياته ويذكرهم ويعلمهم الكتاب والحكمة". فكيف يعلمهم ما لم يحسن؟ والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لسانا، وإنما سمي الأمي لأنه كان من مكة، ومكة من أمهات القوي، ذلك قول الله في كتابه: " لتتذر أم القوي ومن حولها".⁽²¹⁾ وفي موضع آخر جاء تفسير الأمي بالذي لم يتقر في قومه كتاب، ومن ذلك قوله تعالى: " قل للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم".

عجيب أن تتقلب المفاهيم الصحيحة عند الناس، لتتحول معكوسة في أذهانهم، فكيف يصح أن نصف المتعلم من أفواه الناس عالما، والمتعلم من الله تعالى جاهلا لا يحسن القاءة والكتابة.. فتبصر..

أرسل المولى سبحانه وتعالى مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسولا، منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رسولا، وأولي الغرم

منهم خمسة.

عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: " فاصبر كما صبر أولوا الغم من الرسل " فقال: فوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم. قلت: كيف صاروا أولي الغم؟ فقال: لان نوحا بعث بكتاب وشريعة، وكل من جاء بعد فوح اخذ بكتاب فوح وشريعته ومناهجه، حتى جاء إبراهيم بالصحف وبغزيمة ترك كتاب فوح لا كوانه، فكل نبي جاء بعد إبراهيم اخذ بشريعة إبراهيم ومناهجه، وبالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وبشريعته ومناهجه وبغزيمة ترك الصحف، وكل نبي جاء بعد موسى أخذ بتوراته وبشريعته ومناهجه حتى جاء عيسى بالإنجيل، وكل نبي جاء بعد عيسى أخذ بإنجيله وبشريعته ومناهجه، حتى جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم فجاء بالقرآن وبشريعته ومناهجه، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحوامه حوام إلى يوم القيامة، فهؤلاء أولي الغم من الرسل".⁽²²⁾

عن زرارة قال: " سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: "وكان رسولا نبيا " ما الرسول وما النبي؟ قال: "النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك ".⁽²³⁾

ونبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الأنبياء والرسل، بل أفضل المخلوقات إطلاقاً، فهو الذي بدأ الله تعالى به الخلق وجعله بشرة الأنبياء، وإيدانا بقوب خروجه، وكلهم بعثوا لأقوامهم خاصة، وسيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم بعثه الله تعالى للعالمين، من لدن بعثته حتى قيام الساعة.

لم يقف الأئمة الأطهار من نزية خير الأخيار صلى الله عليه وعليهم من حملات الدس والتشويه والتحريف التي شنت على السنة النبوية المطهرة موقف المتوج، بل كانوا يتصدون في كل مرة وكلما وجبوا فرصة لإنارة عقول المسلمين بعلومهم الإلهية التي لم تطلها أيدي العابثين، لان دين الله تعالى لا يترك سدى للناس يفعلون به الأفاعيل، إنما وقع حفظه بأهل البيت الأطهار عليهم السلام كما قال تعالى: " بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء".⁽²⁴⁾

والدرس لأحاديثهم ورواياتهم في شتى مجالات الدين من عقيدة وشريعة، يقف على معنى الحفظ والمستحفظين. إن ذلك النور لم يتركه المولى سبحانه وتعالى للناس، فيكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم مقصوا في وظيفته، بترك القرآن بلا جمع والأحاديث النبوية بلا تنوين، بل ما جاءنا عنهم عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غادر الدنيا متمماً بوره واضعاً كل شيء موضعه. وأنه مجوع وسنته محفوظة عند أصحابه الموكلين بهما، والذين اذهب الله سبحانه وتعالى عنهم الوجس وطهورهم تطهروا، والذين قال عنهم جل وعلا: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين "⁽²⁵⁾

ولالإمام علي بن موسى الرضا ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، مناظرات في عصمة الأنبياء جرت له مع أصحاب المقالات، تصدى فيها مدافعا عن مبدأ طهارة الأنبياء وعصمتهم، فجلى بكلامه وبيانه عن المسلمين غمة الإشكال والشك، ودفع عنهم ما ارتأوه في تلك المسألة، انقلها كما هي عن كتاب عيون أخبار الرضا عليه وعلى آله أفضل صلاة وركى تسليم:

حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي رضي الله عنه قال: حدثني أبي عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن علي بن محمد بن الجهم، قال حضوت مجلس المأمون وعنده الرضا علي بن موسى عليهما السلام، فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: أن الأنبياء معصومون؟ قال: نعم قال: فما معنى قول الله عز وجل: "وعصى آدم ربه فغوى"، فقال عليه

السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لآدم: "أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقوبا هذه الشجرة" وأشار لهما إلى شجرة الحنطة، "فتكونا من الظالمين" ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا مما كان من جنسها، فلم يقوبا تلك الشجرة ولم يأكلا منها، وإنما أكلا من غيرها، لما وسوس الشيطان إليهما وقال: "ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة" وإنما ينهاكما أن تقوبا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها "إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما من الناصحين" ولم يكن آدم وحواء شاهدين من قبل ذلك من يحلف بالله كذبا "فدليهما بغرور" فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوة، ولم يكن بذنب كبير استحق به دخول النار، وإنما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبيا كان معصوما، لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال عز وجل: "إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين نزية بعضها من بعض".

فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: "فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما" فقال له الرضا عليه السلام: إن حواء ولدت لآدم خمس مائة بطن ذكوا وأنثى، وإن آدم عليه السلام وحواء عاهدا الله عز وجل ودعواه، وقالوا: "لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا". من النسل خلقا سويا بريئا من الزمانة والعاهة وكان ما آتاهما صنفين، صنفا ذكوانا وصنفا إناثا، فجعل الصنفان لله تعالى ذكوه شركاء فيما آتاهما، ولم يشكوا كشكر أبيهما له عز وجل قال الله تبارك وتعالى: "فتعالى الله عما يشركون".

فقال المأمون: أشهد أنك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقا، فاخبرني عن قول الله عز وجل في حق إبراهيم عليه السلام: "فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي" فقال الرضا عليه السلام: إن إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف، صنف يعبد الزهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشمس، وذلك حين خرج من السوب الذي أخفي فيه، فلما جن عليه الليل "وأى الزهرة، قال: "هذا ربي" على الإنكار الاستخبار، "فلما أفل الكوكب" قال لا أحب الآفلين " لأن الأفل من صفات المحدث، لا من صفات القدم "فلما رأى القمر بؤغا قال هذا ربي" على الإنكار والاستخبار "فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الظالمين" فلما أصبح ورأى الشمس بؤغا قال هذا ربي هذا أكبر" من الزهرة والقمر على الإنكار والاستخبار، لا على الإخبار والإقرار " فلما أفلت " قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزهرة والقمر والشمس: "يا قوم إني ويء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين".

وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بما قال أن يبين لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لمن كان بصفة الزهرة والقمر والشمس، وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والأرض، وكان ما احتج به على قومه مما ألهمه الله تعالى وآتاه كما قال عز وجل: "وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه" فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله، فاخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام: "رب رني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي".

قال الرضا عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى كان وحي إلى إبراهيم عليه السلام: "إني متخذ من عبادي خليلا، إن سألتني إحياء الموتى أحبته".

فوقع في نفس إراهيم انه ذلك الخليل، فقال: " رب رني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قل بلى ولكن ليطمئن قلبي ".
على الخلّة، قال: " فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزء ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله
عزيز حكيم".

فأخذ إراهيم عليه السلام نسوا وطلوسا وبطا وديكا فقطعهن وخلطهن، ثم جعل على كل جبل من الجبال التي حوله،
وكانت عشوة، منهن جزء، وجعل مناقوهن بين أصابعه، ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حبا وماء، فنتطورت تلك الجزاء
بعضها إلى بعض حتى استوت الأبدان، وجاء كل بدن حتى انضم إلى رقبته ورأسه، فخلى إراهيم عليه السلام عن مناقوهن
فطرن، ثم وقعن فشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحب، وقلن يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال إراهيم بل الله يحيي
ويميت وهو على كل شيء قدير.

قال: المأمون برك الله فيك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عز وجل: " فوكره موسى ففضى عليه قال هذا من عمل
الشیطان".

قال الرضا عليه السلام: إن موسى دخل مدينة من مدائن فوعن على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب العشاء، فوجد
فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه".

ففضى موسى على العدو وبحكم الله تعالى ذكره، فوكره فمات، قال: هذا من عمل الشيطان يعني الاقتتال الذي كان وقع بين
الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله، انه يعني الشيطان " عدو مضل مبين" فقال المأمون: فما معنى قول موسى " رب
إني ظلمت نفسي فاغفر لي " قال: يقول: إني وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة " فاغفر لي " أي استرني
من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلونني " فغفر له انه هو الغفور الرحيم " قال موسى عليه السلام: رب بما أنعمت علي من القوة
حتى قتلت رجلا بوكرة".

فلن أكون ظهوا للمجرمين" بل أجاهد في سبيلك بهذه القوة حتى ترضى " فأصبح " موسى عليه السلام في المدينة " خائفا
يترقب فإذا الذي استصوه بالأمس يستصوخه " على آخر " قال له موسى انك لغوي مبين " قاتلت رجلا بالأمس وتقاتل هذا
اليوم، لأوذيك، ورأد أن يبطش به" فلما رأد أن يبطش بالذي هو عدو لهما " وهو من شيعته " قال يا موسى أتريد أن تقتلني
كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبلا في الأرض وما تريدان تكون من المصلحين " قال المأمون: جزاك الله عن
أنبيائه خرا يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لوعون: " فعلتها إذا وأنا من الكافرين " بي " قال موسى: " فعلتها إذا وأنا من
الضالين " عن طريق بوقري إلى مدينة من مدائنك، " ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين " وقد
قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم " ألم يجدك يتيما فآوى " يقول: ألم يجدك وحيدا فآوى إليك الناس "
ووجدك ضالا" يعني عند قومك " فهدى " أي هداهم إلى معرفتك " ووجدك عائلا فأغنى " يقول: أغناك بان جعل دعاءك مستجابا،
قال المأمون: برك الله فيك يا ابن رسول الله، فما يعني قول الله عز وجل: " فلما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب رني
انظر إليك قال لن زاني " كيف يجوز أن يكون كلهم الله موسى ابن عمران عليه السلام لا يعلم أن الله تبرك وتعالى ذكره لا

يجوز عليه الرؤية حتى يسأله هذا السؤال؟ فقال الرضا عليه السلام: إن كلّم الله موسى بن عمران عليه السلام علم إن الله تعالى أعز من أن يرى بالأبصار، ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجيا، رجع إلى قومه فاخروه أن الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه، فقالوا: " لن نؤمن لك " حتى نستمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبع مائة ألف، رجل فاختره منهم سبعين ألفا، ثم اختار منهم سبعة آلاف، ثم اختار منهم سبع مائة، ثم اختار منهم سبعين رجلا لميقات ربهم إلى طور سيناء، فأقامهم في سفح الجبل وصعد موسى إلى الطور وسأل الله تعالى: أن يكلمه، ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى ذكره، وسموا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأن الله عز وجل أحدثه في الشجرة وجعله منبعثا منها حتى سمعوه ومن جميع الوجوه فقالوا "لن نؤمن لك " بان هذا الذي سمعناه كلام الله ": " حتى نرى الله جوهة " فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقة، فأخذتهم بظلمهم، فماتوا، فقال موسى: يارب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم، وقالوا انك ذهبت بهم فقتلتهم لأنك لم تكن صادقا فيما ادعيت من مناجاة الله عز وجل إياك، فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: انك لو سألت الله أن يريك ننظر إليه لأجابه، وكنت تخبرنا كيف هو، فنعرفه حق معرفته؟ فقال موسى: يا قوم إن الله تعالى لا يرى بالأبصار ولا كيفية له، إنما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: " لن نؤمن لك " حتى تسأله، فقال موسى: يارب انك قد سمعت بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فوحي الله عز وجل: يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى عليه السلام: " رب رني أنظر إليك قال لن راني ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه " وهو يهوي " فسوف راني فلما تجلى ربه للجبل "بآية من آياته" جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك " يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي " وأنا أول المؤمنين " منهم بأنك لا ترى.

فقال المأمون: لله ترك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عز وجل: " لقد همت به وهم بها لولا أن رأى وهان ربه ". فقال الرضا عليه السلام: إنها همت بالمعصية، وهم يوسف بقتلها إن أجرته لعظم ما تداخله، فسوف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله عز وجل: " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ". يعني القتل والزنا.

قال المأمون: لله ترك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عز وجل: " وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه ". فقال الرضا عليه السلام: ذلك يونس بن متى عليه السلام: ذهب مغاضبا لقومه فظن بمعنى استيقن "أن لن نقدر عليه "أي لن نضيق عليه" رزقه "، ومنه قوله عز وجل: " وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه "، أي ضيق وقت " فنأدى في الظلمات "أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت "أن لا له إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين". بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتها لها في بطن الحوت، فاستجاب الله له، وقال عز وجل: " فلو لا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ". فقال المأمون: لله ترك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عز وجل: " حتى إذا استنأس الوسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصونا".

قال الرضا عليه السلام: يقول الله عز وجل: " حتى إذا استنأس الوسل " من قومهم وظن قومهم أن الوسل قد كذبوا، جاء الوسل نصونا، فقال المأمون: لله ترك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عز وجل: " ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما

تأخر".

قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشوكي أهل مكة أعظم ذنبا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهم كانوا يعبدون من نون الله 360 صنما، فلما جاءهم صلى الله عليه وآله وسلم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص، كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: " اجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملائمة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء راد، ما سمعنا بهذا في الملة الأخرى إن هذا إلا اختلاق".

فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم مكة، قال له يا محمد: " إنا فتحنا لك " مكة " فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ". عند مشوكي أهل مكة، بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، لأن مشوكي مكة أسلم بعضهم، وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذ دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفورا بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسين، فأخبرني عن قول الله عز وجل: " عفا الله عنك لم أذنت لهم " قال الرضا عليه السلام: هذا مما قول بإياك أعني واسمعي يا جرة، خاطب الله عز وجل بذلك نبيه ورأد به أمته، وكذلك قوله تعالى: " لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين " وقوله عز وجل: " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا"...
فقال المأمون: لقد شفيت صوري يا بن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبسا علي، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيرا.

قال علي بن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد عليهما السلام وكان حاضرا في المجلس وتبعتهما فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال له عالم ولم زه يختلف إلى أحد من أهل العلم، فقال المأمون: إن ابن أخيك من أهل بيت النبي الذين قال فيهم: " ألا إن أوار عتوتي، وأطايب رومتني، أحلم الناس صغرا، وأعلم الناس كبرا، فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى، ولا يدخلونكم في باب ضلالة".

وانصرف الرضا عليه السلام إلى منزله، فلما كان الغد غنوت إليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له فضحك عليه السلام ثم قال: يا بن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه سيغتناني والله تعالى ينتقم لي منه.⁽²⁶⁾

ولو أمكنك تصفح جميع كتب الإمامية الإثني عشرية - وهي الفوعة التي تمثل الإسلام المحمدي النقي تسمت بذلك الاسم لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " سيكون عليكم اثني عشر إماما".

فانك لا تجد حديثا أو رواية واحدة تمس من شخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أو تحط من مقامه، فلا الوضاعون من يهود ومناققين استطاعوا أن يخرقوا طوق الإمامة، ولا أنصلهم من الظالمين والجبابة، وفقوا إلى دس شيء يمكنه أن يفل في كيان العقيدة القوي الذي يعتنقه أتباع هذا الخط.

ولا يتم البحث، وتتجلى حقائقه وتقطف ثمره، إلا بعوض ما وصلت إليه يدي من روايات عند من ينتسبون إلى سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم في الحقيقة أبعد ما يكونون عنها فنقول:

عندما نتناول الكتب الروائية لما اصطلح عليه بأهل السنة والجماعة، وخصوصا ما أسموه بالصحيح السنة، وهي الجامع (الصحيح) للبخري، ومسلم، والمعبر عنهما بالشيخين، وسنن الترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجه، والتأكيد خصوصا على ما يقبونهما بالصحيحين، لأنهما الكتابان اللذان لا يتطرق إليهما شك، في ما حوته دفتاهما من روايات منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عند معتقني ذلك الخط، غير أن الحقيقة تقول أن في كثير منها مساس بعقيدة التوحيد، من تجسيم للمولى تعالى، وإظهاره بمظهر لا يليق بذاته المقدسة، وطعن في النبوة بما نسوه لها من زهات، وحط من شخص النبي الأعظم بنسبة عدد من الأفعال التي لا تصدر حتى عن إنسان عاقل بسيط. ولقائل أن يقول: لماذا سميت تلك الكتب بكون غورها من الكتب الروائية عند من عرفوا بأهل السنة والجماعة بالصحيح، والحال أن هناك غورها من نفس المذهب تفوقها قيمة، كمسند احمد بن حنبل والذي يعتبر أقدمها، هذا إذا غضضنا الطرف عن الكتب الروائية الأخرى التي تتواجد في الساحة الإسلامية ولا يأبه لها أحد من هؤلاء؟

والجواب أن تسمية تلك الكتب بالصحيح جاء بعد وفاة أصحابها، من قبل أنظمة يشهد لها بالطغيان والظلم، والبعد عن الدين الحق والعداء له ولمعتنقيه. لقد نظرت تلك الأنظمة في كتب الحديث لاعتمادها رسميا في مدرستها، ومرجعا لفقهاؤها وعلمائها لتكون النواة للدين الرسمي في بلادها، فلم تجد كتبا مغيبية لروايات أئمة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وطامسة لمقاماتهم غير تلك الكتب فاعتمدتها وزكته وبلكتها، وأضفت عليها مسحة الصحة والقداسة، وتسالمت الأجيال عليها جيلا بعد جيل، حتى أصبح مجرد الوقوف عند حديث مما رواه الشيخان مدعاة للتفسيق والتكفير، فانغرس ذلك الاعتقاد عند العامة، والناس على دين ملوكهم، إلى أن اكتسبت صفة القداسة، واستمرت الأجيال على تلك الوتوة حتى أصبح جامع أحاديث البخري مقدما في أسطول الدولة العثمانية، خصص له قرئ يتلوه في كل سفينة تيمنا وتوكة بمحوه، وتوسخت تلك القداسة عند الناس إلى أن أصبحوا يحلفون بها ففي تونس التي كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية بقيت آثار تلك الثقافة حتى وأخر القرن العشرين عند كبار السن الذين كانوا يحلفون، عندما يريدون التأكيد على صحة كلامهم بقولهم: "والجاءه والبخري"، و"الشفاه والبخري" والجاه هنا القصد منه السلطان العثماني والباي الذي يمثله بتونس، والشفاه هنا القصد منه كتاب الشفاء للقاضي عياض، قاض قضاة السلطة.

وعلى ذلك فإننا اليوم نجاه بأنفسنا من الأتون الذي وضعنا فيه غما عنا، مطالبون بالنظر في ما حوته تلك الكتب من زهات لا تليق بالإسلام عقيدة وشريعة، نظر المبصر الواعي بما آل إليه حال الأمة من تود وانحطاط وتخلف وضياع، سببه الإصرار على التعبد بالورثة، ومواصلة تحمل تبعات من أسسوا أساس هذا الضياع الذي نتخبط فيه.

لقد بذلت ما في وسعي للدلالة على فساد كثير من الروايات المخوذة في تلك الكتب، واضعا الإصبع على نقطة من موضع الداء، ومشوا إلى أن بيت العلم الذي هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له باب، فقد قال: "أنا مدينة العلم وعلي بابها". وجرت العادة أن البيوت توتى من أبوابها، ومن جاءها من غير مدخلها سمي سلقا أو جاهلا. وتجاهل الإمام علي عليه السلام والانصاف عنه وعن رؤية النبي الطاهرة عليهم جميع افضل صلاة وزكى تسليم، إلى مجهولي الحال ومتعلوني الضلال،

للنكرة اقرب منهم إلى المعرفة، عافهم التزيخ فلم يحتفظ منهم بغير كنايات جوفاء، مدعاة للتساؤل لماذا رضينا لأنفسنا أن سلك خطوطا بعيدة كل البعد عن أهل البيت عليهم السلام، في حين أننا مطالبون بأن نكون أكثر قوبا ومودة وحبا ولتباطا بهم، لأنهم شكوا على مر التزيخ قاعدة الدين الصافي، والعلم الوافي، والثورة المتأججة ضد الظلم أبدا، لم يسجل عليهم التزيخ زلة، ولا أظهر عنهم إلا ما يتلج الفؤاد ويفيد العباد.

1 - أخرج البخاري في باب التعبير، عن عائشة قالت في حديث طويل:

"... فكان (ص) يأتي حواء فيتحنث فيه (يتعبد) الليالي نوات العدد، ويتروذ لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتروده لمثلها حتى فجئه الحق، وهو في غار حواء فجاءه الملك فيه فقال: أوأ، فقال له النبي (ص) فقلت ما أنا بقرئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: أوأ فقلت: ما أنا بقرئ فغطني ثانية فقلت: ما أنا بقرئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: أوأ باسم ربك الذي خلق، حتى بلغ ما لم يعلم، فوجع بها وجف بواوه حتى دخل على خديجة فقال: زملوني، زملوني، فمלוه حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة مالي؟ واخوها الخبر، وقال قد خشيت على نفسي، فقالت له، كلا ابشر والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم، وتصدق الحديث وتحمل الكل وتوى الضيف وتعين على ثواب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد الغوي بن قصي، وهو بن عم خديجة أخو أبيها، وكان أمرا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العوي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عمي اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة ابن أخي ماذا ترى؟ فأخوه النبي (ص) فقال ورقة: هذا الناموس الذي اتول على موسى يا ليتني فيها جذعا أكون حيا حين يخوجك قومك. فقال رسول الله (ص) أو مخرجي هم. فقال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يوركني يومك أنصوك نصوا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي، فتوة حتى حزن النبي (ص) فيما بلغنا حزنا غدا منه مورا كي يتردى رؤوس شواهد الجبال، فكلما أوفى بزروة جبل كي يلقي منه نفسه تبدي له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فوجع، فإذا طالت عليه فتوة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بزروة جبل تبدي له جبل تبدي له جبريل، فقال له مثل ذلك.⁽²⁷⁾

هذا الحديث أخرجه جل حفاظ ما يسمى بأهل السنة والجماعة، غير أن البخاري تفرد بخاتمته، وأي خاتمة؟

قبل أن نتناول الحديث بالرواية متنا، لا بد لنا من تقييمه سندا، وان كان ذلك ممتعا عند المتيمين بحب البخاري، إلا أنه لما نجد أن المس والقدر والتهمة وصلت إلى معتقدا في تزيه البلري تعالى وعظمت، وكيل التهم والأفعال الشنيعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فانه من واجب كل من في قلبه نوة من إيمان أن يتصدى لهذه الظاهرة الغريبة عن الدين والبعيدة عن العلم والمنطق والواقع.

نظرة في سند الحديث:

(28)

- الليث بن سعد: قال بن معين: كان يتساهل في الشيوخ والسماع

- عقيل بن خالد الأيلي: قال أبو حاتم: لم يكن بالحافظ، قال أبو الوليد: قال لي الماجشون: كان عقيل جورا. والجواز هو

(29)

الشوطي. قال أحمد بن حنبل: ذكر عند يحيى القطان إواهيم بن سعد وعقيل فجل كأنه يضعفهما.

(30)

- يحيى بن عبد الله بن بكير: قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال النسائي: ضعيف، وقال مرة: ليس بثقة.

- ابن شهاب الزهري: كان داعية الأمويين، المقرب عندهم، وضع لهم أحاديث عندما كان عبد الله بن الزبير مستولياً على

(31)

مكة، وقد أتينا على ذكره في الرواسة التي تخص التوحيد

- أما بخصوص عائشة بنت ابن أبي قحافة فإنها ولدت بعد نزول الوحي ولم تذكر عن أخذت الرواية من ناحية، ومن

ناحية أخرى فإن كل طامة وبيلة فيها مساس بالرسول صلى الله عليه وآله إلا وهي طرف فيها، سواء كان ذلك في حياة النبي

صلى الله عليه وآله، أو بعد وفاته، وهذه إحدى طاماتها، وحوي بمن له دين أن لا يأخذ عنها شيئاً، لوط غيرتها وبغضها لبيت

فاطمة وعلي، حتى السيدة خديجة لم تسلم من أذاها مينة لمارأت بأمر عينيها عناية النبي صلى الله عليه وآله بصاحبات خديجة

واهتمامه بهن، مما دفعها إلى وصف سيدة النساء بالعجوز الحمراء الشدقين، واجزائها على رسول الله بقولها أكثر من مرة "

أرعم أنك رسول الله "فأراد أوه أن يضربها فمنعه النبي صلى الله عليه وآله بقوله: "دعها فإنها امرأة غواء لا تعرف أسفل

(32)

الوادي من أعلاه". فكيف يعتمد الناس في دينهم على امرأة غواء بهذا الوصف الفظيع الذي وصفه بها رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم، وخروجها من بيتها على جمل وقد دعاها المولى تعالى إلى أن تقر في بيتها، طلباً لحكومة ابن أختها عبد الله

بن الزبير، وقيادتها لفلول الفتنة من أعقاب الجوزة، ومنزلتها لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في إمامته

الشوعية، وقتل آلاف من المسلمين بسببها من أجل أطامعها، دليل آخر على ما كانت تنطوي عليه نفسياتها، ولعل المثل الذي

ضربه المولى لها في زوجة فوح ولوط عليهما السلام كاف لمن أترك معنى الأمثلة التي ضربها لنساء النبي صلى الله عليه

وآله.

إن كل من يتدبر ما يقع بين يديه، وله قلب واع، يستهجن كثراً من الروايات الموضوعية والمدونة في تلك الكتب، ولا

يستسيغ مواقف وضعوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله لا تشوف أبسط بسطاء الأمة، يورك جيداً بعد وخطر المؤامرة التي

حيكت للدين وأصحابه.

ولست أوري إن كانت العلة صاورة عن عائشة، أم عن من روى عنها من أبناء أختها، أو ممن كان يدور في فلكتها من

عباد الدنيا ومنتسبي السلطة والمناصب، من أشباه الفقهاء والقصاصين الذين طالت أعناقهم عند العامة بعائشة ومن كان في

شاكلتها. إلا أنني أقول جزمًا أن التي تعرأت على النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام، ومن بعده

إبنه الحسن عليه السلام، عندما خرجت على بغلة تألب الناس كي يمنعوا الإمام الحسين عليه السلام من دفن أخيه الإمام

الحسن عليه السلام، بجانب جده رسول الله، حتى قال فيها القائل: " تجملت، تبغلت ولو عشت تقيلت، أي أنك خرجت على

الإمام محلبة إياه على ظهر جمل، ثم خرجت تمنعين دفن الحسن عليه السلام وتألبيين عليه بني أمية، على ظهر بغلة، وقد

تخرجين على ظهر فيل من أجل محلبة أي مزرة لأهل البيت الذين اذهب الله تعالى عنهم الوجس وطهورهم تطهروا.

ولكن طالما أنها هي التي فتحت على نفسها منفذ الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لتظهر بمظهر العالمة

الفقهاء، مقابل باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله الأولى بالأخذ عنه، وتلقف منها المتلقفون يمناً وبسوة، فهي المسؤولة عما آلت إليه رواياتها. لقد جاءت كتب التلخيص والسورة لتحدث أنها قد اتخذت لنفسها ذلك المقام فكان الخلفاء الثلاثة الأوائل يطلبون منها الإفتاء وإبداء رأيها في كثير من المسائل التي يقدمون بها عليها، ولم تتخلى عن عثمان إلا عندما خذلها وأهمل جانبها، فكانت من المحرضين على قتله بل لقد صاحت بذلك على الملأ عندما قالت أقتلوا نعثلاً فقد كفر. ومن ذلك قول الشاعر:

منك البداء ومنك الغير ومنك الريح ومنك المطر
فأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا انه قد كفر

إلا أن الأمويين وظفوا بعد ذلك نور عائشة، فكان مروان بن الحكم يقول: " كيف يسأل أحد وفينا أزواج نبينا وأمهاتنا". دون أن يكون القصد من حديثه شاملاً لبقية نساء النبي صلى الله عليه وآله لأن بقية النساء امتنعن عن القيام بدور ليس لهن. رواية بسند منقطع كهذا، حيث لم تذكر عائشة من أخوها، لأنها لم تكن مولودة في ذلك الوقت، وان كانت قد ولدت فهي صغيرة جداً لا تعي شيئاً مما يدور حولها، ورواية تشكل منهم السند كعقيل الجواز وابن شهاب داعية الظلم الأموي والليث بن سعد المتساهل في الرواية والرواية، لا تقوم بهم حجة.

أما من حيث المتن فتحدثت الرواية عن بدء نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله، بأسلوب لا يمكن للعاقل أن يقبله، فإرسال الرسل في حقيقته هو لطف من البري تعالى، وهو شامل لكل مخلوقاته، وأول ما تزل به جبريل عليه السلام هو سورة "إقرأ" والتي بدأت ببسم الله الرحمن الرحيم، فكيف يمكننا أن نسلم بالطريقة الفظة التي تعامل بها المولى تعالى مع أفضل مخلوقاته، وهو الرحمن الرحيم، يأمر جبريل عليه السلام بأن يغطه ثلاث موات، في كل مرة تكاد تهق فيها روحه، فهل عند نبي الله شيء واد إخراج منه، فمورست عليه تلك الطريقة من الشدة؟ أم إن جبريل عليه السلام أراد إعطاء شيء للنبي صلى الله عليه وآله؟ أم إن الوحي لا يتم إلا بالغط والخفق الشديدين؟

وكيف يمكننا أن نقنع بأن النبي صلى الله عليه وآله لا يبوي أنه موصل حتى نزول جبريل عليه؟ فيكون يحي وعيسى عالمين بنبوتها ناطقين بها وهم صببية في المهد ولم يبلغا الحلم، بقوله تعالى: " يا يحي خذ الكتاب بقوة وآتيناها الحكم صببياً". وقال أيضاً: " إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً". وأمن من الخوف موسى بقوله: " لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون". فكيف يصل الخوف بالرسول الأعظم والنبي الخاتم إلى ذلك الحد الذي صورته الرواية، والله تعالى لا يخاف لديه المرسلون؟

ولم تقف الرواية عند ذلك الحد من الدس والتشويه، لتواصل إلى حد إستبلا وتقويم مقام النبي صلى الله عليه وآله بالادعاء عليه فوق ذلك كله أنه لا يبوي ما يفعل به، ولا هو واع بما يجوي له، فأخذه إلى ورقة بن نوفل، وتفسير ورقة لما حدث له بأنه الوحي الذي تزل على موسى. لكن لماذا قال ورقة موسى ولم يقل عيسى وهو الذي ذكرت الرواية انه كان رجلاً

يتنصر ويكتب الإنجيل وعيسى هو آخر الأنبياء، وهو الذي من المفترض أن يستشهد به قبل موسى؟ ليس هناك من تفسير سوى القول بأن واضع الرواية يعتقد أن الإنجيل قول على موسى، فتأمل.

ثم تأتي الرواية بمزيد من تجاهل لمقام النبوة، فتفسح المجال لورقة في نواته مقابل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيعلمه بأن قومه سيعادونه وسيخرجونه، وهو لا يوري، ومع موت ورقه يفتر الوحي، ولست أوري هنا إن كانت قوة الوحي حزنا على ورقة، أم توددا في بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ مما دفع الأمر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تخير شواهد الجبال لتسلفها ليس للزهة، إنما ليلقي بنفسه منها إنتحرا وأسفا وحزنا، تماما كما يفعل الياثسون من روح الله، والمنقطع رجاؤهم منه تعالى، ويتكرر المشهد في كر وفر بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين فتور الوحي.

هكذا إذا يضعون رسول الله صلى الله عليه وآله، ويحطون من شخصه ونبوته، ويتباهون بالرواية دون التعمق في ما تحويه من دسائس وأبراس، من استخفاف بالله وملائكته ورسوله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم. وإذا لفت أحد نظرهم لخطأ ما يخص هذه الرواية أو غيرها، خرجوا إليك بتبروات وتؤيلات واهية، كما هو شأن النووي على سبيل المثال في هامش مسلم النيسابوري في باب فضائل موسى، والذي سنأتي عليه في خاتمة الروايات إتماما للحجة على قوم عششت الخوافة والأكاذيب في كتبهم، بحيث أصبحت مطية أعداء الإسلام والباب الذي دخلوا منه ليضربوه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

2 - أخرج السيوطي والزار والطواني وابن موديه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي وعبد بن حميد بطرق مختلفة عن السدي قال: خرج النبي (ص) إلى المسجد ليصلي فبينما هو يقرأ إذ قال: " أوأيتم اللات والغوى ومناة الثالثة الأخرى " ألقى الشيطان على لسانه، فقال: تلك الغواني العلى وان شفاعتهن لتوتجى، حتى إذا بلغ آخر السورة سجد وسجد المشركون لذكر آلهتهم، فلما رفع رأسه حملوه واشتوا به بين طرق مكة يقولون: نبي بني عبد مناف. حتى إذا جاءه جبريل عرض عليه فوقاً ذينك الحرفين، فقال جبريل: معاذ الله أن أكون أوأتك هذا واشتد عليه، فأتول الله يطيب نفسه: " وما أرسلنا من قبلك... " (33)

إن ما أخرجه الحفاظ المذكورون من روايات، ونسجوا خيوط متونها وأسانيدها بحيث تصلح من وجهة نظرهم أن تكون تفسوا لظاهر الآية 1 5 من سورة الحج لهي من التهافت والإسفاف بما كان لأسباب هي:

وَأولاً:

تناقض الروايات مع القرآن الكريم فقوله تعالى: " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى " دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقول إلا حقا ولا ينطق إلا صدقا.

وقوله تعالى: " يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ". وقوله أيضا: " وقال الذين كفروا لولا أتول

عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه توتيلا ". والرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول المؤمنين وأول

المثبتين.

قوله تعالى: "إلا عبادي ليس لك عليهم سلطان".

فأي سلطان للشيطان على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد هذه الآية، حتى يتمكن من ذلك الفعل الشنيع الذي تتضرر به الرسالة بأكملها إن أمكن وقوعه.

ثانيا:

تضرب الروايات مع المبدأ العام لعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والذي يتلخص في عدم صدور الذنب عنه كبراً أو صغراً عمداً أو سهواً، وفي الرواية ما هو أشنع من صدور الذنب، وهو الكفر بالله تعالى، وتعظيم آلهة قريش بالسجود لها.

ثالثا:

امتناع التملّج بين الدور الروباني والدور الشيطاني في وظيفة النبوة، كامتناع صدور الذنب عن النبي صلى الله عليه وآله، لما لا يخفى من مصلحة الصدق والاستقامة، ومفسدة الكذب والانحراف في التبليغ عن المولى سبحانه وتعالى.

رابعا:

اضطراب الروايات من حيث وضعية الرسول صلى الله عليه وآله عند نطق كلمات تمجيد آلهة قريش، فقد ذكرت إحداها انه حين قراها كان يصلي، وفي أخرى أنه كان جالسا في نادي قومه، وفي الثالثة أنه حدث بها نفسه فجرت على لسانه، وفي الرابعة أنه كان يصلي عند المقام فنعس.

خامسا:

اختلاف الروايات في محصل الكلمات التي نطق بها إلى 11 قولا منها:

"إنهن لفي الغوانيق العلى وان شفاعتهن لرتجى". و"إن تلك الغوانيق العلى" و"إنهن لهن الغوانيق العلى" و"تلك الغوانقة

العالى..."

سادسا:

معلضة سياق نزول القرآن لما أورده في الرواية أن آية "وما أرسلنا من قبلك" قلت لتطيب نفس النبي صلى الله عليه وآله، لأن الحادثة ونزول سورة النجم كانا بمكة، بينما الآية المشار إليها في سورة الحج وهي مدنية من نون استثناء، كما هو مروي عن ابن عباس وابن الزبير.

أما من حيث أسانيد الروايات، فإنه ربما للوقت صوفنا النظر عنها بعدما تبين اضطراب الروايات متنا، وتعرضها من حيث المحوى، وطبيعة لرسال الوسل من الله تعالى، ومخالفتها الصريحة للنصوص الوأنية.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: في تفسير الآية: التمني: تقدير الإنسان وجود ما يحبه، سواء كان ممكنا أو ممتعا كتمني الفقير أن يكون غنيا، ومن لا ولد له أن يكون ذا ولد، وتمني الإنسان أن يكون له بقاء لا فناء معه، وربما جاء بمعنى القواء والتلاوة يقال: تمنيت الكتاب أي قأته، والإلقاء في الأمنية: المداخلة فيها بما يخرجها عن صوفتها ويفسد أورها.

ومعنى الآية على أول المعنيين: وهو كون التمني هو تمنى القلب: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى "وقدر بعض ما يتمناه من توافق السباب على تقدم دينه وإقبال الناس عليه وإيمانهم به، "ألقي الشيطان في أمنيته"، ودخل فيها بوسوسة الناس وتهيج الظالمين، وإغواء المفسدين، لأفسد الأمر على ذلك الرسول أو النبي، وأبطل سعيهم "فينسخ الله" نزيل" ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته "بإنجاح سعي الرسول أو النبي، وإظهار الحق، "والله عليم حكيم".

والمعنى الثاني: هو كون التمني بمعنى القاء والتلاوة: إلا إذا تلا وقرأ آيات الله، ألقي الشيطان شديدا مضلة على الناس بالوسوسة، ليجادله بها ويفسدوا على المؤمنين إيمانهم، فيبطل الله ما يلقيه الشيطان من الشبه، ويذهب به بتوفيق النبي لوجه، أو بإزال ما يورده (34)

ويضيف في بحثه الروائي تعقبا على رواية الغواني: الرواية مروية بطرق عديدة عن ابن عباس وجمع من التابعين، وقد صححها جماعة منهم الحافظ ابن حجر، لكن الأدلة القطعية على عصمته صلى الله عليه وآله سلم تكذب متنها وان فرضت صحة سندها، فمن الواجب تترية ساحته المقدسة عن مثل هذه الخطيئة، مضافا إلى أن الرواية تنسب إليه صلى الله عليه وآله وسلم أشنع الجهل وأقبحه، فقد تلا " تلك الغواني العلى وان شفاعتهن لقرتجى " وجهل أنه ليس من كلام الله ولا قول به جبريل، وجهل أنه كفر صريح يوجب الارتداد، ودام على جهله حتى سجد وسجوا في آخر السورة، ولم ينتبه ثم دام على جهله حتى قول عليه جبريل، وأمره أن يعرض عليه السورة، فواها عليه وأعاد الجملة، وهو مصر على جهله حتى أنكر عليه جبريل...

على أنه لو جاز مثل هذا التصرف من الشيطان على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بإلقاء آية أو آيتين من القرآن الكريم، لارتفع الأمن من الكلام الإلهي، فكان من الجائز حينئذ أن يكون بعض الآيات القرآنية من إلقاء الشيطان. ... وبذلك يرتفع الاعتماد والثوق بكتاب الله من كل جهة، وتلغى الرسالة والدعوة النبوية بالكلية، جلت ساحة الحق من ذلك (35)

3 - أخرج ابن جرير عن السدي قوله تعالى: " فوجدك ضالا " قال: كان على أمر قومه أربعين عاما (36)

4 - أخرج الحلبي عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله (ص) يشهد مع المشركين مشاهدتهم، فسمع ملكين خلفه، واحد يقول لصاحبه اذهب بنا نقوم خلف رسول الله (ص) فقال الآخر: كيف نقوم خلفه؟ وإنما عهده باستلام الأصنام قبل، فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدتهم. (37)

وتستمر الحرب المعلنة على النوبة عموما والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله خصوصا، بلا هوادة، ولولا أنني وجدت هذه الروايات في كتب محسوبة على الإسلام، لقلت أن أصحابها لا ينتمون إلى الدين بصلة، وأكون محقا في ذلك لأن ما أخرجوه في كتبهم يجعلهم للثمة والشك أقرب، فمن يرضى بالنقيصة والطعن في سيد الكونين صلى الله عليه وآله وسلم، ويثبت في كتبه كل الترهات التي نحن بصدد الرد عليها لا يمكن أن يحسب من المسلمين فضلا عن كونه من العلماء.

فهل يعقل أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله، صفة الخلق خاتم الأنبياء والمرسلين وإمامهم، حبيب رب العالمين، نور

الله المبين، على ما جاء في الروايتين ضالا منحرفا قبل البعثة عابدا للأصنام، مشركا مثل قومه؟ فيكون في قومه من هو أفضل منه، ممن كانوا يتألّهون ويوحدون كقس بن ساعدة، وعبد المطلب عليه السلام.

وقد زاد ابن هشام في سيرته أنه (ص) أهدى للغوى شاة عواء وهو على دين قومه ⁽³⁸⁾ ولو كان كذلك لعد في قومه موندًا عن ألّهتهم، متنكرا لها بعد سنين الاعتقاد بها والطاعة لها، فلا تستقيم دعوته ولا يؤخذ منه شيئًا.

ومبدأ الاصطفاء الإلهي في خصوصياته يتعرض ولا يتفق مع الروايتين إطلاقًا لأن اختيار المولى سبحانه وتعالى لأنبيائه ورسله مبدئي لا استتراك فيه، تماما كالوعاء الذي خصصه أهله لاحتواء الزيت فلا يمكن أن يكون قد حوى نبطًا أو سائلًا محاكيا له في اصطباغ الوعاء بلونه ورائحته.

5 - أخرج ابن جرير عن قتادة قوله: " ألم نشوح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك " كانت للنبي ذنوب قد أثقلته فوها الله له. ⁽³⁹⁾

6 - أخرج الحلبي عن ابن سعد قال قال رسول الله (ص): حضرت حرب الفجار مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب أن أكون فعلت. وكان له من العمر 14 سنة ⁽⁴⁰⁾

تضمنت هاتان الروايتان إشارة إلى عدم عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بحيث تحدثت الرواية الخامسة عن ذنوب أنقذت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فغوها الله له، وفي السادسة تعبيره عن الندم على مشركته في حرب الفجار وهو صغير، في حين أن الواقع يقول غير ذلك، ففي سورة " ألم نشوح " لم يكن معنى الآية " ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك " منصوفا إلى الذنب كما نقله رواة وعلماء الضلالة وإنما تفسره كما جاء عن الطاهرين من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نقله السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسره حيث قال: "الحمل الثقيل وإنقراض الظهر كسوه والمواد به ظهور ثقل الوزر عليه ظهرا بالغا، والمواد بوضع وزره صلى الله عليه وآله وسلم على ما يفيد السياق إنفاذ دعوته، وإمضاء مجاهدته في الله بتوفيق الأسباب، فإن الوسالة والدعوة، وما يتنوع على ذلك هي الثقل الذي حمله إثر شوح صورته." ⁽⁴¹⁾

أما مشركته في حرب الفجار فالرواية من الأكاذيب التي وقع تلفيقها لتشويه صورة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ووضعه على صعيد واحد مع الصحابة الذين كانوا قبل إسلامهم منغمسين في تلك الحرب.

لذلك، فقد جرت العادة عندهم، أن لا يتم إعلاء مقام صحابي، إلا بوضع مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسنأتي على ذلك في روايات أكثر وضوحا من هذه الرواية.

7 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: إستب رجلان، رجل من اليهود ورجل من المسلمين، فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا (ص) على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. قال فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله (ص) فأخوه بما كان من أمره وأمر المسلم، فقال رسول الله (ص): لا تخيروني على موسى فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا بموسى باطش بجانب العرش، فلا أوري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أم كان ممن استثنى الله." ⁽⁴²⁾

8 - أخرج مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله (ص): كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه إلا مريم وابنها.

9 - أخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال يعني الله تبارك وتعالى: لا ينبغي لعبد لي، وقال ابن المثنى: لعبيدي أن يقول أنا خير من يونس بن متى عليه السلام".⁽⁴⁴⁾

روايات مفاضلة الأنبياء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سوف لن تقف عند ذلك الحد، بل ستتجه إلى مفاضلة الصحابة على رسول الله، وسنأتي بكل حل حدة لنميز الخبيث من الطيب.

في هذا الباب من مفاضلة الأنبياء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقول: بناء على أن مصدر هذه الروايات هو أبو هريرة النوسي، فإن مأتى هذه الأكاذيب هم اليهود من جهة، وجهل الروي الذي لم يكن خافيا على أحد، فالذي قضى دهره لا يعرف إلى القواء والكتابة طويقا، لا يمكنه أن يفقه شيئا، يفيد به نفسه قبل أن يفيد به غيره، فالمتمأمل في سورة أبي هريرة، يجد أن الرجل كان كثير التردد والانكفاء على كعب الأحبار، ومن شدة ملازمته له زمن معوية بن أبي سفيان اختلط عليه الأمر فلم يعد يبوي وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أصاب حديث كعب أم أصاب حديث رسول الله، أما إذا نحن اقتنعنا بأن انخراط أبي هريرة في طاوور عباد الدنيا واللاهثين وراء متاعها القليل، الذي كان بنو أمية يخلعونهم عليهم، فإننا سنخرج حتما بأن الرجل استعمل ورقة لتضليل العامة المفتونة بثقافة تقديس الصحابة بطم طميمهم. وإلا فمن يشكك أن محمدا بن عبد الله خاتم الأنبياء والموسلين صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من أرسل وخير من خلق. فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " أنا سيد ولد آدم وأول من تتشقق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع".⁽⁴⁵⁾

كما إن قوله تعالى: " تلك الوسل فضلنا بعضهم على بعض". دليل على أن تفاوت مراتب الأنبياء.

كما إن قوله صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: " آدم ومن نونه تحت لوائي يوم القيامة".⁽⁴⁶⁾

وقوله أيضا: " أنا أول الأنبياء خلقا وآخرهم بعثا".⁽⁴⁷⁾ أدلة أخرى على أفضلية نبينا صلى الله عليه وآله على غيره من

الأنبياء والموسلين.

هذا من حيث الرواية الثامنة والتاسعة أما ما جاء في السابعة من أن الشيطان يستثني في مسه مريم بنت عمران وابنها

فالرواية مروودة بقوله تعالى: " إن عبادي ليس لك عليهم سلطان".

وقوله أيضا: " لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين".

فكل من اصطفاه المولى واختلزه للتبليغ عنه يمتلك من الخصائص والاستعدادات ما يحول دون وصول الشيطان إليه،

ووسيلة الشيطان لمساس البشر والسيطرة عليهم هي الجهل وجنوده، وهي غير موجودة في من اصطفاهم الله تعالى، لأن

المصطفى له من الخصائص والمؤهلات ما يحول بينه وبين الشيطان فلا يستطيع الاقتراب منه أبدا.

ليس هناك من تفسير للغاية التي دفعت إلى وضع هذه الروايات، سوى التشكيك في أفضلية الإسلام، ورفع مقام نبيه صلى

الله عليه وآله وسلم على غيره من الأنبياء، والطعن عليه بكل وسيلة، حتى وان كانت تافهة ومستهجنة لا يقبلها العقل السليم،

وبمزيد تقدمنا في سرد روايات الطعن المحسوبة سنة، والمتقيد بكتبتها ما يقرب المليار مسلم، ترداد صورة التحريف والتلفيق

لتظهر من خلالها بصمات اليهود المتسترين وراء زهرة الصحابة، ممن أتى النفاق على البقية الباقية من دينهم، فأعمتهم عن الوصول إلى المعاني السامية للدين الحنيف، فوقوا على أعتاب أمجاد جاهليتهم، وتبصوا على مشرف طغيان أنفسهم المستكورة، فلم تنفذ كلمات الله تعالى، ولا بيانات رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله إلى عقولهم وقلوبهم، فضلت معلقة تنزوها رياح شكوكهم ووسوستهم.

10 - أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صلخا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه. ثم قال أبو هريرة: اقروا إن شئتم "وأعيذها بك ونويتها من الشيطان الرجيم" (48)

منذ متى كان أبو هريرة مفسوا للقآن، وهو الذي لم يمسك في حياته قلما ولا قرأ صحيفة، ولم يكن معنودا في حياة النبي من قاء القآن ولا من مفسويه. وإلا كيف تفوته آية التطهير التي تقول: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا".

أفلا تدل هذه الآية على عصمة أهل البيت عليهم السلام من الشيطان وشروبه، ثم شتان بين رادة المولى الذي إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، وبين دعاء زوجة عمران أم مريم، وكذلك بقية آيات الاصطفاء التي تشمل رسول الله صلى الله عليه وآله، بل هو المقدم دائما فيها.

11 - أخرج الترمذي والحاكم النيسابوري عن عائشة قالت: أتول "عبس وتولى" في ابن أم مكتوم العمى أتى رسول الله (ص) فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله (ص) يعرض عنه، ويقبل على الآخر فيقول له: أتوى بم أقول بأسا، فيقول: لا. فقلت "عبس وتولى" وأخرج أبو يعلى مثله عن أنس. (49)

أخرج ابن جرير الطوي عشوة روايات بخصوص "عبس واهية الأسانيد فيكفي أن نقول أن الروايات جاءت من طويق عائشة وأنس وابن عباس، والذين إن ولدوا واحد منهم في تلك الفترة، فلا يعدو أن يكون صغورا لا يعي شيئا مما يدور حوله، إضافة إلى غياب أنس عن حادثة نزول الآية والتي وقعت في مكة، لأنه من أهل المدينة. لذلك فإن انقطاع سند الرواية يسقطها مقام الروايات الصحيحة.

أما متون الروايات المتحدثة عن عبوس النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلم تكن متفقة بخصوص من تصدى له رسول الله، ففي واحدة يقولون: وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عظماء قريش، وفي ثانية يقولون: كان يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل والعباس بن عبد المطلب، وفي ثالثة، أنه كان يناجي أمية بن خلف رجل من علية قريش، وفي رابعة أنه كان يناجي أبي بن خلف، وفي خامسة تصدى لوجل من مشوكي قريش كثير المال رجاء أن يؤمن (50)

وباضطراب الروايات تسقط بعضها البعض من ناحية ولعدم استقامة توجه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للأغنياء من مشوكي قريش، وهم الذين حلوه وصنوا عن دينه صنودا منذ اليوم الأول من دعوته، ولم يكن لديهم استعداد لسماعه ومجالسته، فضلا عن مناجاته، خصوصا أشد أعدائه وألداء خصومه، عتبة بن ربيعة وأبو جهل، وأمية بن خلف، بدليل أن دعوته لم تجد آذانا صاغية، لدى هؤلاء ووجدت لها من المستضعفين من يتقبلها ويحملها، كما جرت العادة في سابق دعوات

الأنبياء، قال تعالى: "وما زاك اتبعك إلا الذين هم أذلنا بادي الوأي".

(52)

وقال أيضا: "أنؤمن لك واتبعك الأذلون".

فكان توجه الأنبياء عليهم السلام عموما، والرسول الأعظم خصوصا إلى الفقاء والمستضعفين كألوية لا حياء عنها، لأن الدين جاء أساسا ليخلص هؤلاء من تبعية وسلطة وغطوسة وظلم وعبادة الأغنياء، إلى عبادة البري تعالى رب الأرباب واله الآلهة، ليرشدهم إليه والى عدله وولايته ورحمته.

ولم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا كان من عادته الحرص والتهافت على أغنياء قريش وأشرفهم وصناديدهم، كما جاءت به الروايات التي نحن بصدددها، لأن الدين جاء لاغيا لتلك المفاضلة الؤائفة، والتي لم تكن مستندة إلى مقياس عادل، وإنما هي جاهلية انغوست في قريش دهوا طويلا، جاء الإسلام ليلغيها بكل بساطة، فلا فوق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، وقوله تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". ولم يقل أغناكم، لقد جاء الدين كله ليؤكد على أن متاع الدنيا قليل وزائل، وان علاقة الناس ببعضهم لا يجب أن تأخذ بعين الاعتبار في المفاضلة ذلك المتاع. كما أن الغنى مادة للشر إذا لم يكن صاحبه مؤمنا، قال تعالى: "وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدموناها تدموا".

وبعدتنا إلى الآيتين في سورة عبس، نكتشف الحقيقة بيسر، وهي أن الخطاب في الآيتين جاء مبنيا للمجهول، ولم يؤثر عن البري تعالى انه خاطب نبيه بضمير الغائب، وكان من الأولى بالنسبة لمن يعتقد في نوة أشرف وأكرم الخلق عند الله تعالى، أن يزه ساحتة عن هذه الفوية الأموية، لأن العيوس من مسلؤ الأخلق، لا تجوز على المؤمن البسيط، فضلا عن من عظم البري تعالى خلقه فقال: "وانك لعلى خلق عظيم".

وقال عنه كذلك: "عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم".

فكيف يعقل أن يذهب حرص النبي على المؤمنين، والذي صوح به المولى تعالى وينصوف إلى المشوكين، فيكون عاملا بخلاف الأوامر الإلهية، وساعيا عكس رادة البري تعالى.

فكان من باب الإيمان صوف هذه النقيصة، والصاقها بصاحبها فهو أولى بها، والآية أشرت إلى أن العيوس حصل بمجرد مجيء الأعمى لقوله تعالى: "عبس وتولى أن جاءه الأعمى" وهو عيوس لا مبرر له، لأنه جاء بدون مقدمات عكس ما حكته الروايات.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الآية: وليست الآية ظاهرة الدلالة على أن المراد بها هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل خبر محض لم يصوح بالمخبر عنه، بل فيها ما يدل على أن المعني بها غيره، لأن العيوس ليس من صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الأعداء المباينين فضلا عن المؤمنين المستوشدين، ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء وينتلهى عن الفقاء لا يشبه أخلاقه الكريمة قال تعالى: "وأندر عشوتك المقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين" فأمره بخفض الجناح للمؤمنين، والسورة من السور المكية النزللة في أوائل الدعوة.

وكذا قوله: "وكذا قوله: "واخفض جناحك للمؤمنين" وفي سياق الآية: "فأصدع بما تؤمر واعوض عن المشوكين" النزللة

في أول الدعوة العلنية، فكيف يتصور منه العيوس والإعواض عن المؤمنين وقد أمر باحترام إيمانهم وخفض الجناح لهم، وأن لا يمدن عينيه لأهل الدنيا. (53)

وقد ذهب نظام الدين النيسابوري في تفسيره غرائب القآن إلى الإسواف في إلصاق الآية بالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقال: قال أهل المعنى في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب دلالة على مزيد الإنكار، كمن يشكو جانبا بطريق الغيبة وهو حاضر، ثم على الجاني موجه التوبيخ. وفي ذكر الأعمى نحو من الإنكار أيضا، لأن الأعمى يوجب العطف والوافة عند نوي الآداب غالبا لا التولي والعيوس، ولا يخفى أن نظر النبي (ص) كان على أمر كلي وهو رجاء إسلام قريش فإنه في الظاهر أهم من إجابة رجل أعمى على الفور إلا أنه سبحانه عد هذا الجزئي كليا من ناحية أخرى هي تطيبب قلوب الفقواء والضعفاء وإهمال جانب أهل الغنى والثراء، فإن هذا أدخل في الإخلاص، وابتغاء رضوان الله وذلك مضنه للتهمة والوياة. يحكى عن سفيان الثوري أن الفقواء كانوا في مجلسه أمراء، وأيضا فائدة الإرشاد والتعليم بالنسبة إلى هذا الأعمى أمر معلوم. (54)

أنظر هداك الله إلى الحق، وبصرك بمسلك الصدق، كيف يوغل هؤلاء وعلمؤهم في إتباع الظن، وإلصاق كل نقيصة ومذمة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، حتى وان كانت بعيدة الاحتمال، متعرضة مع شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وورده. ويضربون مثل الاستقامة بسفيان الثوري في خفض جناحه للفقواء. ولا غواة فيما صدر عنهم لاعتمادهم عدم عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففي أحسن الحالات عندهم يقولون بعصمته في التبليغ فقط. أما ما جاء بعد الآيتين من خطاب مباشر يتصور أنه موجه للنبي، وما هو في حقيقته غير محاكاة لخطاب العرب في الكنايات والاستعرات، من قبيل "إياك أعني واسمعي يا جرة" وفي الكتاب العزيز أمثلة كثرة على ذلك. قال تعالى: "وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا". والخطاب هنا موجه للمسلمين وليس للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه يتيم الأبوين.

قال تعالى: "لئن أشركت ليحبطن عملك" وقال أيضا: "ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما محسورا". ، الخطاب موجه للمسلمين لأنه لا يمكن للصفوة أن تجعل مع الله شريكا.

12 - أخرج مسلم عن عائشة، وعن أنس أن النبي (ص) مر بقوم يأبؤون النخل فقال: لو لم يفعلوا لصلح، قال فخرج شيصا، فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال أنتم أعلم بأمر دنياكم". (55)

هذه الرواية هي من أعظم البلايا التي ابتلي بها فكر جانب هام من الأمة الإسلامية، إن لم نقل أغلبهم باعتقادهم صحتها واعتمادهم على مضمونها، فما يسمى بأهل السنة والجماعة يرون أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير معصوم فيما يصدر عنه عدا الوحي، وطالما أنه كذلك في معتقدتهم فلماذا أطلقوا على أنفسهم تسمية أهل السنة، والسنة هي مجموع أفعال وأقوال وتقرير النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف يصح اعتماد سنته مع ما وصفوه بعدم عصمته؟ فيكونون بذلك قد أخذوا الجانب الذي يحتمل فيه الخطأ.

لا شك أن الرواية التي ملأت طباق كتبهم من وضع أولياء الشيطان من منافقين وطغاة، تمهيدا لإفواح الدين من محتواه، وبتر نوره وانتهاه إلى سلب كل بلقة عنه. وبذلك أصبحت هذه الرواية مقصد كل طاعن، وموجع كل قائل بفصل الدين عن الحياة، حتى الذين رفعوا شعار إحياء الدين وتجديد مظاهره في المجتمع السني من رموز حركات التجديد لم يكونوا بمنأى اعتماد الرواية دون أبسط نظر في ما تحويه. وما هي في حقيقتها غير أكذوبة مفضوحة، عرية من كل قوينة تقوي جانب الاعتماد عليها، وبقطع النظر عما عليه أسانيد روايات تأبير النخل، ومهما رتقت صعودا في صحة رجالها فإن لمتونها مناقشات تتداعى بها أركانها وهي:

أولا:

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن جاهلا بشيء من الأشياء يخص محيطه ويحتاجه الناس طالما أنه متصل بمنبع المعرفة والعلوم - الوحي - ومسألة تأبير النخل من أبسط المعارف التي لا تتطلب تفكرا أو تفلسفا للإحاطة بها، وتوك النخل بدون تأبير يعني تشييص أو تصييص الثمار وعدم نضجه على طبيعته.

ثانيا:

إذا سلمنا جدلا بجهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم للتأبير فكيف نسلم بغفلة جبريل عليه السلام، والمولى سبحانه وتعالى عن ذلك، خاصة إذا علمنا أن التمر عند سكان تلك الروع هو من أهم المورث الغذائية، علما وأن فترة التأبير تستمر أكثر من شهر ونصف.

ثالثا:

خروج الدلاء من النخلة لا يكون دفعة واحدة وتشققها لخروج العواجين الصغيرة يتم تباعا وقد ينتهي الفلاح من تأبير نخيله وتبقى بعض الدلاء متخلفة، فتشييص، بمعنى أن التجربة سبقت ودلت على أن عدم التأبير مفسدة للتمر، فكيف قنع أهل المدينة بمقالة الترك، وهم متيقنون من عدمه دون نقاش، وقد جاءنا في السورة أنهم كانوا لا يتحرجون في الود عليه صلى الله عليه وآله وسلم ومناقشته، كقولهم في بدر على لسان الحباب بن المنذر: أمّوتل أتركه الله أم هو الوأي والحرب والمكيدة؟ على سبيل الاحتجاج على القائلين بصحة رواية التأبير، لأن هذه الرواية التي استدلتت بها على هؤلاء لا تصح عند من يدرك حقيقة مقام النبي ودور النبوة، نعم قد تكون الرواية أقل حدة وأخف وطأة على مقام الوحي، لو أن الناس ربوا على النبي في حينه بأنه كلامه من الله أم منه، وأن تجربتهم في التأبير دلت على عدم صحة قوله، عندها يمكننا أن نوج الرواية ضمن الروايات التي طعنت في معرفته وعلمه، أما والحال بهذا الشكل فإنها تتجاوز النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مقامات الوحي.

رابعا:

تهافت الرواية بنسبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الجهل المركب فهو في نظر هؤلاء المعتقدين بصحة الرواية، لا يعلم صلاح التأبير من فساده، ويورثد الناس إلى فساده ثم يمر بهم بعد فترة وهو ناس أمه الأول معهم، فيعتذر بعذر هو أفبح

من ذنب لا يستقيم مع رسالته والعلة التي من أجلها بعث للناس، وهي صلاح الدنيا وإقامة كل اعوجاج فيها.

خامسا:

تعرض الرواية مع القرآن الكريم:

قال تعالى: "ولا تقف ما ليس لك به علم" ولو كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم مسألة التأبير لكان خالف معنى هذه الآية، ولم يؤثر عنه انه خالف أمر به إطلاقا، بل إن العلة من لرساله صلى الله عليه وآله وسلم هي أن يكون المثال الحي للكتاب العزيز وتشويعاته.

وقال أيضا: "وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"

وفي الآية إطلاق لكل أمر ونهي قام به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف يتفق ذلك مع نهيه الخاطيء في الرواية؟
وقال أيضا: "وما فرطنا في الكتاب من شيء" وقال أيضا: "فيه تبيان كل شيء" وقال كذلك: "ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين" ومسألة التأبير من مشغولات الوحي، بدليل الآيات الثلاث المذكورة، وعليه فان الرواية لا تستقيم لهذا السبب.

سادسا:

لقد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بخير الدنيا والآخرة، والمتدبر للقرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة – ولا اقصد بها هنا في ما يسمى بالصحاح بل ما ورد عن الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهورهم تطهروا – يقف على حقيقة أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو لصلاح الدنيا، والقوانين التي جاء بها هي لتصحيح ما حرفه الناس، وليس العكس، فكل ما يتعلق بوجه الحياة من عمل وزواج وتعليم وسياسة وتعامل هي من الدين والى الدين، لم يوظف الكتاب ولا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شيء من ذلك، فكيف يحسن أن يكون المخلوق أعلم من الخالق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

سابعا:

خلق الله تعالى الخلق أزواجا، وللنخيل نصيب في ذلك التقدير والخلق ن بأن جعل منها الذر والأنثى وخص الذكر بالتأبير، ومنه تؤخذ شملريخه، لتوضع وسط العوجون العراد تأبوه.

ثامنا:

قوله تعالى: "وَأرسلنا الرياح لواقحا" وفي الآية ما يدل على أن المولى سبحانه وتعالى قد حدث نبيه عن اللقاح وأنواعه.
لقد جاءت هذه الأكنوبة لتكوس مبدأ فصل الدين عن الحياة، تحبيدا لشريعة الله تعالى، وقطعا لجسور التواصل بينها وبين كافة أوجه الحياة، وتحررا من الأحكام والقوانين التي وضعها البري تعالى للمجتمعات البشرية، بدأ بالمعاملات البسيطة، وانتهاء بأحكام الولاية والحكومة. إن الامتثال الكلي للأحكام الإلهية لا يتوك المجال لنوي الأطماع في القيادة، الأمر الذي دفعهم إلى وضع جملة من الروايات المشككة في قرات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ناسبة له الجهل والخطأ إيهاما للناس

أن الدين لا يتعدى كونه شعائر تعبدية، لا تتجاوز العلاقة بين الفرد وخالقه، وما عدا ذلك فالناس موكولين إلى أنفسهم، يفعلون ما يحلو لهم، وفي هذه الرواية ما فيها، من فسحة للعبث والتسلط على رقاب الناس.

وحتى تنطلي المؤامرة على عقول المسلمين، وتدخل في أعماق قناعاتهم، ويتقبلوها بالوضى والتسليم، أوجد أتباع هذه الخطوط مسألة اجتهاد النبي، وكونه قد يخطئ وقد يصيب في الأشياء التي لم يقول فيها وحي. ولا أخال عاقلا يعتقد أن النبي صلى الله عليه وآله يجتهد في وجود أسباب تمنعه من ذلك، وهي اتصاله الدائم ورتباطه المتواصل بالله تعالى وبروحه الأمين، فمن أين جاء اجتهاده إذا؟ لم تأت هذه البلية من طريق سليم فمحصل أدلة القوم هي الأحاديث الموضوعة التي نحن بصدد تنفيذها، كتأبير النخل، ومسألة أسوى بدر، وغيرها من المفقريات التي لا يقبل عقل سليم أنها صاورة عن النبي صلى الله عليه وآله.

13 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: صلى بنا رسول الله (ص) إحدى صلاة العشي، إما الظهر وإما العصر، في ركعتين ثم أتى جذعا في قبلة المسجد فاستند إليه مغضبا، وخج سوعان الناس: قصرت الصلاة، فقام ذو اليمين فقال: يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي (ص) يمينا وشمالا: ما يقول ذو اليمين، قالوا صدق، لم تصل إلا ركعتين. فصلى ركعتين وسلم (56)

تحدثت الرواية عن حالة قد تكون طبيعية عند الناس، ولكنها غير ذلك عند الأنبياء والمرسلين، قد يسهو الإنسان عن فعل ما، وقد ينسى أمرا ما، والسهو والنسيان من جنود الجهل، والجهل من الشيطان، والشيطان ليس له سلطان على صفة الله تعالى. أن ينسى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ركعتين من صلاة رباعية، وتتابع الأحداث ليسهوا عن نسيانه، ويخرج الناس دون فعل شيء، حتى يتقدم ذو اليمين لينبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نسي نصف صلاته، ثم لا يقنع بذلك حتى يؤكد آخرون وقوع السهو منه، فذلك من قبيل التحامل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قد نعتبر المسألة من باب تعليم الناس كيف يفعلون في صلاتهم عند السهو، كما تعذر لي بعض من أشرب حب الشيخين في قلوبهم، ولكن الطريقة التي بنيت عليها الركعتان المضافتان لا تصح لما تخلل ذلك من حركة وكلام، كافيان لإبطال الصلاة كلها وإعادتها من جديد. أيكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندهم بتلك الحال من الضياع والنتيه بحيث لا يبري ما يفعل وهو متوجه إلى خالقه، محتاج إلى تعدد من يرشده حتى يعي بحاله؟ ثم متى كان صلى الله عليه وآله وسلم يصلي مغضبا، أو يصدر عنه غضب حال الصلاة؟ وهو الذي علمنا الخضوع والخشوع والسكينة والخوف والبكاء والرجاء وحضور القلب والتوجه، وليس الغضب والسهو الموكب. هذا من حيث المتن أما من حيث السند فيكفي الرواية سقوطا استشهاد ذو اليمين في غزوة بدر وقنوم أبو هريرة وإسلامه بعد انتهاء المسلمين من فتح خيبر مع أشعبي اليمن، فكيف يتفق حضور ذو اليمين زمن أبي هريرة، وما بين السنة الأولى للهجرة، وخبير السنة السابعة منها ست سنوات، اللهم إلا إذا كانت الرواية كلها بتفاصيلها حلما أو رؤيا رآها أبو هريرة، وما أكثرها في كتب (الصحيح) عندهم، فاختلط عليه الأمر فنسي أنها رؤيا وحدث بها الناس على أنها رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ذهب جماعة من العلماء العرفين العاملين بأن العالم بالفقه لا يسهو في صلاته، ولا ينسى منها ركنا، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، أعلم الناس وأعبد الناس، وأقربهم إلى ربه أولى بذلك، فلا تصح نسبة السهو والنسيان له، لأنه مسدد من قبل الوحي، بعد حضوره الذهني والروحي بين يدي خالقه تعالى.

14 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: عرشنا مع نبي الله (ص) فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس، فقال النبي (ص) ليأخذ كل رجل رأس راحلته، فإن هذا متول حضونا فيه الشيطان. ففعلنا ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدين، ثم أقيمت الصلاة فصلى الغداة. (57)

ويطل علينا أبو هريرة من خلال الكثير من رواياته العجيبة والغريبة، إطلاقة أخرى لا تقل عن سابقاتها. ففي هذه الرواية التي تفننت بها قريحته، وذلك شأنه منذ أن التزم معاوية وقصر الخضراء بالشام، يتلذذ من موائد بني أمية ما جعله يستغني عن خدمة الناس على ملا بطنه، كما كان دأبه سابقا.

بطلان هذه الرواية جاء من وجهين:

الوجه الأول:

قوله: 'فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس'.

حتى إذا استثنينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تلك السفوة أو الغزوة، فإن الرواية لا تصح لاستحالة انخراط مئات من المسلمين ممن دأبوا على أداء الصلوات في وقتها، وتروا على التهجد آناء الليل في نوم عميق، بلا حرس ولا عسس، وقد يكون عدو ما متربص بهم فكيف يستقيم ذلك؟ أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحاشا أن يكون كذلك وهو الذي تمام عيناه ولا ينام قلبه.

الوجه الثاني:

قوله: " ليأخذ كل رجل رأس راحلته فإن هذا متول حضونا فيه الشيطان".

وإذا سلمنا بحضور الشيطان لكل من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف يحضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والحال أن الشيطان لا سلطان له على عباد الله المخلصين، وهم الصفوة المختلة من أنبياء وموسلين وأوصياء. ثم ما علاقة المتول بذلك الحضور حتى ينحى باللائمة وتلقى التبعة عليه، وينتقل منه إلى مكان آخر؟ ألسيطرة الشيطان على ذلك المكان؟ أم لعدم طهرته؟ وفي كلتا الحالتين فإن الوحي كفيل بكشفها، وعليه فلا مجال لصحة الرواية لعدم استقامة لركانها، وتهافت موضوعها على استنطاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(58)

15 - أخرج مسلم عن حذيفة قال: كنت مع النبي (ص) فانتهى إلى سباطة قوم فبال قائما.

لا أعتقد أن كل مسلم فيه بقية غوة ودين على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، يقبل بأن يصل الطعن على أفضل المخلوقات بهذا الشكل السافر، نبي عظم الله تعالى خلقه، جاء بأداب فيها الخير للبشرية كلها، يأتي بأشياء كثر نهيه عنها،

وعندما ينهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر يكون أول المتقدين به والمتمتلين له، فيضوب مع قوله مثلا من فعله، وعندما ينهى عن التبول قائما، فانه حتما لا يأتي بذلك العمل، وكل ما روي من أنه أتى بخلاف قوله، أو جاء بأمر تعرض مع الآيات القوانية فهو كذب عليه، إفزاه كل من له مصلحة في تشويه صورة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، للدس في دين الله ما ليس منه، وحشر اسم من أسماء الصحابة الكبار الموالين لأهل البيت عليهم السلام وهو حذيفة بن اليمان صاحب أسماء المنافقين الذين حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العقبة وهو راجع من غزوة تبوك، تلك الأسماء التي لم نجد لها أثرا في كتب إخواننا من ممن تسموا بالسنة والجماعة

16 - أخرج البخاري عن عائشة، أن رجلا جاء النبي (ص) يستفتيه، وهي تسمع من وراء الباب، فقال: يا رسول الله تتركني الصلاة وأنا جنب فأصوم، وأنا تتركني الصلاة وأنا جنب فأصوم⁽⁵⁹⁾

أما أن تتركه صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة وهو جنب فيصوم، فذلك مما لا يقف على بينة، والمعروف خلفه، حتى في حال مرضه الذي توفي فيه، فقد كان يفرغ على بدنه الماء ليس لأنه جنب على غير طهر، وإنما لينشط على النهوض، وكان من عهده صلى الله عليه وآله وسلم تربية المؤمنين على الاستدامة في طهارة البدن والثوب، فكان يقول: "الوضوء سلاح المؤمن" و"الوضوء على الوضوء أو إسباغ الوضوء نور على نور". فكيف يتبدل الحال إلى أن تتركه الصلاة والصوم وهو جنب؟ وكيف يصلى صلاته حتى تقنع بصومه وهو جنب؟ أليس من شوائب الصوم أن يكون الصائم طاهرا طيلة فترة صومه؟ أليس من مستلزمات النية أن يكون صاحبها دائما على طهارة لتلقي الوحي في أي وقت؟ كما إن من مستلزمات الإيمان، وأثر تربية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون المؤمن على طهارة دائما، ألم يجب أحدكم عندما يكون جنبا ثقل تلك الحال على نفسه؟ وكيف تراه لا يهدأ ولا يهنأ حتى يتخلص منها سريعا، ذلك حال المؤمن البسيط، فما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

يستمر عبث العابثين في تشويه النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، بأن صوروه يقف للصلاة بالناس في المسجد، فيتذكر أنه جنب فيشير إليهم أن يقفوا مكانهم حتى يعود، فيذهب ليغتسل ثم وجع إليهم يقطر ماء. يدونون مثل هذه الافترافات دون أدنى شعور بالغرورة على نبي الإسلام ولا احترام لشخصه صلى الله عليه وآله وسلم، ولا خوفا من غضب الله على هؤلاء الذين تطاولوا على حبيبه، بتشويه شخصه والتقليل من قيمته، والحق من مقامه، بالكذب والبهتان عليه. وستأتي الرواية تحت رقم

42.

17 - أخرج البخاري عن أنس (رض) أن النبي (ص) كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة، وله تسع نساء⁽⁶⁰⁾.

18 - أخرج مسلم عن عائشة قالت: إن رسول الله (ص) كان يقبل وهو صائم ويباشر وهو صائم لكنه أملككم لإربه⁽⁶¹⁾.

19 - أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة

غلاما يقاتل في سبيل الله، فقال الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي، فطاف بهن ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان، قال

⁽⁶²⁾

النبي (ص): لو قال إن شاء الله لم يحنث، وكان رُجى لحاجته.

لم يتوك المناوئون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأعداء دينه السوي وخصماء بلئهم بابا من أبواب النيل من ثوابت الدين وركاؤه إلا دخوله، ولم يستنكفوا عن إصاق كل مغزوة وشننة تحط من شخصه صلى الله عليه وآله وسلم، وتضعه موضع التهمة، ومثار الشك والريبة، ففي هذه الروايات التي وسوس بها الشيطان لأوليائه، فنطقوا بها كأنها من العلم الضروري الذي لا بد منه لاستقامة الدين، غير متحرجين ولا متأثمين، وتلقاها عنهم أشباه العلماء، ومدوني الكذب على الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وحفاظ البدع، فأثبتوها في كتبهم دون التفات إلى محتواها، ولا انتباه إلى معناها.

فقد جاءت رواية أنس لتخبرنا أن النبي صلى الله عليه وآله يطوف على نسائه التسع في ليلة واحدة، ولم يتحر البخري فيها رشده كما حكي عنه، فصوروه لنا عقلا وقادا نادر الوجود في الفطنة والذكاء ودقة الحفظ إلى درجة تفوق الخيال، كما حكي عنه أنه وقعت مناظرة في الحديث، فجاء عشرة رجال كل واحد بعشرة أحاديث مقلوبة المتون والأسانيد فكان يقول في كل مرة لا أعلم حتى إذا انتهوا ابتدر الأول منهم فقال له قلت كذا وكذا والصحيح أن تقول كذا وكذا. إلى أن أتى على العشرة. رجل يحفظ مائة حديث على غير وجهها، ومن سماع ثم يرد عليها بشكل مؤم كما في خرافة مناقبه، كيف يدعي أنه يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ولا يوجد في كتابه (الصحيح) غير خمسة آلاف على أقصى تقدير، أين ذهبت بقية الصحاح؟ وإذا كان ما نحن بصدده من الصحاح عند البخري ومن تبعه، فكيف يكون المكنوب؟

ولا أكون متحاملا على البخري إن قلت أنه سعى لجمع كل بخار وسواب في كتابه بلا حياء من الله تعالى ورسوله، ولا خشية من المؤمنين الذين سيكتشفون زيف كتابه فيفضوه.

لقد قدم البخري ومن شاكله بهذه المرويات الفاسدة خدمة مجانية للمتربصين بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وبدينه القويم أمثال سلمان رشدي لعنهم الله، فانبأوا يكتبون تعاليقهم ويظهرون سخرياتهم وينفنون في الحط من مقام سيد الكونين صلى الله عليه وآله وسلم ولولا تلك الكتب لما وجوا طريقا للقدح والمس والسخرية.

هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مزوجا إلى ذلك الحد الذي صورته روايات البخري وأصحابه، بحيث لا تتطفئ غوريته إلا بطوافه في الليلة الواحدة على نسائه التسع؟

أتبلغ الغرزة عند البشر من القوة ذلك الحد حتى تنفوق على البهائم؟

أما ما رواه أبو هريرة من أن سليمان بن داود عليه السلام طاف في ليلة واحدة بمائة امرأة، فخيال الخيال وتهيئات من أخذت الخوة بعقله أو الأفيون بوعيه فانوى خلط ويهذي، لأنه لا طاقة لبشر القيام بذلك. والأنبياء كلهم مبرئون من ذلك متحكمون في غوازمهم ومسيطرون على شهواتهم.

ولقد نظم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوقاته مع أزواجه، فجعل لكل واحدة منهن ليلة وجعل لنفسه ليلة، وفي كل الليالي كلن أكثر وقته متجها إلى خالقه يعبده ويقوم بين يديه، وليس كما يعتقد أصحاب هذه المرويات المتهاكمة، محتضنا

زوجته من أول الليل حتى طلوع النهار . كما إن زواجه المتعدد لم يكن لشهوة يريد قضاءها، وإنما كان القصد منه تأليف القبائل وجمعها حوله، فكان زواجه في أغلبه تأليفياً، فلا يبقى لذلك الطواف بعد أدلتنا هذه معنى .

أما ما جاء عن عائشة من قولها بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يقبل ويباشر وهو صائم، فذلك من سقط القول ومكنوب الادعاء، لأن الصوم ما هو إلا إمساك عن كل المباحات من أكل وتلذذ بالجنس، حتى إن نية قطع الصوم تفسده، وإذا ما تخلل الصوم شيء من تقبيل أو مباشرة فقد فسد، فإن كان سهواً فحكمه القضاء وإن كان عمداً فعليه القضاء والكفارة. والمؤمن رُفِعَ من أن ينساق إلى شهواته فتنسب إليه مثل تلك المملسات، فكيف بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهو الذي كان يردد دائماً: " حفت الجنة بالمكروه وحفت النار بالشهوات".

أما الرواية الأخوة عن عائشة نفسها فهي أعظم من سابقاتها إذ تنسب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة زواجه وهن حبيص، عصياناً لأمر الله تعالى إذ يقول: " ولا تقربوا النساء في الحيض حتى يطهرن". والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أول المكلفين قبل أن يكون أول المبلغين، وتعرض الرواية مع لآية تسقط الرواية، فهل أسقطها أصحاب (الصحيح) كالبخري ومن شاكله من كتبهم.

21 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): " استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يؤذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي".⁽⁶⁴⁾

لقائل أن يقول عندما يقرأ هذه الرواية عن الفائدة التي يمكن أن تحصل لو اضعها؟ لكني أقول إن رائحة طغاة بني أمية فائحة منها ومن مثيلاتها التي سعت جاهدة لتشويه آباء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وما كيدهم إلا في تباب.

تحدثت الرواية عن نقطتين:

الأولى:

قوله استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يؤذن لي.

استوقفني استئذان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه كي يستغفر لأمه، وهو طلب لا يخلو من غواية، لأنه لو كانت أمه آمنة كافية كما تحول الرواية إلصاق ذلك لما كان جاؤا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقدم على طلب المحال الذي لا يغفر بالنص القواني، ولو كانت عليها السلام مؤمنة، فكيف يستأذن فيما هو مباح له؟ بل من ضرورات الدين وواجباته لأن صلة الرحم غير مخصوصة بالحياة، وهي بعد الوفاة أوكد وأشد، واحتياج الميت للحي مما لا يسأل عنه خاصة إذا كانت رابطة القوي متصلة به مباشرة كالأم والأب، وحديثه الذي يقول: " يكون الرء برا لوالديه في حياتهما فيكتب عاقا لهما بعد وفاتهما ويكون الرء عاقا لوالديه في حياتهما فيكتب برا لهما بعد وفاتهما " وفيه ما فيه من الحث والتحريض والتشديد على زيارة الوالدين والاستغفار والدعاء لهما والتصدق عليهما وتلاوة القرآن والصلاة والحج عنهما كل ذلك مما أجله الشوع وتناوله الفقهاء في كتبهم وعد جملة واد صلة وطاعة.

وحتى أكون أكثر وضوحاً في كلامي أقول إن المؤمنين من شيعة محمد وآله الكرام صلى الله عليه وآله وسلم يعتقدون بما

توفر لديهم من نصوص قرآنية وروائية أن والدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصوله النسبية من المؤمنين الموحدين من لدن آدم حتى ظهره عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم. قال تعالى: "وتقلبك في الساجدين". وفي تفسير الآية قال صاحب مجمع البيان: تقلبك في أصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيا وه والمروي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام. (65)

أما بقية المسلمين ممن لقوا بالسنة قولا وخرجوا منها فعلا، فيعتقدون بكفر آباء وأمهات النبي صلى الله عليه وآله وسلم استنادا إلى روايات واهية، وتأويلات لا تقوم بها حجة ن تناقلوها جيلا عن جيل، وخلفا عن سلف، حتى أصبحت من سمات مذاهبهم وعنوانا من عناوين بغضهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصبهم لأهل بيته عليهم السلام من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، وإلا كيف يركنون إلى ركام غطى به أعداء الإسلام طريق الولاية ومسلك الهداية، واد به وأد الإحساس الحقيقي بقيمة هذا الدين ومدى أهمية كل شعرة من شعائره التي كان من الواجب على الذين سوا للحط منها أن يعظموها امتثالاً لأمر الله تعالى: "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب". فلا يظهر للناس من الدين ما يخبئه ويعكر صفو الشريعة ويدنسها.

النقطة الثانية:

واستأذنته أن لزور قوها فأذن لي.

لماذا يؤذن له في زيارة القبر وقد منع من الاستغفار لها؟ وما الفائدة من ذلك؟ خاصة إذا علمنا - كما جاءت به الرواية - أن المنع صادر في الأصل أي محوى القبر فلا تبقى فائدة من زيارة قوها، طالما أن الأعمال التي سيقوم بها الزائر للقبر من قبيل الاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن والتصدق والبكاء طلبا للرحمة وصلة للرحم، وتربية على تليين القلب، وتثبيتا لمعاني الحزن في الوجدان، ومن فقد تلك العلامات صار كالحجوة أو أشد قسوة.

وبناء على ذلك نقول ورجوعنا إلى القرآن الكريم زى في قوله تعالى: "إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إواهيم وآل عمران على العالمين نرية بعضها من بعض".

وبعودتنا إلى السنة المطهرة من شوائب المنتطعين على منابر الدين، الناطقين بها من زكاهم المولى تعالى واصطفاهم على بقية الخلق، زى في حديثه الذي رواه الطاهرون والذي يقول: لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى رُحام المطهوات حتى أخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية".

إن آباء وأمهات النبي صلى الله عليه وآله وسلم مؤمنون موحدون حقا لا يرتاب فيهم غير الجاهل أو الانحرف، استنادا إلى النصوص المذكورة وعملا بمبدأ الاصطفاء والعصمة.

وتوهم أحيانا يخرجون روايات كاشفة للحقيقة التي يفرون منها، فلا يهتدون إلى ذلك سبيلا، فقد اخرج الحلبي في سيرته

قوله: كان أول من تحنث فيه (أي غار حواء) من قریش جده عبد المطلب، فقد قال ابن الأثير: أول من تحنث بحواء عبد

(66)

المطلب كان إذا دخل شهر رمضان طلع حواء وأطعم المساكين.

22 - أخرج ابن كثير عن مسلم وأبي داود واحمد عن أنس: إن رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال في النار. فلما قفي دعاه فقال: إن أباك وأبي في النار".⁽⁶⁷⁾

هذه الرواية كسابقتها، تحاول أن تقنعنا بان عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام ذلك المؤمن الفذ الذي خرج من صلبه أعظم الأنبياء كافر بالله تعالى مشرك أيما إثراك صوه إلى النار. مخالفين بذلك مبدأ الاصطفاء الإلهي وهو قوله تعالى: " نرية بعضها من بعض" وقوله أيضا: " وتقلبك في الساجدين".

إلا أنه عندما زى أن آباء وأجداد حكام بني أمية مضوا على الكفر والشرك ومحاربة الدين وأهله، فإنهم لم يستسيغوا أن ينقل أن أبؤهم في النار وحدهم فوضعوا هذه الرواية مثيلاتها ليسلوا بينهم وبين الصفة الطاهرة عليهم السلام، ومن هنا جاء ابتعاد الناس عن معاني الاصطفاء ومفاهيم الولاية الحقيقية. فتمسكوا بخليط اعتقوه صادر عن الله تعالى ونبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فتعبوا به نونماريية أوشك، ومضى على ذلك الناس إلى يومهم هذا.

ونقل هؤلاء الرواة لمثل هذه الزهات يكشف عن سطحية في معتقداتهم بأصل من الأصول الاعتقادية في الإسلام، وقلة إواك بالوآن ومعانيه، إلى درجة أننا نجد من يحفظ الوآن ولكن لا يفقه أبسط معانيه، جريا على سنة الجاهل بالأب، الذي كان يقول كلما عجز عن فهم شيء، ولا أراه فهم شيئا: " ما عرفتموه من كتاب الله فخذوا به وما لم تعرفوا فكلوه إلى ربه". وعدم تمييز بين رواية سليمة وأخرى سقيمة، وكلما أمعنت في الاطلاع على رواياتهم، تبين لك حرصهم الشديد على نقل كل شاذ، والتمسك بكل غريب، عاملين بالمبدأ القائل خالف تعرف.

23 - أخرج البخاري عن عائشة قالت: سمع النبي (ص) قلنا يؤأ من الليل في المسجد، فقال: رحمه الله لقد ذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا.⁽⁶⁸⁾

وتواصل سلسلة الكذب والافتراء على نبي الرحمة والهدى من قبل أدعياء سنته، فمن مختلق الرواية إلى المتصل به سندا إلى من لقف عنهما إلى الحافظ الذي دون الأكنوبة في كتبه، لا أراهم يعقلون شيئا ولا يهتتون، ما هم إلا عبيد دنيا، وما أظن أنهم قوعا الوآن من أصله، وان قوعه فهم صم بكم عمي لا يعقلون، وإلا كيف يتجاسر أحد لينسب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إسقاط آيات من الوآن بعامل النسيان، ويذكره بها قروي يؤأ من الليل بالمسجد؟ أليس هذا طعن في المولى تعالى الذي قال له: " سنقرؤك فلا تنسى". وفي الروح القدس: " وأيدناه بروح القدس" وفي النبي الأكرم ونسبة التهون التقصير إليه في حفظ تعاليم ربه، تعالوا كلهم عن ذلك علوا كبيرا.

ألم يؤأ البخاري الوآن؟ ألم تعترضه آيات كثيرة تعرض هذه الرواية، وتفضح سخافة واضعها، أم أنه أعجمي لا يفهم المعاني العوبية؟ وإذا كان كذلك وحاله أقرب، فكيف يرضى لنفسه أن يكون خصيما لله تعالى ولرسوله" يوم ينظر الوء ما قدمت يداه"

يجمعون بين طيات كتبهم المعنوة مثل هذه الأكاذيب المفضوحة، والتي تحمل على القول بالنقيصة في كتاب الله، تماما كقول عائشة: إن داجنا أكل سورة من الوآن فلم تعد تسمعها بين الناس. وفي روايات أخرى عن السور والآيات التي قالوا

بضياها. لا يلتفتون البتة إلى هول ما هم فيه، ويومون غوهم بأباطيل ودعوى واهية تقول بتحريف القآن، وهم من أسس أساس تلك الدعوى، ومع ذلك يومون بها الأبرياء.

هذا من حيث المتن، أما من حيث السند ففي الرواية: بشر بن آدم الضوير: قال بن سعد: سمع الكثير ورأيت أصحابنا يتقونه. قال الدلقطني: ليس بالقوي. (69)

24 - أخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص): ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم قال له أصحابه: وأنت يا رسول الله، قال: وأنا رعيته لأهل مكة على قريط (وهي أخاء من الواهم والدنانير) (70)

للمتن مناقشات تقول: إن الإشكال الواقع في الرواية ليس في رعي الغنم لأنه عمل شريف، وإنما في دعوى إصاقرعي الغنم بكل الأنبياء عليهم السلام، وفيما أعلم أنه ليس هناك نبي رعى الغنم غير موسى بن عمران عليه السلام، والذي رعاها شوطا مقابل زواجه من ابنة النبي شعيب عليه السلام واستحكما لاستتله واستخفائه عن أعين أعدائه، أما لماذا لم روع الأنبياء الأغنام؟ فلأنهم بعثوا إلى أروامهم وهم من أشرفهم وأوجههم، فكيف يتفقر رعي الغنم مع مكانتهم بين أروامهم، ورعي الغنم فيما هو متعارف بين الناس قديما وحديثا لا يلجأ إليه إلا من انقطعت به السبل، ولم يجد طريقا أفضل في الحصول على الرزق، فأنيط ذلك العمل قديما بالعبيد، وحديثا بمن لا اختصاص ولا خوة ولا علم له، ولم يعوف عن وجيه قوم رعى الغنم خصوصا إذا كان المجتمع يتخذ من الرق أداة للتكسب وإناطة الأعمال الشاقة بهم، والوعي في حقبة من الزمن كان مقصورا على العبيد نون الأحرار، وعلى الفقراء المتنعين نون غوهم، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن لوعي الغنم على ذلك المقابل المزري (على قريط)، لم يفعلها عند جده عبد المطلب عليه السلام ولا عند عمه أبو طالب عليه السلام، ولا كانا مستعدين لتوكله يفعلها، لأنهما كانا شديدي الحرص على رعايته واستيفاء حاجاته، ولم يكونا مقصوين في حقه حتى يلتجئ إلى رعي الغنم على سد الرمق، كما يستشف من الرواية.

ولما كان رواية الحديث هو أبو هريرة فإن الدافع الذي أجاه إلى ذلك القول لا يخرج عن احتمالين:

الأول:

مقربته لكعب الأحبار من اليهود المتأسلمين، لفقه عنه ما كان يقصه على البله والسذج الذين كانوا على شاكلته، مدعيا على نبي الأكرم رعي الغنم كما رعى موسى ليه السلام، دونما التفات إلى السبب الذي دفع موسى إلى رعي الغنم، والذي هو ركن أساسي غير متوفر في نبينا الخاتم والذي كان سيد بني هاشم ومحاطا بأشرفهم كجده وعمه، لذلك فإنه يستحيل عليه رعي الغنم في وجود هاذين الرجلين الذين بذلا ما في وسعهما للإشراف عليه حتى كبر واشتد عوده، وجاءه الوحي، ولم يمت عمه أبو طالب إلا بعد نزول الوحي بسنين عديدة قربت مدة إقامته في مكة، فلم يؤثر عنه أنه رعى الغنم صغوا لأنه كان في حماية أهله وأمام أعينهم، وحرصهم عليه كان ناشئا من الظواهر الملفتة التي كانت تحيط به، ومن ظهور بعض الدلائل على أنه سيكون له شأن في قادم الأيام.

الثاني:

رعى أبي هرة نفسه الغنم لابنة غزوان، ليس على قولي كما في روايته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما على ملابطنه، وكلا الأجرين من الوهدة والدون سواء، فيكون أبو هرة باختلاقه هذه الرواية قد نال شرف عمل قام به الأنبياء جميعهم وبم أنه رواية خط التعريف الأول، كان لا بد من أن يجد صفة يشترك فيها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترفع من وضاعته، وتقيم انوار معالم شخصه.

ولم يتبين لنا من خلال مراجعة حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه رعى الغنم، إلا إذا استثنينا فترة بقائه في بني سعد قوم حليلة السعدية موضعه، وه صبي صغير فقد يكون اقتفى اثر إخوته من الرضاع، أو أثر الرعاة معهم، لأن الصغار عادة ما ينجذبون إلى الحيوانات الأهلية ليلاعيوها، وبالتالي لا يمكن اعتبار اقتفاء أثر الرعاة أو ملاعبة صغار الغنم عملا يدر على صاحبه قولي، فمتى رعى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم الغنم إذا؟

أما من حيث السند فان أبا هرة الدوسي قد عرف كما جاءنا من أخبره، بأنه كان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أن بعض الصحابة كانوا يعكسون ما كان يقوله كما كان يفعل الإمام علي عليه السلام، وضيق عليه بعضهم، باللفظ حيناً وبالضرب حيناً آخر كما كان يفعل به الخليفة الثاني، أما عائشة فلم تكن لترضاه أبداً. ومع ذلك فان علماء الجرح والتعديل عند هؤلاء أبا إلا أن يعدلوه غم ما صدر عنه أيام معاوية لرضاء له ولبني أمية. فلا تجريح عندهم لجميع الصحابة حتى من ظهر كذبه وفسقه وبهتانه، حتى من سماه الله تعالى فاسقا في كتابه العزيز كالوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة، فهم عدول عندهم.

وأبو هرة كما ذكر اختلف في اسمه إلى أكثر من أربعين قولا. وإذا كان حال شخص مجهول الاسم في زمن معلوم فكيف ستكون بقية حاله؟

أسلم بعد فتح خيبر عندما قدم مع أشعري اليمن، لم يتحج من طلب نصيب من غنائم الفتح مع انه لم يشرك في القتال، بل لعل يده لم تلامس سيفاً أو رمحاً أو نبلاً طوال حياته، إلا أن تكون زينة فترة توليته أمراً على المدينة، بعدما وضع الأحاديث التي تحط من مقام الإمام علي عليه السلام لرضاء لمعاوية. بقي بعد إسلامه في المدينة سنة ونصف إذا استثنينا مدة خروجه إلى البحرين تحت قيادة العلاء الحضرمي. لا يعرف القواء والكتابة، وكان كما قلت قبل أن يسلم رعى الغنم في اليمن لابنة غزوان على ملابطنه، ولم يكن له أي دور في الفترة التي عاشها حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك الحال في خلافة الخليفة الأول والثالث، أما دعوى توليته على عهد الخليفة الثاني فلا أعتقد صحتها لأن موقف ابن الخطاب منه كان واضحاً وقد تكون المسألة من تلافيق بني أمية، وعند اختيار الإمام علي عليه السلام اختيلاً عاماً. لم يكن موجوداً في الحروب التي خاضها الإمام عليه السلام لم يؤثر عنه غير قوله: الصلاة وراء علي أتم والكل مع معاوية أدم، والجلوس على الرابية أسلم". ولا أخاله صلى وراء علي أبداً ولا كانت لديه الحواة ليجلس على الرابية قبالة حرب طاحنة قد يصله منها رمح أو نبل أو سيف طامع أو حاقد.

وكان من دعائه: " اللهم هب لي ضوساً طحوناً ومعدة هضوماً ودواً نثوراً". تحسوا على فوت لذيذ الطعام، بعد ملا جعبته

منه، وقد كان يعوف بشيخ المضوة، وهي صنف يسيل منه لعلب أبي هرة ومن شاكله.

شخص بمثل تلك الانتهازية، ما ذا يمكنه أن يقدم للمسلمين؟ وجد فيه معاوية ضالته في الدس والكذب فقبوه إليهم وأدبوه من مجالسهم وموائدهم، وقبوا له كعبا ليكون له معلما وملهما، فخرجت من بين شذقيه عفونة التلفيق، ورداءة التأليف، يعلو مكانه وترتفع أسهمه بين الصحابة الأفاضل، فيحسب رواية حديث رسول الله لا محيص عنه، ومن هم أهل الذكر والواية والعلم والمكانة ينكرون وينسون.

25 - أخرج مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله (ص) مضطجعا في بيتي كاشفا فخذه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله (ص) وسولا ثيابه. قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهش له ولم تناله، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تناله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك. فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة. (71)

عندما يبلغ الإفلاس بمن باعوا دينهم بدنيازائلة يصيبون بعض لذاتها، يقدمون على وضع أحاديث واهية، تبعث على الأسى والأسف لما آلت إليه عقول الوضاعين والرواة والحافظين لمثل هذه السخافات التي سبوا بها صفحات كتبهم. وكيف يمكن لمسلم أن يقبل عن نبيه مثل يقال أنه صدر عنه؟

لكنك عندما تقو في كتب التزيخ كتزيخ الطوي وغره تقف على أن معوية بن أبي سفيان هو الذي دفع وحرض، وأغوى وأنفق على وضع روايات المفاضلة لبعض الصحابة، تليسا على المسلمين، وطمسا للأحاديث الصحيحة التي توجب على لمسلمين إتباعها والعمل بمقتضاها، والامتنال لما جاء فيها. وإذا تعددت الجهات وتكاثرت المفاضلات أشكلت الوجهة وتسلوت عناصر التقضيل، واختلط الحابل بالنابل. عند ذلك يصبح الحليم حوانا بأي الأسباب يأخذ ومن أي جانب يأتي؟ فنجح في سعيه، واستطاع أن يحدد أغلبية من عاصوه عن صواع باطله مع حق أهل البيت والإمام علي عليه السلام في أحقيتهم في الحكومة الإسلامية.

ولكن مع ذلك كله تبقى منزلة حق، وقبس هدى فرق اللبس والشبهة لكل من ألقى السمع وهو شهيد، وتبقى كذلك راجيف المحرفين وافتعالات المنافقين دالة على وضاعة أصحابها وانحطاطهم الفكري. وككل رواية تكون عائشة أو أبو هرة من مصاوها تتبعث منها رائحة التكلف وقلة العلم، ورداءة المعنى، ويكتنفها الكذب، وتطغى عليها الحواة على الله ورسوله. صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي هذه الرواية التي يحاول واضعها أن يجد مكانا لعثمان بن عفان بين شوامخ رواسي أهل البيت عليهم السلام، غير منقطن أن دهاءه قد خانته وحيلته ردت به إلى اللامعقول الذي لا يمكنه أن ينطلي إلا على من عميت بصيرته، وإلا كيف يمكن لعائل أن يقبل رواية يصور فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مضطجعا وكاشفا عن فخذه وبين يديه واحد من الناس كائن من كان، لا يأبه له ولا يبالي به، وهو الذي يهش للصغير والكبير والغني والفقير على حد سواء، وكان من أخلاقه أن يجلس عندما يتحدث، أو يستمع إلى أحد ن وما تعظيم المولى لخلقه إلا دليل على أنه لا يميز في تعامله مع الناس، بل الناس كلهم

سواسية، في استقباله واهتمامه.

وكيف يستحي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالواسطة؟ ألم يكن حيبا بطبعه بحيث لا يفارقه ذلك الحياء، فيكون حيؤه من خالقه قبل حياته من الملائكة أو ممن تستحي منه الملائكة.

إن الوضع الذي صوروا فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يليق بالمسلم الملتزم ناهيك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتروك لحدود العورة، وقد ورد أنه وجد رجلا كاشفا فخذة فأمره بستورها لأنها عورة أما حياءه فقد قال عنه أبو سعيد الخوري: لقد كان النبي (ص) أشد حياء من العزاء في خوها⁽⁷²⁾ لم يكن من السهل على بني أمية قبول نزول الآيتين في صاحبهم عثمان بن عفان، خاصة بعد ما ادعوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه أنه رجل تستحي منه الملائكة، فلم يستسيغوا أن تتناقض الآراء فيه، فنسوا نزول الآية في النبي صلى الله عليه وآله هروبا من انكشاف شخصية عثمان الخليفة الراشد عندهم، ولأن دأب المقدسين للصحابة على وجه العموم كان مبهوهم دائما عدم ذكر هوائم الصحابة والتستر عليهم خصوصا إذا تول فيهم قدح من طرف المولى تعالى أو من قبل نبيه الكرم صلى الله عليه وآله فما هو مدون بين أيدينا من واث لا يكاد يعيب فيهم واحدا، رغم أن القوان الكريم والسنة المطهرة نسبت أكثرهم إلى الانحراف وقلة العلم، وما جاء من أحداث تليخية ثابتة كشفت الوجه الحقيقي لأكثرهم.

استنتاجات بخصوص الرواية:

أولا:

أوردت الرواية ترتيبا وتتابعا وتتابع لدخول أبي بكر وعمر وعثمان، تكرر في عدد من الروايات الأخرى كأنما هناك جاذبية تستقطب هؤلاء دون غوهم، وكأنما يريد واضع الرواية تثبيت ترتيب الخلافة، أو إعطائها المزيد من الشرعية والتوسيع في أذهان الناس للاستدامة على الاعتقاد بصحتها. وكانوا في اغلب الأحيان يتجاهلون اسم علي عليه السلام، كأنما هو رجل مبعود عن دائرة النبي صلى الله عليه وآله.

ثانيا:

ذكرت الرواية احتجاج عائشة وتساؤلها عن سبب عدم اهتمام النبي بأبيها وصاحبه، وهو أمر لم يكن من عاداته على الإطلاق حتى مع أعدائه، والحال أن تصرفه كان مغاورا تماما مع عثمان، حيث سوى ثيابه وحسن من مظهره. وفي كل الحالات فإن النبي صلى الله عليه وآله كان عادلا حتى في استقباله للناس، يعطي لكل أحد مكانته وقيمته كمخلوق لله تعالى قبل أي شيء آخر.

ثالثا:

لعل الأولى بالتساؤل هنا هما أبو بكر وعمر اللذان من المفترض أن يستغربا سلوك النبي صلى الله عليه وآله إن صح صدوره حياهما، بل إن في الرواية ما يدعو إلى القول بأن الرجلين يتطفلان عليه، وهو يريد صرفهما والتخلص منهما.

رابعاً:

رُاد واضح الرواية أن يرفع من مكانة عثمان، فوضع من مكانة أبي بكر وعمر، بل جعلهما لا يساويان شيئاً بإهمال النبي صلى الله عليه وآله لهما، وكان حري باتباع مذاهب هذه الرواية أن يتساءلوا لماذا لم يكن حيي الملائكة وحيي النبي بالواسطة أن يكون أول خليفة بدلاً عن الذين أهملهما النبي صلى الله عليه وآله.

26 - أخرج أحمد في مسنده: استشار رسول الله (ص) في الأسرى يوم بدر فقال: إن الله قد مكنكم منهم. قال فقال عمر (رض) فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم. فأعرض عنه النبي (ص) ثم عاد فقال: يا أيها الناس إن الله قد مكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس. فقام عمر (رض) فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه رسول الله (ص) ثم عاد فقال: للناس مثل ذلك فقال أبو بكر (رض) فقال: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم، وأن تقبل منهم الفداء. قال فذهب عن وجه رسول الله (ص) ما كان فيه من الغم، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء فلما كان الغد غداً عمر إلى رسول الله (ص) فإذا هو وأبو بكر يبكيان، فقال ما يبكيكما؟ وفي لفظ ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فان وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت لبكائكما فقال رسول الله (ص): إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم. لو تول عذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب.

تحدثت الرواية عن اختلاف المسلمين في أسرى بدر من المشركين أيقتلونهم أم يفاوضهم؟ والذي عليه الرواية أن عمر كان مصوا وحده نون غوه على قتل الأسرى، وتكرر موقفه في الرواية وإعراض النبي صلى الله عليه وآله عنه كأنما كان يريد رأياً آخر لم يفصح عنه، إلى أن قام أبو بكر واقترح الفداء، فطابت نفس النبي صلى الله عليه وآله وذهب عنه الغم وقبل الفداء. غير أن المنفحص للرواية يرى فيها تفككا واستوراكا وتناقضا من جهة المعنى، فقول رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله قد مكنكم منهم. لا يرجح ميله إلى الفداء، وقول الولي لما تكلم أبو بكر: فذهب عن وجه رسول الله ما كان فيه من الغم. يناقض قوله الأول، ويوحى بأن النبي صلى الله عليه وآله كان يخفي رغبة، كان يبحث بين الناس عن يظوها بدله، وهي طريقة لم يعف بها النبي صلى الله عليه وآله...

والرواية مرودة من وجهين:

الأول:

معلزتها للآية التي تولت بخصوص الحادثة والتي تقول: " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم".⁽⁷³⁾ ومعناها كما أورده الطوسي: " ما كان لنبي " أي ليس له ولا في عهد الله إليه "أن يكون له أسرى" من المشركين ليفديهم أو يمن عليهم " حتى يثخن في الأرض" حتى يبالغ في قتل المشركين وقهوهم ليرتدع بهم من ورائهم " تريدون عرض الدنيا" هذا خطاب لمن دون النبي صلى الله عليه وآله من المؤمنين الذين رغبوا في أخذ الفداء من الأسرى في أول وقعة ورجعوا في الحرب للغنيمة.⁽⁷⁴⁾

ويؤيد ذلك ما نقله محمد بن جرير بن رستم الطوي عن كتاب علي بن إواهيم قوله: لما قتل رسول الله صلى الله عليه وآله النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط خافت الأنصار أن يقتل الأسرى، فقالوا: يا رسول الله قتلنا سبعين من قومك

وأسونك، أتجد أصلهم؟ (قطعه مستأصلا) فخذ يا رسول الله منهم الفداء، وفي أخرى أن النبي صلى الله عليه وآله كره أخذ الفداء وإنما قول عند رغبة المسلمين فكيف يكون محبا لأخذ الفداء؟

الوجه الثاني:

معلضة الرواية للآية الثانية والتي تقول: "ولا كتاب من الله سبق لمسكم في ما أخذتم عذاب عظيم". ولا يعقد عاقل أن رسول الله (ص) كاد يمسه العذاب وعمر الخطاب هو الناجي الوحيد منه، وهل هذا إلا الباطل بعينه، وهو ما يزيد الرواية افتضاحا، وليت شعري من هو ابن الخطاب هذا حتى ينجو من عذاب الله تعالى ويقع فيه حبيبه وصفوته وخيرته من خلقه من الأولين والآخرين، رحمته المهداة إلى البشرية، ووسيلته وسببه، وأنهم ليقولن منكرا من القول وزورا". إن الذين كان سيمسهم العذاب هم الذين أصروا على أخذ الفداء وما لوا إليه طلبا للغنيمة والدنيا، وما الكتاب الذي سبق إلا دليل على بطلان الرواية من أساسها، وهي الآية رقم 38 من نفس السورة والتي تقول: "ما كان الله معذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون". ، ولم تقف الآية عند حد نوء العذاب برسول الله صلى الله عليه وآله حيا وميتا وإنما ذهبت حتى نوء العذاب عن الأمة طالما فيها مستغفرون، وطالما أن مقام عمر في الرواية بتلك العظمة والرفعة فلماذا قدم أبا بكر عليه؟ ولماذا تقدم أبو بكر وهو يعلم أن ابن الخطاب مقدم عند الله من النبي نفسه صلى الله عليه وآله؟

ولئن أفلح بنو أمية وعلى رأسهم معاوية في تموير هذه الخدع، ودس الكذب والبذع فان الله تعالى قبيض للدين الحق أهلا لا تتطلي عليهم إلا عيب المنحرفين عن صراطه المستقيم، وعناوينهم الواقة كالسواب الذي إذا جاءه الطالب لم يجده شيئا.

27 - اخرج البخاري عن عائشة أن نساء رسول الله (ص) كن حزبين، حزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله (ص) وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله (ص) عائشة فإذا كانت عند أحدهم هدية يربون أن يهديها إلى رسول الله (ص) أخوها حتى إذا كان رسول الله (ص) في بيت عائشة بعث صاحب الهدية في بيت عائشة. فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول الله (ص) يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي إلى رسول الله (ص) هدية فليهديها حيث كان من بيوت نساءه. فكلمته أم سلمة بما قلن فلم يقل شيئا. فسألنها فقالت: ما قال لي شيئا. فقلن لها فكلميه قالت فكلمته حين دار إليها أيضا فلن يقل لها شيئا. فسألنها فقالت ما قال لي شيئا فقلن لها كلميه حتى يكلمك، فدار إليها فكلمته فقال لها: لا تؤذني في عائشة، فان الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة. قالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله. ثم إنهن دعون فاطمة بنت الواسل (ص) فرسلت إلى رسول الله (ص) تقول إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر، فكلمته فقال: يا بنية ألا تحبين ما أحب قالت: بلى. فوجعت إليهن فأخوتهن فقلن، رجعي إليه فأبنت أن ترجع فرسلن زينب بنت جحش فأتته فأغلظت وقالت إن نساءك ينشدنك العدل في بنت أبي قحافة. فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبته حتى إن رسول الله (ص) ينظر إلى عائشة هل تتكلم قال فتكلمت عائشة تود على زينب حتى أسكتتها. قالت فنظر النبي (ص) إلى عائشة فقال: إنها بنت أبي بكر. قال البخاري، الكلام الأخير قصة فاطمة يذكر عن هشام بن عروة عن رجل عن

28 - أخرج البخاري عن عائشة أن رسول الله (ص) كان يسأل في موضه الذي مات فيه أين أنا غدا يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث يشاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة فمات في اليوم الذي كان يدور فيه علي فيه، في بيتي فقبضه الله وان رأسه لبيّن نحوي وسحوي مخاطريته ريقى. (76)

ما يمكن ملاحظته في الروايتين أن كل بلية وطامة إلا وهي مسندة هكذا، عن هشام بن عروة عن عائشة، ولو دققنا النظر فيما جاء من الروايات بهذا الإسناد لما حصلنا منها على شيء من دين، وانما هي جلها أضغاث أحلام أو تهيبات لا طائل من ورائها، أو غوة امرأة لا حد لأنانيتها، أو تلفيق وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله أو هن من بيت العنكبوت.

وبعدتنا إلى الرواية السادسة والعشرون نرى أن الكذب بدأ عندما وقع تقسيم أزواج النبي صلى الله عليه وآله إلى حزبين، في حين أن القرآن والسورة مجمعين على خلاف ذلك، ويعلمنا أن نساء النبي صلى الله عليه وآله قد خاطبهن البري تعالى مجتمعات في سورة الأحزاب، وخاطب عائشة وحفصة مجتمعين في سورة التحريم مهددا إياهن بقوله تعالى: " إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاها عليه فان الله هولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهرا". (77) . وقد اجمع

المفسرون والرواة أن التهديد الصادر عن المولى سبحانه وتعالى كان بخصوص عائشة وحفصة، والقصة معروفة بين أهل التفسير والحديث ملخصها أن النبي صلى الله عليه وآله كان يأكل عسلا عند زوجته وابنة عمته زينب بنت جحش فدفعت الغوة بعائشة إلى أن تتأمر على النبي بالكذب عليه والادعاء بأنه أكل مغاير (أئحته كريمة) فصدقهن وامتنع من أكل العسل، فقول في ذلك قوله تعالى: " يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك". (78) وأقول تهديدا لعائشة وحفصة في قوله تعالى: " عسى ربه إن طلفكن أن يبدله أزواجا خورا منكن مسلمات مؤمنات ثيبات وأبكرا". (79)

ثم يتواصل الكذب بدعوى حب رسول الله صلى الله عليه وآله لعائشة دون غيرها من النساء، إلى درجة أن الناس كانوا يؤخرون هداياهم إلى النبي صلى الله عليه وآله حتى يوم عائشة، ولعمري لم أجد ابتذالا وإسفافا وتأكلا، بهذا الحجم كما وجدته في هذه الرواية التي تحاول أن توهم المسلمين أن النبي صلى الله عليه وآله متيم بحب عائشة إلى درجة اللاوعي، وأن المسلمين على عهده تتسموا منه ذلك، ولكن لماذا يؤخرون تقديم هداياهم إلى يوم عائشة؟ ألا يكون ذلك مثرا للريبة ودافعا إلى الإجحاف في حق بقية النساء، وتجاهل التشكيات الصاورة عنهن، وهو الذي جاء بالقسط والعدل. وعدم الاكتراث بالهواء وما أواك ما الهواء عليها السلام في تدخلها لفائدة بقية النسوة، وسباب زينب وعائشة بحضرة النبي صلى الله عليه وآله، دون تدخل لوضع الأمور مواضعها، ويأتينا الولوي في النهاية ليقول على النبي بأنه قال بعد أن ردت عائشة على زينب سبابها إلى أن أسكتتها: إنها بنت أبي بكر. إعجابا أو تفاخرا؟

إنني أزه النبي صلى الله عليه وآله من أن يقع الشتم والسب على هوى منه ومسمع وفي بيته ولا يحرك ساكنا، وهو المأمور قبل غوه بالنهي عن كل منكر.

وهل أن ظاهرة تأخير الهدايا وأي هدايا؟ علامة خير، وتصرفا صحيحا بركيه عاقل فضلا عن نسبته للنبي صلى الله عليه وآله، مضافا إلى ما سيستتبعه ذلك من إثارة مشاكل لا حد لها في البيت النبوي، مما هو في غنى عنه، وتكون الحكمة في

إيقافه أولى من التماذي فيه. وما رى في هذا كله إلا خرافة من خرافات بني أمية الذين ألبسوا على المسلمين دينهم، بما دونه من أكاذيب على النبي صلى الله عليه وآله، لو نظر فيها المتتورون الواعون لروا فاسدها.
وما يميز ابنة أبي بكر عن غوها؟ إني لما بحثت في بعض المصادر دون أن أتمكن من بقيتها نظرا لضيق الوقت وعدم توفر البقية لدي دفعتني إلى أن أف لبعض الأسطر كي أذكر بعض الذي نقله رواة ما يسمى بأهل السنة والجماعة عن عائشة ليكون ابلغ للحجة.

وقفة مع عائشة في سلوكها مع النبي وموقف النبي صلى الله عليه وآله منها:
من المعلوم بل من الطبيعي أن الحب إذا تمكن من رجل وامرأة كان متبادلا وتظهر أثره على سلوك الطرفين، وفي علاقة النبي صلى الله عليه وآله بعائشة ما ينبئ العكس، فبداية ألقبت إليه وهي صبية دون طلب، فبني بها بعد ذلك تأليفا بينه وبين القبائل فوى المصاهرة لها بعدها النفسي لدى القبائل العربية. بنى بغوها بعد أن مات خديجة عليها السلام وبعد الهوة، وهي عند طلبه لو أراد، وهذا يؤكد أن الحب الزعم لا أساس له بينه صلى الله عليه وآله وبينها.
كانت في علاقتنا بالنبي صلى الله عليه وآله متوزة غواء لا توري ما تقول، بغضت أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وهم علي عليه السلام وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين والحسن والحسين عليهم السلام، فحربت عليا في وقعة الجمل وقد أشرنا إلى ذلك وحرضت على الحسن عليه السلام فلم يدفن بجانب جده، ولو عاشت إلى الحسين عليه السلام لأعانت عليه.

تجسسها عليه:

قالت عائشة ألا أحدثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت بلى قال قالت لما كانت ليلتي التي النبي صلى الله عليه وسلم فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف رداءه على فاشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أنني قد رقدت فأخذ رداءه ورويدا وانتعل رويدا وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويدا فجعلت نوعي في رأسي واختبرت وتقنعت لرلي ثم انطلقت على أژه حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ثم رفع يديه ثلاث هوات ثم انصرف فأسوع فأسوعت فهول فهولت فأحضر فأحضرت فسبقتة فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل فقال ما لك يا عائش حشياء رائبة قالت قلت لا شيء يا رسول الله قال لتخونني أو ليخونني اللطيف الخبير قالت قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته قال فأنت السواد الذي رأيت أمامي قلت نعم فلخونني في ظهري لهوة فلو جعنتي وقال أظننت أن يحيف عليك الله ورسوله... (80)

ادعائها بأنه غير عادل:

قالت إنها خاصمت النبي صلى الله عليه وآله إلى أبي بكر، فقلت: يا رسول الله أقسط (اعدل) فطم أبو بكر خدي وسال الدم على ثيابي. (81)

عائشة وحفصة تصوران رسول الله بالشيطان:

يوم قالتا لمليكة زوجته الجديدة إن رسول الله يحب من تقول له منهن: أعوذ بالله منك. فقالت المسكينة للنبي صلى الله عليه

وآله ذلك فألحقها بقومها وطلقها. فماتت كمدًا. ويظهر أن عائشة وحفصة قد كررتا العملية أكثر من مرة، فقد وقعت في مصيدتهما أسماء بنت النعمان وقالت له: أعوذ بالله منك. فقال صلى الله عليه وآله: أبالله عائذة مني الحقي بأهلك. (83)

عائشة وحفصة تؤذيان النبي صلى الله عليه وآله:

(84) أخرج البخري والحاكم أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيان رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يظل يومه غضبان.

عائشة تكذب على النبي صلى الله عليه وآله

رأسل النبي صلى الله عليه وآله إلى امرأة من كلب لتتظر إليها فذهبت فذهبت ثم رجعت، فقال لها: ما رأيت؟ فقالت: لم أر طائلا (أي ليس فيها ما يعجب) فقال لها: لقد رأيت خالا في خدها اقشعرت له كل شوة منك، وكان جبريل قد اطلعه عليها. فقالت عائشة يا رسول الله ما دونك ستر. (85)

النبي صلى الله عليه وآله طلق عائشة وحفصة:

أخرج البخري أن النبي صلى الله عليه وآله طلق عائشة وحفصة وسودة واعتزل باقي نسائه شهرا ثم راجعهن بعد ذلك. وأيد مسلم في كتابه نزول الآية في تلك الحادثة وهي قوله تعالى: " عسى ربه إن طلقكن يبدله أزواجا منكم مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكرات". (86) ودلت الآية كذلك على أن هنالك في نساء عموهن من كن خوا منهن.

عائشة وحفصة تغضبان النبي صلى الله عليه وآله:

أخرج البخري في ما يسمى بالصحيح كتاب تفسير القرآن وابن سعد في طبقاته أن عائشة وحفصة كانتا تاجعان النبي صلى الله عليه وآله حتى يظل يومه غضبانا. (87)

عائشة تغار من خديجة وتسبها وهي ميتة:

عن عائشة قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها قالت وتزوجني بعدها بثلاث سنين وأمره ربه عز وجل أو جبريل عليه السلام أن يبشوها ببيت في الجنة من قصب. وفي رواية أخرى أنها قالت استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف استئذان خديجة فلرتاع لذلك فقال اللهم هالة قالت فغرت فقلت ما تذكر من عجوز من عجائز قویش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خوا منها.

وفي الثالثة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أتى عليها فأحسن التثاء قالت فغوت يوما فقلت ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدق قد أبدلك الله عز وجل بها خوا منها قال ما أبدلني الله عز وجل خوا منها قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء. (88)

وما كثرة ذكر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لخديجة عليها السلام إلا لأنه لم يجد من بين نسائه من ينسبه لخديجة،

فكان حبه الكبير لها يدفعه دائما إلى تذكرها، والى تعهد حتى صاحباتها وقوابتها، أما بشلته الحقيقية لها فقد كتبتها عائشة غرة، وهي أنها سيدة نساء العالمين مع ابنتها فاطمة الزهراء عليهما السلام، أما بشلته لها ببيت في الجنة من قصب فهو أيضا محاولة للتقليل من البشارة لأن مقامها في الجنة ومقام النبي صلى الله عليه وآله واحد، ولو أ، نساء النبي صلى الله عليه وآله كلهن اجتهدن مجتمعات في الوصول إلى ما أعده المولى تعالى لخديجة لما أفلحن، وأي قصب هذا الذي تتحدث عنه عائشة في الجنة؟ والجنة كما ظهر لنا من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله فيها قصور بنيت من ذهب وفضة ومعادن نفيسة وليس قصبا أو حريدا.

نعم لقد علم المسلمون الفطنون العرفون حب رسول الله لخديجة وابنتها فاطمة الزهراء عليهما السلام، ولو كان هناك هدايا كما تصور الرواية لما عدلوا بها عن البيت الذي أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهوه تطهوا، والذي كان يأتيه كل صلاة فيطرقه مذكرا بحلول وقت صلاة الجماعة مناديا بأية التطهير، ومعلما بقبية المسلمين بمقام ذلك البيت عنده وعند الله تعالى، فهم أولى بالهدية من عائشة التي أجاز لها الله تعالى أن تأكل الصدقة شأنها في ذلك شأن بقية المسلمين، ولم يجز لأهل البيت عليهم السلام أن يأكلوا إلا الهدية أو الخمس.

ولو كان حب رسول الله لعائشة صحيحا لما تزوج عليها أكثر من سبع نساء. فخديجة عاشت مع النبي حوالي 27 سنة أي ثلاثة أضعاف عمره الشريف مع بقية النساء ولم يتزوج عليها إلى أن ماتت، وسمى العام الذي توفيت فيه بعام الحزن. فهل يبقى بعد هذا ادعاء قائم لحب مزعوم غير حب الطاهرين سلام الله عليهم.

أما النقول على الزهراء بأنها تدخلت لفائدة النسوة، فلم تغلح في ثني النبي عن موقفه المطلق لفائدة عائشة، فبهتان لا يقوم على دليل، بل العكس صحيح لأنها المرأة التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها، لا يرد لها طلب، ولا تسقط لها وساطة أبدا، وإذا وقفت الزهراء عليها السلام أمام النبي صلى الله عليه وآله، لم يعدل بها أحدا، ولبي كل طلباته وتدخلاتها ووساطاتها لأنها لا تسلك إلا مسلك الحق والصدق.

أما الرواية السابعة والعشرون ففي ظاهرها وله رسول الله صلى الله عليه وآله بعائشة كأنما هي ركن من أركان الدين أو شعرة من شعائر العقيدة، وفي باطن الرواية السم الرعاف وبيان ذلك كالاتي:

أولا:

لم يصدر عن رسول الله، ولا يمكن لمعتقد بأفضلية النبي على الخلق، أن يقبل بظهور النبي صلى الله عليه وآله على الصورة التي جاءت بها الرواية حيث جعلته كالصبي الوله الذي لا يقبل عن أمه بديلا فزاه ينادي كلما غابت عن عينه: أين أمي، أين أمي، أو فاقد لعقله لا يوري ما يقول، حتى على سبيل افتراض صحة ذلك الحب المزعوم فإن النبي صلى الله عليه وآله مطالب بعدم إظهاره لما لا يخفى من عدل وحكمة في تسيير شؤون البيت النبوي، وقد اعترفت عائشة نفسها عندما تحاملت على خديجة وهي مينة من فوط غيوتها من كثرة ذكر النبي الأكرم لها واهتمامه البالغ بأختها هالة وصاحباتها، برفعة ذلك المقام عنها عندما نقلت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "والله ما استبدلني خوا منها".

ثانياً:

قبول بقية الأرواح بأن يموض النبي صلى الله عليه وآله حيث يشاء ليس له ما يقويه خاصة إذا علمنا أن لرسول الله صلى الله عليه وآله حجرته الخاصة التي يختلي فيها إلى نفسه ويستعملها في أوقات اللزوم كما فعل ذلك مراراً، فعند طلاقه لنسائه ومن بينهم عائشة، استعمل تلك الحجرة

وعند مرضه أيضاً استعمل تلك الحجرة ومنها انتقل إلى الرفيق الأعلى والتي استولت عليها عائشة بعد استيلاء أبيها على السلطة بدعم من بني أمية ومن كان رافضاً للاختيار الإلهي في كون الإمام علي بن أبي طالب إمام الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهي التي دفنت أباهما ثم عمر بجانب

النبي صلى الله عليه وآله نون مشورة ولا استئذان، لأنه لا دعوى لها في الإرث لنفي أبيها له، هذا إن صحت أن الحجرة كانت حجرته في الأصل، وهو أمر أكدنا بعده عن الواقع، بل لعل اتباع هذه الرواة افتعلوا الرواية لوضعوا عنها كل تبعة من خروج ونحوه وقد أمرها الله تعالى أن تقر في بيتها، فكيف تفعل وليس لها بيت؟

ثالثاً:

ادعوا وفاة النبي صلى الله عليه وآله ورأسه الشريف بين سحرها ونحوها، كذب وبهتان، لأن النبي لم يبعث لعائشة حتى تستفد به نون بقية الخلق، وفي حضور علي وفاطمة الذين هما أحب الناس إليه ليس عن هوى كما تحول روايات الحب المزوم لعائشة إيهامه للناس وإنما لأن الله تعالى أحبهما وأحب نسلهما وجعل حبهم جميعاً طاعة له والصلاة عليهم عبادة لا تضاهيها عبادة، ولما تبين لنا أن مع رواية عائشة جاءت روايات أخرى لتقول أن النبي صلى الله عليه وآله مات بين يدي علي عليه السلام وعلى صوره فاضت روحه الشريفة، وهو الذي تولى تغسيله وتكفينه، ونظم عميلة الصلاة عليه، ودفنه والناس يختصمون على السلطة.

وإذا قال علي عليه السلام إن رسول الله مات بين يديه، فلا يبقى لكلام عائشة ولا عروة ابن أختها ولا لبنيه ولا لؤهي داعية الأمويين وزن ولا قيمة. بل إن الصحيح الذي لا مراء فيه هو أن الذي تولى أمر النبي مذ حضر هو علي بن أبي طالب عليه السلام بلا فصل ومن قال غير ذلك فهو متبع هوى الضلالة ومتخذاً مطية الكذب على الله ورسوله، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس ملكاً لعائشة حتى تتصرف فيه بذلك الشكل. أما بقية كلام الرواية فهي مزيدة لا فائدة منها، وإن تكلمت عائشة عن الويق ففي روايات أخرى قد أشرنا إليها ما هو أدهى.

29 - أخرج الحلبي في سيرته: خرج رسول الله (ص) يباوهم، يسابق قريشا إلى الماء فسبقهم إليه حتى جاء أدنى ماء أي من بدر، أقرب ماء إلى بدر من بقية مياهها فتول به (ص) فقال له الحباب بن المنذر: يا رسول الله رأيت هذا المتول أمقول أتولكه الله تعالى ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الوأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الوأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله إن هذا ليس بمقول فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم إن قول القوم يعني قريشا كان الماء أقرب المياه أي محله أقرب المياه إليهم. قال الحباب فاني أعرف عورة مائه وكثرته بحيث لا يزح فتقوله. ثم غور ما عده من القلب

وهي الآبار غير المبنية، ثم نبني عليه حوضاً فتملأه ماء فنشرب ولا يشربون، لأن القلب كلها حينئذ تصير خلف ذلك القلب. فقال رسول الله (ص) لقد أشرت بالوأي وتول جبريل عليه السلام على النبي (ص) فقال الوأي ما أشار إليه الحباب، فنهض رسول الله (ص) ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم.⁽⁸⁹⁾

والرواية مرودة لأسباب:

أولها:

أن الوأي والحرب والمكيدة غير منفكة عن العلوم التي علمها المولى سبحانه وتعالى رسوله الكرم صلى الله عليه وآله، ولا هي بمنأى عن الوحي حتى يكون النبي صلى الله عليه وآله محتاجاً إلى من يرشده ويصحح خطأه. ففي أحد مثلاً دل تخطيطه على أنه صاحب تعوس بالحرب وذورأي شديد وواية كبوة بالمواضع الهامة في ساحة القتال، عندما أكد على عدد من أصحابه بعدم النزول من الجبل لحماية ظهور المقاتلين من هجوم مباغت من تلك الجهة، وأكد أصحابه الذين تركهم على ذلك الموضع قلة فهمهم وطمعهم في الغنائم والدنيا فتولوا طمعا في كسبها، وكانت هزيمتهم من تلك الجهة.

ثانيها:

إن مسابقتها في الرواية على الماء دليل على أن القصد منه وجهة معينة وبئر معينة، وإلا فلا معنى لمسابقة غير محددة الهدف.

ثالثها:

إن المولى سبحانه وتعالى دائم الرعاية لنبيه صلى الله عليه وآله، دائب التسديد له بألطافه وبجبريل وبالملائكة المقربين، غير محتاج لأحد كي يصحح له أورا أومه، فلا تكون كل المؤيدات متأخرة عن النبي صلى الله عليه وآله بحيث لا تتم إلا بعد وقوع الخطأ منه وتقويم الناس له، وفي ذلك ما فيبه من مساس بالنوّة، من حيث مصداقيتها، وغاية التقويم والإصلاح وإيجاد الحلول للبشرية، أما أن تكون محتاجة لمن يقومها من البشر فذلك رأي الذي لم يستوعب من الدين شيئا.

هل صحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجتهد؟

جريمة أخرى ألقوها بالنبي صلى الله عليه وآله والدين الخاتم، تتمثل في نسبة النقص في دين الله تعالى، مما فسح المجال للقول باجتهد النبي صلى الله عليه وآله فيما لا نص فيه بحسبز عمهم. فقد جاء في كتاب إجتهد الرسول للدكتورة نادية شريف العمري قولها: "واجتهاده في الحكام التي لم يتول بها وحي عنوان على بشريته وإنسانيته، ولم يكن الرسول (ص) وهو أعلم أهل الأرض وأتقاهم وأخشاهم الله تعالى، يستأثر وأي راه بل يعرضه على أصحابه ويشاورهم في الأمر، وكانت استشارة الصحابة الكرام فوضا عليه (ص) تنفيذا لقول الله تعالى: "وشلورهم في الأمر".

واصبح تبادل الآراء والأفكار سمة ظاهرة لمجتمع النوّة، وحكى القوان عنهم هذه الخصلة الحسنة فقال سبحانه: "وأمرهم شورى بينهم.. وهذه الآية الكريمة يتعبد بها الناس منذ ذلك العهد التليد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها".

وانتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن اختلاف الأصوليين في جواز اجتهاد النبي صلى الله عليه وآله من عدمه، إلى قولين

اثنتين:

الأول:

القائلون بجوره عقلا وهم ابن الحاجب والآمدي وسائر الحنفية، وجميع الحنابلة، واليه ذهب بعض الشافعية كالفخر الرلي والبيضاوي، كما قال به أيضا القاضي عبد الجبار وأبو الحسين البصري من المعتزلة. وقال ابن تيمية في المسودة: يجوز لنبينا أن يحكم باجتهاده فيما لم وح إليه فيه.

الثاني: المنع مطلقا

وهو مذهب ابن حزم حيث قال: إن من ظن أن الاجتهاد يجوز على الأنبياء عليهم السلام في شوع شريعة لم وح إليهم فيها فهو كفر عظيم ويكفي من إبطال ذلك أمره تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام أن يقول: " إن أتبع إلا ما يوحى إلي ".
ويظهر من خلال ما نقلنا أن عقلية نسبة الاجتهاد للنبي ترسخت من خلال عاملين:

الأول:

بعد تدوين الكتاب العزيز عن السنة النبوية الشلحة لمجمل آياته وأحكامه، مما أدى إلى ضياع كثير من الأحاديث الصحيحة والتي تحمل بين مضامينها بيان الأحكام، وتوضيح ما غمض من آيات.

ثانيا:

تسرب الروايات الموضوعية تحت عناوين كتب أضيفت عليها هالة الصحة والقداسة، فيها ما يدفع إلى الاعتقاد بوقوع الاجتهاد من طرف النبي صلى الله عليه وآله.

إن الادعاء بأن النبي صلى الله عليه وآله مجتهد فيما لم يرد عليه فيه نص، لهو من شطط القول وبهتان الرأي، لأن الله تعالى قد أكمل دينه وأتم شريعته بحيث لا يحتاج رسوله صلى الله عليه وآله إلى إعمال الرأي فيها، بمغزل عن الوحي المتصل به طوال عموره الشريف. وقد جاءت آيات عديدة في كتاب الله تعالى لتؤكد على أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن في أدائه وبلاغه طوال حياته متبعا غير سبيل الوحي، فدل ذلك على أن النور المناط به لم يكن ليتجاوز إطره، ولا كان الوحي منفكا عنه حتى يحتاج إلى إعمال رأيه في مسألة لم يتول فيها وحي، هذا إذا لم نقل أن كلامه وأفعاله كلاهما وحي من الله تعالى.

فقوله تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء ".

وقوله تعالى: " فيه تبيان كل شيء ".

وقوله أيضا: " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ".

وقوله كذلك: " ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ".

كما إن إطلاق الآية للفظ: وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا".

وفي قوله تعالى: " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً". دلالات تصب كلها في خانة أن النبي مكلف بالبيان والتبليغ فقط، لأن الله تعالى لم يتركه محتاجاً إلى أي شيء، وما جاء من روايات تفيد العكس تلقى عرض الحائط، لأنها وبكل بساطة مخالفة للقوان. وعجبي في من أصبح يتوقف أمام رواية موضوعة أخرجها البخاري ومن شاكله هيبة وتعظيماً، ولا يتوقف أمام الآيات البيّنات التي تسقط تلك الروايات وتتهم أصحابها.

على أنه لا بد من الإشارة إلى أن عصر النبوّة لم يكن بالصورة التي يحاول البعض إلصاقها، وتعوّرها إلى عقول المقدسين لذلك الجيل، فقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي: أن ذلك المجتمع كان قليل الهمة في تحصيل العلم، غير مهتم بما يدور حوله، منشغل بمعاشه، منصوف إلى إضاعة الوقت في ما لا يعني، متهيب من السؤال، لم يكن يبكر للشورى فهما ولا معنى، وقد سقطوا في أول امتحان اعترضهم وهو سقيفة بني ساعدة وما تلاها من تنصيب لا يمت إلى الشورى بصلة. أما الآية التي نسبتها الدكتورة إلى مجتمع النبوّة كمزّة تمزّجهم في الشورى فليس فيها ما يفيد ذلك بل إن المعنى عام يتحدث عن خصائص المجتمع المسلم بصفة عامة وصفاته التي ليست حكوا على جيل نون آخر. وهي وإن ظهرت في فوّة ما فإنها مقيدة بثلة قليلة، هي التي تناط بها مسؤولية التوعية والقيمومة والرعاية والحفظ.

قال تعالى: "فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون* والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون* والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون* والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون".

وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون* والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون".

30 - أخرج ابن هشام قال ابن إسحاق: وحدثني نور بن زيد عن بعض أهل العلم ولا أحسبه إلا خالد بن معدان الكلاعي، أن نوا من أصحاب رسول الله (ص) قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم، أنا دعوة إبراهيم، وبشورى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر، بينما أنا مع أخ لي خلف بيوتتارعى بهما لنا إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا ثم أخذاني فشقا بطني واستخجا منه علقة سوداء فطوحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقاه ثم قال أحدهما لصاحبه: زنه بعشوة من أمته، فوزنني بهم، فوزنهم، ثم قال زنه بمائة فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: دعه عنك فالله لو وزنته بأمته لوزنها. (90)

31 - أخرج مسلم عن انس بن مالك أن رسول الله (ص) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصوعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه عقله، فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه وأعادته في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظوّه فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال انس: وقد كنت رى اثر المخيط في صوره. (91)

32 - أخرج مسلم عن أنس، لعله قال عن مالك بن صعصعة عن رجل من قومه قال قال نبي الله (ص) بينا أنا عند البيت بين النائم واليقضان إذ سمعت قائلاً يقول أحد الثلاثة بين الرجلين فأنتيت فانطلق بي فأنتيت بطست من ذهب فيها من ما زمزم فشح صوري إلى كذا وكذا، قال قتادة فقلت للذي معي ما يعني؟ قال إلى أسفل بطنه فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم ثم أعيد مكانه ثم حشي إيماناً وحكمة. (92)

نظرة في أسانيد الروايات:

(93) - شيبان بن فروخ قال أبو حاتم: كان روى القدر اضطر الناس إليه بأخرة ولست اروي السبب الذي دفع الناس إلى أن يضطروا إلى قروي مثل هذا؟

حماد بن سلمة: قال فيه الذهبي له وهام، عن عبد الرحمان بن مهدي قال: كان حماد لا يعرف بهذه الأحاديث التي في الصفات حتى خرج إلى عبادان فجاء وهو يرويها، فلا احسب إلا شيطاناً خرج إليه من البحر فألقاها إليه. وقال عباد بن صهيب: إن حماد كان لا يحفظ وكانوا يقولون إنها دست في كتبه وقد قيل إن ابن أبي العوجاء كان ربيبه فكان يدس في كتبه. (94)

وأقول ما الفائدة من راو كهذا تدس في كتبه الأكاذيب والمختلقات وهو لا يروي، وما الفائدة من رواية ورواة ومذاهب بنيت دعائمها على "قيل" و"لعل" إن يتبعون إلا الظن.

(95) ثابت البناني: كان قاصاً قال ابن عدي ما وقع في حديثه من النكرة وإنما من الروي عنه لأنه روى عنه ضعفاء. وأعتقد جزءاً ما أن كل ما ألقى في السنة النبوية ما ليس منها فهو في معظمه من تخريف القصاصين واختلاقات وهامهم التي بنى أساسها عمر بن الخطاب عندما أمر كعب الأبحار وتميم الدري بأن يقصوا بالمسجد النبوي، وزاد بنوا أمية فأطلقوا عنانها بأن اجروها سنة في جميع مساجد البلاد.

رغم سقوط الروايات الواردة في حادثة شق الصدر سنداً بسقوط بعض رجالها، فإن لمتونها مناقشات لا يجب أن تغيب عن عين البصير. فقد ولى عصر الغفلة والانكفاء، وذهب القصاصون ووعاض السلاطين، وبقيت آثارهم وحوائمهم شاهدة على العبث الذي اجروه مجرى الدين.

وردت هذه الرواية في كتب السير والحديث والتفسير، وهي من حيث المضمون تتبك بجهل واضعها وسخافة عقولهم، ولما كان الوضع عندهم من مستلزمات الإبقاء على مذاهبهم المتداعية فهم لا يتحرجون من إيراد أي شيء عجيب وغريب، عملاً بالمثل القائل خالف تعرف. فأية "ألم نشوح" لا تحتاج إلى هذه الخرافة لتفسوها، والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كامل في خلقه وفي خلقه غير محتاج إلى مثل هذا الاستراوك كي يستكمل مؤهلاته البدنية والعقلية والقلبية، ولا أن تحسب وهي بهذه الحالة من الخيال، معجزة وخرقة لا تصدر عادة إلا عن نبي، وكعادة الكذب الذي إذا تعددت مصاوه يقع في تناقض بين رواياته، وكما ابتلي أهل الشوائع السابقة بالكذابة والكذب فإن شريعتنا شأنها شأن البقية تماماً كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: " لتحنون حذو من خلوا من قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى إذا لو دخلوا جحر ضب

وحادثة شق الصدر هذه من قبيل جحر الضب، لأنها لا تقف على سبب واحد يقيم اختلاقتها.

أما من حيث المتن فإن وجه الغرابة فيه تكمن في عملية شق الصدر أو البطن، لأن في الروايات اختلاف في تحديد موضع الشق، ففي سيرة ابن هشام تقول: فشقا بطني واستخرجا قلبي. ولا يخفى أن القلب محله الصدر بين قفص الوئتين مفصولا عن البطن بغشاء لحمي رقيق. ومن البطن لا يمكن الوصول إلى الصدر ومن الصدر لا يمكن الوصول إلى البطن إلا بفتح ذلك الغشاء. أما البيهقي فقد حدث عن انس عن الشق فحده عند الصدر إلى أسفل البطن، فهل إن الدقة في الشق قد خانت الملكين بحيث لم يمكنهما تحديد مكان القلب ففتخوا صدر النبي كل تلك الفتحة ليستخرجا قلبه وشقاه ليخرجا منه علقة سوداء؟ قالوا في روايات أخرى هي حظ الشيطان منه، وفي رواية الغل والحسد، وادخل مكانهما الوأفة والرحمة، وفي أخرى حشي إيماننا وحكمة. فهل أن خلق وخلق النبي صلى الله عليه وآله كان من النقص بحيث وقع استوراكه بتلك الطريقة المريبة؟ وحتى لو سلمنا جدلا بإمكانية وقوع مثل ذلك الاستوراك فإن الطريقة التي مورست عليه غلب عليها الخيال ولا تصدر عن ملائكة الله المقربين ولا هي من تفاصيل النبوّة والاصطفاء، ولا جاءت بها سير الأنبياء السابقين، ولا هي من سنن المولى في التعامل مع صفوته، وهو الذي أتقن كل شيء صنعه، وحتى إن صح الاستوراك فإن أمره بين الكاف والنون، فلم كل تلك السفسطة؟

أما وزن النبي صلى الله عليه وآله فهو أغرب ما سمعنا، وأي وزن واد أهو وزن البدن أم وزن قيمة الشخص أم وزن أعماله؟ وبأي موزان؟ لأن الرواية لم تتحدث إلا عن طست من ذهب مملوءة ثلجا، والذي يحتاج إلى طست لا بد أن يكون محتاجا إلى موزان ليوزن به، فمن أين جاء الموزان؟ ومن أين جبيء بأفراد الأمة وهم لم يسلموا بعد وفيهم من لم يولد في ذلك الوقت، فهل بلغ الجهل بالملكين إلى الإقدام على معادلته بعدد من أمته، ومتى اختلط الويب فيه حتى يوزن؟ وهل كانا يعتقدان وجحان أمته عليه؟ أو حتى هذا العالم كله عليه؟ تعسا لعقول سبأها الجهل وعششت بين جنبااتها الخوافة.

خلاصة القول في هذا الشأن:

وَألا:

إن الاستوراك الإلهي في الخلق غير ممكن لقوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"، نعم هناك الإمدادات الإلهية، التي تتم بقدرته تعالى نون حاجة إلى فتح أو غلق أو بقر لأنه علمه يقتضي ذلك ولا هو محتاج إلى تدرك فاته، ولا خطأ وجب تلافيه.

ثانيا:

إن الاصطفاء الإلهي للأنبياء والوسل والأوصياء هو اختيار للأصل والمعدن، فيكون المصطفى كاملا من تزيخ خلقه، لأن ذلك داخل في علم المولى وقدرته.

ثالثا:

بتجميع الروايات المتتولة لحادثة شق الصدر نلاحظ تعددا لها وتكررا على ما جاء يوحى بوضع الروايات، فاختلف الرواة في موضع الحادثة وفي تحديد موضع الشق وفي كيفية العملية وأنواتها، فرواية قالت بوقوعها في بيته بمكة وثانية أثناء إقامته في بني سعد وثالثة أنها وقعت في الكعبة.

رابعاً:

إذا سلمنا بتعدد عمليات شق الصدر، وذلك بسبب تلك العلقة السوداء البغيضة، فهل نسلم بأن حظ الشيطان غدة سوطانية تعود لنتمو كلما استأصلت؟ وهل هان النبي الأعظم على خالقه الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، حتى يقع عليه ما وقع من شق واستخراج للقلب، وتنظيف بماء زمزم، أو بالتلج بحيث يكون مؤهما مطهراً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو أصل طهارة كل شيء.

خامساً:

تقول إحدى الروايات أن أنس كان روى أثر المخيط على صدر النبي صلى الله عليه وآله، فهل أن الذي شق القمر ثم أعاده كما كان عجز عن إعادة صدر النبي صلى الله عليه وآله كما كان؟ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أما من حيث السند فيكفي أن فيه أنس بن مالك، وهو غير موجود بمكة، فتسقط روايته لعدم ذكر من روى عنه.

33 - أخرج مسلم والبخاري عن عائشة قالت: سحر رسول الله (ص) يهودي من يهود بني زريق يقال له: لبيد بن الأعصم، قالت حتى كان رسول الله (ص) يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى إذا كانت ذات ليلة دعا رسول الله (ص) ثم دعا ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفناني فيما استفتيته فيه، جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي، أو الذي عند رأسي ما وضع الرجل، قال مطبوب، قال من طبه؟ قال لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء، قال: في مشط ومشاطة...⁽⁹⁷⁾

الحديث أخرجه البخاري وغوه ممن انتسب للسنة المطهرة، وهم للبدعة أقرب وأجدر، يصور النبي صلى الله عليه وآله على أنه سحر من طوف يهودي يذكر المكل اسمه ويستعيض عن اسم النبي صلى الله عليه وآله باسم "الرجل"، ويؤثر ذلك السحر في النبي صلى الله عليه وآله بحيث أصبح لا يعي شيئاً، وما بين سحوه وبرئه قوة ليست بالقصوة، فهل روى أن الله تعالى يتروك رسوله على تلك الحال من اللاوعي وهو المكلف بالتبليغ عنه للناس وبتطبيق ذلك التكليف؟ إن كل منصف لا يعتقد ذلك، ولا يصدق رواية بهذه التفاهة والوضاعة، يهودي وضيع يتغلب على أفضل مخلوقات الله تعالى فيضعه تحت سيطرته بمفعول السحر. وإذا سلمنا جدلاً بوقوع النبي تحت سيطرة السحر، فكيف نسلم بتباطئ العناية الإلهية والمدد الرباني عنه؟ ويدل على بطلان الرواية ما جاء في الكتاب العزيز من الآيات ما يدحضها، ويلقي بها عوض الحائط، نستعرض منها ما يلي:

قال تعالى: " ما جئتم به السحر إن الله سيبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين."⁽⁹⁸⁾

وقال أيضاً: " ولا يفلح الساحرون."⁽⁹⁹⁾

وقال أيضاً: " وقال الظالمون إن تتبعون إلارجلًا مسحورًا أنظر كيف ضلوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون

وقال أيضا: "ولا يفلح الساحر حيث أتى". وعلى ذلك نستخلص أن الرواية باطلة بناء على:

- أن النبي صلى الله عليه وآله لا يمكن أن يطاله السحر بناء على العلاقة التي تربطه بموسله الذي لا يعزب عنه مثقال فوة في الأرض ولا في السماء.

- إن عمل الساحر غير مفلح بدليل الآية الثانية والأخوة.

- نسبة الظلم والضلال لكل من ادعى سحر النبي صلى الله عليه وآله بدليل الآية الثالثة.

34 - أخرج البخاري واحمد بن حنبل في مسنده عن عائشة قالت: خرج النبي (ص) في بعض أسفله وأنا جارية لم أحمل

اللحم ولم أبدن فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال: تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته، فسكت حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفله فقال للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقتني، فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك. (101)

الرواية أخرجها البخاري ومسلم وغوهما لكنني لم أقف على الباب الذي أخرجها فيه لمولوجته في إخراج الروايات في غير أبوابها وإجادته في قطعها وجعل بعضها في مكان والبعض الآخر في مكان آخر بحيث أنك لا تعثر على بغيتك منه إلا بضربة حظ، لذلك ذهب الكثيرون من اتباع ذلك الخط إلى تفضيل جامع أحاديث مسلم عليه، على كل حال دعونا ننظر في متن الرواية بقطع النظر عن إسنادها، والذي قد يكون صحيحا لاعتماد الوضاعين في تمرير أباطيلهم على أسماء الثقة أو من قع توثيقه لأنه من أنصار ذلك المذهب حتى وان صدر منه ما صدر والأمثلة ماثرة لسنا في مقام عرضها، وقد لا تسقط الرواية سندا لكنها تتداعى متنا لمعرضتها للقوان الكريم أو روايات أخرى أكثر صحة، أو لمخالفتها العقل والمنطق لأن الدين يرمته لم يأت مخالفا للعقل والمنطق ولا مجانبيا للفظرة التي فطر الله الناس عليها. ولا اعتقد أن عاقلاراشدا متونا وقهرا حيبا يقدم على مسابقة زوجته أمام الناس أو من ورائهم من لدن آدم حتى يوث الله الأرض ومن عليها، فضلا عن كون المسابق رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك لأسباب هي:

أولا:

ليس هناك دافع واحد يبرر ذلك السباق الذي رآه النبي صلى الله عليه وآله فجأة ودون مقدمات في سفر يحتاج فيه المسافر إلى تقسيط جهده.

ثانيا:

ليس من عادة النبي صلى الله عليه وآله أن يأمر الناس بأوامر لا معنى لها وتتم عن عسف واستكبار واحتقار لهم كأنما يتعامل مع قطيع من الأغنام، وهو الذي قال عنه تعالى أنه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

ثالثا:

تصور الرواية الرسول الأعظم على أنه محب لنفسه ومضمر لما لا يظهر في تعامله، فسكوته على هزيمته في السباق على ما تدعي الرواية لم يكن غير تحين لفوصة أخرى حتى يثأر لنفسه، ودل على ذلك قوله: هذه بتلك.

رابعاً:

ذكَرَت الرواية أن عائشة لما سبقت النبي كانت نحيفة ولم يسبقها في المرة الثانية إلا بعد ما كسيت لحماً وبدنت، فما دخل البدانة والنحافة في السباق إذا كان يجيد الجري؟ وعلى ذلك نقول حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقول إلى مسافل السوق والهمج الواع الذين لا خلاق ولا حياء لهم فيسابق زوجته على مرأى ومسمع من المؤمن والمنافق وبمشهد من الله تعالى وملائكته وسكان سمواته.

خامساً:

قد يتوتب عن الجري العثرة والسقوط والانكفاء، وعترة الرجل قد لا تفسد من حاله بينما عترة المرأة قد تكشف عورتها، وهذا مما لا يمكن أن يغيب عن ذهن عاقل.

سادساً:

قوله تقدموا يعني بالضرورة امتثال الناس لأمره وجعل الرسول وعائشة وراء ظهرهم كي لا يشاهوا السباق الزعوم، خاصة إذا علمنا أن فيهم من كان يستوق النظر إلى النساء في المسجد وهو ساجد وقد تول بخصوص تلك الحادثة وأن. أخرج الترمذي وابن ماجة والنسائي وأحمد بن حنبل: 3047 عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسناء من أحسن الناس فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا واهها ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطيه فأقول الله تعالى (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) (102)

كيفية هؤلاء وهم قائمون وأعينهم تنور في محارها.

أخرج البخاري عن عائشة قالت: دخل رسول الله (ص) وعندي جريتان تغنيان بغناء بعث فاضطجع على الفواش وحول وجهه، فدخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار شيطان عند رسول الله (ص) فأقبل عليه رسول الله (ص) فقال: دعهما، فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب السودان بالرق والحواب فيما سألت رسول الله (ص) وإما قال: تشتهين تنظوين؟ فقلت نعم. فأقامني وراءه خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني لردة، حتى إذا مللت قال حسبك؟ قلت نعم. قال: فاذهبي. (103)

36 - أخرج أحمد والترمذي عن بريدة قال: خرج رسول الله (ص) في بعض، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله اني كنت نذرت إن ردك الله صالحاً أن اضرب بين يديك بالدف وأتغنى، فقال رسول الله إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا. فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت أستها ثم قعدت عليها فقال رسول الله (ص): إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، اني كنت جالسا وهي تضرب

ثم دخل علي وهي تضوب ثم دخل عثمان وهي تضوب فلما دخلت أنت ألقيت الدف، وفي رواية أخرى، قالت عائشة: يا رسول الله (ص) كان حلالا فلما دخل عمر صار حواما فقال (ص): ليس كل الناس موخا عليه. (104)

37 - أخرج أبو نعيم عن السود بن سبيع قال أتيت النبي (ص) فقلت: قد حمدت ربي بمحامد ومدح وإياك. فقال (ص): إن ربك عز وجل يحب الحمد. فجعلت انشده، فاستأذن رجل طويل أصلع، فقال لي رسول الله (ص) أسكت. فدخل فتكلم ساعة ثم خرج، فأنشدته ثم جاء فأسكتني النبي (ص) فتكلم ثم خرج ففعل ذلك مرتين أو ثلاثة فقلت يا رسول الله من هذا الذي أسكتني له (وفي رواية من هذا يا نبي الله الذي إذا دخل قلت أمسك وإذا خرج قلت هات) فقال (ص): هذا عمر رجل لا يحب سماع الباطل. (105)

38 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال بينما الحبشة يلعبون عند رسول الله (ص) بوابهم إذ دخل عمر بن الخطاب، فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها فقال له رسول الله (ص) دعهم يا عمر. (106)

39 - أخرج ابن حجر عن عائشة: لما وصل النبي (ص) المدينة والولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

(107)

فعدل ذات اليمين حتى قول بقاء فجعل رسول الله (ص) يرقص بأكمامه.

عندما يفقد المتأسلمون عقولهم بحثا بين مزايلهم العاكفين عليها عن منقبة أو فضيلة لبعض أوليائهم، فلا يجدون ناعقا يركبونه غير الكذب الوديء، والاختلاق الذي لا يكشف عن أبسط معرفة، لأنهم ومن أجل الرفع من مقام أبي بكر أو عمر أو غيره من أصحاب مؤامرة السقيفة فلا يهتم عندهم أن تداس قدسية النبي صلى الله عليه وآله، وإلا لما بلغت بهم الحراة على إخراج مثل هذه الخوايا، وفي كتب ينعتونها بالصاح وما شاكلها في التسمية.

ففي الرواية الاربعة والثلاثون:

جريتان عند عائشة تغنيان بغناء يوم بعثت ورسول الله مضطجع يسمع أشعار يوم الاقتتال الجاهلي بين الأوس والخزرج، فلا ينتهوهن، ثم يأتي أبو بكر لينتهوهن بقوله: أمّمار شيطان عند رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يأبه رسول الله لذلك، بل يطلب من أبي بكر أن يدعهما.

ثم تقول عائشة فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وأنا أقول منذ متى كان رسول الله يغفل، وهو الذي تنام عيناه ولا ينام قلبه، أبلغ رسول الله ذلك المبلغ من عدم الإواك واللاوعي بما يدور حوله حتى يغفل وتتدرك عائشة الأمر فتغمز الجليتين للكف عن الغناء والانصاف؟

ولم تكتم الرواية بذلك الحد المزري، بل تتواصل لتحيلنا على صورة أخرى؟ وهن من الأولى وفيها أن عائشة لا تنوي إن كانت سألت النبي صلى الله عليه وآله أو بابوها إلى رغبتها في مشاهدة السودان يلعبون بالترق والحواب يوم العيد في المسجد

كيف أقامها وراءه خدها على خده، أما كيف قامت وراءه -حسب الرواية بالطبع- فالحالة لا تخرج عن احتمالين:

الأول:

يقول إن عائشة لا يمكنها أن تضع خدها على خد النبي صلى الله عليه وآله إلا إذا كانت أطول منه قامة وعنقا وهو احتمال مستبعد.

الثاني:

وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد حملها على ظهره، وهو الأقرب للرواية، وفيه ما فيه من حط لمقام نبي الأمة وقائدها وقوتها، هذا إذا كانت عقيدتنا تطوي على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء للناس كافة، أما إذا بعث ليبي رغبات شخص واحد، ويوقف نفسه على خدمة أهواء ذلك الشخص ونزواته، فليس في تصور أقل المسلمين عقيدة بالنبوة والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله. وتعالى الله ورسوله أن تكون النبوة وشخصها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وسيلة لتلبية الرغبات وقضاء الشهوات، ومثلا للشبهات.

وفي الرواية الخامسة والثلاثون:

جاء فيها أن جارية نذرت أن تضرب بالدف بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله وتغنى لأنه لا معنى للضرب بالدف بدون غناء (والنذر كما هو معلوم التّام تعبدى يستوجب الوفاء به طالما أنه لا يتجاوز الطاعات إلى القيام بالمعاصي) أما في هذه الحال فإن النذر معصية، ويصبح إلى الهذر أقرب منه إلى أي شيء آخر. وقول رسول الله صلى الله عليه وآله ردا عليها: إن كنت نذرت فاضوبي وإلا فلا، يؤكد على أن الرواية مفتراة عليه، لأن صدور ذلك القول لا ينطبق على نبي معصوم يعلم بطلان نذر المعصية.

وتمضي الرواية قدما لتصل إلى مفاضلة غريبة جاءت لتضع رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر وعلي وعثمان على صعيد واحد، من قبول الغناء والرقص والضرب بالدف، بينما وضعت عمر وحده كعدو للدف والرقص والغناء علف بحرمته، ووجوده يخيف الشيطان ويفسد ألعيبه، فيكون عمر عند هؤلاء المتأسلمين أقوى وأشد في مناوئة الباطل من رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى يخاف منه الشيطان ويفر بمجرد دخوله حجرة الرسول صلى الله عليه وآله؟ فيكون الشيطان قد وجد ملاذا زعمهم من عمر في بيت النبي صلى الله عليه وآله، وأي دين يمكن أن يكون عليه أقوام ملئت صحائفهم بهذه

المفتريات؟

أما الرواية السادسة والثلاثون:

فقد جاءت لتؤيد منحى الرواية السابقة وتصور عمر على أنه رجل لا يحب سماع الباطل، بينما يحبه رسول الله صلى الله عليه وآله، ويخاف ويتهيب من عمر كلما دخل عليه يسكت الرجل حتى لا يسمع عمر ذلك الباطل، فيفسد الأمر على المتغني وعلى النبي صلى الله عليه وآله.

على أنك إذا تأملت في مقدمة الرواية، ترى أن ما أنشده الأسود بن سريح هو فرع من الحمد والذكر، فقله: قد حمدت ربي بمحمد مدح وإياك، ومبركة الرسول صلى الله عليه وآله لذلك بقوله: إن ربك عز وجل يحب الحمد، فما وجه نسبة تلك المحامد إلى الباطل؟

أما الرواية السابعة والثلاثون:

فتقول إن عمر دخل المسجد والحبشة يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وآله بحرابهم، فأهوى إلى الحصباء يحصبهم بها، لكن رسول الله صلى الله عليه وآله نهاه عن ذلك. وهذه الرواية هي من قبيل سابقتها، لم تجد منقبة تسند لهُؤلاء غير الإسفاف، وهي تظهر لنا قلة أدب عمر في حضرة النبي صلى الله عليه وآله، وهو كعادته إلى العجرفة والغلظة في تعامله أميل، وإن شئت أحلتك على مملسات حقيقية صدرت عنه حيال النبي صلى الله عليه وآله، كمعلضته له يوم الحديبية دون موجب، كأنما حصل على وصاية على الإسلام وأهله، تبيح له الوقوف في وجه النبي صلى الله عليه وآله كلما رأى في ذلك مخالفة لأبيه، وتخوفه بعد ذلك من أن يقول فيه قآن، وفوره إلى أقصى الجمع حتى جاءه ابنه وقد بايع، وقد استظرف البخري الحادثة فعنون عليها بقوله إن ابن عمر أسلم قبل أبيه. وتصديه في حجة النبي صلى الله عليه وآله يوم الخميس لمنعه من كتابة وصيته بقوله إن النبي يهجر (بهذي ويخلط) حسبنا كتاب الله، فلم يعقب على موقف عمر معقب منهم ليعطي كل ذي حق حقه، بل إن بعضهم كالنوي الذي صوب عمر وخطأ رسول الله صلى الله عليه وآله. وعمر من الذين حصوا باب النبي صلى الله عليه وآله بالحصباء ليخرجه إلى صلاة الليل، طالما أننا لم نجد في الروايات شخصا آخر يهوي إلى الحصباء ليحصب بها الحبشة. ومن الذين تولت فيهم: " لا ترفوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم البعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون." " إن الذين ينادونك من وراء الحوات أكثهم لا يعقلون". وغير ذلك مما لا مجال لتقصيه في هذا البحث ويتطلب بحثا منفردا، فأين هذه الحقيقة من ذلك الخيال؟ لقد أثمرت هذه الأكاذيب على رسول الله وجود عقليات تؤمن بأن النبي صلى الله عليه وآله ناقص من دون أبي بكر وعمر وعثمان، وكيف يكون كاملا وعندهم إن القآن قول تأييدا لعمر وأبي بكر، بل في رواياتهم ما يفيد أن بعض الآيات تولت بعد أن نطقها عمر كآية: " من كان عوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين". فقد أخرجوا في التفسير المأثور عن عمر، أن يهوديا جاء إلى عمر فقال: إن جبريل عدو لنا، فانتبهه عمر قائلا الآية ولم تتول بعد على النبي صلى الله عليه وآله، وعندما دخل عمر على النبي صلى الله عليه وآله، وجد أن الآية التي نطقها قد تولت. أتباع هؤلاء يتهمون شيعة آل محمد بما ليس عندهم كنسبتهم للشيعة أن جبريل أخطأ في نزول الوحي، وتحريف القآن، كذبا وبهتاننا بينما هم يتقنون في الكفر والحجأة على الله ورسوله ومقدساته تفننا، ويتلاعبون بالدين لعب الصبي الأبله.

أما الرواية الثامنة والثلاثون:

فقد جاءت لتفزي على رسول الله صلى الله عليه وآله، وتضعه في موضع سخيف، يرقص بأكامه كما يفعل الروايش. -أخرج البخري عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله (ص) في بعض أسفله، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش

انقطع عقد لي، فقام رسول الله (ص) على التماسه، وقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس أبا بكر، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت رسول الله (ص) والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله واضع رأسه على فخذني قد نام، فقال: حبست رسول الله (ص) والناس ليسوا على ماء، وليس معهم ماء. فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصوتي، ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله (ص) على فخذني فقام رسول الله (ص) حين أصبح على غير ماء، فأقول الله آية التيمم. (108)

لقد دأب الوضاعون ومن تحزب لهم على إظهار تفود عائشة وتربعها على مجامع قلب النبي صلى الله عليه وآله، والصحيح عكس ذلك لأن النبي ليس له في قلبه غير حب الله تعالى وحب من يحبه الله تعالى.

ومضت الرواية على ترويض ذلك العشق الزعوم لتحيلنا على مأساة حقيقية، والكذب عند هؤلاء القوم لا يقف عند حاجز ولا واعي ثابتة من ثوابت الدين. المهم عندهم إواز الوهم وإظهاره على أنه الحقيقة المثلى التي لا تظاهرها حقيقة، ولكي نميط اللثام عن زيف هذه الرواية نقول:

أولاً:

تهافت الرواية على دعوى التماس عقد عائشة الذي ضاع منها واقامة رسول الله صلى الله عليه وآله في طلبه، ووقوف الناس معه في ذلك الطلب، وهم دون ماء وفي مكان ليس فيه ماء، يدفع إلى القول بأن المسألة بعيدة عن الواقع لأن النبي لم يؤثر عنه أنه حمل الناس على أمر اختيلري بهذا الشكل الغير مألوف عنه.

ثانياً:

كثرة عدد الناس المتطوعين في البحث، يعجل في سوعة العثور على العقد، أو سوعة عدم العثور عليه، وفي كلا الاحتمالين لا يمكن لمدة البحث عنه أن تطول بالشكل الذي عليه الرواية.

ثالثاً:

نسبت الرواية تشكي الناس وتذمهم لأبي بكر، وعدم رضاهم وتشكيهم من تصوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم، طلباً للتوسط في الموضوع على ما يظهر من قصد الناس وسياق الرواية، فيكون ذلك التصرف مخالفاً للسلوك العام حيال النبي صلى الله عليه وآله ومعصية جماعية لوهي، إن كان أمر البحث صاوا عن النبي صلى الله عليه وآله.

رابعاً:

كيف يمكن أن نقبل بتذمر الناس وتشكيهم لأبي بكر، والوسول صلى الله عليه وآله موجود ومنذ متى كان لأبي بكر أو غيره تفويض حتى يقتحم مكان النبي صلى الله عليه وآله دون استئذان، حتى لو كان صوه.

رابعاً:

لوم أبي بكر لابنته فؤة غير محددة وطويلة على ما في الرواية (فعاتبني أبو بكر ما شاء الله) من شأنه أن يسوع في يقظة

النائم العادي، فما بالك بنبي تنام عيناه ولا ينام قلبه، ناسبة ثقل نوم النبي ورأسه على فخذ عائشة، وطعن أبي بكر لخصر عائشة دافع آخر ورجح استيقاظه، لأن المرأة لا يلد أن تصدر منها حركة لا رادية يفعل الطعن، ومع ذلك تمضي الرواية في نسبة النوم الثقيل للنبي كأنما هو مخدر في ذلك الوضع.

خامسا:

تحاول الرواية الادعاء على النبي صلى الله عليه وآله بأنه أمر الناس يبحثون عن عقد زوجته بينما ذهب هو لينام على فخذ عائشة، ولم يؤثر عنه إلا المباورة إلى كل أمر يصدر عنه فيكون أول المطبقين.

سادسا:

ما وجه لوم الناس على عائشة، ورسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أوقف الناس للبحث عنه؟

سابعا:

كيف يتفق انقطاع العقد مع فقد الناس كلهم للماء؟ أوصلت بهم البلاهة إلى ذلك الحد الذي دخلوا فيه في سفر محدد المسافة دون زاد لأم من ماء ومؤونة؟

ثامنا:

اختلاق الرواية لإظهار فضل عائشة وعقدها في نزول آية التيمم غير خاف على كل ذي بصوة. والحال أن آية التيمم تزلت مع آية الوضوء، قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون". لذلك فان من سخافة العقل القول بأن الفضل في التيمم جاءت به عائشة وعقدها وفضلها على المسلمين غير خاف من مقصد الرواية التعيسة.

تاسعا:

هل كان الصحابة يعتقدون أن الذي أوقف الناس هي عائشة وليس رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وتصريحهم ضمينا بتأثيرها في قرأت رسول الله صلى الله عليه وآله وتصوره منفذا لرغباتها حتى لو كانت على حساب بقية المسلمين. ولا بد من التعرّيج على رواية أخرى ملففة لعائشة حول افكها الزعوم وعقد الخوع الذي فقدته وهي تقضي شأنها لها في سؤة أخرى، غير أن الخلاف بينهما تمثل في انتشار خبر فقد العقد في الرواية الأنفة الذكر، وطلب النبي صلى الله عليه وآله من الناس التماسه، وتكتم عائشة عن العقد الثاني حتى تستقيم تمثيلية الإفك، وتطول مدة بحثها بحيث ينساها رسول الله صلى الله عليه وآله وينصرف الناس عنها، وفي الرواية نقل طريف للهودج لم يجد خيال بمثله، فقد نقل الهودج وفي اعتقد الناقلين أن في وسطه عائشة، فلم يتفطنوا إلى عدم وجودها نظرا لخفة وزنها كما بررت هي خفة نساء ذلك العصر، وهل سمعتم

يهودج يركب على الجمل والراكبة فيه؟ أين يمكنها أن تضع قديها؟ أم أنها ستعلق بعصي اليهودج كالقروء؟ لا أعتقد واضح الرواية هذه إلا من سكان الحضر الذين لا يعرفون شيئا عن اليهودج، لذلك تصور أنه يركب وحده، ثم تركب فيه المرأة ثم ينقل على الجمل.

وحتى لا نستغرق طويلا في رهة مثل هذه نقول:

إن قلب الحقائق عند المناقنين طال كثورا من الأشياء المتصلة بمحيط النبي صلى الله عليه وآله فلايفك الذي وقع على مارية القبطية، اختلقوا له رواية العقد الضائع لعائشة حتى يحلوها محل مارية في الإفك، وأين مارية من عائشة؟ لقد نقل مسلم عن أنس: " إن رجلا كان يتهم بأمر ولد رسول الله (ص).⁽¹⁰⁹⁾ لم تذكر الرواية اسم مارية ولا الرجل الذي اتهم ولا من اتهمه وبعودتنا لوقائع الحادثة من الجانب الذي أهمله قائلوا الحقائق نكتشف أن أم الولد هي مارية القبطية وأن الرجل هو العبد الذي جيء به معها هدية من المقوقس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أما من أشعل الإفك فعائشة هي التي طعنت النبي صلى الله عليه وآله في نسبة إواهيم عليه السلام إليه، فائلة انه لا يشبهه، بل يشبه فلان تعني به العبد، بدافع الغرة العمياء التي تأصلت في نفسها وزدادت كلما سمعت ولادة تهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي العاقر التي لا تلد، بل إنني أرجح أن صفة الخلق لما علم حالها لم يقربها حتى توفي⁽¹¹⁰⁾

ولم يعد بناء على ذلك للعقدين شأن وللروايتين قيمة، فالأول بطل بنزول آية الوضوء والتيمم معا بلا فاصل، والثاني افتضح أمره بتهافت الرواية واستغواها في الكذب المفضوح.

41 - أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله (ص) شغل عنها يعني صلاة العشاء، فأخوها حتى رقدنا في المسجد، ثم استيقضنا ثم رقدنا ثم استيقضنا ثم خرج علينا النبي (ص) ثم قال: ليس أحد من أهل الأرض ينتظر الصلاة غيركم.⁽¹¹¹⁾

والرواية تتعرض مع شريعة الإسلام السمحة وأنا وسنة صحيحة، فقوله تعالى: إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا. وفي السنة المطهرة كان النبي صلى الله عليه وآله يحث دائما على تعاهد الصلاة، والحرص على أدائها في أول وقتها، وكان يقول لبلال: لرحنا بها يا بلال.

والصلاة لها وقتان، وقت اختيلري بدخول أول وقت الصلاة وهو وقت المعصومين والعرفين والمؤمنين، ووقت إجبرلي بما يتسع لأدائها وهو وقت الغافلين والمحرومين، ومن غلبهم حب الدنيا، ويكون الأجر في الأداء متاقصا فيكون كاملا في أول الوقت. وحرص النبي صلى الله عليه وآله على أداء صلواته في أول وقتها مما هو معلوم بالضرورة عنه، وحث المسلمين على ذلك مما جاء في الأثر عنه، وفي هذه الرواية ما ينافي ذلك كله، بحيث نسبت انشغاله عن صلاة العشاء الأمر الذي أدى إلى تأخوها حتى رقد من في المسجد، ثم استيقظوا ثم رقدوا ثم استيقظوا، وبحساب زمني بسيط يتبين لنا من خلال انتظار الناس للصلاة من أول وقتها إلى استفاقتهم من رقادهم الثاني أن الصلاة خرجت عن وقتها الإجبرلي فأصبحت قضاء على كل من في المسجد، ناسبة التقصير لرسول الله صلى الله عليه وآله واستخفافه بالناس وتركه ينتظرون زما طويلا، ليخرج إليهم

في النهاية بقول لا يبرر تأخوه وهو الذي بابه قبلة يفتح على المسجد مباشرة، حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يفعل ذلك، الملفت للنظر في هذه الرواية طويقة رقاد الصحابة الجماعي كأنما شربوا مخوا، أو تحولوا إلى آلات تشتغل معا وتتوقف معا، ووداعتهم الغير معهودة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وفيهم من كان يحصب بابه ليخرجه إلى صلاة النافلة في شهر رمضان، فقد أخرج مسلم ما يلي: احتجر رسول الله (ص) حجة بخصفة أو حصير، يصلي فيها فنتبع إليه رجال يصلون بصلاته، قال ثم جؤا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله (ص) عنهم قال فلم يخرج إليهم فوفعوا أصواتهم وحصوا الباب، فخرج إليهم رسول الله (ص) مغضبا فقال: مؤال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فان خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة. (112)

ولو افترضنا أن النبي صلى الله عليه وآله شغل عن إمامة الصلاة، فانه حتما سيبادر إلى تعيين من يقوم مقامه فيها، كما كان يفعل كلما اقتضى الأمر، أو فلنجرى هؤلاء في بعض دعاويهم فنقول لهم لماذا لا يقدم الصحابة أحدا يصلي بهم طالما لم يخرج إليهم؟ وقد كانوا قدموا على ما في مختلفاتهم ابن أبي قحافة. وسيأتي بعد هذه الرواية كيف أن هؤلاء قد تركوا رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب للوضوء فقدموا عبد الرحمان بن عوف للصلاة ولم ينتظروه رغم علمهم بأنه ذهب ليقضي حاجته.

42 - أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة في حديث له عن رسول الله (ص) قال: إنه عوا مع رسول الله (ص) تيوك فتبرز رسول الله (ص) قيل الغائط فحملت معه إدوة قبل صلاة الفجر فلما رجع رسول الله (ص) إلي أخذت أهريق على يديه من الإدوة، وغسل يديه من الإدوة، وغسل يديه ثلاث مرات ثم ذهب يخرج جبته عن نواعيه فضاقت كما جبته فادخل يديه في الجبة حتى أخرج نواعيه من أسفل الجبة، وغسل نواعيه إلى الموفقين، ثم توضأ على خفيه، ثم أقبل قال المغيرة: فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمان بن عوف، فصلى لهم، فأترك رسول الله (ص) إحدى ركعتين، فصلى مع الناس الركعة الآخرة، فلما سلم عبد الرحمان بن عوف، قام رسول الله (ص) يتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين، فأكثروا التسبيح، فلما قضى النبي (ص) صلاته، قال أحسنتم أو قال أصبتم، يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها. (113)

لم يكن المغيرة بن شعبة ذا شأن يذكر مذ أسلم، وباعتباره أمويا دخل الدين على غوة اقترفها فلما من القتل، فحاول أن يجد لنفسه موقعا بين المتبصين بالنبي صلى الله عليه وآله فلم يجد غير إدوة الماء التي تتبع بها النبي على ما في الرواية، وهل كان النبي صلى الله عليه وآله محتاجا إلى من يحمل معه طهره، وهو الذي يحث على عدم الاستعانة في الطهارة إلا لضرورة لا تحتمل غيرها، وان كان لا بد من أن يحمل أحد للنبي صلى الله عليه وآله ادوته، فان المغيرة بن شعبة سيكون آخر من يطلب منه ذلك، لأنه وبكل بساطة لن يجد مكانا بين المؤمنين الحافين برسول الله صلى الله عليه وآله.

لست أوري السبب الذي دفع المسلمين وهم في غوة ورسول الله صلى الله عليه وآله بينهم، إلى ترك قائدهم ونبههم ينصرف للوضوء استعدادا للصلاة، فيقدمون عبد الرحمان بن عوف بدلا عنه، مهما طال غيبته، وكم من الوقت يستهلك الوضوء والطهارة حتى يعدل الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وعملية الاستبدال تلك هي تعود وانقلاب، واستخفاف

بالنبي صلى الله عليه وآله إن صحت الرواية، لا يرضيها ولا يقبلها المؤمنون الذين رافقوه، أما الادعاء بأن النبي صلى الله عليه وآله صلى خلف عبد الرحمان هذا فلا يصح، لأنه لم يؤثر عنه أنه صلى خلف أحد، نبيا موسلا كان أو ملكا مقوبا، بل ثبت عن أنه أم الأنبياء كلهم في بيت المقدس، وما معهم من ملائكة، فكيف يتحوأ أحد يدعي الإسلام وحب النبي ومعرفة مقامه عند الله بالقول أنه صلى خلف أحد بدون موجب؟ لأن المسألة ليست من متعلقات التواضع بقدر ما هي تطبيق لشوائط الإمامة. قد نصدق أحدا غير المغوة بن شعبة لو كان راويا لهذه المتناقضات، ولكن لما كان هو الولوي وجب علينا ذكر السبب الذي دفعنا إلى التحفظ على كل ما يصدر منه، فقد نقل ابن أبي الحديد المعتزلي عنه قائلا: كان إسلام المغوة من غير اعتقاد صحيح، ولا إنابة ونية جميلة. كان صحب قوما في بعض الطرق فاستغفلهم وهم نيام فقتلهم، وأخذ أموالهم، وهرب خوفا أن يلحق فيقتل أو يؤخذ ما فاز به من أموال، فقدم المدينة وأظهر الإسلام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يرد على أحد إسلامه، فمن كان إسلامه على هذا الوجه وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به من لعن علي عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل، وكان المتوسط من عبوه الفسق والفجور وإعطاء البطن والفوج سؤلهما، وممالة الفاسقين، وصرف الوقت من غير طاعة لله، لذلك فإن رواية الصلاة تلك لا تصح سندا لمحل المغوة، ولا متنا لتعرضها مع أحكام الفقه وعرف المسلمين في القوة والافتداء، ومع العقل لاستحالة ذلك التقديم اللهم ألا إذا كانت هناك مؤامرة حيكت ضد النبي صلى الله عليه وآله ولم تكتمل فصولها. وصادفت غزوة تبوك التي جاء فيها أن المنافقين تأمروا على قتل النبي صلى الله عليه وآله، في أول فرصة تتاح لهم وهو ما حصل في العقبة عندما دحرج الدباب على ناقته لتنفورها وإسقاطه منها، في محاولة لقتله.

أغوب من ذلك الباب الذي أخرج فيه مسلم الرواية حيث عنوانه كالتالي: باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة في التقديم. وأي مفسدة أكبر من ترك النبي صلى الله عليه وآله وسلم يذهب لقضاء حاجته وليتوضأ، فيقدم عليه تحت أي توير.. فتأمل.

43 - أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما، فخرج إلينا رسول الله (ص) فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنب، فقال لنا: مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبر فصلينا معه. (114)

سبق أن ذكرنا أبا هريرة من جهة السند المتصل بالرواية في موضع آخر، وأشرنا إلى طرف من أحواله رغم القائلين بعدالة جميع الصحابة، مخالفة لله تعالى ولرسوله، في تزيههم من الكذب وفيهم من كذب عليه فأكثروا حتى نبه إلى خطورة ذلك الكذب، لكن المنافقين منهم لم يكونوا ليأبوا بكل ذلك، ولا أن يظهروا ندما على ما قاموا به، فتول في هؤلاء الصحابة ما قول من آيات فاضحة، تعددت في كل حوكة تصدر منهم، أما الصحابة الذين لم يكونوا من ذلك الحزب وانضموا إليه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، لذلك يمكن القول أن الصحابة ليسوا كلهم نوي شأن عند الله ورسوله، ولم يأت في كتاب الله ما يفيد عدالتهم، وإنما كان الخطاب خاصا ومحصورا في فئة منهم

قال تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم".

وقال أيضا: "محمد رسول الله والذين معه..... وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما".

وقال أيضا: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة".

أدلة على عدم عدالتهم جميعا، فالآية الأولى تحدثت عن الوعد الإلهي بالمغفرة والأجر لعدد من الذين مع رسول الله بدليل (منهم) وهنا لا بد لي من أن اطرح سؤالا مفاده: هل كان الصحابة كلهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله في كل المواطن يدا واحدة؟ الجواب طبعاً يأتي بالنفي، فالمتدبر لآيات القرآن الكريم، والذي لم يمر عليها أصم ولا أعمى وى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان وحده في غار ثور رغم أنه كان مرفوقاً، بدليل أن السكينة تلت عليه وحده، وكان صاحبه خرجا منها، وفي حنين وأحد، كان رسول الله صلى الله عليه وآله في عدد قليل من المؤمنين يستميتون في الدفاع عن دين الله فأقول سكينته عليهم، وخرج منها الفلرون بجلودهم.

أما السنة المطهرة الصحيحة فان المتأمل في أحاديث الحوض يعلم بما لا يدع مجالاً للشك أن عدالة جميع الصحابة تليق من الظلمة وأعداء الإسلام الحق افتعلت مقابل عصمة أهل البيت عليهم السلام لتشكّل حياهم منظومة السلط الغاشمة والإسلام الملقق. ومن شاء الاطلاع على أحاديث الحوض فليعد إليها في كل الكتب الروائية. أما من حيث المتن فان شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ووظيفته تتعرضان مع تلك الحركة التي لا تصدر عن عامة الناس فضلا عن الأنبياء والعلماء.

لقد جاءت هذه الرواية لتضع خاتم الأنبياء في وضع عجيب وغريب، يتقدم للصلاة بالناس وهو جنب، ساهيا، ثم يتذكر بعد أن اصطف الناس، فيشير إليهم بانتظره، فيذهب ليغتسل ثم يعود إليهم فيصلي بهم، أتساءل هنا عن الذين تعربوا تقديم أحد على رسول الله لماذا لم يقدموا أصحابهم، ووقت الغسل أطول من التخلي والوضوء؟

هكذا صوروا نبي الله صلى الله عليه وآله كما صور أهل الملل المعرفة أنبياءهم، ألم يكن رسول الله مؤيدا ومسددا من قبل البري تعالى حتى يكون النموذج المجسد للشريعة السمحة والمثال المحتذى للإنسان الكامل؟ ألم يكن نبي الله صلى الله عليه وآله مأمورا بالطهارة الدائمة تحسبا لنزول الوحي في أي لحظة؟ ألا يستحي واضع هذه الرواية وناقلها من الله ورسوله وهو ينقل عنه ما لا يتصوره حتى الشيطان نفسه، لكنني ماذا أقول فيمن خانتهم ضحالة علومهم وكانت الدنيا أكبر همهم، فجاورا ببلايا ليجعلوها مزة كتبهم وعلامة تدينهم، أقول تبا أم أقول تعسا، لكنني أقول حسبنا الله ونعم الوكيل.

44 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ص) بينما رجل يسوق بقوة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني خلقت للحرث. فقال الناس سبحان الله. تعجبا وفؤعا: أبوة تتكلم؟ فقال رسول الله (ص): فإني أو من به وأبو بكر وعمر. قال أبو هريرة: قال رسول الله (ص) بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع ليس لها راع غوي. فقال سبحان الله، فقال رسول الله (ص) فإني أو من بذلك وأبو بكر وعمر. (115)

رُدت من خلال هذه الرواية التذليل على الحالة التي وصلت إليه سنة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، عند من سماهم الظلمة بها، ونسبوا إليها ليقطعوا على الناس وجهتهم، ويوهومهم أن الإسلام بكل تفاصيله عند الصحابة، ومن اتخذهم مرجعا

فانه قد هدي إلى الحق، لذلك فانك كلما تقدمت في البحث بين رواياتهم المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وايدت قناعتك بان المقام الذي أنت فيه بعيد كل البعد عن العلم، وعلى طرفي نقيض مع العقل، ويمجه المنطق السليم، هم هؤلاء الوحيد حشر أسماء ابن أبي قحافة وابن الخطاب ومن بعدهم يأتي عثمان ثم يسوي الناس كما قال ابن عمر عندكما سئل عن أفضل الصحابة، ولا رى فيها غير بصمات معاوية بن آكلة الأكباد، الذي أراد أن يجعل بين أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وبين الناس حاجوا، أسس بنيانه ودس فيه من الكذب ما جعله يستطيل ويكبر، ليس هذا الكلام من استنتاجي وانما هو إقرار المؤرخين كالتطوي في تليخه وابن أبي الحديد المعولي في شوح نهج البلاغة نقلا عن بعض المصادر.

نعم أومن بجميع معجز النبي صلى الله عليه وآله كتسبيح الحصى بين يديه وتكليم الضبية، وإطاعة الشجرة، وانشقاق القمر له، وغير ذلك من واهين النوبة ومعجز البعثة وآيات الدلالة على رساله من طرف خالقه تعالى، أما أن تكلم البقرة رجلا كلاما تافها لا معنى له، وأن يخاطب ذئب راعيا بعدما افتك منه شاته، فليس في ذلك دعم للإعجاز النووي، ولا فيه رشح من علم يفيد الناس، ولا جاءنا ما يفيد وقوع مثل هذه الغرائب في أي عصر، اللهم إلا إذا كان المخاطب نبيا يفهم لغة الحيوان، أما أن يتكلم حيوان بلغة القوان فهذا ما لم يقل به إنسان، ولا علاقة له بالدين إطلاقا. مضافا إلى أن السنن الإلهية اقتضت أن لا يفهم الناس منطق الحيوان عدا المسلمين، تأييدا لهم وخرقا للعادة الكونية التي تقتضي عدم معرفة الإنسان لمنطق الحيوان والعكس بالعكس.

أما أن يتطابق إيمان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بإيمان أبي بكر وعمر، فذلك مما لا حجة لوردها، بل جاء القوان والأحاديث الصحيحة ليؤلا عكس ذلك، وقد أخرج البخاري في الإيمان والنور عن عمر قوله لرسول الله صلى الله عليه وآله: يارسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي: لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك. ذلك اعتراف الرجل بنفسه، أما ما زيد من كونه قد استترك، وقال له رسول الله الآن يا عمر، فهي لا تفيد غير اللوم على ما صدر منه من انكشاف أمر حبه لنفسه أكثر من حب النبي صلى الله عليه وآله، وهي دلالة على عدم إيمان بشخص النبي صلى الله عليه وآله ومقامه العالي، أنه أما الذين أولوا آخر الرواية بأن المعنى أنه الآن كمل إيمانك، فلا تفيد في شيء، لأن الحب ليس سحوا ولا آلة توكب وتروع كيفما شاء، بل إن الأمر يحتاج إلى تربية وتوطين نفس.

والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لا يقاس به أحد كائنا من كان فكيف بقاتل النفس البشوية بلا ذنب وعابد الحوى وأكلها دهورا، وكل إناء بما فيه يوشح.

أنا لا أستغوب من واقعنا الإسلامي اليوم كيف أصبح وفي أي موضع تردى، وأنا أتعثر وسط شائكة هذه الروايات التي لا تريد العقل البشوى إلا جمودا وانغلاقا على الخوافة وتشبثا بالخيال.

45 -أخرج مسلم عن عائشة زوجة النبي (ص) حدثت أن رسول الله (ص) خرج من عندها ليلا قالت فغوت عليه فجاء فأى ما أصنع، فقال مالك يا عائشة أغوت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك، فقال رسول الله (ص) لقد جاءك شيطانك، قلت: يارسول الله أو معي شيطان، قال نعم، قلت: ومع كل إنسان، قال نعم، قلت ومعك؟ قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه

حتى أسلم.

وأنا أقول، أخي المسلم إن اعتراضك رواية في سندها واحد من أبناء الزبير وخالتهم فاحذر من مضمونها، لأنك لن تجد في معظمها غير البهتان، بل لن تجد فيها ما يوحى إلى الدين في شيء، وهذه الرواية لم تخالف القاعدة لأنها جاءت لتطعن العصمة في الصميم، وترد على القآن العظيم، وإلا فأبي شيطان يقتون رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وأي شيطان يمكن أن يسلم منذ آدم حتى يوم القيامة؟ ولئن صح من الرواية شيء فإنه لا يصح منها سوى أن عائشة امرأة غواء لها شيطان لم يسلم، وهو الذي وُعز لها بغض الأطهار من أهل بيت النبوة عليهم السلام إلى بوجة محلبتهم والوحد في أحوالهم والحزن في أحوالهم، وما علامة النفاق التي حدث عنها رسول الله صلى الله عليه وآله إلا حبههم ومودتهم وموالاتهم، وما عدا ذلك فهو تليفق وبعهتان.

46 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال النبي (ص) ليس أحد منكم ينجيه عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله، قال ولا أنا إلا أن يتعمدني الله منه بمغفرة ورحمة. (117)

47 - أخرج مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله (ص) حين أتول عليه وأندر عشيرتك الأقبين: يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليمان بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً. (118)

بنظرة سريعة في سند الرواية السادسة والأربعين نلاحظ فيها انقطاعاً بين أبي هريرة ومن لقف منه، فأبو هريرة كما هو معلوم لم يظهر بين المسلمين إلا بعد فتح خيبر وشتان ما بين أول الدعوة وما بين فتح خيبر، إضافة إلى أن المعنى اللفظي للرواية لا يشير إلى أن أبا هريرة حدثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، لذلك فإن الرواية لا تصح من هاذين الوجهين.

أما من حيث المتن فالروايتان لا يستقيمان لأسباب هي:

أولاً:

في مضمون الرواية الأولى دعوة إلى إبطال جنوى العمل وفلسفة الوجود بأسوه، من أن الإنسان خلق ليعمل من أجل تحصيل الراد الذي يؤهل لمقام أفضل في الحياة القادمة والاستعداد للرحيل بأخف الأوزار والتبعات، وقد جاءت رسل الرحمان لتؤكد على أن العمل الصالح هو وسيلتنا إلى الله تعالى، فلا يقربنا منه سواه، قال تعالى: "وقل اعملوا فليسوى الله عملكم ورسوله والمؤمنون". وقال أيضاً: "ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفوان لسعيه". وقال كذلك: "ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره".

ثانياً:

تشكيك الرواية بمقام الرسول صلى الله عليه وآله وعمله بما يتعرض مع القآن الكريم. وقد زاد البخاري على ذلك

بإخواجه لرواية أخرى جاء فيها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: والله ما أروي وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم". كأنما هذا الوجود بأسوه في غاية الإبهام وشوائع الله تعالى في منتهى الغموض بحيث أشكل الأمر حتى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بالنسبة للرواية الثانية فإنه لما قلت: "وأذرتك الأيوبين". كان رسول الله صلى الله عليه وآله مكلفاً بأن يدعو الذين كان يتوسم فيهم خوا من أهله من بني عبد المطلب خصوصاً وبني هاشم عموماً من ناحية، ولأن الإنذار جاء في فترة دعوته السرية التي تتعرض مع كل مظهر للدعوة العلنية، كما جاءت به الرواية من ناحية أخرى، ولأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أعنى في توجه الأنبياء السابقين به إلى الله تعالى وتقربهم وتوسلهم به إليه، ويغني في التماسنا شفاعته يوم القيامة، ويغني الآن في التوجه به إلى الله تعالى لقضاء حوائجنا للدنيا والآخرة، وهو حي عند ربه يسمع ويحيب ويتوسط، وكذلك بقية عترته من الذين تولت فيهم آية التطهير، كالإمام علي عليه السلام، وفاطمة الزهراء عليها السلام، والسادة النجباء من نريتهما عليهم أفضل صلاة رُكِي تسليم، وجعلنا في زموتهم وتحت لوائهم في الدنيا والآخرة.

ومعرضة هذه الرواية بما أخرجه في كتابه عن العباس قال: قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال: نعم (119)

كيف تتفق الروايات وهي متناقضة بهذا الشكل؟...

على أن الإنذار الصحيح وقع عندما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين رجلاً من قريته القريبة، وصنع لهم طعاماً لا يكفي عدد أصابع اليد الواحدة... فأكلوا منه كلهم حتى شبعوا دون أن ينقص منه شيئاً... ثم خطب فيهم وقال: يا بني عبد المطلب إنني والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤزرني على أمي هذا يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي؟ فأحجم القوم عنها غير علي وكان أصوهم - إذ قام فقال: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ رسول الله بوقبته وقال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. (120) غير أن يد التحريف الغبية قد طلت بعض مواضع الرواية، بدافع الحسد والبغض، فحذف من قول النبي صلى الله عليه وآله: أخي ووصيي وخليفتي فيكم من بعدي". واستبدلت بأخي وكذا وكذا. (121)

48 - أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال: نحن أحق بالشك من إواهيم إذ قال: ربي ربي كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي". (122)

الرواية باطلة سنداً، ففيها حرملة بن يحيى قال الذهبي: لكثرة ما انفرد بغرائب، قال أبو حاتم: لا يحتج به. وقال ابن عدي: سألت عبد الله بن محمد الفهرواني أن يملي علي شيئاً عن حرملة فقال: هو ضعيف. وفيه أيضاً يونس بن زيد الأيلي: قال ابن سعد: ليس بحجة، وقال وكيع: سيئ الحفظ، واستتكر له أحمد أحاديث وقال الأثرم ضعف أحمد أمر يونس. أما ابن شهاب الزهري فقد أتينا على ذكره في ما تقدم من بحث في الروايات التي مضت (123)

هذا من حيث السند، أما من حيث المتن فيتواصل هدم شخصية الرسول الأعظم بمفتريات التشكيك، وبشتى وسائل الكذب والتلفيق، وهؤلاء القوم من خلال صنيعهم ذلك يريدون هدم الدين كله، بحيث لا تكون فيه لبنة ثابتة أو ركيزة صحيحة. وإذا ما تم ذلك فلن تقوم له ولمعتقيه قائمة، طالما انهم مستمسكون بحبال واهية وتصورات هي للخيال أقرب. لم تبق موة يمكنهم أن ينسوها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا قذفه بها اعترافا منهم بجميل ما أداه وجسيم ما عاناه. جاوا بهذه الرواية المشككة في إيمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في محاولة منهم لفتح باب الشك على الأمة في ثوابتها ومعتقداتها التي لا يرقى إليها شك. وطالما أن سيد الخلق من الشاكين في قرة الله تعالى ووجوده، وكدليل على صحة رواياتهم واستنادا لدعواها الواهية، فجاءوا بالآيات القوانية وحملوها على غير محلها، دون الرجوع إلى أهل الذكر الذين هم عندهم علم الكتاب من أهل بيت خاتم المرسلين الذين اذهب عنهم البري الوجس وطهروهم تطهروا صلى الله عليهم وسلم. وقد أتيت على ذكر الآية وتقسوها في الحديث الذي أخرجه عن الإمام علي بن موسى الرضا ثامن أئمة أهل البيت عليهم السلام، بخصوص عصمة الأنبياء عليهم السلام، فعد إليه تجد فيه ضالتك وتشف منه غليلك، وتروي ضماك من لظى المشككين ورمضاء المبطلين، وقط المتكبين عن صواب الطاهرين والصادقين من نرية المصطفى وبضعته الزهراء وصنوه المرتضى عليهم افضل صلاة ورؤى تسليم.

49 -أخرج مسلم والبخاري عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له اجب ربك. قال فطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، قال فوجع الملك إلى الله تعالى فقال: انك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني. قال فود الله إليه عينه.. إلى آخر الرواية. (124)

50 - أخرج مسلم والبخاري عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) قال: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عواة ينظر بعضهم إلى سواة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا انه أدر (عظيم الخصيتين) قال فذهب موة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه. قال فجمع موسى بأثوه يقول ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى وقف على ملا من بني إسرائيل وتولت: " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آثوا موسى فوآه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها". (125)

51 - أخرج مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله (ص) قال: لم يكذب إواهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات، اثنتين في ذات الله، قوله اني سقيم، وقوله بل فعله كبوهم هذا، وواحدة في شأن سلة إلى آخر الرواية. (126)

52 -أخرج مسلم عن أبي هريرة قال اقل رسول الله (ص): اختتن إواهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقنوم (127)

كما كنت أشرت في معوض حديثي عن الأنبياء، عند مناقشة الرواية الأولى، أنقل في خاتمة هذه الواسة أربع روايات ما كان لها أن تتون في كتب تمثل المرجعية عند السواد الأعظم من المسلمين، فتتطخ بها صفحاتها، لكن العيب كل العيب القيه على من أخذها بعين الاعتبار وأود لها في كتبه الروائية أبوابا، وعداها من فضائل ما خص الأنبياء، كأنما اختلطت على هؤلاء

معاني الفضيلة والوديلة، والمنقبة والموعة، وانعدم نوقهم فما عانوا يميزون شيئاً.

ففي الرواية الثامنة والربعين:

نسب أبو هريرة أضغاث أحلامه، أو خوافات صاحبه اليهودي كعب الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأين كلامه المتصف بالبلاغة والحكمة من هذا الهذر الذي لا قيمة له؟

لكني قبل أن أناقش متن الرواية لا بد لي من نقل خلاصة شوح علمائهم لها:

قال النووي: لهذا الحديث مناقشات لبعض الملاحدة، وأجوبة عديدة وتوجيهات للعلماء وجملة ذلك ما ذكر في القسطلاني حيث قال: أرسل ملك الموت إلى موسى في صورة آدمي اختبلاً وابتلاء كابتلاء الخليل بالأمر بذبح ابنه. فلما جاءه ظنه آدمياً حقيقة تسور عليه مقوله بغير إذنه ليوقع به مكروهاً، فلما تصور ذلك (ص) صكه أي لطمه على عينه التي ركبت في الصورة البشوية التي جاء فيها دون الصورة الملكية، ففأها، كما صوح به مسلم في روايته، ويدل عليه قوله الآتي هنا فود عز وجل عليه عينه (128)

انظر هداك الله إلى رضاه كيف يعمن هؤلاء في غيهم فيأولون الخوافة على أنها كلام مقدس، تهيباً من الاصداع بتكذيب الباطل، كي لا تسقط مذاهبهم كورق الخريف وهي المبنية على الكذب والخوافة ولا تمت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بالقدر الذي قبلوا به روايات الحفاظ من المسلمين الشيعة في ما يسمى بالصالح وعددهم يناهز المائة راو.

ولمناقشة الرواية نقول:

أولاً:

من المسلمات الاعتقاد بأن الملائكة عموماً وملك الموت خصوصاً معصومين من كل خلل وخطأ ونقيصة. قال تعالى: " بل عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون". فإذا أرسل أحدهم في مهمة فانه لا يتأخر عنها ويؤديها كما يريد المولى سبحانه وتعالى منه. وملك الموت عندما يجد مكتوباً عنده أن موسى عليه السلام جاء أجله فانه لا يتردد في إنفاذ أمر الله فيه.

ثانياً:

ليس في الرواية ما يوحي بأن ملك الموت أرسل في صورة آدمي كما يببر ذلك النووي وهو عذر أفبح من ذنب واضح الرواية لكن ومجراة في ترويه نقول على افتراض أن ملك الموت جاء إلى موسى في صورة آدمي، فهل في ذلك ما يخرج عن صفته الملائكية، ويؤع عنه وظيفته؟ إذا كان للجن قوة عجيبة وخرقة على التشكل بأي صورة يريدون فان للملائكة قوات أكبر، ولا يغير ذلك من صفاتهم ولا قواتهم ولا يمكن لبشر أن يصلهم بأذى مهما كان، تماماً كالشجر إذا تكبر وتخفى في لباس لا يعوف به عادة، هل ينقص منه ذلك اللباس شيئاً؟. فجيرويل مثلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صورة دحية الكلبى لكن ذلك لم يمنعه من أداء دوره.

ثالثاً:

لكل أجل كتاب، فكيف يتفق ذلك مع الرواية التي تقول أن ملك الموت لم يستطع قبض روح موسى والله تعالى يقول: " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون".

رابعاً:

جاءت الرواية لتصور لنا موسى على أساس أنه جبار باطش بكل ما يتحرك حوله، كأنما هو خروج عن ناموس هذا الكون، وذلك يعكس سوء فهم للقوان أدى إلى هذا التصور السقيم.

خامساً:

إذا نحن سلمنا بعملية الضوب، فإننا لا نسلم بوصول الضوبة إلى ملك الموت لأنها لا يمكنها أن تؤثر في الصورة فضلاً عن الأصل.

سادساً:

إذا سلمنا ببقاء عين الصورة، فإن قوة ملك الموت في التشكل تمكنه أن يعيد العين على صورتها دون الرجوع إلى الله تعالى، وإن كان في الأصل فذلك محال لأنه كائن نوراني لا يمكن لبشر أن يصل إليه بسوء.

سابعاً:

قول ملك الموت لموسى أجب ربك، ليس فيه ما يوحي بالشر، ليندفع موسى إلى الضوب، فهل هذا إلا من مهزل هؤلاء الجهلة الذين ضيعوا على كثير من المسلمين أوقاتهم وأعمالهم كان يمكن أن توظف في الحق عوض هذا الباطل الذي اتخوه ديناً.

أما الرواية التاسعة والأربعون:

فقد جاء فيها هذيان آخر لأبي هريرة، حيث خلط بين الحادثة التي ادعى وقوعها من النبي موسى عليه السلام وبين الآية القوانية التي قال أنها تولت بعد وقوفه عريانا أمام بني إسرائيل فكيف يتفق المقصد الرباني مع الوضعية التي جر إليها النبي عليه السلام حوا؟ ألم تأت الشرائع السابقة بأحكام العورة وحدود ستوها، ألم يتحدث المولى تعالى عن لباس التقوى؟ أليست تلك من السنن التي لا تتغير ولا تتبدل عبر الزمن؟

ثم كيف يمكن لحجر أن يفر بثياب موسى إلا أن يكون مأمراً من قبل البري تعالى، وهو ما لا يمكن حصوله، لأن فيه هنك عورة نبيه عليه السلام، والعورة معلومة الحد منذ آدم حتى يوث الله الأرض ومن عليها، ثم إن المولى تعالى غير محتاج إلى طريقة فجة مثل هذه كي يويئ نبيه مما أشاعه عليه بنو قومه، علاوة على أن بني إسرائيل على ما في الرواية كان يمكنهم التجسس على نبيهم ورؤيته عريانا دون الحاجة إلى تدخل المعجزة الإلهية لتبرئته، وأذية موسى واقتضاحه في هذه الحادثة أقرب إلى تبرئته، وبناء على ذلك تلحق الرواية بسابقاتها إلى كناسة الوضع والتلفيق الذي كان كعب الأحبار وأبو هريرة يقذفونه للناس.

أما الرواية الخمسون:

ففيها نسبة الكذب إلى خليل الرحمان وهو مزه عن ذلك لامتناع صنور الذنب عن المعصوم وكما كنت أشرت سابقا وعودا على بدء أقول لقد خانت هؤلاء الناس إمكاناتهم العلمية فانبثروا الشاذ والغريب والموضوع، فكشف ذلك كله مكون شخصياتهم وفضح مستوى عقولهم.

لم يكذب خليل الرحمان كما ادعاه أبو هرة ومن ركن إليه واتبعه في غيه وضلالته، بل كان صادقا في دعوته الثلاثة. ففي الأولى: قوله: "إني سقيم" ليس بالمعنى الذي ذهب إليه هؤلاء فنسوه إلى الكذب في دعواه، وإنما القصد منه أنه مريض من اعتقاداتهم الفاسدة وأعمالهم المنحرفة، كما هو متعارف من استعرات العرب وأمثالها التي لا تكاد تحصى، ناهيك أننا لا زال نستعمل هذه الاستعارة إلى الآن.

وفي الثانية: قوله: "بل فعله كبوهم هذا..." فلو كان إبراهيم يقصد الكذب والعلوغة لتوقف عند هذا القول، والمتأمل في باقي الآية يفهم أنه عليه السلام تكلم معهم بمنق استدلاله نكي يريد أن يفهمهم أن الأصنام ليست آلهة تعبد دون الله الواحد القهار لأنها لا تملك لأنفسها شيئا، تماما كاستدلاله على عبدة الكواكب وتلك حجة المولى تعالى قد أعطاها لخليله إبراهيم، أما تنمة الآية فهي: "... فاسألوهم إن كانوا ينطقون". فدل قوله على أنه هو الذي كسر الأصنام فاتهموه دون أن يصدر منهم قول بتكذيبه.

وفي الثالثة: عندما قال عن سرلة إنها أخته، فانه عليه السلام لم يكذب لأنها أخته في الدين، قال ذلك وهو غير منفك عن الوحي وفي موضع تجب فيه التقية، فأين الكذب إذا؟

أما الرواية الواحدة والخمسون:

فقد جاءت لإبراهيم باختتان عجيب استعمل فيه القنوم، وهو ابن ثمانين سنة، حاول أن تتخيل رجلا يختن نفسه بقانوم كيف يتم له ذلك، أما إذا تحققت من أن هذه الرواية محض خيال فاعلم أن الأنبياء كلهم يولدون مختونين طاهرين من كل ما يعوي عامة الناس، وقد اثبت أبو هرة انه شاذ لا ينقل إلا شادا، ثم إننا قد نجد لدى عامة الناس من يولد مختونا من بطن أمه، فكيف بصفرة الله تعالى؟

هل تعتقدون أن متعبدا بهذه الروايات، معتقدا بمحتواها، يأمل في ثواب الله تعالى ووجود رضى رسوله الكرم صلى الله عليه وآله وسلم؟

أليس من العار على معتقي الديانة الخاتمة أن تتسرب إلى معتقداتهم في التوحيد والنوثة هذه المفتريات الفاسدة؟ أليس من الحمق والبله أن يتعصب متعصب لهذه الخطوط التي تكاثرت، أصبحت مجلبة العار والجهل والتطرف؟ أليست هذه الروايات ومثيلاتها السبب في إصابة عقول كثيرة بالصدمة والتذبذب أخرجتها عن فطرتها ودينها القويم؟ ألم يحن الوقت بعد لأتباع هذه الخطوط المتعوجة أن يستقيقوا ويقتنعوا أن الحق واحد، والدين واحد؟ طاهر نقي لا شائبة عليه ولا لبس فيه، لا يتناقض في أصل ولا فرع، وكل ما اعتراه هو صنيع أولياء الشيطان، أن الأوان لردّها ورفضها جملة

وتفصيلاً، ولا يتم ذلك إلا بإعادة الحق إلى أهله، وموالاته أصحاب الحق في قيادة الأمة بما استحفظوا عليه من علوم ربانية صافية، وترك من تتكبر عن نهجهم يتخبط في ظلمات التجسيم، وغياهب الجهل بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وبدع التعريف التي ما أقول الله بها من سلطان، والتجاوزات الخطورة للنصوص وما استتبعها من تربية فاسدة ومملسات أفسد منها، أدت إلى تشويه الصورة النقية للدين المحمدي.

وبعد أن عرضت عليك هذا العدد من الروايات دون أن آتي عليها كلها، لأن ذلك يتطلب جهداً أكبر، ووقتاً أكثر، ومراجع تقي بالغاية، أدعوك إلى النظر بتبصر وعقلانية لكل ما ألبسه الظالمون جلباب الدين، وعكفوا على رعايته قروناً طويلة حتى أصبح الدين الرسمي لأغلب الأمة. فعلم الجرح والتعديل والمعروف بعلم الرجال، الذي ينتول الرواية من جهة سندها لم يكتب بتجرد من طرف أهله، لأن الزعة المذهبية كانت الحاكمة في جل كلامهم، فلم يسلم من تحريحهم مخالف لهم في الفكرة، وعكس ذلك أمن متعصوهم من أصحاب الكذب والتلفيق، فعدلوهم أجازوا أكاذيبهم الأمر الذي وضع كثراً من الروايات موضع الصحيح من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله.

لذلك لم أعتمد عند استعراض أكثر الروايات على أسانيدنا لما أسلفت ذكره من بليات الجرح وطامات التعديل، وركرت بدل ذلك على مناقشة متونها من وجهتين عقلية حيث تعاملت مع الرواية الموضوعية بما تألفه العقل السليم، ووجهة شرعية تمثلت في مقلنة الرواية بالثواب القوانية التي تقوم مقام الإثبات أو النفي، آملاً أن أكون قد وفقت إلى ما ينفع الأمة التي لا تزال تعاني من آثار هذه الترهات والله المستعان على ما تصف أسنة المبطلين.

أخيراً، وبعد أن أتيت على ما أمكنني جمعه من روايات ملفقة على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، معتمدة عند اخوتنا الذين اختلق لهم الظالمون اسم أهل السنة والجماعة ووضعوا لهم كتباً جمعوا لهم فيها الغث والسمين والصحيح والسقيم، ولولا وجود ثلة من الرواة المؤمنين فيهم لما وصل إليهم من الدين القويم شيء، فاني أتساءل إذا كان حال الصحيح عند هؤلاء القوم هكذا، فما حال المكنوب؟

فالبخري مثلاً قيل عنه انه كان يحفظ مائة ألف حديث صحيح، لم يخرج منه غير أربعة آلاف ظهر فيها ما قدرأيت فيما يخص النبوة والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وما قد أشرت إليه في التوحيد وغير ذلك في بقية أبواب الفقه، وإذا كان حال الصحيح المقدم عنده هكذا فكيف يكون حال الصحيح الباقي، وهو ستة وتسعون ألف حديث، ثم كيف حال الضعيف والموضوع بعد ذلك؟

وما حظ البخري الذي أوقعه انحرافه عن الحق، وتتكبه عن الطاهرين من آل محمد صلى الله عليه وسلم، بأوفر من بقية أصحاب الحديث عند تلك المذاهب. فالقضية ليست رواية عن راو كما يتصوره البعض، وإنما هي وعاية وحفظ، كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بخصوص أهل البيت عليهم السلام: " هم عيش العلم وموت الجهل ينبئكم حلمهم عن علمهم، وصمتهم عن مكنون منطقتهم، اخنوا العلم اخذ وعاية ورعاية لا أخذ سماع ورواية، فان رواة العلم كثير ووعاته

قليل".

وبثبوت انتشار الكذب على الله ورسوله واستثنائه في آفاق المسلمين بوضع الأحاديث ونسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأويل القرآن وتحريف معانيه كما أشار إلى ذلك الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حيث قال: " وأقاموا حروفه وحرفوا حدوده"، وبانحراف مسار الأمة عما هو مرسوم لها، فإنني أقف بين يديك لأذكرك، وأوجه لك نداء القائد العظيم والنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لعلك إذ رجعت إليه وعملت به تحفظ نفسك من اتباع سبيل الوضاعين ومسلك الكذابين، فقد أدى صلى الله عليه وآله وسلم الأمانة ونصح في الدين ولم يتوك الأمة إلا وقد بين لها كل شيء، وأدى عن المولى تعالى ما أمر به. وأحاديثه وسننه هي من الدين وليست خرجة عنه حتى تترك للناس يفعلون بها ما يريدون، بل إن مسألة الحفظ هي من مشكلات الشيعة وصاحبها، فقد أحالنا البري تعالى ونبيه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على أهل بيته عليهم السلام لأنهم هم المستحفظون على الدين والقائمون عليه من بعده، هم العروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهم حبل الهم المتين، وهم الإمام المبين، وهم الهداة الذين أمر البري تعالى بالافتداء بهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسلوك نهجهم واتباع صراطهم المستقيم، لأنهم هم من أنعم الله تعالى عليهم، هم الأوار الذين تولت فيهم أول سورة الدهر (الإنسان) وهم الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهوا، ليكونوا الوعاء الصافي والمعدن المختار لحمل أعباء الإمامة وحفظ الشيعة. لقد وجهنا رسول الله إليهم في أحاديث عديدة، أنقل منها حديثين أخرجهما أختنا من أهل السنة في كتبهم المعتمدة عندهم لكنهم لم يعملوا بها، تجاهلا من بعضهم، وتأويلا على غير وجهه من البعض الآخر، وتكديبا من حثالة منهم لا تسوي شيئا ممن اتبعوا منهاج ابن تيمية وقلوب الوهابية وجماعة القاعدة الذين لم يعلموا من الدين شيئا، سوى تشويهه وتفتير الناس منه.

الحديثان يدفعان بمن يؤأهما إلى التدبر فيهما وانطلاقة للبحث كما حصل لي، قد تؤدي بكل من أراد الله به خوا إلى الإقرار ولاية أهل البيت عليهم السلام، والتخلي عن ولايات غوهم، لأنها لم تأت بخير مطلقا، وهم في اتباعهم لها من سيئ إلى أسوء، وعصونا اليوم هو عصر غربة الدين، وعودته لن تكون على شاكلة مسار الظالمين، ولا تخطيطاتهم التي استمرت أربعة عشر قرنا.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الأول: " تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعتوتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما".⁽¹²⁹⁾

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الثاني: " إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق".⁽¹³⁰⁾

جعلنا الله تعالى وإياكم من أتباعهم وأشياعهم وأنصلهم وأعانهم وخدامهم والمستشهادين بين أيديهم، ونسأله تعالى أن يحشونا في وفدهم وزموتهم وتحت لوائهم، "يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا.

3 - رواء البخري - لقط اللآلي المتناثرة لؤبيدي ص261-281

4 - رواء ابن ماجة في سننه- لقط اللآلي المتناثرة لؤبيدي ص261-281

5 - رواء الطواني- لقط اللآلي المتناثرة لؤبيدي ص261-281

6 - رواء الطواني- لقط اللآلي المتناثرة لؤبيدي ص261-281

7 - رواء الطواني- لقط اللآلي المتناثرة لؤبيدي ص261-281

8 - رواء الطواني- لقط اللآلي المتناثرة لؤبيدي ص261-281

9 - سورة الحج الآية 75

10- حق اليقين للسيد شبر ج1ص209

11- حق اليقين للسيد شبر ج1ص209

12- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام

13 - سورة النجم الآية 3

14 - سورة الحشر الآية 7

15 - سورة الأحزاب الآية 33

16- حق اليقين ج1ص209

17 - سورة طه الآية 114

18 - سورة الشعراء الآية 219

19 - سورة الأنفال الآية 74

20 - سورة البقرة الآية

21- حق اليقين ج1ص246

22- حق اليقين ج1ص246

23- حق اليقين ج1ص184

24- حق اليقين ج1ص185

25 - سورة التوبة الآية 119

26 - عيون أخبار الرضا عليه السلام ج2ص174/182

27 - جامع أحاديث البخري ج4ص208 كتاب التعبير باب أول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحي والرؤيا الصالحة

حديث: 6467.

28 - موزان الاعتدال للذهبي ج3ص89

- 29 - ميزان الاعتدال للذهبي ج3ص391
- 30 - السورة الحلبية
- 31 - الدر المنثور للسيوطي ج17ص65/69
- 32 - الميزان في تفسير القرآن ج14ص429 - البخاري كتاب المناقب ح3536-مسند أحمد باقي مسند الأنصار ح24016
- 33 - الميزان في تفسير القرآن ج14ص435
- 34 - جامع البيان للطوي ج30ص149
- 35 - السورة الحلبية ج1ص125
- 36 - سورة ابن هشام ج1ص86
- 37 - جامع البيان ج30ص150
- 38 - السورة الحلبية ج1ص127
- 39 - الميزان في تفسير القرآن ج20ص449
- 40 - مسلم ج7ص79
- 41 - البخاري ج2ص249 - مسلم ج7ص101
- 42 - مسلم ج7ص102
- 43 - حق اليقين ج1ص209
- 44 - حق اليقين ج1ص209
- 45 - حق اليقين ج1ص209
- 46 - مسلم ج7ص102
- 47 - جامع البيان للطوي ج30ص32/33
- 48 - سورة هود الآية 27
- 49 - سورة الشعراء الآية 111
- 50 - الميزان في تفسير القرآن ج20ص309
- 51 - نظام الدين النيسابوري هامش الطوي سورة عبس.
- 52 - مسلم ج2ص86
- 53 - مسلم ج2ص138
- 54 - مسلم ج2ص138
- 55 - مسلم ج1ص151

- 56- مسلم ج3ص138
- 57 - البخاري ج3ص238
- 58- مسلم ج3ص135
- 59- مسلم ج1ص166
- 60 - البخاري ج3ص267
- 61- مسلم ج3ص65
- 62- مجمع البيان ج7ص207
- 63 - السورة الحلبية ج3ص237
- 64- تفسير ابن كثير ج4ص347
- 65 - البخاري ج2 ص 32/33
- 66 - ميزان الاعتدال للذهبي
- 67 - البخاري ج2 ص 32/33
- 68- مسلم ج7ص116
- 69 - أخرجه الشيخان
- 70- مسلم ج7ص134
- 71 - السورة الحلبية ج2ص171
- 72 - تفسير الميزان جلد 6 صفحة 308.
- 73 - سورة الأنفال الآية 67
- 74 - البخاري ج2ص89
- 75 - البخاري ج3ص263
- 76 - سورة التحريم الآية
- 77- مسلم ج1ص102
- 78- مسلم ج1ص104
- 79 - سورة ابن هشام ج1ص302
- 80 - عمدة الأخبار ص 124 - تزيخ المدينة المنورة لعمر بن شيبان النموي ج1 ص 89 - مسند أحمد بن حنبل كتاب باقي مسند الأنصار ح 24671
- 81 - تفسير القوطبي ج 18 ص 161 - تزيخ بغداد ترجمة محمد بن أبي بكر - كنز العمال ج 7 ص 116 إحياء علوم

الدين للغوالي كتاب آداب النكاح.

- 82 - طبقات ابن سعد ج 8 ص 145 - المستترك للحاكم ج 4 ص 37 - الاستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 703 -
الإصابة ج 3 ص 530 في ترجمة نعمان ابن أبي الجون
83 - الطبقات الكوى لابن سعد ج 8 ص 45 - المحبر ص 94/95
84 - البخري ما سمي بالصحيح ج 6 ص 69 - طبقات ابن سعد ج 8 ص 5
85 - أنساب الأشراف للبلاوي ج 2 ص 601
86 - مسلم ج 4 ص 188 - الحاكم في المستترك ج 4 ص 16
87 - البخري ج 6 ص 69 - طبقات ابن سعد ج 8 ص 56
88 - سورة يونس الآية 81
89 - سورة الفرقان الآية 8 و 9 - الإسواء الآية 47 و 48
90 - مسند أحمد ج 6 ص 264 - السوة الحلبية ج 2 ص 290
91 - البخري ج 2 ص 154 - ج 1 ص 170
92 - مسند أحمد ج 3 ص 353 - الترمذي ج 2 ص 293 - البيهقي ج 10 ص 73
93 - حلية الأولياء لأبي نعيم ج 2 ص 46
94 - مسلم ج 3 ص 23
95 - فتح البري ج 7 ص 204 - السوة الحلبية ج 2 ص 54
96 - البخري ج 1 ص 70
97 - مسلم ج 7 ص 100
98 - البخري ج 1 ص 108
99 - مسلم ج 7 ص 99
100 - البخري ج 1 ص 65
101 - سنن أبي داود كتاب الجهاد ج 2214 - سنن ابن ماجة كتاب النكاح ج 1969 - مسند أحمد باقي مسند الأنصار
ج 22989 وح 25075
102 - سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن ج 3047 - النسائي في سننه كتاب الإمامة ج 860 - ابن ماجة في سننه كتاب إقامة
الصلاة والسنة ج 1036 - أحمد في مسنده كتاب مسند بني هاشم ج 2647
103 - مسلم ج 1 ص 139
104 - مسلم ج 8 ص 140 و ج 1 ص 133

- 105- مسلم ج7ص98
- 106 - ميزان الاعتدال للذهبي ج1ص472
- 107 - ميزان الاعتدال للذهبي ج4ص484
- 108- مسلم ج3ص23
- 109- مسلم ج3ص23
- 110- مسلم ج3ص23
- 111- مسلم ج3ص23
- 112- مسلم ج2ص188 باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجرها في المسجد.
- 113 - مسلم كتاب الصلاة، باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ولم يخافوا مفسدة التقديم، حديث640
- 114- مسلم ج7ص119/120
- 115 - البخاري، كتاب الزواجر، باب استعمال البقر للحواشي حديث 2156
- 116- مسلم كتاب صفة القيامة حديث 5020-مسند احمد ح23705 باقي مسند الأنصار
- 117- مسلم ح5036 كتاب صفة القيامة-البخاري ح6500 كتاب التعبير
- 118 - البخاري كتاب تفسير القرآن حديث 4398 -الترمذي كتاب تفسير القرآن ح3108 -سنن النسائي تفسير القرآن ح3586 -مسند أحمد، باقي مسند المكثرين ح8373
- 119 - البخاري كتاب المناقب ح3594، كتاب الأدب ح5740
- 120 - تفسير الطوي ج19 ص121
- 121 - تزيخ الطوي ج2ص319
- 122 - البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ح3121
- 123 - ميزان الاعتدال للذهبي وجمعة حرملة بن يحيى
- 124 - البخاري ج2ص90 كتاب الجنائز وج2ص157 كتاب بدء الخلق باب وفاة موسى
- 125 - البخاري ج4ص156 - مسلم ج7ص99 باب فضائل موسى
- 126 - البخاري كتاب الأنبياء ح3108
- 127 - البخاري كتاب الاستئذان ح5824
- 128 - مسلم باب فضائل موسى الهامش للنووي.
- 129 - حديث الثقلين: أخرجه: الترمذي ج5ص328 ح3874 ص329 ح3876-مسند أحمد ج5 ص182 ووبعدة طرق
- أخرى 189 أخرجه الحاكم النيسابوري معلقا عليه بقوله: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخجاه، واعترف

بذلك الذهبي في تلخيص المستترك-خصائص النسائي ص21 الصواعق المحرقة ص 147 - مسلم كتاب الفضائل باب فضائل
علي بن أبي طالب عليه السلام ج7ص122 -تفسير ابن كثير الدمشقي ج4ص113 - مصابيح السنة للبغوي ص206-كنز
العمال للمتقي الهندي ج 1ص 154 وبعده طوق أخرى...رواه من الصحابة 35 صحابيا...
130 - حديث السفينة: أخرجه: تلخيص المستترك للذهبي -المعجم الصغير للطواني ج2ص22 -الصواعق المحرقة
ص91 حلية الأولياء ج4ص306 -الجامع الصغير للسيوطي ج2ص132 -المستترك للحاكم ج2ص343 منتخب كنز العمال
بهامش مسند أحمد ج 5 ص 95...



قراءة في معاني النبوة

لقد جرت سنة المولى سبحانه وتعالى في رسال الأنبياء وبعث الرسل وتعيين أوصيائهم من أجل غايتين اثنتين:

الأولى: البلاغ والحفظ.

إن السبب الذي من أجله خلق البري تعالى الإنسان وسخر له كوكب الأرض ومكن له من المعرف والعلوم ما يلبي حاجاته، هو تهيئته إلى فضاء رحب ومجال أوسع، فالأرض التي عبر عنها المولى تعالى بالدنيا لدناءتها وصغر مقامها، هي المحطة التي تفضي إلى العوالم الأخرى والتي تعتبر الأهم في مسورة هذا الإنسان. لذلك وباعتباره مخلوقا ضعيفا محتاجا دائما إلى التذكير بأن عالمه الذي يعيش فيه ليس هو الغاية وإنما مقامه ذلك هو مقام الممتحن والمبتلى لي شكر أم ليكفر، ففون مسيرته تلك بمسورة مولية ل124 ألف نبي ورسول ليبلغوه حقيقة الدنيا وينذروه من غورها وغايتها، ويبلغوه عن الخالق تعالى أن الوكون إليها مدعاة للضلال ومنسأة للغاية التي من أجلها جاء خلقه وان كان محبوبا عن أكثر الحقائق الغيبية، فان بعضا من تلك المعاني حاصلة في وجدانه نابثة في كيانه. قال تعالى: " هذا بلاغ للناس ولينذروا به.."

وقال أيضا: " إنما عليك البلاغ.. " وقال أيضا: " فاصدع بما تؤمر.. " وقال كذلك: " إنما أنت منذر.. "

غير أن البلاغ المشار إليه لم يكن بمنأ عن التحريف والتشويه، مما يجعل افاضات الخالق على مخلوقاته عرضة لإرهاصات الشيطان وأتباعه، وان كان كيده ضعيفا، إلا أنه استطاع أن يغوي الكثيرين ممن كان همهم الدنيا ومتاعها، مستبدلين بذلك الرائل على الدائم، والطيب على الخبيث، فطفقوا بالأديان تحريفا وترورا، مما باعد بين الحقيقة وطالبها، والأصل الذي جاء به الوحي، من المموه الذي أتى به الشيطان وأوليؤه، لذلك فان كل الشوائع الإلهية لم تسلم من أعدائها كما هو مصوح به في الكتاب العزيز، تنبيها للامة بأن الشريعة الخاتمة لن تسلم هي أيضا من ذلك الطرئ.

الثانية: التطبيق والهداية

وحيث أن بلاغ الأنبياء والرسل عن حقيقة الكون والحياة لم يكن بمغول من التطبيق، إن من بين تكليفات تلك الصفة من الخلق تطبيق ما رسلوا به وهداية الناس إليه بذلك الشكل العملي الواضح حتى يتيسر للناس الفهم والإراك الصحيح، تيسروا لهم وتبسيطا، وحجة بالغة عليهم.

قال تعالى: " أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده.. " وقال أيضا مخاطبا رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: " فاستقم كما أمرت.. " وطلب الاستقامة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية الأخوة دال على أن المطلوب من المبلغ أن يبدأ بنفسه، ليكون أنموذجا يحتذى ومثالا يستمد منه الناس العون على الفهم والتطبيق من بعد ذلك. ومن ادعى أن النبي مكلف فقط بنقل ما يلقى إليه من وحي فقط ليعلنه في مجتمعه وما عداه فهو كسائر بني البشر، فهو صاحب اعتقاد عليه أن يصصحه قبل أن يلقى ربه ورسوله فلا يجد لديهم معنوة.

يختص الأنبياء والرسول بالبلاغ والتطبيق والحفظ والهداية أيضا، إلا أن الآخرين مستعان في الأئمة الهداة في الأمة. والقول بأن الكتاب وحده يكفي ليهتدي به الناس، ضوب من المغالطة ونوع من التمويه لأن الكتاب وحده يستلزم ناطقا عنه بحيث لا يمكن فهمه إلا عن طريق ذلك الناطق، فقله تعالى: إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله". دليل على أن الكتاب وحده لا يكفي ليكون وسيلة هداية وحده من دون قائم عليه ناطق عنه حافظ لمحتواه عرف بكل معانيه الظاهرة والباطنة، كرك لكل مقاصده. واعتماد مقولة الكتاب وحده كعنصر هداية تغطية على مسار خاطئ استعمل الكتاب شعرا له ولكن رافعيه لم يعملوا بمضمونه في واقع الأمر. ولو كان الكتاب وحده وسيلة لعدم الضلال وبلوغ درجات الهداية والتوفيق لما استلزم أن يرثه الصفة عن الصفة. ولا أن يحتاج إلى نبي أو رسول ليضعه بين أيدي الناس. قال تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا".

إن الشعار الذي رفع في وجه رسول الله، وهو في بيته مسجى يستعد للرحيل إلى جوار ربه وهو حسينا كتاب الله، والشعار الذي رفعه عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان في رفع المصاحف والقول: نحتكم إلى كتاب الله، هما الخداع الواضح لمحوى الكتاب العزيز، والتمويه الصريح على الأمة من أن الكتاب قائم بنفسه، فلا وصاية عليه وعلى الدين ككل، ومن ثم فإن أمور الدين صائرة إلى الناس، بالشكل الشوروي المزيف الذي وقع في سقيفة بني ساعدة وما تلاه من تجلوز لروح الشريعة، ولمفهوم الولاية والاصطفاء القوانيين، هذا الشعار على ما حملة للإسلام والمسلمين من انحراف وضياع إلى اليوم، لا زال مرفوعا عند الغالبية العظمى من المسلمين، وتلوكة ألسن تدعي المعرفة والعلم وهي في الحقيقة بعيدة عنه كل البعد، لأن الشريعة الإسلامية في عمومها لا تتناقض بل يؤيد بعضها بعضا، وتتكامل في كافة أحكامها ومستلزماتها.

إن الذين ادعوا أن الأنبياء جميعا بما فيهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم معصومين في التبليغ فقط، هم أناس لم يركوا حقيقة الأنبياء عليهم السلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم والنوة في عموم خصائصها، ولم يفهموا من الدين شيئا. يتلون القرآن لكنهم لا يفهمون مقاصده، بل انهم قد ظلموا أنفسهم بالحرأة على مقامات، كان من باب أولى أن يقدروا جهودها ومعاناتها وتضحيتها من أجل خير البشرية جمعاء، وعوض أن يضعوهم الموضع الذي راده لهم البري تعالى لفقوا عليهم الأكاذيب والتهم التي تستفز أبسط بسطاء الناس فيغضب منها ولا يقبلها.

لم يفهم كثير من المسلمين إلى اليوم معنى الاصطفاء وفلسفة العصمة ولا فكروا في الوظائف الإلهية المناطة بها والتي تتطلب خصوصية وملكة مؤيدة للدور. لأن الثقافة التي تلقوها عبر عصور عديدة، هي خليط من املاآت القوى الدخيلة على الدين والمحسوبة عليه، من خلال تلك الثقافة المحصلة، وإذا نحن تأملنا في ما هو منسوب إلينا من تراث إسلامي، نجد أن أخصب يد قد امتدت إليه وهي يد اليهود، عبر بوابة المنافقين الذين استغاثوا بكل حيلة، والتجأوا الى كل عدو من أجل القضاء على الدين، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر (كعب الأحبار، وهب بن منبه، عبد الله بن سلام، زيد بن ثابت، تميم الدري...) الذين كانوا في حقيقة الأمر، أكثر تنظيما وحرما من مسلمي الجيل الأول، والمصطلح عليه بجيل الصحابة.

لذلك طفحت الكتب بمقولات وتحريفات، فاحت منها رائجتهم وظهرت على متونها بصماتهم جلية واضحة لكل من بصره

الله تعالى بالدين الحق. ولا مناص لنا اليوم نحن طليعة الإسلام الحق من أن نتخذ لنا مواقع في مواجهة التحريف، الذي امتد به العمر إلى هذه العصور، لعلنا نستنتج من صلحت مضغته من هذا الجم الغفير، الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه غثاء كغثاء السيل، ممن استهواهم ذلك الفكر المتوج، الذي خرج من بين ثنايا أنظمة تحالفت من أجل استئصالها في السلطة بكل وسائل الشر الفساد. وبقدر ما سواجه التحريف بالحجة والدليل لاثبات بطلانه، دفاعا عن الحق بقدر ما سيكون لنا موقف مع من لا يروقهم قول الحق وبيان الحجة والمنطق من جماعات تدعي التمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وآله، وهي أبعد ما تكون عنه، بل لعل السنة التي يقصدها هؤلاء هي سنة الظالمين، الذين لفقوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأجروا ذلك مجرى السنة في مدلسهم وكتاتيبهم، فتخرجت أجيال تتالت وتعاقبت حتى رسخت دعواهم وجرت في الناس مجرى الدم من العروق. فسكن في جنباتها التعصب الأعمى.

واليوم ونحن على أعتاب قرن جديد، نرى في أمتنا السوء والشر، والتخلف وال فقر وكل عاهة ونقيصة تتعرض وما جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، من قيم وعلوم وأثار كان من المفترض أن ترفعنا إلى القمة، نحن معاشر الديانة الخاتمة. الخلل في تركنا للأعداء يمتنون ديننا ونحن لا نحرك ساكنا، انغست فينا روح أبي هريرة الذي كان مسكونا بحب الدنيا وأتباعها ككعب الأخبار ومن شاكله، فأخذ عنه سموه وأباطيله ليقول أنها من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كذلك غالبتنا اليوم ترى في ركاب القرون الأولى، وتقارير الظالمين الذين تركوا بصماتهم عليها إلى اليوم، وتعتقد أن ذلك هو الدين في أسمى معانيه، وما هو في حقيقته غير تشابيه والتباسات لا توصل إلى الله تعالى، ومنقطعة عن الحق الذي هو عنوان الدين القيم.

رضينا أن ندخل الدين من باب التقليد الأعمى والتطبيق البسيط الذي يفتقر إلى أبسط المعارف والعلوم، كأنا نعرض الله تعالى في قوله: "إنا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثرهم مهنتون". وفي قوله أيضا: "إذا قيل لهم اتبعوا ما أتول الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباءهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون".

نتخذ سبيل الاتباع الأعمى والتقليد الذي رفضه لنا، لأنه أودع فينا ملكة العقل والتمييز، قبل أن يكلفنا، وأرسل حججه علينا متتابعين، بل انه أوجد الحجة قبل الخلق تثبيتا منه لأمره وتنفيذا لمشيبته.

أخذ أكثونا الدين بلا معرفة ولا فهم وجدنا آباءنا على مذهب مالكي أو نحوي، ففقونا آثرهم قبل أن نبلو أخبلهم، ولم نلتفت إلى أن الدين أشمل وأعم من رؤية رجل واحد جاء في القرون الثاني مدفوعا بأمر من طاغية بني العباس، ليحمل الناس على فقه أسس له، ليكون منافسا لمدرسة الصوفة الطاهرة من أهل بيت النبوة عليهم السلام، والتي شكلت في ذلك العصر غوه من العصور قبس النور، الذي بقي للمؤمنين يستضيئون به من ظلمات الجهل والظلم.

لقد قتلت أحادية رؤية المولى - تعالى عن ذلك - فينا الإبصار الصحيح والإثراك الحق لمفاهيم الدين القيم الذي جاء به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. فلم نعد نسمع ولا نعي غير ما يدور في فلك الذين نصبوا أنفسهم قادة الأمة والمنظرين لها، وهم أبعد ما يكونون عن القيادة والتنظير، لعجزهم الذي أظهرته الروايات، وأبانت عيبه كتب التاريخ على علاتها.

إن أبسط ما يمكننا أن نقدمه لهذا النبي العظيم، هو أن ننقل صورته كما هي، ونروي عنه كلامه الذي قاله هو، وتركه للهداة من آل بيته الذين اذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهراً، لا الذي لفق عليه، ليتخذ من بعده ديناً مزيفاً، وسواباً يحسبه الضمآن ماءً. مرددين بين الفينة والأخرى دعوى محبة النبي وأهل بيته ولكنهم في الحقيقة يكذبون على أنفسهم وعلى الناس، لأن الحب ليس في حقيقة معناه غير الاتباع والتأسي.

نبينا الأكرم هو أفضل المخلوقات عند رب الغرة لا شك في ذلك، وفضله يتمثل في أن الله تعالى اصطفاه على بقية الخلق قبل أن يخلق الكون، فهو العقل والمثال الكاملين، جاء خاتماً للأنبياء والمرسلين ليكون مسك الختام، ومع فضله صلى الله عليه وآله فضل الله تعالى رسالته على سابقتها بأن جعلهما بشلة الوصالات... إن النبوة هي المقام الأسمى والمثال الأعلى الذي لم يبركه من البشر إلا 124 ألفاً على مدى مسوة الإنسانية منذ آدم حتى نبينا الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم. خصه المولى سبحانه وتعالى الملبين من صفة خلقه والمسرعين إليه بعقولهم وأفئدتهم، لم يعيروا الدنيا إلا بقدر ما أعلها خالقها، ولم يلتفتوا إلى أنفسهم فيلوار غباتها وكان همهم السعي إلى الله تعالى ونيل القرب منه. لم يتوان نبي واحد منهم في أداء تكليفه ولا فكر في تأجيل أمر دعي إلى الإفصاح عنه، وكانوا مع خالقهم دائماً في السر كما في العلن وفي الباطن كما في الظاهر.

علمهم الله تعالى ما أقام لهم به الحجة وأعطاهم من المعرف ما سدد مشاورهم بين أمهم. فكانوا زيادة على صفاء معاندهم وعوافة أنسابهم وطهارة موالدهم، حملة أخلاق وعلم وأصحاب مشريع اجتماعية عظيمة، وليس كما يتهاى لمن لم يفقه مقام النبوة، معصومين في التبليغ فقط وما دون ذلك فهم وبقية البشر سواء، نعوذ بالله من الجهل وأهله. وهل النبي صلى الله عليه وآله إلا مبلغاً عن بلئه، والتبليغ يكون بالقول وبالفعل والفعل أشد في النفاذ وأبلغ في الأداء، وإلا افترق عن الغاية التي من أجلها جاء، واقتون بمن يقول ولا يفعل، فتهتز صورته في أعين الناس ويهون مقامه في مجالسهم فيصبح منال السنهم ومغمز حديثهم، ويكون حاله بينهم كحال أونهم، فيتعطل دوره ولا يقبل منه، بدعى أن الذي جاء به هل هو منه أم من الله. ودعى إخراج النبي صلى الله عليه وآله من دائرة الفعل وحصوه في دائرة القول فقط هو ضوب من الاستهانة به وتصغير شأنه، وعدم وضع المولى الذي أرسله موضعه.

لكن قد يتساءل البعض عن معنى الآيات القوانية التي يستشف من ظاهرها عدم عصمة الأنبياء والتي تتزوج في إطار المتشابهة ن القرآن الذي يجب أن يرد إلى أهله ليشفي غليله من معناه الحقيقي. فقولته تعالى: "وعصى آدم ربه فغوى". وقوله تعالى: "ووجدك ضالاً فهدى". وغورها عند أبواب العلم وجهابذة التفسير، الذين استمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، قد رجوا الأمر إلى أولياء أمورهم أئمة الدارين، وقالوا بما قال هدايتهم، فالإمام الثامن من أئمة أهل البيت علي بن موسى الرضا عليهم السلام قد كانت له مناظرات في مجلس المأمون العباسي في عدة من المسائل الدينية والكلامية وغورها، قد بين بالحجة عصمة الأنبياء كلهم، ووضع الآيات التي ذكرنا نموذجين منها موضعها من التفسير المنطقي والصحيح، الذي يزوه الأنبياء عن اقتراف ما جاوا لأجل رالتة، والسعي بالبشرية إلى منزل المعوفة، ليصلوهم إلى درجة الإنسان الكامل في إنسانيته، ومن دون ذلك فلا معنى للنبوة، ولا قيمة لصاحبها الذي اصطفاه الله تعالى على بقية الخلق، لخاصية فيه زادها بعانيته

حقيقة نفي العصمة عن الأنبياء إذا لم نسلم بجهل الداعين لها والمعتقدين بوقوعها، لا تخرج عن دائرة المخططات التي حكمت من أجل القضاء على صفاء العقيدة الإلهية ووضع رسل المولى سبحانه وتعالى في الناس موضع الشبهة والنقيصة، ولدفع عصمة من هم دون الأنبياء كعصمة السيدة مريم العذراء، قال تعالى: "يا مريم إن الله قد اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين". وعصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا". وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "اني ترك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

وسد المنافذ أمام حقيقة ظلت غائبة عن أذهان الكثويين رغم النصوص المتظافرة والصريحة التي دلت على عصمة الدور الذي يلي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هو الإمام عليه السلام لاستزامه ذلك، باعتباره حافظا للشريعة قائما عليها، مما يتطلب تسديدا وتأبيدا مثله مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الحفظ لا يقل أهمية عن التبليغ، ومن هنا جاء قوله تعالى: "إن الله قد اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم".

إن من علامات إثبات نبوة الأنبياء الأولى، هي العصمة عن اقتراف الذنوب صغورها وكبرها عمدتها وسهوها، تلك الملكة المكتسبة في معظمها من سلوك النبي الإرادي الذي زاده المولى سبحانه وتعالى تسديدا وتأبيدا، فقد علمنا أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان أمين قومه وصادقهم قبل البعثة، وجاء في سيرته منذ نشأته تموزه عن غوره من بني جيله، بحيث جلب لنفسه الإكبار والاحترام والهيبة قبل نزول الوحي، ولم يسجل عليه محل يوه أي زلل أو خطأ يمكن لهم من خلاله أن يوصموه أو ينعتوه به، تجلت شخصيته على مجتمعه كجلاء الشمس في واضحة النهار، فلم يظهر منها عيب ولا بانة نقيصة يمكن أن تهز من شخصه، ولزادته تأكيداً مع نزول الوحي عليه فإنه عصمة على عصمة.

إن من لم يعرف النبي صلى الله عليه وآله بما ذكره العالمون من آل محمد صلى الله عليهم، لم يعرف حقيقة العقيدة بكل تفاصيلها، فلا هو عرف الله تعالى بما نسب للنبي صلى الله عليه وآله من نقيصة، ولا تصور أنه باعتقاده الخاطيء نسب لله تعالى قلة التدبير، وعدم القوة على إيجاد الأفضل الذي ينطق عنه، وكان عليه أن يقر بأن الخالق الكامل لا يصطفي من مخلوقاته إلا الكامل. قال تعالى: "إن الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس".

ومن كان الله تعالى له هاديا فلا يضل ولا ينسى، خصوصا إذا كان مكلفا بالاستقامة ظاهرا وباطنا. ونسبة الخطأ للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، من صدور الذنوب عنه، واخلاقه بحياته الخاصة بدعوى أنها خرجة عن إطار الوحي، هي إحدى المؤامرات التي حكمت بإصوار ضد الإسلام بكل تفاصيله، فاسحة المجال أمام فصل الدين عن الحياة، وعزله عن السبب الأصلي الذي جاء من أجله، وهو تنظيم مختلف مجالاتها الخاصة والعامة، وبمعنى آخر حياة الفرد وحياة المجتمع، من ابسط الأحكام حتى أعقد المسائل في العلاقات. كما أن الذي نسب عدم النص عن ولي الأمر بعد النبي، هو أيضا قد نسب التقصير وعدم النصح للأمة من الله تعالى ورسوله الأكرم، والتفريط في الشريعة التي جاءت لتستمر أثرها في الأجيال التي تلي عصر

النوة. والدليل على صحة دعوى ثبوت الإمامة بعد النبي صلى الله عليه وآله بالنص من الله تعالى، هو الخلل الكبير الذي تعيشه الأمة، والواغ الهائل في منصب القيادة، حيث أن ما يقرب المليار مسلم يعيشون بلا إمامة، سوى إمامة الصلاة، وحتى إمامة الصلاة قد ضيعوها لأنهم يصلون وراء كل بر وفاجر. فليس أولى بمعرفة الأصالح بالمخلوقات من خالقهم ورسوله، وهما أولى بهم من أنفسهم، كما قال الله تعالى: " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم". لأن معرفة الأصالح أمر لا يعلمه إلا الله وكنمائه أو عدم الدلالة عليه، هو كتمان علم ومعرفة نافعين متوقف عليهما استوار الدين وصلاح الملة، والمولى تعالى مزه عن كل نقیصة، متعال عن كل خلل وهو بديع السموات والأرض وما فيهن، فلا يغرب عنه شيء ولا يفوته شيء، فثوبوا إلى رشدكم أيها المدعون على الله بالباطل.

وعندما نرى ما يصدر عن فئة ممن زعمون أنهم من أهل التوحيد وملة الإسلام، حينما يقابلون بقية المسلمين، ويعرضونهم بكل قسوة وفضاضة، وصل بالعديد منهم إلى التعرض للضوب والإخراج من حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، الإيقاف والحرمان من أداء الشعائر، بدعى أنهم مشركون باعتقادهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي عند ربه يسمع السلام ويورد عليه ويسمع الكلام ويأخذه بعين الاعتبار وله مقام عند ربه تعالى يؤهله لطلب أي شيء فيتحقق له بإذنه تعالى، وقد جرت عقيدة هؤلاء الوهابية على أن الرسول ميت لا ينفع ولا يضر عنده توسل ولا دعاء، إنما الناس في طلب الحاجة إلى الله تعالى سواسية. لذلك زاهم يؤمنون غوهم من المسلمين، بعدم التوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأزيرة والدعاء، فجفت بذلك أحاسيسهم وغلضت قلوبهم، حتى غلفت فهي كالحجرة أو أشد قسوة، لم ينقلوا عن الإسلام غير الانطباع السيئ والظاهرة المشينة، ولم يعرفوا من الدين غير التمسك بالقشور والروايات التي وضعها اليهود للمتحجرة عقولهم مثلهم.

لم يكن تصوفهم نابعا من فراغ فاعتقادهم بعدم عصمة النبي في سائر حياته قد دفعهم إلى سلوك ذلك المسلك في منع الناس عن زيارة نبيهم بالشكل الذي يليق بالنبي كأنه حي، بل هو حي فعلا، لأنه زيادة على مقامه العالي الذي لم يركه نبي مرسلا ولا ملك مقرب، يعيش في عالم اليقين والحقيقة المطلقة. قلنا فقد دفعهم ما ورثوه من أباطيل حيكمت ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لنفي العصمة عنه، ولم يكن هؤلاء وحدهم ف تصوفهم المشين بل انوى معهم يشد ازهم ويعاضدهم حفنة من لا دين لهم ولا أخلاق كسلمان رشدي لعنه الله وأقواه الذي وجد ف البخري ومسلم وبقية الكتب التي زعمون أنها صحيحة مادة للتشنيع على رسول الإسلام والتهجم عليه ووصفه بشتى النعوت الصفات التي يتوأ منها كل عاقل.

إننا عندما نتأمل في روايات عدم عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نلاحظ أنها لم توجد لنفيها عنه صلى الله عليه وآله وسلم فقط، وإنما وضعها أعداء الدين الإسلامي والمندسون فيه لتخريب أركانه، وتشويه النبي صلى الله عليه وآله، ونسبة أشياء له لا يمكن لعاقل أن يتصورها تصدر عن مسلم عادي فضلا عن أفضل المخلوقات على الإطلاق.

لقد تصدت مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لحمالات التشويه والتشكيك التي طالت الأنبياء عموما عليهم السلام، ونبينا الأكرم صلى الله عليه وآله خصوصا، عبر الأئمة الطاهرين الهداة منذ الحركة الأولى للتشويه، بدأ من الإمام علي عليه السلام، ومرورا بولاده عليهم السلام، وعند نشوء علم الكلام، تصدى الأمام الباقر والصادق والرضا وبقية الأئمة عليهم السلام لعدد

من الأدعياء الذين كان همهم إفحام الناس، وتشويش أفكلهم وتشكيكهم في معتقداتهم، فنقل رواة وعلماء مدرسة أهل البيت عنهم عددا من المناظرات التي تناولت النوبة والعصمة، فبينوها للناس بيان العرف المطمع على دقائق الدين وما يتصل به من قربي أو بعيد، فشكّلوا بحق الحلقة التي كان وجودها ضروريا في مرحلة ما بعد النوبة، حفظا للدين من عبث العابثين، وقد جاءت رواياتهم عن جدهم وافية شافية، دلت على أن علمهم من مخزون علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فصحرو بأقوالهم لب العقيدة وجوهها، ودحضوا باطل المتطعين والدخلاء، الذين كان همهم الأكبر لرضاء حكام أمتهم، في مخالفة الأئمة الهداة من أهل البيت عليهم السلام في جل ما يعتقدونه.

إن العصمة من مستلزمات الدور النبوي، بل هي عنوانه وأساسه، لأنه لو كان النبي غير معصوم لكان التكليف متناقضا، فإما أن نتبع النبي صلى الله عليه وآله في أخطائه، وتصبح متابعتنا له دعوة من المولى إلى فعل الخطأ من جهة، والمعاقبة عليه في صورة حوثه، وهو مناقض لأصل رسال الوصل، أو أن لا تجب متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ما يصدر عنه على اعتبار أنه قد يكون خطأ، وفيه ما فيه من تعطيل الغاية التي من أجلها أرسل الوصل، وهبطت شوائعهم على الناس. نخلص إلى القول بأن وسائط الله تعالى من ملائكة وأنبياء ورسول، لا بد أن يكونوا معصومين من الأخطاء، وموئنين من كل نقیصة من شأنها أن تضعف الدور المناطون به. ولو كان النبي صلى الله عليه وآله غير معصوم، لكان محتاجا إلى من ينهيه، وهو المكلف بتبنيه غوه. ولما استقامت حجة الله على خلقه، بأن أعطاهم نموذجا من قبله، يحتنون ويقتنون به في كل شؤونهم، وعليه فان المتأمل في هذا العالم البشوي، يدرك ضرورة المثال والنموذج، والحاجة الأكيدة والملحة له، لأنه الأقرب إلى الفهم والمتناول في المعرفة، لحقيقة كون أن كل علم لا بد له من عمل وإلا فانه غير قابل للفهم الصحيح.

هكذا إذا وسائط الله تعالى، دساتير أخلاقية وسلوكية تتحرك بين الناس، لقد كان موسى في قومه تورا مجسدة، وكان عيسى عليه السلام إنجيلا بكل تفاصيله، وكافة الوصل كان تكليفهم التطبيق، ثم التطبيق ولا شيء غير التطبيق، أما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كان قانا بكافة أبعاده، يعيش بين الناس ليبركوا أن العلم مبنوه العمل.

وبعد هذا كله، هل بقيت حقيقة غير أن الأنبياء كلهم وبينهم إمامهم أبي القاسم محمد بن عبد الله موئون من كل عيب

ونقيصة مزهون عن كل خطأ؟

الموسى الوحيدة التي بقيت على بيبة من أمرها في التوحيد والنوبة وباقي عناصر الدين عقيدة وشريعة، هي مدرسة الإمامية الاثني عشرية التي واجهت كل أشكال التحريف والتأويل الخاطي، وكان لها مواقف عديدة على مر التاريخ، تشهد بأن الإسلام الصافي لا يمكنه أن يحيد عن أهل البيت عليهم السلام، أولئك الذين أذهب الله تعالى عنهم الوجدس وطهورهم تطهوا، سفن نجاه الأمة وباب حطتها، ولولاهم لاندست معالم الإسلام ومحيت صفحته الناصعة، أولئك حفظته وأصحابه، من عاد إليهم أترك فلسفة الوجود كله، ولم يغوه شيء بعد ذلك، ومن صوف النظر عنهم فانه زائغ لا محالة عن سبيل الرشده. فالحمد لله ولا وآخر على هداه، وبصر هذه الأمة لتعود إلى رحاب الطاهرين ومواطن الصادقين، انه سميع مجيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خاتمة

في الختام أتوجه بهذا النداء إلى كل الذين لا زالون بعيدين عن إسلام أهل البيت عليهم السلام والى الذين ينظرون إلى هذا الخط بعين الريبة والشك أقول، لقد مضى على وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خمسة عشرة قونا، تقلبت فيها الأمة الإسلامية بين منافق لئيم فاجر وعدو بغيض قاهر، ضيعت في مطلع سنة المصطفى، حتى اختلط فيها الغث بالسمين عند جمهورها، وسجل التلريخ على علاته تلك الخوايا، واتصل حبل منع التنوين بحبل التحريف، وتلقف ذلك كله المؤولون بفنون التثبيت والتماس الأعدار الواهية، حتى أفرغ الدين من محتواه

وأخرج من ثوبه وديباجه إلى أبواب بقية الديانات المحرفة، ففصل الدين عن الحياة بدأ في أولى مراحلها بالورد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أخريات أيامه، وعرقلة بلاغه للناس ثم أسست حادثة السقيفة الأساس لبدء الفصل، وحلت محل المسجد وافتكت نوره الريادي في حسم قضايا الأمة.

وجاء القائلون بعدم وجود نص من الله تعالى ونبيه على منصب قيادة الأمة، ناسبين التفریط والتقصير لهما في مسألة حساسة، عليها يتوقف استوار عطاء الشريعة، وتأسيس رابقتها في المجتمع المسلم. فلما مضى أكثر أولئك المتقولون على الله ورسوله ما لم يقولوا، ظهرت بعدهم آراءهم وأهوالهم، مذاهب ومدارس مؤيدة ومحمية ومزكاة، من قبل أغلب طواغيت العصور الماضية ليس محبة فيها وفي الدين الإسلامي ولكن لأن تلك المدارس حتى البعيدة عن نوائر أولئك الجبارة، والتي وقع احتوؤها فيما بعد، قد جعلت للظلم فسحته في الدين، وكروست مبدأ الحكم بالجور تحت عنوان إسلامي، فلا جوج في ظلم الحاكم طالما أنه يصلي. ثم طوعوا الحاكمة وفق الواقع التلريخي فأجازوا المفضول مع وجود الفاضل إلى غوها من الترهات التي يستحي من ذكرها المسلم الواعي والمؤمن الفطن النبیه.

والآن مر كل ذلك بتفاصيله وانطلت على من انطلت صيحاته، وأخذت لب من أخذت بهلجه، ولم يبق لنا أن نسلك غير طويقين: إما أن نستول في خط الشرود، وعبادة الظن والهوى فنخرج من الدنيا بلا إمامة ولا بيعة، كالقطعان الشردة بلا راع، وقد طبق هذا الوأي على مدى العصور الماضية ولم يفوز غير الخيبة وهو طويق الأغلبية (حوالي مليار مسلم).
واما أن نقر بالإمامة وما يستتبعها من اتباع واقتداء، وموالة ننال بها سعادة الدنيا والآخرة وهو طويق الأقلية (أقل من 200 مليون مسلم).

إنني لم ادعكم حين دعوتكم إلى أناس نكرة، ولا أشخاص غير معروفين، أو ليس لهم وزن على الساحة الإسلامية، ولم أقل لكم أيضا تعالوا إلى فكرتي، لأنني لست مبتدعا، كل ما أريد أن أوصله إلى قلوبكم وعقولكم، هي نصيحة أود أن تتخونها مطية للوصول إلى الرؤية الصحيحة للدين، والتي تتمثل في الابتعاد عن التعصب والتشنج، لأنهما سلاح الضعيف والجاهل، وأن نسلك من بين هذا الركام الذي ورثناه طويق التعبد بالنص، فما صح وروده صح وجوده، والحجة تقطع السبيل على طالبها، فتأخذ به إلى العمل بها، وليس هناك لمن لم تكن له قوة وسط هذا الخضم المتلاطم من حق وباطل، إلا أن يؤولي إلى

أهل البيت عليهم السلام هم سفينة النجاة لهذه الأمة، من عرفهم فقد عرف الله تعالى، من خلال علومهم وتجربهم المعرفية، ومن أنكروهم فقد أنكر الله لأنهم بابه الذي يؤتى منه. عودوا إليهم عودة التائب الذي وجوا غوان ذنبه، أو عودة الولد الذي ذهب مغاضبا من قومه فالتقمته سبل التيه والضياع، ويقيني أنكم ستجدونهم اعطف عليكم من آبائكم، وستجدون عندهم كل ما تحتاجونه لرحلتكم إلى الآخرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث متفق عليه: لا زال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله.

دعونا نعود إلى الحق، نذعن إلى مبدا الاصطفاء الإلهي، دعونا فوجع إلى المولى سبحانه وتعالى ونقول له في حكمه وحاكميته سمعنا وأطعنا، وليس أنى يكون له الحكم علينا... دعونا نعود إلى أهل الذكر والراسخون في العلم، من عندهم علم الكتاب، دعونا نعود إلى الصادقين الذين أمرنا المولى تعالى أن نكون معهم، إلى الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. إلى لطف الله وحبله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها إلى من فرض علينا محبتهم والمحبة قوة وتأس واتباع. دعونا نتبع هذا الخط الذي مثل المعرضة الحقة عبر العصور، وظل يدعو إلى دين الله الحق بعيدا عن نوائر الظلم والظالمين، متوثرا من اغوآتها واملاآتها، محلربا لها كلما سنحت الفرصة.

دعونا ننتقل من خط اليأس والقنوط، إلى خط الرجاء والأمل، من خط الفوضى العرمة والتشردم المؤع إلى الانضباط، من خط الانقطاع عن الله ورسوله والأئمة الأطهار إلى خط التواصل والولاء والطاعة، ومن خطوط الضباب والسراب، والشك والظن والقياس الباطل. كفانا مشيا وراء سواب النظريات الجوفاء والشعوات الفرغة التي تدعي الانتماء إلى السنة النبوية وهي بعيدة عنها، لأن السنة في حقيقة الأمر عند أصحابها وهم أهل بيت صاحبها، وأهل البيت أرى بما فيه. الذين أحصى الله تعالى فيهم شريعته واستودعكم دستوره وجعلهم وعاءه وسماهم حفظته.



قآنآ أم قآآنكم.. انه قآن وآاحد

إللكم يا من نصبتم أنفسكم قضاة في أمة الإسلام، تكفرون من تبغضون وتفسقون من تكفون، وتبجحون دماء الأبرياء لمجرد خلاف بسيط بجهلكم، تقتلون القتيل وتمشون في جنزته، تبا لكم ولما جنته أيديكم، أما آن لا لسننكم أن تقول خوا. تتجلببون برداء الدين وأنتم مودة وشياطين، لا تريدون من المسلمين غير الفوقة والتشوذم ليفشلوا وتذهب ربحهم، لم تظهر منكم على مدى قرون طويلة كلمة خير أو نداء حق وصدق يجمع شتات هذه الأمة ويقيل عثرتها همكم الدنيا كما أهمت أصحاب رزية الخميس والسقيفة ومن جاء بعدهم من غاصبي حقوق الإسلام والمسلمين، وكآزي حطام الدنيا، المستأثرين على أهل الحق، ومن حملة المصاحف على الرواح مكوا وخديعة، ومن سافكي دماء قوبى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين أمرنا المولى سبحانه وتعالى بمودتهم أمرا وفرضها فوضا، وجعلها أمرا لما بذله الرسول صلى الله عليه وآله في سبيل الإسلام وإرساء دعائمه، ومع ذلك وقفتم فوقا ثلاثة، فريق مازال يملس دوره في القتل كشوذمة فوسان الصحابة في باكستان وبعث العواق، وفريق والى القتلة بقلبه ولسانه، وفريق سكت على ذلك وبقي ملازما لجمعهم، والساكت على الحق شيطان آخرس.

ألم تسمعوا قول رسول الله (ص) لعلي عليه السلام: "يا علي حربك حربي وسلمك سلمى".

ألم تسمعوا دعاء النبي (ص) لعلي عليه السلام يوم غدير خم: "اللهم والى من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار". ؟

فمن حرب عليا فقد حرب رسول الله ومن حرب رسول الله فقد برز لله تعالى بالحرب ومن خذل عليا فقد خذل رسول الله ومن خذل رسول الله فقد خذل الله تعالى.

ألم يؤمكم ولايته العظمى فأشار إليها بداية بالتلميح ثم بالنص الصريح الذي لا يوده إلا معاند طبع الله على قلبه فقال: "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون". ؟

وقد أجمع المفسرون إلا من شذ منهم على أن تزولها كان في شأن علي عليه السلام عندما تصدق بخاتمه وهو راكع.

وأكد على ذلك رسول الله (ص) عندما أعلنها في غدير خم بيضاء لا تشوبها شائبة ولا يخالطها تأويل فقال: " من كنت

هولاه فعلي هولاه".

ذكر ذلك الترمذي في سننه ج5ص297 وابن ماجة في سننه ج1ص45 وأحمد بن حنبل في مسنده ج1ص98 والحاكم في مستدرکه ج3ص110 وصححه الذهبي والنسائي في خصائصه ص94.

ومع ذلك فررت منه فار الحمر المستنفة. ثم زكاه علما بعدما زكى نفسه عملا فقال: "أنا مدينة العلم وعلي بابها".

وقد أخرج الحديث كل من ابن عساكر في تزيخ دمشق ج2ص464 والحاكم في مستدرک الصحيحين ج3ص126

وصححه، وابن الأثير في أسد الغابة ج2ص22 والطواني في الكبير ص107 والجامع الصغير للسيوطي وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج1ص334 وأيد ذلك المولى سبحانه وتعالى بقوله: " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب". ومع ذلك تركتم المدينة طالما أنكم لم تأتوها من الباب، رفضتم دخوله سجدا (طاعة) وأبيتم أن تقولوا حطة لأنكم قوم مستكبرون لا تفقهون للعبودية معنى ولا للطاعة فهما، تتعاملون مع الدين تعامل المالك والقيم، وما أنتم في الحقيقة إلا أجراء، وسلكتم مسلك الشيطان عندما أمره الله تعالى بالسجود لآدم فقرر ما تبعتموه في قره، وقلتم مقالته في التفضيل، مالكم ولشيعة علي عليه السلام؟ فعلي عهد إليه النبي (ص) أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق.

فمن أحب عليا فقد دخل حزب الإيمان ومن أبغضه فقد دخل حزب النفاق وهما طريقتان لا ثالث لهما، وشيعة علي ومواليه تبعوا له لا يحبهما إلا مؤمن ولا يبغضهما إلا منافق، فلا تقذفوا بيوت الناس بالحجارة وبيوتكم عورة. اسعوا مرة واحدة إلى حسن الظن بغيركم من المسلمين، وان أعجبتكم تسميتكم ب (أهل السنة والجماعة) فاعلموا أن ذلك لم يكن لكم ولا بأيديكم، عاونوا إلى التزيخ لتعرفوا من أين جاءت التسمية، فهذا معاوية بن أبي سفيان الذي حارب الله ورسوله بحربه لعلي عليه السلام، قد سمى العام الذي قتل فيه علي عليه السلام عام الجماعة، بمعنى أنه تخلص من حق علي باجتماع الناس على باطله.

وفي أواخر الحكم العباسي وفي مقابل التقاف المسلمين حول الطاهرين من آل محمد (ص) وتشيعهم لهم، لم يجد الطغاة بدا من استعمال المكر والخديعة فأضافوا كلمة سنة إلى (جماعة معاوية) فصلت أهل السنة والجماعة. والدرس لمحتويات كتب ذلك الفويق الروائية لا يجد من سنة رسول الله (ص) إلا من كان في سندها شيعي أو أكثر، وما عداها من الروايات منحرفة عن الرسول (ص) شائنة له قاذحة لسلوكه، خليط من الإسرائيليات والبدع التي لفقت عليه. وهو ما حدا بأعداء الإسلام إلى الدخول من تلك الكتب، وأخص بالذكر منها الجامعين المسميين بالصحيح للبخري ومسلم والسنن الأربعة المسماة كلها بالصحيح الستة، للتشيع والاحتجاج، ونسبة ما أؤمت به تلك الكتب نفسها على أنه من أفعال النبي وأقواله وتقواته إلى الإسلام ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو منه واء.

لهؤلاء الذين يقدسون تلك الأسفار، ويقبلونها توكا بالليل والنهار ويكفرون كل من يورد رواية منها كالنوي على سبيل المثال في حاشية مسلم باب فضائل النبي موسى عليه السلام، عندما قال: "لهذا الحديث مناقشات لبعض الملاحدة" ناسبا الإلحاد لكل من يورد رواية لطم موسى عليه السلام لملك الموت، وفقى عينه، فتأمل. ذلك هو الجهل الذي استبدلوه بعلم علي عليه السلام.

ولقد سئل عنه ابن عباس فقيل له: "أين علمك من علم ابن عمك؟" فقال: "كفظة ماء في البحر الأخر". وما قول الإمام علي عليه السلام عن ذلك ببعيد حيث قال: "أين الذين زعمون أنهم الواسخون في العلم نوننا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وكرمهم وأدخلنا وأخرجهم بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى....."

كان التشيع منذ نشأ سمة الإسلام السليم، فهو كما أشرنا شعار المؤمنين وبنار الصالحين، وهو الفئة القليلة العدد الكثيرة

العدة، مدحة البري تعالى حيث يقول: "وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" وتوكية الرسول الأكرم (ص) حيث قال: "لا وَال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يظوهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله". مسلم ج 6 ص 52 وغوره، وهل ظهرت عبر تليخ الإسلام الطويل طائفة إسلامية بما تموت به من حق وموالة لأهل الولاية وتضحية من أجل أن يبقى الدين الحق قائما بوره غير الشيعة تبعا لأمتهم عليهم السلام.

ومن نظر إلى وقائعه الكوى وأحداثه الجسام فلن يجد غير شيعة المصطفى (ص) قد كانوا للظالمين خصوما حتى سموهم الرافضة، ولان تكانفت أيدي البغي عليهم سيوفا وأقلاما فما نقصوا منهم شيئا بل زاوهم بريقا ونورا ولمعانا وزداد أعداءهم زيفا وظلما وجهلا وعوانا، ولو لم يكن لهم بالله تعالى تواصل واتصال لذهبت بهم أسنة السيوف قبل صيغ المقال، فسبحان من نصر أولياءه وكبت أعداءه لتكون كلمته دائما هي العليا وكلمة الذين نصروا العداء أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم هي السفلى.

وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم".

قلت لقد انقاد العلم مطيعا لائمة أهل البيت عليهم السلام فهو رزقهم في هذه الحياة الدنيا، ولولا علم علي عليه السلام لضاعت علوم الشريعة والعربية، ولولا سيف علي عليه السلام لما قامت للدين قائمة كما صوح بذلك الصادق الأمين (ص)، ومن بعد علي عليه السلام جاءت النرية الطاهرة سادة شباب أهل الجنة كما أخبر عنهم جدهم (ص) قائلا: "في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وان أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون". أخرجه ابن حجر في الصواعق ص148 ويناابيع المودة ص226 وذخائر العقبى ص17 والملا في سيرته ص90.

رغم الحجج الباهرة والحقائق الظاهرة لال بعض ممن ينسب نفسه للإسلام وهو منه راء يقذف بيوتات التشيع التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، بكل ما طالته يداه الأثمتان غير ملتفت إلى أن بيته من زجاج مغوضا في دعايته بالقول: إن الشيعة تقول بتحريف القرآن، وأن لها مصحفا خاصا، هذه المقولة كفقاقيع الماء ما إن تنطفئ واحدة حتى تظهر أخرى، بحسب الحقد والموض الذي يتوكة تميز الشيعة في الأمة، وعلو مقامها بما أعلاه أفرادها من كلمة الله بين أعدائهم ومبغضيتهم وحاسديهم، إلى هؤلاء الذين يرفعون قميص الفتنة ويلوحون واية الدعاية الكاذبة نقول: هل وجدتم منذ أن نعق ناعقكم الأول بهذه الفوية ناسبا إياها للشيعة مصحفا غير هذا الذي بين أيدينا والذي يطبع في مطابعهم وينتشر بينهم حفظا ورواسة وتعبدا، ومن شاهد نوابغ أطفال شيعة آل محمد (ص) على القنوات التلووية الفضائية.

حفظوا القرآن وهم دون الست سنوات من أعمارهم، وبطريقة إعجزية ملفتة للانتباه محوة للعقول، لا يعطيها الله إلا لمن احب. لأتوك انه قرآن واحد. وان من أرسل تلك الدعاية الباطلة وكان قاصدا تفكير الشيعة وتشويه صفحاتهم الناصعة، لم يجد على مدى أربعة عشر قرنا ما يقيم دعواه من مقام الكذب إلى مقام الحقيقة.

كل ما في الأمر وجد بعض النواصب المغرضين روايات معودة تتحدث متونها عن وقوع نقيصة في كتاب الله أوردها

بعض حفاظ الشيعة وأخص بالذكر منهم الشيخ الأجل محمد بن يعقوب الكليني رضوان الله تعالى عليه.

ولعدم اطمئنان صاحب الكافي لها جعله يفود لها باب سماه "النوادر".

هذا من جهة. والذي عليه السواد الأعظم من علماء شيعة أهل البيت المصطفى صلى الله عليه وآله - وتفاشروهم شاهدة

على ذلك - هو أن ما هو موجود بين دفتي القوان المتداول في أقطار الأرض هو القوان الذي اتول على رسول الله (ص)

ودون على عهده ولم يمت (ص) إلا وهو مجوع مكتوب عند هـ وعند عدد من الصحابة كأمر المؤمنين علي عليه السلام

وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم.

والمنتبع لتفاشروهم المتداولة على الساحة الإسلامية كتفسير المزان للعلامة محمد حسين الطباطبائي المتضمنة لعقيدهم في

القوان، يتأكد من صدق المقال وبهتان الضلال، وانعدام البينة على من ادعى والله تعالى يحذر هذه الخدع والمخاتلات بقوله "يا

أيها اللذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين".

فهذا الشيخ الكليني نفسه في الكافي ولكن ليس في باب النوادر لاطمئنانه إلى الرواية يخرج عن الإمام أبي جعفر محمد بن

علي الباقر عليه السلام في رسالته إلى سعد الخير "وكان من نبذهم للكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده فهم يروونه ولا

رعونه والجهال تعجبهم حفظهم للرواية والعلماء يحزنهم تركهم للوعاية".

وهذا الشيخ الصدوق يقول: "اعتقادنا أن القوان الذي أتله الله على نبيه هو ما بين الدفتين وليس بأكثر من ذلك ومن نسب

إلينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كذاب".

وهذا الشيخ الطوسي في أول تفسره المسمى بالتبيان يقول: "أما الكلام في زيادته ونقصه فمما لا يليق به أيضا لان الزيادة

مجمع على بطلانها والنقصان منه فالظاهر من مذهب المسلمين خلافه وهو لا يليق بالصحيح من مذهبنا".

وهو الذي نصه المتوضى وتبعه في ذلك المحقق الطوسي في تفسره مجمع البيان حيث قال: "أما الزيادة في القوان

فمجمع على بطلانها أما النقصان فروى جماعة من أصحابنا وقوم من الحشوية العامة (أهل السنة والجماعة) أن في القوان

نقصا والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه". مجمع البيان ج1ص15 وهذا الشيخ جعفر نجفي في محكي كشفه يقول: "لا ريب

أن القوان محفوظ من النقصان يحفظ الملك الديان كما يدل عليه صريح القوان وإجماع العلماء في كل زمان ولا عوة بالنوادر

وما ورد من أخبار النقص تمنع البديهة من العمل بظاهرها".

وبه قال السيد محمد حسين آل كاشف الغطاء في أصل الشيعة وأصولها ص62-63 ، وبذلك قال نور الله في مصائب

النواصب والشيخ البهائي والمقدس البغدادي والشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسره آلاء الرحمان والسيد محمد حسين

الطباطبائي في تفسره المزان والسيد الخوئي في مقدمته البيان، والفيض الكاشاني في المحجة البيضاء ج2ص263 والشيخ

محمد رضا المظفر في عقائد الامامية ص41-42 فؤلاء اثنا عشر من جهابذة التشيع ورؤوس علمائه.

ولو أطلقت العنان في هذا السود لما انتهيت، هذا من جهة أخرى.

فلا يرتاب مرتاب في أن المتسالم بين علماء الشيعة القول بعدم التحريف اللفظي للقوان الكريم ومن شذ منهم من الإخبلين

اغترأ بظاهر بعض الروايات التي ظنوها صحيحة والشاذ كما هو معلوم يحفظ ولا يقاس عليه.

رغم هذا القذف الباطل والادعاء السقيم لم يتتبع علماء الشيعة، جمهور المسلمين في كتبهم ليلقموهم الحجر الذي قذفهم به، فعورتهم في هذا المقال غير مستورة.

وان كان الشيخ الكليني معنوراً حين اوج روايات القول بالتحريف في باب النوادر يقينا منه بما أورده من روايات أخرى تنقضها، وضعها في أبواب الفقه فما عذر حفاظ (أهل السنة والجماعة) كالبخري ومسلم وغيرهما وقد أوجروا روايات التحريف في أبواب الفقه من كتبهم الموسومة بالصحة:

البخري يتبنى روايات التحريف:

- أخرج بسنده عن عمر بن الخطاب: "... ثم كنا نقواً فيما نقواً من كتاب الله: "أن لا توعوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن توعوا عن آبائكم". ج8 ص169 وفيه أيضاً روايتان أخريان تتحدثان عن وقوع النقيصة في القآن ولربح أخر تقول بوقوع الزيادة فيه، إليك مثالا منها:

- أخرج بسنده عن الأعمش عن إراهيم قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الرداء فطلبهم فوجدهم. فقال: أيكم يوقأ علي قراءة عبد الله؟ قال كلنا قال: فأيكم يحفظ، فأشاروا إلى علقمة قال: كيف سمعته يوقأ والليل إذا يغشى. قال علقمة: والذكر والأنثى. قال: أشهد أني سمعت النبي (ص) يوقأ هكذا وهؤلاء يريدون علي أن أوقأ وما خلق الذكر والأنثى والله لا أتابعهم". البخري ج6 ص170 . كما أخرج عدداً آخر من الروايات التي تشير إلى وقوع نقيصة في كتاب الله.

مسلم يتبنى روايات التحريف:

- أخرج مسلم بسنده عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة التوبة، قال التوبة، قال بل هي الفاضحة، ما زالت تقول ومنهم، ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا نكر فيها". مسلم ج8 ص245

- وأخرج عن أنس قال: أتول الله عز وجل في الذين قتلوا في بئر معونة وأنا وأنا حتى نسخ بعد: "أن بلغوا قومنا أن قد لقينار بنا فوضي عنا ورضينا عنه". مسلم ج2 ص136

- وأخرج عن أبي الأسود عن أبيه قال: بعث أبو موسى الأشعوي إلى قواء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قوعوا القآن فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقواءهم، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم، وأنا كنا نقواً سورة كنا نشبهها في الطول والشدة بواءة فأنسيتها غير أنني قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى واديا ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا القواب، وكنا نقواً سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فأنسيتها غير أنني حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فنكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة". مسلم باب كراهة الحرص على الدنيا. وأخرج كذلك روايتان أخريان.

أحمد بن حنبل يتبنى روايات التحريف:

- أخرج أحمد عن أبي بن كعب قال: أن رسول الله (ص) قال: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال فقرأ: لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب. قال فقرأ فيها: ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا فلو سأل فأعطيه لسأل ثالثا ولا يملأن جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب. المسند ج2 ص42 و43 - وأخرج عن أبي بن كعب قال: لقد قرأتها مع رسول الله (ص) مثل البقرة أو أكثر منها وإن فيها آية الرجم. المسند ج5 ص132 وفي الكتاب ست روايات أخرى. المتقي الهندي صاحب كنز العمال يتبنى روايات التحريف:

- أخرج عن أبي إدريس الخولاني أن أبا الرداء ركب إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ومعهم المصحف الذي جاء به أهل دمشق ليعضوه على أبي بن كعب وزيد بن ثابت وعلى أهل المدينة، فقرأ يوما على عمر بن الخطاب، فلما قرأ هذه الآية: إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام". فقال عمر من أوأمكم؟ قال أبي بن كعب فقال لرجل من أهل المدينة أدع لي أبا، وقال للرجل الدمشقي انطلق معه فذهبا فوجدا أبي بن كعب عند منزله. فلما أتى عمر قال لهم اقروا فقرأوا: ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام. فقال أبي: أنا أوأتهم. ج2 ص59 و60 وفي الكتاب 11 رواية أخرى تتضمن نقصا في القرآن.

جلال الدين السيوطي بين وه المنثور والإتقان يروي تحريف القرآن:

- أخرج السيوطي في الدر المنثور ج 6 ص 422 وابن مردويه عن عمر بن الخطاب قال، قال رسول الله (ص) القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف... ذكره بن حجر في لسان الميزان 5 ص272 ومن المعروف أن القرآن الآن يعد ثلاث مائة ألف حرف وكسوا. وهو لا يبلغ ثلث العدد الذي قاله عمر. فيكون المقصود من الخليفة الثاني ضياع أكثر من ثلثه خاصة إذا قرنا الرواية الأولى بالروايات التي تلي:

- أخرج السيوطي أيضا في نفس الكتاب وفي الإتقان أيضا قال عمر لعبد الرحمن بن عوف ألم نجد فيما أقول علينا أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة فإننا لم نجدها قال أسقط فيما أسقط من القرآن. وأخرجه صاحب كنز العمال ج2 ص576. الإتقان للسيوطي ج 2 ص 35.

- أخرج السيوطي كذلك في الدر المنثور ج 5 ص 179 عن ابن عباس قال: أمر عمر بن الخطاب مناديه فنادى الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس لا تخزعن من آية الرجم فإنها آية تولت في كتاب الله وقرأناها ولكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد. وروى صاحب كنز العمال ج 22 ص 480 من مسند عمر عن حذيفة قال قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدون سورة الأحزاب قلت 72 أو 73 آية قال: إن كانت لتقرب سورة البقرة وكان فيها آية الرجم. أخرجه ابن مردويه وأحمد بن حنبل في مسنده ج 5 ص 134 عن أبي بن كعب، والحاكم في المستدرج ج 2 ص 415 و ج 4 ص 359 والبيهقي في سننه ج 8 ص 211 والإتقان للسيوطي ج 1 ص 35.

- أخرج الثعلبي في تفسيره، في قوله تعالى: "إن هاذان لساوران" أن عمر قال: إن في المصحف لحنا وستقيمه العرب

بالسنتهم، وقيل له ألا تغره؟ فقال دعه فانه لا يحلل حراما ولا يحرم حلالا. ذكر ذلك ابن قتيبة في كتاب المشكل.

- أخرج عن عائشة: كان فيما أتزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات وتوفي رسول الله (ص) وهن مما

يقوأ من القوان. وقد أخرج كل من مسلم والبخري وأصحاب السنن والمسائيد. الإقتان ج2ص22

- أخرج عن حميدة بنت أبي يونس قالت قوأ علي أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة: " ان الله وملائكته يصلون

على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأولى". قالت قبل أن يغير عثمان

المصاحف. الإقتان ج2ص35.

- وأخرج عن أبي موسى الأشعري قال تولت سورة نوح واة ثم رفعت وحفظ منها: إن الله سيؤيد هذا الدين بأوام لا

خلق لهم.

- أخرج السيوطي عن ابن عمر قال: لا يقولن أحدكم أخذت القوان كله وما يبريه ما كله فقد ذهب منه قآن كثير، ولكن

ليقل قد أخذت منه ما ظهر.

- وأخرج عن عائشة أيضا قالت: كانت سورة الأحزاب قوأ في زمن النبي (ص) مائتي آية فلما كتبها عثمان لم نقدر منها

إلا ما هو الآن. الإقتان ج1ص35.

- وأخرج عن مالك أن أول سورة واة سقط وسقط معه البسمة فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها.

- وأخرج نقلا عن مستترك الحاكم قول حذيفة: ما تقرؤون ربعها -يعني واة-. الإقتان ج1ص26.

- وأخرج نقلا عن المنوي في كتابه الناسخ والمنسوخ: ومما رفع رسمه من القوان ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا

القنوت في الوتر وتسمى سورتي الخلع والحفد. الإقتان ج1ص26.

وان عجبت من هذه الروايات فاعجب أكثر مما أخرج ابن ماجة في سننه ج1ص625 عن عائشة قولها: لقد تولت آية

الوجم ورضاعة الكبير عشرا ولقد كان في صحيفة تحت سروي فلما مات رسول الله (ص) وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها.

أبو داود يتبنى روايات التحريف في مسنده:

لم يشذ أبو داود عن غيره فنقل روايات التحريف التي أشرنا إليها، غير انه اخرج هذه الرواية والتي تتحدث عن تفسير

القوان الذي تجاهله اكثر المسلمين والذي لا يقل قيمة عن ألفاظه وحروفه:

أخرج عن المقدم بن معدي كرب عن رسول الله (ص) قال: "ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شعبان على

رأيكته يقول عليكم بهذا القوان فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه". سنن أبي داود ج2ص260

وأخرجه أحمد أيضا.

ذلك هو مصحف فاطمة الذي حفظه الإمام علي عليه السلام كتابة وأحصاه علما عندما كان الصحابة يصفقون بالأسواق

ويشككون في عصمة النبي (ص) بمنع الكتابة عنه قائلين بأنه بشر ينكلم في الغضب والرضا.

كما أخرج ذلك مسلم النيسابوري، وتتبعه الرافضون له حتى بعد وفاته فحرقوا ما جاء به الناس.

نقل الذهبي في تذكرته ج1ص5 أن أبا بكر أحرق 500 حديث وكذلك فعل عمر ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء منه فليمحه.

وجاء عثمان متمما ذلك كله بحرق المصاحف التي طالتها يدها والتي حوت تفاسير الرسول (ص). تلك الحرائم عدت في تصور هواة البدع والأباطيل فضائل والا فما معنى حرص هؤلاء ظاهرا على اختصار القرآن دون معانيه، الدعوة التي أسس لها عمر بن الخطاب بالقول عند رسول الله (ص) وهو على فراش الموت: "إن النبي ليهجر (يهذي ويخلط) وعندنا القرآن حسبنا كتاب الله".

وقد نقل المؤرخون والحفاظ وأصحاب السير تلك الحادثة الأليمة ولم يجرأ واحد ممن أشرب قلبه بحب عمر على القول: إن موقف عمر خاطئ وأقرب للنفاق منه للإيمان، مع أن عمر وقف عاجزا عن إرواك كثير من ألفاظ القرآن، ناهيك عن معانيه وأنه أكثر الناس رواية لوقوع التحريف في القرآن.

رغم كل الروايات والنصوص التي جمعتها - وعلماء الشيعة على رواية وإحاطة بها- لم يقف عالم واحد منهم لبيتهم أهل السنة والجماعة حفاظا واتباعا بتحريف القرآن أو القول به لأنهم يعلمون أنه ليست كل الروايات التي يخرجها حفاظ المذاهب في مسانيدهم مؤمنة لهم، ولا لمذاهبهم إنما هي الأمانة العلمية التي حتمت نقل ما صح سنده في رأي الناقل.

والرواية وإن نونها جهابذة الحفاظ في كتبهم لا يصح الأخذ بها حتى تنرس سندا وممتنا.

والذي عليه إجماع الفرق الإسلامية قاطبة هو رد تلك الروايات لحصول العلم بعدم تحريف القرآن لفظا.

إن المصحف الذي بين أيدي الناس اليوم هو المصحف الذي عند أهل البيت عليهم السلام.

إن دعوى وصول القرآن إلينا بالتواتر من طريق القوآت السبع أو العشر لا تصح علما وإجمالا لأنها في حقيقتها قوآت

آحاد واجتهادات أفراد، مع أن الذين أخذوا عنهم لا يتعدى الاثنين عن كل قارئ بواسطة أو بدون واسطة وهو مما لا يتحقق به تواتر ظاهرا.

نعم تصح دعوى تواتر وصول القرآن إلينا عن طريق أهل البيت عليهم السلام لاختصاصهم بذلك.

فهم الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهم المطهرون الذين يمسونه (يفسرونه) حقيقة كما أقر، ولو

كان القصد من المس هو اللمس لقال تعالى لا يلمسه، لأن المس معنوي واللمس مادي.

وهم الإمام المبين الذين أحصى الله تعالى فيهم كل شيء، وهم من عندهم علم الكتاب كما في الآية.

وهم عدل القرآن وثقله وبلفظ آخر القرآن حروف وهم معانيه، متلزمين غير مفترقين كما في حديث الثقلين الذي أكد فيه

الرسول الأعظم (ص) على ملازمة العزة الطاهرة لكتاب الله فقال: "اني ترك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي

أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض" رواه مسلم والترمذي وابن كثير في تفسيره،

وغيرهم مما لا يسع المقام لذكرهم، وللحديث دلالة على وجوب التمسك بالكتاب والعزة الطاهرة عليهم السلام فهما مجتمعان

عاصمين من الضلالة، وفيهم قال الإمام علي عليه السلام: "فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمان إن نطقوا صدقوا وإن

صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد أهله وليحضر عقله ". نهج البلاغة ج2ص270.

وان كنت منصفا أيها السني ألا تستحي من هذا الذي يدعي أنه من أتباع مذهبك بل هو عالم من علمائك يتطاول علينا بأقل ما هو موجود عنده، ومع ذلك لا نقول نحن ولا علمائنا إن أهل (السنة والجماعة) يقولون بتحريف القرآن.

كل ما لوجه منك إن كنت تخشى الله وتتجنب عصيانه أن تحتاط لنفسك ودينك.

فكر بعقلك قبل أن تتساق بعاطفتك، لتأييد دعوى برفعها هذا أو ذلك لغايات خبيثة وأهداف خسيصة، وتكتلات تعمل في الخفاء تريد بالإسلام وأهله شوا لا يهمهم من أصابوا منه مقتلا شيعيا كان أم سنيا، ولا تذهبن بك المذاهب في التماس شواذ الروايات، واتباع أديعاء الفتن ومفوقي الجماعات واسال نفسك أين كان هؤلاء الناعقون الفتانون الذين يتعلقون بكل ما هو غريب، وخرج عن الفطرة والعقل عندما كان أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم يرفعون راية الإسلام بعلمهم ومواقفهم؟ ومن ادعى تحريف القرآن لفظا وسعى إلى إلصاقه بالشيعة فهو إما جاهل لابد أن يقر بجهله ويعتذر على أن لا يعود لمثله، أو منحرف عن إجماع المسلمين من الفريقيين فلا يلومن إلا نفسه.

ابحث لنفسك عن طريق النجاة وقد توقفت بأمة الإسلام السبل، قبل أن يفوتك الفوت ويدركك الصوت، يوم يناد المنادي من مكان قريب.

دعوى جمع القرآن بعد الرسول (ص) علية من الصحة لم يجد مبتدعوا هذه المقولة من ملجأ يقوي ركنهم غير الاتكاء على دعوى مهزوزة الأركان بعيدة عن الواقع، وهي في حقيقة الأمر موقف سياسي رأوا من خلاله الصفح عن تفاسير الرسول (ص) والاستغناء عنها، فجاؤا يزيد بن ثابت وبابي بن كعب، دون علي بن أبي طالب عليه السلام ليصنعوا مقاما لن يبركوه بادعائهم جمع القرآن بعد الرسول (ص) كأنما تدلرأ تقصير الرسول (ص) في أداء رسالته، وتضييع كتابه هباء وأشلاء بين الناس، بمنأ عن الصفة الطاهرة، فانحرفهم عن أهل البيت عليهم السلام واضح لا يحتاج إلى دليل، حتى من يمت إلى الطاهرين بصلة أو بسبب كابن عباس الذي يلقبه هؤلاء بحبر الأمة وتوجمان القرآن ترك ولم يحسب له حسابا في عملية جمعهم الزعومة، وإلا لماذا يرفض مصحف علي عليه السلام من قبل الخليفة الأول والثاني؟ لولا وجود تفسير رسول الله (ص) فيه، وكيف تفرق الأمة بين القرآن علي عليه السلام والرسول الأعظم (ص) يقول: "علي مع القرآن والقرآن مع علي". وملازمة علي عليه السلام للقرآن أوضح من أن يساق لها دليل، فهل تبقى لجمع بعض الصحابة للقرآن قيمة، فتأمل.

أما ما ذكره من دعوى نزول القرآن على سبعة أحرف، فكلام غير قائم على دليل، ولو كان ذلك صحيحا فلماذا أهرق عثمان المصاحف؟ لقد ثبت عند الهداة من الأئمة الطاهرين أن القرآن قول على حرف واحد، وهو في مجموعه وحدة واحدة

بلسان عربي مبين.

هذا هو قرآن المسلمين الشيعة، وإحاطتهم به تغني عن مزيد البيان، ولمن أراد المزيد فليعد إلى مصادرنا وتفسيرنا وكتبنا، فهي منتشرة في الآفاق وتملا الطباق، ليس فيها زيادة ولا نقصان تشهد بان القاذفين بتهمة التحريف على الشيعة هم أهل الكذب

والتحريف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



متولة أهل البيت عليهم السلام في الإسلام

إلى من لقبهم المولى في محكم تقويله بالأوار، وسماهم بأهل الذكر، ووصفهم بالصادقين، إلى هداة هذه الأمة، أهل الشهادة فيها، ورجال الأعواف منها، إلى دعائم الاسلام، وولائج الاعتصام إلى حبل الله المتين، وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، والصواب المستقيم منذ توفي سيدهم امام المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا، إلى يوم الدين، الى من موت صفحتهم بيضاء ناصعة نقية، الى الأمثلة الحية في هذه الأمة، الى عناوين الهداية، ومواطن الولاية، أهدي هذا العمل المتواضع سائلا المولى العلي القدير أن يتقبله خالصا مخلصا لوجهه الكريم، معتزوا عن التقصير، لأنني مهما فعلت فانني سوف لن أفيهم حقهم وأسأله تعالى أن يوفقني لأداء خير منه، انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير .

بسم الله الرحمن الرحيم

ما فتى الوحي الالهي يولي أصحاب الكساء عليهم السلام اهتماما بالغا، ويخصهم بعنايته منذ فجر النبوة، فأقولهم متولة رفيعة مطابقة لما ابوه من تجانس، لما تتول على سيدهم صلى الله عليه وسلم وعليهم من الآيات والأحكام، وكيف لا يكونون السابقين إلى الخوات، وهم أهل بيت النبوة ومترل الوحي ومختلف الملائكة، وأول من عاين الأمر، وأول من تلقاه وأول من بادر إليه يقول في ذلك أمير المؤمنين ويعسوب الدين وقائد الغر المحجلين علي ابن أبي طالب عليه السلام:

" وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقوابة القويبة والمتولة الخصيصة وضعني في حوجه وأنا ولد يضمني إلى صوره ويكفني فاشه ويمسني جسده ويشممني عرفه وكان يمضغ الشيء ويطعمني ويلقمني. وما وجد لي كذبة في قول ولا خطله في فعل. ولقد قون الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيما، أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكلم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهوه، ولقد كنت أتبعه اتباع الفيصل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالافتداء به، ولقد يجاور في كل سنة بجواء فرأه ولا واه غوي، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام، غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخديجة وأنا ثالثهما رى نور الوحي والرسالة، وأشمر رائحة النبوة. لقد سمعت رنة الشيطان حين تول الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال هذا الشيطان أيس من عبادته، انك تسمع ما أسمع وترى ما رى، الا أنك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير".⁽¹⁾

لم يفقه كثير من المسلمين متولة أهل البيت عليهم السلام، ولم ينالوا من ذلك الصوح حظا لأسباب مختلفة هي:

1 . تجاهل الجبل الأول من المسلمين لمكانة أهل البيت عليهم السلام، الأمر الذي سهل عملية دفعهم عن قيادة الأمة،

وصرفهم عن هدايتها.

2 . سياسة الترهيب المتبعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لاختضاع الناس للحكومة التسلطة

. حملة الدعاية المغرضة التي شنت عليهم، والتي وقف وراءها دهاة العرب كالمغوة بن شعبة، وعمرو بن العاص

وغرهما، ممن كان يغذيها معاوية بن أبي سفيان بالأموال، لنشر المفتريات على أهل البيت عليهم السلام، وتصغير صورتهم التي منحها له تعالى لهم مقابل تضخيم صور أناس ما كان التلويح ليذكر لهم فضلا لولا دعايات هؤلاء..، مما غيب الصورة الناصعة للطاهرين من آل محمد عليهم السلام من أذهان أكثر الناس، الذين كان همهم الدنيا، كما هو شأن الناس الآن.. افتعلت الفضائل لتثريش عقيدة العامة، بخصوص الصحابة، وتلك الفضائل التي ضعفتهم على صعيد واحد مع أهل البيت عليهم السلام بل وبديلا لهم، حتى أتى زمن أصبح فيه المعرفة نكرة والنكرة معرفة، وانقلبت المولدين.

ان الذي ألبس على المسلمين دينهم معاوية بن أبي سفيان، الذي بعد أن استتب له الأمر كتب إلى عماله في جميع الآفاق: أن برئت الذمة ممن روى شيئا في فضل أبي تواب (يقصد به الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) وأهل بيته. فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليه ويبرئون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته...

وكتب أيضا: ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن: أنظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدتوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم وأكثروا إلي بكل ما يروى كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشورته.

ففعلا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنزل والدنيا.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين (مثنى وليس جمعا بنصب اللام وحزم الياء، فمعاوية لا يعترف بأبي الحسن أصلا)، فلا تتركوا خوا يرويه أحد من المسلمين في أبي تواب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فان هذا أحب إلي وأقر إلى عيني وأدحض لحجة أبي تواب وشيعته، واشد إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية، القواء العراون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحضوا بذلك عندولاتهم، ويقروا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنزل.

حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها، ولا تدينوا بها. (2)

4 . ضياع الأحاديث الصحيحة بسبب أو بأخر كاحراق ما كتب منها أو محوه فهذا الخليفة الأول أبو بكر ابن أبي قحافة، قد أحرق 500 حديث كانت عنده، وكذلك فعل الخليفة الثاني عمر، وما كتبه إلى عماله: من كان عنده شيء من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليمحه. (3) أو بموت الرواة، أو الاغواض عن رواة معينين منهم، أو تعمد اهمال الأحاديث وعدم جمعها ما زاد عن قرن ونيف من الزمن.

5 . جهل جانب من الصحابة بالقيمة التشريعية للأحاديث النبوية، مما دفع بفيق منهم إلى النهي عن كتابة ما يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بدعى أنه بشر يتكلم في الغضب والرضا⁽⁴⁾ ودفع آخرين للدعوة إلى الغاء أقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عندما تصورا له يوم الخميس في أخريات أيامه ليكتب اليهم وصية من الأهمية بما كانت، لقوله هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا.

ومن كان متصديا للنبي صلى الله عليه وآله، مجتريا عليه مثلما فعل من قبل في صلح الحديبية، هو نفسه الذي قاد حملة التشكيك في حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولعل ما كشفه القوان الكريم من مملستهم تجاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يغني عن اللجوء إلى الآثار والأخبار الأخرى فقد صوحت الآيات القوانية العديدة بحالهم قائلة: "ان الذين ينادوك من وراء الحوات أكثهم لا يعقلون".⁽⁵⁾ " يقولون هو أذن"⁽⁶⁾ " لنرجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعر منها الأذل"⁽⁷⁾ وما حصل في قصة الافك، من تتلوع وشجر على موى ومسمع من رسول الله (ص) إلى التصدي لذلك مما لو استقصينا أثره لتطلب افواد بحث كامل بخصوصه وقد دفع الحقد بكثير من الصحابة منلوة أهل البيت عليهم اللام والتخريب ضدهم والقسوة عليهم مما دفع رسول الله (ص) إلى التصدي لذلك كما فعل مع بريدة عندما جاءه بسعاية في علي عليه السلام، وعلم منه بغضه له قائلا: " لا تفعل فانه لا يحب عليا الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق".⁽⁸⁾

وان عجبت من شيء فأعجب من عبد الله بن الزبير الذي لبث فرة استيلائه على مكة أربعين جمعة لا يصلي على النبي (ص)⁽⁹⁾ ومنها ما عبر عنه عمر الخليفة الثاني كناية عن قريش عندما قال للعباس: " لقد كوهت قريش أن تكون فيكم النبوة والخلافة"⁽¹⁰⁾ فأنظر أصلح الله حاله وحال المسلمين كيف يجوزون لأنفسهم الامتناع من الصلاة على النبي (ص) ويوضى المصلون وراءهم بذلك.

ومن قريش هذه التي تنهى عن الكتابة عن الرسول (ص) كما في حديث عبد الله بن عمرو، وتكوه أن تكون النبوة والامامة في أهل البيت عليهم السلام كما في قول عمر؟ أفوضها المولى سبحانه وتعالى على دينه؟ أم اختصها رسول الله (ص) بما لم يخص به غوها؟ أم ان المسلمين قد أوكلوا لها التعبير عن آرائهم في الدين وجعلها حجة وقانونا؟. ثم أي دين هذا الذي تكون فيه قريش وهي كل من هب ودب من مكة تقلا في الدين وعدلا لله ولرسوله، تأمر وتنهاي وتحب وتكوه، وتصير ذلك حكما فوق حكم الله؟

ولا أخالني مجانبا الحق، اذا ما قلت أن قريشا هذه التي يعلق عليها الرواة والمحدثون والحفاظ أقوالهم لا تتعدى كونها حقيقة واحدة، وهي كناية لحزب الشوك الذي حارب الله ورسوله 20 سنة ثم أبطن الشوك وأظهر الاسلام، فأصبح الحزب حزب النفاق، أما الاستعرة فقد بقيت هي.. هي.. قريش.

ونحن اليوم بعد مرور أربعة عشر قونا كاملة نرى أنه من الواجب بل من ضرورات الدين أن نرفض كل التراكبات التي غيبت أهل البيت عليهم السلام عن الحضور الفاعل في وجدان الأمة وعقيدتها، وأن نعيد لهم حقهم المغتصب اعادة نهائية

وتامة، بعيدة عن كل عصبية أموية موروثية، ليست من الدين في شيء، وأن نسلم الله تعالى بعيدا عن الاصوار على أخطاء لا يمكنها أن تستمر، مقابل حقائق ورايين يقينية وردة في القوان الكريم والسنة المطهرة، على صاحبها أفضل صلاة ورُكِي تسليم وعلى آله المصطفين الأخيار، تقول أن للدين أئمة ربانيون، اصطفاهم الله تعالى ليكونوا حفظة دينه، ورعاة شريعته، والقائمين بالقسط عنه، الأمثلة التي تضرب، والآيات التي تظهر لكل جيل من الناس.

البداية تحملنا إلى نقطة جوهرية، عليها مدار البحث ومنها تستمد نتيجته، وهي الاصطفاء أو الاختيار الالهي، ما حقيقته؟ وما أهميته؟ ولماذا؟ قال تعالى: " ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل اواهيم وآل عمران على العالمين نزية بعضها من بعض

" (11)

وقال أيضا: " ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم " (12)

وقال أيضا: " ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا " (13)

وقال أيضا: " يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين".

واصطفى، اصطفا: اختار اختيلا، والمصطفى هو المختار. (14)

واختيار المولى سبحانه وتعالى لأحد من خلقه، لا يكون عبثا وانما لحكمة ولسبب، واذا كان هو خالق الخلق ومنشئ الموجودات من عدم، فهو أعلم بمكوناتهم وأولى بما يسرون وما يعلنون، واصطفاه لمن يوتضي من الوسل للتبليغ عنه، وتجسيم ذلك البلاغ في شخصه عملا وسلوكا جار في القائمين على الدين بعد الوسل، لحاجة البشر دائما إلى مثال ونموذج يكون نصب أعينهم، يقتنون به ويتبعون هداه قال الله تعالى:

" أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده " (15)

لذلك فان اختيارات البشر فيما يتعلق بأمر الدين، كاختيار قائم عليه لا يستقيم لأن الله تعالى اختص به ذاته المقدسة، ولم يشأ أن يشرك فيه حتى رسله. فما ظنك بعموم الناس الذين يفتقنون مقومات الاختيار وقوانين التعيين.

واذا تأملنا في مسوة البشوية منذ أن بدأت تقطع خط الرجعة على أداة الملك والوراثة كاختيار بشوي في الحكم، واعتبروها سببارئيسيا من أسباب التخلف، زى أن تلك التجرب لم تخلف في معظمها غير الظلم والقهر، مما أدى إلى تنافر طبيعي بين عامة الناس وخاصتهم، فتولدت من ذلك رؤى ونظريات جديدة في حكم البشوي كالأشواكية والشوعية والديموقراطية الواسمالية للوصول بالبشر إلى حالات أفضل من العدل والأمن والوخاء والحرية، الا أنه وبعد تجربة طالت القون من الزمن، تبين أن العلة التي فوت الناس من الملك البشوي ظلت قائمة في النظم الجديدة، ولم تكن حال البشوية اليوم أفضل من حالها بالأمس، وبقي الظلم والحييف الاجتماعي، وكبت الحريات وابواز ثروات الشعوب، سمات قائمة في نظم الحكم الجديدة، ولم يتغير من أنوات الحكم سوى الاسم والصفة، وعضا عن الحكم الوراثي المتعرف عليه قديما، جاء الملك الجمهوري، وبدل تسلط الواحد، أصبح تسلط الفئة التي ترتبط فيما بينها بمجموعة مصالح، عنوانا لنظم الحكم الحديثة، كل ذلك مرجعه أن البشوية قد عدلت عن الخط الالهي كأداة للحكم، وانتهجت سبلا أخرى غير سبيله لجهلها بمقومات ذلك الخط أو لعدائها له.

ومهما بلغت البشرية من معرف وعلوم فانها ستبقى قاصوة عن بلوغ النظام الأمثل للحكم بينها، لأن علاقاتها محكومة بالنعوات والمصالح، ولم يمتدح المولى سبحانه وتعالى رأي أغلبية الناس ولا نوه بجمعهم الغفير، بل كانت الآيات النزلة في شأنهم تتالي ذامة ومبينة خطأ دعوة حرية اختيار الناس لمن يقودهم بعد النبي (ص) فقد قال عز من قائل:

"وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الظن وان هم الا يحرصون" (16)
- "وان كثروا من الناس لفاسقون" (17)

ومقابل ذلك امتداح القلة ونوه بخصالها، وزكى أعمالها وبركها فقال تعالى:
- "وقليل من عبادي الشكور" (18)

- "وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثرة باذن الله" (19)
- "وقليل ما هم". (20)

مبيناً أن مسألة الاختيار أمام هذه المعادلة راجعة له بالنظر قال تعالى: " وربك يخلق ما يشاء ويختار من كان لهم الخوة". (21)

ولجسامة تلك المسؤولية فقد ألقى المولى منها نبيه الأكرم (ص) بقوله " ليس لك من الأمر شيء " (22) فكيف لا يكون أمر الاختيار لنبي الله (ص) وقد اصطفاه المولى سبحانه وتعالى، وجعل ولايته وطاعته مستمدة منه، ويكون للناس وقد نبذهم الا قليل منهم؟

ولنا أن نتساءل هل جاعنا الدين الاسلامي، الذي هو خاتم الرسالات السماوية، ليقودنا في الدنيا ونستتير بهدي احكامه، ونستظل بعدالة حكومة نعطيها من أنفسنا الولاء والطاعة، ولا ندخر جهداً من أجلها، لأنها حامية الدين وقائمة عليه؟ أم أن الدين مجرد طقوس فودية، وما زاد على ذلك فللناس فيه رأي وتصريف؟ وبمعنى آخر، هل تحديد نوعية الحكومة بعد النبي (ص) ضرورة من ضرورات الدين؟

أم أن ذلك ليس من الدين في شيء والأمة هي المرجع في الاختيار؟

انقسم المسلمون في ذلك إلى قسمين: واحد يقول بأن النبي لم يستخلف أحداً قبل مماته وأن الأمة لها حرية الاختيار لقائم عليها بعده (ص)، وآخر يقول بأن أمر الاستخلاف أمر طبيعي يقبله العقل وتوه شريعة الاسلام وشوائع من قبلنا، واستدلوا على ذلك من بنصوص عديدة نحن في صددنا.

أما القسم الأول فقد نسب لدين الله القصور، وفصل الدين عن الحياة بنفيه لخصوصية الهيئة وركوة من ركائز الدين، عليها مدار الشريعة ومنها تستمد البقاء.

وكيف سيكون حال الأمة من دون امام وقدر حل امامهم الأكبر؟ والأمة مقبلة على تحولات كبيرة كانتشار للدين وتوسع

البلاد.

وان الخطر الذي كان يتهدد الدين في عهد النبوة لم يتغير، بل سيؤداد في غياب النبي (ص).

فالمنافقون وحزبهم لم يهدأ لهم بال في سبيل الاجهاز على رسالة الاسلام مضافا إلى ذلك خطر الوم والفوس.

وجيل الصحابة كما صرح به القوان الكريم ثلاث طبقات: المؤمنون ومن في قلوبهم مرض والمنافقون.

(23)

قال تعالى: " هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا".

والمنافقون ليسوا بالحزب الصغير ولا بالعدد الهين، مضافا اليهم من في قلوبهم مرض وهم المرتابون والمتشككون الذين

وقفوا بين الايمان والنفاق، لا يدرون ما يفعلون ولمن يميلون.

ولعل قوة حزب النفاق تكمن في طبيعة أواده المبطنة للعداء للدين والمظهرة للولاء له.

قال تعالى: " يقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول".⁽²⁴⁾ وقال أيضا: " لقد ابتغوا الفتنة وقلبوا

(25)

لك الأمور".

حتى بلغ بهم الأمر إلى تحريض اليهود والنصرى على المسلمين. قال تعالى: " ألم ترى الذين نافقوا يقولون لآخوانهم الذين

(26)

كفروا من أهل الكتاب لئن خرجت لخرجنا معكم".

ولم يتسن لرسول الله (ص) معرفة الكثير منهم رغم أنهم من صحابته، قال تعالى: " واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان

(27)

يقولوا تسمع لقولهم".

(28)

وقال أيضا: " وممن حولك من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم ونحن نعلمهم".

هم هؤلاء الوحيد هدم الدين بكل وسيلة كالسعي لاثرة الفتن بين المسلمين وقلب الأمور على الرسول الأكرم (ص) وان

كانت جراتهم قد بلغت ذلك الحد فليس من قلة.

واذا حاولوا قتل النبي (ص) أكثر من مرة فانهم سيقتحمون بعد وفاته ما فاتهم من ميادين في حياته (ص)، وستكون شوكتهم

أقوى وسطوهم أشد، والذي بني مسجد ضورا لمحاربة الله ورسوله سيعيد الكوة بأسلوب آخر وبشكل آخر، ولا مخبر عن

حالهم بعد ذلك. (هذا طبعا في تصور الذين يعتقدون أن الألفاظ الالهية تنتهي بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله) لذلك ولاهم

القوان الكريم عناية خاصة فتحدث عنهم وفضح مؤبراتهم وكشف زيفهم ونفاقهم في أكثر من 13 سورة وانية وأورد لهم

سورة خاصة بهم، سماها باسمهم.

لقد كانت الوسيلة الوحيدة لمعرفة المنافقين والتأكد من مكنونات صدورهم اظهار بغضهم لعلي وعدائهم له، والسعي ضده

والوقعية فيه كلما سنحت لهم الفرصة بذلك.

فأصبحت تلك المزة شعورهم حتى قال بعض الصحابة " كنا نعرف المنافقين ببغضهم لعلي " رغم ذلك لم يردنا من

أسماءهم ولا أخبرهم شيئا رغم أنهم سعوا إلى قتل رسول الله (ص) وكانت أسماءهم عند حذيفة ابن اليمان، ومع ذلك محيت

تلك الأسماء من التاريخ، وطمست ولم يعد لها أثر. لسبب واحد لا ثاني له وهو أن في حزب النفاق صحابة عدة ضخم من

شانهم معاوية وبنو أمية ورفع أسهمهم في أعين المسلمين. بهم رُيح الأئمة الهاء والقادة الوار للأمة، وفصل الدين عن الحياة

وبهم عادت الجاهلية الاولى، وعلى أيديهم افتتح مضمار الودة عن الدين.

ولا يفوتني أن أشير هنا إلى أن المولى سبحانه وتعالى قد أنبانا بانقلاب الصحابة بعد النبي (ص) بقوله: " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم".⁽²⁹⁾ وألم يخبرنا الرسول الأكرم (ص) في أحاديث الحوض بقوله: " ليردن علي أناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي فيقول لا تنوي ما أحدثوا بعدك".⁽³⁰⁾

وفي حديث آخر: " فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم".⁽³¹⁾ وفي حديث آخر: فأقول سحقا لمن غير بعدي".⁽³²⁾ مضافا إلى ذلك النظام القبلي والعشائري الذي كان سمة ميزت المجتمع العربي في الحجاز حيث كان للعادات القبلية أكبر دور في حياة الفرد، وعلى تلك الوثرة كانت تحوي المشاحنات الكلامية والعسكرية بين القبائل، وكانت تستمر فترات طويلة من الزمن لأتفه الأسباب، كحرب البسوس وداحس والغواء، ويوم بعثت وغوها، ذلك النظام القبلي المتجذر والمتغلغل في النفوس لم يكن لينزل بمجرد دخول تلك القبائل في الاسلام، وكان موشحا للظهور بمساويه وتوسباته كلما وقعت مذاكرة لأحداثه، أو هرت مشاحنة بين بعض المنتسبين اليه أو سعى ساع لغاية ما إلى اذكاء روحه التي لم تغادر صدورهم.

وظلت باقية كالنار تحت الرماد، كما فعل اليهودي شاس بالأوس والخزرج⁽³³⁾ وكما وقع بين المهاجرين والأنصار بعد عودتهم من غزوة بني المصطلق⁽³⁴⁾ والقستان معروفتان.

فقدم هؤلاء في ما كانوا عليه وتولثهم له أجيالا متعاقبة وحدثة عهدهم بالدين الجديد لا يمكن أن تلغي عقلية النظام القبلي، ولا تركيبته في حياتهم بمجرد دخولهم في الاسلام، ومكثهم فيه فترة لا تكفي لمحو تلك الآثار، والتي كانت تطفو على السطح كلما حركها مغرض أو جاهل.

بل ان منهم من كان دخوله للدين ليأكل به دنياه كما يظهر من كلام سيد بني عامر الذي قال لرسول الله (ص): رأيت ان نحن بايعناك على أموك ثم أظهرك الله على من خالفك، أكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال له النبي (ص): " الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء "⁽³⁵⁾ فزاهم يفكرون في أمر الحكومة بعد النبي (ص) ويطمعون في أن يكون لهم نصيب فيها، وفيهم من اتخذ الدين مطية للوصول إليها، ولا يحسب لله ولا لرسوله حسابا - أفزى هؤلاء وهم على تلك الحال سيقفرون الحاكمة الشرعية بعد النبي.

مضافا إلى ذلك عامل الجهل الذي كان متفشيا بشكل مطلق في تلك القبائل على وجه العموم، وصحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجه الخصوص، والعرف فيهم لا يتعدى كونه نسابة أو شاعر وحتى أولئك لا تجد فيهم من يحسن القواء والكتابة الا الشاذ.

وقد أثرت محدودية معرفهم وضحالة علومهم في سوعة استيعابهم للدين الجديد، والمتتبع لكتب التاريخ والسوة يلاحظ قصورهم عن الواك وفهم أجلي المعاني القوانية المفسوة ككلمة " أبا "⁽³⁶⁾.

مع ما كانوا يعانونه من قسوة المناخ ومحدودية التكسب، دفعت بأكثر هؤلاء إلى الضرب في الأرض، والبحث عن مورد رزق يقاتون منه، أخذ جل وأقاتهم وحال بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلم يسمعا منه الا القليل، وذلك

القليل ليس حكما من الأحكام المتعارف عليها بفعل كثرة تطبيقه، كالوضوء أو صلاة الجماعة أو صلاة الجنزة، ولا ما أشكل عليهم فهمه كاقامة بعض الحدود، كحد قطع يد السارق وحد شرب الخمر.

فقد أنت عليها سوعة النسيان، وعفت على ما كانوا يتعاهدونه يوميا من عبادات، فعلى سبيل المثال اختلف الصحابة في عدد تكبيرات صلاة الجنزة ولم تمض على وفاة النبي ثلاث سنوات، وهي التي كانت تتكرر على عهده صلى الله عليه وآله وسلم، أناس لم يستطيعوا عقل تكبيرات بعدد أصابع اليد الواحدة، أفترأهم يحفظون معالم حكومتهم بعد النبي (ص) وهي لا تزال نظرية غير مطبقة؟ أو يفهمون مقصد الشروع المقدس من معنى الامامة بعد النبوة؟ مضافا إلى ذلك انشغال جانب آخر من الصحابة فيما لا يعني ولا يفيد، واستعاضتهم بالصفق في الأسواق عن مجالسة رسول الله (ص) ⁽³⁷⁾.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في شوح نهج البلاغة " وكان أصحاب النبي أقساما، فمنهم من كان يهاب أن يسأله، وهم الذين يحبون أن يجيء الأعوabi أو الطرئ فيسأله وهم يسمعون، ومنهم من كان بليدا في الفهم قليل الهمة والنظر والبحث، ومنهم من كان مشغولا عن طلب العلم وفهم المعاني اما بعبادة أو دنيا، ومنهم المقلد يرى أن فوضه السكوت وترك السؤال، ومنهم المبغض الشائئ الذي ليس للدين عنده من موقع ما يضيع وقته وزمانه بالسؤال عن دقائقه وغوامضه... ⁽³⁸⁾" ولعل أفضل ما قيل في الرواة عن النبي (ص) قول باب مدينة علمه الامام علي عليه السلام حيث يقول: " ان بين أيدي الناس حقا وباطلا صدقا وكذبا ناسخا ومنسوخا واما وخالصا ومحكما ومتشابهها وحفظا ووهما.

ولقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على عهده حنقيا فقال: " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ". انما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتوج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمدا فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، رأى وسمع منه ولقف عنه، فيأخذون بقوله وقد خورك الله عن المنافقين بما أخورك ووضعهم بما وصفهم به لك، ثم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا الى أئمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا وانما الناس مع الملوك والدنيا، الا من عصم الله فهو أحد الأربعة. ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا، فهو يرويه ويعمل به ويقول أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه، ولو علم هو أنه كذلك لوفضه، ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم أنه منسوخ لوفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه أنه منسوخ لوفضه، وآخر رابع لم يكذب على الله وعلى رسوله مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يهجم، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه ولم يزد فيه ولم ينقص منه، فحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام فوضع كل شئ موضعه وعرف المتشابهة ومحكمه.

وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يسأله ويستفهمه حتى انهم كانوا ليحبون أن يجيء

الأعرابي والطرئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعا، وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألت عنه فحفظته.

(39)

فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم".

ويشير صاحب شوح نهج البلاغة لتلك الخاصية بقوله: "واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام كان مخصوصا من نون الصحابة بخوات كان يخلو بها مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله، لا يطلع أحدا من الناس على ما يدور بينهما، وكان كثير السؤال للنبي (ص) عن معاني القوان وعن معاني كلامه (ص) وإذا لم يسأل ابتداءه النبي (ص) بالتعليم والتثقيف، ولم يكن أحد من أصحاب النبي (ص) كذلك..." (40)

ويتضح اذا من خلال ما سوردناه أن معلوية وبني امية من بعده قد جعلوا للصحابة حضا وحضوة عند المسلمين بما ابتدوه في خصوصهم من أحاديث تشيد بهم وتقدهم ليعدلوا بهم الهداة من آل محمد عليهم السلام وليلبسوا عليهم وجهتهم الصحيحة. وهم ان لم يفعلوا ذلك فان غضبهم للإمامة العامة للمسلمين ستكون جريمة مكشوفة وحقا واضحا منزوعا من أهله، تؤكد سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، وافتعال الأحاديث المشار إليها في الصحابة قد تلوحت بين سداجة مفتعلها ودهائهم، كحديث زممار الشيطان الذي يسمعه الرسول ولا يجب سماعه عمر ابن الخطاب، وكحديث عثمان الذي تستحي منه الملائكة ولا يستحي رسول الله منها، وجويل الذي سجد هيبه من اسم ابن أبي قحافة، وأحاديث لو كان الله معذبنا ما نجا الا عمر، ولو لم أبعث لبعث عمر، وكحديث " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم واهتديتم". الذي أقر بوضعه أحمد بن حنبل والزار وابن حزم وغيرهم، من أتباع خط الصحابة، نعوذ بالله من الكذب على الله ورسوله. لذلك وجب علينا كمسلمين الموزنة بين الخطين لأن صراط الله المستقيم واحد.

ان ما بثه فينا الظلمة خدع وأكاذيب ليوردونا موردهم، قال تعالى: "وقالوا ربنا انا أطعنا سائنا وكواعنا فأضلونا السبيلا

(41)

*ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا.."

أما القسم الثاني من المسلمين الذي قال بوجود الاصطفاء الالهي في مسألة الإمامة في الأمة بعد النبي (ص)، فقد بينوا ذلك عقلا ونقلا وقالوا بأن الوحي حذر الأمة من الانحراف عن مسرورها الصحيح، وأؤكد على ضرورة الاتزام بالخط الالهي، والتمسك بهديه والاذعان لأحكامه محنوا من مغبة التتكب عنه أو التشكيك فيه، قال تعالى: " وأن أحكم بينهم بما أول الله ولا تتبع أهواءهم واحنوهم أن يفتنوك عن بعض ما أول اليك فان تولوا فأعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثرا من الناس لفاسقون". (42) وقال أيضا: " أفحك الجاهلية يبيغون ومن أحسن حكما لقوم يوقنون". (43)

ولم يول المولى سبحانه وتعالى من العناية لمسألة حساسة بقدر ما أولى الحاكمية، فقد وردت الكلمة واشتقاقاتها في 83 آية من القوان الكريم وتكررت في 7 آيات منها فيكون ورودها 90 مرة باختلاف اللفظ دلالة على أهميتها عنده، باعتبارها راجعة له ومستمدة منه قال تعالى: " ان الحكم الا لله " (44) وقال أيضا " ألا له الحكم " (45) يقول العلامة السيد محمد حسين الطبطبائي في تفسيره لقوله تعالى: " ألا له الحكم ": لما بين تعالى اختصاصه بمفاتيح الغيب، وعلمه بالكتاب المبين الذي أحصى فيه كل شيء، وتدبوه لأمر خلقه من لدن وجدوا، الى أن رجعا اليه، بين أن الحكم اليه لا إلى غيره، وهو الذي ذكره فيما مر من

قوله: " ان الحكم الا لله " أعلن نتيجة بيانه فقال "ألا له الحكم " ليكون منبها لما غفلوا عنه".

ويضيف الشيخ جعفر السحباني: فاذا لم تكن الحاكمية الا لله تعالى كان اليه وحده التنصيب والتعيين للحاكم الأعلى، اما على الاسم والشخص كما اذا اقتضت المصالح أن يكون على هذا النمط، أو على الصفات والشروط اللازمة فيه، كلما اقتضت المصلحة أن يكون لون الحكومة على هذا الطراز".

وكان هذا أيضا قول السيد محمد باقر الصدر قد سوه الشويف. ⁽⁴⁶⁾ لقد صوح القوان الكريم ولاية النبي (ص) وحكومته على الأنفس فضلا عن الأموال، بقوله سبحانه وتعالى: " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم". ⁽⁴⁷⁾ وولايته وحكومته قائمة بعده لولي الأمور المنصوص عليه بالاسم والشخص لما تقتضيه الموحلة. قال تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" ^(*) كما قال في محكم توقيله: " انا نحن قولنا الذكر وانا له لحافظون". ⁽⁴⁸⁾ وتفسوها في الآية التالية من سورة المائدة، قال تعالى: " انا نحن قولنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء".

ان تقول الذكر يستدعي نزول الوحي عن طريق جبريل عليه السلام على النبي (ص)، وحفظه يستدعي أيضا رعاية الرباني (الامام) له واقامته في الناس وهو المعور عنه بالتعيين الالهي للحكومة على ساس الاسم والشخص. وهو ما كانت تتطلبه القوة الأولى من حياة المسلمين أو غورهم من الموحدين بعد غياب النبي (ص) لأن هذا التعيين كان جار في الوصالات السابقة، ولم يكن خاصا بالاسلام، كما في استخلاف آدم لهبة الله شيث، وسليمان لأصف عليهما السلام عليه السلام واستخلاف موسى ليوشع بن نون عليهما السلام وكما في استخلاف طالوت عليه السلام من قبل أحد أنبياء بني اسرائيل فان رسالة الاسلام الخاتمة لكل الوصالات السابقة أولى.

أما التعيين الالهي على أساس الصفات والشروط اللازمة لحسن القيادة، فهي الموحلة التي تقتضيها غيبة الامام عليه السلام والمعبر عنها بقيادة أو ولاية الفقيه الجامع لشوائط العلم والعدالة. والمشار اليها في الآية بالأحبار والحبر هو العالم بكتاب الله. قال تعالى: " انما يخشى الله من عباده العلماء". ⁽⁴⁹⁾ . فمن ربانيوا أمة الاسلام؟

أشار المولى سبحانه وتعالى في محكم توقيله إلى أهل البيت عليهم السلام في عدد من الآيات القوانية، ووضعهم موضعا كان على المسلمين أن يضعوهم فيه، وبين رسوله الكريم (ص) مكانتهم ولم تكن اشلرته سبحانه وتعالى، وبيانات رسوله (ص) خالية من الأمر لهم بالسمع والطاعة، بل كانت كلها منصرفة إلى ذلك المعنى لكن الأمة أبت غير ذلك، وسلكت في البداية مسلك التجاهل لهم ثم التتكر لأيديهم ثم انحزت لحكومات الظلم في محلرتهم والتكثيل بهم، فورث المتاخرون عقيدتهم في أهل البيت عليهم السلام متحاملة متحرفة من الذين أسسوا أساس الظلم لهم، وبرروا أفعالهم بشتى الأعذار غافلين عن نصوص ربت لتصل عنان السماء رغم اجتهاد المناولين بشتى الطرق في وأدها، كمنع كتابة الأحاديث في فضائلهم وخصائصهم عليهم السلام وحرق عدد منها، وراهب رواتها كما فعل بالنسائي (عغم أنه من أتباع خط الصحابة الذي أسسه معاوية بن ابي سفيان)، وتقتيل عدد منهم واختلاق روايات في فضائل مزعومة لغورهم لتضليل الامة، وصرفها عن قيادتها الربانية.

وتأويل ما خلص من صحيحها وحمله على غير محمله، ومع ذلك فقد فاضت فضائلهم وتسامت مكانتهم، لأنها ربانية وليست أوسمة من صنع البشر، في حين تضاعلت منزل غورهم حتى كادت تدرس، وستصير إلى ذلك لأنها أوهام وأكاذيب " كسواب بقية يحسبه الضمان ماء حتى اذا جاءه لم يجد شيئاً".⁽⁵⁰⁾

وفي ذلك يقول الامام علي عليه السلام متسائلاً عن الذين يدعون مضاهات أهل اببيت عليهم السلام: "أين الذين زعمون أنهم الواسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا؟ أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم وأدخلنا وأخرجهم. بنا يستعصي الهدى ويستجلي العمى ان الائمة من قريش غوسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غورهم".⁽⁵¹⁾

ولو كانت اختيرت البشر صائبة، لما انحرفت الأمة عن مسرّها بالنتكب عنهم، ولما سقطت في تركات الظلم والشرك والتخلف.

ويا عجباً كيف يألف المسلمون لأحاديث وروايات، وعقيدة انبنت عليهما، مرت بين مشرحة الطاهرين في كربلاء، واستباحة مدينة الرسول الاعظم (ص)، وهدم بيت الله الحرام، وتقتيل الأنفس المؤمنة وترويعها وتشويدها في الأمصار، وبعد مرور أكثر من قرن بعد وفاة الرسول (ص) لبدأ كتابتها، وينعتون مجاميعها التي ظهرت بعد بدا الدين بقونين آخرين، بالصاح وفيها ما فيها من الكذب والبهتان والكفر والهذيان، كتجسيم المولى سبحانه وتعالى بالنزول والطوع، وأنه يرى يوم القيامة كالقمر ليلة البدر، وان له رجلا يضعها في النار، وان له أصابع يضع عليها مخلوقاته، وان له جلوسا خاصا، وانه يتنكر ويضحك، ونسبة ما لا يليق بالأنبياء كالكفر والكذب، وحب الباطل والعبث واللهو والركض مع الجوري أمام الناس، والتطاول على الملائكة ومن شاء المزيد فلواجع ما نعقوه بالصاح.

اباتهاك حرم آل محمد (ص) استقام دينهم وصح؟ أم بسفك الدمائهم الطاهرة لتفقت أعلامه؟ أحفظ الأوائل رسول الله (ص) في عوته حتى يحفظوا دينه؟ واذا كانت جرأتهم على الله سبحانه وتعالى قد بلغت سفك الدماء، وأي دماء؟ أفلا يكون ما دون ذلك من تخريب للدين وهدم لواءه، عملا لا يكتسي غضاضة عندهم؟ وكيف يكون للدين عندهم حرمة وقد قتلوا أهله وفعلوا بهم الأفاعيل، رغم الوصية الالهية بحبهم ومودتهم قال تعالى: " قل لا أسألكم عليه أحرا الا المودة في القربى".⁽⁵²⁾

وحدث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله على حبهم وتقديمهم، بمقالة في غاية الوضوح، ليس هذا فقط وإنما تدفع سامعها وواعيها إلى أن يخوض من أجل نبيل رضاهم، والامتنال لأمرالله تعالى فيهم، وحباً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم: " ألا ومن مات على حب آل محمد ومات شهيدا، ألا ومن مات على حب آل محمد مغفورا له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان.

مترلة أهل البيت هي من التوع واشمول بحيث لا يمكنني أن أفق لها على ساحل، ولا أن آتي على ذكرها، يكفي أن من حرب تلك الصفة من معسكر النفاق طيلة قرون عديدة، مانعا بكل الوسائل ظهور خصائصهم، صار في الغايرين وانطمس ذكره، ولم يذكره التاريخ الا بالخرى والعار، ليستسلم للنسيان، وفاض ما كان يمنعه بالحديد والنار، فأتى على باطله ومحق

مؤامراته التي جند لها شياطينه، لأن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

سنقتصر من منزل أهل البيت عليهم السلام ما اتفق عليه أهل القبلة من روايات وان اختلفوا في بعضها من حيث التأويل

والمعنى.

وذلك الاختلاف هو من موروثاتنا التي يجب علينا تصفيتها وتنقيتها مما علق بها من ثوائب.

أولاً: آية التطهير:

كثوة هي الآيات القوانية الواردة في فضل ومثولة أهل البيت عليهم السلام، وعديدة هي أحاديث الرسول الأكرم (ص) في

بيان مكانتهم عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله (ص)، وفي هذه الواسة مجمل لأهم ما جاء في خصوصهم ومتعلق

ولايتهم، قوله تعالى: " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا".⁽⁵³⁾ تولت هذه الآية في حق خمسة هم

رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين (ص).

فقد أجمعت الأحاديث الواردة في خصوص تفسير الآية على نزولها في هؤلاء ذكر ذلك جميع المفسرين كالطوي الذي

أخرج في جامع البيان 16 طريقاً من أحاديث الرسول (ص)، ولم يذكر ما يعرض ذلك سوى ما تؤد به عكرمة من مناداته

في السوق بأن الآية خاصة بنساء النبي (ص) دون بيته منه، ولا عجب فيما صدر عن الرجل اذا علمنا أنه خرجي المذهب

وقد استغل علاقته بابن عباس للكذب عليه وانتشر كذبه حتى أصبح مضوب الأمثال، فذاك سعيد بن المسيب قد قال لمولى له

اسمه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس.

وقد كان ابن عبد الله بن عباس يوثقه على الكيف ليردعه عن الكذب، ولا رآه الا مانعاً اياه من تفتين الناس ومناداته في

السوق كذبا وتحريفا عكس ما كان رائجا وقتها.

وما حال مقاتل - الذي عده ابن كثير مع عكرمة في تفسره، القائلين الوحيدين بأن آية التطهير تولت في نساء النبي صلى

الله عليه وآله - بافضل من حال صاحبه، فقد عده النسائي من الكذابين وقال الجوزجاني في ترجمة مقاتل من المزان للذهبي،

كان مقاتل كذابا جسورا.

وكان يأتي بني العباس عرضاً عليهم خدماته في وضع الأحاديث في فضائلهم⁽⁵⁴⁾ وان عجبت فأعجب ممن تعمم بعمامة

العلم وتجلبب بجلباب التقوى، ثم جلس مجلس العرفين ليخرج للناس بؤهام الحاقدين وزيد الكذابين ليصد به عن الحق المبين.

في وسط ذلك الخضم ظهر من يقول بوحدة السياق في الآية، لعله بذلك يقطع حجة من احتج بأن الآية خاصة في الخمسة

المعصومين: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

وبالتالي فهي منصرفة لنساء النبي (ص) في حين أنه ليس بينهم وحدة لا في خطاب ولا في معنى ولا تسلسل زمني.

أما الخطاب فان تذكير ضموري آية التطهير وتانيث بقية الضمائر في باقي الآيات دليل واضح على بطلان وحدة السياق.

أما المعنى فسلسلة الآيات في سورة الأحزاب (من الآية 28 إلى الآية 34) جاءت مخوة نساء النبي (ص) بين متاع الدنيا

وخواء الآخرة وهو قوله تعالى: " يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسوكن

سواها جميلا * وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما * مهديا ايهاهن بقوله تعالى: " يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسورا".
وموغبا ايهاهن بقوله: " ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرا مرتين واعتدنا لها رزقا كريما *".
ومنبها ايهاهن بثقل وجسامة موقعهن من النبي (ص) والذي اشقوت سبحانه وتعالى توكيته لهن بتقواهن بقوله: " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء اتقين...."

وناصحا وموشدا وأما في باقي الآيات بقوله: " فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا *
وقرن في بيوتكن ولا تخرجن توج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله * وأذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبوا. *"
ولأن حصر الآية عما سبقها بأقوى أنوات الحصر (انما) ولاستحالة تخلف مراده عن رادته لقوله تعالى: "انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون".⁽⁵⁵⁾ دليل على عصمة المعنيين بأية التطهير. فانحاز بذلك معناها عن معنى بقية الآيات.

يقول السيد محمد تقي الحكيم: " بناء على هذه النظرية يكون مفاد الآية أن الله عز وجل لما علم أن رادتهم دائما وفق ما شوعه لهم من أحكام، ما زووا به من امكانات ذاتية ومواهب مكتسبة نتيجة تربيتهم وفق مبادئ الاسلام تربية حولتهم في سلوكهم إلى اسلام متجسد، ثم بحكم ما كانت لديهم من القنرات على اعمال رادتهم وفق أحكامه التي استوعبها علما وخوة فقد صح له الاخبار عن ذاته المقدسة بأنه لا يريد لهم بلادتهم التكوينية الا اذهاب الوجس عنهم⁽⁵⁶⁾ ولو كان لآية التطهير مدعى لأحد غير أصحاب الكساء عليهم السلام لادعته نساء النبي (ص) لكنهن اذعن لمشئية الاصطفاء الالهي فروته عائشة وأم سلمة، وأقوتا بخروجهن من المدعى الذي يحاول بعض المنتسبين لتفسير القوان رده لهن.

متجاهلين لمعاني اللغة العربية وأي حجة أقطع من أن يأتي أحد الطرفين ليقول بأن الحق مع الطرف الآخر.
فقد روت أم سلمة قالت: " تولت هذه الآية في بيتي وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ثم قال: " اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الوجس وطهروهم تطهروا".⁽⁵⁷⁾

ومقابل عصمة أهل البيت عليهم السلام كما في هذه الآية وغرها مما سنعرض له، وما تطابق مع سيرتهم التي أقر بطورها ونقائنها ورفعتها الموالي لهم والمخالف، لم تدع نساء النبي (ص) عصمتهم، ولا ظهر من سوهن ما يفيد ذلك.
وما كانت العرب تطلق على الزوجات لفظ الأهل الا بضوب من التجوز.

وقد سأل زيد ابن رُقم عن المراد بأهل البيت هل هم النساء؟ فقال: " لا وأيم الله ان المرأة لتكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فتوجع إلى أبيها وقومها " (ص) والمتتبع لرواية أم سلمة يلاحظ ما فعله النبي (ص) من حصوم بكساءه زيادة على حصر البيت لدفع شمولية أم سلمة لهم لوجودها على باب البيت وتاكيد ذلك عندما تساءلت متمنية: " الست من أهل البيت؟ " بدفعه (ص) قائلا انك إلى خير انك من أزواج النبي (ص)⁽⁵⁸⁾ واذا تولت هذه الالية في بيت أم سلمة وأقوت بلسانها خروجها عن مفادها فكيف يستقيم انصافها إلى بقية أزواجه (ص).

ثم ان النبي (ص) أقواله وتقرّواته وافعاله غير منفكة عن الوحي تراه كلما دعت حاجة أو سنحت فرصة يقوم بالتعريف بأهل البيت عليهم السلام ففي رواية عائشة قالت: " خرج النبي (ص) غداة وعليه موط موحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا".⁽⁵⁹⁾

وبما أن الآية قد تولت في بيت أم سلمة فان تكرار التجليل بالكساء (المربط) يفيد اعلام عموم الصحابة بنزول الآية وبتلك الخاصة وبأولئك الخاصة.

لأن المولى سبحانه وتعالى أعلم بمكونات خلقه وأوى بسوائهم.

واستمر فيضه يرشدنا ويدلنا على من العواد بأهل البيت عليهم السلام؟ فقد أخرج الحفاظ والمفسرون أنه لما تولت الآية: " وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها".⁽⁶⁰⁾ كما في رواية ابن عباس قال: " شهدنا رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتي كل يوم

باب علي بن طالب عند وقت كل صلاة فيقول: " السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا". وقريب منها رواية أبي الحواء⁽⁶¹⁾ كل ذلك للتأكيد على أن العواد بأهل البيت لا يمكن

أن ينصرف إلى غير هؤلاء وزيادة في تعميم تلك المعلومة وبتثا في الصحابة ما يزيد على 1350 مرة (30 5x 9 x) وخصهم المولى زيادة على ذلك بتعهد الصلاة بون الأمة كما خصهم بالدعوة في أول الوحي بقوله تعالى: " وأنذر عشيرتك الأقربين " .⁽⁶²⁾

وفي قصة وفد النصلرى نجران ومقدمهم إلى المدينة لمحااجة رسول الله (ص)، دليل آخر يساق لزيادة التعريف بأهل البيت عليهم السلام.

فقد جاء ذلك الوفد للنبي (ص) وقالوا له: هل رايت ولدا من غير ذكرفأقول الله تعالى قوله: " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تواب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من المموتين فمن حاجك فيه من بعدك ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين".⁽⁶³⁾ فوأها عليهم ودعاهم إلى المباهلة فاستتظروه إلى صبيحة الغد.

فلما كان الغد جاء النبي (ص) أخذ بيد علي بن أبي طالب والحسن والحسين يمشيان بين يديه وفاطمة تمشي خلفهم، وخرج النصلرى يتقدمهم أسقفهم، فلما رأى منهم مارأى، أحجم عن مباهلتهم قائلا اني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله، فلا تباهلوهم فتهلكوا.

فقال النبي (ص) والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمسخوا قودة وخنزير ولاضطوم الوادي عليهم نرا،، وصالحوه..⁽⁶⁴⁾

والعواد في الآية بأبنائنا: الحسن والحسين عليهما السلام وقد أخرجهما معه.

وبالنساء: فاطمة عليها السلام وقد أخرجها معه دون سائر أزواجه.

والعواد بالأنفس علي عليه السلام، وهو مقام لا يعرفه الا من امتحن الله قلبه للايمان، وقد قال فيه من قبل،، أنت مني وأنا

منك،، لما في هؤلاء الصفة من خاصيات لم تكن في غورهم، ليقدمهم بدلا عنهم، وما تقديمه لهم الا لأمر رآه الله تعالى لهم خاصة، واستثنى فيه غورهم، فهل بعد هذا البيان توضيح ووهان فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

ثانيا: حديث الثقلين

قال رسول الله (ص): " اني أوشك أن أدعي فأجيب واني ترك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما،" (66) ولحديث الثقلين طرق عديدة وصلت الي 39 حديث عند العامة و 82 حديث من طرق الخاصة باختلاف اللفظ عائد إلى تكرر النبي (ص) له في أكثر من موضع فقد نقل عنه الحديث في خطبته بعوفة، وعند منصوره من حجة الوداع بغدير خم، وأخرى في مرضه بالمدينة، وأخرى عند رجوعه من الطائف، ولا يخفى على كل ذي بصيرة أن ذلك التكرار موجه التأكيد على أهمية أهل البيت عليهم السلام وورثهم في القيام على شريعة الاسلام وتذكروا المسلمين بأن لا يغفلوا عن مكانتهم.

وقد قرنهم رسول الله (ص) بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، لتجسد القآن فيهم فكرا وعملا. فهو الصامت وهم الناطقون به صدقا وعدلا، وهو البيت وهم بابه، وهو الجسد وهم روحه، وهو الزهر وهم رحيقه.

وفي ذلك يقول أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام: " فيهم كرائم القآن وهم كنوز الرحمان ان نطقوا صدقوا وان صمتوا لم يسبقوا". (67)

ويقول أيضا: " هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن عملهم وصمتهم عن حكم منطقتهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه.

هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق الى نصابه، وازاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته. عقول الذين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية، فان رواة العلم كثير ووعاته قليل". (68)

وتصريح رسول الله (ص) بعدم افتراقهم عن الكتاب دليل آخر على عصمتهم لأن صدور أي مخالفة للقآن افتراق عنه. واعتبر التمسك بهما معا عاصما من الضلالة لعدم استقامة التمسك بالكتاب وحده لأنه لا يمكنه أن يدفع عن نفسه شيئا فضلا عن تطبيق أحكامه وازال شريعته متولتها المثلى في المجتمع.

تماما مثلما نصح به الامام علي عليه السلام عبد الله بن عباس عندما أرسله مجاججا الخوارج قائلا: "يا بن عباس لا تحاججهم بالقآن فان القآن حمال ذو وجه تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجبوا عنها محيصا".

يقول ابن حجر في صواعقه وهو من علماء الجمهور: " لذا حث النبي (ص) على الاقتداء والتمسك بهم، والتعلم منهم.

قال: " الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت".

وقيل سميا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم ان الذين وقع الحث عليهم هم العرفون بكتاب الله وسنة رسوله، اذ هم الذين لا يفلقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن

الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهرا. وشرفهم بالكرامات الباهرة والزوايا المتكاثرة " .

وحذا حنوه عديد العلماء والفقهاء والمحدثين الذين أذعنوا للحق وصدعوا بالصدق واعترفوا بفضل العزة الطاهرة على الاسلام، حيث لا فضل لغوهم.

على أن لحديث الثقلين مع ما فيه من اثبات ودلالة وتعدد في طوقه من الفريقين وصلت الى 121 طريقا، معرضون له بحديث أخرجه مالك، وهو من أقدم رواته عن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي " (70) وبغض النظر عما في سند الحديث من وهن حيث روي موسلا مقبل الجم الغير لطوق حديث الثقلين، فانه لا يتعرض في منته معه لأن السنة الصحيحة في أصفى مولدها، لا تكون الا عند الطاهرين والصادقين، وليس هناك أصدق ممن لقبهم الله تعالى بالصادقين، ولا أولى ممن اصطفاهم وطهرهم تطهرا، كما أن الحديث المعرض لم يحلنا على بديل لأهل البيت عليهم السلام في الاقتداء والموالاتة وأخذ الشيعة عنه، كأن يكون الحديث المعرض مثلا: كتاب الله وصحابتي، لئلا علينا توجيح أحدهما على الآخر.

أما والحديث منصوف إلى السنة النبوية فهو تابع لحديث الثقلين، لأن السنة لا بد لها من وعاء صائن لها حافظ لجمالها ومجسد لمعانيها، ومن دون مستحفظ يقع التحريف والتعطيل والاهمال، كما وقع لكل من تمسك بغير الهداة من أهل البيت عليهم السلام، على أنه لا يفوتني أن أشير إلى أن من المسلمين من يعتقد بأن الرسول الأعظم (ص) لم يوص بشيء، رغم تضارب الروايات عندهم بأن الرسول (ص) أوصى في احداها بثلاث، فنقلوا اثنين وأسقطوا الثالثة. وحث في أخرى على الوصية بقوله (ص): " ماحق امرئ مسلم له شيء يوص فيه يبييت ثلاث ليال الا وصيته عنده مكتوبة.

وقد حث المولى سبحانه وتعالى على الوصية بقوله: " كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خوا الوصية". والنبي (ص) باعتباره أول المنفذين لأوامر الله سبحانه وتعالى لا بد من أن يعطي المثل حتى يقتدي به المسلمون. وقد فعل ذلك وأخر حياته، وحديث الثقلين احدى وصاياه، حيث أخروهم في مستهله بقوب رحيله عن الدنيا بقوله: اني أوشك أن أدعي فأجيب.

ومضمون الوصية يشتمل على التركة التي خلفها في الأمة بقوله: " اني ترك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل البيت..". مختتما حديثه (ص) بنصيحته للأمة بقوله (ص).. فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وفي رواية الطواني: " لاتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم". أما وصيته التي أراد أن يكتبها على الملا من الصحابة يوم الخميس السابق لوفاته فقد منع منها كما في حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) " انتوني بالكثف والنواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا". فقالوا ان رسول الله (ص) يهجر (ص) يهجر (71) وهجر يهجر لغة: خلط وهذى. وقد تسالم المسلمون على صحة هذا الحديث.

وجريان تلك الحادثة الأليمة على سيد المرسلين (ص) لكنهم وقفوا منها موقف المتجاهل رغم ما انطوت عليه من حوأة

على مقام النوة الخاتمة وقداسة الدين والخالق.

لم يكتف هؤلاء وهم من الصحابة. اقتحام بيت النبي (ص) وتتلعهم ورتفاع أصواتهم فيه بين راغب لكتابة ذلك الأمر الجلال العظيم، وأي شيء أعظم منه طالما انه عاصم من الظلالة أبداً، وبين مانع لذلك بعذر هو أقبح من ذنب. أفترى هؤلاء يقعون القرآن، أم يعرفون لامام المسلمين حرمة؟ وقد ملأوا عليه بيته وانتهكوا حرمة وألقوا بكلام الله فيه عرض الحائط، مع تعزيرهم بأن كتاب الله يكفيهم ألم يقل جل من قائل: "وما أتاكم الرسول فخذوه " ألم يقل: " وما ينطق عن الهوى " ألم يقل: " فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم " ⁽⁷²⁾ ألم يقل: " لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي " ⁽⁷³⁾ وحتى اذا سلمنا بعدم وجود هذه الآيات فان مقام النوة العالی لا يمكن الاجتزاء عليه بهذا الشكل السافر من كل حياء، والمنقطع من كل خلق، والمنبت عن كل دين، لكني لا أقول في أولئك الملقين من الصحابة الا ما قاله المولى سبحانه وتعالى فيهم: " فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم * أنتم بريئون مما أعمل وأنا وبي مما تعملون * ومنهم من يستمع اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون * ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون " ⁽⁷⁴⁾

وانك لترى كتاب الله بين أيدي هؤلاء القوم ورسول الله (ص) ينطق عنه، فلا يحسبون له ولكتابه حساباً وهو حي، فهل تراهم يعيرون به بعد موته من نون ناطق، وقد ثبت عنهم ما شوها به صفة النبي من خلال ما ادعوه عليه من دعوى، زادتهم بعدا عن الله تعالى، وعن نبيه الأكرم وعن دينه العظيم.

ثالثاً: آية الولاية العظمى

قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنزلتكم في شيء فإياه فإياه " ⁽⁷⁵⁾ والرسول " ⁽⁷⁵⁾ الخطاب في الآية الكريمة موجه للمؤمنين يأمرهم فيه المولى سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله وأولياء أمرهم، ثم يعود لمخاطبة المؤمنين بقوله: " فان تنزلتكم في شيء " بينكم نون طبقات الطاعة الثلاث: الله ورسوله (ص) وأولي الأمر، باعتبار عصمتهم.

ويفسر هذه الآية قوله تعالى: " واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوروه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم " ⁽⁷⁶⁾ فدل على أن الآيتين منصورتين إلى خصوصية ولاية الأمور المذكورين فيهما لما كانت تقتضيه المصلحة من تعيين أشخاص معينين من قبل المولى ليملأوا الفراغ الذي سيتوكله النبي (ص) بعد وفاته. وما معرفتهم بكل ما يتعلق بالسلم والحرب (الأمن والخوف) أي بكل أوجه الحياة. وما اقتران تلك المعرفة بمعرفة الرسول (ص) الا دليل على خصوصية ليست موجودة الا في أواد معينين ومحددين، لم تظهر في غيرهم حتى يقع توجيه أحد على الآخر.

رابعاً: آية البلاغ وحديث الغدير:

قال تعالى: " يا أيها الرسول بلغ ما أتول اليك من ربك وان تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس... " ⁽⁷⁷⁾

في أواخر السنة العاشرة للهجرة وعند منصرف رسول الله (ص) من حجة الوداع قول عليه جويل عند غدِير خم بقوله تعالى: يا أيها الرسول بلغ ما أوتى اليك من ربك". الآية " فقام خطيباً في جموع الناس وقت الظهر في رمضان شديدة الحر. وقال فيما قال: " الست بأولى بكم من أنفسكم". قالوا بلى يا رسول الله.

فقال (ص): فمن كنت هـواه فهذا علي هـواه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار".⁽⁷⁸⁾

ثم أمر الناس بالبيعة لعلي بآية المؤمنين فأقول المولى سبحانه وتعالى قوله: " اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً".⁽⁷⁹⁾

فقال النبي (ص): " الحمد لله على اكمال الدين واتمام النعمة ورضا الوب وولاية علي بن أبي طالب من بعدي".⁽⁸⁰⁾

وحديث الغدير مما اتفق عليه أهل القبلة ولم يعرف حديث غوه بلغ من القواتر والشهوة مبلغه.

وقد روي من طرق العامة عن 120 صحابياً وأكثر من ثمانين تابعياً وتطوق اليه في كتبه 360 عالماً ومحدثاً ومفسراً ومؤرخاً وصاحب سؤة، زيادة على الشواء الذين تدافعت قصائدهم، وعانق معظمها الإبداع.⁽⁸¹⁾

ولا عجب في كثرة طرقه، لأن من رجع مع النبي (ص) يربو على مائة ألف صحابي ولو قدر لكل من سمع خطبة النبي (ص) تلك أن يرويها دون منع مانع لما استوعبتها الكتب.

يقول امام الحرمين أبو المعالي الجويني: شاهدت مجلداً ببغداد في يد صحاف فيه روايات هذا الخبر مكتوباً عليه المجلدة الثامنة والعشرون من طوف " من كنت هـواه فعلي هـواه ". ويتلوه المجلد التاسع والعشرون.⁽⁸²⁾

وعند ذكر أحوال محمد بن جرير الطوي الشافعي قال: رايت كتاباً جمع فيه أحاديث غدِير خم في مجلدين ضخمين.

ومع ذلك فقد ظهر من يقول بأن المعنى من المولى لا يشتمل على ولاية الأمر وإنما هو حدث من رسول الله (ص) على حب علي عليه السلام. لأن أصحاب هذا الرأي بنوا دينهم على الأمر الواقع ولا يهتم على سقيفة بني ساعدة. ولم يأخذوا بجميع الحادثة وتمام الحديث الذي قال فيه (ص): " ألت بأولى بكم من أنفسكم".

ولو لم يكن الأمر بمنتهى الجسامة والخطورة لما أوقف (ص) ركباً الحجيج، في صواء شديدة الحر بلا غطاء ولا وطاء.

ويوم الثامن عشر من ذي الحجة اتخذته طائفة من الأمة الاسلامية عيداً من أعظم الأعياد امتثالاً لأمر الله في اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الوب.

وقد قال فيه رسول الله (ص): " الحمد لله على اكمال الدين واتمام النعمة ورضى الوب وولاية علي".

وقد قال فيهم رسول الله (ص): " وَاَل طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يظوهم من خالقهم حتى أمر الله".⁽⁸³⁾

وظهرهم هو تمكنهم من البروز على الساحة بتمزهم عن غوهم، وقيامهم بدينهم على أكمل وجه، وتصديهم لكل أوجه

الشريعة ومعالم الدين.

خامسا: آية الولاية الثانية

قال تعالى: " انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون".⁽⁸⁴⁾

قلت هذه الآية في حق الامام علي عليه السلام لما تصدق بخاتمته وهوراع في احدى صلوات الظهره وقد خاف أن يفوته السائل الذي لم يعطه أحد من الصحابة شيئا فهذه خصوصية ان دلت على شيء فانها تدل على أن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام هي امتداد لولاية الله ورسوله وتأكيد آخر على تطابقها مع آية الولاية العظمى.⁽⁸⁵⁾

سادسا: حديث المتولة

قال رسول الله (ص) لعلي: " أنت مني بمتولة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي".⁽⁸⁶⁾ وقد حدث ذلك عند خروج رسول الله (ص) لغزوة تبوك عندما خلف عليا عليه السلام أمرا على المدينة تحسبا لمؤامرات المنافقين وتربصهم بالمسلمين ليستولوا على المدينة اذا خرجوا منها، فبقي بها حاميا لظهور المسلمين وحريمهم تماما كما بقي على فاش الرسول الاعظم ليلة هجرته يفديه بروحه وسط نخبة من فتية المشوكين ليتمكن (ص) من الخروج والابتعاد مسافة أكبر.

ومتولة هارون من موسى واضحة تماما في القرآن، ولا التفات لمن يريد تزييمها والحط منها فقد قال تعالى: " واجعل لي وزرا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصوا".⁽⁸⁷⁾

وقال أيضا: " اذ قال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين".⁽⁸⁸⁾ فعلي عليه السلام الوزرة، ومن الذي آزر النبي (ص) وواساه بنفسه واستبسل نونه في أحد وحين؟ ومن الذي كانت له الكلمة الفصل في غزواته كلها غيره؟ وهو الذي وله أخوة الرسول الأعظم حيث آخى بينهما في المؤاخاة الأولى بمكة والثانية بالمدينة حيث قال له (ص): " أنت أخي في الدنيا والآخرة"⁽⁸⁹⁾ وهو شريك رسول الله (ص) في أمره باستثناء النبوة كما هو مشار في آخر الحديث وفي اعتقادي اذا غاب الشريك الأول أخذ مكانه الشريك الثاني، هذا حكم المنطق والعقل.

وفي الآية الثانية دليل على أن الحديث نص باستخلافه عليه السلام في مقام الامامة وولاية الأمر بقوله: " أخلفني في وقومي".

وقد دأب رسول الله (ص) على استخلاف من وى فيهم كفاءة القيادة وحسن التدبير كلما خرج في غزو أو سفر أو حج فلا يترك المدينة وهي عاصمة الدولة الاسلامية الفتية بلا أمير وقائد لفتوة قصوة من الزمني يتوك المسلمين وهو يوجد بنفسه في سفة أطول بكثير دون أمير أو قائد. تعالى الله ورسوله عن التقصير وقلة التدبير.

سابعا: حديث السفينة

قال رسول الله (ص): " ألا ان مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك".⁽⁹⁰⁾

وأي مثل معبر لهذه الأمة على متولة أهل البيت عليهم السلام من الدين كمثل هذا الحديث، فتأمل معي ولا تغيب فكرك عن القصد منه.

فوح عليه السلام عندما استنفذ دوره الوسالي وعلم انه لن يؤمن له أكثر ممن آمن أوحى اليه صنع السفينة لنجاته ونجاة

من آمن معه، ولما جاء الطوفان، وجرت بهم سفينة النجاة ولا سفينة غوها على ذلك الماء، حتى ان بن فوح لم تشفع فيه قوابته من أبيه لينجو من الطوفان، وهو الذي رفض ركوب السفينة.

كذلك أهل البيت عليهم السلام هم سفينة نجاة هذه الأمة، لمن اعتصم بحبلهم والذي هو حبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به، وهم العروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهم نعمة الله ولطفه الذي سنسأل عنهما يوم القيامة.

ان رعيتهما أم ضيعناهما. فلا عاصم اذا من أمر الله بعد النبي (ص) غير أهل بيته والمتخلف عنهم حاله حال قوم فوح المغرقين.

ثامنا: بعض الدلالات الأخرى

قال الله تعالى: " انما انت منذر ولكل قوم هاد " ⁽⁹¹⁾ أخرج ابن كثير في تفسيره للآية.

قال رسول الله (ص). أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون ⁽⁹²⁾ وقال أيضا: " واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى " ⁽⁹³⁾ ولا يخفى عليك أن الهداية تتطلب هاديا لقول الله تعالى: " أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده " ⁽⁹⁴⁾

وإذا كنا عرفنا من هداة أصحاب الكساء الخمسة عليهم الصلاة والسلام، والذين ذكرناهم في معرض حديثنا عن آية التطهير، فانه يتعين علينا معرفة بقبيتهم خاصة اذا علمنا أن الرسول الأكرم (ص) قد نص على اثني عشر خليفة " (اماما) يأتيون من بعده.

كما جاء عنه في كتب الحديث التي أجمعت على نقل الحديث الذي حدث به ابن سورة العوي عن رسول الله (ص) قال: " لا زال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثني عشر خليفة كلهم من قريش " ⁽⁹⁵⁾

والمتتبع لطرق الحديث يلاحظ أن الولوي لم يسمع غير لا زال هذا الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة.

و الزيادة الأخيرة لم تكن من رسول الله إنما كانت تحريفا لمنشا وأصل الاثني عشر خليفة وتوسعة لها لتشمل غير أهل البيت عليهم السلام.

وسوى حوج العامة في تفسير الحديث وتاويله غير وجهه فقد ذهبوا به كل مذهب نون ان يصلوا إلى حل.

وما لورده السيوطي مثلا في شرح الحديث لا يستساغ من أبسط العقلاء ناهيك عن عالم مثله، حيث خلط وخبط حتى نعت بحاطب ليل: فقال: " وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز وهؤلاء ثمانية ويحتمل أن يضم اليهم المهدي من العباسيين لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني امية، وكذلك الظاهر لما أوتيته من العدل، وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من أهل بيت محمد (ص) ⁽⁹⁶⁾ والذي عليه المسلمون الشيعة الامامية الاثني عشرية من معتقد في الامامة، ينطبق على هذا الحديث من حيث عدد الائمة وألا، ومن حيث الحيز الزمني ثانيا " لا زال الدين قائما " .

فاذا اكتمل العدد وذهب الائمة الاثني عشر ذهب الدين واندرست معالمه لأن الساعة لا تقوم الا على شوار الخلق.

وكما اسلفنا الذكر فقد كانت سنة الاصطفاء جلية في الامم السابقة كما في قوله تعالى: " وجعلنا في نبيته النوة والكتاب

" وقوله أيضا: " فلقد آتينا آل اراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما".

وقد جاءت الآيات متعددة لتؤكد على تولد القيادة خلفا عن سلف وصالحا عن صالح.

والم تأمل لتاريخ الأنبياء والأمم السابقة يتعرف على حقيقة أن الأنبياء كانوا ينصون على من يقوم في الامة بعدهم كما روى ذلك المسعودي في كتاب اثبات الوصية ولمن شاء أن يتثبت فلواجع.

فتعيين من يقوم مقام النبي (ص) بعده وهو لطف من المولى سبحانه وتعالى وعلى كل أمة أن تمتثل أو تتحرف، كما حصل في استخلاف طالوت عليه السلام واستنكار بني اسرائيل لذلك، وتعزفهم بأعدار واهية.

قال تعالى: " اذ قال نبي لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يوت سعة من المال.

قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم" (99) وكما حصل في استخلاف موسى عليه السلام لأخيه هارون في بني اسرائيل واستضعافهم اياه حتى كانوا يقتلونه واتبعوا الساموي والعجل.

وكما في قصة آصف عليه السلام وصي سيدنا سليمان عليه السلام عندما أرد نبي الله أن يظوه على الملا، بسؤاله عن يأتي بعش ملكة اليمن، وهو يعلم أن وصيه هو الوحيد القادر على ذلك، ولما كانت الامامة مشروطة بالاصطفاء اعدادا واختيارا، وهي جلية في طينة من الخلق مطيعة لله لم تشرك به طرفة العين، فان ما دون تلك الطينة ممن أشرك بالله فوة من عوره، لا يحق له من الامامة شيء، وفي قصة اراهيم عليه السلام دليل واضح على ذلك قال تعالى: " انى جاعلك للناس اماما قال ومن نوري قال لا ينال عهدي الظالمين". (100) وقال أيضا: " ان الشرك لظلم عظيم". (101)

فكان دليلا على بطلان امامة الغاصبين من أصحاب سقيفة الأمة الاسلامية وأصحاب سقائف الأمم السابقة، وجران تلك الخاصة في الطاهرين، رغم عنت المعرضين، وحسد الشائئين، وبغض المنافقين، قال تعالى: " أم يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله". (102)

والممتنع لآثار أهل البيت عليهم السلام يلاحظ من خلال ما حصلته الكتب عنهم تاكيدا على أن قيادة الأمة الاسلامية فيهم دون غورهم، ووصية الله ورسوله (ص) كانت لهم، هم على مر الزمن من كان يتصدى للذب عن الدين بالسيف والقلم وهم من كانت الأمة بمواليها ومخالفها وجع اليهم وتوء لهم بالعجز والحاجة، فذاك عمر بن الخطاب كان يقول في كل معضلة يحلها له علي بن أبي طالب: " لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبا الحسن ".

وذاك أبو حنيفة النعمان الذي قال لولا السنن لهلك النعمان ومالك المتلمذ على الامام السادس أبي عبد الله جعفر بن محمد الملقب بالصادق.

ولم يخرج عن تلك الدائرة لا الشافعي ولا أحمد ابن حنبل ولا غورهم من الفقهاء، ومن لم يتلمذ على يدي امام من أئمة أهل البيت عليهم السلام مباشرة تتلمذ على تلاميذهم.

وأبلغ ما قيل في شان الامامة ما نقل عن الخليل بن أحمد الفواهيدي في شان امامة أمير المؤمنين علي عليه السلام حيث

قال عندما سئل: " ما الدليل على امامة علي بن أبي طالب عليه السلام".

فلم يورد في أي نص من النصوص التي نحن في بصددها بل لخصها كلها في جملتين أغنتنا عن كل بيان، قال: " استغنؤه عن الكل واحتياج الكل اليه دليل على امامته".⁽¹⁰³⁾

ويقول صاحب لواء الحمد في الدنيا والآخرة جعلنا الله واياكم من أتباعه وشيعته في الدارين، في احدى خطبه مبرزاً مكانة أهل البيت عليهم السلام في الأمة: " هم موضع سوره وملجأ أمره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه، هم أساس الدين وعماد اليقين، اليهم يفىء الغالي وبهم يلحق التالي، لهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية".⁽¹⁰⁴⁾

وقال في شأن انحياز الأمة عنه بعد وفاة الرسول (ص): " فوالله ملئت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض الله نبيه (ص) حتى يوم الناس هذا".⁽¹⁰⁵⁾

ثم اذا نحن تأملنا في قوله تعالى: " يوم ندعوا كل الناس بامامهم".⁽¹⁰⁶⁾
وقوله: " وكل شيء أحصيناه في امام مبین".⁽¹⁰⁷⁾

تبين لنا ان الامامة امامتين أولى برة عادلة شوعية قال تعالى: " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخوات واقام الصلاة وابتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين " ⁽¹⁰⁸⁾ وثانية فاجرة ظالمة مغتصبة قال تعالى: " وجعلنا منهم أئمة يدعون الى النار".⁽¹⁰⁹⁾

تاسعا: الصلاة على النبي:

قوله تعالى: " ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً".

سأل من حضر نزول هذه الآية على الرسول الأعظم (ص): " قد علمنا السلام عليك يا رسول الله فما الصلاة عليك؟ فقال (ص): " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على اراهيم وآل اراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما باركت على اواهم وعلى آل اواهم في العالمين انك حميد مجيد".

ولم يكتف رسول الله (ص) بهذا القدر من الحث على تعظيم مقام آله الكرام كما قال تعالى: " ومن يعظم شعائر الله فانها

من تقوى القلوب".

بل أكد على أداء الصلاة الكاملة بقوله: " لا تصلوا علي الصلاة البتاء".

قالوا وما الصلاة البتاء؟ قال (ص) ان تصلوا علي وتمسكوا".

وانك ترى العامة من المسلمين اليوم أينما حللت في مساجدهم ومجالسهم الدينية لا يصلون على آل محمد الا اذا أدخلوا

صحابه رسول الله (ص) جميعاً وهم وفاجوهم وتقيهم ومناقهم.

ولا غواية فيما يفعلون لأنهم ورثوه ممن ناصب العداء لآل محمد الطاهرين كمعلوية وبني أمية وابن الزبير ومن شاكلهم،

تتأقلت أيدهم عن دفعه وألسنتهم عن تصحيحه صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

هذا مقام خاص بأهل البيت عليهم السلام لم يرق لمبغضيهم فطفقوا به دفعا وتحريفا ولو علموا ما فيه من الخير والرحمة

للأمة لما اجترؤوا عليه.

يقول الامام الصادق سلام الله عليه في خصوص هذه الصلاة: " اللهم ان محمدا صلى الله عليه وآله كما وصفته في كتابك حيث تقول لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " فأشهد أنه لكذلك وانك لم تأمونا بالصلاة عليه الا بعد أن صليت عليه أنت وملائكتك وأوتلت في محكم وآئك: " ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا علي وسلموا تسليما لا حاجة الي صلاة أحد من المخلوقين بعد صلواتك عليه ولا الي تركيتهم بعد تركيتك بل الخلق جميعا هم المحتاجون الي ذلك لأنك جعلته بابك الذي لا تقبل ممن أتاك الا منه وجعلت الصلاة عليه قربة منك ووسيلة اليك وزلفة عندك ودللت المؤمنين عليه وأوتتهم بالصلاة عليه ليؤدوا بها أثرة لديك وكرامة عليك....."

ولو اننا أطلقنا العنان للفكر والقلم في سرد النصوص الواردة في أحقية أهل البيت عليهم السلام في قيادة الأمة الاسلامية لما أمكننا الاثيان على كل الحجج ولا الايجاز في مقام يتطلب ذلك، وعلى من أراد المزيد أن يرجع الى أمهات كتب علماء الأمة، فانه حتما اذا كان توجهه خالصا لله تعالى أن يبرك الحقيقة، وحسب اطلاعي ليست هناك حقيقة في هذا الوجود بأسوه غير تلك الاتوار الربانية والصفاء الملكوتية، من أراد أهل البيت عليهم السلام فليقصد بيوتهم لعله يجد هدى، ولا يبحث عن هدى من غورهم لانه لن يظفر بشيء، انما سيتابعد عنهم بما يدسه غورهم من التلفيق والتشكيك والظن الذي لا يغني عن الحق شيئا.

والمأمل في النصوص التي أوردتها الحفاظ والمفسرون والمؤرخون بأحقية الائمة من أهل بيت النبوة عليهم السلام في حكومة المسلمين وقيادتهم، سواء كانت تلك النصوص آيات قانية أو أحاديث نبوية أو خطب بيانية وى اجماعا من كل الفرق الاسلامية على صحة تلك النسبة لهم، مع أن مذاهبهم في الولاية العامة تكوس مبدأ الأمر الواقع، وتخضع لسلطة من هو مستول عليها كائنا من كان ما دام يصلي، ووضعوا أحاديث نسوها لرسول الله صلى الله عليه وعلآله وسلم في ذلك الشأن وهو منها راء. ولاية المفضول عندهم جائزة مع وجود الفاضل، والبيعة تتعقد بواحد أو باثنين لأن عمر وأبا عبيدة عقدا بيعة ابن أبي قحافة.

والقابة القويبة من رسول الله (ص) والتي لا أعني بها قابة الدم وان كانت بذاتها فضلا وأي فضل وانما عنيت مكانة أمير المؤمنين علي عليه السلام من رسول الله (ص) قربه الفعلي والعملي منه، وخطبته التي ذكرتها في هذا البحث دالة على شدة اهتمام الرسول الأعظم به وعنايته الخاصة له ليس عبثا وانما كان اعدادا وتهيئة له ليتولى قيادة الأمة بعده، وعلاوة على طويقه الخاص لرسول الله (ص) كان يشترك مع بقية الناس في طويقهم النهلي بل ويستأثر عليهم بالنصيب الأكبر منه لأن همته في تحصيل العلم أعلى من همهم، ومدركه العقلية واستعداداته الفكرية غير خافية على كل ذي بصورة، فتلك خطبه البليغة وحكمه الشهورة وأدعيته اللاهوتية بين أيدي الناس تنهل من بلاغتها عقولهم وتستشرف من سموها ورفعتها أفئدتهم وقلوبهم، وكيف لا يكون كلامه كذلك وهو باب مدينة علم رسول الله (ص).

أما استعداداته البدنية فجزيل عليه السلام أحد شهودها عندما قال في بدر: "لا سيف الا ذو القفار ولا فتى الا علي " وأحد وحنين عندما فر من فر من الصحابة والرسول يناديهم، وهم لا يلوون على شيء، وكيف بذل الامام عليه السلام مهجته بونه

حتى قال أمين الوحي لرسول الله (ص) ان هذه لهي المواساة فقال له رسول الله (ص): "كيف لا وهو مني وأنا منه".
فقال جبريل عليه السلام وأنا منكما". وغزوة الخندق ومبارزة عمرو ابن ود الباهلي له وقتله حتى قال فيه رسول الله
(ص): " لقد برز الايمان كله للشوك كله".

وقال أيضا: "ضربة علي لعمر بن ود يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين".

وخبير اليهود وقتل رأسهم موحب وقلع باب المدينة بيديه الكويتمتين وفتحها مقابل فشل من سبقه عليها ولو أطلقت العنان
لقلمي لجانبنا الاختصار ولما أدبت حق السادة الأخيار في سود فضائلهم واطهار مناقبهم، ولكني أقول ما قاله الخليل بن أحمد
عندما سئل عن مدح علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: " ما أقوله في مدح اموي كتمت أحبؤه فضائله خوفا وأعداءه حسدا
ثم ظهر ما بين الكتمين ما ملا الخافقين.

أما شيعة آل محمد من المسلمين الامامية الاثني عشرية فقد أخذوا بأكناف الحديث واستمسكوا بواه امتثالا لأمر الله عز
وجل وتطبيقا لوصية رسوله الأكرم (ص) متبعين خطى الهداة، مقتفين أثر الأئمة النقاة قادة الأمة ودعاتها الى الله تعالى، ولم
يتكروا نصا نون بيان، وآية نون دليل ووهان، فجاءت نصوصهم شافية وافية، لا لبس فيها ولا تحريف، لم يسقط منها ما أراد
الظالمون والحاسدون اسقاطه، كما فعل غوهم بحديث الاثني عشر خليفة (اماما)، وقالوا لقد نص رسول الله (ص) بأمر من
البري تعالى ولطف منه، على الأئمة من آل محمد وهم على التوالي:

- الامام الأول: أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام.
- الامام الثاني: أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام.
- الامام الثالث: أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام.
- الامام الرابع: أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.
- الامام الخامس: أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام.
- الامام السادس: أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.
- الامام السابع: أبو اواهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.
- الامام الثامن: أبو الحسن علي بن موسى الوضا عليه السلام.
- الامام التاسع: أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام.
- الامام العاشر: أبو الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام.
- الامام الحادي عشر: أبو محمد الحسن بن علي الرضي عليه السلام.
- الامام الثاني عشر: أبو القاسم محمد بن الحسن المهدي المنتظر عليه السلام عجل الله تعالى فوجه وسهل مخرجه

وجعلنا من جنده

ولم يكتفوا باواد النصوص الصحيحة والصريحة على امامة الأئمة الاثني عشر فلردفوها بأدلة عقلية وأجوبة منطقية

نختصوها كالاتي:

- 1 . ان ما ذكره العلماء في الحاجة الى الوسل جار في أوصياهم. وبقاء الكتب والشوائع من دون قيم لها جعل أصحاب المذاهب يستدلون على مذاهبهم بكتاب الله حسب أهوائهم ولم يدفع الكتاب ولا الشريعة عن نفسيهما شيئاً من ذلك.
 - 2 . ان اللطف واجب على المولى سبحانه وتعالى ووجود امام في كل زمان لطف منه بعباده
 - 3 . أنه يجب على الله أن يفعل بعباده ما هو الأصلح لهم، ولا يتم ذلك الا بعقد أمر الأمة بعد نبيها (ص)
 - 4 . ان العقل السليم يرفض قول النافين للوصية لأن فيها اهمال للدين والأمة واذا كانت عائشة قد فطنت لخطورة ترك الامة بلاراع، عندما أرسلت عائشة الى عمر وهو يوجد بنفسه قائلة لا تتوك أمة الاسلام بلاراع، وكذلك فعل ابن عمر فالمولى ونبيه الاكرم (ص) أولى وأحق بالنصح للأمة.
 - 5 . اعتراف المخالفين للنص على الامام بجريان عادة التنصيب منذ آدم وقد أقرت بذلك كتب تور يخهم وسير الأنبياء عندهم.
 - 6 . الامامة كالنبوة ليس للخلق فيها تعيين واختيار بل سمع وطاعة، فهما وظيفتان الهيئتان تتكاملان في أداء القانون الالهي، وتطبيقه وحفظه، وخلق الامامة من الأمة تويط في الدين، كما حصل للذين تتكوا عن الامامة فوطوا في دينهم واستغنوا بقلّة العلم واتباع الظن عن علماء الكتاب، وأرباب فصل الخطاب وبطاعة الظالمين وأعداء الدين عن طاعة أولياء رب العالمين.
- وإذا ما تضافرت النصوص واستحكمت متونها حول دائرة واحدة ووجهت في علاماتها باصبع الاشارة الى طريق واحد، سبيل رشاد و صواط مستقيم، وتاكّد لدينا ذلك كمسلمين من خلال تجربة ناهزت أربعة عشر قرناً لم نجد بين طياتها غير الانحراف عن رسم القوان ومعاني الاسلام، ومن قيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، انحرف مسار القيادة في الأمة حتى لقفها شربوا الخمرور ولاعوا الفهود والقروء، المعلنون للفكر والفجور كزيد والوليد، وغروهم مما لا يسعنا في هذا المقام الحديث عنهم، والا فاننا سنكون كمن هياً باقة من الورود والهور شذى عطوها يأخذ بأجنة الصنور ثم يأتي في نهاية المطاف ليضعها في غير موضعها.
- لقد قمت بهذا البحث منذ سنوات خلت، وكان هدفي منه لفت نظر اخوتي ممن ينتسب الى المذهب الأشعوي (أهل السنة والجماعة)، لأنهم بالفعل أتباع أبي الحسن الشعوي في الأصول والفقهاء الأربعة في الفروع، وتسميتهم بالسنة جاءت عن طريق السلطان الظاهر بيوس، لأنهم قيل ذلك كان معاوية قد سمى العام الذي استشهد في الامام علي عليه السلام بعام الجماعة، وهو لعوي اجتماع على باطل بني أمية، وتفرق عن الحق الذي فيه الامام عليه السلام، ثم بعد ذلك بأكثر من قرن انفسوا الى فوقيتين رئيسيتين، أهل الحديث، الذين كانت لهم اليد الطولى في التمهيد للاسواتيليات، وأهل الوأي والقياس، لذا فانه من باب أولى ان تكون السنة عند أصحابها، ألم يكف هؤلاء أنهم غصوا الحكومة من الأولى بها والأقرب الى تقلدها ديننا وعلمنا وعملا وقوبة واصطفاء، بدعوى سبق والقوبة، كما جاء في تزيخ وأحداث السقيفة، ثم انقلبوا ثانية على وات رسول الله لينسوه اليهم، وكل منصف للحق يقول ان أهل البيت عليهم السلام اولى بسنة جدهم، لاستحالة صدور الكذب عنهم.

ومع ذلك يستمر هذا السيل الجرف من المسلمين يمشي في منحدر الظالمين الذين مهوه لهم، نون الالتفات الى الحقائق الدامغة التي تحويها مراجعهم ومصنفات أسلافهم.

هذه هي الحقيقة التي أركتها دونما عناء ولا مشقة، أحمد الله تعالى على أن هداني إليها، واثني عليه كلما أطل علي متدين أو مثقف من الذين ملوا لم يتبينوا سبيل الرشاد مع ما بلغوه من مكانة علمية ومعرفة.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يجمع ثنات هذه الأمة، ويورثها الى الهدى ودين الحق، انه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 11 ص 43 - 48

2 - شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 4 ص 56 - ج 11 ص 44

3 - تذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ص 3 و5 مستترك الصحيحين للحاكم - طبقات ابن سعد ج 1 ص 264

4- صحيح مسلم

5 - سورة الحوات الآية 4

6 - سورة التوبة الآية 62

7 - سورة النافقون الآية 8

8 - الترمذي ج 5 ص 306 ح 3819 - سنن النسائي ج 8 ص 116 و غيرها مسلم ج 1 ص 61 البداية والنهاية لابن

كثير باب سوية علي بن بي طالب إلى اليمن

9 - راجع أحداث السقيفة في كتب التليخ والسيرة

10 - شوح النهج لابن أبي الحديد ج 11 ص 44 - 48

11 - سورة آل عمران الآية 33 و34

12 - سورة البقرة آخر الآية 247

13 - سورة آل عمران الآية 42

14- القاموس فعل صفي

15 - سورة الأنعام الآية 90

16 - سورة الانعام الآية 116

17 - سورة المائدة الآية 62

18 - سورة سبا الآية 13

19 - سورة البقرة الآية 249

20 - سورة ص الآية 24

- 21- القصص الآية 68
- 22 - سورة آل عمران الآية 128
- 23 - سورة الأخراب الآية 11- 12
- 24 - سورة النساء الآية 80
- 25 - سورة التوبة الآية 49
- 26 - سورة الحشر الآية 11
- 27 - سورة المنافقون الآية 4
- 28 - سورة التوبة الآية 101
- 29 - سورة آل عمران الآية 144
- 30- مسلم ج 8 ص البخري ج8 ص 120 أحاديث الحوض.
- 31- صحيح مسلم ج 8 ص أحاديث الحوض البخري ج 8 ص 121
- 32- صحيح مسلم ج8 ص البخري ج 8 ص 120
- 33 - سورة ابن هشام ج 1 ص 555 و 557
- 34 - البخري ج 5 ص 117 سورة ابن هشام ج 2 ص 270 221
- 35 - السورة النبوية لابن هشام ج ص 421 425
- 36 - سورة عبس الآية 31
- 37- مسلم ج 6 ص 179 باب الاستئذان
- 38 - شوح النهج الابن أبي الحديد
- 39- نهج البلاغة ج 2 ص 188 - 191
- 40 - شوح النهج لابن أبي الحديد
- 41 - سورة الأخراب الآية 67
- 42 - سورة المائدة الآية 50 - الشورى الآية 15
- 43 - سورة الأنعام الآية 57 - سورة المائدة الآية 53
- 44 - سورة الأنعام الآية 57 - يوسف الآية 40
- 45 - سورة الأنعام الآية 62.
- 46- معالم الحمومة الاسلامية للسبحاني ص 81 - بحث حول الامامة للشهيد باقر الصدر.
- 47 - سورة الأخراب الآية 6.

- (*) سورة فاطر الآية 32.
- 48 - سورة الحجر الآية 9
- 49 - سورة فاطر الآية 28
- 50 - سورة النور الآية 39
- 51- نهج البلاغة
- 52 - سورة الشورى الآية 23 - تفسير الثعلبي الآية - تفسير الكشاف للمختوي الآية
- 53 - سورة الأحزاب الآية 33
- 54 - مزان الاعتدال للذهبي ترجمة مقاتل بن سليمان.
- 55 - سورة يس الآية 82
- 56 - الأصول العامة للفقهاء المقلن ص 151
- 57 - مسند أحمد بن حنبل - الدر المنثور للسيوطي ج 5 ص 198
- 58- صحيح مسلم ج 7 ص 121 باب فضائل أهل البيت
- 59 - مسند احمد بن حنبل والدر المنثور للسيوطي ج 8 ص 198
- 60 - سورة طه الآية 132
- 61 - تفسير الدر المنثور للسيوطي الآية - تفسير الطوي الآية.
- 62 - سورة الشعراء الآية 214
- 63 - تفسير ابن كثير والطوي والدر المنثور للسيوطي وغوهم الآية
- 64 - سورة آل عمران الآية 61
- 65 - مجمع البيان في تفسير القرآن للطوسي الآية.
- 66 - أخرجه الترمذي ج 5 ص 329 ح 3867 - مسلم باب فضائل أهل البيت والامام علي. فتح البري في شرح البخاري لابن حجر فضائل الإمام علي...وغوهم
- 67- نهج البلاغة
- 68- نهج البلاغة
- 69 - الصواعق المحرقة لابن حجر ص 149
- 70- موطأ مالك
- 71 - ابن حجر في الصواعق ص 148 كنز العمال للكتفي الهندي ج 1 ص 168 - أسد الغابة ج 3 ص 137- مسلم ج 5 ص 74 باب الوصية. - مسلم كتاب الوصية ج 2 ص 16 - أحمد بن حنبل في مسنده ج 1 ص 355 - البخاري كتاب

- العلم ج 1 ص 37 - تليخ الطوي. وغوهم..
- 72 - سورة الحشر الآية 7
- 73 - سورة الحوات الآية 1
- 74 - سورة يونس الآية 41 / 45
- 75 - سورة النساء الآية 58
- 76 - سورة النساء الآية 82
- 77 - سورة المائدة الآية 70
- 78 - مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 84 وص 281 وج 5 ص 347 والتومذي في سننه ج 5 ص 292 ح 3797 - سنن ابن ماجة ج 1 ص 45 - أسد الغابة لابن الأثير - تليخ دمشق لابن عساكر توجمة الامام علي - مستترك الصحيحين للحاكم ج 7 ص 110 حلية الأولياء لأبي نعيم. - وغوهم...
- 79 - سورة المائدة الآية 4
- 80 - يبايع المودة للقتدوري الحنفي - تليخ دمشق لابن عساكر ج 2 ص 175 - الدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 259 الآية.
- 81- الغدير للاميني ج 1
- 82- الغدير للاميني ج 1
- 83 - أخرجه البخاري باب المناقب والاعتصام بالكتاب والسنة- ومسلم باب الإيمان
- 84 - سورة المائدة الآية 55
- 85 - الكشف للزمخشري ج 1 ص 649 - أسباب النزول للواحي ص 113...
- 86 - البخاري كتاب المغري باب غزوة تيوك وكتاب بدءباب مناقب علي بن أبي طالب الخلق - سلم باب فضائل الإمام علي - مسند أحمد ج 3 ص 50 ح 1490 وح 1505 وح 1509 وح 1532 وح 1547 وح 1583 وح 1600 وح 1608 وح 3062 - ابن ماجة ج 1 ص 42 ح 115 و 121... وغوهم
- 87 - سورة طه الآية 29 - 34
- 88 - سورة الأعراف الآية 142
- 89 - التومذي ج 5 ص 300 - الصواعق ص 120 - أسد الغابة ج 4 ص 29
- 90 - الصواعق ص 184 - تلخيص المستترك للذهبي بذييل مستترك الحاكم - تليخ الخلفاء للسيوطي.
- 91 - سورة الرعد الآية 8
- 92 - تفسير الطوي ج 13 ص 108 - تفسير الفخر الوري ج 5 ص 271 - تفسير الشوكاني ج 3 ص 70 - تفسير

- 93 - سورة طه الآية 82
94 - سورة الأنعام الآية 90
95 - البخاري - مسلم باب الإمرة ج 6 ص 3
96 - الأصول العامة للفقهاء المقلن.
97 - سورة العنكبوت الآية 27
98 - سورة الجاثية الآية 15
99 - سورة البقرة الآية 247
100 - سورة البقرة الآية 124
101 - سورة لقمان الآية 13
102 - سورة النساء الآية 53
103 - الأصول العامة للفقهاء المقلن ص 189
104 - نهج البلاغة - الخطبة 2
105 - نهج البلاغة - الخطبة 59
106 - سورة الإسراء الآية 71
107 - سورة يس الآية 12
108 - سورة الأنبياء الآية 73
109 - سورة القصص الآية 41



قراءة في حديث الثقلين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث رواه أكثر الفرق الإسلامية:

" تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

إن المنتبغ لأحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، والمنتدبر لمعانيها يدرك مدى أهمية تلك الروايات في بيان وتفصيل الأحكام الإلهية لذلك لم يكن هناك بد من أن يكون حفظها موكولا إلى الشروع المقدس وليس إلى الناس، وكل ما جاءنا من روايات تفيد غير ذلك تفتقد قوة الدليل وتحتاج إلى إثبات منطقي يؤيد دعوها.

ننطلق إذا معتمدين على قاعدة الاتفاق التي يجمع عليها كل المسلمين إلا من شذ منهم والشاذ يحفظولا يقاس عليه، والتي تقول: إن السنة النبوية هي ثاني مصادرها التشريعية وحجية هذه القاعدة مستمدة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية نفسها.

أما من القرآن الكريم فقوله تعالى: " وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا". وقوله أيضا: " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى". وقوله أيضا: " فليحذر الذين يخالفون عن أمره... " و" إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله".⁽¹⁾

أما من السنة نفسها فقد أورد أبو داود الطيالسي بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: "لقد أوتيت هذا القرآن ومثله معه".⁽²⁾

لذلك لم نجد في مجمل أقوال العلماء الأعلام من يقول بغير حجية أقوال وأفعال وتقرارات رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليه فإن الخلاف ليس في حجية السنة وإنما في مصدر ورودها، أنأخذها عن كل من هب ودب فتكون بالتالي متروكة للناس بكل طبقاتهم، وفيهم المؤمن والمنافق والذي في قلبه مرض، ومن الذين يقدمون مصالحهم الخاصة على دين الله، ومن الذين استهوتهم الدنيا وترينت لهم فوقوا في دوامة هواها، وما يعنيه ذلك من تقصير وعدم حكمة من قبل صاحبها.

وحيث أثبت المولى في كتابه العزيز أن الإشكال القائم في الشوائع السابقة يكمن في امتداد أيدي التحريف إليها لسبب واحد هو انحراف تلك الأمم عن المسار المسطر لها وابتعادها عن القائمين على تلك الشوائع حفظا وتطبيقا.

إن ما قيل من أن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يكونا مجموعين على عهد النبي الأكرم لهو كلام غير قائم على دليل، لان ما جاء من روايات تؤكد عكس ذلك لكن السياسة والملك العقيم ألبا اعتماد الحقيقة، وكيف يمكنهما أن يفعلا ذلك وهما الغاصبين للحكم من أصحابه والمتسلطين على رقاب المسلمين.

ولأجل اعتماد فضائل مزعومة لبعض الصحابة لا يتبرع هؤلاء من نسبة التقصير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في حفظ شريعته والتفريط فيها لأناس حديثي العهد بالدين والقوانين والحضرة، ولنا أن نطرح سؤالا يقول: هل أمكن لولاة الذين ألقيت على عواتقهم مهمة التبليغ والحفظ أن قاموا بمهمتهم على الوجه الأكمل؟ الجواب حملته لنا بطون المصادر وأمها كتبها

يقول: إن الذين قيل عنهم حفظة السنة لم يكونوا مدركين لحقيقة الرسول فضلا عن سنته ولست متجنيا على أحد في هذا القول وإنما هي الحقيقة العوة التي أثبتتها الأحداث والوقائع التي كشفت تناوفا بين أقوال هؤلاء وأفعالهم.

فقد جاء على سبيل المثال لا الحصر روايتين تهدمان مقام النبوة وتضعان ما ترتب عنها من آثار في مهب الريح.

تقول الرواية الأولى والتي تبني صاحبها فكرة إلغاء السنة من الأساس: أخرج البخاري وغيره من الحفاظ والرواة والمؤرخين

مجمعين كلهم على صحة الواقعة بلا تكبير: بالإسناد عن ابن عباس قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمه الحصى حضر رسول الله وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال ائتوني ببواة وكتف أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فقال عمر: إن النبي قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله.

وفي رواية أخرى ان النبي ليهجر. وفي رواية ما له أهدر إستفهموه؟ وانقسم من في البيت فمنهم من يقول قوبوا لرسول الله يكتب لكم الكتاب الذي ذكر ومنهم من يقول مقالة عمر (3) وحتى لا ينصرف بنا الحديث عن أصل الموضوع نقول إن عمر بن الخطاب هو أول من رفض السنة ودعى إلى اعتماد القرآن فقط.

وقد عمل في فتوة حكمه على إنفاذ رأيه فعمد إلى حرق ما طالته يده من أحاديث بدعى اختلاطها بالقرآن وقد أخرج ابن سعد في طبقاته الكوى رواية الحرق فقال: ان الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريفها. (4)

وكذلك فعل الخليفة الأول فقد أخرج الذهبي بالإسناد عن عائشة قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله (ص) وكانت خمس مائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيرا فغمي، فقلت انتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجننته بها فدعا بالنار فحرقها.

قال خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك. (5)

لم يكتب عمر بذلك فسعى إلى منع نشر أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين الناس وما ترتب عنه من فوت لكثير من الأحاديث ضياعها، فقد أؤم عددا من الصحابة على عدم ترك المدينة لئلا يحدثوا عن رسول الله (ص) بل ذهب إلى أبعد من ذلك فقد روى المتقي الهندي بإسناده قال: أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء من ذلك فليمحه. (7)

ذلك ليعجب العرفين بحقيقة كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا حتى تبني موقفه، فقد استمر من كان يؤمن بجوى وحقيقة كلام رسول الله صلى الله عليه وآله، في نشر تلك المعرف الإلهية متحديا موقف السلطة القائمة والتي تدعو إلى منع نشر الأحاديث.

ولقائل أن يقول: ما الفائدة من تبني السلطة لمنع نشر السنة؟ الجواب لن يكون عسوا ولا مستعصيا لكل من ألقى السمع

وهو شهيد، إن الأحاديث النبوية كما هو معروف لدى الخاص والعام هي الشلحة والمبينة لاحكام الله تعالى التي جاء بها

الوحي وهي جزء منه لقوله تعالى: "ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى بك وأهله وحبه وحبه وقل ربي زدني علماً".

لذلك فإن أي محاولة صدرت لمنع هذا الركن التشريعي من أداء دوره موسومة بالعداء مبنية على عقلية تريد إخفاء حقيقة أو عدد من الحقائق التي قد تخرج عند ظهورها ورواجها بين الناس من انوى لمنع أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا أعتقد أن هناك سبباً آخر كان الدافع للمنع.

وبما أن بحثنا هذا يسعى إلى تسليط الضوء على رواية لها أهمية قصوى تزيد ما تعلق بعقولنا من تساؤل عن مآل السنة النبوية وقد مرت بعد انتقال صاحبها إلى جوار ربه بأحلك فترات ابتلائها، فأهملت وتكررت بلا تبيين حتى أذن بذلك الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز - هذا عند جمهور المسلمين - فكان أول الكتب موطأ مالك بن أنس (150 للهجرة)

يقول الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه والنسائي في خصائصه ومسلم في جامعه المسمى بالصحيح وأحمد بن حنبل في مسنده والحاكم النيسابوري في مستدركه والمتقي الهندي في كزوه وابن كثير في تفسيره وغيرهم كثير ممن أحصاهم صاحب غاية الروام وابن حجر في الصواعق فبلغوا لديهما إلى ثمان وثلاثين طويلاً كلها صحيحة الإسناد: " اني ترك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما".⁽⁸⁾

باختلافات يسوة في اللفظ أما ما نقله أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فقد جاوز الثمانين طويلاً، وهو من الأحاديث التي بلغت حد التواتر إلا أن السياسة أبت الا توهين ما صح ثبوت وروده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكي لا يستقيم أمر الحاكمية الإلهية وقد تم لهم ذلك.

ولست هنا في مقام مناقشة الحديث سنداً لانه من الأحاديث التي أخرجهما الفوقان وأوا بصحة صدورهما عن نبي العصمة صلى الله عليه وآله وسلم بل هي من المسلمات التي تضمنتها بطون أمهات كتبهم، إنما أنا في هذا الباب مستشف لمعانيه التي أغفلها جمهور المسلمين ولم يعيروها الأهمية التي قصدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ورائه الوحي الإلهي. يعتبر الحديث من الوصايا المعتوة (ترك فيكم) بل هو أهمها على الإطلاق إذا ما نظرنا إلى تعلق الوصية بعامل عدم ضلال كل متمسك بمحواها (ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا) وهما الكتاب العزيز والعترة الطاهرة من أهل بيت المصطفى عليهم الصلاة والسلام.

ومن هنا تتكشف لنا حقيقة أن السنة النبوية لم تكن بمنأى عن الحفظ بل ان المولى سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم تبعاً لذلك قد جعلها وعاء واقياً ومستحفظين صادقين لا يتطرق إليهم شك وهم عترة المصطفى الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهراً بمقتضى الآية التي في سورة الأحزاب التي أقر كل المفسرون والحفاظ والرواة بنزولها في رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلى الله عليهم وسلم تسليمًا كثوار غم أنوف الحاسدين والمبغضين حتى الذين نقلوا جعجة نزولها في نساء النبي (ص) كعكرمة الخرجي المبغض لعلي عليه السلام ومقاتل الجوزجاني الكذاب بلسان مزان الجرح والتعديل⁽⁹⁾ ، لم ينقلوا عنهما رواية واحدة، إنما نقلوا آراءهما التي لم تستند على حجة يعتمد عليها، في

مقابل عشرات الروايات التي تذكر أهل البيت الخمسة عليهم السلام، ومن بين رواياتهم أم سلمة وعائشة، ولو كانت لإحداهما خصوصية في تلك الآية لأشترت إليها.

راجع على سبيل المثال لا الحصر تفسير الطوي وتفسير ابن كثير الدمشقي،⁽¹⁰⁾ مع رجائي الحار أن يتجنب الباحث عن الدليل والحقيقة أن يتجنب مختصات التفسير لأن هناك من يسعى إلى تغطية الحقائق بحذف الروايات الخاصة بفضائل أهل البيت عليهم السلام تحت عنوان المختصر من التفسير كمختصر ابن كثير لمحمد علي الصابوني.

ولقائل أن يقول كيف يمكن أن نستشف العصمة لأهل البيت عليهم السلام من خلال هذه الرواية؟ فأقول اعلم هداك الله تعالى إلى التمسك بالصفوة الطاهرة عليهم السلام أن اقترانهم بالكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه دال على ذلك مع عدم افتراقهما إلى يوم القيامة إشارة أخرى بعصمة هؤلاء.

إذا فالدليل الأول الذي يؤيد عصمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام هو جعلهم في الحديث ثقلاً لكتاب الله، والدليل الثاني أن التمسك بالعترة الطاهرة عاصم من الضلالة والدليل الثالث هو أن العترة الطاهرة لن تفترق عن كتاب الله إلى يوم القيامة (حتى يردا علي الحوض).

قد يصطدم القارئ بهذه الحقيقة التي ظلت مغيبة عنا قرون طويلة، وقد راها تتعرض مع الحديث الذي كنا نعتقد أنه صحيح لا غبار عليه والذي رواه مالك بلاغاً دون أن يفصح عن سنده وهو أول من حدث به ومن جاء بعده أخذ عنه، يقول الحديث: "عن مالك أنه بلغه أن رسول الله - ص - : "تركتم فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه".⁽¹¹⁾ أن الحديث رغم انقطاع سنده وهو دافع قوي يدعو إلى رده، لعدم الوقوف على روايته، لا يتعرض مع حديث الثقلين، لثبوت حجة السنة النبوية، فلو كان الحديث مثلاً: "تركتم فيكم كتاب الله وصحابتي". لأمكنا الموزنة بين الحديثين وتوجيه أحدهما على الآخر بقوة الدليل.

ولما لم يكن من ذلك شيء رجعنا إلى القول بمؤيد حديث الثقلين لتعدد طرقه من الفويقين ولسلامة ألفاظه وصحة معانيه. يقول ابن حجر الهيتمي في صواعقه: ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً.. ويقول أيضاً ولذا حث (ص) على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم وقال: "الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت". وقيل سمياً ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما.⁽¹²⁾

ويقول الألوسي: وهذا الحديث ثابت عند الفويقين أهل السنة وشيعة (أهل البيت عليهم السلام) وقد علم منه أن الرسول (ص) أمرنا في المقدمات الدينية والأحكام الشرعية بالتمسك بهذين العظيمي القدر والوهرع إليهما.⁽¹³⁾

ويؤدد تأكيداً من امتناع صدور رواية مالك عن النبي (ص) بخصوص وصيته بالكتاب والسنة، لما رواه الفويق القائل بصحته على علته من أن السنة النبوية لم تكن مكتوبة لديهم فضلاً عن القرآن الكريم، فالسنة كنا قد أشونا في بداية البحث عن توقيت تدوينها، أما القرآن فهم يعتقدون بأن نقيصة عدم تدوينه وخلل إهماله قد استتركه أبو بكر فجمعه، وخص إحدى نساء النبي (ص) بالائتمان عليه دون الأمة، ولست أوري الفائدة التي حصلت من ذلك الجمع؟، ثم جاء عثمان فجمع جمعه وأحرق

بقية المصاحف التي كانت بأيدي أصحابها، رغم أنهم يقولون بتعدد أحرف القرآن، وأنه قول على سبعة أحرف، فهل كان حرق المصاحف الا هروبا من التفاسير التي أثرت عن النبي (ص) وكانت السلطة آنذاك تتحرج من بقائها بين أيدي الناس، لتعلقها بكثير من النصوص التي تتعرض ومصلحة السلطة.

فكيف يمكن أن يحيلنا رسول الله (ص) على مصدرين أساسيين من مصادر التشريع وهما غير مدونين؟ ولا بين لنا كيفية الاستفادة منهما وهما ماثوران في صدور الناس؟ أفلا يكون حملتهما هم المعنيون؟ أليس في كتاب الله تعالى ما يشير الى ذلك ويقوي حجة أهل البيت عليهم السلام بأن العزة الطاهرة هي وعاء الشريعة وقادة الأمة؟ حيث اصطفاهم الله واختزلهم من بيوتات العرب ومنحهم من علومه ما جعل الناس عيالا عليهم.

نعم لم يفرط المولى سبحانه وتعالى في شريعته ولم يتركها للناس يفعلون بها ما يريدون وانما جعل لمنظومته تكاملا لم يتخلله نقص ولا أعقبه استتراك من أحد، وهو المطلع على خلقه العالم بخفايا أنفسهم وواطن عقولهم، فخلق لهم الحجة والشاهد عليهم قبل الخلق.

ولما كان هو الحاكم الأول والأخير، قال تعالى: "ان الحكم الا لله. وقال أيضا: "الا له الحكم".⁽¹⁴⁾ ومنه جاءت الأحكام والسنن فان أمر تبليغها وتطبيقها ورعايتها ووعايتها أوكله الى سلسلة ولايته وهم الأنبياء والائمة الهداة والعلماء العادلون. فقد جاء في سورة المائدة قوله تعالى: "انا نحن نزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هانوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من متاب الله وكانوا عليه شهداء". لذلك لم يوكل المولى سبحانه وتعالى مسألة أحا كمية لخلفه مجردة عن قوانينه، بل جعل لها حزا في منظومته الدقيقة وتشويعاته التي وضعت لكل شيء قورا.

فالتشريع مهم والاهم منه حفظه ورعايته، الذين يجب أن يكونا من جنس التشريع. ومن هنا جاء حديث الثقلين الذي وان تعددت طوقه فقد تعددت ألفاظه لسبب واحد هو حرص النبي (ص) على التأكيد على أهمية العزة الطاهرة من أهل بيته في مقام الحفظ والرعاية. قال تعالى: "انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون".⁽¹⁵⁾

فالتتويج كما هو معلوم كان عن طويق الروح القدس عن طويق النبي (ص) والحفظ لا يعدو ذلك عن طويق الإمام الذي أحصى الله تعالى فيه كل شيء متعلق بأحكامه وما يحتاجه الناس في معاشهم ومآبهم.

وجعلهم أمثلة أممهم وقنوة عصورهم ومنارات هدي يؤي اليها التائبون ويستضيء بنورها المتحيرون ويستهدي بها الغرلقون في ظلمات الجهل وعدم المعرفة وهم أكثر الناس. قال تعالى أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده".⁽¹⁶⁾

وإذا كنا سلمنا بليلة القدر وحتمية بقائها بعدرسول الله (ص) فان ما تستدعيه تلك الليلة يستوجب من الذين لا يعتقدون بوجود الإمامة على الله تعالى أن يسألوا أنفسهم على من تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر؟ ان الاصطفاء الإلهي جار في الإمامة كما هو جار في النبوة فهما وظيفتان تتدرجان في مقام اللطف الإلهي ومن السنن التي لم تنقطع

والعجيب والغريب في أن يستنكر المسلم اليوم هذه المسألة ويعترض عليها بعلم أو بدون علم ويمر على التسيب والمهزل التي أردت بنا إلى حضيض الأمم مرور الكرام.

ان اعتماد مقولة ترك أمر الشريعة الإلهية للناس وإهمال القيمومة عليها هو كالقول بالنقص في الشريعة الإسلامية واحتياجها من بعد الرسول الى من يستنكر ما غاب عن أصحابها.

وقد أدى هذا القول إلى أكنسة الدين وحصوه في مجرد طقوس تعبدية لا ترقى الى تلبية حاجات الناس الدنيوية، ومن ثم فصل الدين عن الحياة وموالاته الظالمين، فضويت الشريعة وحرفت بعض أحكامها لخدمة الطغاة وأوغ الدين من محتواه وأهدافه حتى كاد يضمحل من وجدان ومشاعر وعقيدة المسلمين، وذلك لسبب واحد هو تغييب الحاكمية وبتوها عن جسد الشريعة بدعوى تركها لناس.

ومن هذه الوجهة جاء حديث الثقلين ليثبت مفهوم المرجعية العليا للامة ويشير الى أن تلك الوظيفة هي ضرورية لبقاء الشريعة وتطبيق أحكامها في الأرض، ومن دون تلك المرجعية لا يبقى للدين معنى.

لقد قرن حديث الثقلين كتاب الله سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بالعزة الطاهرة من أهل البيت عليهم السلام والذين اصطفاهم خالقهم فأذهب عنهم رجس الشيطان وطوهم تطهروا، تماما كما جعل لهم المولى تعالى حزا في مراتب ولايته فقال: " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنزعتم في شيء فوهه إلي الله والرسول..."⁽¹⁷⁾

خاطب المولى سبحانه وتعالى في هذه الآية المؤمنين فدعاهم الى طاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر وهي طاعة مؤمنة لا مفر منها، ثم عادت الآية لمخاطبة الذين آمنوا ناسبة إليهم إمكانية التنزع فيما بينهم عدا مراتب الولاية الثلاث لأنها تحت طائلة الإلزام الأول والتنزع معها موجب للعصيان والكفر والخروج عن الدين.

وفي الآية دلالة على عصمة أولي الأمر تماما كحديث الثقلين لان الله تعالى لا يمكن أن يأمرنا بطاعة من تجوز عليهم المعصية ثم يحاسبنا عليها.

ويؤيد دعوى خصوصية الآية بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام، واعتلائهم مقام البيان والهداية في الأمة ما جاء في قوله تعالى: "وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوروه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم".⁽¹⁹⁾

جاءت هذه الآية لتوضح أكثر نور أولي الأمر في المرجعية والقيادة حيث جعلتهم في مقام واحد مع الرسول الأكرم في بيان كل ما يتعلق بوجه الحياة (الأمن=السلم)، (الخوف=الحرب) وضرورة رجوع الناس إليهم فيها

قال تعالى: "أم يحسدون الناس على ما أتاهاهم الله من فضله فقد آتينا آل إراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما".⁽²⁰⁾ والناس في هذه الآية هم آل محمد عليهم الصلاة والسلام كما جاء في الروايات المفسرة للآية من طريق أهل البيت عليهم

السلام.

وقال أيضا: "ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في نريته النوة والكتاب".

(22)

وقال أيضا: "قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب".

والكتاب علم رباني لا يعطيه الله سبحانه وتعالى الا لمن اصطفاه فيكون وعاءه وحافظته، ولا شك أن المقصود في الأمة بمن عنده علم الكتاب هو علي عليه السلام، وفق ما جاء من تفسير الآية ومطابقة لحديث باب مدينة العلم وبقية الأحاديث، مع ما جاء من أنباء تؤكد بما لا يدع مجالا للشك بأن الإمام علي هو فقط من عنده علم الكتاب على عهد رسول الله (ص) لقد كان رسول الله (ص) دائب البيان والتوضيح بخصوص المقصود بهم أهل البيت عليهم السلام، فقد صرح بذلك في عديد الأحاديث بحيث لم يتوك مجالا للتساءل والتأويل فقال (ص): "ألا أن مثل آل محمد (ص) كمثل نجوم السماء اذا خوي نجم طلع نجم". (23)

وعندما تولت الآية: "وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها". كان (ص) يأتي باب علي وفاطمة (وهو الباب الذي لم يسد مع باب حجرته الشريفة عندما أمر بسد الأبواب المشروعة على المسجد)

(24)

عن أنس بن مالك: أن النبي (ص) كان يمر بببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج للصلاة".

وعن أبي الحواء قال: شهدت النبي (ص) يطرق باب علي ويقول الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الوجس أهل البيت ويطهركم تطهرا". (25)

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله (ص): إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق". (26)

(27)

وقال (ص) أيضا: "النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف".

أما ما قاله الإمام علي عليه السلام نفسه فهو إثبات آخر يزيد المسألة توضيحا وحجة فقد قال في إحدى خطبه: "اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيئاته وكم ذا وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عددا والاعظمون قورا يحفظ الله بهم حججه وبيئاته حتى يودعها نظاؤهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعوه المتوفون واستأنسوا بما استوحشه الجاهلون وصحوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه". (28)

وقال عليه السلام في أخرى: "خنوها من خاتم النبيين (ص) انه يموت من مات منا وليس بميت ويبلى من بلى منا وليس ببال، فلا تقولوا بما لا تعرفون فان أكثر الحق فيما تتكرون

واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو. ألم عمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركوت فيكم راية الإيمان..". (29)

وقال في أخرى: "أين الذين زعمون أنهم الواسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وكرمهم وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح (30)

على سواهم".

وقال في أخرى هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن حكم منطقتهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه.

هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وازاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه عن منبته. عقولوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية، فان رواة العلم كثير ووعاته قليل".⁽³¹⁾

ولم يشذ عن قاعدة الاعتراف بأن أهل البيت المقصودين هم النبي (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين حتى أشد المخالفين عدوة فهذا ابن تيمية يقول: طالما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهروا.

دعا النبي (ص) لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصا به وهم علي وفاطمة رضي الله عنهما وسيدي شباب أهل الجنة، جمع الله لهم بين أن قضى لهم بالتطهير وبين أن قضى بكمال دعاء النبي (ص) فكان ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم نعمة من الله".⁽³²⁾

هؤلاء إذا هم المصطفون من آل بيت النبي (ص) ممن أختلهم الله تعالى للقيام على دينه وشريعته حفظا وتطبيقا في الناس، كما كان شأنه في سابق رسالاته، وكل من حاول صرف هذا الأمر عن أصحابه إما أن يكون جاهلا لا يبوي بما يفعل واما أنه متربص بهذا الدين تربص العدو الذي يريد به شوا، ولم رى في حياتي شوا أشد على هذا الدين من إعفاء أصحابه من قيادة الأمة بدعوى واهية أثبتت كذبها وفشلها وبعدها عن الدين، وحالنا اليوم ينبئ بالدور الذي قصر عنه أهل البيت وروغمون فلم يتجاوز الا خالص أتباعهم وخاصة مواليتهم، ممن لم تهبهم تهديدات الظالمين فأخنوا عنهم معالم الدين بيضاء صافية نقية حقة.

ويقدم لنا دليلا لا ينكوه إلا ممار ومعاند على صدق دعوى الاصطفاء الإلهي واختصاص الإمامة بعد النبي بأصحابها الذين أرادهم الله تعالى قادة، وهذه عترتهم الطاهرة لا تزال كما اخبر عنهم جدهم أطوادا شماء وحصونا حصينة للدين، ومنارات علم، وطريق هدى لمن يريد الخلوص إلى الله تعالى.

1- سورة الحشر الآية7. -سورة النجم الآية 3-سورة النور الآية63- سورة آل عمران الآية31.

2- سنن أبي داود ج2 ص229 أضواء على السنة المحمدية لمحمود أبو رية ص 25-26.

3 - البخاري في جامعه ج3 ص61 ومسلم في جامعه ج5 ص75 وأحمد بن حنبل في المسند ج1 ص355 ابن الاثير في الكامل ج2 ص212 الطوي في تزيخ الامم والملوك، وغورهم

4- طبقات بن سعد ج5 ص140.

5 - تذكرة الحفاظ للذهبي ج1 ص5. كنز العمال للمتقي الهندي ج10 ص25.

6 - مستترك الحاكم النيسابوري ج1 ص110 كنز العمال ج10 ص285.

7- كنز العمال ج10 ص291.

- 8 - حديث الثقلين أخرجه كل من: مسلم في جامعه ج7ص122 ، 123 ، 124 - الترمذي ج5ص663 حديث3788
- خصائص النسائي ص41 . -سنن الدلمي ج2ص431 -مصنف ابن أبي شيبة ج11ص452 حديث11725 السنة لابن أبي عاصم ج 2ص336 ح 754 و628 و630 وحديث 1548-1549 - 1553 . طبقات بن سعد ج2ص194 مشكل الآثار ج 2ص368 -حلية الاولياء لابي نعيم ج1ص355 -المعجم الكبير للطواني ج5 ص153-154 ح 4921-4923 و169-170 ح 4982-4980 . المعجم الصغير ج1ص131 -المناقي لابن المغزلي الشافعي ص234-235 ح 281-283-مصاييح السنة للبغوي ج4 ص190ح4816 -جامع الاصول ج1ص278 . - أسد الغابة ج2ص12 -ذخائر العقبى للمحب الطوري ص16 -احياء الميت للسيوطي ص30-32 ح6-8 مجمع الزوائد للهيثمي ج1ص170 وج9 ص162-كنز العمال وفيه 17 حديثا ج1 ص172-173 و185-186 و187 تفسير الوري ج8ص163 -تفسير ابن كثير ج4 ص122 - الصواعق المحرقة ص126 يض القدير للمنوي ج3 ص14-15 -وأخرجه صاحب غاية الروام فعدد طرقه . -جماعة التوقيب بين المذاهب الاسلامية، أخرجت الحديث في رسالة مختصرة شافية وتتبعت مصادره. مستترك الصحيحين للحاكم ج3ص109وص533-148 -الدر النثور ج2ص60 تزيخ بغداد ج7ص442 -شوح العقيدة الواسطية لابن تيمية ص120 .
- 9 - موزان الاعتدال ج3ص93-97 ترجمة عكرمة وج4ص173-175 ترجمة مقاتل بن سليمان البلخي المفسر .
- 10- تفسير ابن كثير الدمشقي ج3ص483-485 الآية -تفسير الطبر يسورة الاحزاب الآية، وبقية كتب التفسير .
- 11- الموطأ لمالك بن أنس .
- 12 - الصواعق المحرقة لابن حجر ص126و150-151 .
- 13 - محمود شكوي الالوسي مختصر التحفة الاثني عشرية ص52 .
- 15 - سورة الانعام الآية62 .
- 16 - سورة الانعام الآية90 .
- 17 - سورة النساء الآية58 .
- 18 - سورة النساء الآية82 .
- 19 - سورة الآية
- 20 - سورة النساء الآية54 .
- 21 - سورة العنكبوت الآية27 .
- 22 - سورة الرعد الآية43 .
- 23 - الصواعق المحرقة لابن حجر ص235-236 .
- 24- المسند لاحمد بن حنبل ج3ص259-285 .
- 25 - البلاذري في انساب الاشراف ص104- البيهقي في الاختصاص ص186

- 26 - السيوطي في الجامع بالصغير ج1 ص 373 وج 2 ص 133 -المعرف لابن قتيبة ص252 -ابن كثير في تفسيره ج4ص113-ابن حجر في الصواعق ص152-186-185-
- 27 - الصواعق لابن حجر ص235-ابن كثير ج 4 ص 123 -السيوطي في الجامع بالصغير ج 1 ص 373 وج 2 ص 533 ينابيع المودة ج 1 ص 129.
- 28- نهج البلاغة ج4ص38.
- 29- نهج البلاغة ج1ص154.
- 30- نهج البلاغة ج2ص44.
- 31- نهج البلاغة ج2ص232.
- 32- حقوق آل البيت لابن تيمية ص12.



قراءة في حديث الاثني عشر خليفة برواية العامة

إن من الأحاديث النبوية التي دلت على أحقية متبعيها بالصحة والنجاة، وميزت معتقي خطها على غوهم من ملل الإسلام ونحله، بالسمع والطاعة واتباع سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتطبيق تعاليم الإسلام الصافي من ومورده الأصلية وأبوابة الحقيقية، التي أوجب الله تعالى إتيانها والتعبد بها، لأن العبادة بلا مثال يحتذى، وأنموذج يقتدى، في حقيقتها ليست سوى اتباع هوى وشبهات لا تقف على ساحل حقيقة. مصداقا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا زال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يظوهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله" (1)

أحاديث الاثني عشر إماما أو خليفة كما جاء في عدد منها. هي من الأحاديث القليلة في خصوص الإمامة التي اتفق على صحة ورودها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأجمع رواة الفرق على نقلها وتدوينها، بعدما سلمت من أيدي المانعين والمحلبيين لأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت دعوى عديدة لا تستقيم مبرراتها، بل هي سبب البلية في الأمة وموضع الداء الذي نخر عودها قرون عديدة، فما فوق الأمة غير الإصوار على تغييب السنة النبوية في الصدر الأول من الإسلام، بدعوى اختلاطها بالقوان، تحت عناوين ومبررات أخرى ظهرت حسيكة النفاق حائلة بين النبي صلى الله عليه وآله وأمه وأمته، تشكيكا في ما صدر عنه، ترة بأنه أذن وترة أخرى بأنه يهجر، ولو ترك المحرفون لنا كل غمزة قذف بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما استوعبت طعونهم كتابا، ذلك السلوك الظالم أسفر عن حدوث هوة فصلت المسلمين عن نبيهم ووثائه الذي يعتبر ثاني مصادر تشويع الأمة والشراح لمقاصد آيات الله تعالى وكلامه، كما كانت نتيجة ذلك المنع انحسار تواتر الأحاديث إلى عدد محدود من الأحاديث التي لا تشكل في مضمونها ولا في مقصدها خطرا على المؤسسين لخط الشورى الصوري.

الحديث: عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله (ص) يقول: لا زال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا. (2)

الحديث: وعنه أيضا، قال سمعت رسول الله (ص) يقول: لا زال هذا الأمر عوزا إلى اثني عشر خليفة. قال ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال كلهم من قريش. (3)

الحديث: عن قيس بن عبد الله قال كنا جلوسا في حلقة فيها عبد الله بن مسعود فجاء أعرابي فقال أيكم عبد الله بن مسعود؟ فقال عبد الله: أنا عبد الله بن مسعود، فقال هل حدثكم نبيكم (ص) كم يكون بعده من الخلفاء؟ قال نعم اثنا عشر عدة نقباء بني إسرائيل. (4)

لست في مقام النظر إلى أسانيد الروايات، لأن مضمون الحديث مما أجمع لرباب المجاميع الروائية عند كافة الفرق الإسلامية على التسليم بصحة ورودها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا معارضة من أحد من قدامى علماء الحديث النووي، وإذا ما تسالم الجميع على صحة حديث لم يعد هناك لزوم للنظر في سنده، لذلك صوفت النظر إلى ما هواه منته من

دلالات ومعان متعلقة بالقيادة في الأمة الإسلامية، وهو الأهم في واقع الأمر، ولا رى مسألة هي من الحساسية والخطورة كهذه، منها ضوبت الأمة ضربة لا تزال تعاني من أثرها إلى اليوم.

للحديث دلالة غيبية على من سيلي الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ناحية، وإعلان بأن هذا الدين (هذا الأمر) غير مسكوت عنه ولا متروك للناس يرون فيه رأيهم من ناحية أخرى، ولقد أوجت حديثين من الأحاديث المتفق عليها لبسط البحث في انتظار دعمها بأحاديث آخر.

لقد اتفق المسلمون على صحة الرواية ومع التسليم بصحتها لم يعد هنالك مجال للقول بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سكت عن الدور الذي يليه لأنه من تمام الدين وكمال الوسالة ودعوى السكوت أو الإهمال التي رفعها القائلون بأن الله تعالى أوكل للناس حفظ دينه هكذا بلا أدنى حصر ولا تقنين، وعوض أن تكون قيادة الأمة مستجيبة لقانون التفاضل الطبيعي واختيار الأفضل، نكس أمرها إلى اختيار لم يستجب لأبسط قواعد الشورى، ولا لأدنى معايير الاختيار، بل لعل الأدهى أن تصور الشورى عند القائلين به، انبنى على الأساس الذي أسسته حادثة السقيفة، ببعديه الديني والسياسي، وان كان ذلك البناء متداعيا منذ بدايته لأنه قد طوق به أصحابه بنقضهم لما أسوا له من تصور شوروي للحكم فالخليفة الأول نص على الثاني والثاني حصر الحكم في ستة، ظاهر العملية يوحي بشورى محدودة وفي باطن الأمر فان المتتبع للحادثة وما سبقها وما تلاها يدرك أن الخليفة الثاني كان يهين لأمر إلى بني أمية منذ تعيين معاوية واليا على الشام مرورا بالتعيين الغير مباشر للخليفة الثالث عبر صوره عبد الوحمان بن عوف الذي أوكل له الخليفة الثاني اختيار من سيلي الأمر من بعده إذا تعادل الستة ثلاثة مقابل ثلاثة بقوله: "فانظروا الثلاثة الذين فيهم عبد الوحمان بن عوف" ..

لذلك فان مسألة الشورى عند راعي شعورها مجهظة منذ البداية لبعده النظرية عن التطبيق.

فنتج عن ذلك انواط أمر القيادة في الأمة إلى من لم يكن ليهدى أحدا من الأمة إلا أن تقع هدايته، ثم رجع الأمر إلى من لا يقبل الهداية أبدا ولا يدركها مطلقا، وتلففها الطلقاء تلفف الكرة كما قال أبو سفيان عند تولي عثمان سدة الحكم واجتمع بنوا أمية في دره، وتواصل انحدار الحكومة إلى شربي الخمر ومعلني الفجور والمعطلين لأحكام الله تعالى والمحلبيين له بكل ما طالته أيديهم القفرة. وهم أغلب ما حكم من بني أمية وبني العباس. وقن ذلك النتاج الخاطئ لتصبح تولية المفضول مع وجود الفاضل أمرا واقعا وتثبيتا لممارسة أقر المؤسس لها بكونها فلتة وقى الله المسلمين شوها ومن عاد إلى مثلها وجب قتله. فحكم على صنيعة بالفلتة وعلى نفسه بالقتل.

وبصحة الحديث صح العدد الغيبي الذي فيه، ذلك العدد الذي يتفق مع السنن والنواميس الإلهية كعدة الساعات الاثني عشر وعدة الشهور وعدة الأواج، وعدة العيون التي انفجرت لموسى، وعدة الكواكب التي رآها يوسف في المنام ساجدة له وعدة الأسباط وأمهم، إلا أن الجدل الذي قام كان من جهة الأشخاص المعنيين فيه، من هم؟ فأعرض عن ذلك من أعرض وأدلى من أدلى بدلوه لفك لغز العدد، طبقا للمحصل التاريخي للحكومة وليس استنادا إلى ما جاء به النبي الكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت النتيجة خلط وخبط كما انتهى إلى ذلك الشيخ جلال الدين السيوطي في استنتاجه وصدق من قال عنه إنه حاطب ليل في

ذلك الخصوص.

على أن ذلك العدد الذي ورد في الحديث يدفع البعض إلى التساؤل هل إن عدة الخلفاء أو الأئمة مقيدة في بقية الديانات أم إن الأمر متعلق فقط بالدين الإسلامي؟

الجواب: نعم لقد سن المولى تعالى عدة خلفائه في رضه وأئمة عبادته، حفظة الدين ووعاة الشريعة فكانوا اثنا عشر كأسباط بني إسرائيل واثنا عشر كهوليين عيسى بن مريم عليه السلام، وعليه فإن أمر العدد والوظيفة قد حسمه المولى تعالى ولم يدعه مطية لكل من انطوت سويرته على أطماع القيادة وفتح لنفسه بابا يفضي إليها بدوى أو بأخوى.

إن المتأمل في الروايات التي نقلها حفاظ الخط الأشعوي (السنة) يلاحظ إطلاق العدد من دون تقييد على أهميته القصوى وتأثيره البالغ في مصير الأمة، وهو أمر لم يكن مألوفاً في أحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأن كلامه هو تفسير لا يحتاج في حقيقة الأمر إلى تفسير آخر يفسر القصد من كلامه، كما إن إحدى الروايات أشرت إلى محاولة لطمس معنى قد يؤدي مفاده إلى رفع الغموض عن الأئمة الاثني عشر، بقول الولوي (وقال ثم تكلم يشئ لم أفهمه) ثم استفسر أباه (فقال: كلهم من قريش)، فهل أن الذي لم يفهمه الولوي هو نسبة الخلفاء (الأئمة) وهي أنهم من قريش كما صوحت الرواية بذلك، أم أنه كلام أكثر دقة من عموم ما أطلقتته؟

لكننا هل خفي معنى الحديث عند الجيل الأول من المسلمين وغاب عنهم سؤال النبي عن أشخاص الخلفاء الاثني عشر، إذا لم يكن قد بينه دون الحاجة إلى من ينبهه إلى ذلك، وهو عهده دائماً؟ وقد مضى صلى الله عليه وآله وسلم وقد وضع كل ما تحتاجه الأمة وضعه، فلم يترك مبهماً ولا لبساً يؤدي بالأئمة إلى الانتكاس وهو بوره على كل حال.

ولقد كان حريصاً على المدينة في سؤه وغزواته يستخلف عليها في كل مرة من يقوم مقامه لعلمه بأن تركها من دون استخلاف هو تضييع من شأنه أن يفسح المجال إلى أطماع الطامعين وأخص بالذكر منهم المنافقون الذين فضح مخططاتهم المولى سبحانه وتعالى في سورة المنافقون وفي غيرها من السور التي خصصت حزاها منها لفضح مخططاتهم وكشف صفاتهم.

(5) وكان غومهم إخراج المسلمين من المدينة كما صوحت بذلك الآية: "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل".

إذا كان حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المدينة في حياته بذلك الشكل فحرصه عليها بعد مماته أوكد وأشد. إن المتتبع لمصادر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند عامة المسلمين، والمدقق لتفاصيلها يمكنه أن يقف على أساليب بتر الأحاديث وتقطيع متونها وتدليس أسانيدها وإسقاط بعض عباراتها التي لا تتماشى وكما نرج على ذلك البخاري في جامعه وغوه من الرواة والحفاظ الذين كانت تدفعهم عوامل عديدة للسكوت عن بعض الأحاديث وتجاهل البعض الآخر، منها ما هو منطبع في أنفس الرواة والحفاظ كالتعصب ومنها ما هو خلج عن نطاقهم وهو عامل السلط الغاشمة التي كانت تتصنع التدين لمسخه وتحريف أحكامه وسننه، ولا يخفى أن مسألة الخلافة أو الإمامة هي راس الدين وأساسه.

إننا عندما نقابل الروايات التي جاءت في المسانيد المعنوة عند هؤلاء مع ما ورد من طويق أئمة أهل البيت عليهم السلام

نجد التفسير الصحيح ورفع اللبس إلى طوقه الطغاة عبر العصور، فقد جاء عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: الأئمة بعدي اثنا عشر أولهم علي بن أبي طالب وآخرهم القائم، هم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أمتي بعدي، المقر بهم مؤمن والمنكر لهم كافر.⁽⁶⁾

وعن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله (ص): الأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله تبارك وتعالى ذكوه على يديه مشرق الأرض ومغربها.⁽⁷⁾

وما حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجابر بن عبد الله الأنصلي في أنه سيرك خامس عقرته الطاهرة الإمام أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام الملقب بباقر العلوم، وعهد إليه أن يقوئه السلام عندما يلتقي به وكان ذلك كذلك.

لم أر حديثاً أبلغ وأكمل مما أخرجه الشيخ علي بن بابويه الملقب بالصدوق، حيث أورد بإسناده عن المضل بن عمر عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لما أسوي بي إلى السماء أوحى إلي ربي جل جلاله فقال: 'يا محمد إني قد أطلعت على الأرض اطلاعة فاخوتك منها، فجعلتك نبياً، واشتقت لك اسماً من أسمائي فأنا المحمود وأنت محمد ثم أطلعت ثانية فاخوتت منها علياً فجعلته وصيك وخليفتك وزوج ابنتك وأبا نبيتك، واشتقت له اسماً من أسمائي فأنا العلي الأعلى وهو علي، وجعلت فاطمة والحسن والحسين من نوركما ثم عرضت ولايتكم على الملائكة فمن قبلها كان عندي من المقربين.

يا محمد لو أن عبداً عبدني حتى ينقطع ويصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً ولايتهم، ما أسكنته جنتي ولا اظللته تحت عوشي، يا محمد أتحب أن تؤام؟ فقلت: نعم يارب.

فقال عز وجل لرفع رأسك، فوفعت رأسي فإذا أنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي ومحمد بن الحسن القائم في وسطهم كأنهم كوكب نوري.

فقلت. يلب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأئمة وهذا القائم الذي يحل حلاله ويحرم حرامه وبه أنتم من أعدائي وهوراحة لأوليائي وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين".⁽⁸⁾

الأحاديث عن الأئمة الاثني عشر طفحت بها كتب الفريقين وشغلت حوا مهما من مصادر المرستين، إلا أن التي أخذت دينها من مصوّه الذي حدده الله تعالى وهي مدرسة أهل البيت عليهم السلام قد اعتصمت بالعودة الوثقى التي لا انفصام لها، قد وجدت لكل مشكلة حل ومن كل فتنة ملجأ، سلكت بدينها من واثن الظالمين على المحجة البيضاء، فلم يغورهم تلون الناكثين ولا تنمر القاسطين ولا استنكار المرلقين، ومضوا على يقين تام من أمرهم.

لقد اعترضتني رواية وأنا في بحثي هذا تشير إلى الترتيب في عدد الأئمة أو الخلفاء زيادة عن العدد الذي أشلرت إليه

الروايتين الأوليين:

الحديث: عن أبي هريرة قال رسول الله (ص): كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثروا.

قالوا: فما تأمرنا؟.

(9)

قال: فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم فان الله سائلهم عما استوعبهم.

لقد دل الحديث على أن عدد الخلفاء أو الأئمة المشار إليه في الحديثين الأولين مرتب في الحديث الثالث وفيه دعوة إلى الوفاء ببيعة الأول فالأول، وعلى ذلك يمكن القول بأن مسألة الحكومة قد كانت من ضمن اهتمامات الوحي وأولى لها النبي صلى الله عليه وآله عناية فاقت حد استخلاف قصير على المدينة، وتجاوزته إلى إعداد من يقوم مقامه في سياسة المسلمين طبقا لمحتوى الدستور الإلهي، لانتفاء دعوى النقص في الشريعة، ولعدم حكمة ترك المسلمين بلا قائد يدفع عنهم غائلة الاختلاف ويجمع كلمتهم وينتصف لهم ويعلمهم دينهم، ويوئدهم إلى الطريق الأقوم، ويكون فيهم مثالا يحتذى وقوة مثلى وعنوان هداية وسبيل رشاد. لا أن يتوكلهم النبي كمازعموا بلا قائد، لأن الترك مدعاة إلى التوقيط، وهو ما ينفيه الوحي بما حواه من دلالات وإشارات وتوضيح، تكفي كل ذي عقل، على أنه من جانب آخر لم يظهر من معاصري النبي صلى الله عليه وآله عموما ما يوجب كفة إيكال أمر القيادة في الأمة إليهم، ولا ترك لهم طويقا إلى ذلك، ولا كيفية يمكن اعتمادها، ولا استبان لهم من الدين ما يوجب كفة التعيين حسب الشوط والصفة، لأن المجتمع الحديث العهد بالإسلام والقديم العهد بالجاهلية لا يمكنه أن يستوعب المنظومة الجديدة بسوعة فضلا عن تقبلها من الأصل.

بل إن ما جاء في الروايات العديدة والآيات المتعددة ما يفيد قصور هؤلاء الناس عن فهم أبسط الأحكام الشريعة فضلا عن تناول مسألة الحكومة وفق ما واه الشلوع المقدس.

ونخلص إلى القول بأن تعيين القائد في الأمة أمر يتقبله العقل السليم إذا جاء من طرف يوثق بإمكانياته وقواته، وليس أقدر من خالق الكون والحياة في تحديد اللطف والخير في الأمة وهو الذي خلق أفراده ويعلم خائنة أعينهم وما تخفي صدورهم، والشريعة شريعته والدين دينه، له وحده الحق في أن يحدد كيفية الحكم ونوع الحكومة وشروط الحاكم بأمره لا بأمر الناس، لطفه تعالى يوجب ذلك الاختيار، وتركهم بلا قائد ليس فيه أدنى حكمة، ومدعاة إلى زوال كل ما بناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أسس للدولة الإسلامية المستمدة هداها من الأمثلة الحية، وأعني بهم الأئمة الاثني عشر الذين جعلهم خلفاءه في أرضه وأمناءه على عبادته، وأعطاهم مقام القيمومة على الدين، ومنارات هدى في مجتمعاتهم.

ولقائل أن يقول: هل هناك دلالة في القوان على صحة دعوى الاستخلاف، لتكون رداء لهذه الروايات وغوها، وتأبيدا

لوجهتنا في القول بصحة دعوى الإمامة الإلهية؟

الجواب نعم لقد أشار القوان إلى الحكومة إشارات فوض علينا بعضا مما طرأ على الأمم السابقة، عوض مثل الاعتبار،

وبيان الحكم الجلي العمل به من أول الخليقة إلى آخرها لأن الاختيار والاصطفاء سنة إلهية قال تعالى: "سنة الله التي قد خلت

من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا".

وقوله تعالى أيضا: "سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا".

قال تعالى: " اني جاعلك للناس إماما قال ومن نريتني قال لا ينال عهدي الظالمين".⁽¹¹⁾

لقد حرت سنة المولى في أولي الغم من الوسل أن تكون لهم مع وظيفة النوة والوسالة الإمامة، والآية مخاطبة إواهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وقد فح بها إواهيم وطلبها لنريته فكان له ذلك بشروط أن لا ينالها ظالم من نريته عليه السلام كما في الآية الشريفة.

قال تعالى: "إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا وأنى يكون له الملك علينا ولم يؤت سعة من المال، قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم".⁽¹²⁾

لقد اصطاحت الآية على الخليفة أو الإمام بلفظ الملك، ودلت على أن التعيين في وظيفة ما بعد النبي عليه السلام من مشمولات البري تعالى، لاشتمال الوظيفة على نور الهداية والحفظ الذي يلي نور النوة في البلاغ والتأسيس، على أنه لا يمكننا أن نغفل على ما اشتملت عليه الآية في مضمونها من دلالات تفيد حرص الناس على الفوز بالحكومة حسب منظورهم المادي وعقيدتهم في أنها أمر منفصل عن الدين وما جاء به النبي (ص)، لذلك كان استنكرهم للتعين الإلهي وردهم على ذلك الاستخلاف بما انطبع في سواهم من قياس باطل.

قال تعالى: " انا نحن قلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هانوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء".⁽¹³⁾

صوحت هذه الآية بوابت الولاية المستمدة من الله تعالى كما نصت عليه التوراة هي كالاتي:

المرتبة الأولى: الأنبياء:

وهم صفة البري تعالى حملة وحيه وسواءه بينه وبين عبادته والقائمون على شريعته والمؤسسون لمجتمع العدل والقسط، مضافا إلى ذلك هم المثال الأقوم الذي ضوبه تعالى للناس حتى يلامسوا أحكامه ويقفوا على حقيقة الدين، ومن دون ذلك لا يمكن تحقيق الرؤية الصحيحة للدين ولا الغاية من رسال الوسل ورسالاتهم.⁽¹⁴⁾

قال تعالى: "أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده".

المرتبة الثانية: الربانيون:

وهم الأئمة أو خلفاء الوسل الموكلين بحفظ الشريعة وتطبيقها بين الناس.
ومثلهم في الوآن كمثل سيدنا آصف بن برخيا الذي قال فيه: "وقال رجل عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرند إليك طرفك".⁽¹⁵⁾

وسيدنا طالوت الذي أسلفنا ذكر الآية التي تحدثت عنه، ومع ما كان يتمتع به من معرفة وعلم زاده الله تعالى بسطة فيه ليتم دوره في الحفظ والهداية على أكمل وجه.

المرتبة الثالثة: الأحبار:

وهم علماء الدين الذين تصورا للقيام بدور البلاغ والهداية والحفظ كل حسب جهده ومقرته في غياب المرتبتين الأولين أو في حال حضورهما وبأمر منهما.

قال تعالى: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وبه يعدلون".⁽¹⁶⁾

أما الآيات الخاصة نزولها في الأئمة الاثني عشر الذين فهي:

قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنزلتم في شيء فإله الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر".⁽¹⁷⁾

دلت الآية على أن الواد بأولي الأمر في الآية هم من خصهم الله تعالى بقيادة الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله لاستحالة أن يأمرنا بطاعة من تصدر عنه المعصية ويؤتت من اتباعه الويغ والضلال، ودل ذلك أيضا أن أولي الأمر المقصودين في الآية معصومون من الخطأ، أوات هداية ورشاد.

على أنه لا بد من الإشلة إلى أن الخطاب في الآية موجه إلى المؤمنين أمرا إياهم بطاعة الله والرسول وأولي الأمر، ثم يعود الخطاب إلى المؤمنين من جديد ليطرح احتمال التتزع فيما بينهم نون مراتب الولاية المأمورين بطاعتهم، مؤكدا من جديد على رد ذلك التتزع إلى الله والرسول وإلى أولي الأمر كما في الآية التالية: "وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو روه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعمة الذين يستنبطونه منهم".⁽¹⁸⁾

فدل ذلك على أن أولي الأمر مرتبة خاصة وان كان ظاهرا مطلق اللفظ والدلالة، بل إن الآية الأخوة أوضحت من جهة أنه لم يوجد من الحكام الذين نصوا أنفسهم على رقاب المسلمين من كان في مستوى رفع كل الإشكاليات التي موت بها الأمة، فمن ذا الذي يرد إليه كل ما يتعلق بمختلف أوجه الحياة ويكون في مقوره الإجابة نون عجز، لم نجد في تزيخ الأمة إلا شخصا واحدا كان يردد على منبر الكوفة والمدينة سلوني قبل أن تفقدوني غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فعلموه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلوم نريته منه، أولئك الذين اختلهم الله تعالى حفظة لدينه ورعاة لشريعته، شهد لهم الصديق والعدو بتميز الشخصية وتفود العقل وسعة المعرف، فكان الناس قاطبة عيالا عليهم.

قال تعالى: إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون".⁽¹⁹⁾

حيث توت الآية عندما تصدق الإمام علي عليه السلام بخاتمه في الصلاة وهو راكع، ولا يستبعد كون نزولها بلفظ الجمع إشلة إلى أنه عليه السلام أصل الأئمة ورمز الإمامة.

على أنه لا بد من الإشلة إلى تحامل عدد ممن نصوا أنفسهم أبوابا لاباطال الحق بدعوى التحقيق ومولين تطفيف بعنوان القسط، همهم الأوحرد خصائص أهل البيت عليهم السلام وتوهين رواتها تحت عناوين متعددة، متبعين في ذلك سنة معاوية وبني أمية في إعفاء ذلك كله ورده بل ومحلرته بكل الوسائل المتاحة، وقد صوح الطوي بغوم معاوية ناقلا عنه أساسه الذي أسسه في رد ومحلرته كل ما اختص به أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وامتزوا به عن غوهم من أبناء عصوهم، وما جاء في شأنهم من قرآن وأحاديث نبوية شلحة لكل ذلك، هذا وليس الحديث ولا الخصائص المشار إليها معنية بأشخاص

نكرة أو ممن جهل حاله قي الأمة حتى ترد جملة وتفصيلا، إنما الأمر متعلق بمن اصطفاهم الله تعالى كما اصطفى غوهم من بيوتات الأنبياء عليهم السلام، فلم التحامل إذا؟ لا يمكننا الاستوار في هضم حقوق من أمرنا الله تعالى بمودتهم تأسيا بسير الظالمين لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل الذين ناصوا العدا للصفوة الطاهرة عنادا وكوا، لا يطبق عليا ولا أهل بيته عليهم السلام، لأنه بقي الكاشف لفلولهم والمنتبع لذئبانهم.

لقد انطلق الذين أنكروا التصييص على إمامة أهل البيت عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الواقع التاريخي الذي فرض على الأمة، ومن زيف الروايات التي جمع شتاتها عدد من الحفاظ الذين لم يكونوا بمنأى عن مؤثرات الأنظمة التي عاشوا تحت سلطتها، بل لعلمهم كانوا من أعوانها جوا أم اختيلا، فلم تكن لهم الحرية في نقل ما صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما قد يتعرض مع رؤى أرائهم، ومع تقدم حركة الوضع في أحاديث النبي (ص) عن حركة التتوين ما يزيد عن القرن عند عموم المسلمين، تلك الحركة التي قادها كما أثرنا معاوية بن أبي سفيان والتي أطلق فيها المغرة بن شعبة وعمرو بن العاص وسورة بن جندب وأبي هريرة وغوهم من باع دينه بمتاع زائل، فأدخلوا في كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ما ليس منه، فتسبوا خلط السليم بالسقيم، فوج الناس على وتوة عوجاء وتربت أجيال عديدة على التعبد بالموضوع حتى صار سنة متبعة ودينا حقا وهو أبعد ما يكون من الحقيقة ولو تظن الناس إلى ذلك الخلل لعدلوا عنه إلى الحق، لأن الحق أحق أن يتبع.

إن أئمة أهل البيت ممن لا يخفى حالهم عن البعيد والقريب، كانوا ولا زالون القمة والقنوة في كل شيء، عهدتهم أجيالهم ممن استقامت حالهم في السر والعلن ولم يحمل إلينا التلريخ طعنا واحدا ثابتا عليهم، فكانت كل أقوال المتحدثين عنهم متطابقة ومتفقة على أن العلم والتقوى وعلو الأخلاق والهمة وتواضع النفس والكرم والصبر وغوها من الصفات لم تنتقل عنهم ولا إذا ذكرت انصرفت الإشارة إلى غوهم، من بيوتهم جاءنا القرآن والفقه وشتى العلوم التي إذا لم ينفروا فقد تميزوا بها عن غوهم ممن كان يأتي إليهم ليأخذ الفقه وسائر العلوم الشرعية، ولا يتبادر إلى الذهن أن الدين جاء عن غوهم هيئات، هيئات إن اللبيب عندما يتناول كتبهم يبرك أن بقية الناس عيال عليهم، نطقهم ينبيك عن كنون ومخزون علومهم، وإجاباتهم إذا اطلعت عليها تشفي صدور المؤمنين، وأدعيتهم العبقة بفنون البلاغة والعرفان والتأمل تصدح بأن الولاية على الأمة منصب الهي واعداده الهي، وتصريفه الهي.

إن الإمامة أعظم مرتبة وأشد خطرا من أن تنالها عقول الناس فهي علاوة على حفظ الشريعة من التحريف والتشويه وسوء الفهم، مثال حي تجسدت فيه معاني الدين الحنيف كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا متحركا بين الناس، وهو المثال الأعظم للإمامة الوبانية، وهي كذلك في الآخرة مرتبة الشهادة بين الناس في المحشر، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعوفه ولا يدخل النار إلا من أنكروهم وأنكروه.

قال تعالى: " يوم ندعو كل أناس بإمامهم".⁽²⁰⁾ وقال أيضا: "و على الأعرف رجال يعرفون كلا بسيماهم".⁽²¹⁾

وفي نفس السياق أيضا: " ونادى أصحاب الأعرف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم

تستكبرون، أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله وحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون".

وجاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام: "إنما الأئمة قوام الله على خلقه، وعرفؤه على عباده، لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكروهم وأنكروه".⁽²³⁾

وقولهم عليهم السلام أيضا: إياك أن تقول وتعتقد أن الله أهمل الخلق ولا يهتم طرفه عين من قيام إمام من أعقاب الوصل والأئمة، يقوم بأمر الأمة، فإن من قال بخلاف هذا فقد أشرك".⁽²⁴⁾

ولعل الذين لا زالون على غيهم القديم الذي ورثوه بلا وعي من زمر النفاق وقلوب الظلم لا يدركون إلى يوم الناس هذا حيفهم على الصفة الطاهرة من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولو أنهم اقتربوا قليلا من بيوتهم لعرفوا فداحة تجنبهم على هداة الأمة ومصايح رشادها وملادها عند التباس الأمور، وبتوكهم للعروة الوثقى التي لا انفصام لها زادت بهم السبل عن سبيل الله تعالى، وانحرفوا عن صوابه المستقيم الذي بينه للناس بلا أدنى شك، إلا أن الناس أنفسهم أوا أن يسلكوا طريق الرشاد، والدلائل بيينة والأعلام واضحة جلية كالشمس.

إذا لا يعتقد عاقل بأن الله تعالى قد أرسل رسله وحملهم شوائعه وأمرهم بإنفاذ أحكامه الصاورة عنه ناسيا لنفسه المرجعية الأولى والأصل لكل حكم، فقال: "إن الحكم إلا لله".⁽²⁵⁾ وقال أيضا: "ألا له الحكم".⁽²⁶⁾ لينته في آخر الأمر إلى التوقيط في دستوره ليكون تحت رحمة الناس الذين وصف أكثرهم بالجهل والتخاذل وعدم الإواك، والآيات القوانية عديدة في هذا المعنى كقوله تعالى: "وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون".⁽²⁷⁾ وقوله أيضا: "وأكثرهم للحق كرهون".⁽²⁸⁾

وقوله تعالى أيضا: "وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا".

لقد صوحت الآيات القوانية بمقام الحكومة وأهميته في التشريع والمجتمع، فتعدد ذكورها في الكتاب العزيز إلى بوجه يستحيل معها سكوت الناس عن الاستفسار عن ماهية الحكومة ونظام الحكم في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يمكن لمن كلف بالتبليغ والبيان وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقصر في التبليغ والبيان أو يسكت عن مسألة لها أهميتها القصوى في استنوار عطاء الدين وسلامته.

قال تعالى: "فاحكم بينهم بما أقر الله".⁽²⁹⁾ وقال أيضا "أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون".⁽³⁰⁾ وقال أيضا: "ومن لم يحكم بما أقر الله فأولئك هم الكافرون".⁽³¹⁾

إلى غير ذلك من الآيات التي تناولت مسألة الحكم وشددت على أهمته، بحيث يستحيل معه ادعاء سكوت فضلا عن توقيط أو إهمال من المكلف بأدائه، وعليه فإن الذي ادعى السكوت عن نظام الحكم في الإسلام ادعى الإهمال لدين الله وشريعته قد ادعى النقص أيضا ووضع نفسه موضع الراد على الله ورسوله الذين لم يوطأ في دين الله تعالى شيئا.

على ذلك يتأكد لكل ذي عقل وبصيرة أن البري تعالى ذكوه وجل شأنه، وبعد مسورة البشرية الطويلة التي امتلأت بالتحريف والعصيان والتمرد على شوائعه وفسادته، قد أوج ضمن قوانينه آلية تمنع ذلك الويغ وتجنب البشرية من

وعلمه السابق بمآل الناس ودسائس صدورهم ووجع فرضية وجود تلك الآلية المانعة من الزيف والانحراف.

إن المتدبر لكتاب الله، وأقصد به كل من يقوَاه ليعرف ما فيه لا الذي يقوَاه وفي ذهنه أنه يريد ثواب القوَاءة فقط من دون أن يهتم بمعانيه العظيمة - وأحكامه السياسية منها محل تساؤلنا وبحثنا- يتأكد من أنه جل شأنه أكرم من أن يتوك الناس سدى وهو المشير إلى ذلك بل وتقتضي حكمته بأن يختار لهم الأصلح لمواصلة مسوأة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تربية الأمة وتثقيفها وفق المنهجية التي رسمها للبلوغ بالإنسان إلى رقى درجات الكمال البشوي.

ولئن دأب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سنة الاستخلاف على المدينة حتى في غيابه القصير عنها، فلا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نسلم بفوضوية ترك الناس بلا قائد وفي كلامه تعالى حث على اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأولياء الأمر عليهم السلام.

إن اختيار الأصلح للقيادة بعد النبي (ص) من طرف البري تعالى هو الصواب والأقوم لأنه ليس هناك من مؤهل لمعرفة خبايا الناس وحقائقهم غير خالقهم، لقد صوح النبي الأكرم كما سبق منا القول في مرحلة من هذا البحث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد عين عن خالقه وبأمر منه من يلي الأمر من بعده على الأمة، ذلك التعيين هو سنة إلهية لم تتغير منذ بداية التكليف وإرسال الوسل، لأن الوسلات الإلهية مناطة بنورين النور الأول هو مخصوص بالنبي في التبليغ والتأسيس والنور الثاني هو نور الإمام والمعبر عنه بولي الأمر الذي يرجع إليه أمر حفظ الدين والولاية على المؤمنين. والأئمة الاثني عشر كما نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمرنا بأن نفي لهم بحقهم في بيعة الأول فالأول كما في روايات من خالف الأئمة، هم كآلاتي:

- الإمام الأول: أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام.
- الإمام الثاني: المجتبي أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام
- الإمام الثالث: سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.
- الإمام الرابع: زين العابدين أبي محمد علي بن الحسين عليهما السلام.
- الإمام الخامس: باقر العلوم أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام.
- الإمام السادس: الصادق أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام.
- الإمام السابع: الكاظم أبي إواهم موسى بن جعفر عليهما السلام.
- الإمام الثامن: الرضا أبي الحسن علي بن موسى عليهما السلام.
- الإمام التاسع: الجواد أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام.
- الإمام العاشر: الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام.
- الإمام الحادي عشر: أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام.

الإمام الثاني عشر: المهدي المنتظر عجل الله تعالى فوجه الشريف، أبي القاسم محمد بن الحسن عيه السلام.
لكن قد يتقول قائل لم يفقه فلسفة الاختيار ولا فهم نور الإمامة في الأمة، فيطرح سؤالاً يريد به التشكيك في عقيدة التعيين الإلهي لمنصب الإمامة مفاده: أن أئمة الذكورين لم يتسلم أغلبهم مقاليد الحكم في الأمة، فكيف يمكن أن ينطبق حلهم مع الحديث؟

وجوابه: إن الإمامة كالنوة لطف من الله تعالى يبينه للناس وعليهم أن يبادروا إلى السمع والطاعة، ولا أدل من قوله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين إماما قاما أو قعدا".

بمعنى أن القيام المادي إن لم يقع بتقاعس الأمة فذلك لا يغير من وظيفة الإمام.
وقد ظهر دورهم جلا على مر التاريخ فكانوا القادة الفعليين والرموز الصالحة في الأمة. وبقيت أثارهم وعلومهم ونسبتهم محل احترام وتبجيل واكبار.

هؤلاء هم الأئمة الهادة الذين أمرنا الله تعالى باتباعهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم جاءنا الدين القيم والعلم الحق، فه تبعه الصافي وعنهم أخذ الناس واليهم رجوع من رجع ليطفقه كما كان الشأن بالنسبة لأبي حنيفة النعمان ومالك بن أنس وغوهما كثير ممن كان يأتي إلى مجالسهم ودروسهم فيأخذ عنهم علوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أخذ المسلم بصحة ورودها، القانع بسلامة نقله والمخبت للحق.

ولو استقصينا عدد الذين أخذوا عن هؤلاء الهداة لما أمكننا أن ننتهي من جمعهم، فيكفي أن مخالفي هؤلاء الأئمة قد قالوا عنهم كل خير وأثروا عليهم الثناء الكثير، ونقلوا عنهم ما أمكنهم نقله من فقه وأدعية وعلوم أخرى كشأن جابر بن حيان عالم الكيمياء والرياضيات الذي تتلمذ على يدي الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أما سيرتهم وسلوكهم في الأمة فقد شهد بها القاضي والداني وأقر بنقائنها المخالف والموافق وهنا لا بد من الإشارة إلى حادثة وقعت أمام أعين الشاعر الفرزدق الذي سجلها في شعوه فكان من روائع الشعر:

روى أبو نعيم الأصفهاني وهو من علماء العامة بإسناده قال: حج هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه وجاء علي بن الحسين فوقف له الناس وتتحوا حتى استلمه، ونصب لهشام منبر فقعد عليه، فقال له أهل الشام: من هذا يا أمير؟ فقال لا أعرفه، فقال الفرزدق: لكني أعرفه هذا علي بن الحسين، وانثأ قائلاً:

والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

هذا التقى النقي الطاهر العلم

هذا ابن خير عباد الله كلهم

ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يكاد يمسكه عرفان راحته

إلى مكرم هذا ينتهي الكرم

إذا رآته قو يش قال قائلها

أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم

هَذَا ابْنِ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ	بَجَدَهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ قَدْ خْتَمُوا
وَلَيْسَ قَوْلُكَ مِنْ هَذَا بَضَائِرُهُ	الْعَرَبُ تَعْرِفُ مِنْ أَنْكَرَتِ وَالْعَجْمُ
يَغْضِي حَيَاءً وَيَغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ	فَلَا يَكْلِمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يَنْشِقُ ثُوبَ الدَّجَى عَنْ نَوْرِ غَوْتِهِ	كَالشَّمْسِ تَتَجَابَّ مِنْ إِثْوَاقِهَا الظُّلْمُ
اللَّهُ شَرَفَهُ قَدَمَا وَعَظَمَهُ	جَرَى بِذَلِكَ لَهُ لَوْحَةُ الْقَلَمِ

إلى آخر القصيدة التي هي مدونة في ديوانه والتي تناهز الثلاثين بيتا من بديع الشعر ومصفاة، وقد تسبب ذلك التحدي الذي أطلقه الشاعر الفرزدق في سجنه فترة وصله فيها الإمام علي بن الحسين زين العابدين بعتاء، ردا على مدحه، وتعاطفا معه في محنته التي جرت عليه فيها قصيدته التي لم ترق لبني أمية.⁽³²⁾

ولم نر أحدا من فرق الإسلام الكثيرة قد اتخذ من حديث الاثني عشر خليفة أو إماما شعرا صار يعرف به غير المسلمين الشيعة الاثني عشرية الذين يعتقدون بأن الإمامة ركن من أركان عقدهم وديورها لا يقل أهمية عن دور النبوة، والدين كله رهن قيامها، ولا أدل على صحة ما يقولون من واقعنا الذي نعيشه اليوم وعاشه أجدادنا على مدى قرون طويلة أوغ فيها الدين من جوهه وذبل عوده حتى كادت روحه أن تهق، ولولا تصدي عدول الأمة من الصفوة الطاهرة من آل محمد صلى الله عليهم أجمعين ومن شايعهم على رؤيتهم لمعالم دينهم، لانترست معالمه ولذهب مع من ذهب من الأديان التي طالتها أيدي التعريف.

ولقد رووا حديث الاثني عشر إماما من طرقهم وطرق غوهم كما أشونا في موضع متقدم من هذا البحث مما جعل الحديث متواترا لفظا ومعنى، فقد أخرج الصدوق علي بن بابويه القمي رضوان الله تعالى عليه في الإكمال وفي من لا يحضوه الفقيه والشيخ الطوسي في عدة من كتبه الاستبصار والتهديب والأمالى والشيخ الكليني في الكافي، والشيخ المفيد في الأمالي والاختصاص وغوهم من علماء وحفاظ خط الولاية الحق ما دحض حجة الناكرين للنص، الكاتمين للحق والمزورين الكلم عن مواضعه، ويضعنا موضع الماضي على بصوة من أمره، اتخذ دينه نصب عينيه ولم يكن كالذي اتخذ إلهه هواه، فمضى زائغا عن الحق ولو كان يوري خطأ ما هو فيه لانسلك عنه وثاب إلى رشده ورجع إلى ربه، لكنه ركن إلى من أسلم له فسه وأعطاه مقاليد أمر دينه ودينه، فضل في الدنيا ويوم القيامة يتوأ بعضهم من بعض ولن ينفعم ذلك أبدا.

إن الأمة الإسلامية مطالبة اليوم أن تتدرك أمورها في ترقية معتقداتها من الشوائب التي لحقت بها ليستقيم دينها فتتوضح بذلك رؤيتها لتستطيع التمييز بين ما لديها من موروث، وتتخلص من كل دخيلة لحقت بالدين أضرت المتعبدين بها لأنها محدثة بعدرسول الله ما أتول الله بها من سلطان، وقد كان حريا بالأمة أن لا تتساق في خط الظالمين الذين زيوا لهم أشياء لا تمت إلى الدين بسبب، عليها الآن أن تتخذ إلى ربها سبيلا لتكفر عن ما فات وتتود الأمر إلى أهله لأن لديهم الحل الأنجع والنواء الناجع والبلسم الشافي من كل هذه الأمراض التي لحقتها.

قال الله تعالى: "وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوروه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذي استتبطه منهم".⁽³³⁾

هذه هي رادة الله تعالى في رد كل ما أشكل علي الأمة إلى الذين أذهب عنهم الرجس وطهروهم تطهوا، ولم يثبت عن غوهم أن رفع عن الأمة إشكالا وقع، فكان علي بن أبي طالب عليهما السلام الوحيد ومن بعده نريته المصطفون ملجأ الأمة عند الشدائد، كما قال الخليل بن أحمد الفواهيدي عندما سئل عن إمامة أمير المؤمنين: ما الدليل على إمامة علي عليه السلام؟ فقال: استغنؤه عن الكل واحتياج الكل إليه دليل على إمامته". وما أبلغه من استدلال يغني عن النصوص.

ولله الأمر أولاً وآخراً ووله الحمد والشكر على نعمه السابغة التي من بها علي بأن هداني صراطه المستقيم ومنحني فرصة القرب منه ومعرفته ووقفني إلى ما ضاق عنه وسع غوي فصوروا الأنظار عنه، إلى ما لا يغني من الله تعالى شيئاً، فيتوأ الذين أتبعوا من الذين اتبعوا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله تعالى بقلب سليم وبضاعة مخااة حب آل طه وموالاتهم، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

1- رواه كل من مسلم والبخاري في جامعيهما

2 - رواه أصحاب المجاميع والمسانيد ورواة السورة والحديث والتاريخ بدون استثناء.

3 - ورواه أصحاب المجاميع والمسانيد ورواة السورة والحديث والتاريخ بون استثناء في باب الامرة.

4- المصادر السابقة

5 - سورة المنافقون الآية: 8

6 - عيون أخبار الرضا ج 2 ص 161 62

7 - عيون أخبار الرضا ج 2 ص 66 67

8- إثبات الهداة ج 1 ص 475/ 476 لمحمد بن الحسن الحر العاملي عن عيون أخبار الرضا.

9- جامع الأحاديث لمسلم ح 44 باب وجوب الوفاء بببيعة الخلفاء الأول فالأول.

10 - سورة الفتح الآية: 23 - سورة الأحزاب الآية: 62

11 - سورة البقرة الآية: 124

12 - سورة البقرة الآية: 247

13 - سورة المائدة الآية: 47

14 - سورة الزمر الآية: 18

15 - سورة النمل الآية: 40

16 - سورة الأنبياء الآية: 73

17 - سورة النساء الآية: 58

- 18 - سورة النساء الآية: 82
- 19 - سورة المائدة الآية: 58
- 20 - الإسراء الآية: 71
- 21 - سورة الأعراف الآية: 45
- 22 - سورة الأعراف الآية: 47
- 23- أخلاق محتشمي لنصير الدين الطوسي ص18
- 24- المصدر السابق ص18
- 25 - سورة الأنعام الآية: 57
- 26 - سورة يوسف الآية: 40 و67
- 27 - سورة الأنعام الآية: 62
- 28 - سورة الأنعام الآية: 116
- 29 - سورة المؤمنون الآية: 71
- 30 - سورة المائدة الآية: 51
- 31 - سورة المائدة الآية: 53
- 32 - سورة المائدة الآية: 50
- 33- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني
- 34 - سورة النساء الآية: 82



قراءة في مقام علي عليه السلام

سيدي، أي فكر يمكنه أن يبلغ مداك؟ وأي قلب يستطيع حوز حبك ونيل رضاك؟ وأي قلم يقدر على الفواغ من ذكر هداك؟ هيهات وطودك شامخ وذكرك باذخ، تحيرت فيك عقول المحبين رغم ولائها المطلق وخرست أصوات القالين وعنت وجوههم لك ذالة مهزومة، أنت الذي ينحدر عنك السيل ولا يوقى إليك الطير.

عجبي في أمة أبت أن تبصر فضلك، ورفضت أن تتروذ من معينك، وانحزرت عن نجعك اللافي ونبعك الصافي، رضيت بالغدِير العكر والماء النكر، تركت وراءها سلسبيلا رويا.

رضيت أن تكون مع الخفافيش التي تتهيب نور الشمس، وتتزوي في سدول ظلمة المغرات حتى تغيب، لا تستطيع العيش إلا في ذلك الوضع المزري، العيب يا سيدي ليس في الشمس التي ضعفت عيون الخفافيش عن رؤيتها كما أن الخلل الذي أصاب الأمة فحال دون إبصارها لأورك ليس فيك، انه في غناء السيل الذي ربا على الكثرة الكثوة التي هي كأف. علي أنت في علاك لا يبركك إلا العلي الأعلى كما قال فيك ذلك نفسك التوأم ومثالك الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لست متاحا إلا لمن رفض الاستعلاء في مقام العبودية، لأنك أول الراضين للاستعلاء رغم مقامك العالي، ولست وليا إلا لمن والاك بكل ما في الولاة من معنى.

معنوة سيدي إن أنا تطاولت عليك من سوح القصور ومنزل الظلمة والد يجور وأنى للسفح أن يبرك القمة ولا للظلمة أن تختلط بالنور.

عوائي في ذكرك أنني تحيرت فيك صغورا وأكبرتك راشدا وأسعى إلى حبك كبوا فهل لي من عطفة منك على هذا الواقع على أعتاب قدسك ومناهل فيض علمك، حتى رُد المنهل وأستشرف القدس ولا أبالي بعدها إن حل بي الودي ومت أن أموت محمديا أم علويا أم حسنيا أم حسينيا، لأن النور واحد والأصل واحد نوية بعضها من بعض، لا اختلاف إلا في الاسم والترتيب، حتى الاسم والترتيب هما عرضان لمقتضى الزمن والتكليف.

بقدر ما سعى أعدائك ومنلوئك إلى حبس فيضك عن الناس وأجهوا أنفسهم في كبح ظلك الورف ومخزون علمك الجلف، فنكروا صوحك، وتسوروا بيتك وتظاهروا عليك في وقت كان عليهم أن يأتوك ركعا سجدا، كما فعلت الملائكة عندما سجدت للنور الذي في صلب آدم، ذلك النور الذي تعلمت منه زانيم العشق الإلهي - بقدر ما فاضت ينابيعك على القلوب السليمة والأذان الواعية معرفة حقة وعلمنا نافعا وإيماننا قويا عميقا، بعدما أذن الله تعالى لها أن تحبك، وبعدها انزوت تباشير الدنيا بعيدة عن مقام الحب الإلهي فالضدان لا يجتمعان أبدا.

ما الذي عابه فيك القالون حتى يتكفروا عن نهجك؟ إن طرحت هذا السؤال عليهم تنزعوا بحبك، وأي حب هذا الذي يترك حبيبته في واد ويسلك هو واد آخر.

قد يتفزع أكيستهم وأسيستهم بأن المسألة مر عليها خمسة عشر قونا ونحن الآن في عصر يتطلب منا النظر إلى الأمام، ونسيان الماضي بتفصيله، ويستشهد بقوله تعالى: "تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون".

مشوا إلى الخراب الذي لحق بالأمة، متجاهلا السبب الذي هو الأساس الأول الذي قوض البناء وجعله يسقط سريعا، ولا يمكننا تجاهل الأمر بالتغاضي عن تزيخنا لأن فيه أحداثا خطوة يقف وراءها عدد من الرموز المتخذة قنوة عند الكثيرين، ولا البناء من حيث الخراب لأن البناء من حيث الخراب لا ينتج إلا خرابا وعبثا، ولكوننا أمة لم تخل بعد وما زال دورنا قائما إلى أن يوث الله تعالى الأرض ومن عليها.

لماذا يصير هؤلاء على المضي قدما في تغييبك وحالك أجل من أن تخفى وحقيقتك رُفع من أن تطوى، حقيقتك هي كالشمس، إن لم يقنعوا بالآيات والأحاديث الواردة في خصوص إمامتك وفضلك، فليقنعوا بأياديك الكثوة على الإسلام وأهله تلك الأيادي التي اعترف بها العدو والصديق.

بسيقتك أقتت عمود الدين وبعلمك وعلوم نريتك بقيت للدين بلرقتة واستمر حزبه ظاهرا رغم تعدد أنواع التصفية والإقصاء، إن التتكب عن علي عليه السلام هو الذي رُدانا إلى هذه الحال من الفوقة والجهل إلى حد البلاهة والبلادة.

رُاد لنا حزب الشيطان أن نتخذ سبيلا غير سبيل الحق، ألبسوا على المسلمين دينهم فخلطوا لهم الغث بالسمين والسقيم بالسليم، ولعل أسوأ طعنة أصابت هذا الدين، هي المحاولة الناجحة في فصل الدين عن الحياة، بفصل الحاكمية عن أهلها والمسجد عن نوره، والمطلع على أحداث ما قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما استتبعها من سقيفة بني ساعدة وحروب الإخضاع المسماة بحروب الودة يقف على مدي الضرر الذي لحق بالدين وأهله.

حقيقتك الأولى:

ظهرت لي وأنا أستحضر اسمك أنك مستودع السر الرباني، أنك الإمام المبين الذي أحصى البري تعالى فيه كل شيء، وما كان ذلك ليتم لولا بسطة العلم والجسم التي كانت في ذاتك المقدسة، خصك الله تعالى بأحد أسمائه دفعا لريب المؤمنين، فلم ترتب فيك غير حسائك النفاق ومنابت السوء، كنت ونفسك الأكرم وروحك التوأم صلى الله عليه وآله نورا بين يدي الله تعالى حين لم تكن هناك سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا شمس ولا قمر ولا كوسي ولا عوش، ينور في فلك المعرفة والطاعة يسبح الله ويقدسه ويهلله ويمجده، فلما رُاد عز وجل أن يخلق الخلق استودعكم السر واستوآكم الأمر، وقون رُادتكم بِلادته، وجعلكم باب طاعته الذي يؤتى منه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله عز وجل مطيعا يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام.

فلما خلق الله تعالى آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم تول في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء أنا وجزء علي".

وقال أيضا صلى الله عليه وآله وسلم لك: " إن الله تبرك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين ففضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللائمة من بعدك، وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبيننا، يا علي الذين يحملون العرش ومن حولنه يسبحون بحمد ربهم، ويستغفرون للذين آمنوا بربهم وولائتنا يا علي، ولأن نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض، وكيف لا نكون افضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد، ومعرفة ربنا عز وجل وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأن أول ما خلق الله تعالى أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظموا أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون، وأنه مؤه عن صفاتنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا وزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شاننا، هللنا لتعلم الملائكة أن لا اله إلا الله وأنا عبيد ولسنا باله نحب أن نعبد معه أو نونه، فلما شاهدوا كبر محلنا، كبرنا الله لتعلم الملائكة إن الله اكبر من أن ينال وأنه عظيم المحل...".

ثم خصك البري تعالى بما لم يخص به أحدا من العالمين إذ زين الكعبة وشرفها ولادتك، فكنت أول وآخر مولود يولد بها، فكان رسول الله (ص) يسمي تلك السنة بسنة الخير والبركة.

ثم شاعت كرامة الله عليك أن كانت شهادتك أيضا ببيت الله وأنت متجه إليه، وإن كانت حياتك كلها في الله ومع الله والى الله ومن الله تعالى.

أنت الإمام المفترض الطاعة، المنصوص عليه من قبل البري تعالى إمامتك وحكومتك من كتابه ودينه، حيث هي تمام الدين ونظام ملته، جريان أمره، وروحه التي في كيانه، ولا أجد أبلغ مما قاله ابنك علي بن موسى الرضا عليه السلام عندما تناول الناس في مجلسه مسألة الإمامة فقال مقالة طويلة أكتفي في هذا المختصر على أولها: "جهل القوم وخذعوا عن آرائهم، إن الله تعالى لم يقبض نبيه (ص) حتى أكمل له الدين وأقر عليه القرآن فيه تبيان كل شيء، بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا، فقال تعالى: "ما فرطنا في الكتاب من شيء".

وأقول في حجة الوداع وهي آخر عمره (ص): "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً".

وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض صلى الله عليه وآله وسلم حتى بين لأئمة معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم عليا صلوات الله عليه علما وإماما، وما ترك شيئا تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله تعالى لم يكمل دينه فقدر كتاب الله تعالى، ومن رد كتاب الله فهو كافر، هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيلهم إن الإمامة أجل قوا وأعظم شأنا وأعلى مكانا وأمنع جانبا وأبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيلهم، إن الإمامة خص الله بها إواهيم الخليل صلوات الله عليه بعد النبوة والخلة، مرتبة ثالثة وفضيلة شوفه بها وأشاد بها ذكوه، فقال: "اني جاعلك للناس إماما (فقال الخليل سرورا بها) ومن نوبتي قال لا ينال عهدي الظالمين".

فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصلت في الصفة، ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في نوبته أهل الصفة والطهارة، فقال: "ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخوات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين".

فلم تول في نريته يرثها بعض عن بعض قرنا قرنا، حتى ورثها الله تعالى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال جل وتعالى: " إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين". فكانت له خاصة فقلدها عليا عليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصلت في نريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله تعالى: "وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث". فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فمن أين يختار هؤلاء الجهال...".

تلك هي إمامتكم سيدي مؤيدة مسددة ومصطفاة لم يعرفها ويقبلها إلا الذي امتحن الله قلبه للإيمان، ولو كانت من عند غير الله تعالى لوجدوا فيها اختلافا كثيرا، إن سألناهم عن اختيلهم الأول ماذا فعلوا به قالوا بأن ذلك قدر الله ولئن قلنا لهم عودوا إلى الأصل الثابت والنبي الروي قالوا وما ينفعنا اليوم ونحن على بعد كبير وبون سحيق، ولئن قلنا لهم إن المسألة غير مقتصودة على الدنيا، بل هي في الآخرة أيضا، فقد قال تعالى: "يوم ندعوا كل أناس بإمامهم". قالوا الإمام هو الكتاب وما نوري للإمامة معنى غير السقيفة وشورى السنة، وأمراء المؤمنين معلويتهم وزيدهم ومروانهم وبقية بني أمية وبني العباس، ولكني أقول ما قال الله تعالى لنبيه: "أفأنت تكوه الناس حتى يكونوا مؤمنين". فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، ولا ترر ولا زر أخوى.

حقيقتك الثانية:

ظهرت لي عندما وقفت على عتبة بابك، أنك نفس الرسول الأعظم (ص) بمنطوق القرآن، وأخوه الأوحد بالمؤاخاتين في مكة والمدينة، وصهوه الذي لاند له كما ليس لفاطمة ند ولا ك، وصفوه الأكرم، منك فاضت علومه وظهرت تعاليمه واليك انتهت الحكمة وآلت موريث الهداة منذ آدم حتى قائم آل محمد (ص) كما جرت سنة البري تعالى في صفة مخلوقاته من هبة الله شيث بن آدم حتى ظهورك.

إن لك على الله كرامة، ومن عنده ميثاقا، وفي سبيله موعد قريب، أنت الذي كنت نورا واحدا متصلا مع الحبيب محمد صلى الله عليه وآله، أنت منه وهو منك كما صوح بذلك من لا ينطق عن الهوى، ولا عجب في كل ما يصدر عنك، عبت الله تعالى مع السيد الأول صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يعبد أحد بسبع سنين، عندما أوحى الله تعالى إلي صفيه أن يختلك من بين اخوتك، لتكون خالصا لرسول الله يشملك بعنايته ووعاك دون غيرك، وقد خلصت إليه بعنايته تعالى، فكانت ترى ما واه وتسمع ما يسمعه لأرتمته في البيت، وفي غار حراء وفي كل مكان كان يتحرك فيه النبي صلى الله عليه وآله، إلا كنت له فيه رداً ومعينا، نصرت الدين وألأ وأخرا، وجمعت من الخصال والفضائل والشمائل ما لم تكن إلا للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم. عليكما وآلكما.

قلت في إحدى خطبك: وقد علمتم موضع من رسول الله صلى الله عليه وآله بالواقبة القوية والموتلة الخصيصة، وضعني في حوره وأنا ولد يضمني إلى صوره ويكنفني في فاشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما

وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بجاء، فأراه ولا راه غوري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (ص) وخديجة وأنا ثالثهما، رى نور الوحي وأشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين قول الوحي عليه ص- فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد يؤس من عبادته، انك تسمع ما اسمع وتوى ما رى، إلا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلي خير".

بدأ النبي صلى الله عليه وآله بإعدادك للدور الرسالي والمقام المرجعي بعده منذ أن أمره البلي تعالى باختيلك من بين اخوتك، فرباك على أخلاقه العظيمة صغرا، وزقك من علومه صبيا ويافعا وكبرا، فلم يزل على تلك التوتة وذلك المنحى، إلى أن قبضه البلي تعالى إلى حضوته ومقام أصفياه فكانت الشاهد عند الفواق، سرك وساررته حتى عند الموت، وظهر ذلك جليا من دون لبس ولا اختلاف قول عند كل رواية التريخ والسورة والحديث، كنت إذا سألت النبي صلى الله عليه وآله أجابك، وإذا سكت ابتداءك، وكان لك مدخلان إليه، مدخل بالليل وآخر بالنهار، حتى إن صلاته صلى الله عليه وآله وسلم لم تمنعك من الدخول عليه فكان إذا علم بك على الباب وهو يصلي، سبح لكي تدخل عليه فلا يفوتك ولا تفوته. ظهرت قابليتك للانصهار في هيكل الدين ورمته، فخصك بما لم يخص به أحدا من الناس. فكنت باب مدينة علمه وبنوع هداية أمته منك اشتقت العلوم.

حقيقتك الثالثة:

سطعت عندما واجهت ذلك السيل الجرف من نعيق الناعقين ونكير الناكرين، أنك وجه الله وبابه منك خرجت حقيقة التوحيد الصافي، والدين القيم الذي لم يتدنس، ووج الهداية العالي الذي سفه أحلام الذين عملوا على زواله. يقول رسول الله (ص): "النظر في وجه علي عبادة". وهي لعمري أعظم عبادة وأجل هبة يسبغ بها الخالق على مخلوقاته، وأيسوها لمن ألقى السمع وهو شهيد. إشارة منه صلى الله عليه وآله وسلم أنك الوجه الذي تشد إليه الرحال ويقصد، فإذا رُدنا الله تعالى أتيناك وفي مجيئنا عبادة لله وطاعة له، أنت من أسست دعائم الإيمان حتى صوت رزوا، واشتملت على حقائق لم تسعها عقول الناس فانقسموا فيك بين مبغض قال ومحب غال فلم يسلم إلا القليل، أنت الذي عرف بك المنافقون، وانكشف بفضلك المتسترون بالدين لقضاء مآربهم. صدع بذلك أخوك المصطفى عندما أعلن أنه: "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق".

من أجل ذلك رفضوا ولايتك، وحربوك بشتى الطرق والوسائل، بدأ بالتثييط والدعاية الكاذبة، وانتهاء بسفك دماء الأولياء. كان همهم الوحيد أن تمضي عنهم، ليعودوا إلى أفتعتهم التي مزقتها بغضهم لك وأسقطها نهرهم منك، وأنى للنفاق أن يهجع بجانب الإيمان، ولا الخبث أن يخالط الطهر. هيهات، هيهات.

حقيقتك الرابعة:

أنت سيدي يا علي كالكعبة توتى ولا تأتي.

وأى مثال أعظم من هذا الذي ضوبه النبي الأعظم (ص): علي عليه السلام كالكعبة، والكعبة رمز الإسلام وركن الدين ووجهته، إليها تتجه وجوه المصلين واليها ييمم القاصدون للحج، وبها يطوفون، وبأسئرها يتعلقون، والتوجه كله طاعة لله تعالى، وتعبدا له، وعلي أفضل من ألف كعبة وان كانت الكعبة لا تتحرك فيشد لها الرحال من كل حذب وصوب، فان عليا مع كونه يتحرك ويمكنه المجيء، إلا أنه يجب أن ينظر إليه كالكعبة يؤتى اليه ولا يأتي، لأن في الأمر اتباعا واقتداء وموالاتة تستوجب أن يأتي المحتاج إلى حاجته.

كالكعبة أنت وصدق رسول الله صلى الله عليه وآله فيما قال، لأنك رمز الدين، وعنوان الإيمان، وحقيقة الوجود، ومنبع العلوم، ودوحة الهداية التي يستظل بها من لضى الفتن والضلال.

لذلك صوح رسول الله (ص) فقال فيك: "يا علي لا يعرفك حق معرفتك إلا أنا والله". لأن يقين علي، وشخص علي، ومقام علي عليه السلام لا تسعه عقولنا.

تحير فيك معاصروك والذين جاؤا من بعدهم، لقد اخترت لنفسك الطريق الأوعر والمسلك الأوحش، كان ذلك دائما دأبك في ما اختار غيرك موادعة الدنيا ومقرفة زينتها حتى أثلجت صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وملكت مؤاده.

تماما كما قلت لأبي ذر وأنت تودعه: "يا أبا ذر، انك غضبت لله فلج من غضبت له إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في أيديهم ما خافوك عليه واهوب منهم بما خفتهم عليه، فما أوجههم إلى ما منعهم وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الواجب غدا والأكثر حسدا، ولو أن السموات والأرضين كانتا ارتقا على عبد ثم اتقى الله لجعل له منهما مخرجا، لا يؤنسك إلا الحق ولا يستوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قوضت منها لأمنوك".

حقيقتك الخامسة:

أنك باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله، إن للمدن أبوابا متعددة، لكن مدينة علم رسول الله لها باب واحد وهو أنت، لأن كل علم جاء عن رسول الله ولم تكن طرفا مؤسسا فيه، ولا مدخلا يفضي إليه، لن يكون ثابتا، ولا مأمونا، وتلك رادة النبي في أن تكون الباب إلى الدين بعده وباب حطة الذي من دخله كان آمنا.

فمن أراد علم الرسول صلى الله عليه وآله وهداية سننه وآثره وما يتروذ به المرء لرحلة الآخرة، وبمعنى أدق من أراد الإسلام المحمدي فليأت عليا لأن عليا مستحفظ الدين السوي.

ذلك هو الباب وتلك هي المدينة، ومن غير الممكن دخول المدينة من غير بابها، ومن جاء المدينة من ظهورها سمي سارقا، وتحصيل العلم من غير موضعه الرباني غير مضمون، لأن العلم بدون معلم معروف كالحوث بلا زرع.

واعترف الناس بعلمك وأقرهم أن ربابها كلهم راجعون إليك، عيالا عليك في الأصل، فابن أبي الحديد المعتزلي مثلا ينقل في شرحه لخطبك التي جمعها السيد الأجل الشريف الوضي رضوان الله تعالى عليه، وسماها بنهج البلاغة، صوح بقوله: "وما أقول في رجل تغوى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فوقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينوعها، وأبو عنوها وسابق مضملاها، ومجلي حلبتها، كل من زغ فيها بعده فمنه أخذ وله اقتفى وعلى مثاله احتذى".

وعدد بعد ذلك جملة من العلوم، كعلم الكلام والفقه وتفسير القرآن، وعلم الطريقة (العرفان) وأحوال التصوف وعلوم النحو والعربية وغيرها. ناسبا لأبائها إليك سواء مباشرة أو عبر تلامذتك.

لقد دلت عليك أثرك وظهر كلامك عجا عجابا، وآية من آيات فصاحة لم يترك زمامها أحد، سقت المعاني قبل الألفاظ سوفا وطوعت تراكيب اللغة حتى لم يعد هناك بناء عربي يفصح عن بلوغ صاحبه المدى غير بنائك، أخذت بكلكلها وعجنتها ضروبا من التعابير التي أذهلت الولعين باللغة العربية، فما فرقها أحد مذ عرف مزانها ومن وضع فيها صروف عقله وحواشي لسانه أوردته مورد الفصاحة، وأكسبته القدرة على استتراج اللفظ وفهم المعنى، وكان ذلك كله منك سليقة وفتوة، من دون تهئية ولا بسط فكر، أجريتها فيك مجرى الدم من العروق، فما عادت تطيق فإقك، ولا أمكنها أن تلوي عنقها إلى غيرك. ولما تبين أعداؤك من خطبك خطر انكشاف زيف طريقهم، وافتضاح رموزهم وسقوط أصنامهم، بما حوته من تقيض عن الإمامة ومعاني الاصطفاء، ومثولة أهل بيتك عليهم السلام، والحكومة في الإسلام ن والواقع الذي يجب أن يكون في الأمة الإسلامية، وتصريح لا وراء فيه ولا غطاء عما جرى بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، نعق ناعقهم بإنكار صدور ما عنك، قائلا إنها من تأليف غيرك ليبدأ لآلي الحق، من أن تأتي على سفا الباطل، لكن كيدهم ذهب مع إقرار من أقر من غير أتباع المسلمين الشيعة، منهم قديما ابن أبي الحديد المعتزلي وحديثا الشيخ محمد عبده، وصبحي الصالح وغيرهم، بأن نهج البلاغة هو لك وان ما فيه غييض من فييض.

قلت فيه كلاما لم يكن لغيرك حتى يصرف إليه ولا شابه كلام أحد من علماء وأدباء ولا حتى شعراء العربية حتى يقال هو أقرب إلى هؤلاء منك، ولو كان لحد لادعاه ولما رضي أن ينسب إلى غيره، وضعت حدود العقائد وبسطت الكلام في أبواب لم تدر في خلد من عاصوك، تحدثت عن الله تعالى وعن صفاته وقضائه وقوه، وعن أحوال الملائكة والأنبياء وعن خلق السموات والأرض، وعن صفات بعض المخلوقات، وصفات المؤمنين وصفات المنافقين وصفة الجنة والنار والحساب.

وكانت لك راء في الحكومة، وتصريف شؤون الناس هي من جوهر الدين، لا يشك فيها شاك أبدا، أما كتبك إلى عمالك في الآفاق فهي جدوة اليوم بأن تكون ميثاقا عالميا يساس به الناس وتحمي به حقوقهم المهذورة تحت شعرات حقوق الإنسان والمواطنة، والمدنية المسكينة.

اسمح لي سيدي أن أختار من كلامك بعضه ليكون حجة على من يقوؤه ودليلا لمن يطلب الوهان ونورا لمن يريد أن يستضيء به، قلت في التوحيد مقالات جلييلة منها: " الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهون، الذي لا يتركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح ورحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قونه، ومن قونه فقد تناه، ومن تناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدده، ومن قال فيم؟ فقد

ضمنه، ومن قال علام؟ فقد أخلى منه...."

وقلت في أهل البيت عليهم السلام: "فيهم كرائم القآن وهم كنوز الرحمان، إن نطقوا صدقوا وان صمتوا لم يسبقوا، أين الذين زعموا أنهم الراضون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطي الهدى ويستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم..."

بينت مكانة الهداة من أهل بيتك كما بينها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأثبت تطابقا في الفكرة والمعنى وبينت ما استعصى إيراكه من كتاب الله فيهم، وقلت أيضا: "هم عيش العلم وموت الجهل يختركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن مكنون منطقتهم، أخذوا العلم أخذ وعاية وعاية لا أخذ سماع ورواية، فواعة العلم قليل ورواته كثير".

حقيقتك السادسة:

أنك مذ لفتت من رسول الله (ص) وطلنت نفسك على السفر فخففت متاعك الزائل وكثرت متاعك الدائم، سجدت لله تعالى وبقية الذين دخلوا الإسلام فيما بعد يعبدون الأصنام، ويستقسمون بالألام ويشوبون الخمر حتى يسقوي عندهم الليل بالنهارة والحق بالباطل والجس بالطهر،، ويفعلون من المنكرات من قتل وزنى ما لا يرون فيه تبعة ولا غضاضة، فكل إناء بما فيه يوشح.

تميزت عن غيرك بأنك لما نهلت من العين كان شربك شوب من لم يعوف الويبة والشك في ما كان يلقي إليه، فرجت سويعا ترتقي ونشأت متخذا من الصدق شعرا، ومن الفداء دثرا، ومن التواضع غطاء، ومن الخشية حاجزا، ومن الحب والولاء لله ولوسوله وليجة ومطية إلى الوضوان، فنلت مرادك وظفوت ببغيتك فيما فشل غيرك ممن ناصب لك العداة وواعد بينك وبين حكومتك.

إن كان إواهم خليل الرحمان قد قدم ابنه تحقيقا لأمر الله، فقد قدمت نفسك في المواطن كلها فداء لله ولوسوله، ويقينا بما عند الله وما وعد به أولياءه، وطلنت نفسك من مكة على ذلك وأنت لازلت يافعا، كنت مع أبيك حماة رسول الله (ص) وجاء مبيتك على فاشه ليلة هجرته تجسيدا لحركة دأبت عليها حتى باهى بك الله تعالى جبريل وميكائيل وزلا بأوره لحمايتك، وتولت فيك: "ومن الناس من يشوي نفسه ابتغاء موضة الله..".

اختار لك الله ورسوله (ص) الأفضل لأن بقاءك كان لأسباب عدة منها منلورة المشركين والتمويه عليهم، وأداء أمانات الناس التي كانت عند رسول الله، وتأمين من بقي من المستضعفين للهجرة بهم إلى المدينة وكان ذلك كله يتطلب رجلا ليس ككل الرجال، لم يكن هناك غيرك ليتحمل أعباء تلك المهام الصعبة والأعداء يتوبصون بك من كل ناحية.

حقيقتك السابعة:

أنك رغم الحرب المنظمة التي شنت عليك من قبل أعدائك الكثر وما أكثر أعدائك يا سيدي، رغم أن سيرتك كلها طافحة بالرحمة والشفقة، ملأى بالعدل ورفعة الأخلاق التي زرعا فيك صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد جهد أولئك في أن يخرجوا لك عيبا أو يسوموا صفحاتك الطاهرة بلسان القآن بكذبة فلم تنفذ إلى صافي سيرتك، غاضهم أنك نقي

السورة فبحثوا عن التلفيق والكذب عليك فلم يستقم كذبهم مع صدقك ولا افتراءهم مع استقامتك، ولا تعديهم مع حلمك عليهم جميعا، رأوا أن يسقطوك في متاهة النسيان فسقطوا هم وغابت أثراهم وانمحت مقاماتهم التي بنوها بالوهم والدينار، وعلى أجساد ودماء الأبرياء، وبقي مقامك عاليا متعاليا، وكيف لا يكون كذلك وأنت علي واسمك من العلي، فهو الأعلى وأنت علي. روى علي بغضك وكراهية نهجك الذي سوتته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ثلاثة أجيال من المسلمين، فأكثر من 82 عاما وأنت وأهل بيتك تلعنون على منابر الخلافة الإسلامية، وسنتهم التي تسماها بها ويدعون انهم أصحابها لم تكتب ولم تدون، أنت الذي أعزرت الدين ورفعت أعلامه وقام بحد سيفك البتار، كافؤك بالسب اللعن وتتبعا أهل بيتك ومواليك تحت كل حجر ومدر ووبر، تقتيلا وتشويذا وسجنا، حتى أثرك التي هي جوهر الدين وعينه جنوا لها عددا من الذين باعوا آخرتهم بديناهم ليمحوا آثرها ويؤفوا واجهتها، فمازادك ذلك إلا ظهورا واستطالة وتمزأ، ومازاد أعداءك غير سخافة ووهنا وضعفا، ثم استمر كل يعمل على شاكلته، أنت تدعو إلى الله تعالى وإلى الآخرة، وأولئك يدعون إلى مائدة شيعها قصير وجوعها طويل كما قلت يا سيدي محفوا من الدنيا.

بقيت سيدي وبقي ذكرك، وذهب المؤسسون لبغضك وانطمس ذكركم وبقيت تبعاتهم وأوزلهم يحملها عنهم الغافل والذي أخذ الدين وراثته وتقليدا يلحس قيئهم ويجتر نبتتهم ويكوي بحر نار أضموها لتكون مؤهم وبئس المصير. لقد استوفني ما حصل لغلامك قنبر مع الحجاج الثقفي يا سيدي، فرددت أن أنقلها لأعرف الناس مدى البغي والظلم الذي طالكم ولحق مواليك، قال الحجاج يوما: أحب أن أصيب رجلا من أصحاب أبي تآب فأنتوب إلى الله بدمه. فقيل له: ما نعلم أحدا أطول صحبة لأبي تآب من قنبر مولاه، فطلبه، فأني به. فقال له: أنت قنبر؟ قال: نعم، قال: مولى علي بن أبي طالب؟ قال: الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي. قال: فأوأ من دينه. قال: دلني على دين أفضل منه، قال: اني قاتلك، فاختر أي قتلة أحب إليك. فلقد صيرت ذلك إليك. قال: لم؟ قال: لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها، ولقد أخونني أمير المؤمنين أن منيتي تكون نبجا ظلما بغير حق. فأمر به فذبح".

حقيقتك الثامنة:

أنك عرفت ربك فيما جهله غيرك، وعبدته حق عبادته فيما عبد غيرك الوهم والسواب، وكان كلامك عن التوحيد موجعا استنفر إليه آلاف الباحثين، فلم يجنوا عنه محيضا ولا رأوا في غوه حقيقة المعرفة الحقة في صفات الله تعالى ومعاني بلوغ كنه ذاته العلية، وفي القضاء والقدر، كان أبواب تقريض الكلام وأصحاب مدرس النطق والفلسفة عيالا عليك، في ذلك الفن منسويين إليك طوعا وكوفا، لم تظهر منك بلقة واحدة فيقول عليك متقول أو يشك شك في أن ما تلفظته كان فلتة وما ألقىته جاء صدفة، لأن كلامك كله واحد وحالك واحدة، ولو كان اختلافا وتلفيقا لوجبوا فيه اختلافا، الأمر الذي لم يحصل البتة، فكان الإقرار من جهابذة اللغة وفن الكلام، أن كلامك فوق كلام البشر ودون كلام الله تعالى، كلامك يا سيدي واحد ولسانك واحد كما إن وجهك واحد وشخصك واحد، هرجت على وتوة واحدة لم تغيرك الأيام ولا الخطوب التي مرت بك فلزددت على أدبها متغورة بونك مختلجة عن ساحل يمك الذي لا يبرك مدها ولا يستخرج كنوزه غوص غائص

ولم تظهر بغير وجهك المعتاد وسيرتك التي رُهقت عباد الدنيا ففروا إلى دنيا معاوية تركين الآخرة وراء ظهرهم، نقموا منك عدلك ومساواتك ورفضك لكل أشكال التوقفة والتميز، يسوا لماروا الدنيا تطلق بين يديك ثلاثا بلارجعة فانفضوا من حولك لأنهم كانوا يريدون خلط الدين بالدنيا، وعبادة الله تعالى مع النفس، متركين خطر اختيلهم مصوحين لمعاوية لما قدموا إليه، فوح بمقدمهم وطوب طوبا شديدار غم الشهادة التي لم تكن لتروق له عنك: "إننا لم نأتك لأنك صاحب حق لكننا هربنا من حق علي لأنه مر".

لم يكن هم معاوية أن يكون هؤلاء معه، لأنه يترك جيدا أنهم ليسوا في صفه ولا من حزبه ولا من طينته، كانت خطفه وأحابيله تصب في تويق الناس عنك، وابعادهم عن نهجك، وبمعنى أدق كانت الحرب معلنة على الإسلام الذي تنادي به، وهو إسلام أخيك محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولئن سألوا عن العبادة والعابدين، لما تحولوا قيد أنملة عما رجحت فيه ودأب عليه أبؤك، فجدك عبد المطلب كان إذا جاء شهر رمضان، نحر وأطعم الناس وصعد إلى حواء يتعبد هناك على ملة أبيه إواهم. سلكت سيدي طويقا، اجتهد العباد وكبار العرفاء في أن يبلغوا معشرك فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، ولولا وجودك سيدي وبقية الطاهرين من نريتك لانرست معالم الدين وانمحت صفحته من أذهان الناس.

نقل عنك حفيدك الإمام محمد بن علي الباقر ابن الإمام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين، ذو النفثات والتؤهات وصاحب المناجيات وصحيفة الدعاء الزكية المسماة باسم الصحيفة السجادية، وشاهد سفك دماء الطاهرين ظلما وعوانا بأيد تتوضأ وأنفس تتقدم للصلاة وتوقع تكبورا وتهليلا لذبح أولياء الله، تتاقض لم يسبقنا إليه غير اليهود، ذلك إسلام الظالمين والجاهلين الذين يريدون أن يلبسوا الحق بالباطل.

تقول الرواية: "دخل أبو جعفر على أبيه عليهما السلام، فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، وآه قد اصفر لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء ودبرت جبهته وانخرم انفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، قال أبو جعفر: فلم أملك نفسي حين رأيته بتلك الحال من البكاء، فبكيت رحمة له، وإذا هو يفكر، فالتفت بعد هنيهة من دخولي وقال: يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب، فأعطيته، فقرأ منها شيئا يسوا ثم تركها متضجرا وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب".

ذلك علي بن الحسين زين العبدین وسيد الساجدين يشتكى من قصوره عن إواك عبادتك يا أمير المؤمنين، لقد نقل لنا الرواة قبسا منها، فهذا أبو الرداء يقول: "شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات النجار، وقد اعتول عن موالیه واخنتى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل، فافتقدته وبعد عن مكانه، فقلت: ألحق بمقرله فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي وهو يقول: الهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جروة تكرمت عن كشفها بكرمك، الهي إن طال في عصيانك عروي، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غوانك، ولا أنا واج غير رضوانك".

فشغلني الصوت واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب (ع) بعينه فاستتوت له وأخملت الحركة، فوكر ركعات في

جوف الليل الغامر، ثم فوج إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال: "الهي أفكر في عفوك فتهدون علي خطيئتي ثم أذكر العظيم من أذكك فتعظم علي بليتي".

ثم قال: "آه إن أنا قأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول خنوه فياله من مأخوذ لا تتجبه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملاء إذا أذن فيه بالنداء".

ثم قال: "آه من نار تتضج الأكباد والكلى، آه من نار زاعة للشوى، آه من لهبات لظى". قال أبو الرداء ثم أمعن في البكاء فلم أسمع له حسا ولا حركة. فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة فحركته فلم يتحرك وزويته فلم يبرز، فقلت: انا لله وانا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، فأنتيت متوله مباورا أنعاه إليهم. فقالت فاطمة (ع): "يا أبا الرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟ فأخبرتها الخبر ن فقالت: هي والله يا أبا الرداء الغشبية التي تأخذ من خشية الله..."

حقيقتك التاسعة:

أنك أردت أن تسير بسوة المصطفى في إقامة العدل وبسط الأمن وتسوية العطاء، أردت أن تأخذ للضعيف من القوي وللفقير من الغني وللمظلوم من الظالم حقوقهم أردت أن تقيم حكومة الإسلام العادلة التي جاء بأحكامها سيد الأولين والآخرين (ص)، فتجند الباطل وحشد حشوده لمنعك من أداء أمانتك، أردت لهم النظام ورأوا الفوضى، أردت لهم النور والهدى فأحروا العمى على الإبصار، كنت ترى الحكومة تكليفا جسيما وكانوا يرونه تشريفا، لم تدرك الإمرة شيئا بل أنت الذي زينتها بمثالك وكمالك، في حين إنها زينت غيرك ممن سعى إليها وغصب أمرها، كنت مستغنيا عن الكل وكان الكل محتاجا إليك، كذلك قال الخليل بن احمد الفواهيدي وهو يجيب سائلا سأله عن الدليل على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: "استغنى عن الكل واحتياج الكل إليه دليل على إمامته".

كلامك كله كبير وخطير إن أعفيت النظر عن الكثير منه فلأنني محكوم بزمان وبوجهة لا يمكنني مجاوزتهما لذلك فإنني سأختصر على ما يفي بالغرض ومن تعلقته همته المزيد فليرجع إلى مضانه.

قلت سيدي: "...والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهدا، وأجر في الأغلال مصفدا، أحب إلى من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشيء من الحطام.. والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم حوادة تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين".

أردت جرحهم إلى المسلواة، ورأوا ثنيك عما عرمت عليه فكانوا لك ونقاعسوا عنك ولما يئسوا مما يرومونك تسلكه انتقلوا إلى غيرك من أسوتهم الدنيا وعبوا أنفسهم، وأطلقوا لها العنان توتع في الدنيا وتوقل في زينتها.

كلمتك الأخرى التي أقضت مضجع المتوفين والكاثرين لمال الله تعالى بلا فائدة: " المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا

فضل فيه لأحد على أحد".

عدلت سيدي فبدأت بنفسك، فجعلتها للناس مثلاً ونموذجاً، وعلى علو قنرك ورفعة مقامك وسمو شخصك، وقلت في ذلك قولاً كان يجب على الحكام أن يتخونه قانوناً وشعراً: "من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسوته قبل تأديبه بلسانه، فان معلم النفس ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم".

لبست الثياب الموقعة، ولتديت الخشن وأكلت الخشن، كان طعامك خبز الشعير بنخالته وغالب اداك الماء والملح واللبن والخل. عيشة بهذه البساطة فاضحة لريف الذين يريدون الحكومة لأكل الدنيا واستعباد الناس، تدفع الكثيرون بالتكبر عنك، لأنك لن تفاضلهم ولن تقدمهم لتأخر غورهم، ولن تتخذ منهم أخلاء وعلى ذلك رفضوك لأن تجرئتك غير تجرئتهم، ومقصودك غير مقصدهم.

ضربت للحكام مثلاً في منتهى عدلك لم رى له مثيلاً، وجدت حرة نوحك عند رجل نصواني، فوفقت معه أمام القاضي ليقضي في الأمر فقلت: "إنها نوحى، لم أبع ولم أهب". فسأل القاضي الرجل النصواني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟ فقال الرجل: ما الروع إلا نوحى وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت القاضي للإمام عليه السلام طالباً بيينة تشهد أن الروع له. فتبسم الإمام عليه السلام معلناً أنه لا يملك بيينة على ذلك، فحكم القاضي بأن الروع للنصواني، فأخذها ومضى والإمام ينظر إليه، إلا أن الرجل عاد وهو يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاض يقضى عليه، الروع والله نوحى يا أمير المؤمنين وقد كنت كاذباً فيما ادعيت". وأسلم الرجل في الحين معلناً بأن الإسلام حق، وأن الحكومة إلهية.

لأنه لم يحصل في تريخ البشوية الطويل أن وقف حاكم مع خصمه أمام قاض البينة، والفعل الذي حصل من أمير المؤمنين علي عليه السلام هو المثال الذي يجب أن يكون نصب عين كل حاكم، فان كانت حكومته مستمدة من الناس كان عليه أن يكون لهم ناصحاً وأميناً لما أكلوه إليه، وان كانت الحكومة عن الله تعالى فالمسؤولية أجسم وأعظم.

إن الحكومات التي زاها اليوم هي من نوح التشريف، لذلك فهي تسلك دائماً المسلك العاكس لمصالح شعوبها، وأنكى من ذلك فهي إن كانت من الشعوب المتخلفة فهي تظطهدهم وان كانت من الشعوب المتقدمة فهي تسخر منهم وتضحك عليهم تحت عنوين متعددة، منها الحريات الجوفاء وحقوق الإنسان التي لا تطبق في الغالب.

حقيقتك العاشرة:

انك رغم النصوص الدالة على إمامتك بدأ من حديث الدار، ومروراً بحديث المتولة، وحديث الثقلين، وحديث السفينة، وانتهاء بحديث الغدير، وما تسلسل من بقية الدلالات القوانية، والإشوات النبوية، لم تكن حريصاً على الحكومة، ولا ملتفتاً إلى كرسي الإمارة بل كنت أحرص على الإسلام من أي شيء آخر، ولئن أخذ الغاصيون منك كرسي الإمارة وعصا السلطة، فانهم لم يستطيعوا أن يأخذوا منك روح الحكومة ومعاني السياسة.

كنت ملجأ الناس والحكام في دقائق الأمور ومدلهماتهما. كان اعتقاد الذين غصوا منك بالإمامة، أن الحكومة تكون كيفما اتفق، لكنهم سوعان ما وقعوا في مستنقع العجز، وسقطوا في نومة الجهل بأكثر الأحكام، بل لقد جاءنا من أنباءهم ما يثير

الاشمؤاز والسخافة، لقد فات هؤلاء يا سيدي - وأنت تعلم ذلك - أبسط قواعد الأخلاق والفقهاء، فأجروا الضن والرأي مجرى الحكم بين الناس فحصلت الطوائف ووقعوا من حيث لا يشعرون في مطب العجز لولاك أنت الذي تصديت في كثير من القضايا العويصة لتحل غوامضها، لما تبين الحق ولا انتصف العدل، فهذا الخلفة الثاني يعترف ويقر بمرجعيتك، وهو لا يوري أنه قد أدان نفسه بذلك الاعتراف، يقول العوة تلو الأخرى: "لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبا الحسن". و"لولا علي لهلك عمر". ولولاك لافتظحننا". وذلك الخليفة الثالث ينتكث عليه فتله وتكبو به بطانته فيطل من شرفة بيته وهو محاصر من المسلمين الحصار الأول فينادي مستغيثا، من كان منكم يؤمن بالله وباليوم الآخر فليدعو لي عليا.

لم ينفذه غيرك من محنته الأولى ولو كنت حريصا على الإمارة لتركته يموت عطشا، لكنك أسمى من أن تتالك شبهة أو تلحقك تهمة". ذلك الذي تستحي منه الملائكة ولا يستحي منه الناس فيقتل ويترك ثلاثة أيام بغير دفن ثم يدفن في حش كوكب، مقرة لليهود بجانب البقيع، فهل هان الخليفة على الملائكة والناس أجمعين حتى يعامل بذلك الشكل؟ ثم أين المدافعين عنه وهو خليفة المسلمين؟

أين أولئك الذين كانوا وراء حكومته عندما كان يخصهم من مال الله وأرضه وعباده ما كان يمنعه عن غوهم. لم يجد منهم أحدا.

هل كان الخلفاء الثلاثة الأوائل الذين اغتصوا السلطة يحكمون كما يريد البلري تعالى، طبعا لا لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وعديم الرواية لا يوري على خير وقع أم على شر، كنت دائما المتصدي للإصلاح والتمهية لتدرك الفوت. من نون حاجة لكرسي حتى تروض نفسك وتنفذ أمرك، حتى عندما انثال الناس عليك من كل جانب يتوجونك ويستحلفونك لأن تنهظ بما انتكس وتقيم ما سقط من حكومة، أعلنت صواحة عزوفك وعدم رغبتك، فقلت: "دعوني والتمسوا غوي، فانا مستقبلون أمرا له وجه وألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت فيه العقول، وان الآفاق قد غامت والمحجة قد تنكوت واعلموا اني إن أجبتم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول قائل وعتب عاتب وان توكتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خير لكم من أمير".

وبعد أن بايعك الناس بيعة عامة لم تكن لغيرك ممن غصب واحتال ليلي الأمر، نهضت لتصلح ما فسد وتقيم ما اعوج، فقامت معادن النفاق وظهرت بوادر الفتن، ومع ذلك لم تنتن أبدا وقلت أثناء مضيك: "ولكني لا آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهؤها وفجلها فيتخنوا مال الله لولا وعباده لولا والصالحين حربا والفاسقين حربا.

فان فيهم الذي قد شوب الحوام وجلد حدا في الإسلام، وان منهم من أسلم ورضخت له الرضائخ". وقلت في المال الذي استأثر به من غير وجه حق: "ولو وجدته قد تزوج به النساء وفوق في البلدان، لوددته إلى حاله فان في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجرر أضيق".

حقيقتك الحادية عشرة:

أنك إمام الفواء والمستضعفين، فتحت لهم صدرك ففتحوا لك قلوبهم، وسعتهم بعطفك واهتمامك فوسعوك ولائهم ومحبتهم،

كان اختيلك لهم في مكة، فأنت من راقب أبا ذر ثلاثة أيام ثم أخذته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لما تأكدت من قصده، وخبرت نيته فأسلم، وأنت من كان يقف وراء بقية المستضعفين، يقوم على شؤونهم ويُلبي طلباتهم، ويحوظهم وعناية طرفها الأول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطرفها الثاني أنت.

وأنت من هاجر بهم تلك الهجرة العظيمة التي برَكها البري تعالى بكلامه فقال بخصوصها: "

إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار.
ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار.

ربنا إنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمناربنا فاعفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأوار ربنا وأنتا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد.

فاستجاب لهم ربهم اني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا وأخروا من ديلهم وأونوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا لأكون عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب".

كنت دائما مقصد المستضعفين، وملجأ نوي الحاجة، وضعت نفسك موضع المؤع والملجأ، كددت بيمينك لتحبيهم حياة طيبة، فحوت لهم الآبار واستصلحت لهم الغزرع والبساتين، ولما آل الأمر إليك، كنت تبادر إلى توزيع ما في بيت المال عليهم، من دون محاباة ولا تمييز أحد على الآخر.

ثم بعد أن تنتهي من ذلك تصلي ركعتين شكوا الله على التوفيق.

ولما دلت دائرة السوء وهجمت جافل الشر، وحسائك النفاق لم تجد معك غير الفقواء والمستضعفين، ينصرون دين الله، لأنهم يدركون أن الحق لن يكون مع غيرك، طالما إن الإعلان النوي يقول: "علي مع الحق والحق مع علي لا يفتوقان".
فكيف يمكننا أن نقنع بأن المتوفين والأثرياء وأصحاب الدنيا التي أبنتها ثلاثا قد يتخونوك صاحباً أو خليلاً؟ وقد طلقت معشوقتهم وأهنتها أيما إهانة، انهم قطعاً سيكونون في غير صفك، لأن ما يرومونه ليس عندك.

ولما شاء لك الله تعالى أن تكون مع النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين، افتقدك هؤلاء جميعاً فقد اليتيم لأبويه.

فالفقواء والمستضعفون لم يجبوا بعدك ناصراً ولا معيناً يأخذ لهم حقوقهم بعدما فتكت بها أيدي الظلمة والمستكبرين، والذين استرجعهم الدنيا وزينتها، ووقف منهم من وقف على حقيقة أنها خادعة لعوب ليس لها صاحب، فانتابهم الأسى وتملكتهم الحسوة على ما فوطه في جنبك.

قال فيك رسول الله (ص): "يا علي إن الله زينك بزينة لم يزين العباد بزينة هي أحب إليه منها. زهدك في الدنيا وبغضها إليك، وحبب إليك الفقواء، فوضيت بهم أتباعاً ورضوا بك إماماً، يا علي طوبى لمن أحببك وصدق عليك، والويل لمن أبغضك وكذب عليك، أما من أحببك وصدق عليك فأخوانك في دينك وشركائك في جنتك، وأما من أبغضك وكذب عليك فحقيق على الله

تعالى يوم القيامة أن يقيمه مقام الكذابين".

وقد أجاد ضوار في وصفك وهو في مجلس معاوية، تقول الرواية:

"دخل ضوار بن ضوة على معاوية أيام استكان الناس وأسلموا له القيادة، فألح على الرجل أن يصف له عليا (ع) فتروى ضوار كثيرا فلما مضى معاوية في إصوره قال: "أما إذا لا بد، فكان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا ويحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهوتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غدير الدمعة، كثير الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشيب، كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتينا، ويأتينا إذا دعوانا، ونحن والله مع قربه منا ودنوه إلينا، لا نكلمه هيبه له، ولا نبتديه لعظمته، فان تبسم فعن اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا يبأس الضعيف من عدله. فأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه ليلة، وقد رُحى الليل سدوله وغلت نجومه، وقد مثل قائما في محابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأنني أسمع وهو يقول: "يا دنيا غوي غوي، أباي تعرضت أم إلي تشوقت، هيهات هيهات، لقد أبنتك ثلاثا لارجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير، وخطوك كبير، آه من قلة الواد، وبعد السفر، ووحشة الطريق".

حقيقتك الثانية عشرة:

أنك قلت كلاما وفعلت فعلا لم يصدر عن غيرك بخصوص الحكومة، صدر منك ذلك، وأؤمت به من اختوتهم أعوانك، على القيام بأعباء نظم أمور الناس ورعاية حقوقهم، وحثهم على أداء واجباتهم، فعهدك إلى مالك الأشر، والى محمد بن أبي بكر، والى عبد الله بن عباس، والى غوهم ممن لمست منهم الطاعة والولاء والإيمان، لا زال تشتمل عن مكنون رواية، وعلم بشؤون الناس وسياستهم دينا ودنيا، كان همك الأول أن لا يظلم أحد من رعيتك، وأن لا يكون أحد خرج دائرة إمكان تنفيذ العقوبة، ولا دون العفو والصفح، لقد قلت لمالك من جملة ما قلت: "...وأشعر قلبك الرحمة للوعية واللفظ بهم، ولا تكون عليهم سبعا ضلريا تغتتم أكلهم، فانهم صنفان، إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق... وأعطهم عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفح... أنصف الله وانصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك ومن لك هو في من رعيتك، فانك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله أدحض حجته، وكان الله حربا حتى يزوع أو يتوب..."

وقلت أيضا لصاحب الخراج على القادسية: "... انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلما، ولا تجتزن عليه كلها، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي، فاقتل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض بالسكينة والوقار، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخرج بالتحية لهم، ثم تقول: يا عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته، لآخذ منكم حق الله في أموالك، فهل لله في أموالكم من حق، فتؤدوه إلى وليه... إياك أن تضوب مسلما، أو يهوديا أو نصوانيا في زوهم خراج، أو تبيع دابة عمل في زوهم، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو".

وقلت أيضا: "سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فانه طوة الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار".

أما شأنك في الحرب وسياستك فيها فقد أوصيت جنودك ألا يبدعوا بقتال العدو حتى يبدأهم بالحرب، ولا يقتلوا من ولى دونه عن قتالهم، ولا يجهزوا على جريح ومن عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب ولا يؤنوا النساء في شيء حتى وان بدأ بسب أو شتم.

فهل وجد الناس في غيرك عدلا كهذا، حتى يتكوكك إلى من كان طول عمره محتاجا إليك، وهل عميت أعينهم عن فضلك، حتى يميلوا إلى من لا يوزيك في شيء أبدا.

حقيقتك الثالثة عشرة:

تواضعك الذي قل مثيله وعظم مثاله، كنت تأخذ حاجتك من السوق، وحدك بلا خدم ولا حشم ولا حرس، فتوشد في أثناء ذلك الضال وتعين الضعيف، وكنت تأمر بالتواضع وحسن المعاملة، مستشهدا بقوله تعالى: "وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين".

من أمثلة تواضعك أنك خرجت يوما على أصحابك وأنت راكب، فمشوا خلفك، فالتفت إليهم فقلت: "ألكم حاجة؟ قالوا لك: لا يا أمير المؤمنين، ولكننا نحب أن نمشي معك. فقلت لهم انصروا، فان مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي". وقد استقبلك زعماء الأنبار فوجدوا عندك وأسنوا بين يديك، فقلت لهم: "ما هذا الذي صنعتموه؟ فقالوا: خلق منا نعظم به أرواينا. فقلت: "والله ما ينتفع بهذا أرواؤكم، وإنكم لتشقون به على أنفسكم، وتشقون به في آخوتكم وما أخسر المشقة وراءها العقاب، وما أربح الراحة معها الأمان من النار".

كانت لك المشاهد كلها، لكنك لم تتغير، هاجرت أعظم هجرة، ألقيت بنفسك في أتون المعرك التي خضتها لا تلوي على شيء، همك الوحيد مرضاة الله تعالى ونصرة دينه، غير مبال إن وقعت على الموت أم وقع الموت عليك فقضت مضاجع الصناديد والشجعان ومحترفي المبارزة والحرب، وقتلت رؤوس الكفر وقلوب النفاق، قاسمت المسلمين قتلى المشركين في بدر حتى تزل جبريل عليه السلام متعجبا من استبسالك فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن هذه لهي المواساة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "وكيف لا يكون كذلك وهو مني وأنا منه.

فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكما".

قلعت باب خيبر الذي عجز عن رفعه جمع من صناديد الصحابة، وقلعت الصخرة العظيمة التي انبجست منها عين ماء، وأنت تدافع عن بيضة الإسلام، من المتستورين بحياضه طلبا للحكم وللدنيا، لم تتجه إلى وجهة، ولا سلكت طريقا، إلا عدت منه منصورا ومؤيدا، في حين رجع غيرك خائبا منكسرا مهزوما، كفى الله بك المؤمنين القتال في خيبر والخندق، كنت نقمة الله وسيفه المسلط على رقاب الجباوة والمشركين، لكن ذلك كله لم يؤثر في سلوكك الذي ظل هو هو.

ولعل أعظم مقالة قالها فيك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "ولا أن يقول فيك طوائف من أمتي، ما قالت النصرى

في عيسى بن مريم، لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر على ملا من المسلمين إلا أخذوا زابرجليك وفضل طهرتك يستشفوا به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك".

أما أنت يا سيدي وهولاي ققلت: "والله لو كشف لي الغطاء ما زددت يقينا".

وقفت بين يدي مجتمعك، عرضا عليه علومك التي أخذتها من رسول الله صلى الله عليه وآله، والتي تفتقت لديك ونمت، كما أفصحت عن ذلك بقولك: "علمني رسول الله ألف باب من العلم، فانفتح لي من كل باب ألف باب".

وقلت مبينا عما تخترنه، تريد إفادة الأمة: "سلوني قبل أن تفقدوني". مؤمنا بما عندك ومتيقن بما لديك، ولم يحراً أحد على الوقوف موقفك، ولا عرض ما عرضت، لكن أغلب الناس مضوا إلى من لا يعلم علمك ولا يقاس بك، رضوا بمن لا يهدي إلا أن يهدي، وسلخوا بدل العلم والتحصيل منهج الوراثة والتقليد، قاسوا الدين بأسماء سماها آبؤهم وعظم قورها أجدادهم، من دون دليل علمي ولا ترجيح منطقي، فعبوا بها دينهم ونمقوا ركانه، إن قلت رسول الله (ص) أرسلوا تلك الأسماء وراءه رسال المتيقن بأن الرسول (ص) وما جاء به لا يقوم إلا بهؤلاء.

مرت بينهم سيدي مرور السهم من الرمية، أسفا خرجت من بينهم، ومتحسوا على ما فاتهم منك، حزينا على الأنفس التي خطت بنفسها طريقا إلى النار، من جهلك سيدي فقد جهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يوفه حقه، ولا صدق بما جاء به، من جهلك سيدي فقد التوحيد كله وضيع الدين كله، لأنه لا دين بلا ولايتك وولاية نبيك، سادة شباب أهل الجنة، وبقية الصفة المختلة، والأعلام النتجون، والأمناء المستحفظون، ولايتك سيدي وولاية رسول الله (ص)، وولاية رسول الله (ص) وولاية الله تعالى، كان الإسلام ولا زال فضلا على كل الناس ورحمة، إلا أنت وصفوتك الطاهرة كنتم للإسلام فضلا ورحمة، قلت مشوا إلى ذلك بقولك: "لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا، هم أساس الدين وعماد اليقين إليهم ورجع الغالي وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة".

بكم استقامت ركانه وقوي عوده، سيوفكم وأقلامكم وجهودكم، لا زال العين التي تصنع للدين مجده، وتعيد له مكانته، إلى أن يقبض الله تعالى الكوكب الذي من نبيك، والقائم المستحفظ من أهل بيتك، ليعيد للدين نظرتة، ويبسط نفوذته في مشرق الأرض ومغربها، ويملاً الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا.

بولتك التي أردتها منذ 15 قرنا لو وجدت لها أعوانا وأنصرا، لم يفهمك فيها حتى القويون منك.

حقيقتك الرابعة عشرة:

أنك العلامة الدالة على الطائفة المحقة التي أخبر عنها رسول الله (ص) عندما قال: "لا زال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله". وقال أيضا (ص): "ستنقسم أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقيون في النار".

وقد أشار رسول الله (ص) إلى أن الانقسام سيحصل بعده وعليه فلا بد من وجود علم (بفتح العين اللام) دال على الفرقة

المحقة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعمار بن ياسر: "يا عمار إذا رأيت الناس سلكوا واديا وسلك علي واديا فاسلك الوادي الذي سلكه علي". وذلك دليل أنك دائما على الحق، سالكا المحجة البيضاء.

وعلى وجه التحقيق لم يثبت على فرقة إسلامية واحدة اتصل فقهها وامتدت عقائدها إلى صحابي مضافا إلى كونه من أهل بيت النبي (ص) غير الشيعة الإمامية التي أخذت دينها الحق واسلامها الصحيح منك، ومن نريتك الأئمة الأحد عشر، هداة الأئمة وربانيها.

أما البقية الباقية فقد أخذت فقهها في أحسن الحالات، عن فقهاء من القرن الثاني (أبو حنيفة ومالكا) أما عقائدهم، فحدث ولا حرج، فقد استتركها حكامهم من أبي الحسن الأشعري في القرن الرابع، وأجمع المحلزون لك ولخطك على تسميتهم بأهل السنة والجماعة، وهو أمر غير مكتوم، فأى سنة يقصدون؟ سنة الحكام الكائدين للدين وأهله، والمحلبيين له بكل الوسائل، أم سنة رسول الله (ص)؟ إن كانت سنة رسول الله (ص) فإن وعاءها، هم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. الداخلين في سنن الاضطفاء الإلهي الحاصل في بيوتات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. وإن كانت سنة الحكام فما أخرجهم إلى غوها، لأنها لن تغني عنهم من الله شيئا، خصوصا والنصوص المتظافرة التي تأخذ بالأعناق إلى اتباع الأئمة من أهل بيت النبوة (ع)، ثقل كتاب الله والناطقين عنه صدقا وعدلا. أنتم أوعية الدين ومناوئوكم أوعية الدنيا وكل إناء بما فيه يوشح، وكل يعمل على شاكلته.

حقيقتك الخامسة عشرة:

قالوا انك بايعت الغاصبين الثلاثة لإمامتك وحكومتك، وأقول انك لم تباع أحدا منهم لأنهم أعجز من أن يقوبك، وأوهن من أن يفكروا في تجلوز الخط الأحمر الذي يعرفون نكوهه، واكوى نوو لرحامهم بحر حديده، جاءك خبر الاستيلاء على مقاليد السلطة، فعبرت بما جاءنا من كلامك على عدم رضاك واحتجاجك بأنك الأحق والأولى، قلت كلمتك الشهيرة: "أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محلي منها محل القطب من الوحي، ينحدر عني السيل ولا يرقى الي الطير، فطفقت رتتي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها عبد مؤمن حتى يلقي ربه.

وأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصوت وفي العين قذى وفي الحلق شجى رى واثي نهبا".

وبقلوك معولا جمعهم أشهرا عدة وقد ثبت ذلك بالإجماع، ابتعادك عنهم يدفعه استغناؤك عن كل الناس، واحتياج الناس إليك مهما علا شأنهم، جمعت لهم القوان فرفضوا أن يتسلموه منك، وقالوا لا حاجة لنا فيه، لأنك جمعت معه التفسير والتأويل، وذلك أصل رفضهم، ودابة نهرهم. رضوا أن يجمعه لهم زيد بن ثابت اليهودي وقبلوه منه، كما رضي من جاء بعدهم بما كان يلقيه كعب الأخبار على أبي هريرة، لينسبه إلى رسول الله (ص) كذبا وبهتاننا بلغا حد الخوافة.

أما سكوتك الذي ألبسوك قرله فهو محض افتراء لأنك قد سعيت إلى التعريف بمظلوميتك وتذكير من تنفعه الذكوى، وقليل ما هم، بأنك الإمام المنصوص عليه من الله ورسوله، لا يرتاب في ذلك مرتاب، فأيديك وسيرتك ومنطقك وعلمك ومكانك من

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما زال غضة طرية، تقطر من عرق جهادك وبذلك، وما كان يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شأنك من نصوص لا تحتاج التأويل، وما قام به في أخريات أيامه وعند منصرفه من حجة الوداع عندما نصبك مولى للناس وإماما هاديا، متصله ولايته ولايتك، فقال: "من كنت هولاه فعلي هولاه اللهم وال من والاه واعد من عاداه وانصر من نصوه وأخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار".

وجاء تكديركم للأنصار عندما خرجت مع الزهراء عليها السلام في محاولة منكم لتوعية الناس، فكان اعتزلهم هروبا من الواقع الذي أوقعوا أنفسهم فيه، عندما قالوا لو كان أبو الحسن موجودا في السقيفة لما عدلنا به أحدا، وكان رد الزهراء عليها الصلاة والسلام حاسما عندما قالت: "أفكان يتوك رسول الله (ص) مسجى، ويخرج إلى الناس ينزل سلطانة، والله لقد فعل أبو الحسن ما كان عليه أن يفعل، وفعلتم ما الله حسبيكم يوم القيامة".

ومناشدتك خمسة الشورى الذين اختلهم عمر تمويها على المسلمين بأنه لم يأل الناس جهدا في النصح لهم، وكأنه يقول من خلال عقيدته التي تبناها أصحابه أن رسول الله لم ينصح أمته فتروكهم هملا، فالخليفة الثاني أراد في حقيقة الأمر أن يولي عثمان بن عفان من بعده، فجعل الأمر في يد عبد الوحمان بن عوف إذا انقسم الستة إلى فريقين متساويين، وابن عوف هذا هو صهر عثمان، وقد قلدها له بطريقة مأكرة لمن يريد أن يبصر الحق ولا يتعامى عنه.

واستورك في مناشدة الناس وتذكروهم بحديث الغدير، حتى في أيام حكومتك، فحبة الكوفة وما حوته من جماهير تشهد يومها على قيام عدد من البيريين وغورهم وشهادتهم بوقوع ذلك الحديث من رسول الله (ص) تأييدا لحقك، وإظهارا لحجتك، رغم أنك كنت غير محتاج إلى ذلك والحكومة في يدك، لكنك أردت أن تثبت للأجيال الإسلامية القادمة أن إهمال الإمامة، خطر داهم الأمة ولا زال يدهمها، وبيان أمر الإمامة من بيان الدين، وحفظ حوزته وحياطة أمره.

حقيقتك السادسة عشرة:

أن حكمك لا زال مضوب الأمثال ومنهل الباحثين عن جوامع الكلم ورفيع اللفظ، ومنتهى البلاغة، اختصر منها على غيض من فيض، ولولا الإلتاف والحق الذين حلا بوائك اللغوي لوصلنا منه ما يربو على الكثير، لأن لك في كل حادثة حديث.

قلت سيدي: "أيها الناس، إنما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار، فخذوا من مومكم لمومكم، ولا تهتكوا أستركم عند من يعلم أسورك، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج أبدانكم، ففيها اختوتتم ولغوها خلقتكم، إن الموء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟ لله أبواؤكم فقدموا بعضا يكن لكم قرضا، ولا تخلفوا كلا فيكون قرضا عليكم".

وقلت أيضا: "من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخوته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ".

وقلت أيضا: "من استبد وأبى هلك، ومن شاور الرجال شركها في عقولها".

وقلت أيضا: "أربع لو ضربتم فيهم أكباد الإبل، لكان ذلك يسوا: لا يوجون أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي أن

يقول لا أعلم إذا هو لم يعلم، ولا يستكبر أن يتعلم إذا لم يعلم". و: "قوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها". و: "رب عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه".

وقلت أيضا: "كم متوج بالإحسان، وكم من مغرور بالستر عليه، وكم من مفتون بحسن القول فيه، وما ابتلي عبد بمثل الإملاء له.

قال الله عز وجل: "إنما نملي لهم لؤدأوا إنما".

وقلت لابنك الحسن: "يا بني احفظ عني رُبعا ورُبعا، لا يضرك ما عملت معهن: أغنى الغنى العقل، وأكبر الفقر الحمق، وأوحش الوحشة العتب، وأكرم الحسن حسن الخلق، يا بني إياك ومصادقة الأحمق فانه يريد أن ينفك فيضوك، وإياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك أهرج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفجر فانه يبيحك بالتافه، وإياك ومصادقة الكاذب فانه كالسواب يقوب عليك البعيد ويبعد عليك القريب.

يا بني اجعل نفسك مزانا فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ورض من الناس ما ترضى لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم وان قل، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك".

وقلت أيضا: "تعاهنوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها واستكثروا منها، وتقربوا بها فإنها - كانت على المؤمنين كتابا موقوتا - ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا - ما سلككم في سقر؟ قالوا لم نك من المصلين - وإنها لتحت الذنوب حت الورق، وتطلقها إطلاق الوبق، وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة، تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الثرن؟ وقد عرفها حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قوة عين من ولد ولا مال. يقول الله سبحانه: "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة".

أما دعاءك فقد جاء منه ما اثلج صدورنا، وحملنا على أكف الضواعة إلى الله، وساقنا سوقا حنيثا نحو مدرج الخشوع ومناسك القوب من البلري تعالى، فدعائك الذي علمته كميلا بن زياد النخعي ودعاء الصباح من الأدعية التي، يعجز المتبحر في اللغة عن الإتيان باليسير منها، ولو اجتمع له معرطه لفشلت ريحهم.

لسانك هو اللسان الذي لم يعص الله تعالى قط، ولغتك التي ألفها البلري تعالى هي التي يجب أن نستعملها وسيلة للقوب إليه، فوا أسفي على الذين لا زالون بعيدين عنك بحكم عامل الوراثة، لو أنهم بحثوا قليلا لوجنوا في معيذك بغيتهم، وحققوا من زادك رغبتهم في الوصول إلى الله تعالى وبؤغ رضاه.

ثورتك الفكية، وأبعادها المعرفية، لم يشهد لها التريخ مثيل، اولا تحدثت الوركبان عن وجودها في غيرك، على الوغم من الدعاية المضادة التي كانت تروج ضدك، والحرب المعلنة بسبك والواعة منك عشرات السنين، وما استتبع ذلك من أعمال الحرق، التي طالت كل ما يتصل بك من آثار على يدي صلاح الدين الأيوبي، وغره ممن أقلت بجريمته فلم يسجلها التريخ تسجيل عاتب ولا مند، وصدق من قال: " ماذا أقول في رجل كتم أوليؤه فضائله خوفا وكتمها أعدؤه حسدا ففاض بين ذلك ما

رُدت أن تهيب فكرك وعلومك لأكثر عدد من المسلمين فلم يرض بك إلا قلة ممن امتحن الله قلوبهم للإيمان .
لم يكن ذلك بالغريب منك، فأنت الإعداد الخاص بالرسول الأعظم (ص) لتحمل مسؤولية الأمة بعده، بقطع النظر عن النصوص التي أشرت إليها والتي تناولت مسألة الإمامة، قال صلى الله عليه وآله فيك: "علي أعلم الناس بالسنة".
وقال أيضا: " أقضاكم علي". وقال كذلك: "قسمت الحكمة عشرة أجزاء فاعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءا واحدا وهو أعلم بالعشر الباقي". وقال كذلك: "علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به".

اسمح لي سيدي أن أقتطف نورا يسوا من دعائك، طعمة لوجدان البعيد عنك والمقصر عن قافلتك، لعل الله تعالى يقذف في قلبه نور هدايته إليك فيوفيك حقا، ومن يستطيع ذلك يا سيدي... لا أحد.

من دعائك في الصباح: "... يا من قرب من خطرات الظنون وبعد عن لحظات العيون وعلم بما كان قبل أن يكون، يا من رُقدني في مهاد أمنه وأمانه وأيقظني إلى ما منحني به من مننه واحسانه وكف أكف سوء عني بيده وسلطانه، صل على الدليل إليك في الليل الأليل والماسك بأسبابك بحبل الشوف الأطول والناصح الحسب في نروة الكاهل الأعبل، والثابت القدم على زحاليها في الرمن الأول وعلى آله الأخيار المصطفين الأوار.... واغرس اللهم بعظمتك في شرب جناني ينابيع الخشوع وأجر اللهم لهيبتك من أمافي زفات الدوع، وأدب اللهم توق الخوق مني بزيمة القوع، الهي إن لم تبتدئني الوحمة منك بحسن التوفيق فمن السلك بي إليك في واضح الطريق، وان أسلمتني أناتك لقائد الأمل والمنى فمن المقيل عثاتي من كوات الهوى...."

و من دعائك في ليلة الجمعة الذي خصصته كميلا بن زياد النخعي رضوان الله تعالى عليه حتى تسمى به: "... اللهم اني أتقرب إليك بذكرك وأستشفع بك إلى نفسك وأسألك بجودك أن تدنيني من قربك، وأن تزرعني شركك وأن تلهمني ذكرك، اللهم اني أسألك سؤال خاضع متذلل خاشع، أن تسامحني وتوحميني، وتجعلني بقسمك راضيا قانعا وفي جميع الأحوال متواضعا.
اللهم اني أسألك سؤال من اشتدت فاقته، وأقول بك عند الشدائد حاجته، وعظم فيما عندك رغبته.

اللهم عظم سلطانك وعلا مكانك وخفي مكرك وظهر أمرك وغلب قهرك وجرت قرتك، ولا يمكن الوار من حكومتك، اللهم لا أجد لذنوبي غافوا ولا لقبائحي ساؤا ولا لشيء من عملي القبيح بالحسن مبدلا غيرك لا اله إلا أنت سبحانك وبحمدك ظلمت نفسي وتحوأت بجهلي وسكنت إلى قديم ذكرك لي ومنك علي..."

لقد أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أكثر من موضع بأنك الوحيد المؤهل لأن تقوم مقامه، ولم تكن إشارات من تلقاء نفسه لأنه لم يكن بمغول عن الوحي طيلة عموره الشريف، فتسميته لك أول، اوكفالتك لك صلى الله عليه وآله وسلم ثانيا، وتربيتك وتعليمك واتباعك له وتكليفك بمهام كثيرة في إطار الدعوة، وتنظيم العناصر التي لبت نداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووقوفك على حاجياتها رابعا.

ولقد جاعنا من الآثار والأخبار ما يفيد أن غيرك لا يصلح للقيادة، بعد التجربة والتكليف.

ففي غزوة خيبر مثلا، أعطى النبي (ص) الراية لعدد من الصحابة، منهم أبو بكر وعمر فلم يفلحوا بل انهزموا، وقد ذكر ابن الأثير في تزيخه، أن عمر رجح يجبن أصحابه وهم يجبنونه.

مقابل ذلك صرح رسول الله (ص) أنه سيعطي الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فدل كلامه على أن الذين رُسِلوا قبلك لم يكن حبهم متبادلا مع الله ورسوله. أو على الأقل لم يكن في مستوى الحب الذي تشتمل عليه. هذا و لا أما ثانيا فقد كنت الوحيد الذي كانت راية رسول الله معك، كنت قائدا بين يدي رسول الله (ص)، وقائدا على الناس، وأموا على المدينة في غيابه، قدت الناس جميعا ولم يقدر أحد، فكيف يحوي هؤلاء على أخذ مكانك والسير أمامك، وقد كانت عادتهم التسليم لك والسير وراءك، لذلك فان قيادة غيرك للأمة هي تنكر للمعهود، وطى لصفحة الحقيقة بالؤيف والبهتان والتحريف.

أما ثالثا: فان الله ورسوله أراد أن يبين للناس، أو بالأحرى أراد أن يظهروا بطلان قيادة أبي بكر في رساله أموا على الحج، خرج أبو بكر لتنفيذ المهمة، لكن جويل عليه السلام قول بنسخ ذلك التعيين، وإقالة أبي بكر من إمرة الحج، واعادته إلى المدينة، وإرسالك بدلا عنه، لأن خصوصيتك هي خصوصية رسول الله (ص) كما قال جويل عليه السلام: "لا يؤدي عنك إلا أنت أو أحد منك". وليفهم الناس من ذلك الغول، أن أبا بكر لا يصلح للإمامة في حضورك.

أما رابعا: فقد أمر رسول الله (ص) بسد الأبواب التي كانت تفتح على المسجد، إلا باب رسول الله (ص) وبابك، ثم جاء البيان والتوضيح بعد ذلك بأن الأمر لم يكن إلا وحيا إلهيا، وأمرار بانيازاده وقوفه صلى الله عليه وآله وسلم تسعة أشهر عند ذلك الباب وطرقه واشلته وكلامه الذي تناقلته الركبان: "الصلاة، الصلاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهروا". وليفهم من كان فهمه سليما، أن الباب الذي على المسلمين طرقه واللجوء إليه واللواذ به بعد النبي (ص)، هو بابك يا سيدي وولاي يا علي بن أبي طالب.

أما خامسا: فقد خطب الرهء عدد من الصحابة فلم يأبه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان رده بأن الوحي لم يقول بشيء في خصوصها، وكان ما ذكرناه من شأن زواجها عليها السلام منك، ما رجح أن ذلك الزواج كان اختيلا ومبركة من الله تعالى للمصطفى ونسله، الذي تقرر أن يكون من فاطمة عليها السلام، إتاما لأمره تعالى في النرية التي بعضها من بعض.

أما سادسا: فان الذين امتطوا صهوة القيادة في الأمة لم يكن لهم وزن قيادي، ولا قيمة عسكرية كقيمتك، تدفع إلى تعيينهم، ناهيك أن عقولهم ظلت ترون الأمور بمؤان الجاهلية التي لم تتسلخ يوما منها، ففي بدر مثلا كان التثبيط واضحا من مقاتلتهما، وكان الإيمان واضحا من مقالة المقداد، ففي حين أعرض عنهما رسوا الله (ص) برك مقالة المقداد، واستمر كل إناء بما فيه يوشح فكان أبو سفيان وأبنائه المقدمين عندهما عن جلة المهاجرين والأنصار، وما معارقتهما للخمرة حتى السنة العشرة للهجرة إلا دليل على عدم تمزجها بين الخبيث والطيب، فكيف يصح لمن لم يترك التمييز أن تكون له الولاية على الدين

الناس.

مضافا إلى ذلك فقد جاء ما يفيد قولهم من أحد وخبير وذات السلاسل، مما حدا برسول الله (ص) إلى تعيين عدد من الصحابة قادة عليهم كتعيين عمرو بن العاص عليهم في ذات السلاسل، وأسامة بن زيد في سوية مؤتته وهو الفتى اليافع الذي لم يتجاوز الثمانية عشر ربيعا، الأمر الذي دفع بعدد منهم إلى التمرد والعصيان بل والطعن على رسول الله (ص) في تعيينه ذلك لتثيبت الناس وعرقلة خروجهم، وهو ما تم بالفعل لغاصبي الحكومة، وأمکنهم التواجد في المدينة قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم لينفوا ما زُعموا عليه. ذلك. ان كل من درس سيرة النبي (ص) دراسة مستفيضة وقف على حقيقة تقول أن رسول الله لم يكن بمنأى عن التهجم والطعن طيلة عمره الشريف لذلك كان يقول: " ما أؤذي أحد من الأنبياء مثلما أؤذيت".

لقد كانت غاية هؤلاء هي التشكيك في ما قاله رسول الله (ص) وهز شخصيته في أعين الناس، وبالتالي تعطيل أحكامه، فعبد الله بن عمرو على ما جاء في مسلم النيسابوري يقول: "تهنتي قريش عن الكتابة عن رسول الله (ص) فقالت انك تكتب عن رجل يتكلم في الغضب والرضا".

والرواية كعادة هذا النوع من المرويات تستوت عن هؤلاء الذين نهوا الرجل عن الكتابة ونسبت ذلك إلى قريش، كما قال ذلك عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس: لقد كرهت قريش أن تكون فيكم النوبة والإمامة.

غير أن اللبيب بالإشارة يفهم، لأن من تصدى لتلك المهمة وظهر منه ما يفيد الوقوف في وجه رسول الله مورا عديدة حتى أصبح يعرف بذلك الموقف هو الذي تستوت عليه الرواية في هذه النوبة وفي مرات أخرى.

إن ما قع في صلح الحديبية وفي يوم الخميس واطلطن على تعيين أسامة بن زيد، والذي سبق وفاته صلى الله عليه وآله، من انتهاك صلخ لمقام أفضل المخلوقات، دليل على الإعداد المغاير لاعداد الله ورسوله، لأن المرأة التي بلغها الرجل، لم تكن إلا مخططا لها من قبل حزب بأكمله كان يريد صوف الحكومة الإلهية عن أصحابها.

إن الذي أسس لحكومة السقيفة، قد قام بعد صاحبه ليقول بعدم مشروعيتها ويعتورها فلتة وقي الله المسلمين ثرها، حاكما بالقتل على من يعود إلى مثلها، غير متقطن إلى أن حكومته تلك هي امتداد لتلك الفلتة، لأن الخليفة الأول أسس للثاني، بوصية كتبها عثمان بن عفان على ما جاء في تريخ ابن الأثير.

والغريب في الأمر، أن الغالبية العظمى من المسلمين يمرون على تلك الأحداث مرور الكرام، دون نظرو ولا تثبت ولا تمحيص، معتبرين ما تمخض عن تلك الفترة من تجلوز لروح القآن ومعانيه، قانونا موليا وأمرا واقعا أدمج في ميثاق الحكومة الإسلامية، بل ألغى بكل بساطة مبدأ الإمامة، وأحل محله نظرية الشورى والخلافة التي قد يؤسس لها واحد من الناس لتكون مؤمنة لكل المسلمين، كما يعتقد حزب التحرير ولكن داخل أسوره فقط، ومنتهى قياسهم أن عمر أسس لأبي بكر تغيبا للحاكمية الإلهية.

إن الذين استكانوا إلى الأحداث التريخية التي أعقبت وفاة النبي (ص)، واعتبروها من الدين ولم ينتثبوا في حيثياتها ولا نظروا إلى تفاصيلها قد أثبتوا قصورهم وعدم فهمهم للدين الإسلامي، قآنا وتآنا تابعا له.

عليهم الآن أن يندركوا أنهم قبل الفوت ليتدبروا القآن ومقاصد الحديث الذي يعتبر تفسوا للكتاب العزيز، لأن الصحابة

رضوان الله تعالى على من صلح منهم ولم ينقلب على عقبيه ليسوا سوى جيل من الناس المكلفين مثلنا، لم يصطفهم الله تعالى كما فعل بخصوص أهل بيت الرسول (ص)، وكما جرت سنته تعالى في بيوتات بقية الأنبياء عليهم السلام. وكل من سعى إلى إحلال هؤلاء الناس محل الصفة الطاهرة من بيت المصطفى، فقد أجرم في حق الله تعالى، وفي حق نبيه الأكرم، وفي حق الإسلام، وفي حق المسلمين، ووضع نفسه موضع الذين يعرفون الكلم عن مواضعه، أنصحه أن واجع نفسه، ويجزم أمره قبل أن يأتي يوم لا مرد له، ليخزي الله تعالى فيه الذين أحسنوا الحسنى وزيادة، وينتقم من الذين أجروا واتخذوا دينهم مطية لركوب أهوائهم كأنما هم شركاء فيه.

سيدي ومولاي يا أمير المؤمنين أسأل الله تعالى لنا وللمؤمنين والمؤمنات فجا بظهور القائم من ولدك، ومخرجا إلى ضياء نوره، وأن يعرفنا مقامكم، وأن يمنحنا من علومكم، ما يطرد به عنا الشكوك والضنون والجهل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

أختم مقالتي هذا بزيلة مولى المؤمنين وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين عليه السلام:

السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا حبيب رب العلمين، السلام عليك يا صفة الله، السلام عليك يا ولي الله، السلام عليك يا حجة الله، السلام عليك يا إمام الهدى، السلام عليك يا علم التقى، السلام عليك أيها الوصي، السلام عليك أيها البر النقي، السلام عليك أيها النقي الوفي، السلام عليك يا أب الحسن والحسين، السلام عليك يا عمود الدين، السلام عليك يا سيد الوصيين، السلام عليك يا أمين رب العلمين، السلام على أبي الأئمة وخليل النبوة والمخصوص بالأخوة، السلام على يعسوب الدين والإيمان وكلمة الرحمان، السلام على ميزان الأعمال ومقلب الأحوال وسيف ذي الجلال وساقى السلسبيل لألال، السلام على صالح المؤمنين وورث علم النبيين والحاكم يوم الدين، السلام على شجرة التقى، وسامع السر والنجوى، السلام على حجة الله البالغة ونعمته السابغة ونقمته الدامغة، السلام على الصراط الواضح، والنجم اللائح والإمام الناصح، والژناد القادح ورحمة الله وبركاته، اللهم صل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أخي رسولك ووليه وناصره ووصيه ووزوه ومستودع علمه وموضع سوره وباب حكمته والناطق بحجته الداعي إلى شريعته وخليفته في أمته، ومفوج الكرب عن وجهه، قاصم الكفرة وموغم الفجرة، الذي جعلته من نبيك بمقالة هارون من موسى، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصوه وأخذل من خذله والعن من نصب له من الأولين والآخرين، وصل عليه أفضل ما صليت على أحد من أوصياء أنبيائك يا رب العالمين.



قراءة في حديث المتولة

حديث المتولة من الأحاديث التي أجمع علماء الإسلام حفاظا ومؤرخين ومفسرين وفقهاء على صحته وسلامة وروده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ناهيك على من قال بتواتره كالأبيدي والكتاني وابن عساكر والسيوطي وغيرهم، لكن الذي يدعو للغرابة والتعجب أن سوادهم مر عليه مرور الكرام، غافلين أو متغافلين عن معانيه ومقاصده، بل منهم من سعى إلى إفاغ الحديث من حقيقة معناه، ففسوه بهواه ففسوا أحوال مواكبا للسياق التاريخي للخلافة كالثنوي في هامش مسلم حيث قال: والمستدل بهذا الحديث على أن الخلافة له (أي لعلي عليه السلام) بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زائغ عن الصواب، فإن الخلافة في الأهل في حياته لا تختص بالخلافة في الأمة بعد مماته (مسلم ج 7 ص 120 باب فضائل الإمام علي)

الحديث:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: "أما ترضى أن تكون مني بمتولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"⁽¹⁾

الحديث في نظري وعند من لم تؤثر على عقله وفؤاده لوثة الهوى، وعمى حب الدنيا، لا يحتاج إلى بيان وتوضيح، بقدر ما يستوجب إلى إشارة وتلميح، فيكفيك أن ترجع إلى القرآن الكريم لتعلم متولة هارون من موسى، فتترك بها مقام علي عليه السلام من رسول الله (ص).

ماذا يقول البري تعالى عن تلك المتولة؟

تناولت متولة هارون من موسى آيتان وآيتان هما:

1 - قوله تعالى: "واجعل لي وزوا من أهلي هارون أخي أشدد به أزري واشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصوا"⁽²⁾.

منزل هارون من موسى حسب ما جاء في الآية الكريمة:

أ - النسب والقوابة (هارون أخي)

ب - الوزرة (شد الأزر والاشواك في الأمر)

2 - قوله تعالى: "إذ قال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين"⁽³⁾

الولاية على القوم (هي ولاية صلاح هداية لا افساد وغواية)

و الولاية كما ذكرها الله تعالى في كتابه عامل هداية وإقامة للحق والعدل في مواجهة قوى الغواية والشر والإفساد في

الأرض.

حديث المتولة وتطابقه مع الإمام علي عليه السلام

لطمس شخصيات أصحابه ونجبائه، الذين كانوا يبركون ما هو الإمام علي؟ وما مقامه من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ وما قيمته عند الله تعالى؟ فكانوا تبعوا له محل سخط وتتبّع، لذلك فإن مؤرخي السلاطين تبعوا لحكامهم أهملوا شخصيات فذة، وصرفوا النظر عن قمم رواسي، لا يبرك علو هممها إلا من عرف معنى الولاية الشوعية في الإسلام الحق.

لقد كان الإمام علي عليه السلام العوجع الوحيد، والملاذ الذي عنده الخبر اليقين عن كل ما كان يلتبس على معاصويه من صحابة وتابعين، فاليه رجعت علوم الدين والدنيا، وهو الوحيد الذي قول فيه من القوان ما قول كآية الولاية الأولى: "إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون".⁽¹⁰⁾

ذكر عدد من المفسرين ممن صدع بالحق، أن عليا تصدق بخاتمته في المسجد وهوراعع، خشية أن تفوته تلك الحركة النبيلة التي كان يؤوبا عليها، فقولت فيه، وكم كانت فحة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عندما جاءه الوحي مزكيا ومبركا عمل علي عليه السلام، وقد منحه البري تعالى رتبة الولاية، كما كان قد منحها لوسوله من قبل. وهو من شملته آية التطهير وهي: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل لبيت ويطهركم تطهروا".⁽¹¹⁾

وقد أجمع الحفاظ والمفسرون والرواة إلا من شذ منهم والشاذ لا يقاس عليه، حتى أعدى أعداء الشيعة ابن تيمية صوح بأن عليا هو واحد ممن شملتهم آية التطهير.

وهو أيضا من أهل البيت الذين قولت فيهم الآيات التالية: "إن الأوار يشوبون من كأس كان مزاجها كاهرا عينا يشوب بها عباد الله يفجرونها تفجورا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطورا * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسوا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطورا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضوة وسرورا * وخاهم بما صبروا جنة وحرورا." وقصة الإطعام معروفة عند الخاص والعام.⁽¹²⁾

وهو عليه السلام من الصادقين الذين أمرنا بأن نكون معهم: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"⁽¹³⁾ وهو ممن أمرنا بالهوجع إليهم فقال: "فاسأوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون".⁽¹⁴⁾

وهو من أولي الأمر الذين أمرنا بالورد إليهم حورتنا ولبسنا وجهلنا، فقال: "وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو روه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم".⁽¹⁵⁾ فهو عليه السلام من هداة الأمة ومستحفظي دينها ولم يقل أحد سلوني قبل أن تفقدوني غوه.

وهو الوحيد الذي جرت على يديه كرامات عظيمة وظهرت منه آيات جليلة.

ولعل أروع ما قيل فيه، ما نقل عن الخليل بن أحمد الفواهيدي عندما سئل ما الدليل على إمامة أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال: "احتياج الكل إليه واستغلوؤه عن الكل دليل على إمامته". وما أروع من استدلال لمن يبرك للحق معنى.

علي عليه السلام يتحدث عن علاقته برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يقول الإمام علي عليه السلام في إحدى خطبة في نهج البلاغة:

ولقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بالوابة القويبة، والموتلة الخصيصة، وضعني في حوجه

وأنا ولد يضمني إلى صوره، ويكنفني إلى فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمني به، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطله في فعل ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكرم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهله.

و لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاعتداء به.

ولقد كان يجاور في كل سنة بجواء فراه ولا واه غوي، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، رى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين تول الوحي

عليه (ص) فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة؟

(17) فقال ذاك الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وتوى ما رى، إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير.

بقدر ما يتساءل المسلم منا ويستغرب عن سبب تجاهل الأمة لحديث المتولة، وهو من الأدلة القطعية، والواهين اليقينية

لإمامة علي عليه السلام، بقدر ما يستنكر ما جاء من تأويل تافهة ومفضوحة تدفع الحق الصلخ مدافعة المجنون.

وأذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر تأويل النووي في شرح مسلم حيث يقول: إن خلافة علي عليه السلام التي نص

(18)

عليها حديث المتولة هي في الأهل فقط .

وليت شعوي من أين جاء بهذه الفكرة التي هي وسوسة شيطان يريد صد الناس عن الحق، وهل تحتاج خلافة علي علي

الزهراء وبنيتها إلى نص؟ وهل لرسول الله (ص) أهل غير الذين حددهم القرآن الكريم في آية المبالهة وآية التطهير، وكلف

رسوله باظهارهم للناس، فكان يأتي باب علي وفاطمة عند كل صلاة فيناديهم للصلاة، قائلا: " الصلاة، إنما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهروا". تسعة أشهر كما في رواية أبي الحواء، ليعلم الناس مقامهم عند الله ورسوله

(ص)؟، وعملية سد الأبواب التي كانت تفتح على المسجد إلا باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وباب علي عليه السلام.

هؤلاء فقط هم أهل البيت عليهم السلام الذين أصطفاهم الخالق تعالى واختلهم على غورهم من قواية رسول الله صلى الله

عليه وآله وسلم، والناس أجمعين.

ومن لم يعجبه ذلك وقدر أن يفعل فليعترض على من أعطاهم ذلك الحق، ومزهم بتلك المزة وخصهم بما لم يخص به أحدا

من الأمة.

الخلافة المقصود بها في متولة علي من رسول الله (ص) هي عينها المقصود بها في متولة هارون من موسى الخلافة في

القوم، وليس في الأهل كما يوجفون، لأن الخلافة في الأهل بديهية وطبيعية لا يحتاج إلى نص.

تظلم علي عليه السلام من غضب الناس لحقه

إن المتأمل في كلام علي عليه السلام بخصوص الحكومة الإسلامية بعد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وى

فيها كلام صويحا، وتظلم فصيحا وإثباتا يدفع الشك أنه صاحب حق، ولم تكن أقواله غير تثبيت ما جاء عن رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم، من أن أمر الحكومة بعده لا يعدو الأئمة من أهل بيته، وصية من الله كما هو شأن حكومات الشوائع

يقول عليه السلام في إحدى خطبه:

"أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا (ص) نذرا للعالمين ومهيما على المرسلين فلما مضى عليه السلام تتلوع المسلمون الأمر من بعده فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب رجع هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله وسلم عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فمارعني إلا إنثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قدرجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله، أن أرى فيه ثلما، أو هدما تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السواب أو كما يتقشع السحاب" (19)

و يقول في خطبة أخرى: " حتى إذا قبض الله رسوله (ص) رجع فريق على الأعقاب، وغالبتهم السبل، واتكفوا على الولايج ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي أمروا بمودته، ونقلوا البناء عن أساسه فبنوه في غير موضعه، معادن كل خطيئة وأواب كل ضرب في غيرة، قد ماروا في الحرة وذهلوا في السكوة، على سنة من آل فوعون، من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفلق للدين مباين. (20)

وقال أيضا: " أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الوحي ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلي الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت رتاي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهزم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فأيت أن الصبر على هاتا أحجي، فصوت وفي العين قذى وفي الحلق شجي رى واثي نهبا. (21)

و يقول في أخرى: " وقال قائل إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص، فقلت بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب وإنما طلبت حقا لي، أنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه، فلما قعت بالحجة في الملا الحاضرين هب لا يبوي ما يجيبني به.

اللهم إني أستعينك على قريش ومن أعانهم، فانهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم مقرتي، وأجمعوا على منلعتي أمرا هو لي". (22)

لقد أظهر حديث المتولة بما لا يدع مجالاً للشك والتأويل، أن مسألة الولاية العظمى التي كان رسول الله متقلداها في حياته غير منتهية بوفاته، وإنما هي مستورة باستتار الشيعة والدين.

وليس هناك شيء أصح لأحكام الله تعالى من تواجد قائم عليها يقوم مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحفظ والهداية وإقامة معالم الدين، وتلك سنة إلهية قديمة قدم رسالات السماء.

غير أنه قد يبادر إلى الذهن سؤال يقول: طالما أن الاستخلاف ينوذج ضمن إطار الاصطفاء الإلهي لماذا ينكره عامة المسلمين؟ ويتشبهون بعدم وقوعه؟ وما الفائدة منه الآن؟ ألا تسهم إثارة هذه المسألة في تشتيت المسلمين في وقت نحن في أمس

الحاجة إلى الوحدة والألفة وحرص الصفوف؟

و للجواب على ذلك نقول إن عامة المسلمين لم ينكروا نصوص الاصطفاء التي ذكرها الوحي بخصوص إمامة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فهي موجودة في أمهات كتبهم ورؤوس مراجعهم، إنما المشكلة الواقعة تتمثل في تأويل الأحاديث والنصوص، تأويلا يصب في إطار تحويل مسار الحكومة الإسلامية المقامة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولو أنهم أقروا بشروط الإمامة كما جاءت في كتاب الله تعالى، وأحاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وكما أذعن لها شيعة أهل البيت عليهم السلام، لوجب عليهم إعادة الحق إلى أهله والرجوع من مسار السقيفة إلى إمامة الهداة.

قال تعالى: " إنما أنت منذر ولكل قوم هاد "

لما تولت هذه الآية قال من حضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد علمنا المنذر يا رسول الله فمن الهادي؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم، أنا المنذر وعلى الهادي، وبك يا علي يهتدي المهتدون".⁽²³⁾

أما وجه الفائدة من معرفة أئمة الحق موالاتهم؟ فلأن المسألة متعلقة بالله تعالى لأن الإمامة وسيلة الخلق إلى الله تعالى، وجنة من الزيغ والضلال، هي السواط المستقيم وحبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، قيمومة على الدين وحاكمة بالعدل والقسط، لها مرتبة الشهادة على الأمة يوم القيامة.

قال تعالى: " يوم ندعوا كل أناس بإمامهم ". واتصالها بعالم لغيب متحقق لحاجة الخلق دائما إلى المدد الغيبي.

قال تعالى: " تتول الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر... " وعليه فإن الفائدة من الإمام باقية ببقاء هذا الدين متجاوزة عالم الفناء إلى عالم البقاء.

هكذا إذا نخلص إلى القول بأن مسألة الحاكمية بعد النبي صلى الله عليه وآله لم تتروك للناس تفويضاً ولا تخيراً لا اعتبارات عديدة منها ما هو متعلق بالناس كحدائث عهد أكثرهم بالدين وعدم استيعاب القدماء له فضلا عن المستجدين، ومنها ما هو متعلق بالشريعة لتمامها وكمالها، وهما صفتان غير متحققتان في حال خلو مقام الحاكمية من صاحبه.

فكان حديث المتولة استخلافا صريحا، ونصا لا يشوبه شك في أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد نصب عليا إماما هاديا للناس بعد أن أعده لتلك المهمة فشملة وعايته الخاصة وتعليمه الدائم وأعطاه من الاهتمام والعناية ما لم يعطه أحدا، وكل ذلك كان بأمر الله تعالى وتأييد منه.

لذلك لم يكن حديث المتولة الذي صدع به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا نتيجة نهائية لاعداده وشهادة لا يضاهاها شئ لمقام لا يبركه إلا من صفى قلبه وطابت سيرته.

ومتولة علي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هي حصيلة صنعها ذلك آلاما الفذ العظيم، وعقد لواءها بقلبه وعقله وسقاها بعوق جهاده ودعوع خشيته من الله تعالى وعمله الصالح فإن لم يقبله المستكبرون فقد اعتنقه المؤمنون والمستضعفون، علي هو الولي المرتضى من بعد أخيه المصطفى مثلما كان هارون لموسى، ولا التفات لمن يريد طمس هذه المسألة لأنه لا وهان لديه سوى التأويل الخائب، الذي لا تقوم له حجة والسلام على من إتبع الهدى الذي لا تكون إلا من

الإمام المفترض الطاعة من الله تعالى.

ودعهم يلونون بأن للولاية معان عدة فيتيهون في أرجائها دفعا للحق.. وليس بعد الحق إلا الضلال.

و بعد إستعرضنا لحديث المتولة يحق لنا أن نطرح سؤالاً يقول هل للدين الإسلامي نظام حكم؟ وإذا كان كذلك فكيف يكون؟

و للإجابة نقول، إن شريعة البري سبحانه وتعالى بشقيها الأساسين (الكتاب والسنة) لم يهمل مسألة الحكومة، بل أولياها حزا من تشريعاتهما، ففي الكتاب العزيز تواتت الآيات الكريمة التي تحدث عن الحكم مصورا ومآلا، حاثثة على العمل بها والأخذ بمضامينها، ولم يكن غائبا عن أذهان الناس وقتها أن يسألوا عن نمط الحكم في الإسلام، ولا كان ذلك خرجا عن تبليغ النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وكما كان صلى الله عليه وآله وسلم مكلفا ببيان كيفية العبادات، من طهولة وصلاة وزكاة وصوم وحج لاجمال ورود الآيات بخصوصها، كان كذلك مكلفا ببيان شكل الحكومة ونوعية الحكم قانونا وتأهيلا وتربية.

إن نظام الحكم في الإسلام يعود بالأساس إلى الله تعالى لأنه مصدر الوجود والنظام، وإليه يرجع تجديد صيغته وأحكامه قال تعالى: " إن الحكم إلا لله " وقال أيضا: ألا له الحكم "

و باعتبار المولى سبحانه وتعالى موجه التشريع، فإن الرسول الأعظم (ص) مناط بوجعية التبليغ والبيان والتأسيس، وأولوا الأمر موكولون بوجعية الحفظ والتثبيت.

إن نظام الحكم الإلهي غير قابل للتغيير في أسسه، على مر الأزمنة والعصور، سنة الله في الذين خلوا من قبل... " قد تتغير الأسماء دون الوظيفة، كما في الآية التالية: "إنا نحن نزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هانوا والروبايون والأحبار بما أستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء".⁽²⁵⁾ وعلى ذلك تكون أوار الحاكمية مرتبة حسب ورودها في الآية ثلاثة أوار:

الدور الأول:

الأنبياء والوسل أئمة عصورهم زيادة على نور النبوة كما في قوله تعالى لإراهيم: "اني جاعلك للناس إماما". يملسون في نفس الوقت نور التبليغ ودور الحكم.

الدور الثاني:

الأئمة الهداة بأمر الله تعالى، يملسون نور الحفظ والحكومة والشهادة في الآخرة: "بما أستحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء". ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا".

الدور الثالث:

العلماء وهم الأمناء من بعد الأئمة، على تواصل الحاكمية الإلهية بما اكتسوه من علوم إلهية صحيحة، وملسوها وعيا

وتطبيقا.

هذا من الوجهة التشريعية أما من الوجهة العقلية فان المنطق يقول باستحالة إهمال مسألة الحكومة وتركها للناس يفعلون بها ما يريدون لأسباب هي:

- 1 - إن إهمال أمر لحكومة من قبل البلدي تعالى هو تقييد في جزء تشريعي هام يتوقف عليه مصير الشريعة كلها.
- 2 - اللطف الإلهي الواجب على الله تعالى في بيان كل ما من شأنه حسم مدة الخلاف والنزاع، وعلمه تعالى بواطن الناس مدعاة إلى اختيار الأصلح للقيام على أمر دينه.
- 3 - حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورأفته بالأمة يدعوانه إلى النصح لها فوق ما كان يقدمه من بيانات وإيضاحات.
- 4 - دأب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، على تعيين من يقوم مقامه عند خروجه للغزو، وذلك التعيين لم يكن بمنأى عن الوحي فالتعيين في جزء زمني، يقتضي التعيين في جزء أكبر.
- 5 - إن الاختيار الإلهي لمنصب الإمامة لا يمكن مقلنته باختيرات الناس، ولا يمكن اعتباره ملكا بالمعنى السائد الآن، لأن الله تعالى لا يفعل إلا الأصلح بينما تكون غالب اختيرات الناس خاطئة لقصورها عن إرواك حقائق بعضها وخبائياها الباطنة التي لا يعلمها إلا الله والدليل ما نحن فيه الآن من انحراف للبشوية عن المسار الصحيح للحاكمية قد أدى إلى حوة وتيه في إرواك النمط الأمثل لبوغ العدل ونشر السلم والتقوى بين الناس.
- 6 - الحكومة لا بد أن تكون من جنس التشريع، وعدمها نقص والنقص غير ولد، لان الدين كامل بالنص الوأني.
- 7 - جريان سنة الاختيار الإلهي في الشوائع السابقة ينسحب على الشريعة لخاتمة.
- 8 - إصوار أتباع مرساة السقيفة على عدم وجود نص رغم تظافر عدد منها، وحملهم لمعاني المتولة والمولى على غير محملها يؤكدان على هواء لا طائل من ورائه واستماتة في مواجهة الحق، بضنون وتأويلات لا تقوى على الوقوف أمام الحجج الدامغة، والواهين التي لا يرقى إليها شك. متابعة لمواقف الظالمين والطغاة الذين كان دأبهم تظليل الناس وابعادهم عن الإسلام الحق، لانه لا يمكن أن يكون الطاغية والظالم على الحق، مدافعا عن تشريع يستهدفه بالذات.
- 9 - إن معالم الحكومة الإلهية لا بد أن تكون مبينة ومحددة بشروط لان الشورى وحدها غير كافية في تحديد الأصلح.
- 10 - إن مبدأ الشورى الذي رفعه المعروضون للنص لا يمكن اعتماده لمخالفته النصوص القوانية والروائية من جهة، ولبطلان الشورى مضمونا لعدم قيامها على مدى عام وشامل، ولو حضر الغائبون عنها بحكم الواجب الأكيد في تجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنه، لما عدلوا بها إلى غوهم.

1 - مسلم النيسابوري ج 7 ص 120 باب فضائل الإمام علي عليه السلام حديث المنزلة أخرجه كل من البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي (ص) بعدة طرق ومسلم كتاب فضائل الصحابة (4 طرق) الترمذي وكتاب طبقات ابن سعد ج 1403 - مسند أبو داود ال205 إلى 209 و213 مسند أحمد بن حنبل ج 1 و170-173-174 - 175 - 177-179-182 - 184 - 185-330 ج 3 ص 32-33-438-483 - ج 4 ص 164 - 165 ج 5 ص 204 ج 6 ص 369-439 - أبو يعلى - الطبراني في معجمه الكبير والأوسط - البزار - لقط الألي المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص 31-32 - أورده السيوطي في الأزهار المتناثرة عن عشرة أنفس وتبع ابن عساكر طرقه في تاريخ دمشق فبلغ عدد الصحابة نيف وعشرون صحابيا. تاريخ بغداد ج1ص325 وج3ص406 وج9ص365 وج 10 ص 430 وج 12 ص223 حلية الأولياء لأبي نعيم الاستيعاب لابن عبد البر ج3 ص34 تاريخ البخاري ج 1 ص115

- 3 - سورة الأعراف الآية 142
- 4 - السورة الحلبية
- 5 - فتح البري في شوح صحيح البخري
- 6 - فتح البري في شوح (صحيح) البخري لابن حجر
- 7 - سورة آل عمران الآية 61
- 8- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام.
- 9 - سورة آل عمران الآية 190
- 10 - سورة المائدة الآية 55
- 11 - سورة الأحزاب الآية 33
- 12 - سورة الدهر أو الإنسان الآية 5/ 22
- 13 - سورة التوبة الآية 119
- 14 - سورة النحل الآية 43 والأنبياء الآية 7
- 15 - سورة النساء الآية 82
- 16- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام.
- 17- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام.
- 18 - النووي بهامش مسلم باب فضائل الإمام علي عليه السلام
- 19 - تفسير ابن كثير الآية - تفسير الطوي الآية.
- 20 - سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام: مسند أحمد بن حنبل ج 5 ص 25 حديث 3062 -خصائص النسائي ص 64
- الإصابة لابن حجر ج 2 ص 509 - كنز العمال للمتقي الهندي ج 15 ص 101... الخ
- 21- نهج البلاغة
- 22- نهج البلاغة
- 23- نهج البلاغة
- 24- نهج البلاغة الخطبة الشقشقية (الثالثة) ج 1 ص 25
- 25 - سورة الرعد الآية 7
- 26 - ت. الطوي ج 13 ص 108 / ت. الوري ج 5 ص 270 / ت. ابن كثير ج 2 ص 502 / ت. الشوكاني ج 3 ص 70 / مستترك الحاكم ج 3 ص 129.
- 27 - سورة الإهواء الآية 71

28 - سورة القدر الآية 4

29 - سورة الأنعام الآية 57 يوسف الآية 40 - سورة الأنعام الآية 63

30 - سورة المائدة الآية 44

31 - سورة البقرة الآية 124

32 - سورة فاطر الآية 32



قراءة في مقام فاطمة الزهراء عليها السلام

عندما يقف العقل البشري عاجزا عن إرواك كنه هذا الطود الأشم، وحين تتساب سبحات القدس معظمة لنسمة اللطف الإلهي، وحين تتحني كل إثاقة روحية أمام حوراء إنسية أطلت على عالمنا إطلالة سويعة وغارته حاملة معها أسوار الوجود ومعاني النشأتين وتوكت في أرها تسؤلات عديدة لا يكاد أكثرها يجد الجواب الشافي، قد يتبادر إلى الكثيرين أنني بصدد الحديث عن نبي موصل أو ملك مقرب، أو أنني عوجت إلى السموات العلاء، لا شيء من ذلك قطعاً، فأنا بصدد ذكر سيدة لم تظلم في تليخ البشرية واحدة مثلها.

عندما يتردد اسمها بين شفتي تختلج نوات صوتي كأنما تدفعني إلى البكاء، وعندما أنتناول ورقة لأخط اسمها يرتعش القلم بين أصابعي وتصفر أناملي خجلاً ورهبة وتتصاغر الورقة عن استيعاب عظمة الاسم الذي خوت له الملائك والملوك. وعندما أستتطق التليخ فأجده صغوا عن ذكرها، لا يكاد يحوي نورا من خصائصها كأنما يعبر عن العجز الذي بداخله والخلل الذي اعزاه وهو يتخطى هذه العظيمة وفي بطنه إفرات الظلم وأعوانه.

عندها أعود إلى نفسي فأسألها متحوا فأسألها أي مركب تركيبين؟ وتتشبث هي في المضي قدما إلى ساحل العظمة بلا إبحار لأن الإبحار فيه ضرب من المستحيل.

سيدتي يا مستودع النوة والإمامة وإثاقة النور الملوكوتي، وتجليات الهداية والرحمة ومعدن العلم والصبر. يا صفة الخلق من الخلق حين لا خلق، يا من تجسدت فيك رادة الخالق تعالى فكان في غضبك غضبه وفي رضاك رضاه.

أيتها الحوراء النافذة من الدنيا، القالية لمتاعها، ماذا أقول فيك وقد حيرت القريب والبعيد، وما يمكنني أن آتي به وقد عجزت جهابذة الأدباء والعلماء عن إرواك كل خصالك والإحاطة بشخصك ومثالك.

لقد أفصح الإمام الواحل روح الله الموسوي الخميني قدس سوه الشريف عن بعض حقيقتك عندما خلص إلى القول بأنك جامعة خصال الأنبياء عليهم السلام وقال أيضا: " لا يفي حقها من الثناء كل من يعرفها مهما كانت نظوته ومهما ذكر لأن الأحاديث التي وصلتنا عن بيت النوة هي على قدر أفهام المخاطبين واستيعابهم ومن غير الممكن صب البحر في حرة".

هكذا أشار الإمام الواحل رضوان الله تعالى عليه في معرض حديثه عن الزهراء عليها أفضل صلاة ورؤى تسليم في احتفال بيوم ولادتها وهو اليوم الذي اتخذته الجمهورية الإسلامية في إيران عيداً عالمياً للمرأة المسلمة.

بنت من أنت؟ وحليلة من؟ وأم من حتى تعوين في التليخ بلا لحظولا أثر يوليان عظمتك وبيدانيان مقامك؟ ماذا صدر منك حتى يشاح بوجه الجهل عنك؟ عجيبي لأمة اتخذت من تقرير الطغاة دنيا وعقيدة وتوكت وراءها سابغ النعم ومروي الغليل من النبع الصافي والكوثر الوقواق، وصدق العلي الأعلى فيما قال: "إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في

الصور".

لقد كانت ولادتك وأتى مجيئك تحدياً لمجتمع لفظ المرأة لفظ الوأة ووضع التبعة والتهمة والخطيئة بل هي أنكى من ذلك كله، لقد بلغت بهم الجاهلية مبلغ القتل والوأد بلا حوج ولا تريب، ولا وصف أدق من قوله تعالى: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يقول من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون".

مجتمع ليس للمرأة فيه نور يذكر ولا مكانة مراعاة سوى الخدمة التي لا شكر عليها والزواج الذي يعتبرون فيه أن الأنثى وعاء لا يهم من واقعها طالما إنها ستأتي بالولد الذكر.

من هنا كانت ولادة فاطمة بنت الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم تحدياً ولمعتقدات فاسدة بشأن المرأة وتأسيساً لعقلية جديدة في قبول ذلك الكيان وإعطاءه حقه، ومن جهة أخرى يمكن القول بأن مجيء الحراء الإنسانية كان رداً على الذين قالوا بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أبتى لا عقب له وإعلاناً غيبياً يتمثل في أن نسل خاتم الأنبياء والمرسلين سيكون من بنته الزهراء.

جاءت الروايات التي تحدثت عن ولادتها متضمنة لتفاصيل عجيبة دالة على عظمة هذه المرأة تقتصر منها على هذه

الرواية:

عن المفضل بن عمر قال قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كيف كانت ولادة فاطمة؟ قال نعم إن خديجة رضي الله عنها لما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله، هجرتها نسوة مكة فكن لا يدخلن إليها ولا يسلمن عليها ولا يتوكلن امرأة تدخل إليها فاستوحشت خديجة من ذلك، فلما حملت بفاطمة، وكانت تغتم وتحن إذا خرج رسول الله (ص) فكانت فاطمة تحدثها من بطنها وتصوها، وكان حزن خديجة وحزنها على رسول الله (ص)، وكانت خديجة تكتم ذلك عن رسول الله (ص)، فدخل يوماً فسمع فاطمة تحدث خديجة.

فقال: يا خديجة من يحدثك؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسي. فقال: يا خديجة هذا جوائيل يبشوني بأنها أنثى وأنها النسمة الطاهرة الميمونة وأن الله تعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة الأمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه، فلم تول خديجة على ذلك إلى أن حضوت ولادتها، فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم ليلين منها ما تلي النساء فأسلن إليها بأنك أغضبتنا ولم تقبلي قولنا وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقروا لا مال له، فلسنا نجيبك ولا نلي من أمرك.

فاغتمت خديجة لذلك، فبينما هي في ذلك إذ دخل إليها أربع نسوة كأنهن من نساء بني هاشم فوعت منهن، فقالت إحداهن لا تخزني يا خديجة فانا رسل ربك إليك ونحن أخواتك، أنا سرة وهذه آسية بنت مزاحم وهي رفيقتك في الجنة وهذه مريم بنت عمران، وهذه صفهرا بنت شعيب، بعثنا الله إليك لنلي من أمرك ما تلي النساء من النساء فجلست واحدة عن يمينها والثانية عن يسرها والثالثة بين يديها والرابعة من خلفها.

فوضعت خديجة فاطمة طاهرة مطهورة، فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها نور حتى دخل بيوتات مكة ولم يبق في شرق

الأرض ولا في غربها موضع إلا أشرق فيه النور.

فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها، ودخلت عشر من الحور العين مع كل واحدة منهن طست من الجنة واطبق فيه من ماء الكوثر، فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها وغسلتها بماء الكوثر، وأخرجت خروقتين بيضاوين أشد بياضا من اللبن وأطيب رائحة من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة وقنعتها بالأخرى، ثم استنطقتها فنطقت بشهادة أن لا اله إلا الله وأن أباهم محمدا سيد الأنبياء وأن بعلمها عليا سيد الأوصياء وأن ولديها سيدي الأسيباط، ثم سلمت عليهن وسمت كل واحدة باسمها، فضحك إليهما وتباشرت الحور العين وبشر أهل الجنة بعضهم ولادتها، وحدث في السماء نور زاهر لم يره الملائكة قبل ذلك اليوم، وبذلك لقيت الرهءاء، ثم قالت خديجة يا خديجة طاهرة مطهورة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها خديجة فحة مستبشرة وألقمتها ثديها فدر عليها وشربت وكانت تنمو في كل يوم كما ينمو الصبي في الأسوع وفي كل أسوع كما ينمو في كل شهر".

نشأت فاطمة بين والدها محمد بن عبد الله سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وسيدة نساء العالمين خديجة عليها السلام يغنونها بعلوم النور ومعدن العفة ويحيطانها بمكرم الأخلاق ومعالي همم الأشراف. فخرجت سريعا تلقف ما يلقي إليها وتعي ما يحاط بها، كأنها تستعد لأحداث جسام وتتهيأ لأمر عظام. وكان الأمر كذلك ففقدت أمها وعمها في وقت حساس كان أوهها في أمس الحاجة إليهما ففي شهر رمضان من السنة العشرة للبعثة توفيت خديجة بعدما وفت بما عليها وزيادة، وبعد معاناة شديدة في شعب مكة المسمى بشعب أبي طالب. ولحقها بعد ثلاثة أيام أبو طالب عليه السلام عم رسول الله (ص) وناصره وحاميه وكافله والمؤمن به ظاهرا وباطنا، وإذا لم يكن النصر والحماية والكفالة إورا ودينا فما بقي للدين شيء.

كان أمرا جلالا وخطبا جسيما وضعها صغرة في محك الابتلاء وحركها نحو تحمل مسؤولياتها. شعرت بفداحة فقد الأم فوطنت نفسها لأن تكون أما لأبيها صلى الله عليه وآله وسلم. أحاطته بحنان البنات والأم حتى قال فيها رسول الله (ص): فاطمة أم أبيها، وقفت على شوئونه دون بقية نسائه فكانت وحدها من بين النساء الصدر الوحيد الذي يؤي إليه (ص) بعد خديجة وفاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب وأم أمير المؤمنين علي عليه السلام.

كانت إذا أقبل رسول الله (ص) عليها وجاءها إلى بيتها، وكان دائب الزيلة لها ولبعلمها ولبنيتها، قامت له وفاحت به وقبلته وأجلسته مكانها، وكانت إذا جاءته إلى بيته وقف لها وفرح بها وقبلها وأجلسها مكانه.

لم يكن رسول الله (ص) بمغول عما يدور في خلد كثير من المسلمين وقتها من جهل لحال الصفة الطاهرة وحسد بدأ يدب من بعضهم فؤاد أن لا تبقى معونة بخصوص موضى الجهل والحسد فكان يأتي تسعة أشهر باب علي وفاطمة في كل وقت صلاة فيطرق الباب ويقول: السلام عليكم، الصلاة أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا". ولم يكن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمغول عن الوحي بل كان مفسوا لكلام الله تعالى وأحكامه وورادته التي

شاءت أن يكون لبيت النبي (ص) صفة كسائر بيوتات الأنبياء عليهم السلام، وكان بيانه ذلك دحضا لكل ريب أو اشتباه قد يحصل من جانب المسلمين المكلفين بالسمع والطاعة والافتداء بمن خصهم المولى بتوكيته ليكونوا للناس منارات هدى وأعلام تقي، حفظة لدينه من عبث العابثين واستوعاء لأحكامه من تعريف المضلين.

إشلة واضحة الدلالة على أن هذا البيت هو بيت من اقتضت رادة البري تعالى تسديدهم، لما لمسه منهم من استجابة تلقائية لأوامره ونواهيه فأذهب عنهم رجس الشيطان وطهرهم تطهرا.

قال تعالى: إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إواهيم وآل عمران على العالمين نزية بعضها من بعض والله سميع عليم". وكانت حادثة المباهلة التي جمعت رسول الله (ص) بوفد نصرى نوحان إشلة أخرى إلى أن المقصود بأهل البيت عليهم السلام هم خاصته، صفة الله منذ الأزل، لم يخرج رسول الله معه غير فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام. كان خروجه ومن أخرج معه بأمر الله تعالى، كما دلت الآية على ذلك: " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين". وفي الآية إشلة لطيفة إلى أن المقام الذي رآه المولى سبحانه وتعالى هو مقام الاحتجاج والشهادة لم يكن متاحا لغير الصفة الطاهرة التي اختلها البري تعالى على بقية الخلق.

وجاءت آية مودة القوي: "قل لا أسألكم عليه أحو إلا المودة في القوي".

فقال الصحابة: من قبائك الذين وجبت مودتهم يا رسول الله؟ فقال (ص): علي وفاطمة وأبناءهما.

لم يتوقف الوحي الصادر عن الذي لا ينطق عن الهوى (ص) بل تواصل بتواصل لجاف الناس وإحجامهم عن المودة والموالة التي أمروا بها، انوى سيد الكونين (ص) إلى وغيب المسلمين في محبة أهل البيت عليهم السلام فقال: "من أحبني وأحب هاذين (إشلة إلى الحسن والحسين عليهما السلام) وأباهما وأمهما كان معي في راجتي في الجنة". وقال: "حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا".

وقال: "يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق".

وقول الرسول (ص) لسلمان: "يا سلمان من أحب فاطمة ابنتي فهو في الجنة معي ومن أبغضها فهو في النار.

يا سلمان حب فاطمة ينفع في مائة موطن، أسر تلك المواطن الموت والقبر والمزان والصواط والمحاسبة".

إذا اعتونا أن الحب والبغض وبمعنى آخر التولي والتوي هما أصل الدين وخلاصته. جوهه الحب في الله والبغض في الله، أن نتولى أوليؤه فنحبهم ونقدمهم على أنفسنا وأقربنا ونقتدي بهداهم، وأن نتروا من أعدائه ونكرهم ونعاديهم ونحل بهم إن لزم الأمر، وما الدين إلا هكذا.

وطالما أن الدين كله توليا وتويا يحق لنا أن نتساءل أين هذا الجم الغفير من المسلمين من ولاية أهل البيت عليهم السلام عدل القوان بلسان خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال مرورا وتكرارا: " اني ترك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".

حتى لا يتطوق شك في مقام الطاهرين من آل محمد، ولا يرتاب مرتاب، ولا يتأول متأول، وقطعا لكل صن قد يداخل المسلمين، قون رسول الله (ص) عترته الطاهرة بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو اقتران دال في معناه على استحالة صدور الذنب عنهم لملازمتهم الكتاب، ولأمر التمسك بهما معا لأن التمسك بالكتاب وحده لا يعصم من الضلالة لاستنزام وجود قائم عليه حافظا له شلحا لمقاصده.

وقد سماهما الثقليين لثقل مقامهما وعظم شأنهما، قال رسول الله (ص): "لو لم يكن علي لما كان لفاطمة ند".
وطبيعي أن من أذهب الله تعالى عنها الرجس وطهوها تطهروا لا يعدلها إلا من أذهب الله تعالى عنه الرجس وطهوه تطهروا.

وشاءت عنايته أن يكتب عقد جورهما في الملا الأعلى:

"لما زوج رسول الله (ص) فاطمة من علي عليهما السلام كان الله تعالى مزوجه من فوق عرشه وكان جبرئيل الخاطب وكان ميكائيل واسوفيل في سبعين ألفا من الملائكة شهدوا وأوحى الله إلى شجرة طوبى أن انثوي ما فيك من الدر والياقوت واللؤلؤ وأوحى إلى الحور العين أن التقطنه فهن يتهادينه بينهن إلى يوم القيامة فحا بترويج فاطمة عليا عليهما السلام".
أسماء فاطمة وكناها هي من العدد ما لم يكن لغوها من النساء:

اسمها الأول:

فاطمة وقد قيل لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: مم فطمت فاطمة؟ قال: من الشرك. وفي رواية أخرى: أن الله فطمها ونويتها ومحبيها من النار.

اسمها الثاني:

الزهراء سميت بذلك لأنه حدث نور زاهر في السماء عند ولادتها لم توه الملائكة قبل ذلك اليوم. وقيل أيضا إنها كلما قامت في محابها للصلاة زهر منها نور إلى عنان السماء.

اسمها الثالث:

الصديقة لأنها لم تشك لحظة واحدة في كل ما يأتي عن والدها (ص) ولأنها صنو علي عليه السلام الصديق الأكبر فالزما اللقب.

اسمها الرابع:

المبركة لأن عقبها كان بركة على الأمة. قال رسول الله (ص): "في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين. ألا وان أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون".

اسمها الخامس:

البتول وهي العوأة التي لا ترى حموة حيض أو نفاس قط. وقد شهد بعض النسوة ولاداتها منهن أسماء بنت عميس فلم يروا

منها حمرة. ويمكن اعتبارها كذلك وحيدة عصرها وفريدة دهرها.

اسمها السادس:

المحدثة وقدرأينا حديث ولادتها كيف أنها كانت تحدث أمها خديجة عليهما السلام وهي في بطنها إيناسا لها في وحدتها وتخفيفا عنها مما كانت تعانيه من الأذى.

اسمها السابع:

المحدثة حيث كانت الملائكة تحدثها وتقوم على شؤونها، كما كانت تفعل من قبل مع مريم بنت عمران عليها السلام، فكانت تتادياها: "يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين..."

اسمها الثامن:

الطاهرة المطهرة لما حباها الله من المنن والعطايا ما لم يكن لغوها. فهي أحد أصحاب الكساء، الذين تولت فيهم آية التطهير، معلنة أن هؤلاء صفة الله وأحبوه.

اسمها التاسع:

الواضية العوضية امتثالا لأوامر الله تعالى وحبا له وطاعة لإرادته. ترضى باليسير وتقتنع بالقليل.

اسمها العاشر:

سيدة نساء العالمين لقول رسول الله (ص) لفاطمة انك سيدة نساء العالمين.

اسمها الحادي عشر:

أم أبيها كان رسول الله (ص) يلقبها بذلك لما كان يلمسه منها من حنو وعطف وعناية واهتمام، وكان يبادلها نفس الشعور. خرج النبي (ص) وهو أخذ بيد فاطمة فقال: " من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله". وقال أيضا: "رضا فاطمة من رضاي وغضبها من غضبي، من رضى فاطمة فقد رضى من رضى الله، ومن أغضب فاطمة فقد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب الله".

واختصر الحديث في رواية أخرى عندما قال (ص): "يا فاطمة إن الله يرضى لرضاك ويغضب لغضبك".

هؤلاء الذين يحبهم الله تعالى ويحبونه تطابقت رادته مع رغباتهم وأنفسهم فوضي بهم أولياء متميزين عن غورهم من الأولياء ورضوا به ربا عرفوه حق معرفته حتى لم يعد هناك شيء بالنسبة إليهم يدركونه ويعرفونه ويخشونه ويرقبونه غير الله تعالى.

خصائص الصديقة الطاهرة فاطمة بنت محمد (ص) الظاهرة أكبر من أن تحيط بها العقول واعمق من أن تتألفها الأفهام فما بالك بالباطنة، كانت أكثر الناس شبيها برسول الله (ص) خلقا وخلقا.

لم يظلم في تزيخ البشرية أحد مثلما ظلمت فاطمة الزهراء، فلم يقف أحد من أولئك المحسوبين على الإسلام والمدعين حب أهل البيت عليهم السلام ليقول كلمة حق في شأنها وما أكثر أولئك، سكتوا عنها سكوت الأموات بل انهم جاهلوا في إخفاء حقها وطمس ظلامتها، وحاولوا تصغير شأنها بالسكوت عن تناول مقامها، وانصرفوا إلى غورها ممن ناصبت العداء وحلّبت الأولياء وهي بين الرجال غير عابئة بحالها ولا ملتفتة إلى مآلها، رغم التحذير النووي ولتغيب التزهيب القواني، والى من أسلمت وحسن إسلامها، وكبد حزة لا زال بين ثنايا أسنانها وشتان بين الثوى والثويا.

لقد كانت الأحداث التي مرت على الزهراء سلام الله عليها الأثر الذي حكم بقصر عمرها. إن ما حصل قبيل وفاة والدها وبعده كان كافيا لسوعة لحوقها بأبيها (ص).

والموقفين الأساسيين الذين سنتحدث عنهما متعلقين بتلك الأحداث التي جرت في تلك الفترة القصوة من الزمن والتي حكمت على حاكمية الإسلام بالانحراف منذ البداية.

الموقف الأول:

تحركها من أجل إعادة القيادة إلى صاحبها وهي لئن لم تتمكن من قلب المولدين وتوجيه الأحق إلا أنها أثبتت عملياً زيادة على النصوص التي تناولت مسألة الإمامة أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الأحق والأولى.

فهي كما ثبت عند المخالف قبل الموالف لم تبايع الخليفة الأول ابن أبي قحافة وماتت عليها السلام غاضبة ساخطة عليه وعلى صاحبه وحزبهما الذي صوف الإمامة عن صاحبها منتفها فوصة انشغال صاحب الأمر بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والرسول الأعظم (ص) يقول: "من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية". وباعتيلها سيدة نساء العالمين أذهب الله تعالى عنها الرجس وطهرها تطهراً، فان موتها مع إشوة الحديث محل تنبيه لأولي العقول والأفهام.

هل يتفق مقام الزهراء سلام الله عليها ومكانتها مع عدم البيعة؟ طبعا لا فهي من أهل بيت امتاز على بيوتات الأنبياء فضلا عن الناس. فيهم اجتمعت علوم الله وأسمؤه وآلؤه ومنهم جاءت رحمته. كانوا السابقين إلى الطاعات والمكرم، فمن بايعت الزهراء قبل موتها إذا وقد كانت أعلنت على الملا من المسلمين أن الحكومة مغصوبة وأنها مظلومة هي وأهل بيتها عن

حقوقهم؟

إن كل من دخل الإسلام لا يريد به غير وجه الله تعالى يترك جيدا أن الزهراء سلام الله عليها قد بايعت زوجها علياً عليه السلام قبل وفاة أبيها سيد البشر بل منذ أن عرفت مقامه، وقبل أن يبايعه الناس في يوم غدِير خم عند انصافهم من حجة الوداع عندما نصب رسول الله (ص) علياً عليه السلام إماماً وعلماً وهادياً للناس بعده بأمر من الله تعالى معلناً ولايته على

المسلمين قائلاً: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه".

وهي في تحركها المشار إليه لئن خرجت إلى بيوتات الأنصار تحتج عليهم ففي ذلك دليل قاطع على رفضها لحادثة السقيفة

جملة وتفصيلاً إيماناً منها بأن الحكومة الإسلامية وظيفية إلهية من نفس جنس التشريع غير مسكوت عليها ولا مغفول عنها.

فكيف يدعي عاقل بعد ذلك بأن الرسول وموسله قد تركا الرسالة للناس يفعلون بها ما يريدون؟ وكلام الله تعالى يقول غير ذلك وسورة الرسول (ص) تظهر العكس، والمنطق والعرف حاكمان بضرورة التعيين خاصة إذا كان عن البري تعالى، وحتى الذين قالوا بالفوضى لأنها في واقع الأمر ليست غير انقلاب والشورى أبعد ما تكون عنه، هؤلاء عاوا على أعقابهم ينقضون مقالتهم وينصبون بدلا عن الناس بدوى عدم ترك الناس هملا وخلو المنصب من قائده يشكل خطأ لا يمكن تدركه إلا بالتعيين.

كان تذكير الزهراء عليها السلام بخصائص أمير المؤمنين ومقامه في الأمة مدعاة لرجوع عدد من الأنصار إلى الحق والإقرار بإمامته، ولأن رجوعهم جاء متأخرا فانه شكل عامل قلق واضطراب لدى الغاصبين للإمامة الشوعية. وظلت صوخة الزهراء مدوية في قبائل الجروة العوبية، فلم يستتب للغاصبين أمر حتى أخضعوا تلك القبائل بدوى حروب الودة ومانعي الزكاة.

وهي في حقيقتها حروب سياسة لريد بها إخضاع الممتنعين عن بيعة الغاصبين للإمامة وهنا لا بد من الإشارة إلى أن روايات الودة في تزيخ الطوي يرويها كلها سيف بن عمر وهو أحد المجهولين المطعون فيهم عند أبواب الجرح والتعديل مضافا إلى وهن بقية أسانيد الروايات.

الموقف الثاني:

جاء نتيجة لتحرك أدياء الإمامة والغاصبين لدور حاكمية الله تعالى لشل حركة أهل البيت عليهم السلام بقطع المورد المالية عنهم حتى لا يستعينوا بها على استرداد حقهم.

فاستولوا على فذك وأطروا عمالها، وهي التي كانت في يد الزهراء وعلي عليهما السلام بعد فتح خيبر (السنة السابعة للهجرة) نحلها رسول الله اياها عندما تولت الآية الكريمة: "وآتي ذا القوبى حقه".

عندها أمر جبرئيل عليه السلام رسول الله (ص) أن يعطي فذكا إلى فاطمة عليها السلام.

لم يكن هناك بد للزهراء من أن تخرج لتقول كلمتها التي استمرت عبر العصور تفند دعوى المحرفين ومقالات الكاذبين، تشهد على مدى الانحراف الذي بدأ ينتاب الأمة ويدب في اوصالها، لقد كان كلامها وأنا ومنطقها بيانا واحتجاجها دليلا ووهانا، لم يقو باطل الأدياء أمامه ولا خفقت أعلامه بل انتكس انتكاس الشيطان عندما تخونه حجته. وكيف يمكن أن يقف الوهم أمام الدليل والوهان.

وهذا مختصر من كلامها عليها السلام:

"... أنا فاطمة وأبي محمد أقولها عودا على بدء، وما أقولها إذ أقول سوفاولا شططا، " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز

عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم". إن تعزوه تجوه أبي نون نساتكم وأخا ابن عمي نون رجالكم، بلغ

الندرة صادعا بالوسالة ناكبا عن سنن المشوكين ضلربا لأثابهم آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة

الحسنة، يجذ الأصنام وينكت الهام حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، وحتى توى الليل صبحه وأسفر الحق عن محضه ونطق

زعيم الدين وهدأت فورة الكفر وخرست شقاشق الشيطان، وفهتتم بكلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حوة من النار فأنقذكم منها نبيه، تعبدون الأصنام وتستقسمون بالألام، مذقة الشرب وزهة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام، تشربون الوثق وتقتاتون القدد، أدلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذك به بعد اللتيا والتي وبعدما مني بهم الرجال ونؤبان العرب كلما أوقوا نرا للحرب أطفأها الله، وكلما نجم قون الضلالة أو فغوت فاعوة المشوكين، قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفى حتى يبطأ خماصها بأخمصه، ويخدم لهبها بحده، مكنودا في ذات الله، قويا من رسول الله (ص) سيدا لأولياء الله، وأنتم بلهنية آمنون وادعون فحون، تتوكفون الأخبار وتتكصون عند لزلزل على الأعقاب.

حتى أقام الله بمحمد عمود الدين. ولما اختار له الله عز وجل دار أنبيائه وموى أصفياه ظهرت حسيكة النفاق، وتسلم جلباب الدين وأخلق ثوبه ونحل عظمه وأودت رمته وظهر نابغ ونبغ خامل ونطق كاظم وهدر فنيق الباطل يخطر في عوصاتكم، واطلع الشيطان رأسه من مغزه صلخا بكم فالفاكم غضابا، فحطمتم غير ابلكم وأوردتموها غير شوبكم بدرا زعمتم خوف الفتنة، ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين.

هذا والعهد قريب والكلم رحيب والوح لما يندمل، فهيهات منكم وأين بكم وأنى توفكون وكتاب الله بين أظهركم زواجه لامحة ودلائله واضحة وأعلامه بينة وقد خالفتموه رغبة عنه فبئس للظالمين بدلا، ثم لم تويثوا شعنها إلا ريث أن تسكن نفوتها ويسلس قيادها، تسرون حسوا بلتغاء أو نصبر منكم على مثل حز المدى وزعمتم أن لا لث لنا؟ أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون.

ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

ايها معشر المسلمين أبتز لث أبي يابن أبي قحافة؟ أباي الله أن توث أباك ولا لث أبي؟ لقد جئت شيئا فويا حواة منكم على قطيعة الرحم ونكت العهد فعلى عمد ما تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه، إذ يقول: "ورث سليمان داوود" وفيما قص من خبر يحيى وزكوى إذ يقول: "رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيا".

وقال عز وجل: "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين". وقال تعالى: إن ترك خوا الوصية للوالدين والأقربين". وزعمتم أن لا حظ لي ولا لث من أبي. أفخصكم الله بأية أخرج أبي منها؟ أم تقولون أهل ملتين لا يقول ثان؟ أولست أنا وأبى من ملة واحدة؟ أم انتم بخصوص الوآن وعمومه أعلم ممن جاء به؟ فدونكموها مرحولة مزومة تلقاكم يوم حشركم فنعم الحكم الله ونعم الخصيم محمد والموعد القيامة واما قليل توفكون، وعند الساعة ما تحسرون، ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم..."

لقد أحدثت الوهواء عليها السلام من خلال صوختها التي صدعت بها على الملا من المهاجرين والأنصار شوخا عميقا وأثا لا ينمحي مدى الدهر.

ولا زال تلك الصوخة مدوية ماضيا وحاضوا ومستقبلا، تتحدى التحريف والكذب الظلم، وتشهر بكل يد غاوة ولسان أفاك يتخذ من الدين شعرا ودفثرا وما هو من الدين في شيء.

لم يكن همها في المقام الأول أن ينتفض الناس ولا كان هدفها أن تستود حقها في نحلته فدكا ولا مواتها من رسول الله

(ص).

فالأمر مختلف تماما عند هذه الطاهرة. إن خروجها وخطبتها التين سجلهما التريخ بأحرف من نور كانا من أجل لرضاء المولى سبحانه وتعالى وامثالاً لأوامره ونواهيته واقامة للحجة على الناس.

إذا لم تكن سيدة النساء لتنتظر من نهضتها تلك غير نيل القوبة من الله تعالى، نطقت وهي تويد حماية الأحكام الإسلامية من بدايات التحريف، وتكلمت لتتود عن مقام الهي وهو مقام الإمامة الذي داسه المنافقون والجاهلون، نهضت ليبقى احتجاجها أذا يدل الباحثين عن الحق، فهذه التي يرضى الله تعالى لوضاها ويغضب لغضبها قد أعلنت بكل صراحة ووضوح لا يدعان مجالاً للشك أن الإمامة مغسوبة وأن فدكا كذلك مستشهادة في معوض خطبتها بكلام الله تعالى وحديث رسوله ومحاصيل الأعمال التي قدمها علي وأهل بيته عليهم السلام للإسلام ولأمة الإسلام.

كان غضبها في ذات الله تعالى وتبرها في ذلك التطاول الذي بدأ يستفحل على أحكامه، وهي التي شهد عليها القويون منها أنها لم تغضب قط لنفسها كما لم يصدر ذلك أبداً عن أهل البيت عليهم السلام جميعاً.

لم يحركها نقص في المتاع ولا ذهاب حكومة، لأنها وأهل بيتها أطاف إلهية وأسماء ملكوتية لا يظوه نقص متاع ولا إقصاء من مقام دنوي، فمقامهم رباني لا يتوخرحون عنه، وعلو منزلتهم وتود طينتهم لا يضاهيها شياً. صحوا الدنيا بأبدان أروحا معلقة بالمحل الأعلى.

لقد كانت نهضة الزهراء سلام الله عليها من أجل الأمة أيضاً وإشفاقاً على ضعافها من الفتنة والانحراف، فكان احتجاجها موجهاً إلى ضماؤهم، كاشفة زيف الدعاية الكاذبة جالية عين الحقيقة كي لا يساور ثلة الإيمان لبس من حملة المنحرفين لتقويم المقام الملكوتي، ولا يرتابون في يوم من الأيام من أن الباطل لا يمكنه أن يلبس جلباب الحقيقة.

لقد كان سعيها من أجل إمامة العدل من أجل الانتصاف للضعيف والفقير، كانت تويد فدكا لهؤلاء جميعاً يعملون فيها ويأكلون منها.

لم تكن قد فكرت يوماً أن تملك شيئاً من حطام الدنيا وهي بين أب جاء محزواً من الدنيا وزوج قد طلقها ثلاثاً. وكيف يمكن لهذا البيت العظيم أن يفكر في متاع قليل وقد خرج كلام الله تعالى إلى الناس من تحت سقفه، ليس المبصر كالأعمى ولا من تتورد عليه وفود الرحمان بالرزق والوضوان كمن قال ساحر أو مجنون.

وهل يستوي من يقول للشيء كن فيكون ومن تعويه الشياطين والوساوس والظنون؟ تعالى الله وأوليؤه عن ذلك علواً كبيراً.

تربت الزهراء على البساطة والتواضع للناس لم تظهر يوماً لمن خالطتهم من نساء عصورها بمظهر المتميز لم يكن لها ذلك وهي التي أنهكتها الأشغال.

قال أمير المؤمنين عليه السلام لرجل من بني سعد: ألا أحدثك عني وعن فاطمة الزهراء إنها كانت عندي فاستقت بالقوبة

حتى أثر في صورها وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها وكسحت البيت حتى اغرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها فأصابها ضر شديد، فقلت لها لو أتيت أباك فسألته خادما يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل، فأنت النبي (ص) فوجدت عنده أحداثا فاستحيت فانصرفت فعلم (ص) أنها جاءت لحاجة، فغدا علينا ونحن في لحافنا، فقال: السلام عليكم فسكتنا واستحيينا لمكاننا ثم قال: السلام عليكم فسكتنا، ثم قال السلام عليكم.

فخشينا إن لم نود عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك، فيسلم ثلاثا فان أذن له وإلا انصرف.

فقلنا وعليك السلام يا رسول الله ادخل فدخل وجلس عند رؤوسنا، فقال: يا فاطمة ما كان حاجتك أمس عند محمد؟ فخشيت إن لم تجبه أن يقوم فأخرجت رأسي فقلت: أنا أخبرك يا رسول الله إنها استنقت بالقربة حتى أثر في صورها وطحنت بالرحى حتى مجلت يدها وكنست البيت حتى اغرت ثيابها وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، فقلت لها لو أتيت أباك فسألته خادما يكفيك حر ما أنت فيه من هذا العمل، فقال: ألا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فكوا ربعا وثلاثين تكبيرة وسبعا ثلاثا وثلاثين تسيحة واحدا ثلاثا وثلاثين تحميدة.

فأخرجت فاطمة رأسها فقالت: رضيت عن الله وعن رسوله، رضيت عن الله وعن رسوله".

اموأة في مكانة الزهراء هل يمكنها أن تكون إلا كذلك، وقد بلغ بها الضر مبلغا أسلفت ذكره الرواية؟ أنا لا أعتقد أن توجد على وجه البسيطة من تصل إلى هذه الحوراء التي أبت إلا أن تجاهد وتكابذ وتعاني من مشاق الكد والعمل المضني وعسر العيش وشظفه وهي في مقام السيادة والرياسة في الأمة، لم تلتفت إلى شئ من الدنيا لأنها قد سورتها فوجدتها مطية لا غير. بركات الزهراء على الأمة كثرة منها أنها بقيت النقطة لدالة على انحراف مسار الإمامة بعد النبي (ص)، سيدة نساء الأولين والآخرين تموت وتدفن ليلا ويعفى عن قوها، وهي التي كان مفقوضا وجود قوها بجانب والدها. وفي ذلك اشارة ودلالة على أمر عظيم وقع، وخطب جسيم حدث.

بركاتها أيضا تمثلت في حوصها على إفادة المسلمين في عصوها وفي كل عصر فكانت ملجأ يؤي إليه العريض

والمحتاج.

هذا سلمان يتعلم من فاطمة دعاء النور الذي يذهب الحمى، فيعلمه هو لألف نفس في المدينة وتعلمه نحن منه، وتلك التسيحات المسماة بتسيحات الزهراء والتي لا يعلم قوها إلا من أمر بها. كانت عليها السلام لا تتردد لحظة في تقديم أي شئ ينفع المسلمين، حتى أنها كانت تخصصهم بالدعاء في صلواتها دون نفسها.

يقول الحسن بن علي عليه السلام: "رأيت أمي فاطمة قامت في مواهبها ليلة الجمعة فلم تزل راکعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشئ، فقلت لها يا أماه ولم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم الدار".

تلك هي عقلية فاطمة في التعامل مع المؤمنين بظهر الغيب، تدعو لهم في كل صلاة وتطلب العون، وهو درس يجب علينا

أن نأخذ من هذه المبركة الميمونة، لنعيش مع الله تعالى في أوقات عبادتنا ودعائنا مستحضرين اخوتنا داعين طالبين لهم العون والتسديد، ساعين عمليا إلى أن نؤثر على أنفسنا كما كانت الزهراء وأهل بيتها تفعل دائما، فالبذل عندها ليس له وقت ولا زمن ولا يخضع لحالة من الحالات.

فيها وفي أهل بيتها قلت: "يؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة". وفيهم قلت: "ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسوا..". أوار محمد وعتوته الطاهرة، الذين كانوا دائما المبادرون إلى المكرم المسروعون إلى الخوات. روت عائشة قالت: لما مرض النبي (ص) دعا ابنته فاطمة فسلها فبكت ثم سلها فضحكت، فسألته عن ذلك فقالت: أما حيث بكيت فانه أخونى أنه ميت فبكيت، ثم أخونى أنى أول أهل بيته لحوقا به فضحكت".

انظر هداك الله إلى هذه الحوراء الإنسانية كيف توح لقلب موتها وهي في الثمانية عشرة سنة من عموها الشريف لا لشيء سوى أن غايتها هي الاجتماع بأبيها وكره مفارقتها، فلا شيء يسوي عندها سيد المسلمين (ص) لا الزوج ولا الأبناء وان كانوا صفة الخلق.

ليس عجيبا أن يصدر عن المصطفاة الطاهرة ما صدر، فهؤلاء وان كانوا في الظاهر أنفسا بشرية مثلنا إلا أنهم مختلفون عنا في باطنهم وسلوكهم ولئن لم يصلنا من تلك الحالات سوى ما خلص من أيدي الظالمين وغفلوا عنه فقد كان ذلك النزر اليسير كافيا لبوغ الحقيقة وإبراك عظمة المقام.

وبما أن الحديث متعلق بفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين فنعرض إلى روايتين تحصلان بعضا من مولتها عند الله تعالى.

الرواية الأولى:

بعث رسول الله (ص) سلمان إلى بيت فاطمة بحاجة. قال فوقفت بالباب وقفة حتى سلمت فسمعت فاطمة تقول: القآن من جوا (من الداخل) والوحى تنور من وا (من الخرج) وما عندها أنيس فعدت إلى رسول الله (ص) فقلت له يا رسول الله رأيت أمرا عظيما. فقال: هبه يا سلمان تكلم بما رأيت وسمعت فقلت وفتت بباب ابنتك وسلمت فسمعت فاطمة تقول: القآن من جوا والوحى تنور من وا وما عندها أنيس، فتبسم رسول الله (ص) وقال: "يا سلمان إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجرحها إيمانا إلى مشاشها فتوغت إلى طاعة الله، فبعث الله ملكا اسمه روفائيل يدبر لها الرحي وكفاها مؤونة الدنيا والآخرة".

الرواية الثانية:

عن أبي بصير، سألت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام عن مصحف فاطمة، فقلت: ففيه شيء من القآن؟ فقال: ما فيه شيء من القآن، قلت: فصفه لي، قال: له دفتان من زوجتين على طول الورق وعرضه، حراوين، قلت: جعلت فداك فما فيه؟ قال: خبر ما كان وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء وعدد ما في السموات من الملائكة وغير ذلك وعدد ما خلق الله مرسلا وغير مرسلا وأسمؤهم وأسماء من أرسل إليهم وأسماء من كذب ومن أجاب وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين من الأولين والآخرين".

وليس ذلك على الله بغرير، خصوصاً إذا علمنا أن للمؤمنين مقامات مشابهة وأحوال تقرب من ذلك في حال حصول القرب والرضى. وهو في موضع الإمكان ممكن، والحديث الذي نتداوله والذي يقول: "لا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وعينه التي يبصر بها... إلى آخر الحديث والرواية هي من هذا القبيل تؤكد بأن الخالق تعالى يستجيب لعبده إذا صفت سرورته واستقامت نيته وخلص لوجهه عمله، فيجعله مستجاب الدعوة وملبي الطلب وتألف اسمه ملائكة السماء قبل سكان الأرض به يغاث الناس وتقضى حوائجهم.

قال تعالى: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون".

ذلك إذا مصحف فاطمة الذي اتخذ من اسمه أعداء الحق مغزوة للطعن على شيعة أهل البيت عليهم السلام والنقول عليهم بأنه بديل القرآن الكريم، تقلصت أفهامهم وتحجرت عقولهم فلم يعد لديهم وعي حتى بما يقرؤون عقيدتهم في أن ألطاف الله وملائكته ذهبت مع رسول الله (ص)، والحال أن الله تعالى أجل من أن يمنع ألطافه، ولو كانت تلك الكرامات والألطف الإلهية في واحد من أصحابهم لقبولها وجعلوها شعرا لهم ولوجنوا لها التبرير الكافي والعذر الشافي، لكن الحاصل في غوهم. فكيف يعدل عن هؤلاء وهم على هذه الحال من القرب والحب الإلهيين؟

الجواب ليس عسوا على الفطن النبيه الذي سبر أغوار التريخ وبسط يده على دخائل الذين أعلنوا الحوب على أهل البيت عليهم السلام، لقد اقتضت سياسة الظالمين أن يغيب الطاهرون من آل محمد فلا يبقى لهم أثر، لأن ظهرهم بكل تفاصيله موضع تهمة لحالهم ومجال تساؤل عن سبب إعفاء هؤلاء عن قيادة الأمة وهم العلماء الأعلام والعابدون العظام والتفاعة الذين لم يجد الدهر بمثلهم.

وأخراً ألا تشعر هذه الأمة بالحسرة والندم على إهمال الأوائل لهذه الروحانية العظيمة وهضم حقها والتعدي على مقامها؟ ألا يخشون غضب البري تعالى وقد قرن غضبه بغضبها ورضاه برضاها؟ وأي مقام رفع من أن يقون مخلوق مع الخالق في الغضب والرضا تطابقاً مطلقاً من غير قيد.

ومع ذلك مضت هذه الأمة على سنن الظالمين وإيحاءات الغاصبين، فإداها ذلك بعدا عن سيدة نساء العالمين وأهل بيتها عليهم السلام، وإذا سلمنا لجهلهم لمقامها فهل نسلم بجهلهم لمقام أبيها (ص)؟ وحتى مقام النبي الأعظم والوسول الأكرم قد انتهك وتناول عليه من تناول في آخر عمره الشريف عندما منع من الكلام وشكك في صحته تعود عليه من تعود في جيش أسامة، فخرج من الدنيا كمودا حزينا، وبقي المتطولون على مقامات الأصفياء يحملون تبعاتهم وتبعات من أتباعهم، إلى أن يلقوا احكم الحاكمين فيوفيه حسابهم.

وهل نسلم بعدم إرواكم لكل ما قاله بشأن الرهواء وبعطها وبنيتها عليهم السلام وهم مجتمعون من بيت واحد وأصل واحد نرية بعضها من بعض؟ وإذا سلمنا بذلك فهل نسلم بانحدار أسهم نجوم هذا الدين وأمنؤه ومستحفظوه وأوابه التي يؤتى منها، إلى مسافل المجرمين والغوغاء والمنبوذين فيقتلون ويعذبون ويسجنون وينفون في الأرض وتسلط عليهم أقسى العقوبات

ويفرون خوفا على أنفسهم وهربا بدينهم من طعم الظلم وحكومات الفساد في الأرض.

ومع ذلك ورغم أنوف الحاقدين فقد مضت سنة البري سبحانه وتعالى في إعلاء الحق وإنارة الطهر والصدق، فأبصونا بعد

العمى أن الحق لم يخرج يوما من آل محمد صلى الله عليه وعليهم، بل هو فيهم نوحه فيحاء وجنة غناء، وشمس ليس فيها

مكاورة ولا ادعاء.

بهم بدأ الخلق وبهم يختم وبهم يعيده واليهم جعل مقاليد.

فأي مقام بهت المجرمون؟ وأي جرم ارتكبوا؟ الحق دائما لا يتبعه إلا قليل، جعلنا الله من أتباعه وأصحابه،: "وما يلقاها إلا

الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم".

السلام عليك يا سيدة نساء العالمين، السلام عليك يا والدة الحجج على الناس أجمعين السلام عليك أيتها المظلومة الممنوعة

حقها، اللهم صل على أمتك وابنة نبيك وزوجة وصي نبيك صلاة ترفها فوق زلفى عبادك المكرمين من أهل السموات

والأرضين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



مظلومية فاطمة الزهراء

وتلك حجتنا البالغة

جاءني احد الأصدقاء بعد أن بلغه نبأ استبصلي، متغير الملامح، مرتسمة على وجهه علامات التعجب والاستكار،

فابتترني قائلاً بون مقدمات، هل صحيح ما يشاع عنك؟

فقلت له: وما يشاع عني؟ قال: من أنك تركت مذهب أهل السنة والجماعة وتبنت مذهباً آخر؟ فقلت له: نعم، وما وجه

استغوابك وتحريك واستكرك؟

فقال: أو ترى أن هناك دين صحيح غير الذي عليه السلف الصالح، فهم من أوصل إلينا الذي نحن فيه، فلماذا الارتداد؟

حينها شعرت بأن الرجل ضيق الأفق قليل المعرفة، فرددت اختصار السبب الذي جعلني اسلك نهج أهل البيت عليهم

السلام، لعله يفنتع، أو يتفهم، فقلت له: لا شك أنك تترك مكانة أهل البيت عليهم السلام في الإسلام، وما قدموه من تضحيات

في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى؟

لا أنكر فضل أهل البيت رضوان الله عليهم، لكن الصحابة ومن تبعهم بإحسان من رفع الدين إلى المقام الذي وصل إلينا.

فقلت له: ألا ترى أن أهل البيت عليهم السلام كانوا جزء من الجيل الأول ومن الأجيال التي تبعته؟ فقال: نعم. فقلت له: إذا

فهم من أوصل إلينا الإسلام من نبعه الصافي لأنهم الصادقون بمنطوق القرآن، ومن أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم

تطهروا، بينما جاء الآخرون بخليط من الحق والباطل لأن صدقهم نسبي وحفظهم نسبي، وفهمهم كذلك.

قال صاحبي: فهات دليلاً واحداً يؤيد انتقالك من إسلام السلف الصالح، إلى إسلام أهل البيت رضوان الله عليهم؟

قلت بلا أدنى تفكير: مظلومية فاطمة الزهراء دليل أسوقه إليك لعله يقنعك بأن الخط الذي أقررت به والتزمته هو الإسلام

المحمدي في أبهى مظاهره، وأجلى صفحاته.

قال: وهل ظلمت بنت النبي صلى الله عليه وسلم؟

قلت: نعم لقد ظلمت ظلماً لم يشهد له التريخ مثيلاً.

قال: كيف وهي المقدمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبيبته؟

قلت: لا شك أنك تعرف الأحاديث التي قالها النبي صلى الله عليه وآله بشأنها، فقد جاء في حديث: من أحب هاذين (إشارة

(1)

إلى الحسن والحسين) وأباهما وأمهما كان معي في لوجتي يوم القيامة. وفي حديث آخر أنها سيدة نساء العالمين.

وفي آخر: إن رضا فاطمة من رضاي وغضبها من غضبي، فمن أغضب فاطمة فقد أغضبني ومن أغضبني فقد أغضب

(2)

الله تعالى.

قال: نعم كل الذي ذكرتَه وأنته ومررت عليه وهو موجود عندنا في أمهات كتبنا. ولكن لماذا يعفى عن ذكر إنسانة بهذه

قلت: لقد جاءت الأيام التي عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله حبلى بالأحداث وملينة بالمواقف التي تجاهلت مقام أهل البيت عليهم السلام، بل وأساعت إليه أيما إساءة. فالسقيفة في عموم وقائعها مثلت حجر الزاوية للظلم المسلط على آل محمد عليهم السلام، فنصب الإمام من طرف المسلمين واجب على الناس عندكم لأنكم تقولون بأن السياسة ليست من الدين، وواجب على الله تعالى عند أهل البيت عليهم السلام، لأنه رأس الدين وأساس حكومته، ومبايعته فوض وواجب على المسلمين، بل لقد جاء قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية⁽³⁾.

قال: نعم كل الذي ذكرته موجود عندنا وندين به.

قلت: فمن بايعت فاطمة بنت محمد عليها السلام؟ وهي التي لم تعش بعد أبيها أكثر من 75 يوما غاضبة واجدة على أصحاب السقيفة ومن تبعهم. وقد صوح البخري وهو أقوى الكتب الروائية، وأصحها عندكم: بأن الصديقة الطاهرة غضبت على ابن أبي قحافة وابن الخطاب فلم تكلمهما حتى ماتت، وأصرت على أن تشكروهما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.⁽⁴⁾

قال: صحيح أن البخري في صحيحه وفي تزيخه وغره قد أثبت غضب فاطمة وموتها وهي على ذلك الموقف. ولكن ما علاقة ذلك بالإمامة ونصب الإمام؟

قلت: لا أراك تعتقد أن سيدة نساء أهل الجنة المباشرة إلى كل أمر الهي قبل غوها، تتأخر عن البيعة حتى تموت وتغادر الدنيا مخلة بذلك الأمر الجسيم.

قال: فمن بايعت إذا؟ قلت: بايعت زوجها وإمامها علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه الإمام المنصوص عليه في حادثة الغدير الشهوة، بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصوه واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار).⁽⁵⁾ وحديث: (أنت مني بموتلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي).⁽⁶⁾

سكت صديقي كأنما أصابته صدمة، لم يجد ما يرد به، ولم ير بدا من الإقرار بمرارة الموقف، وجلاء الحقيقة من خلال ذلك، فقال معترفاً: للأسف الشديد لم أكن منتبهاً إلى تلك النقطة، ولا إلى ذلك الاستنتاج الوجيه، وهو لعوري حجة بالغة لمن يبرك معنى الحجج. فهل من دليل آخر تسوقه إلي وأنا في هذه الحوة.

قلت له: لا حيرك الله يا أخي، هذه الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام تقول لك أيضاً، إنني لم أخرج من الدنيا إلا وقد تركت أثراً موصلاً إلى الإمامة، فزوجة الإمام وأم الأئمة سادة أهل الجنة، أوصت علياً عليه السلام بأن تدفن ليلاً، وأن لا يؤذن لحضور جنزرتها أصحاب السقيفة من المنقلبين على أعقابهم، وأن يعفى قوها، فلا يعرفه أحد ممن ظلمها وابتز حقها، ولا من اتبع الظالمين والمبتزين، فيكون علامة مضيئة تتردد كل حين من أن من دفن بعدها بجانب أبيها كان اجترأ على الله وعلى رسوله وجريمة في ثناياها تمويه على المسلمين، بأن من دفن في حوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرف عظيم لصاحبه، لكن تحت أي عنوان وبأي إذن؟ بضعة المصطفى يعفى عن قوها وهي أول الناس لحوقاً به، وغوها ينال الشرف المزيف بالدفن العلني في حوة بجانب النبي صلى الله عليه وآله. ألا ترى أن السكوت على مظلومية هذه الصديقة ظلم في

قال: كلامك صحيح ووجيه لكن لماذا لم ينتبه المسلمون إلى هذه الحقائق، وآثرها في منتهى الوضوح والجلاء؟ قلت: ذلك لأن الخطوط التي ترفع شعار الإسلام وتتقاطع مع خط أهل البيت -والذي رآه يمثل الدين القيم ومنهج الحق- قد سعت إلى تغريب الصفة الطاهرة من وجدان الأمة وثقافتها، فكان عمل الأنظمة التي حكمت رقاب المسلمين نتيجة لسقيفة بني ساعدة وما تمخض عنها، يتمثل في السكوت عن الحق وأهله في البداية ثم العمل على تغريب الأولى بالقيادة من فكر الأمة الإسلامية، والانتهاه بإلصاق ما يسيء إلى هؤلاء الأطهار.

قال: فهل من دليل آخر تقدمه في الخصوص؟

قلت: طالما أننا في رحاب الزهراء عليها السلام فإن موقفها عندما بلغها نبأ السقيفة، وهوء عاصفة المنقلابين، جاءت لتقيم الحجة على أن هؤلاء الذين استولوا على منصب قيادة الأمة ليسوا أهلاً للقيادة، تماماً كما لم يكونوا أهلاً لها من قبل، بدليل إنهم كانوا مقادين ولم يكونوا قادة، وان قع استثناء في خبير أو ذات السلاسل أو الحج الأكبر فإنه إما قد أعقبته هزيمة أو إقالة. وفتت الزهراء لتقول كلمة الحق في جوع أهل المدينة، فطالبت بسهم ذي القربى وبنحلتها فدكا وبمواتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأجابها ابن أبي قحافة بأنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة.⁽⁸⁾

كانت إجابتها بليغة، وخطبتها عميقة عمق فهمها لما جاء به سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم، فتركتها صرخة مدوية لا زال تهز عروش الظلم، وتعصف بدعوى الكذب والبهتان على الله ورسوله، وكانت خطبتها التي رسمت على ناصية التاريخ موقفاً ومثالاً للوأة الكاملة ونموذجاً لا يخطئ من أستمسك به، ولا يضل من اهتدى بأنوره القدسية:

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها وسوغ آلاء أسداها، وتمام ممن وألاها، وجم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الخزاء أمددها، وتفاوتت عن الإواك أبددها، وندبهم لاسوداتها بالشكر لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها، واشهد أن لا له إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأثار في التفكير معقولها، الممتع عن الإبصار رؤيته، ومن اللسن صفته، ومن الأوهام كفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة إمتثلها، كونها بقوته، ونوأها بمشيته من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصورها إلا تثبيتها لحكمته، وتنبئها على طاعته، وإظهار لقوته، وتعبدوا لوريته، وإغورا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده عن نعمته وحياسة لهم إلى جنته. واشهد أن أبي محمداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله اختزه وانتجبه قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علما من الله تعالى بمآيل الأمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الأمور.

ابتعثه إتماماً لأمره وغزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فأى الأمم فوفا في أديانها، عكفا على نوانها عابدة

لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنا الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غمها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رافة، ورغبة وإيثار، فمحمد صلى الله عليه وآله من تعب هذه الدار في راحة، فدحف بالملائكة الأوار، ورضوان الرب الغفار، ومجلورة الملك الجبار، صلى الله على أبي، نبيه وأمينه على الوحي، وصفيه في الذكر وخبرته من الخلق ورضيه والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

وأنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحمله دينه ووحيه، وأمناء الله على أنفسكم، وبلغوه إلى الأمم، وزعيم حق له فيكم، وعهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق والقوان الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصاؤه، منكشفة سوائه، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائدا إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وغوائمه المفسرة، ومحلهم المحفزة، وبياناته الجالية، وراهينه الكافية، وفضائله المنذوبة، وخصه الموهوبة، وشوائه المكتوبة.

فجعل الله الإيمان تطهروا لكم من الشرك، والصلاة تزيها لكم من الكبر، والوكة تركية للنفس ونماء للرزق، والصيام تثبيتا للإخلاص، والحج تشبيدا للدين، والعدل تنسيقا للقلوب، وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفوق، والجهاد غوا للإسلام وذلا لأهل الكفر والنفاق، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منسأة في العمر ومنمأة للعدد، والقصاص حقنا للدماء، والوفاء بالنذر تعويضا للمغفرة، وتوفية المكاييل والموزين تغييرا للبخس، والنهي عن شرب الخمر تزيها عن الوجس، واجتنابي القذف حجابا عن اللعنة، وتوك السوقة إجابا للعة، وحرم الله الشرك إخلاصا له باليوبية، فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله في ما أمركم به ونهاكم عنه، فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

أيها الناس اعلما أي فاطمة وأبي محمد أقولها عودا على بدء، وما أقولها إذ أقول سرفا ولا شططا، **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** . إن تغزوه تجزوه أبي نون نسائكم وأخا ابن عمي نون رجالكم، بلغ النذرة صادعا بالوسالة ناكبا عن سنن المشركين ضلبا لأتباعهم آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذ الأصنام وينكت الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، وحتى توى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين وهدأت فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان، وفهت بكلمة الإخلاص، وكنتم على شفا حوة من النار فأنقذكم منها نبيه، تعبون الأصنام وتستقسمون بالألام، مذقة الشرب وزهة الطامع وقبسة العجلان وموطئ الأقدام، تشربون الرنق وتقتاتون القدد، أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذك به بعد اللتيا والتي وبعدما مني بهم الرجال وذئبان العرب كلما أوقنوا نورا للحرب أطفأها الله، وكلما نجم قون الضلالة أو فغرت فاعوة المشركين، قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفي حتى يبطأ خماصها بأخمصه، ويخمد لهبها بحدده، مكودا في ذات الله، قريبا من رسول الله (ص)

سيدا لأولياء الله، وأنتم بلهينة آمنون وادعون فوحن، تتوكلون الأخبار وتتكصون عند اللال على الأعقاب. حتى أقام الله
بمحمد عمود الدين. ولما اختار له الله عز وجل دار أنبيائه ومؤى أصفياه ظهرت حسيكة النفاق، وتسل جلاباب الدين وأخلق
ثوبه ونحل عظمه وأودت رتمته وظهر نابغ ونبغ خامل ونطق كاظم وهدر فنيق الباطل يخطر في عوصاتكم، واطلع الشيطان
رأسه من مغزه صلخا بكم فألفاكم غضابا، فحطمتم غير إيلكم وأوردتموها غير شربكم بدراز عمتم خوف الفتنة، ألا في
الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين.

هذا والعهد قريب والكلم رحيب والروح لما يندمل، فهبهات منكم وأين بكم وأنى توفكون وكتاب الله بين أظهركم زواجه
لامحة ودلائله واضحة وأعلامه بيينة وقد خالفتموه رغبة عنه فبئس للظالمين بدلا، ثم لم تويثوا شعثها إلا ريث أن تسكن نفوتها
ويسلس قيادها، تسرون حسوا بلتغاء، أو نصبر منكم على مثل حز المدى، وزعمتم أن لا لث لنا؟ أفحكم الجاهلية تبغون
ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون، . **لومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.**

إيها معشر المسلمين، أبتز لث أبي يابن أبي قحافة؟ أبي الله أن توث أباك ولا لث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا، حوأة منكم
على قطيعة الرحم ونكت العهد، فعلى عمد ما تركتم كتاب الله بين أظهركم ونبذتموه، إذ يقول: **لورث سليمان داوود** وفيما
قص من خبر يحيى وزكريا إذ يقول: **رب هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيا**. وقال عز
وجل: **ليرثكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين**. وقال تعالى: **لإن ترك خوا الوصية للوالدين والأقربين.**

وزعمتم أن لا حظ لي ولا لث من أبي. أفخصم الله بأية أخرج أبي منها؟ أم تقولون أهل ملتين لا يتورثان؟ أولست أنا
وأبى من ملة واحدة؟ أم انتم بخصوص القوان وعمومه أعلم ممن جاء به؟ فدونكموها مرحولة مزومة تلقاكم يوم حشركم فنعم
الحكم الله ونعم الخصيم محمد والموعد القيامة وعا قليل توفكون، وعند الساعة ما تحسرون، ولكل نبا مستقر وسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم".⁽⁹⁾

قال صاحبي: إن في كلامها رضوان الله تعالى عليها بلاغة عجيبة، ومنطق لم يصدر عن امرأة مثلها، وليس له ما يشبهه
غير كلام أبيها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أو كلام زوجها الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
قلت: وكيف لا تكون كذلك وهي سليلة النوة ومنشأ الوحي، وبعلمها من حير العرب والعجم بسيفه وعقله ولسانه وقلمه، فهو
الذي أحصى الله فيه كل شيء كما في قوله تعالى: **لوكل شيء أحصيناه في إمام مبین**. وكان عليه السلام ينقل إليها كل ما
يقول على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من وحي.

لقد دأبت الزهراء عليها السلام على أن تقدم إلى الله تعالى خير ما لديها من عمل، فكانت عباداتها كلها متصلة بكل حركة
تقوم بها في بيتها أو خرجها، كانت شبيهة بمريم العذراء في قومها، لا تبالي من أجل لرضاء الله تعالى أن ضاقت عليها الدنيا
وقوت مولدها، تطعم وتوتر، وتتصدق حتى لا يبقى لها في البيت شيء، كانت كأبيها الذي يعطي عطاء من لا يخاف الفقر،
وتقوم إلى الله في كل حال حتى تورمت قدمها تماما كأبيها صلى الله عليهم جميعا، حتى تزل فيها ما تزل من وحي، وسماها
الله تعالى وأهل بيتها بالأوار والصادقين، فلم يرددها ذلك إلا إصولا على المضي قدما إلى القرب ونماء الحب الإلهي.

قال: فما فضلها في الأمة؟ قلت: ألم تقوا في التفسير: إن الكوثر الذي أعطاه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم هي فاطمة عليها السلام (10).

القصة بدأت عندما انفجت تباشير صباح اليوم العشرين من جمادى الثانية، كان الخبر قد سوى بين بيوتات سكان مكة، ولم يتوقف حتى تناهى إلى آذان كل سامع: لقد ولدت لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله بنت. وكما كان منتظرا فقد اهتز له أعداءه من رؤوس مشوكي قريش فوحا وتمايلوا له طوبا، وكيف لا يفوحون وفي تقاليدهم أن البنت عار وشنار، لا تأتي ولادتها بغير الشؤم والفأل السيئ قال تعالى: **﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَقُولُ مِنَ الْقَوْمِ مَنْ سُوءُ مَا بَشَّرَ بِهِ أَيْمَسْكَ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.**

ولم تستو الشمس في كبد السماء حتى كانت دار النوة وبطحاءها قد لمت شمل المحلبيين للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وأجلستهم في اجتماع قد تعجل نتيجته في إحباط رسول الله صلى الله عليه وآله وهروب الناس منه. لم يكن رؤوس الشوك أشد فوحا من ذلك اليوم، فتقاليدهم الجاهلية تنص على أن البنت لا حظ لها في المجتمع، وديرها فيه لا يتعدى الإنجاب وتلبية الوغبات وقضاء شؤون الأسوة في كل الظروف. إضافة إلى أن ذلك المجتمع يتشامع من الأنثى خصوصا إذا كانت فاتحة ولادة. والذي ينجب بنتا كمن لا ينجب أصلا، بل لعل عدم إنجابها لا يهز مقامه بين رفقاءه، انوى العاص بن وائل يتحدث عن رسول الله واصفا إياه بالأبتر، شاننا ساخرا، وكانت همهمات أبي جهل وضحكات عقبة بن أبي معيط وكعب بن الأشرف ممزوة الأجراء المرححة التي غلبت على دار النوة والحاضرين فيها، وبعد اخذ ورد جاء قولهم بالوقية في النبي صلى الله عليه وآله والادعاء عليه بأنه أبتر لا عقب له، وإن ابنته كما في اعتقادهم قد حددت ولادتها مستقبل النسل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولن يجد أذنا صاغية لدعوته بعد هذه النكسة.

ساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يصفه رؤوس الشوك بالأبتر فاغتم لذلك، غير أن الله تعالى كان المواسي له فأقول سورة الكوثر مفندة مزاعم المشركين، مبينة في نفس الوقت أن العنصر الغيبي قد وضع ثقله في التحدي، وأن نسل النبي صلى الله عليه وآله سيكون من الكثرة بحيث ينطبق الوصف الذي أعطاه لفاطمة الزهراء هبة البري تعالى لحبيبه، والكوثر معناه الخير الكثير والنسل المبارك المتعاقب، نزية طاهرة بعضها من بعض.

وكان مجيئها إلى الدنيا إيذانا بتغيير عقلية جاهلية دأبت على وأد الأنثى منذ الصغر، واعتبرها مجرد وسيلة للخدمة والإنجاب. فبركة فاطمة على المرأة واضحة في هذا المجال، وعلى الأمة الإسلامية أوضح لأن في كل خلف من نسلها عدول في الأمة، وعلماءها الأوار إليهم يفيء التالي وبهم وجع القالي.

أما من حيث سلوكها وتعاملها وأخلاقها، فإن لم يجد الحفاظ إلا باليسير من سيرتها العطرة إلا أننا نستشف منه عظمة تلك الحراء وكبر شخصيتها، فهي التي لم تعش بمغول عن الأمة بل كانت في أحلك ظروفها متضامنة، ومتحركة وسطها، وتعين في النوائب والحروب بالمدواة والمواساة، وترشد النساء إلى دينهن، وتعلمهن الفقه ويقتبس من أخلاقها وسيرتها ما يصلح شأنهن دنيا وآخرة، لم يكن همها يوما نفسها، فقد روى عنها ابنها الإمام الحسن عليه السلام: **(أبنت أمي فاطمة قامت في**

موايها ليلة الجمعة، فلم تزل راکعة ساجدة حتى انفجر عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات، وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها يا أماء ولم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني الجار ثم (11) (الدار).

ألا ترى من خلال هذه الرواية أن فاطمة الزهراء قد ضربت مثلا ناوا في نكوان الذات والنوبان في الطاعة والقوب من الله تعالى إلى لرجة اتحاد رادة البري تعالى في الوضا والغضب مع رادتها. ولا عجب في أن يكون في مهجة المصطفى صلى الله عليه وآله أروع الأمثلة التي تضوب للناس.

قال: فهل من نص عام يوجب إتباع أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم؟

قلت: نعم النصوص كثرة بحيث لم تتوك الفوصة لمؤمن ليغير وجهته إلى غوهم، فحديث الولاية، وحديث الثقلين، وحديث المتولة، وحديث السفينة، وحديث الاثني عشر إماما أو خليفة، وآية التطهير، وكل الآيات الحائثة على إتباع وطاعة الأطهار من أهل بيت النبوة صلى الله عليهم جميعا (12) ، إلا أنني سأستدل على أحقيتهم في زعامة الأمة بأية المودة والتي تقول: **﴿قل لا أسألكم عليه إلا المودة في القربى﴾**. (13) وأنت تعرف أن المودة هي التودد والتودد هو الحب في أجلى حركته وتفاعله مع

المحبيب، فاقتضت رادة البري تعالى أن يكون أجر رسالة الإسلام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي محبة أهل البيت عليهم السلام والذين هم علي وفاطمة والحسن والحسين وأبنؤهم، والحب كما هو معلوم لمن أحب إتباع وموالاة وطاعة وغير ذلك من الآثار المترتب عليها الحب. وليس إلى ما ذهب إليه أكثر الناس من جهل بحال الصفة الطاهرة، والادعاء بحب لا معنى له ولا أثر.

قال: يقولون إن فاطمة الزهراء ماتت صغيرة؟

قلت: نعم إن رحيل سيدة نساء العالمين السريع من الدنيا وبعد فرة تعد بالأسابيع بعد وفاة أبيها كان بسبب الضربة التي تلقتها من مقتحمي باب بيتها، وموضها حواء ذلك بعد أن أسقطت محسنا. فكانت مصيبتها في ذلك الوقت ثلاث مصائب، الأولى فقدها لأبيها الذي تعلقت به أيما تعلق، الثانية غصب منصب الإمامة من علي عليه السلام وانقلاب الناس في خصوص الحكومة الإسلامية، والثالثة حواة الذين يدعون أنهم مسلمون عليها وعلى بيتها الذي كان النبي صلى الله عليه وآله يكثر من التردد عليه، ويشير إلى فضله عندما شهد أبو الحواء وابن عباس على أن النبي كان يأتي باب علي وفاطمة كل صلاة ليطوقه قائلا: (الصلاة إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا).

وقد كان أمر قبل ذلك أن تسد الأبواب المطلة على المسجد إلا بابها وباب فاطمة وعلي عليهما السلام. فضج الناس من ذلك، فود عليهم النبي صلى الله عليه وآله بأن الله تعالى هو الذي أمر بذلك.

قال صاحبي: فهل من دليل قرآني أخير يزيدني طمأنينة؟

قلت: في قوله تعالى: **﴿إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين نرية بعضها من بعض والله**

سميع عليم﴾.

فالاصطفاء الإلهي لخرة خلقه سنة كونية بدأ من آدم إلى أن يوث الأرض ومن عليها، هم من أناط بهم مسألة الهداية وجعلهم الباب الذي يؤتى منه ويقصد إليه، وقال أيضا: **{أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده}**. وهو تعالى لئن أعطى آل إراهيم الكتاب والحكم فإن آل محمد أفضل عنده من آل إراهيم، وهم غير مستثنون من سنة الاصطفاء التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا، فهل فهمت الآن يا أخي لماذا اخترت طريق الهدى والقرب من سادات الدنيا والآخرة، على طريق الغواية والبعد عن الله ورسوله وآله الأطهار عليهم أفضل صلاة ورُكِي تسليم.

قال صاحبي: فهل لك من دليل آخر على أحقية أهل البيت بقيادة الأمة؟

قلت: لدي دليلين، الأول تمزهم على غورهم بالعلوم التي كانت تحتاجها الأمة، فهم واضعي أسسها، وقد اعترف بفضلهم أكثر الحفاظ، والثاني جهادهم من أجل الإسلام وتتبع الظالمين لهم، وقد سجل التاريخ ثراتهم وشهاداتهم في سبيل الحق تعالى على مدى قرون عديدة حتى يوم الناس هذا.

قال صاحبي: الآن فقط تيقنت من مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وعرفت من خلال ما وقع للرهاء عليها السلام أن الحق له وجهة واحدة وباب واحد، وأنه في كل الأحوال لا يتعدد، طريق واحد، ومنهج واحد. ولا أرى بعد هذا عن أهل بيت النبوة ومعدن الرحمة ومترل الوحي ومختلف الملائكة بديلا، فاسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وآلائه العظمى أن يجعلنا من شفعايمهم ويحشونا في زموتهم، ويجعلنا من وفدهم يوم تشخص فيه القلوب والأبصار.

وأقول أخيرا:

وتبقى الزهراء عليها السلام بمثالها، وبكل تفاصيل حياتها، العلامة التي لا يخطئ من قصد أولها، فهي الإنسانية الكاملة التي مثلت الإسلام في أبهى مظاهره والنموذج الصادق الذي يعبر عن تفاصيل العلاقات بين العبد والعبد، وبين المعبود والعبد، وهي وان حرمنا من هديها وكانت إطلالتها على الدنيا كومضة برق، سويعا ما ذهبت مع بركات فيضها، فان اليسير الذي نجا من وائن المحرفين كان كافيا لأن يميظ عن عقولنا تشابيه المظلمين، ولئن أحجم أكثر حفاظ العصر الأول عن ذكر فضائلها، وشوح مقامها، والإقرار بما حصل لها بعد وفاة أبيها، فإنهم مدفوعين في ذلك بعامل السلط الظالمة التي كانت تحكمهم، والتي كانت ترى في إظهار الحقائق المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام كشفا لحقائق تهدد عروشهم، وتعي معاندهم الخبيثة.

لذلك فان الحق لا يمكن أن يغطيه سواب الكذب، ولا الأدلة الواضحة أن تمر أمام عين البصير نون إثبات، ولو أن هذه الأمة المطعونة في دينها ثابت إلى رشدنا لتبينت سبيل الرشد من سبيل الغي، ولتولت عليها من البركات ولأكلت من فوقها ومن تحت رُجلها، وكانت في ذلك كله تحت غطاء الرحمة الإلهية، نسأل الله تعالى أن يهدينا سواء السبيل ويجعلنا في مستقر من رحمته، ومستودع من علمه، ويكتب لنا في هذه الدنيا بإتباع أوليائه وموالاتهم عشرات الحسنات، انه سميع مجيب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

2 - البخري كتاب المناقب حديث 3437 / 3483.

3 - مسلم كتاب الإمرة حديث 3441.

4 - البخري كتاب المغزي ح 3913 / كتاب الفوائض ح 6230 - مسلم كتاب الجهاد والسير ح 3304.

5 - سنن الترمذي كتاب المناقب ح 3646 - سنن ابن ماجة، المقدمة ح 113 / 1118 مسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة ح 606 / 906 / 915 / 1242 مسند بني هاشم ح 2903 مسند الكوفيين ح 17749 / 18476 / 18519 / 18497 / 18522 باقي مسند الأنصار ح 21867 / 22028 / 22461 / 22062.

6 - البخري كتاب المناقب ح 3430 / كتاب المغزي ح 4064 - مسلم كتاب فضائل الصحابة ح 4418 / 4419 / 4420 / 4421 - سنن الترمذي كتاب المناقب ح 3658 / 3663 / 3664 - سنن ابن ماجة المقدمة ح 112 - مسند أحمد بن حنبل، مسند العشرة ح 1384 / 1408 / 1423 / 1427 / 1450 / 1465 / 1428 / 1514 / 1522 / 1427 / 1450 / 1465 / 1428 / 1514 / 1522 / 1423 / 1408 / 1384 مسند بني هاشم ح 2903 باقي مسند المكثرين ح 10842 / 14111 باقي مسند الأنصار ح 25834 باقي مسند القبائل ح 26195.

7 - البخري كتاب المغزي ح 3913.

8 - البخري كتاب فرض الخمس ح 2862 / 2863 كتاب المناقب ح 3435 كتاب المغزي ح 3729 / 3730 - مسلم كتاب الجهاد والسير ح 3302 / 3304 / 3305 / 3307.

9 - بلاغات النساء لابن طيفور ص 23-الاحتجاج ج 1 ص 97 / 107 مسند فاطمة ص 557 - بحار الأنوار ج 43 ص 148...

10 - راجع تفسير الميزان للعلامة محمد حسين الطباطبائي سورة الكوثر.

11 - دلائل الإمامة لابن رستم الطوي - البحار ج 43 ص 253.

12 - راجع كتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي.



منقذ البشرية

منقذ البشرية الامام المهدي عليه السلام

لقد جاءت الرسالات السماوية لتبشر بيوم يتحقق فيه وعد الله ويتم نوره ولو كره المشركون والكافرون والمنافقون، وبما أن القآن الكريم هو آخرها وخاتمها وخلصتها وصفوتها، فهو معني أكثر من سابقه بالإشارة إلى ذلك اليوم الموعود، الذي تتخلص فيه الأرض ومن عليها من الظلم، ويستتب فيها الأمن والعدل وتقام شريعة الله وتحيا سنة رسوله وأحكام دينه بعد انواسهما. ولو لم يكن ذلك الإيمان قائما في عقيدة المسلمين لما كان للإسلام معنى ولا لمفاهيمه قيمة، وهو الذي أصبح اليوم محاصوا ومحلبا ومشوها فهما وتطبيقا عند الكثيرين.

لقد أنبأنا القآن الكريم بأن الإسلام كرسالة خاتمة كان معتقدا لدى الأنبياء السابقين ببعض أو بكل تفاصيله وعنصر غيب مأمورين بالإيمان به والتبليغ عنه، وكونه من المحتمات الواقعة في آخر الزمان، ونتيجة لحركة الإصلاح والخير والتقوى التي سلكها خلص البشرية، لتكون الأرض بما فيها تحت طائلة أحكامهم الإلهية ولا شيء غيرها. قال تعالى: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون".

والإيمان بيوم الخلاص أو اليوم الموعود ليس حكا على الشرائع السماوية، فحتى النظريات المستوحاة من الفلاسفة والمفكرين، تعتقد كذلك بيوم تتم فيه فكرتها وتقوم البشرية على قوانينها. ولعل ذلك الإيمان نابع من الإحساس بشحنة الأمل التي تدفع معتقد الفكرة قدما في الزمن للعمل بلا كلل لنشرها والسعي إلى إقامتها.

ونظرية نولة العدل الإلهية ومجتمع الإسلام الحق، جاء بها القآن الكريم وبشربها الرسول الأعظم (ص) مصوحا بتفاصيلها، التي لم يصلنا منها إلا ما نجا من واثن الطواغيت والظالمين، الذين كانوا يضيقون نوعا بتلك النظرية ويرون فيها خطرا محققا يهدد عروشهم، فكان سعيهم دائما لطمسها وتمييعها، بل لعل الطريف أن فيهم من سعى إلى إصاق ذلك اللقب بنفسه كالمهدي العباسي (775) والهادي (785) والمهتدي (869) والقائم (1031) وكان أول ملوك الفاطميين يلقب بالمهدي (934).

أما من ظهر يحمل لقب المهدي في شتى أنحاء البلاد الإسلامية فذلك عائد لإيمان المسلمين الواسخ بأن المهدي حقيقة وأن الهداية نور رباني متحقق الوقوع، وتسمية الأبناء به يأتي تيمنا ونفءا لا بعقيدة متوسخة فيهم عبر العصور.

يقول الشهيد محمد باقر الصدر قدس سوه الشريف، في بحثه حول المهدي: "إن فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الأفضل، قد جاءت في أحاديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وعموما، وفي روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام خصوصا، وأكدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك. ولقد أحصي رُبعمائة حديث عن النبي (ص) من طرق اخوتنا أهل السنة، كما أحصي مجوع الأخبار الوردية في الإمام المهدي من طرق الشيعة فكان أكثر من ستة

آلاف رواية. هذارقم إحصائي كبير لا يتوفر نظوه في كثير من قضايا الإسلام البديهية التي لا يشك فيها المسلم عادة".

ص63.

إن أحاديث بلغت تلك الكثرة لها دليل على صحة الشخصية المنتظرة ونقطة توافق منطقي بين فريقين من المسلمين تجمعهم أصول وفروع كثيرة وقضايا مشتركة أهمها على الإطلاق هذا الأمل الذي نحن بصدده والذي يجمعنا إلى غد أفضل ومستقبل يكتفه العدل والأمن تحت قيادة فذة مقفورة تجمع المسلمين والبشرية قاطبة على قانون واحد وأحكام صحيحة ثابتة تماما كما جاء بها الرسول الأعظم (ص) وأقرت عليه أول مرة.

الحديث:

عن عبد الله بن مسعود قال كنت عند النبي (ص) إذ مر فتية من بني هاشم كأن وجوههم المصابيح فبكى النبي (ص) قلت ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال انا أهل بيت قد اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وانه سيصيب أهل بيتي قتل وتطريد وتشريد في البلاد حتى يتيح الله لنا راية تجيء من المشرق من يفرها يهز ومن يشاقها يشاق، ثم يخرج عليهم رجل من أهل بيتي اسمه كاسمي وخلقه كخلفي توب إلى أمي كما توب الطير إلى أكلها فيملاً الأرض عدلا كما ملئت جورا". دلائل الإمامة لابن رستم الطوري ص 235.

وحتى نبسط النظرية أكثر نقول لاشك بأن كل المسلمين يدركون أن الشريعة بما تحتويه من وآن وسنة تحتاج إلى من يحركها ويضعها موضعها في الأمة حتى يمكنها من أداء دورها. وهذا الإلواك نابع من وجهتين الأولى وجهة عقلية تعتمد على الأدلة المنطقية في بيان وجوب القائم على أي شريعة لتتمكن من التحقق والاستتوار ومن دون ذلك لا يمكن لها أن تستمر وأن تجد حظها. والثانية وجهة دينية شرعية فرضتها النصوص الكثيرة الصريحة والمشورة إلى كون اليوم الموعود الذي بثت به رسالات الله تعالى سيكون نتيجة إعداد الهي يتمثل في تهيئة القائد وتمكينه من يوم خلاص الأمة من أعدائها ومغتصبي خواتها ومفوقي دينها واستخلاص أعوانه وأنصله من سواد الأمة.

إن نظرية الإمامة التي طرحها أئمة أهل البيت الاثني عشر عليهم السلام الذين بشر بهم رسول الله (ص) في حديث الاثني عشر خليفة الذي أجمع الحفاظ قاطبة على نقله، والذي مر إخباره عنهم مطموسا مغيبا فلم يصلنا عبر أكثر الرواة غير عددهم وكونهم من قريش هذا عند اخوتنا من أهل السنة. هو أول الخيط الذي أخذنا بطوفه، والذي يجب على كل مؤمن أن يأخذ به لأن الإسلام الذي جاء به النبي الأكرم (ص) دين كامل متكامل. إن الإمامة وقد يطلق عليها الولاية وظيفه من الوظائف الإلهية المتصلة بأحكام الشريعة اتصال الحفظ والفهم والتطبيق والقيومة عموما على الدين بكل تفاصيله، هي مشولات الخالق تعالى له وحده حق التعيين والاختيار. قال تعالى مخاطبا رسوله: " ليس لك من الأمر شيء ".

فإذا كان صلى الله عليه وآله وسلم ليس له من الأمر شيء فكيف يكون لعامة الناس الحق في اختيار لم يرقوا إليه ولا هو من مشولاتهم ولا من اختصاصهم ولا كانت لديهم فكة عنه؟.

لما كان الحكم منبثقا منه تعالى، راجعا إليه بالنظر فان الحكومة الإسلامية لا بد أن تكون من نفس النسيج راجعة إليه قانونا

وتعييننا .

إن تتكبر المسلمين عن الإمامة الإلهية إلى الإمامة البشرية قد أدى إلى إنحراف الحاكمية عن المسار المسطر لها وتعطيل أحكام الله تعالى الواحدة تلو الأخرى فانهدمت نتيجة ذلك أعمدة الدين وانفصمت عواه بحيث أصبح الحق باطلا والباطل حقا ولم يعد للدين أهمية ولا قيمة عند حكام المسلمين و عوض أن يكون أساسا للحياة أصبح هامشيا وعوانا ومطية لكل من هب ودب. فسعى لوكوبه الظالم ووالجاهل والمنافق وحتى الكافر أصبح له رأي ويريد أن يطوع الإسلام حسب رؤيته، كما تحاول الولايات المتحدة الأمريكية أن تعمل ذلك الآن. إن من ضمن الغيب الذي يجب على المسلم أن يؤمن به كما في قوله تعالى: " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب... " هو الاعتقاد الراسخ الذي لا يؤخره شيء بأن الله تعالى سيأذن بإتمام نوره وتطبيق شريعته الخاتمة في يوم آت علمه عنده، وإن من أسباب مجيء ذلك اليوم سببان رئيسيان.

الأول:

هو من قبله تعالى وهي مسألة الهداية والشخص الموكل بها.

قال تعالى: " إنما أنت منذر ولكل قوم هاد "

و قال أيضا: " إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم "

و قال أيضا: " أولئك الذين هداهم الله فيهداهم اقتده "

ولا شك أن الله تعالى عندما خاطبنا عن الذين أنعم عليهم وهداهم قد أشار في مضمون الآيات إلى أشخاص بعينهم وكلف رسوله (ص) بالإبلاغ عنهم وإظهارهم على الملا من الناس وإلا كان المعنى فضفاضا لا فائدة منه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لذلك ينصرف اعتقادنا إلى أن الله قد حدد نور الهداية والهادي وعين أصحابها وكلف رسوله الأكرم (ص) بإبلاغ ذلك للناس وعلى الناس أن يختاروا أما طريق الذين أنعم عليهم، وإما طريق الشيطان. قال تعالى: " وهديناه السبيل إما شاكرا وإما كافرا " والله تعالى عندما يرشدنا إلى أتباع الصادقين عندما قال: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " ليس على سبيل المجاز أو التعميم بل على سبيل الحقيقة والتخصيص، نظرا لعدم شمولية الصدق في كل الناس، وهو كما نعلم ليس مظهرا حتى نتبع صاحبه وإنما هو جوهر وجبلة لا يعلم أصحابها غيره تعالى. كما إن الكذب والشر مسلوي لا يميزها إلا هو، لذلك خاطب رسوله (ص) قائلا: " وممن حولك من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون مودوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم "

إذا نخلص إلى القول بأن الهداية لطف الهي، جعله الله تعالى استورا لرحمته وعنايته كالنوبة، بل هو إمتداد لها في نور الحفظ والهداية، والمتمثل في شخص الإمام. اقتضته سنة الله تعالى في خلقه لتكون ردا للنوبة، وزرا للرسالة، في استكمال المسورة، وتجذير المفاهيم والقيم، التي أرادها البري تعالى، لخير البشرية وصالحها العام.

الثاني:

من الناس وهم المعنيون بالامتثال للأمر والاتباع، منهم نواة إقامة الدين وفيهم الجماهير المؤمنة والعاملة لذلك الهدف

والساعية نحو خالقها ودينها وإمامها. فإذا توفر ذلك الجانب فإن المولى تعالى سيحقق لنا رغبتنا.

و لقاتل أن يقول: طالما أن الإمامة لطف فأين هو الإمام الآن كي نتبعه؟

و السؤال في حد ذاته عملي ووجيه إلا أن السائل نسي نفسه ومجتمعه ومحيطه ونسي أيضا كلام ربه، قال تعالى: " لا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" وكما كنت أشير إلى أن الإمامة لطف فإن اللطف الإلهي لا ينقطع تماما كالشمس التي لا ينقطع أؤها على كوكب الأرض وقد غطاها السحاب.

و المهدي عليه السلام أوضح من الشمس وغيبته أجلي من السحاب، غير أن كل من لم يدرك حقيقة الإمامة الربانية لا يمكنه بأي حال من الأحوال يفهم حقيقة المنقذ والمخلص الذي على يديه سيتم نور الله ويقام دينه بحيث لا يبقى على وجه الأرض دين غير الإسلام الحق وهدى غير هدى أئمة أهل بيت النبوة وموضع الوسالة ومقول الوحي ومختلف الملائكة عليهم السلام.

وغيبية الإمام عليه الإسلام أو حضوره، هي نتيجة لحركة المجتمع المسلم، وكذا المؤمنين فيه وإن قلوبا.

أما الاتباع والافتداء، فإن خط الإمامة موجود على مر الزمن محكوم بمجموعة القوانين التي صوح بها الأئمة عليهم السلام مستمدة من روح القرآن وتعاليمه ضابطة لنور القيادة. لم يفت ثلثة الإيمان عبر التاريخ الطويل من أن تنهل من فيض الإمامة الصافي وتلجأ إليها في أحلك الظروف وأشدّها خطرا على أرواحهم، في حين كان غوهم يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض.

و أنا أبحث عن إجابة لسؤال يتعلق بطول عمر الإمام المهدي عليه السلام، باورني الحديث الذي يقول: " لو لم يبق في عمر هذه الدنيا إلا يوم واحد لظوله الله تعالى حتى يخرج رجلا من أهل بيتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا".

إن الذي يمكنه أن يغير سنته في إطالة يوم يمكنه أن يغيرها في إطالة عمر شخص ما كمثل يومنا الذي نعدّه 24 ساعة سيتغير يوم القيامة إلي يوم مقرر خمسون ألف سنة مما كنا نعد في الدنيا. كما أن الذي سلب النار خاصية الإحراق وجعلها بردا وسلاما، وقلق البحر وشق فيه طريقا بلا حائل، ووجع بالوسول الأعظم إلى فضاءات ليس فيها ما يحتاجه البشر من هواء، وإن الذي غيب أهل الكهف ثلاثمائة سنة، هو الذي غيب سيدنا الخضر عليه السلام آلافا من السنين، وهو الذي أطال عمر سيدنا فوح إلى ألفي وخمسمائة سنة على ما في بعض الروايات، هو نفسه من بيده إطالة عمر الإمام المهدي عليه السلام. فحرق السنن الإلهية ممكن من أجل إظهار المعجز لأصحابها ولما تقتضيه المصلحة من الظهور والتخفي. وطالما أن الإمام المهدي هو آخر الأئمة الهداة فإن عمره محكوم بالطول حتى يظهر الله تعالى به دينه الحق ولا التفات لمن يتكلم بلا حجة واتخذ من الشك دينا وحياة.

أحاديث الإمام المهدي عند جمهور المسلمين:

لم يشذ عدد من العلماء الجمهور عن قاعدة الاعتراف بالحق والاصداع بالصواب، فأخرجوا روايات رسول الله (ص) التي

تحدث عن الإمام المهدي عليه السلام وأفردوا لها بابا، بل منهم من أخرج كتابا خصصه بالمسألة نذكر منهم:

جلال الدين السيوطي في الهدف الورد في أخبار المهدي.

ابن حجر العسقلاني في القول المختصر في علامات المهدي المنتظر.

يوسف بن يحيى الدمشقي في عقد الدرر في أخبار الإمام المنتظر.

الكنجي الشافعي في البيان في أخبار صاحب الزمان.

أما العلماء الذين أخرجوا الروايات التي تنبئ بظهوره فهم عديون منهم:

مسلم النيسابوري أشار إلى الشخص ولم يشر إلى اسمه - الترمذي في سننه ج4 ص565 - ابن ماجه في سننه ج2

ص368 من كتاب الفتن - أبو داود في سننه ج4 ص107 . النسائي في الخصائص - البيهقي في سننه - الطواني في

معجمه ص566 - ابن حجر في الصواعق- سليمان الفنزوي الحنفي في ينابيع المودة- والحاكم في مستدرکه د4 ص557

كفاية الطالب ص486 - الحولي للفتوي ج2 ص58 . -الوهان في علامات المهدي ص94 كنز العمال للمتقي الهندي ج14

ص264 . البيان في أخبار صاحب الزمان ص479. العقائد الإسلامية للسيد سابق.

الحديث من طرق العامة:

عن أبي سعيد الخوري قال رسول الله (ص): "المهدي مني أجلي الجبهة أفتى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت

جررا وظلما يملك سبع سنين". (أبو داود ج2 ص422 والحاكم في المستدرک ج4 ص557)

وكما كنا أثونا فقد بلغت أحاديث الإمام المهدي من الكثرة عند أغلب الفرق الإسلامية فمنهم من أفرد لها كتابا وقد أثونا

إلى بعضهم عند اخوتنا من (أهل السنة) ومنهم من أفرد لها بابا، ومنهم من أخرج الروايات في أبواب الملاحم والفتن وأشواط

الساعة، وكلهم متسالمون على صحة ورودها عن رسول الله (ص).

أما أتباع أهل البيت عليهم السلام، فإن عددا من العلماء الأفاضل قد ألف كتباً عن الإمام المهدي عليه السلام، فضلا عن

إخراج الروايات العديدة الصحيحة السند القطيعة الدلالة على صحة الدعوى.

لم يمكنني حصر التأليف الخاصة بالإمام المهدي عليه السلام، لكنني أشير على سبيل الذكر كتاب: بحث حول المهدي للشهيد

محمد باقر الصدر. يوم الخلاص للشيخ على الكوراني. منتخب الأثر في أحوال المنتظر. الإمامة وقائم القيامة. موسوعة السيد

محمد الصدر عن الإمام المهدي (تزيخ الغيبة الصغرى - تزيخ الغيبة الكبرى - علامات ما بعد الظهور).

أما أولئك الذين ينكرون الإمام المهدي فإنهم لم يبنوا نكرانهم على قاعدة صحيحة بحيث إنهم حاولوا بعدم اعترافهم بحقيقة

الإمام المهدي عليه السلام إيقاع أتباعهم في الإنكار وإبعادهم عن معرفة واقع الإمامة الإلهية. ويمكنني القول بأن المهدي عليه

السلام، كان من المسائل المجمع على صحتها بين المسلمين في القرون الأولى، ولم يشذ عن ذلك الإجماع أحد، ولم يظهر منكر

لروايات المتحدثة عن الإمام المهدي عليه السلام، إلا في العصور المتأخرة حيث كثرت الفرق والمذاهب وأدلى في الدين كل

بدلوه. ولما كانت الإمامة الإلهية أصل لإمامة المهدي عليه السلام فإن القائلين بعدم النص بعد الرسول (ص) قد وقعوا في

إشكال وحدة القيادة في نهاية المطاف ولم يعد لمبدأ الشورى في اختيار القائد أساس وواقع، فلم يروا بدا من إنكار حقيقة الإمام المهدي هربا من انكشاف بطلان اختيار الناس بعد الرسول (ص). وبمقرنة بسيطة نرى أن المسلمين القائلين بمبدأ التنصيب الإلهي على الإمام بعد الرسول (ص) قد احتجوا بما عندهم وعند مخالفيهم من أن الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عددهم اثني عشر إماما كعدد نساء بني إسرائيل، أولهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام. وإذا صح الإمام الأول والإمام الأخير، مع نقلهم عن رسول الله أيضا: "الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا". صح بقية الأئمة وبطلت إمامة السقيفة، وما تلاها من دكتاتوريات كانت أساسها الأول، لم تجن على المسلمين غير ويلات ونكبات وضياح للكرامة والشرف والدين، والدليل ما نحن فيه الآن من ضياح للحكومة والقيادة والفكر، والناس بين لا مبال وتائه لا يوي أين يؤخذ به.

الإمامة رأس الدين وسنانه وغوه، به واعي ويقوم ومن نونه يتلاشى ويذول. هي القائم عليه حفظا وتطبيقا، وعليه فإنها لا بد أن تكون من جنس التشريع وضمن قوانينه وليست بخلجة عنه.. إن الآيات التي تناولت الحكم والحاكمية عديدة والروايات التي تحدثت عن الإمارة والقيادة تفسوا وتحديدا كثرة بما لا يدع مجالا للشك أن ذلك المنصب الهام والخطير غير منسي ولا متروك، بل هو حاضر في كلام الله تعالى وفي حديث رسوله الكريم (ص). وتعالى الله ورسوله من أن يغفلا عن أساس بقاء الدين واستمراره، وكيف يكون العكس والإمامة صنو النوبة وفوعها المنحدر منها. بل هي ربيبة الوحي ونتاجه وأثر بقاءه. فأواهم مثلا كان نبيا ورسولا ثم إماما. قال تعالى: "إني جاعلك للناس إماما قال ومن نريتي قال لا ينال عهدي الظالمين".

الإمامة وظيفة إلهية، وعهد منه تعالى لصفوته من خلقه، مستثنى منه بالنص كل من ظلم، والظلم متعدد الأوجه أسوأه الشرك بالله تعالى: "إن الشرك لظلم عظيم". والشرك صفة باطنة لا يعلمها إلا الله تعالى، لذلك كان التعيين من قبله أحق وأولى، لأنه الأعلم بالأصلح، والمتصرف الأوحى في دينه، وهو العرف فيمن تتوفر فيه شروط العفة والتقوى والصدق وكل المكرم الباطنة التي لا يبركها إلا من يعلم السر وأخفى، ومن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وعليه، فإن مواصلة الإصرار على القول بان الله تعالى فوض لعباده اختيار الإمام، ضرب من الجحود والتقول على الله بالبهتان والزور، ونسبة النقص في دين الله وشريعته، باعتماد نظرية الغاصبين للإمامة تحت مبررات كاذبة، سقطت لبطلانها وافتضحت بمرور الزمن عند امتحان الأدلة، ووقوف الحق بواهبته التي انقضت كاهل الباطل..، والحق أحق أن يتبع.

إذا فمسألة الإمام المهدي جزء لا يتجزأ من الإمامة العامة بما اشتملت عليه من نصوص تتوعت وتعددت، منها ما هو قواني، ومنها ما هو نوي، ومنها ما هو عقلي، ومنها ما هو تليخي متصل بالأمر السابقة، وينتهي إلى ما أحصي على الغاصبين للإمامة من أخطاء وتجاوزات في مقابل النص، بلغت الحد الذي لا يمكن معه القبول بدعوى إمامة السقيفة، وحرية اختيار البعض دون البعض الآخر بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

آيات الوعد الإلهي الدالة على الإمام المهدي عليه السلام:

جاء في القرآن الكريم عدد من الآيات التي تناولت مسألة الإمام المهدي، فتحدثت عن الأثر الذي سيتوكله مجيئه والنتيجة

التي راد منها ظهوره، استكمالاً لحركة الصالحين وأتباعهم على الأرض واختتاماً لها في نهاية المطاف.:

1 - قال تعالى: "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض فنجعلهم أئمة ونجعلهم الورثين ونمكن لهم في الأرض".

القصص الآية 5 و6 أخرجها الحافظ الحسكاني والقندوزي الحنفيان، وقالوا بنزولها في الإمام المهدي عليه السلام.

2 - وقال تعالى: "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون". سورة الانبياء الآية 105

أخرجها سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ص 510

3 - قال تعالى: "هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون". سورة التوبة

الاية 33 ينابيع المودة ص 510

4 - قال تعالى: "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله أن يتم نوره ولو كره الكافرون". سورة التوبة الآية 32

ينابيع المودة ص 114

5 - قال تعالى: "فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً* ثم

رددنا لكم الكوة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفراً". سورة الإسراء الآيتين 6 و5 أخرجها البهائي في تفسير

الرواهان ج 2 ص 406 و 407

6 - قال تعالى: "وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم

دينهم الذي رتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون".

سورة النور الآية 55

إن عقيدة المسلمين في مجيء اليوم الذي يقام فيه حكم الله في أرضه، فتأخذ شريعته الخاتمة طريقها للتطبيق الحق في

العالم، لتحيا به سنن النبي (ص) على يد المهدي الموعود، لهي من العقائد التي لا تقبل الشك ولا تحتل وجهها آخر. لأن بشرة

النصر واقامة الدين واحقاق الحق، ونشر العدل وإبادة البغي والظلم، قد صوح بوقوعها في آخر الزمان الوحي الذي لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتناقلتها الروايات الصحيحة وتسالم بها العقلاء وكل منكر لها مدفوع إما بعصبية مويضة،

أو جهل بأبسط قواعد المنطق، وإذا نحن سلمنا بمجيب ذلك اليوم فلا بد له من قائم به، وهو من الخطورة والعظمة بحيث أن

صاحبه يجب أن يكون في مستوى ذلك الحدث وأعظم.

لم يستطع الذين أنكروا شخصية الإمام المهدي وظهره ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً، أن ينكروا يوم نصر الإسلام وهيمنتته

على الأرض، لأنهم ولسبب بسيط ليس لديهم الحجة على رد الآيات القوانية، وإنما هم مدفوعين في تعنتهم لمعرضة عقيدة

المسلمين الشيعة الذين قد مضت بيعتهم للإمام المهدي جيلاً بعد جيل. إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في

الصور.

إن الإيمان بالمهدي المنتظر، وتوقب ظهوره هو خلاصة الدين الحنيف في العيش من أجل حصول تلك الحقيقة، والعمل في

أن يكون المؤمن في دائرتها عنصرا فاعلا فيها، لأنه لا خير في دين بلا قيادة ربانية كما لا خير في جسد بلا روح. إن الأمة الإسلامية اليوم، وهي في أوج أوقاتنا بحاجة إلى الالتفاف حول ثوابت دينها، وأصول عقيدتها، والإمامة الهادية هي إحدى ركائزها الهامة، والتي من دونها لا يستقيم حكم الهي، وعليه فإنه لا بد لأفواها الذين وعوا تلك الركائز، وخبروا أصول تلك العقائد، أن يعرفوا من لم يعرف، وقيموا الحجة على المنكر والجاحد، ليتخلى عن إنكله وجوده أو يتجنبه المسلمون. لأن الحقيقة تقول إن من سعى إلى فصل الدين عن الحياة هو الذي أنكر وظيفة الإمامة وسعى إلى التشكيك في الإمام المهدي عليه السلام.

إن السبب الذي غيب الإمام عليه السلام عن بسط يده في الأمة، هو من الأمة ذاتها والخلل فيها والعيب منها، لأن الدرس للتاريخ وما جاء فيه من تفنن الأمة في التوقيط في دينها، واهدأر الفوص المنكرة لهظتها وصلاح أموها، بل وفي موالاتها للظالمين مندوحة في بقائها على حال من السقم والموض والوهن، وبقاء الإمام في مجتمع يكاد يخلو من ورع الإرادة الحقة والتربية السليمة، والسعي إلى إرواك المعاني الحقيقية للصفوة التي أرادها البري تعالى قادة للأمم ومنورة هدي للشعوب. وعليه فاللوم ملقى علينا والتهمة منأطة بنا فهما وتطبيقا.

إن الأمل هو الشعور الدافع فينا لمزيد التحفز والبذل، ومسألة الإمام المهدي هي من محصل ذلك الأمل الذي يختلج في صدورنا، ونسعى إلى تحقيقه باستقامتنا والؤامنا بأحكام الله تعالى ومبايعتنا لله تعالى، البيعة التي لا تبقى للدنيا وزينتها في قلوبنا مكانا. عندها يكون الؤوج بإذنه تعالى وتتم كلمته في عبادته وينجز وعده الحق. قال تعالى: "قل اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون".

ليس لدي في الختام إلا أن أؤوج هذه الخواطر بدعاء زمن الغيبة، سائلا المولى العلي القدير أن يتقبل من المؤمنين والمؤمنات أعمالهم ويؤوكيها، ويؤوقنا جميعا لموضاته انه ولي التؤوفيق.

اللهم عرفني نفسك، فانك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني نبيك، فانك أن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فانك إن لم تعرفني حجتك ظللت عن ديني. اللهم لا تمتني ميتة جاهلية ولا تؤغ قلبي بعد إذ هديتني... اللهم ثبتني على دينك، واستعلمني لطاعتك ولين قلبي لولي أموك، وعافني بما امتحننت به خلقك، وثبتني على طاعة ولي أموك الذي سؤوته على خلقك وبأذنك غاب عن برينك، وأموك ينتظر، والعالم غير المعلم بالوقت الذي فيه صلاح أمر وليك في الإذن له بإظهار أمره وكشف سؤوه، فصورني على ذلك حتى لا أؤجد تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت، ولا كشف ما سؤوت، ولا البحث عما كتمت، ولا أنل عك في تدبيرك، ولا أقول لم وكيف وما بال ولي الأمر لا يظهر وقد امتألت الأرض من الجور فأؤوض أموري كلها إليك..."

اللهم إنا زغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وتؤزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة، اللهم ما عرفنتنا من الحق فحملناه وما قصرنا عنه فبلغناه.

اللهم صل على حجتك في أرضك، وخليفتك في بلادك، الداعي إلى سبيلك، والقائم بالقسط والفائز بأموك، ولي المؤمنين

ومبير الكافرين، والصادع بالحكمة، والموعظة الحسنة والصدق، وكلمتك وعيبتك وعينك في لُضك، المتوقب الخائف، والولي
الناصر، سفينة النجاة، وعلم الهدى، ونور أبصار الورى، مفرج الكرب، ومزيل الهم، وكاشف البلوى صلوات الله عليه وعلى
آبائه الأئمة الهادين والقادة الميامين، ما طلعت كواكب الأسحار، وأورقت الأشجار، وغردت الأطيوار. اللهم انفعنا بحبه،
واحشونا في زموته وتحت لوائه... عندما تدعوا كل أناس بإمامهم.



الصحابة بين الواقع والتضخيم

أردت في هذه العجالة أن أتناول مسألة بنى عليها جانب هام من المسلمين دينهم وجعلوها مقدمته ومورده وأساسه، فتعبوا بها نون عمق نظر، ولا حقيقة بحث أوقفتم على يقين ما هم عليه، ولا تبادر إلى خلدكم أنهم بذلك المسلك الذي سلوكه قد ظلموا أنفسهم، واتبعوا غير سبيل الرشاد الواجب اتباعه، وكان حريا بهم أن يلتمسوا غره مما ظهرت حجته، ووضح مقامه، وبانت دلائله، بعيدا عن التقليد الذي لا طائل من ورائه.

صحابية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هم؟ وما حقيقتهم؟ وما مدى علاقتهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل يعتبرون عدول الأمة وجب علينا اتباعهم؟ وهل جميعهم رضي الله عنهم كما يرددونها المردون صباح مساء في المساجد والملتقيات؟ وهل كلهم ثقة كما زعم الواعمون؟

كل ما قرأناه بخصوصهم لم يكن مدققا، ولا كان بالنصوص الصحيحة في معظمها، ولا بالدليل الذي لا يقبل الطعن والشك. ولو تتبعنا باب الفضائل الذي خصص أغلبه لعدد من الصحابة نولا يمثل في حقيقته كلهم لما وقفت على فضيلة صحيحة يمكنك أن تخرج بها على قناعة من أنهم عدول الأمة، ومن ثبت منهم على منهاج النبي صلى الله عليه وآله قلة قليلة، كما هي حال اتباع الحق دائما.

قبل أن أعرف حقيقة أهل البيت عليهم السلام كنت معتقدا مع جملة من كنت على خطهم أن الصحابة هم الذين أخذ التابعون عنهم الإسلام، وكانوا السبب في استنوره وتطوره وازدهاره، هكذا تعلمنا في المدرس على مختلف مستوياتها، وتلك عقيدة المجتمع في الصحابة.

حتى إن بعض الأقلام التي كتبت عنهم لم تكن بالتي تميز بين الأخضر واليابس، وكانت كتابتهم كلها حريا وراء ما لقفوه من موروث بما يحويه من مزادات أتى على عورتها التزيخ، فخالد محمد خالد مثلا، عندما كتب عن الصحابة في كتابيه رجال حول الرسول، وخلفاء الرسول كان يكتب من خلال عقلية تقديس الصحابة وما لبسها من مغالاة وتضخيم قاصدا بذلك الأجر والثواب، والقربة من هؤلاء الذين قد يكونون شفعاء يوم القيامة، لم يعطنا الصورة التي يمكننا أن نأخذ بها، بل أعطانا صورا بعيدة عن متناولنا وغير الذين كتب عنهم ويعرفون بها في عصورهم، فقد صورهم لنا كأنهم الجبال الرواسي التي لا يتسلفها متسلق مهما أوتي من قوة، وعمرو خالد الذي ظهر علينا كأخر تقليعة تنتجها مصر في الحقل الإسلامي لكن هذه المرة بشيء من (الديكور) تحدث عن الصحابة هو أيضا بضوب من التضخيم الذي يقف فيه السامع البسيط حوانا، صحابة رسول الله كأنهم عجنوا من طينة واحدة، ولهم فكر واحد وسلوك واحد، يتصرفون بأوامر رسول الله تصوف الرجل الواحد، زهوا الدنيا حتى لم يعد لهم فيها مطعم، أجاد الرجل في إسهاب عقول العامة الذين لا يقعون عادة ولا يبحثون في دينهم، بأسلوب فيه كثير من الجاذبية زادا صنعتها في الكلام، وكانت كل أحاديثه عن الصحابة فخلط الطيب بالخبث والمؤمن بالفاسق،

والمغضوب عليه بالموضي عنه، طبل لها الرجل دونما إرواك لحقيقة الروايات التي نقلها للسامعين، ومن أين له ذلك وهو الذي يصنع لنفسه صورة الخطيب البلع والواعظ الفريد في عصوه؟ لم أر فيه شخصيا أي علامة تدين ولا رأيت في مستمعيه من الجمهور الحاضر في مكان التصوير من تتبئك حاله بالتدين غير أولئك اللواتي أظهرون التحجب مع ما يحملنه على وجوههن من زينة، قد تكون دعوة مجانية للتعرف والزواج.

ورأى أن الرجل قد يكون من سلالة القصاصين القدامى الذين استعملهم الحكام ليؤخروا عقول الناس بما يروونه من قصص مثوة وأخبار عجيبة، لا تكون عادة ذات إفادة لمن يسمعها إلا بضوب من التمتع الظرفي، ولا تزيده عن حقيقة الإسلام السمح البسيط إلا تهويلا وإثارة وتعجوا، بتطخيم صور أناس لم يكونوا ليحلوا بالوصول إلى معشار ذلك المقام الذي وضوهم فيه. القصاصون هم أصل بلاء هذه الأمة ومنبت السوء الذي تعلق بها، لأن معظم رواياتهم وأساس عقائدهم جاء من تخريف هؤلاء، ومعظم روايات فضائل الصحابة جاءت من شطحاتهم التي كانوا يقومون بها في المساجد ليسلوا عقول الناس، واستمر الحال على ذلك النمط، إلى أن تأسست بعد تتابع الأجيال، عقلية تقديس ذلك الوهم، فلم يجرء الحفاظ على المساس بأي صحابي وان كان غير ثقة بحسب ما صدر عنه من تجاوزات خطوة سكت عنها ولم ينتقدها منهم أحد، ولأن الصورة قد تظخمت بحيث لم يعد هناك مجال لذكورهم إلا بخير جميعا، فأصبح اعتقادهم بأنهم المورد الذي جاء منه الإسلام، هم من رؤا رسول الله وعاشوا معه وأخروا عنه، بل جاءت بعض الروايات لتضعهم موضع استجابة المولى لوجباتهم، فجاءت بعض تشريعاته تنوولا عندها. فالمساس بهم هو مساس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وزادت الأنظمة التي استولت على السلطة بالقوة والدهاء من وتوة ذلك الاعتقاد لوء خطر ظهور حقيقة أن الحكومة الإسلامية هي من جنس التشريع ولا يمكن أن تتوك لأناس أغلبهم حديثي عهد بالتدين، وان الوحي قد بين من الذين سيكونون أئمة للأمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

لذلك كبر الأمر على علماء الجرح والتعديل فوقوا تحت تأثير عوامل عدة منها:

- تأثير السلط التي كانت قد اختلرت تضخيم شخصيات بعض الصحابة.
- وخشية العامة التي سكنها هاجس تقديس ذلك الكذب، من ذلك على سبيل المثال أن النسائي (وهو من علماء جمهور الصحابة، أحد الحفاظ الستة عندهم) قد ديس بالأرجل إلى أن موض ومات لسبب أنه بعدما كتب كتاب خصائص الإمام علي عليه السلام قيل له لماذا لا تكتب عن معاوية فقال: " لا أعرف له فضيلة سوى قول رسول الله لا أشبع له بطنا".⁽¹⁾

- وعامل الغوة الذي كان يدفع بالكثيرين منهم إلى الطعن في معاصريهم لأنهم يفوقونه علما ومكانة.

- أو اتهام مخالفيهم في الفكرة أو المذهب، لإسقاط رواياتهم.

لذلك ترى أنهم عندما أسسوا علم الجرح والتعديل، أي علم الرجال في معرفة أسانيد الأحاديث النبوية والروايات التاريخية للوقوف على مدى صحتها، لم يجرء أحد من علمائهم على تحريج واحد منهم بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فقالوا: "الصحابة كلهم عدول سواء منهم من لا يلبس الفتن ومن لم يلبس".⁽²⁾

فمن أين جاءت هذه النظرية التي ابتليت بها الأمة؟ وما مدى صحتها؟

لقد جاء في كتب التريخ أن معاوية بن أبي سفيان الذي نصبه عمر بن الخطاب على الشام أموا هو الذي أوج حملة التحريف في سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بافتعاله فضائل للصحابة ما كان لها أن ترى النور لو لم يأمر بتلقيها مقابل ما كان يقدمه للمحرفين من أموال وامتيازات كثرة فقد نقل ابن أبي الحديد المعزولي في شوح نهج البلاغة قوله:

كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق: أنظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدثوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم وأكثروا إلي بكل ما يروى كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنزل والدنيا. ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، فلا تتركوا خوا يرويه أحد من المسلمين في أبي تآب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر إلى عيني وأدحض لحجة أبي تآب وشيعته، وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله.

فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية، القواء العراون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحضوا بذلك عندولاتهم، ويقروا مجالسهم، ويصيروا به الأموال والضياع والمنزل.

حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستطون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها، ولا تدينوا بها. (3)

إننا لا يمكننا أن نوعلى النص مرور الكوام راء تلك الجريمة النكواء التي أصبح فيها الحليم حوانا، والتي أفسدت على كثير من المسلمين الذين يتعبدون بالوراثة دون النص دينهم، ودفعت بهم إلى اتخاذ الصحابة كلهم بدلا عن الصفة الطاهرة من أهل بيت النبوة صلى الله عليهم، مما زاد في تعميق مأساة الأمة وابتعادها عن الصراط السوي الواجب اتباعه. ومن تلك الرواية التي أماطت اللثام عن مؤامرة خسيصة القصد منها إبعاد أهل البيت من الواجهة الإسلامية وإحلال الصحابة الذين استولوا على الحكم غورا وغيلة محلهم بما لفقوا لهم من فضائل لم تثبت صحتها، وثبت عكسها كحديث نسب إلى الإمام علي عليه السلام يحدثه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن أبا بكر وعمر هما سيدا كهول أهل الجنة وأمره بأن لا يخوهما (4)، والحال أن الجنة ليس فيها كهول، وواضع الرواية أراد تقليد أو معرضة الحديث المشهور: " الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة". (5) فسقط في الابتذال والسخافة والإسفاف.

البداية تحملنا إلى معرفة المعنى المراد به لفظ صحابي؟

صاحب وصحابي هما اسمان وصفتان لمن صاحب شخصا في مكان ما وفي زمن ما. وقد اختص الإطلاق على من صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوة من الزمن.

أما لغة فصحب، صحبة، وصاحب مصاحبة، أي لزمه ورافقه وعاشه.

تصاحب الرجلان ترفقا، وقد تطلق على الزوجة صاحبة، قال تعالى: "ما اتخذ صاحبة ولا ولدا".

أما قرآنا فقد وردت كلمة صاحب في عدة آيات مطلقة هذا الاسم على عدد من الكائنات العاقلة وغير العاقلة مع اختلاف الجنس والمعتقد.

(8) فمن حيث اختلاف الجنس قال تعالى: "أم حسبت أن أصحاب الكهف والوقيم كانوا من آياتنا عجا".

(9) فأطلق تعالى على الكلب صاحبا وجعله ضمن الرجال الذين آووا إلى الكهف: "سيقولون سبعة وثامنهم كلبهم."
(10) وأطلق على الحوت صاحبا في الآية: "كصاحب الحوت".

على سبيل المجاز لأن سيدنا يونس عليه السلام كان في بطن الحوت ولم يكن معه مصاحبا بالمعنى المعروف للصحبة، ولا كان مختلا لتلك الصحبة.

(11) وأطلق نسبة إلى الجمادات كقوله تعالى: "فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين".

(12) وقوله تعالى: "واضرب لهم مثلا أصحاب القوية إذ جاءها الرسولون".

(13) وقوله تعالى: "قتل أصحاب الأخدود".

(14) وقوله تعالى: "كذبت قبلهم قوم فوح وأصحاب الرس".

(15) وقوله تعالى: "أولئعنه كما لعنا أصحاب السبت".

(16) وقوله تعالى: " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل".

إلى غير ذلك من الآيات التي تلوحت في نسبة الصحبة من الإنسان إلى الحيوان إلى الجماد إلى يوم السبت إلى اليمين والشمال والجنة والنار، كدليل على أن الصحبة تطلق في عمومها بضوب من المجاز، وليس مطابقة، ولا حقيقة.

ومن حيث اختلاف المعتقد، فقد أطلق على الصاحبين الذين يختلفوا في المعتقد بضوب من التجوز لاحتمالها ذلك، لأن الصحبة في حقيقتها لا تعبر عن تطابق المتصاحبين في كل شيء لاستحالة حصول ذلك عمليا، وإنما الصحبة علاقات محكومة بحاجة أو بمصلحة أو بظرف من الظروف.

ولنا في هذا المجال ثلاث أمثلة وردت في القرآن الكريم:

المثال الأول:

قوله تعالى: "واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زراعا * كلتا الجنتين أنت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحلوهر أنا أكثر منك مالا وأعز نوا * ودخل لجنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خوا منها منقلبا * قال له صاحبه وهو يحلوهر أكفوت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * لئنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا * ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا * فعسى ربي أن يؤتينا خوا من جنتك ويوصل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا * أو يصبح مؤها غورا فلن تستطيع له طلبا * وأحيط بثوره

فاصبح يقرب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصوا * هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا * (17)

المثال الثاني:

قوله تعالى: " أصحابي السجن ألأباب متفوقون أم الله الواحد القهار". (18)

المثال الثالث:

قوله تعالى: " ما ضل صاحبكم وما غوى". (19) وقوله أيضا: " وما صاحبكم بمجنون". (20) وقوله تعالى أيضا: " ما بصاحبكم من جنة". (21)

دلت الآيات التي استعرضناها على أنه قد يطلق صاحب على سبيل المجاز لا الحقيقة على شخصين تصاحبا لسبب أو لمصلحة، قد يكونا مختلفين في معتقدهما وتصورهما، ولا ينفى ذلك من أن يتصفا بعلاقة واقعة بينهما وهي الصحبة. ففي الآية الأولى كان الحوار واضحا بين مستكبر أخذته الغرّة بالإثم فطغى، ومستضعف مؤمن بما قضاه الله تعالى وقوره له.

وفي الآية الثانية كان الحوار بين النبي يوسف عليه السلام في السجن وبين رجلين كافرين، لم يمنع كؤفهما من أن يكونا صاحبيه.

وفي الآيات الثلاث من المثال الثالث كان خطاب الله تعالى موجها إلى مشركي قريش الذين رنوا على الوحي النزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووصفوه بالضلال والجنون. ومع ذلك لم يمنع من أن يتصفوا بصفة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولو كان معنى الصحبة يفيد أكثر من ذلك لكانت الصفة خاصة بفئة معينة، ولما أطلقت على كل شيء. لذلك فإن المتأمل لما ورد في القرآن بخصوص الصحابة يبرك أن ذلك الجيل لم يكن متمزا عن غيره من الأجيال التي تلتها، لأن ظاهرة النوة والوحي غير مختص بهما وحده بقدر ما هو مشترك فيها مع غيره من أجيال البشرية التي تلت عصر النوة، بل هناك ما يؤكد على أنهم أناس عاديون جدا، لا تستدعي صحبتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كل ذلك التقديم والتبجيل لدرجة ربطهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ربطا لا ينفك أحدهما عن الآخر كأنهم مكملون للنوة، أو بدونهم لا يسلي النبي صلى الله عليه وآله شيئا.

لكن هل ورد في القرآن ما يفيد عصمتهم أو تمزهم عن غيره من الأجيال التي تلت عصر النوة؟

لقد جاء في القرآن الكريم ما يفيد أن الصحابة ليسوا سوى جيل عادي من الأجيال التي تعاقبت على الأرض ليس لهم ما يرفعهم على بقية الناس، حتى معاصرتهم لخاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيها ما يقدمهم على غيره بل فيها ما يؤمهم بعدم التفريط في ما كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يزيد في إقامة الحجة عليهم أكثر من غيره.

لم يمتدح المولى تعالى في كتابه غير القلة القليلة منهم ومن غيره منذ آدم إلى أن يورث الأرض ومن عليها، كما لم يحدثنا

عن تميز صحابة نبي بما حووه منذ أن أرسلهم.

كانت علاقتهم بالنبوة والوحي مهزوزة مرتابة ولم يكن حضورهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك الحضور الفاعل والمسؤول وسنعرض إلى عدد من الممرسات التي صدرت عن عدد منهم في شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة.

وفي هذا المجال أخرج مسلم بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال: نهتني قريش عن الكتابة عن رسول الله وقالت: انك تكتب عن رجل يتكلم في الغضب والرضا..."

لدليل أسوقه على إن جبهة الصحابة من قريش، وهم المهاجرون طبعاً، بما يمثلونه من زعامات ومصالح دعتهم إلى تبني ذلك الموقف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومما حدا بالنبي إلى الود عليهم جميعاً بقوله: " أكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج مني إلا حق..."

لقد ورد في القرآن الكريم عدد من الآيات التي قد روى فيها غير المتدبر والعرف أنها تشمل كل الصحابة، والحال أنها خاصة في فئة قليلة من الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله قلباً وقالبا، نستعرضها كالاتي:
قال تعالى: " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم".⁽²²⁾

خصت الآية رضي الله تعالى في المؤمنين فقط دون غوهم والمؤمنون من المنظور الوأني قليلون، لقوله تعالى: " وقليل ما هم"⁽²³⁾ وقليل من عبادي الشكور"⁽²⁴⁾ و" وقالت الأعواب أمانا قل لم تؤمنوا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم".⁽²⁵⁾

متعلق باستتوار حالة التواصل والتفاعل معه. والآية الكريمة قد استثنت من رضي الله تعالى غير المؤمنين لأن غوهم لا يكون عمله عن يقين وإواك، ففي المسائل العبادية الأخرى كالصلاة والصوم والحج ونحوها، التي يأتي بها المسلم بنية القربة والعبودية لله قد يطرأ على تلك العبادات ما يفسدها كأن لا يقوم بحقها من صحة رُكان وحضور قلب فلا تقبل. على أن الآية الثانية قد أفادتنا بأنه قد ينكث ناكث ممن بايع تحت الشجرة، ونهبت على ظاهرة قد تطرأ في مستقبل المبايعين.

قال تعالى: "إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه".⁽²⁶⁾

ثم نهبت آية أخرى على خطورة النكث وإمكان حصوله حتى من الصحابة الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة.

قال تعالى: "وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً".⁽²⁷⁾

على أن آيات المدح والرضى من الله تعالى بشأن المؤمنين سواء كانوا صحابة أو غوهم من الأجيال التي تلتهم خاضعة لقاعدة حسن الختام والامتثال لأوامر الله تعالى ونواهيه حتى آخر لحظة من حياتهم.

قال تعالى: " من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً".⁽²⁸⁾

مع ما تحمله الآية من ضمان بعدم تبديل أولئك الرجال من المؤمنين وحسن خاتمة المنتظرين منهم.

وفي آية الردة والانقلاب وأحاديث الحوض ما يكفينا مؤونة القول بأن ما حيك حول الصحابة من قداسة وتعظيم لا يتفق مع أكثرهم، وهذا ليس رأبي، إنما أنا تابع فيه لرأي الله تعالى ورسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالى: "محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة والإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلض على سوقه يعجب الزراع ليغيض بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما".⁽²⁹⁾

تحدثت الآية الكريمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الذين معه وعددت لهم من الصفات والخصائص الجليلة والعظيمة ما يوجب عدم اتصاف الذين معه بها جميعا، لأن الآية عادت إلى التخصيص في نهايته بعد التعميم في بدايتها بالقول: "وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما".⁽³⁰⁾

ودل الوصف في الآية أن الخصائص المذكورة عائدة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلص صحابته وأتباعه وليست لكل الصحابة لأنه من غير الممكن أن يكون الناس جميعا على مستوى إيماني واحد. على أن هنالك دلالات قرآنية أخرى تدعم هذا الرأي أثرت مسألة ردة الصحابة عند فورهم من الزحف في حنين. قال تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الوسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه لن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين".⁽³¹⁾

لقد تولت الآية عندما فر جل الصحابة من المعركة تركين النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بضعة من خلص المؤمنين مستميتين في الذب والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومع احتمال قتله، احتملت موته صلى الله عليه وآله وسلم أيضا، طرحة مسألة رتداد الصحابة بعده، قد تستغرب عندما تقف على معنى الآية والقصد منه ولكن استغرابك سيؤول حتما إذا ماراجعت أحاديث الحوض التي طفحت بها كتب هؤلاء المقدسين للصحابة إلى لوجة لم يعد معها شك في أن ردتهم هي حقيقة أخفيت عنا بفعل تدليس روايات التزيخ والسكوت عن الكثير منها. غير أن ما جاءنا من تلك الروايات كان كافيا لفك لغز طالما أخفاه عنا المزكون للصحابة، رغم أن تلك الروايات قد دونتها كتبهم لكنهم لم يعطوها القيمة التي يتصور منها أنها ستأتي على معتقدهم في الصحابة، وإلا لما كانوا رروها أصلا.

أخرج الحفاظ كلهم عددا من الروايات بخصوص حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة فمسلم مثلا أخرج 12 رواية تحدثت عن ردة الصحابة نذكر منها أربع روايات.

الرواية الأولى:

عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لوردن علي الحوض رجال ممن صاحبي حتى إذارأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا بوني فلاقولن أي رب أصحابي أصحابي فليقالن لي انك لا تنوي ما أحدثوا بعدك".⁽³²⁾

الرواية الثانية:

أخرج الطواني بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "لوفعن لي رجال من أصحابي حتى إذارأيتهم

اختلجوا بوني فأقول أصحابي، فيقال: انك لا تروي ما أحدثوا بعدك". وفي رواية أخرى "أقول سحقا لمن غير بعدي".

الرواية الثالثة:

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "بينما أنا قائم جاءت زمرة فحال رجل بيني وبينهم فقال هلم قلت أين قال إلى النار والله، فقلت وما شأنهم فقال انهم رتوا بعدك على أدبهم القهوى، ثم إذا زمرة حتى إذا جاءت حال رجل بيني وبينهم، فيقول: هلم، فأقول: أين؟ فيقول إلى النار والله. فأقول وما شأنهم؟ فيقول: انهم ما فتوا يرتون بعدك على أدبهم القهوى (وفي الثالثة يقول صلى الله عليه وآله): " فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم".⁽³⁴⁾

الرواية الرابعة:

قال صلى الله عليه وآله: " إن في أصحابي اثني عشر منافقا، منهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل من سم الخياط".⁽³⁵⁾

وأحاديث الحوض هذه هي الشلحة لآيات الكتاب العزيز بخصوص الذين صاحوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، على أنه يوجد في القرآن أيضا آيات تزلت بخصوص الصحابة منها ما فيه إطراء وشكر ومنها ما فيه خلافه، بل هناك من الآيات ما يثير السخط والاستنكار واللعن، لأن اللعن عبادة وتعبير عن الواءة من المخالفين لأوامر الله ونواهيه، وعدو الله ورسوله وآله الأطهار والمؤمنين الأخيار يجب لعنه، لقوله تعالى: "إن الذين يكتُمون ما أتونا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون".⁽³⁶⁾

وهذا لعن صادر حتى من الذين يتأفون من اللعن كأنما هو جريمة والحال أن الله تعالى أمر به ليس هذا فقط إنما حتى الذين يرفضون اللعن كتب عليهم ربهم اللعن رغم أنوفهم، لقوله تعالى: "أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". وقوله أيضا: "والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار".⁽³⁷⁾ على أن اللعن الصادر عن الله تعالى لم يكن موجها للكفار والمشركين فقط، فالكاذب والظالم والناقض للميثاق وقاطع الرحم، خصوصاً رحم النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين أوجب الله تعالى علينا مودتهم، والمفسد في الأرض ملعونون في كتاب الله، ويجب لعنهم، وفي ذلك كله دليل كاف على أن اللعن عبادة، فيها الواءة من الذين يعاونون الله ورسوله ويحرفون دستوره.

آيات الشكر والمدح لبعض الصحابة لا يمكن أن تفصح عن أصحابها لأنه قد لحقت بالروايات المبينة لهم عمليات حرق ومنع قام بها ابن أبي قحافة وابن الخطاب تحت عنوان خشية اختلاطها بالقرآن، وهو توير لا أساس له لا ينطلي إلا على أصحاب العقول الجامدة، ثم جاء التعريف الكبير الذي قام به ابن أبي سفيان، فانقلبت الحقائق حتى أصبحت، الحالة الشاذة من بين الروايات الموضوعية، وعض أن يكون الصحابة المقدمون عند الله ورسوله وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام هم الذين يعتمدهم الناس ويحترمونهم ويجلونهم.

لقد كانت حادثة السقيفة المؤسس لحركة التعريف التي طالت كل شيء بعد ذلك وفي أحضانها تربي التتود والعصيان

والحواة على الله ورسوله، وكان نتاجها انواط أمر الحكومة الإسلامية وغيوبة الثقافة المتصلة بها عند أكثر المسلمين، الذين كانوا يقنعون بما يلقى إليهم من أنظمة الظلم والجور، فلا يحركون ساكنا خوفا على أنفسهم ومصالحهم الدنيوية، أما دينهم فليس مهما طالما أنهم يقتاتون فضلات أسيادهم.

ثم إن العجيب والغريب في أمر أغلب أفراد هذه الأمة أنهم يديرون ظهرهم للحقيقة التي تقول بأن الاصطفاء سنة إلهية لا يمكنها أن تتبدل في هذه الوسالة الخاتمة، لأن النرية التي بعضها من بعض مستورة إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها، وهي في أهل البيت الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهرا، لا في غوهم ممن جرت نعمتهم عليه. إن المتأمل في ما جاء من آيات قرآنية نزلت بخصوص الصحابة ذامة ومنددة بتصرفات الكثيرين منهم وما نقل رواة الذين اتخنوا من حب الصحابة جميعهم وسيلة إلى الله تعالى وسببا إلى مرضاته من حياة الصحابة وقائع تقيم الدليل على أن أكثرهم كان أبعد ما يكون عن الرسول صلى الله عليه وآله وعن الإسلام ككل، وما تشكيكهم في كلام النبي وأوامره ونواهيه إلا دليل على بواطن مازالت تحوي الشر والشك في النبي صلى الله عليه وآله وفي دينه.

ولن نمر من هنا قبل أن نبين بعض ما جاء في الصحابة من ذم وتدنيد ولو لم يكن هناك غير آية الارتداد لكفت حجة. قال تعالى: "يخلفون بالله أنهم لمنكم".⁽³⁸⁾

وقال أيضا: "ومنهم الذين يؤنون النبي".⁽³⁹⁾

وقال أيضا: "ومنهم من يلمزك في الصدقات".⁽⁴⁰⁾

وقال أيضا: "ومن حولكم من الأعداء منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم".⁽⁴¹⁾

وقال أيضا: "وآخرون اعتروا بذنوبهم خطوا عملا صالحا وآخر سيئا".⁽⁴²⁾

وقال أيضا: "وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم".⁽⁴³⁾

وقال أيضا: "والذين اتخنوا مسجدا ضورا وكفوا وتقويا بين المؤمنين".⁽⁴⁴⁾

الآيات القرآنية عديدة في شأن الصحابة لا يتسع لها المجال، فيكفي ما أوردناه ليكون دليلا على أن كل الذين تكلم عنهم الوحي هم صحابة النبي لأنهم من عصوره وصحوة زمانا ومكانا، وليس هناك اصطلاح آخر يمكن أن نعرفهم به غير تسمية (صحابه).

أما وجه الفضل فيهم فقد قلب رأسا على عقب واصبح السيد عبدا والذي لا يسلي فلسا واحدا قام عليه الدين. فجلة الصحابة الذين كان لهم فعلا الأثر في فهم الإسلام والتقيده به ونشر تعاليمه والدفاع عنه كسلمان الذي لو اطلعت على حياته لعجبت من جود هذه الأمة له، وأبي ذر الغفري الذي عرف الله وحده قبل أن يأخذه الإمام علي عليه السلام إلى رسول الله والحال أن المقدمون من الصحابة عند هلاء العامة مازالوا عاكفين على الأصنام يعبدونها، وعلى الموبقات يفعلونها.

رغم أن علم الحرح والتعديل جاء متأخرا عن عصر التنوين شأن التنوين الذي تأخر عن عصر النبي صلى الله عليه وآله بتخطيط من الغاصبين للحكم، ورغم أن علماء لم يسلموا من مرض عضال اسمه التعصب للمذهب، فانه قد استطاع أن يزيح

الغموض عن حقيقة أكثر روايات فضائل الصحابة، بما نقل من طعون في روايتها، أسقطتها وتلفيقها عليهم.

ولو أن علماء الجرح والتعديل كانت لهم الجرأة واقتحموا معقل الصحابة فأعطوا رأيهم العادل في عدد منهم لسقط جانب آخر من الروايات التي لا تزال ترى النور هي في الحقيقة بدع وضلالات، غير أن الحاصل أنهم كلهم أجمعوا على عدالتهم فلم يجرأ أحد على قول الحق فيهم، جريا على سنة الأمويين، فقالوا: "الصحابة بساطهم مطوي وان جرى ما جرى وان غلطوا كما غلط غورهم فانهم من النقاة".⁽⁴⁵⁾ لكنهم مع ذلك يفوقون بينهم، فالخلفاء الثلاثة الأوائل ومن تبعهم هم خيار الصحابة، ويوردون قول ابن عمر: "إننا كنا نفاضل صحابة رسول الله فنفضل أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم يسقوي الناس".⁽⁴⁶⁾

كأنما كلامه هذا من القول الفصل، والميزان الذي لا وازع، أما الإمام علي وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم في نظر هؤلاء يستقون مع الناس. إنها السياسة التي حكمت في رقاب الأجيال الأولى من المسلمين هي التي كانت تحض على ذلك الرأى وتعاقب مخالفه بأقسى العقوبات، لأنها كانت غاصبة للسلطة، وليس لها من سبيل سوى التضليل، وإبعاد المسلمين عن الحق والوجهة الصحيحة التي يجب سلوكها في الدين.

البخري هو مقدم علماء الجرح والتعديل عندهم، لو سألت أحدا منهم لماذا قدم البخري على غيره؟ ومن هو حقيقة هذا الرجل؟ لما جروا لك جوابا مقنعا، ذلك لأنهم مقلدون وراثية وبلا أدنى علم، قالوا بأن الأمة قد تلقتة بالقبول والتسليم، ومن روى له فقد اجتاز القنطرة كما هو رأي الذهبي مثلا. مع أن البخري هذا لا يمتاز عن غيره في شيء، اللهم إلا في امتناعه من الرواية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقطعه لمتون الأحاديث بدعى التوييب، مما حدا بأنظمة تلك العصور أن تعتمد كتابه وكتب من سلك نهجه ممن تسوا بأصحاب الصحاح ككتب روائية وحيدة دون غيرها ممن تفوق عليها، وكان أصحابها أساتذة لمنتهم. فالرواية عن أهل البيت رفض ومعرضة للسلطة التي كانت ترى أن أهل البيت عليهم السلام يشكلون خطرا على كراسيهم وحكوماتهم التي لا تعرف للعدل طريقا ولا للإسلام ديننا سوى تلك الصلاة التي يتفنع بها هذا الظالم وذاك. فكان السعي من هؤلاء جميعا إلى الحيلولة دون وصول الجماهير المسلمة إلى النبع الصافي والمنهل الروي، فيكتشفون معنى الولاية وحقيقة أولي الأمر الربانيين، فيكون بذلك انكشافهم وافتضحهم، ومن ثم ثورة المسلمين عليهم وخلعهم عن سلطانهم.

لقد فضح الحفاظ بعضهم، فذكر علماء الجرح منهم رواة متهمين بالوضع والتدليس وبفساد العقيدة الكفرية والمجسمة والوجنة والخورج كل هؤلاء روى عنهم أصحاب الكتب الستة.

هذا من حيث سند الرواية ومكانها، أما من حيث المتن والمحوى فان الفضائل التي ألصقت بالصحابة عموما وبالخلفاء الثلاثة الأوائل خصوصا فقد كانت من إيعاز الطليق معاوية بن أبي سفيان ومن أعانه على جرمه العظيم عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وسوسة بن جندب وأبو هريرة وغورهم، وقد أشرت إلى ما دونه التاريخ بشأن تلك المصيبة التي أسس لها وتبعه عليها من جاء من ورائه من بني أمية طيلة فترة حكمهم (82 سنة وضعا لأحاديث الفضائل الزعومة وسبا للإمام علي وأهل بيته عليهم السلام)

من ذلك الجرح جاءت رواية العشرة المبثورة بالجنة ورواية أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ورواية عليكم بسنتي

وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي... ومع اختلاف الحفاظ ومن جاء بعدهم وطعنهم في صحة تلك الروايات كود الزوار وابن حنبل وابن خرم وابن تيمية على رواية أصحابي كالنجوم بأنها لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم⁽⁴⁷⁾ فان جانباً هاماً من الأمة لا زال عاكفاً على تلك المرويات كعكوف بني إسرائيل على العجل، دون إمعان نظر ولا روية بحث، كأنما الدين وراثته لا علم فيه.

على أنه لا بأس من التعرّيج على تلك الروايات للوقوف على تهاافتها واجتثاثها. أما رواية العشرة المبشورة بالجنة، فهي لا تصح لسببين.

الأول:

من حيث المتن لم يعتمد أكثر الحفاظ المعتد بهم في خط الصحابة هاتين الروايتين لضعف سنيدهما من جهة، ولاختلافهما في العشرة المبشورة بين أبو عبيدة عامر بن الجراح في رواية وبين عبد الله بن مسعود في الثانية، فاختلف عدد العشرة من تلك الناحية.

الثاني:

وهو أن العشرة (الأحدا عشر في واقع الروايتين) اختلفوا بينهم لحد الحرب والافتتال ومات من مات منهم مقاتلاً صاحبه كما هو شأن طلحة بن عبد الله الذي آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل فقال عند نزول آية الحجاب: ما ينفع محمداً نزول الحجاب غدا يموت وأتزوج فلانة (عائشة).⁽⁴⁸⁾ والوزير بن العوام وابنه عبد الله الذي أخرج خالته عائشة على جمل لمحاربة الإمام المفروض الطاعة بالشورى الصحيحة وبالنص من الله تعالى كذلك، ولو كان لهؤلاء قوة من دين لما اقتحموا مجالاً يؤدي إلى الفتنة وإلى غضب الله تعالى، فهل بعد هذا جنة لهؤلاء؟

أما رواية عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، فهي لا تصح أيضاً لأن الخلفاء المذكورين لم تكن لهم سنة واحدة، واختلفوا فيما بينهم، وقد عرض الحكم على الإمام علي عليه السلام شريطة أن يتقيد بسنة أبي بكر وعمر فرفض قائلاً: بل تبايعني على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي". وقبلها عثمان بن عفان، لكنه سوعان ما خالف ما أعطى من شرط فقتله الصحابة في ثورة بالمدينة وبعد حصرين وبأس من أنه سيثوب إلى رشده. وبقي ملقى في بيته ثلاثة أيام ولم يدفن إلا ليلاً وخرج البقيع في حش كوكب مكان كان يهود المدينة يدفنون فيه موتاهم،⁽⁴⁹⁾ لسبب واحد وهو أنهم اعتبروا عثمان محدثاً في الدين وموتداً عنه، ذلك الذي نقلوا عنه أنه تستحي منه الملائكة في رواية مخزية نسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولفقوا عليه بأنه لا يستحي من الملائكة ولا من الناس الداخلين عليه ويستحي من عثمان بمجرد الدخول عليه فيسوي ثيابه ويستتر فخذيه، لأنه تستحي منه الملائكة. ألا لعنة الله على الكاذبين.⁽⁵⁰⁾

لم أجد في كتب اتباع خط الصحابة نصاً واحداً صحيحاً يوجب اتباع الصحابة ولا تقديسهم ولا يؤشر إلى الموقع العالي الذي أحلوه فيه كل ما وجدناه عدد من الروايات المتناقضة فيما بينها ما يؤكد وضعها من قبل معاوية بن أبي سفيان وبني أمية من بعده، فرواية لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً.⁽⁵¹⁾

هي من ذلك الجم من الروايات الموضوعة في ذلك العهد، فمن حيث السند نجد عددا من الرواة الذين كشف حالهم وظهرت علاماتهم وفاحت رائحتهم مما دعا إلى توجيح وضع الحديث هذا من ناحية، أما من حيث المتن فإن الرواية لا تفيد شيئا، لأن الاتخاذ الزعوم لم يقع حتى التفكير فيه علاوة على حصوله من ناحية أخرى، ولقد ثبت وصح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد آخى بينه وبين الإمام علي عليه السلام في المؤاخاتين⁽⁵²⁾ ، الأولى في مكة قبل الهجرة، والثانية في المدينة بعدها وقد صوح بها غير واحد من الحفاظ وأصحاب السير كالحلبي في سيرته التي جاء فيها أن رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار، وقال في كل واحدة منها لعلي: "أنت أخي في الدنيا والآخرة". ولو كان في رواية "لو كنت متخذًا خليلاً" هذه شئ من الصحة لفاز أبو بكر بالمؤاخاة بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لكن شيئا من ذلك لم يحصل فثبت بطلان الدعوى، ومن جهة أخرى فإن المطالب لا يؤخذ بالتمني ولا أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن استعمل هذا المصطلح الغريب عن النوة، فيكفي الرواية وهنا أنها لا تفيد أمرا معلوما حاصلًا كي نعتمده.

أما حادثة سد الأبواب فهي تؤكد عمليا وبشكل واضح على القيمة التي يشتمل عليها أهل البيت عليهم السلام، لقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبشكل عملي واضح أن الباب الذي يجب على المسلمين أن يأتوا إليه بعده هو الباب الذي لم يأمر بسده، ولم يكن بمغول عن الوحي. فمن جهة نجد الرواية الصحيحة التي تقول أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر بسد الأبواب المطللة على المسجد إلا بابه وباب علي عليه السلام. ومن جهة أخرى نجد رواية سد الأبواب إلا باب أبي بكر، وعليه فإن النص التاريخي الذي رووه في شأن الأمويين الذين كان همهم الأكبر بعد أن استتب لهم الأمر تغييب الصورة الحقيقية لأهل البيت عليهم السلام بقلب الحقائق ونسبة فضائل الهداة من أهل البيت عليهم السلام لغروهم وإحلالهم محلهم، وهو ما تم فعلا وهذه الرواية هي عينة أخرى على قلب المفاهيم لدى الأنظمة الطاغية. فمن جهة السند نجد عددا من الكذابين والضعفاء كنهشل بن سعيد البصري الذي قال فيه أسحاق بن راهويه: كان كذابا وقال فيه النسائي وابن أبي حاتم: متروك. ويحي والدرقطني: ضعيف⁽⁵³⁾ وكداود بن يزيد الأودي الكوفي الذي ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم وأبو داود، وقال فيه النسائي: ليس بثقة، وقال فيه ابن معين ليس بشئ⁽⁵⁴⁾ وكعلي بن عبد الحميد الواسطي: الذي لم توجد له ترجمة وقال الهيثمي: لم أعرفه⁽⁵⁵⁾ أما يحي بن عبد الحميد الواسطي فقد أقر الذهبي بأنه شيعي بغيض، وأورد أن زياد بن أيوب قوله سمع يحي الحمانبي يقول: كان معاوية على غير ملة الإسلام. قال زياد كذب عدو الله.⁽⁵⁶⁾ والرواية عندهم وهي من هذا السند ملفقة على يحي لأن عقيدته في الأئمة من أهل البيت وليست في الصحابة، فهو كما صوح الذهبي شيعي ونعته بأنه بغيض كما يحلو له تعصبه بنعت فضلاء الشيعة وعلمائهم بشتى النعوت التي لا تتفق مع مقام الرجل. ومن جهة المتن فإن حديث المتولة الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام واتفق الجميع على صحة ورودها وحتى تواترها: "أنت مني بمقولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي".⁽⁵⁷⁾

هذا الحديث يفيد أن الباب الذي يجب أن يبقى مفتوحا في حادثة سد الأبواب هو باب علي عليه السلام وليس باب أبي بكر، لأنه مقولة من تلك المنزل التي تحدث عنها القرآن الكريم فقال: "وَإِذْ أُوحِينا إلى موسى وأخيه أن توءا لقومكما بمصر بيوتا"⁽⁵⁸⁾

واجعلوا بيوتكم قبلة".

مضافا إلى آية التطهير الخاصة بأهل البيت عليهم السلام (59) لأنهم معدن النبي وأصله والثابتون على شريعته بشكل لا يضاهيه ثبات آخر ولا تفاعل آخر.

لقد تصدى الأئمة الأطهار لظاهرة الأحاديث الموضوعة التي انتشرت بدعم من السلط الغاشمة، التي كانت تحت القصاص على روايتها للناس في المساجد فقد جاء عن الإمام التاسع لأهل البيت عليهم السلام وهو الإمام محمد بن علي الجواد ما يفيد ذلك، فقد اجتمع في مجلس المأمون العباسي جمع من العلماء فيهم يحي بن أكتم، فقال يحي بن أكتم: ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي يروى انه قول جوائيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وقال له: يا محمد إن الله عز وجل يقولك السلام ويقول لك سل أبا بكر هل هو عني راض، فاني عن راض؟ فقال الإمام: يجب على صاحب الخبر أن يأخذ الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع بعين الاعتبار: "لقد كثرت علي الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به. وهذا الخبر لا يوافق كتاب الله، قال تعالى: " ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد". فالله سبحانه خفي عليه رضى أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سوه هذا مستحيل في العقول. ثم قال يحي بن أكتم: لقد روي أن مثل أبا بكر وعمر في الأرض كمثل جوائيل وميكائيل في السماء. فقال الإمام عليه السلام: وهذا أيضا يجب أن ينظر فيه، لأن جبريل وميكائيل ملكان مقربان لم يعصيا الله قط، ولم يفارقا طاعته لخطيئة واحدة وهما قد أشوكا بالله عز وجل وان أسلما بعد الشوك ولكن أكثر أيامهما كانت على الشوك فمحال أن يشبههما بهما.

فقال يحي بن أكتم: وقد روي أيضا أنهما سيدا كهول أهل الجنة فما تقول يا أبا جعفر؟ فقال عليه السلام: وهذا الخبر لا صحة له أيضا لأن الجنة ليس فيها كهول وشيوخ وقد وضع هذا الخبر بنو أمية في مقابل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين وأنهما سيدا شباب أهل الجنة.

فقال يحي بن أكتم: وروي أن عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة. فقال عليه السلام وهذا أيضا محال، لأن في الجنة ملائكة الله المقربين وآدم ومحمد وجميع الأنبياء والموسلين لا تضيئ الجنة بأولهم حتى تضيئ بنور عمر.

فقال يحي بن أكتم: وقد روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لو لم أبعث لبعث عمر. فقال عليه السلام: كتاب الله أصدق من هذا الحديث، يقول الله في كتابه: "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن فوح". فقد أخذ الله ميثاق النبيين، فكيف يمكن أن يبدل ميثاقه، وكل الأنبياء لم يشكوا بالله طرفة عين، كيف يبعث بالنبوة من أشوك وكان أكثر أيامه مع الشوك؟ وقال رسول الله: "نبئت وآدم بين الروح والجسد. فقال يحي بن أكتم: وقد روي أيضا أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ما احتبس عني الوحي قط إلا ظننته قول على آل الخطاب. فقال عليه السلام: وهذا أيضا محال لأنه لا يجوز أن يشك النبي صلى الله عليه

وآله في نبوته. قال تعالى: "

الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس". فكيف يمكن أن تنتقل النوبة ممن اصطفاه الله تعالى إلى من أشرك به؟ قال يحي: روي أن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو تور العذاب لما نجا منه إلا عمر. فقال عليه السلام: وهذا محال أيضا لأن الله تعالى يقول: "وما كان الله معذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون". فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحدا ما دام فيهم رسول الله وما داموا يستغفرون. (60)

وعليه فإنه قد ذهب عهد القصة والقصاصين الذي كان يميز المجتمعات الإسلامية القديمة، التي لم يكن لديها إمكانية البحث والتميز وتوجيه السليم من الروايات على سقيمتها.

إن القيمة الثابتة التي كان على الصحابة أنفسهم وجوب اتباعها بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي قيمة أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب عنهم المولى سبحانه وتعالى الرجس وطوهم تطهروا. فمن اتبع منهم العزة الطاهرة فقد مضى على بينة من أمره، لم يغير ولم يبدل شأنه شأن سلمان وعمار وأبي ذر والمقداد، وغوهم من الذين ثبتوا على أمر الله تعالى ووصية نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في شأنهم، ومن تكذب عنهم أو حاربهم أو حتى سكت عنهم، فهو زانغ ثم إن السنة الواجب اتباعها سنة واحدة، هي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى أئمة أهل البيت المفوضي الطاعة، لم يطحوا أنفسهم بديلا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما هو الشأن بخصوص الدعوة إلى العمل بسنة الصحابة كما في الرواية عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، إنما هم فيها ناقلون ومقتفون أثره، لذلك كانوا يرجعون كل أمر إلى علوم رسول الله التي ورثها عنه كقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: "حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين بن علي وحديث الحسين بن علي بن أبي طالب وحديث علي بن أبي طالب حديث رسول الله صلى الله عليه وآله".

تلك هي سلسلة الاصطفاء الواجب الأخذ عنها واتباعها نون غوها من سلاسل الشبهة والتعريف، وحسب رأي كل منصف أنتبع من زكاه الله تعالى وطوهم أم من لا نعوف حاله على وجه اليقين؟

علاقة الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن بالمتينة التي يسودها الوثام والاحترام، فقد تخللتها تصرفات غريبة، لا تعطي لفاعلها انطبعا حسنا، بل تضعه في خانة التهمة وتصنفه في مقام المنافقين من صحابة رسول الله وما أكثرهم إذا عددنا تلك التصرفات وما أقل عددهم إذا حسبناهم بالاسم، وكيف يمكننا أن نحصيهم وقد قال الله تعالى لرسوله: "لا تعلمهم نحن نعلمهم". ومع ذلك يجب علينا حبا في الله وفي رسوله أن نفصح مملساتهم مع النبي صلى الله عليه وآله لأنها لم تكن بريئة ولا عن غير قصد بل كان مخططا لها تخطيطا محكما.

ولست هنا في موضع التعديد لكل ما صدر عن هؤلاء الصحابة، لأن المجال لا يتسع لذلك من ناحية، ولأن ما عفى عنه التاريخ من تلك الحرائم ومقترفها أكثر بكثير مما سجله من ناحية أخرى. لكنني سلّو جز بعض المواقف التي بقيت شاهدا على جنایات هؤلاء الذين لقيوا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله، وألوهم محل الهداة من أهل البيت عليهم السلام.

الموقف الأول: صلح الحديبية

أخرج البخاري: فلما فرغ النبي (ص) من الكتاب قال لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا فما قام منهم رجل، قال ذلك ثلاث مرات. أما الحلبي فقد نقل: أن عمر جعل يرد على رسول الله (ص) الكلام فقال له أبو عبيدة: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم".⁽⁶¹⁾

وأخرج ابن هشام في سيرته تحت عنوان عمر يستنكر الصلح ويتوب بعد ذلك:
"فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب، وثب عمر بن الخطاب فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر أليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنيا في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر أزم غزه فاني أشهد أنه رسول الله، قال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله. ثم أتى رسول الله (ص) فقال:
يا رسول الله ألسنت برسول الله؟ قال: بلى. قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدنيا في دننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعني. فكان عمر يقول ملئت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خرا.⁽⁶¹⁾

الموقف الثاني: رزية الخميس

روى الحفاظ والمؤرخون وأصحاب السير باتفاق ودون تردد أحد منهم ما يلي:
عن سعيد بن جبير انه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى بل دمه
الحصى قلت له: يا ابن عباس ما يوم الخميس؟ قال اشنت برسول الله (ص) وجعه فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلوا
بعده أبدا. فتنزلوا ولا ينبغي عندني تنزل. فقالوا: ماله أهجر استفهموه؟
وفي رواية أخرى، قال عمر: إن النبي (ص) غلبه الوجد وعندنا كتاب الله حسينا. فاختلوا وأكثروا اللغط. قال: قوموا عني
لا ينبغي عندي التنزل. فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين كتابه.⁽⁶²⁾
ولئن سكت أتباع خط الصحابة عن الحادثة رغم أنهم رووها في جميع كتبهم الروائية سواء كانت مجاميع أحاديث أم كتب
تاريخ وسورة، إلا أنهم غضوا الطرف عن تناول ما جاء فيها تغطية على عمر وحزبه. فهل قوا هؤلاء جميعا قوله تعالى:
"فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب عظيم".⁽⁶³⁾
ألم يقولوا: "ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت
مصرا".⁽⁶⁴⁾

ألم يكن لديهم عقيدة بأن كل ما ينطق به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو من الله تعالى لقوله: "وما ينطق عن
الهي إلا وحى يوحى".⁽⁶⁵⁾

ألم يأمرهم الله تعالى بأن يأخروا كل ما يأتيهم به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: "وما أتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا".⁽⁶⁶⁾

وقوله تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في أنفسهم حرجا فيما قضيت ويسلموا
⁽⁶⁷⁾

ألم ينههم الله تعالى عن تجاوز مقامه الشريف والتعامل معه بمنتهى التسليم: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون".⁽⁶⁸⁾

ماذا كان قصد عمر وحزبه الذي ينعى في الغالب بقريش في تلك الحادثة مصطلح قريش هذا هو الذي يوضع عندما واد التستر على أشخاص وعدم ذكر أسمائهم للضرر الذي سيحصل لهم عند المسلمين من جراء ذلك؟ ألا ترون أن المسألة هي من الخطورة بما كانت؟ وهل كان مقام عمر أنذاك في المدينة وفي حرة النبي صلى الله عليه وآله أم في جيش أسامة المعسكر خرجها تهيئاً لغزو الروم؟ وكيف يحق لهؤلاء الاجتزاء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم في عقر داره؟ أسئلة أضعها بين يدي من كان يريد الله ورسوله، وورغب فعلا في تصحيح عقيدته في الدين ككل.

ومع ذلك تمضي غيرتهم على عمر وعلى من شاكله ممن كانوا يؤنون النبي صلى الله عليه وآله في كل مناسبة فلا يقبلون فيهم شيئا كأنما هم شيء فوق الشريعة والنبي صلى الله عليه وآله، ومقابل ذلك يقبلون في النبي صلى الله عليه وآله كل شيء وينعتونه بكل شيء، ونتساءل أحيانا ونحن في غفلة من هذا لماذا لم تنهض أمة الآلام؟ وكيف تنهض وهي على هذه الحال من المعتقد الفاسد.

الموقف الثالث: مؤامرة تبوك

أخرج الحلبي عن حذيفة قال: كنت ليلة العقبة آخذاً بخطام ناقه رسول الله (ص) أقود به وعمار بن ياسر يسوقه، أو أنا أسوقه وعمار يقوده، أي يتناوبان ذلك فبينما رسول الله (ص) يسير في العقبة إذ سمع حس القوم قد غشوه، فنفت ناقه رسول الله (ص) حتى سقط بعض متاعه، فغضب رسول الله (ص) وأمر حذيفة أن يردهم فوجع حذيفة إليهم وقدرأى غضب رسول الله (ص) ومعه محجن فجعل يضرب به وجه رواحلهم، وقال إليكم إليكم يا أعداء الله، فإذا هم ملثمين. وفي رواية أنه صوح بهم فولوا مدبرين، فعلموا أن رسول الله (ص) اطلع على مكومهم به فانحطوا من العالية مسوعين إلى بطن الوادي واختلطوا بالناس. وفي رواية أخرى أن حذيفة قال عرفت راحلة فلان وراحلة فلان (الأكيد أن حذيفة كان صوح بأسماء المتأمرين على قتل الرسول صلى الله عليه وآله غير أن هناك من كان يؤذيه افتضاح تلك الشخصيات فأمضى حضوه على مرورها إلى الناس مستعيضا بفلان عن ذكها. قال (ص) هل علمت ما كان من شأنهم وما رأوه فقال: لا، قال (ص): انهم مكروا ليسيروا معي في العقبة فزحمتوني فيطوحوني منها، لكن الله أخبرني بهم وبمكروهم، وسأخبركم بهم..."⁽⁶⁹⁾

الموقف الرابع: التمرد على أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخروج مع أسامة لمحاربة الروم.

أجمع أصحاب التورايخ والسير أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر أسامة بن زيد مولاه وكان عمره 18 سنة على أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، وعقد له لواء بيديه الشريفتين، وحث الناس على الخروج إلى قتال الروم، كان ذلك لأربع ليال بقين من شهر صفر سنة 11 للهجرة. لكن الناس تناقروا وأظهروا التمرد والعصيان، حتى طعنوا في تأموره لأسامة.

فخرج إليهم مغضبا، معصب الرأس متدثرا قطيفة، محموما وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول قبل وفاته ببومين. فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأموري أسامة، ولئن طعنتم في تأموري أسامة فقد طعنتم في تأموري أباه من قبله، وأيم الله انه كان لخليقا بالإمارة وان ابنه من بعده لخليق بها".⁽⁷⁰⁾ أما استخفافهم بالدين فظاهر من خلال ما جاء عنهم من روايات ثابتة عن تصورات صرت عنهم تجاه النبي صلى الله عليه وآله، لم يقيموا له من خلالها وزنا.

الرواية الأولى: انفضاضهم عنه وهو يخطب خطبة الجمعة

عن جابر بن عبد الله قال: أقبلت عبر من الشام تحمل طعاما ونحن نصلي مع النبي (ص) الجمعة، فانفض الناس إلا اثني عشر رجلا. فترلت الآية⁽⁷¹⁾

الرواية الثانية: ألهانا عنه الصفق بالأسواق

أخرج البخاري بإسناده: استأذن أبو موسى على عمر فكأنه وجده مشغولا فوجع، فقاتل عمر: ألم تسمع صوت عبد الله بن قيس انذونا له، فدعي له فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: إنا كنا نؤمر بهذا، فقال عمر: فأنتي على هذا ببينة أو لأفعلن بك، فانطلق إلى مجلس الأنصار فقالوا لا يشهد إلا أصاغونا، فقام أبو سعيد الخوي، فقال: قد كنا نؤمر بهذا. فقال عمر: خفي علي هذا من أمر النبي (ص)، ألهاني عنه الصفق بالأسواق.⁽⁷²⁾

وفي رواية أخرى: اختلف عمر مرة مع أبي بن كعب وأنكر عليه قواعده، فد عليه أبي: يا عمر انه كان يلهيني القآن ويلهيك الصفق بالأسواق.⁽⁷³⁾

الرواية الثالثة: حبصهم لباب رسول الله (ص) بالحبصاء

أخرج مسلم بسنده قال: احتجر رسول الله (ص) حجرة بخصفة أو حصير فخرج رسول الله (ص) يصلي فيها. قال فنتبع إليه رجال جاؤوا يصلون بصلاته. ثم جاؤوا ليلة فحضرُوا وأبأ رسول الله (ص) عنهم. قال فلم يخرج إليهم، فوفعوا أصواتهم وحصوا الباب. فخرج إليهم رسول الله (ص) مغضبا فقال لهم رسول الله (ص): ما زال بكم صنيعكم حتى ضننت أنه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فان خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة.⁽⁷⁴⁾

الرواية الرابعة: تشاؤهم بين يديه

أخرج البخاري: أن رسول الله (ص) قال: " من يعزني من رجل بلغني أذاه في أهلي ". فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله أنا والله أعزك فيه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من اخوتنا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا، فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن منافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله (ص) على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكوا وسكت.⁽⁷⁵⁾

وفي نفس الإطار: كسح رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا

للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله (ص)، فقال ما بال دعوى الجاهلية؟ قالوا يا رسول الله كسح رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها إنها منتنة، فسمع ذلك عبد الله بن أبي، فقال: فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ النبي (ص)، فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي (ص): دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه".⁽⁷⁶⁾

الرواية الخامسة: فولهم بين يديه في أحد وحنين.

قال ابن جرير وابن الأثير في تزيخيهما: وانتهت الهزيمة بجماعة من المسلمين وفيهم عثمان بن عفان وغوه إلى الأعوص فأقاموا ثلاثا ثم أتوا النبي (ص) فقال لهم حين رأهم: "لقد ذهبتم فيها عويضة". وذكر أيضا أن أنس بن النضر انتهى إلى عمر وطلحة في رجال من المهاجرين قد ألقوا بأيديهم، فقال ما يحبسكم؟ فقالوا: قتل النبي (ص). قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ موتوا على ما مات عليه النبي، فاستقبل القوم فقاتلتهم حتى قتل فوجد به سبعون ضربة وطعنة وما عوفته إلا أخته.⁽⁷⁷⁾

ونقل البخاري عن أبي قتادة قال: انهزم المسلمون يوم حنين وانهمت معهم فإذا عمر بن الخطاب في الناس فقلت: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله.⁽⁷⁸⁾

عد الرواة والمؤرخون الذين ثبتوا مع رسول اله في أحد فكانوا اقل من عشرة أنفس.

جاء في غزوة أحد انه لما تناهى إلى آذان الناس (الصحابه) أن النبي صلى الله عليه وآله قد قتل، هربوا جميعا إلا نفر من بني هاشم فيهم الإمام علي عليه السلام، والتجأوا إلى الصخرة في الجبل، وقالوا: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان قبل أن يقتلونا. وقال غوهم: لو كان نبيا ما قتل رجعا إلى دينكم الأول. وقال آخرون: نلقي بأيدينا، فانهم قومنا وبنو عمنا.⁽⁷⁹⁾

ولم يقتصر فرار الصحابة بالغروتين المذكورتين ولا بأسباب الفوار التي غالبا ما تكون من أجل الخوف من القتل، بل تجلوزتهما إلى غزوة خيبر التي انهزم فيها الصحابة رغم تكرر حملاتهم وتعدد قياداتهم، فعمر مثلا كما جاء في تزيخ ابن الأثير انهزم ورجع يجبن أصحابه وهم يجبنونه، فما كان من النبي صلى الله عليه وآله إلا أن قال: "غدا أبعث الزاية مع رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كوار غير فرار ويفتح الله على يديه". وكان الأمر كذلك فمن الغد نادى عليا عليه السلام وأموه بأن يغدو على بركة الله، وفي ذلك دليل على أن غير الإمام علي لم يكن حبه متبادلا مع الله ورسوله. والى الخذلان التثبيط ففي حنين فر عشرة آلاف صحابي ولم يبق مع النبي سوى ثمانية من بني عبد المطلب، وتكرر الفوار في أكثر الغزوات على ما نقله أصحاب التوليف والسير من خط أتباع الصحابة.

الرواية السادسة: شربهم للخمر وعدم إقلاعهم عنه حتى نزل فيهم تهديد

أخرج الزوار بسنده عن أنس قال: كنت ساقى القوم تينا وزبيبا فخطنهما جميعا وكان في القوم رجل يقال له أبو بكر فلما

شرب قال:

أحيي أم بكر بالسلام وهل لك بعد قومك من سلام
يحدثنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أوصال وهام

فبلغ ذلك رسول الله (ص) فجاء فوجا يجرداءه من الوع حتى انتهى إليه فلما عاينه الرجل فوقع رسول الله (ص) شيئا كان بيده ليضربه، قال: أعوذ بالله من غضب الله ورسوله، إلى أن قال عمر: انتهينا انتهينا. (80)
أما جهلهم بأبسط المسائل اللغوية والفقهية فظاهر من روايتين:

الرواية الأولى: لا يعرف معنى فاكهة وأبا

أخرج السيوطي والطوي وغوه: وأ عمر على المنبر آية فاكهة وأبا فسأله رجل عن معنى الأب؟ فنفض عصا كانت في يده وقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا توي ما الأب؟ اتبعوا ما بين لكم هداة من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه. (81)

الرواية الثانية: عمر لا يصلي إذا أجنب ولم يجد ماء

أخرج مسلم بسنده أن رجلا أتى عمر فقال: إني أجنب فلم أجد ماء. فقال: لا تصل. فقال عمار: أما تذكر يا أمير..... إذ أنا وأنت في سوية فأجنبنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمعكت على التراب وصليت. فقال النبي (ص) إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض ثم تنفخ ثم تمسح بهما وجهك وكفيك. فقال عمر: اتق الله يا عمار. قال: إن شئت لم أحدث به. (82)

وقد ذهب ابنه عبد الله بن عمر ذلك المذهب الغريب من بعده، فقد نقل مسلم أيضا عن شقيق قال: كنت جالسا مع عبد الله بن عمر وأبي موسى الأشعري فقال أبو موسى يا أبا عبد الرحمن رأيت لو أن رجلا أجنب ولم يجد الماء شهوا كيف يصنع بالصلاة؟ فقال عبد الله: لا يتيمم وان لم يجد الماء شهوا. فقال أبو موسى فكيف بهذه الآية في سورة المائدة، فقال عبد الله: لو رخص لهم في هذه الآية لأوشك إذا برد عليهم الماء أن يتيمموا من الصعيد. (83)

تأمل قول ابن عمر وهو الذي يعد من أكبر رواة عن رسول الله بعد عائشة وأبي هريرة، والكلام راجع إلى عمر "لو رخص لهم" بمعنى أن الشريعة لعمر يتصرف فيها كيفما شاء وحسب فهمه وفراجه.
سطحية الكثيرين منهم تجلت في تعاملهم فيما بينهم وإزاء رسول الله صلى الله عليه وآله سلم، فقد نقل البخاري، وان نقلت عنه فعلى سبيل إقامة الحجة على من يعتمد هذا الكتاب المحشو بالكذب على الله ورسوله وإلا فإنه لا يؤمنني ولا يؤم كل من كانت وجهته الله تعالى ورسوله.

الصحابية يوحون من أجل الأكل لا من أجل لقاء رسول الله في خطبة الجمعة وأخذ ما يترودون به لآخرتهم.
عن سهل بن سعد قال: كنا نوح بيوم الجمعة كانت لنا عجوز تأخذ من أصول سلق لنا كنا نغرسه ربعائنا فتجعله في قدر لها فتجعل فيه حبات من شعير لا أعلم إلا أنه قال ليس فيه شحم ولا دك فإذا صلينا زناها فقربته إلينا فكنا نوح بيوم الجمعة

من أجل ذلك، وما كنا نتغذى ولا نقبل إلا بعد الجمعة.

ولا أجد في هذه الحالة إلا أن أحمد الله تعالى على أن هذه الروايات تضمنتها كتب أتباع الصحابة ولو كانت في كتب الشيعة وخدمهم لعظم البلاء.

لا خلاق لبعضهم

أخرج الحلبي عن مسلم بإسناده عن عائشة قالت: خرجت سودة بعدما ضرب علينا الحجاب، تقضي حاجتها، أي بالمناصع، محل كان أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم يخرجن إليه بالليل للترز، وكانت امرأة جسيمة فأما عمر بن الخطاب، فقال: يا سودة والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين. فانكفات راجعة، ورسول الله في بيتي ليتعشى وفي يده عرق فدخلت وقالت: يا رسول الله اني خرجت فقال لي عمر كذا وكذا. قالت فوحي الله تعالى إليه ثم رفع عنه وان العرق في يده ما وضعه. فقال انه قد أذن أن تخرجن لحاجتكن. (السورة الحلبية ج2 ص215) وعلل الحلبي موقف عمر بأن قوله كان حرصا على أن يتول الحجاب، كأنما هو أحرص من رسول الله صلى الله عليه وآله على نسائه، والحال أن الرواية التي نقلها تدحض حجته لأن في بدايتها تصويح بأن سودة خرجت بعدما ضرب عليهن الحجاب. فأبي اعتذار يصنعه لعمر؟ وما دخل عمر في أزواج النبي؟ ألم يكن حوي به أن يتجنب الوقوف في مكان يؤدي إلى موضع تبرز نساء النبي صلى الله عليه وآله، لكن ما بالطبع لا يتطبع، ومن شب على شيء شاب عليه، وبعد هذا لا تستعوب من أن يصدر عن هذا الرجل أي شيء، بدأ من الصفق بالأسواق والعس بالليل والتطاول على النبي صلى الله عليه وآله.

أخرج ابن كثير في تفسيره عن ابن جرير بإسناده عن ابن عباس قال: كانت تصلي خلف النبي (ص) امرأة حسناء. قال ابن عباس: لا والله ما رأيت مثلها قط. وكان بعض المسلمين (الصحابة) إذا صلوا استقدموا، يعني لثلا يروها، وبعض يستأخرون فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم فأقول الله: " ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ". (ج2 ص449 سورة الحجر - ذكر ابن كثير أنه رواه احمد وصححه وابن أبي حاتم في تفسيره ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننه وابن ماجه وأخرجه مسلم وأصحاب السنن.)

رواية أخرجه ذلك العدد الكبير من الحفاظ المعتمدين لدى أتباع خط الصحابة حوي بمن مؤال حب المنافقين مشوبا في قلوبهم أن يتحروا فيه ليتأكدوا أنه ليس كل الصحابة مؤمنون ولا مأمونين، تخيل معي وضعية هؤلاء الذين يتهافنون على الصف الأخير من صلاة الجماعة ليس ليصلوا ولا ليعبوا ربهم ويقتنوا بنبيهم، وإنما ليضعوا أم رؤوسهم وليسترقوا النظر إلى تلك المرأة من بين رجليهم (وضعية عجيبة وغريبة).

الصحابة يخالفون النبي (ص) والمسلمون يعتمدون مخالفتهم:

حكم عمر في الكلاله بعدة أحكام متناقضة على الرغم من نزولها في كتاب الله وبيانها في السنة، أخرج البيهقي أن عمر

سأل النبي (ص) عن موث الجد مع الاخوة فقال له النبي (ص):

"ما سؤالك عن هذا يا عمر؟ اني أظنك تموت قبل أن تعلمه. قال سعيد بن المسيب: فمات عمر قبل أن يعلمه.

(86)

- أتم عثمان الصلاة في منى رُبعا خلافاً لفعل رسول الله (ص) وتعاليمه بالقصر في منى.

- جمع عمر الناس في صلاة الجنزة على رُبْع تكبيات والحال أنها خمس، اختلطت عليه الصلاة على المنافقين التي كان

(87)

رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّيها ناقصة عليهم لنقص دينهم.

(88)

- حرم حج التمتع لسنوات. بقوله: " متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا أحرمهما وأعاقب عليهما".

- حرم زواج المتعة.

- جعل طلاق الثلاث طلاقاً باتاً ثلاثاً. وقد كان الطلاق على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق

(89)

الثلاث واحدة، فقال عمر إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة فلو أ. مضيناه عليهم فأمضاه عليهم.

- نقص في الآذان "حي على خير العمل" ثالث الحبعلات، بدعى أن الناس اتكوا على الصلاة باعتبارها خير الأعمال عند

الله وتقاوسوا عن الجهاد، وزاد في الآذان " الصلاة خير من النوم". فانظر هداك الله إلى هؤلاء الذين مهوا لبداية التحريف في

الدين، فهل زاهم يقرؤون القرآن أو يفهمونه عندما يمرّون على الآيات التي تتحدث عن تحريف الأمم السابقة لدينها؟ ثم يأتي

قسم من أمة الإسلام ليأخذ ذلك كله على أساس أن عمل الصحابي حجة مقابل النصوص القرآنية والسنة النبوية.

(90)

- قطعه لشجرة الوضوان بدعى الخشية من أن يعبدها الناس، ألا ترون أنه استتاج غريب وتوقع لتهينات لم تحصل

إلا في مخيلته، لكن البصير يستجلي عداء عمر لتلك الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الوضوان العظيمة والتي كان له فيها موقف

مغاير فوت عليه البيعة فلم يبق له منها غير الحسوة والشعور بالمرورة هذا إذا كان للوجل إحساس من الأصل، فأقدم على

قطعها ليرتفع عنه كابوس تلك الحادثة.

- نقله لمقام إواهيم على ما كان عليه في الجاهلية، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أعاده إلى الوضع الذي

يجب أن يكون عليه، فلم يعجب ذلك عمر، فزأله إلى العهد الذي كان يعبد فيه أصنام الحولى والحجرة.

أما ما صدر عنهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حوائم تحت عنوان حروب الودة فقد عفى عنه التريخ إلا

أثا وحيدا دل على أن الحروب التي خاضها خالد بن الوليد في الجزيرة كان في حقيقة الأمر إخضاعا للسلطة القائمة، فالذين

منعوا الزكاة على افتراض وقوع المنع لا يعتبرون من المرتدين، ولا وجد حكم في الإسلام يقضي بقتل مانع الزكاة، فلماذا يقتل

المئات من هؤلاء تحت هذا العنوان ويمر عليه المنتبغ لتريخ مرور الكوام، وهم الذين قد دخلوا تحت عنوان المرتدين،

الحادثة هي كما يلي:

القبيلة هي قبيلة مالك بن نويرة ومالك من أوه النبي سيدا لقومه قائما على شؤونهم، كان وقومه يعلمون أن ولي الأمر بعد

النبي صلى الله عليه وآله هو الإمام علي ولم يكن في حسابهم أن الأمة ستغدر بأهل البيت عليهم السلام كل ذلك الغدر،

فتباطوا في لرسال زكاتهم بعدما علموا أن ابن أبي قحافة قد تولى السلطة، وبمجيئ خالد بن الوليد لم يتصنوا له بالقتال، إنما

استقبلوه ووضعوا أسلحتهم وانضموا إليهم في الصلاة مما سهل عملية الخديعة التي انطوت عليها نفسية خالد، فانقض كل رجل

من جيش خالد على رجل من بني نوبة فأسروهم وقيوهم ثم قتلوهم، لم يتف خالد بما فعل فدخل بزوجة مالك ليلة الجريمة، وجعل رأس مالك أتقية لقدر. (91)

ولقد أراد عمر أن يقيم عليه الحد عند رجوعه إلى المدينة لكن ابن أبي قحافة رفض ذلك، لأن خالد كان يمثل الركن القوي في عملية الاستيلاء على السلطة وتثبيتها بالقوة، وهي حقيقة غير خافية على العقلاء.

لم تكن هذه هي الجريمة الوحيدة لذلك الرجل وإنما سبق أن قام بمثلها في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بني جذيمة. واليك الرواية:

بعث النبي (ص) خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون صبأنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع كل رجل منا أسوه حتى قدمنا على النبي (ص) فذكرنا له ذلك فوقع يديه فقال: " اللهم اني أوأ إليك مما صنع خالد (موتين). (92)

والرواية بهذه الصفة ورغم واءة النبي مما فعله خالد، قد هذبها أدعياء خط الصحابة الذين كان دأبهم ودينتهم التحريف، ولا غواية في ما صدر عنهم لأننا نترك الأساس الأول لهذه الظلمات، حيث وبعد راحة أهل البيت عليهم السلام طفقوا يحرقون ما طالته أيديهم من سنن النبي صلى الله عليه وآله ومنع تنوينها والتحدث بها.

إن تغطية الحقائق وتعتيم الأحداث الصحيحة وإبعادها عن أمهات الكتب المعتمدة عند ذلك الخط، قد ترك المجال واسعاً للتزوير والتأويل والتماس الأعذار طالما أن الحقيقة غير واضحة البناء، وبالتالي نفذ المجرمون بجرائمهم، ويقوا في أعين البسطاء أمثلة ونماذج يتمنى المسلم الصادق الوصول إليها، لكن هيهات فالحق دائماً يعلو ولا يعلى عليه، حقيقة واقعة بني جذيمة وجريمة خالد فيها متصلة بثار جاهلي قديم، تقول الرواية إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل سوية إلى بني جذيمة في نحو 350 من المهاجرين والأنصار وبني سليم، أرسلهم دعاة ولم يأمرهم بالقتل (لأن الدين في جوهره حكمة

وموعظة حسنة وليس غصب وإكراه كما هي سياسة العاجزين)، وكان بنو جذيمة شرحي في الجاهلية، يسمون "العقة دم"، ومن قتلهم الفاكه بن المغيرة وأخوه عما خالد بن الوليد ووالد عبد الرحمان بن عوف، ومالك بن شريد وأخوته الثلاثة من بني سليم في موطن واحد، وغير هؤلاء من قبائل شتى. فلما أقبل خالد وعلما أن بني سليم معه لبسوا السلاح وركبوا للحرب وأبوا التزول. فسألهم خالد أسلمون أنتم؟ فقبل إن بعضهم أجابه نعم وبعضهم أجابه صبأنا، أي تركنا عبادة الأصنام، ثم سألهم: فما بال السلاح عليكم؟ قالوا: إن بيننا وبين قوم من العرب عدوة فحفظنا أن نكونوا هم فأخذنا السلاح، فنأداهم: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا، فصاح بهم رجل يقال له جحدم: ويلكم يا بني جذيمة انه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسر وما بعد الأسر إلا ضوب الأعناق، والله لا أضع سلاحي أبداً، فمأزوا به حتى زع سلاحه فيمن زع وتوق الآخرون. فأمر خالد بهم فكتفوا وعرضهم على السيف، فأطاعه في قتلهم بنو سليم ومن معه من الأعراب. (93)

حمية الجاهلية هذه لم تنتف حتى عن سودة بنت زمعة إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد نقل عنها لما جيئ بأسرى بدر ورأت سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة مجموعة يدها إلى عنقه بحبل قالت: فلا والله ما ملكت نفسي حين رأيت

أبازيد كذلك أن قلت: أي أبازيد، أعطيتم بأيديكم؟ ألا متم كواما؟ فوالله ما نبهني إلا قول رسول الله (ص) من البيت: يا سودة أعلى الله وعلى رسوله تحرضين".⁽⁹⁴⁾ ومن أجل استكمال نصاب الكذب على الله ورسوله جاؤوا بوقية وأصقوها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مفادها قوله: "اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلا فاجعل ذلك كفلة وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة". وفي رواية: " فاجعلها له زكاة ورحمة".⁽⁹⁵⁾

بمعنى أن من لعنه رسول الله وتوأ منه وطرده ونبه عليه المسلمين كي يحذروا من خطوه وأذاه، مغفور له، ليس ذلك فقط بل إن ما قام به من عمل سيكون في كفة الخاء وليس في كفة العقاب. فأى دين هذا الذي يتدين به هؤلاء؟ لا تستغوب لسبب بفائهم هكذا لا وجهة صحيحة يسلكونها، شأنهم عبر التلويح أنهم اتباع كل ناعق، حتى صدام اللعين وما جر هو ورألامه على الواق وأهله كانوا يطبلون له، ويعقون عليه آمالهم الفاشلة وأمانتهم الخائبة، وتلك هي حال من لم تكن له قوة هادية بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأطلق نفسه وراء سواب لا يوصل إلى الحقيقة.

لم اكن متصورا في يوم من الأيام أنني سأقف على حقيقة هؤلاء الصحابة الذين استولوا على السلطة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالمكر والخديعة في مرحلة أولى ثم بالقوة في مرحلة ثانية، أن يصل هؤلاء الأمر إلى التحريف والتغيير وقلب الحقائق والاستعانة بالفسقة والمشوهين وبقايا الشرك والنفاق، فذاك ما فاجأني وآسفني في نفس الوقت، إليك أيها الباحث المنصف هذه القائمة التي تصورت تركيبها الحكومة بعد النبي صلى الله عليه وآله كأنما خلت الحجاز إلا من هؤلاء:

- 1 - أبو سفيان: الذي حارب الله ورسوله ولم يدخل الإسلام مطلقا لأن النبي صلى الله عليه وآله قال له ولأهل بيته: " اذهبوا فأنتم الطلقاء". يستعمله أبو بكر واليا على نجد.
- 2 - يزيد ومعاوية ابنا أبي سفيان: يؤمهما أبو بكر على راس جيش إلى الروم ثم يولي عمر معاوية على الشام ويؤه ذلك عثمان.
- 3 - الأعرس الأسلمي: شهد حنيننا وهو مشرك، ولعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان من أشد المبغضين لعلي عليه السلام مع ان بغض علي عليه السلام نفاق بصريح كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال لعلي عليه السلام: " يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق". ومع ذلك تستمر وتيرة البغض والكراهة ويؤداد معها تاييد المنحرفين على انوافهم بأن تسند لهم المهام الكبيرة في الدولة الإسلامية، وقد يكون على ما توضح الشوط الأول لنيل الحضوة والقربة لدى أولئك الغاصبين بغض علي عليه السلام، ويبدو من خلال ما تقدم أنه رأي عمر في الأعرس هذا فأمره وجعله قائدا في جيشه.
- 4 - يعلى بن منبه كان ممن عد مبغضا لعلي عليه السلام، أعان ابن الزبير على خروجه على الإمام علي عليه السلام، واشتوى جملا لعائشة وجهاز سبعين رجلا من قویش لمحاربة الإمام. هذا الرجل ولاه عمر بلاد اليمن.
- 5 - الوليد بن عقبة بن أبي معيط: عد أوه رابع أربعة مبغضا لله ورسوله، معلنا للسكر، أخ عثمان كان أحد أهواء عمر، صلى الصبح بالناس سكرانا ثملا في مسجد الكوفة عندما كان واليا عليها لعثمان.
- 6 - الأشعث بن قيس: كان من المرتدين أسر على عهد أبي بكر فما كان من هذا الأخير إلا أن زوجه أخته وأمره، رغم

أنه قال فيه انه لا يجد شوا إلا أعان عليه.

7 - بسر بن رطأة وإياس بن صبيح: بسر هذا الذي فعل في المسلمين الأفاعيل التي لا تمحى، كانا من أصحاب مسيلمة الكذاب، بعد أسوهما استعملهما عمر فولى بسوا قضاء البصوة.

8 - طليحة بن خويلد: ادعى النوبة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أعجب به عمر، فطلب من أروائه أن يشاوروه.

9 - الحكم بن العاص: رابع أربعة مبغضا للنبي وآله الكرام لعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وما في صلبه، أعاد عثمان له ولابنه الاعتبار فاعطاهما ما حرم منه غوهما، وجعل مروان أمين سوه وحامل أختامه وخزن بيت المال وأقطعهم فدكا التي انتوتت من الرهواء سلام الله عليها، كان السبب الرئيسي في انقلاب الناس على عثمان وقتله. (96)

كنت منذ أمد معتقدا بأن العدل ذهب مع عمر بن الخطاب، ولم يدر في ذهني المحاصر بالنصوص الموضوعية والتي كانت عنوان خط الصحابة، أن العادل باق، كما لم أنتبه إلى قول عمر نفسه في عديد المرق التي خرج منها: "ولا علي لهلك عمر". كيف تهافت شخصية ذلك الرجل أمام ما سجل عليه ونقل عنه، والنقلة أصحابه ومقدسوه، لأنها شخصية جوفاء فرغة ليس فيها إلا الغلظة والصلافة والفضاضة، عمر الذي ألصق به أوليؤه صفة العادل يستعمل الفسقة والطلاق والمرتدين. أين عدله الذي يتبجح به أتباعه؟

ذلك ما قاله له حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل الذي عنده علم بالصحابة الذين رأوا قتل النبي في العقبة، إذ قال: يا عمر انك تستعين بالرجل الفاجر. (97)

فكان رد عمر بقوله: نستعين بقوة المنافق وإثمه عليه. (98)

وواجهه مرة أخرى: يا عمر انك تستعمل من يخون، وتقول ليس عليك شئ وعاملك يفعل كذا وكذا. (99)

لم يثن الرجل عن صنيعه رغم أنه مخالف لما جاء في كتاب الله تعالى، مخالفة صريحة، ففي عدد من الآيات يشدد المولى تعالى على عدم التعامل مع هذه النماذج، منها هذه الآية: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخونا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ونوا ما عنتم..". (100)

أعجب الخلق إيماننا

فيما مضى من الزمن كنت في مطالعاتي المتصلة بالدين والعقيدة قد موت علي رواية لا تزال تأخذ بناصيتي إليها، ولم تغادرني كلماتها إلى اليوم، تتلخص في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كان ذات ليلة يستغفر لموتى البقيع، فتنفس وقال: " طوبى لأحبابي". فقيل له ألسنا بأحبائك يا رسول الله، فقال: أنتم أصحابي، أحبابي أناس يأتون من بعدي، فيجدون صحائف فيؤمنون بها، لأجر الواحد منهم أجر سبعين رجلا". فقال عمر: أمنا أم منهم يا رسول الله؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "بل منكم يا عمر". (101)

كما كنت أشرت إلى أن الصحابة لا يمتازون عنا في شيء بل نحن الذين نمتاز عليهم بالكثير من الأشياء، مع احترامنا وتقديرنا للأجلاء منهم، الذين لم يبدلوا ولم يغيروا ولم يرتوتوا ومضوا على بصوة من أروهم وبينه من دينهم مقتفين أثر الثقلين

الذين أوصى رسول الله باتباعهما وهما الكتاب العزيز والعترة الطاهرة عليهم السلام، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " اني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض".⁽¹⁰²⁾

إذا لم يكن وعي الصحابة ولا إشعاعهم بالمستوى الذي يتصوره المتأخرون عنهم وخصوصا المعتقون لعدالتهم جميعا، فابشع الأحداث وأعظم الخطوب وأنكى الحرائم جرت أحداثها وتمت فصولها على موآى ومسمع من بقيتهم، وبتركية منهم لأنهم هم أول من بدأ مسلك التفريط وأول من أسس موقف الخذلان وصنع ربوة السكوت مما يدفعني إلى القول أن بلية الأمة وسبب انحطاطها كانوا فيه الطرف الأخرى والشريك الأكثر نصيبا. فضياع الحاكمة الإلهية كان بسببهم، وضياع قسم كبير من الأحاديث الصحيحة المفسوة للوآن والشريعة، كان بسببهم، وتخاذلهم عن أهل البيت وتعاميمهم عنهم، فسح المجال للباطل كي يستثوي ويستطيل على الحق، وهو ما حصل في حوادث كثرة، أفصحت عن حقيقة الصحابة، وبينت مستواهم وإشعاعهم، أهم تلك الحوادث التي منيت بها الأمة:

الحادثة الأولى:

التمرد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من طرفهم في أخريات حياته الشريفة في حوادث العقبة، وسوية أسامة بن زيد، وعصيانه والتطول عليه في حجته.

الحادثة الثانية:

انحراف الصحابة عن أهل البيت، باستغلال فوصة تجهيز النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل الإمام علي عليه السلام، لينقضوا على السلطة في حادثة السقيفة، التي كانت اللبنة الأولى لفصل الدين عن الحياة.

الحادثة الثالثة:

خذلانهم للإمام علي عليه السلام، في عدم استجابة الكثيرين منهم لنصوته على البغاة، بعذر أقبح من ذنب، ومحاربة قسم ثان له تحت عنوان الثأر لقتلة عثمان وهم صحابة أيضا، مما عجل بفشل الفوصة التي سنحت لروح الحاكمية إلى أهلها، وقد كان قصدهم ذلك لأن فيهم من كان يطمع في توليها كطلحة وأبنة، والزبير وابنه، ومن ورائهم ابنة أبي قحافة، التي قتل بسببها آلاف المسلمين، الذين استنفوتهم على أساس أنها أهمهم وزوجة نبيهم.

أما الصحابة الساكتون عن الحق، والساكت عن الحق شيطان أخوس، فهم كثيرون ككثرة الفلرين من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجاة بلرواحهم، كعب الله بن عمر وأبي هرة، مواقف الأول سنستعرضها، ومواقف الثاني تتلخص في مقالته الشهيرة: "الصلاة وراء علي أتم، والأكل مع معاوية أدم، والجلوس على الرابية أسلم". كأنما خفي عنهم قوله تعالى: " فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله".

الحادثة الرابعة:

تولي الطلقاء لدفة الحكم في الأمة بسوعة ملفتة، أسس لها عدد من الصحابة، فعندما جاء أبو سفيان للإمام علي عليه السلام مباشرة بعد تفوق المتزلعين في السقيفة، عرض عليه المساعدة في إعادة الحكومة إليه قائلا: " لو شئت لأملأها عليهم خيلا ورجال". ، يريد بها مكانة وحضوة عنده بعد أن يستتب له الأمر، فما كان من الإمام علي عليه السلام إلا أن رده رافضا مساعدته. فاتجه أبو سفيان إلى الشق الغاصب للإمامة، فقبلوا منه عرضه وكانت وعودهم بعد ذلك موفاة، فولي أبو سفيان إحدى مناطق الجزيرة وولي ولداه معاوية ويؤيد قيادة الجيش إلى الشام ثم اقر بعد ذلك معاوية واليا على الشام فوّة حكم عمر وعثمان مما أسس لظاهرة أكثر حوأة على الدين وهي إعلان الفسوق والفجور على مآى مسمع من المسلمين، كما هو شأن يزيد بن معاوية لعنه الله ومن جاء بعده من بني أمية، المر الذي دفع بالإمام الحسين بن علي عليه السلام إلى الخروج في نهضة جسدت معاناة أهل البيت من أجل إنقاذ بيضة الإسلام، وكانت شهادته في مجموعة طاهرة من أهل بيته عليهم السلام من خوة أصحابه رضوان الله تعالى عليهم في واقعة كربلاء الشهوة التي بقيت مدرسة ينهل منها المؤمنون على مر العصور.

الحادثة الخامسة:

واقعة الحرة التي هتكت حرمة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتل فيها من قتل من بقية الصحابة وأبنائهم وفعلت فيها الأفاعيل كالاغتصاب والنهب وربطت خيل العوأة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله. والجدير بالذكر في هذا الخصوص أن عبد الله بن عمر بن الخطاب الشاهد على هذه الأحداث كلها جاء مسوعا إلى عبد الله بن مطيع والي المدينة ليؤيد الفاسق لعنه الله ولعن من أحبه (هذا دين المؤمن في الواءة من المنافقين المفسدون في الأرض وأعداء الله تعالى) فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمان وسادة. فقال ابن عمر: اني لم آتكم لأجس، أتيتك لأحدثك حديثا، سمعت رسول الله (ص) يقول من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. ذلك رد الفعل الذي قام به ابن عمر بعد هتك مدينة الرسول صلى الله عليه وآله، مضافا إلى وقوفه في وجه مواليه الذين رأوا الخروج على يزيد، في هذه العرة كانت بيعته ليزيد دون إهانة لشخصه.

الحادثة السادسة:

هدم الكعبة بالمنجنيق على عهد عبد الملك بن مروان وعلى يدي حجاجه، عندما استولى عبد الله بن الزبير على مكة، فمنع الحج وضح الناس وفيهم بقية باقية من الصحابة فبنى لهم قبة الصخرة والمسجد الأقصى وأرهم بالحج إليه ففعلوا واستعاضوهما عن الحج إلى بيت الله الحرام، أما بيعة عبد الله بن عمر الثانية فانه لما بلغه ما فعل بان الزبير، جاء إلى الحجاج بن يوسف ليأخذ له البيعة لعبد الملك بن مروان فقال له الحجاج: "إن يداي مشغولتان فبايع رجلي". فلم يكن من عبد الله بن عمر إلا أن جثا على ركبتيه وبايع رجل الحجاج. بطويقة ووضعية مخزية ⁽¹⁰³⁾ وقرن بين من خرج طلبا للإصلاح في دين وأمة جده، رافضا لما آل الأمر إلى اليقين، بأن الشهادة آتية لا محالة كل عروض التسوية التي عرضت عليه، سواء كان ذلك من أصحابه، أو من المحلبيين له، قائلا مقالته الشهوة: "هيهات منا الذلة، يأبى لنا ذلك الله ورسوله والمؤمنون". ذلك هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام سيد شباب أهل الجنة، سادة الدنيا والآخرة، وهذا هو عبد الله بن

عمر بن الخطاب، فاقنت إن شئت بهذا أو بذلك. وبقي الخطان مستوران واحد صعودا وسوا ورفعة والآخر نزولا وانكفاء وردة، "ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور". ثم يتحدث الولوي بعدها ليقول عن عبد الله بن عمر، أو لنطبق الحديث الموضوع الذي يأمرنا بأن نقندي بالصحابة فنبايع نحن الطغاة والظالمين من المواضع التي يرونها كل حسب هواه. ودعونا نسأل لماذا لم يوث عبد الله بن عمر من حوأة أبيه التي كان يتصوف بها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ لكني أقول حتى حوأة أبيه على رسول الله كانت كاذبة لأنه كان يعرف أن رسول الله متسامح مع أصحابه لحد اجزائهم عليه ليقينهم بأنه لا يعاقبهم على ذلك، أما لو كان شخصا آخر ويعاقب على ذلك لما سمعنا لعمر صوتا، كما لم نسمع أبدا أنه قتل أحدا في غزوة من الغزوات، ولم يعرف إلا بعوني أقطع رأسه. فأبي عقلية هذه التي ترونها للصحابة؟

وليسمح لي من مزال يعتقد بعدالة الصحابة أن أسأله لماذا كذب هؤلاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسما أنفسهم بخلفاء الرسول، وهم من أنكر أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد خلف أحدا؟ من ناحية تراهم لا يرون في أحاديث المتولة التي نقلها القاضي والداني، دلالة على الإمامة لعلي عليه السلام، ومن ناحية أخرى وبكل صلافة يتجرون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذبا وافزاء.

لقد تصدى الأئمة الأطهار لظاهرة الأحاديث الموضوعية التي انتشرت بدعم من السلط الغاشمة، التي كانت تحت القصاص على روايتها للناس في المساجد. لا يمكننا اعتماد الصحابة كأئمة مجسدة للدين الإسلامي في أبهى مظاهره، ولا يمكن للمسلم أن يقتدي بمجموعهم لأسباب عديدة منها:

- إن ما ذكرناه من سلوك وتصرف صدر عنهم لا يتفق مع النموذج المثالي الذي يمكن لأي مسلم أن يقتدي بهم.
- عدم وضوح صور المنافقين وشخصياتهم وهم من الصحابة لا يساعد على اعتماد الصحابي كمثال يمكن التأسي به. لم يرد نص واحد في القرآن الكريم يوجب الاقتداء بالصحابة.
- لم يرد نص واحد صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوجب اتباع الصحابة. إن مسألة الاتباع والاقتداء تبقى محصورة في الصفة الطاهرة من النورية التي بعضها من بعض.

إن الدرس لسورة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام يترك البعد الفكري والعلمي الذي تميزوا به، فبدأ بالإمام علي عليه السلام ومرورا بالإمام الحسن وأخيه الإمام الحسين وابنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي باقر العلوم وابنه جعفر بن محمد الصادق مؤسسوا جامعة العلوم الإسلامية بالمسجد النوي والتي تخرج منها آلاف العلماء والفقهاء والمفكرين والفلاسفة، ناهيك أن منهم أبو حنيفة ومالك. وحذا حنوهم بقية الأئمة وعون الدين ويحفظونه ويبثونه في الصدور التي حملته صافيا لا شبهة فيه ولا تحريف، في حين بقي غوهم يتخبط في مسالك ما أقول الله بها من سلطان.

وتبين أن إحلال الصحابة محل أهل البيت عليهم السلام لم يكن إلا مقدمة لثقافة مشوهة وضعها المنافقون الذين كانوا يعرفون ببغضهم للطاهرين من آل محمد، لتكون بديلا عن الثقافة الصحيحة والوجهة الصحيحة للإسلام المحمدي الأصيل.

القول الفصل وكلمة الختام بخصوص الصحابة، انهم جيل النوبة ليس لهم تكليف يمتازون به عن غوهم من الأجيال، ولا

وظيفة خصها الله تعالى بهم دون غوهم، عملوا لأنفسهم كما نحن نعمل الآن، من أحسن منهم أحسن الله إليه وجرأه الخواء الأوفى، وجب علينا احترامه لا لأنه صحابي بل لأنه مؤمن ثابت الإيمان وحرمة المؤمن واجبة في الإسلام. ومن أساء فلا يلومن إلا نفسه. لسنا مكلفين باتباع أحد منهم إلا ما ورد بخصوص أهل البيت عليهم السلام من الآيات والأحاديث التي توجب الاتباع، وما عداهم مكلف مثلنا.

ولم يفرز خط الصحابة إلا التحريف وسوء الفهم وسطحية الفكر، وفضاضة المؤسس للغضة والفضاضة، منذ العصر الأول لذلك العدد المحدود الذي اتخذه أتباعه عناوين بارزة للإسلام، إلى عصر ابن عبد الوهاب والطالبان وتنظيم القاعدة الذين لا يحسبون حسابا للناس طالما أنهم على غير خطهم وعلى غير ملتهم، لا يعرفون من الدين سوى ما تلوكة أسنتهم من القرآن، نون فهم سليم له وروايات منسوبة للنبي صلى الله عليه وآله يهتاننا وزورا، وما وضعهم على نهجه الأقدمون من إحلال بعض أسماء تواجدت في عصر النبي صلى الله عليه وآله محل القداسة والتقديم حتى لو كان ذلك على حساب النبي نفسه، تركين من هم أفضل منهم من الصحابة الأجلاء الذين قدموا لله ولرسوله وتاجروا معهما التجارة التي لن تبور، جعلنا الله من أتباع الصادقين منهم.

أما ظاهرة السب فانه إذا كان ذكر ما جاء به التريخ والسوة عن استهانتهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتطولهم عليه يعتبر سبا لهم فان أول من سبهم هو الله تعالى عندما فضح أفعالهم مع رسول الله في كتابه العزيز، ثم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي فضح أفعالهم عندما توأ من حوائهم كما فعل بشأن خالد بن الوليد الذي قالوا بأنه سيف الله المسلول (على من يا ترى؟ والحال أنه ليس هناك سيف مسلول في اتجاه واحد غير سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيف علي بن أبي طالب عليه السلام)، ثم توأ منهم من جاء بعدهم حتى من أتباع خطهم لأنني لم أنقل هذه الروايات إلا من خط أتباع الصحابة لتكون حجة عليهم فمن بيتك أحتج عليك ومن فمك أدينك.

في الختام أود أن أنقل بعضا من دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين السجاد عليه السلام بخصوص الصحابة، من معانيه الراقية وألفاظه البديعة وعمق رأيه في خلص أصحاب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: "اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة والذين أبوا البلاء الحسن في نصوه وكانفوه وأسوعوا إلى وفادته وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا إلى حيث أسمعهم حجة رسالته، وفلقوا الأرواح والأولاد في إظهار كلمته وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته، ورجون تجرة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتقت منهم القربات إذ سكنوا في ظل قابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك، دعاة إليك واشكوهم على هجوهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثرت في إغواز دينك من مظلومهم، اللهم وأوصل التابعين لهم بإحسان، الذين يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، خير جزائك، الذين قصصوا سمتهم وتحروا وجهتهم، ومضوا على شاكلتهم، ولم يثتم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثرهم، والإلتتمام بهدي منزلهم، مكانفين ومواررين لهم يدينون بدينهم ويهتتون بهديهم ويتفقون عليهم ولا يتهمونهم

1- الكنى والألقاب ج3ص247/248

2 - الكفاية في علم الرواية ص 46 / 49 فتح المغيث ج4 ص35 ترتيب الولي ج2 ص 214 السنة قبل التدوين ص 394 و403).

3 - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتولي ج ص

4 - الإمامة والسياسة لابن قتيبة أول صفحة

5 - سنن الترمذي كتاب المنقب - سنن ابن ماجة، المقدمة - الطواني في الكبير والأوسط - البخاري في الفضائل -

السيوطي في الأهار المتناثرة - الكتاني في نظم المتناثر كتاب المناقب - لقط اللآلي المتناثرة للزبيدي ص

149/150/151 مسند أحمد ج 3 ص 62 / 64/82 وج 5 ص 291/392

6- المعجم مادة صحب

7 - سورة الجن الآية 3

8 - سورة الكهف الآية

9 - سورة الكهف الآية

10 - سورة القلم الآية 48

11 - سورة العنكبوت الآية 16

12 - سورة يس الآية 23

13 - سورة البروج الآية 4

14 - سورة ق الآية 12

15 - سورة النساء الآية 47

16 - سورة الفيل الآية 1

17 - سورة الكهف الآية 32 - 42

18 - سورة يوسف الآية 38

19 - سورة النجم الآية 2

20 - سورة التكوير الآية 32

21 - سورة سبأ الآية 46

22 - سورة الفتح الآية 18

23 - سورة ص الآية 24

- 24 - سورة سبأ الآية 13
- 25 - سورة الحوات الآية 14
- 26 - سورة الفتح الآية 10
- 27 - سورة النحل الآية 91/92
- 28 - سورة الأخاب الآية 23
- 29 - سورة الفتح الآية 29
- 30 - سورة الفتح الآية 29
- 31 - سورة آل عمران الآية 144
- 32- مسلم ح 2304 ج4 ص1436 وح 2297 وح 2241 من الجزء الرابع من جامعه.
- 33 - الطواني - لقط اللآلي المتناثرة للبيدي ص 259
- 34 - أوجه البخاري ج 4 ص142 كتاب الدعوات باب الصواط
- 35- مسند احمد بن حنبل - كنز العمال للمتقي الهندي ج1 ص 164 - معالم الفتن ج1 ص67 مسلم ج 17 ص 125
- 36 - سورة البقرة الآية 159
- 37 - سورة الرعد الآية 25
- 38 - سورة التوبة الآية 56
- 39 - سورة التوبة الآية 61
- 40 - سورة التوبة الآية 58
- 41 - سورة التوبة الآية 101
- 42 - سورة التوبة الآية 102
- 43 - سورة التوبة الآية 106
- 44 - سورة التوبة الآية 107
- 45- فتح المغيث ج4 ص35 - الكفاية في علم الواية ص 46/ 49 تريب الوالي ج2 ص 214 - أضواء على السنة
المحمدية ص 342 عن الذهبي في رسالته.
- 46 - تفسير الطوي المعروف بجامع البيان المجلد العاشر ج30 ص 38
- 47- حجة المتقي للذهبي ص551 أضواء على السنة المحمدية ص 341/344
- 48 - تزيخ الطوي وتزيخ الكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير وغوهم..
- 49 - تزيخ الطوي

50- مسلم كتاب الفضائل باب فضيلة عثمان

51 - أخرجه البخري

52 - المآخاتين الأولى والثانية: السورة الحلبية ج1 ص 26 وج2 ص 120 أحمد ابن حنبل في مسنده وابن عساكر في تزيخ دمشق الكبير عنهما المنقي الهندي في كنز العمال ج 5 ص 45 ح 918.

53 - ميزان الاعتدال للذهبي ج4 ص 275

54 - ميزان الاعتدال ج2 ص 21 / 22

55 - لقط اللآلي المتناثرة للربيعي ص 51 / 53

56 - ميزان الاعتدال ج4 ص 392

57 - حديث المتولة أخرجه كل الرواة والحفاظ أذكر منهم: البخري كتاب المغلري باب غزوة تبوك ج5 ص129 مسلم كتاب الفضائل باب فضل الإمام علي عليه السلام الترمذي ج5 ص301 ح3808 و3813 و3814 - مسند أحمد ج3 ص50 وبعده طوق، تزيخ دمشق الكبير لابن عساكر وبعده طوق في ترجمة الإمام علي عليه السلام.

58 - سورة يونس الآية87

59 - سورة الأخاب الآية 33 أورد نزولها في أهل البيت (خمسة أصحاب الكساء عليهم السلام) مسلم في باب فضائل

الإمام علي عليه السلام - الترمذي ج5 ص30 بعدة طرق وأحمد في مسنده بعدة طرق ج1 ص310 مشترك الصحيحين للحاكم ج3 ص133 و146 و158 وج2 ص 416 - المعجم الصغير للطواني ج1 ص65 و135 ، تفسير ابن كثير الآية، وكذلك تفاسير الرلي والطوي والقوطني والزمخشوي 60 - الاحتجاج للطوسي

61 - السورة الحلبية

62 - البخري كتاب النبي الى كسوى وقيصر الروم - باب مرض النبي ووفاته ج5 ص 137 -كتاب الجهاد والسير باب

جوائز الوفد ج4 ص 31 -كتاب الموض باب قول المريض قوموا عني ج7 ص 9 - كتاب العلم ج1 ص37- مسلم كتاب

الوصية باب ترك الوصية- الحادثة منقولة عند كل من صنف كتابا في التزيخ أو السورة أو الحديث، مجمع على صحتها

ووقعها.

63 - سورة النور الآية 63

64 - سورة النساء الآية 114

65 - سورة النجم الآية3

66 - سورة الحشر الآية 7

67 - سورة النساء الآية 46

68 - سورة الحوات الآية1

69 - السورة الحلبية

70 - السورة الحلبية ج 3 ص 207 الطبقات الكبرى لابن سعد ج 2 ص 190 الكامل لابن الأثير ج 2 ص 317 المغزي
لواقيدي ج 3 ص 119 كنز العمال للمتقي الهندي ج 5 ص 312 أنساب الأشراف للبلافي ج 1 ص 474 شوح نهج البلاغة
لابن أبي الحديد ج 1 ص 53 تزيخ اليعقوبي ج 2 ص 230

71 - البخاري ج 1 ص 255

72 - البخاري ج 8 ص 157 كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، مسلم ج 6 ص 179 كتاب الآداب باب الاستئذان.

73 - تزيخ دمشق الكبير لابن عساكر ج 2 ص 228 - مستترك الحاكم سنن أبي داود - جامع الأصول لابن الأثير)

74 - البخاري ج 7 ص 99 وج 2 ص 252 وج 3 ص 168 . مسلم ج 2 ص 188 باب استحباب صلاة النافلة في بيته
وجولها في المسجد.

75 - البخاري ج 3 ص 156 وج 6 ص 8

76 - البخاري ج 1 ص 65 وج 2 ص 282 الكامل لابن الأثير ج 2 ص 192/193

77 - شوح النهج ج 14 ص 276 ، تفسير الوري ج 9 ص 67 الدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 88 كنز العمال ج 2 ص

(242)

78 - البخاري ج 3 ص 46 باب قوله تعالى: "يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم..".

79 - السورة الحلبية ج 2 ص 227

80 - فتح البري ج 10 ص 20 مسلم كتاب الأثربة باب تحريم الخمر - مسند أحمد ج 3 ص 227/228

81 - الدر المنثور ج 6 ص 317

82 - مسلم ج 1 ص 192/193 كتاب التيمم البخاري ج 1 ص 91

83 - مسلم ج 1 ص 192/193 كتاب التيمم

84 - البخاري ج 3 ص 73

85 - سنن البيهقي وكنز العمال ج 6 ص 15 صحيح مسلم كتاب الفوائض باب موات الكلالة.

86 - مسلم باب صلاة المسافرين وقصرها في منى

87 - تزيخ الخلفاء للسيوطي ترجمة عمر

88 - بالنسبة لمتعة الحج ففي سنن النسائي ج 5 ص 153 شوح السيوطي - وصححه الألباني ج 2 ص 578 - أما بالنسبة

لزوج المتعة ففي مسلم كتاب النكاح والبخاري كتاب الحج باب التمتع وفي كتاب التفسير باب سورة البقرة - مسند أحمد

ج 3 ص 380 و 429 و 438/439...

89 - مسلم ج 1 ص 574 كتاب الطلاق - مسند أحمد ج 1 ص 314 - أبو داود ج 1 ص 344 النسائي ج 6 ص 145 -

البيهقي ج 7 ص 336 ادر المنثور ج 1 ص 279.

90 - تزيخ الخلفاء للسيوطي، أوليات عمر

91 - تزيخ الطوي ج3ص280 تزيخ أبي الفداء ج1 ص 147 وفايات الأعيان ج6ص14

92 - البخري ج5 ص 107 وج 8 ص 118

93 - البخري ج 5 ص 107 وج 8 ص 118 - عبوية خالد للعقاد ص 57/58

94 - البداية والنهاية لابن كثير ج3 ص307

95 - مسلم ج8 ص27/28 البخري ج4 ص 87 مسند أحمد ج5 ص437/439

96 - كنز العمال ج5 ص77 الإصابة لابن حوج3ص363 - وج2ص540 - وج1ص541 - الاستيعاب لابن عبد البر

ج6ص662/663 وج1ص120 - أسد الغابة ج6 ص16 - البداية والنهاية لابن كثير ج6 ص 130 وج8ص214 - تزيخ

الطوي ج4 ص52 وج5 ص59 -

97 - كنز العمال ج5 ص77

98 - كنز العمال ج4 ص614

99 - تزيخ الطوي ج5 ص31

100 - آل عمران الآية 118

101 - كتاب التزيغ والتزيغ

102 - حديث الثقلين أخرجه كل من: الترمذي ج5 ص328 ح3874 وح3876 مسلم باب فضائل أهل البيت عليهم السلام

- كنز العمال ج1 ص165 ح945 - تفسير ابن كثير ج4 ص113 الصواعق المحرقة ص147 مصابيح السنة للبغوي

ص206، وغورهم.

103 - رواه الطوي - تزيخ الكامل لابن الأثير ج4 ص124 الفوح ج2 ص 486

104 - الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.



الإثبات في نفي استخلاف أبي بكر للصلاة

مقدمة:

كأغلب المسلمين أخذت طريقي إلى التدين بالوراثة يومها تعلمت الوضوء والصلاة من خلال والدي الذي كان يحثني على الصلاة، ويأمرني بأدائها في أوقاتها. فكنت منقاداً لأوامره وتوجيهاته بلا أدنى تفكير في استقامة ما أقوم به. لم يدر في خلدي انه سيكون لي موقف مغاير لتلك الصيغة من العبادة، لأن ثقتي بوالدي الذي هو أصلي وسندي ومبدئي وثقتي، جعلت قبولي لما يقوم به من شعائر، وإتباعي له من المسلمات التي لا يتطرق إليها شك ولا تقبل الطعن، بل هي من الرواسخ التي لا تتوخح. فكان بنائي العقائدي ومجموع تصوري للدين على ذلك الأساس. لقد كان والدي من الشغوفين بمطالعة الكتب التي تتناول المسائل الدينية من زاوية مذهبية، وكان يفتني منها ما يتعلق بالمذهب المالكي إلى اعتنقه مدة طويلة، ككتاب المدونة الكرى وتفسير الخزن والموطأ، غير أن محدودية مطالعته وانقطاعه عن التعليم الزيتوني مبكراً، ومشاغله الحياة فيما بعد، وانصوفه إلى مقاومة الاستعمار قبل استقلال البلاد، حصرت اهتمامه ومعرفته. أما أنا فانه لما اشتد عودي وقدم عهدي وتواترت أيامي بفعل ما دأبت عليه من مطالعات رباني عليها الوالد الكريم، وما وطنت عليه عقلي من تأملات، عرفت أن تلك الطريقة من الاعتقاد والنوثة من التكليف لم تكن ممدوحة من قبل البري سبحانه وتعالى، فقد قال ذاماً إياها: "وإذا قيل لهم اتبعوا ما أمر الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا".⁽¹⁾

وقال أيضاً: "بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهنتون".⁽²⁾

لذلك لم تجد بؤرة التعصب، ولا أسلوب الانغلاق إلى عقلي سبيلاً، فكان الكتاب رفيق دربي ومؤنس وحدتي وصاحبي في كل الأوقات، ولو خورت في زمني هذا أنا الذي لا أملك بيتاً اسكنه، بين أن أمتلك بيتاً أو أن أمتلك مكتبة كبيرة تحوي من المصنفات في شتى العلوم والمعرف ما يثلج صوري، ويتيح لي المزيد من المعرفة والعلم، لما ترددت في أن تكون لي الكتب لأنني رى فيها الجدار والبيت والملاذ الذي لا غنى عن عقلي وقلبي منها.

لذلك فان من يعرفني عن قرب يتحسس في شخصي غواماً موطأ وتعلقاً شديداً بالكتاب، وسعياً دعوياً وراء المعرفة. ومن تلك الوجهة جاء تحسسي لطريق الحق الذي اهتديت له وتتبعته أثره، وسلكت دربه بعد حراسة مستقيضة، وقناعة تامة بأن لنجاة لا تكون إلا بالتعلق به والتمسك بأسبابه.

لقد وقع بين يدي ابن عمي الشيخ مبرك بعداش كتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدس سره، وكاتب دلائل الصدق للشيخ المظفر طيب الله تعالى ثراه، وبحكم العلاقة المتينة التي جمعتنا، وفي ظروف كنا جميعاً نبحث عن مخرج يفتح لنا باباً مطلاً على التسؤلات الكثيرة التي كانت تؤع عقولنا باحثة عن إجابة تبدد شكنا وربينا وتضعنا أمام ما كنا نصبو إليه من حقيقة.

لقد كان الكتابان سببا أساسيا لنا في بلوغ الحقيقة التي كنا نفتقدها، وأجوبة لشتى التسؤلات التي علقت بأذهاننا ولم تجد إجابات شافية ردا من أؤمن بواسطتهما، ووقفة تأمل بين فكرين وموسنين تنتميان للإسلام، فكر ومدرسة الخلافة الذي انتمينا إليه بحكم الوراثة، وفعل الإلتباع الطبيعي والذي استمد كثيرا من قوانينه وأسس من واقع السلط التي حكمت في رقاب المسلمين في العصر الأول من صدر الإسلام، وليس من الله تعالى ورسوله كما هو الاعتقاد السائد عند عامتهم، وبين مدرسة الإمامة وفكر ولاية أهل البيت عليهم السلام، الذين خرجوا من البيت الذي اذهب الله تعالى عن أهله الوجس وطهورهم تطهروا، والبيوت التي جاءت بعده والتي أذن الله تعالى أن ترفع ويذكر فيها اسمه.

وبقدر ما كانت آيات الكتاب العزيز دامة للتقليد في العقيدة ناهية عنه، بقدر ما جاءت آيات أخرى مادحة للعلم والعلماء حاثة علي إتباعهما، فكان أول الوحي الذي قول به الأمين جويل عليه السلام هو سورة "أقأ" وتتابع طلبه تعالى وحثه على العلم كقوله: " فاعلم انه لا اله إلا الله".⁽³⁾ مادحا أهل العلم رافعا من شأنهم كقوله: " يرفع الله الذين آمنوا والذين أتوا العلم لوجات".⁽⁴⁾ و: "إنما يخشى الله من عباده العلماء".⁽⁵⁾ وأمر رسوله بان يعلم الناس ويحثهم على طلبه وبذل الغالي والنفيس من اجل تحصيله، ثم شدد على حالة التجانس بين العلم والعمل، وجعلهما عبلة عن الجسد والروح، فالعمل جسد والعلم روح، وإذا ما افتقدت الروح الجسد طرت إلى عوالم أخرى ومستودع آخر، كذلك العلم إذا لم يؤيد العمل لتحل إلى وعاء يموج فيه بالعمل. وكثرة هي الثواهد التي تمر أمام أعيننا منذ أمد إلى اليوم، آلاف المسلمين الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب، لكنهم لا يفقهون منه إلا القليل، بل منهم من لا يفقه منه شيئا، فحق فيهم قوله تعالى: " كمثل الحمار يحمل أسفرا".⁽⁶⁾

وتطبيقا لأوامر الله ونواهيها، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعلم والمتعهد لذلك كله. فلم يفته شيء فيه صلاح إلا وقد بلغه للأمة، كما لم يأل لها نصحا وتبنيها وتحذوا. غير أن التقصير والتقويط صدر عن الجيل الأول من هذه الأمة، وكانت أحداث السقيفة وما سبقها ولحقها الأساس الذي رُسى بالأمة على ساحل الضياع والحورة.

إن الذي شكك في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، واعتوره بشر يتكلم في الغضب والوضا، والذي منع كتابة الأحاديث بدعى اختلاطها بالقرآن، هو الذي فتح الباب على مصواعيه أمام الكذابين والوضاعين ليدسوا سمومهم في أحكام الله تعالى سننا كانت أم فرائض، حتى أصبح المحرفون يملسون أعمالهم بلا نكير، وتحت غطاء المذهبية والتعصب. وكانت الحكومات التي مورس تحت ظلها التحريف الواعية له والمبلكة لمجموعه، ثم جاء من بعدهم من أضفى عليه مسحة القداسة، إيهاما للناس وتظليلا وتخويفا للثقة منهم من أن يقدحوا فيه أو يشكوا في صدره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلمن حتى أن أحد خلفاء الإماطورية العثمانية اصدر مرسوما يقض بتخصيص قرئ لكتاب (صحيح) البخري في سفنه العربية توكا وتيمنا وفي بلدان أخرى تابعة للسلطة العثمانية جرت العادة على ختم كاتبتي مسلم والبخري في شهر رمضان تسليمها بصحة ما جاء فيهما، ليس عن نواسة وعلم ومقلنة، وإنما عن وراثة وتعصب لا طائل من ورائهما غير مزيد البعد عن الحقيقة، ولو أنهم نظروا إلى ما حوته صحائفهما نظرة البصير الواعي، لعلموا أن تلك الكتب ما كان لها أن تتصف بوصف لا ينطبق عليها ولا يليق إلا بكتاب الله تعالى والعزة الطاهرة من أهل بيت نبيه الذين اصطفاهم بوسالته تبليغا وحفظا.

إن أسباب اختيار تلك الكتب وتسميتها بالصحيح دون غيرها من عتوات المصنفات الروائية لم تخف على العرفين بتلخيص الصدر الأول من الأمة ويمكن حصرها في النقاط التالية:

أولاً:

مؤالة الكتب وأصحابها للظالمين وتثبيت دعائم سلطتهم المبنية على القهر والغلبة والجور، بما أخرجوه من روايات موضوعة ونسبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تويد الظلم والظالمين وتدعو المسلمين إلى طاعتهم مهما بلغ ظلمهم طالما أنهم يقيمون الصلاة.

ثانياً:

امتناع تلك أولئك الرواة من الرواية عن الأئمة الأطهار من أهل بيت النبوة عليهم السلام، وخلو كتبهم من أحاديثهم، امتثالاً لأوامر السلط الحاكمة آنذاك لأنهم يمثلون أصحاب الحق في قيادة الأمة، وظهرهم في مقام العلماء يثير حفيظة الغافلين عنهم، لذا اتجه الأمر إلى تغييبهم عن الأمة، سيما وهم معدودين ضمن المعارضة الفعلية لأنظمتهم المتسوّة بالدين وهي ابعد ما تكون عنه.

ثالثاً:

نقل المتناقض من الروايات لمزيد الإشكال على المسلمين، فعلى سبيل المثال لا الحصر نقلوا في روايات أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسمل في صلاته وفي أخرى أنه لم يبسمل، وصلى نوافل شهر رمضان من نون غزيمة ن وصلها جماعة، وأنه صلى الضحى ن وأنه لم يصلها، وأنه قنت في صلواته كلها ن وأنه لم يقنت في غير الصبح، وأنه قبض يديه في الصلاة وأنه لم يقبض، وأنه حرم الخروج على الظالمين وأنه أمر بمجاهدتهم... إلى غير ذلك من التناقضات في الروايات المنسوبة للنبي الكرم صلى الله عليه وآله وسلم.⁽⁷⁾

رابعاً:

احتواء تلك الكتب إضافة للمكثوب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، روايات الخوافة التي دأب اليهود على نشرها حتى تسربت عبر عدد من الصحابة كأحاديث نبوية. نماذج تلك الروايات عديدة وأبوابها متعددة منها ما هو متعلق بالعقيدة ومنها ما هو متعلق بالشريعة، ولئن كنت تناولت ما يتعلق بالتوحيد والنبوة في روايتين منفصلتين، وكنت علماً على تناول مسألة الإمامة، فقد خطر لي خاطر وأنا في بعض تأملاتي صوفني عن البدا فيما عزم عليه إلى ما هو متصل بها تليخياً فقلت في نفسي: لماذا لا أتناول في بحث مستقل الروايات التي ارتكز عليها أصحاب (الصحيح) كدليل على صحة حكومة الخليفة الأول وشوعية توليه السلطة، وهو الذي نقلوا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلفه للصلاة بالناس في موضه الذي توفي فيه. ومن رضىه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لدينا لا بد أن نوضاه لدينا. واقتنعت بجوى البحث ففقت به وأقدمه الآن إلى الأمة سائلاً المولى العلي القدير أن ينيّر

بصائر الأمة يفتح بيننا وبينها بالحق وهو خير الفاتحين.

لئن كانت النصوص الصحيحة الثابتة الورود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دالة في مجموعها على أن الوحي لم يتروك التشريع ومستنوماته للناس يفعلون به ما يريدون، فإن العقل السليم حاكم كذلك بضرورة الاستخلاف على ذلك كله، حفظا واستكمالا لمسوة العلم والعمل والأخلاق التي جاءت بها الشريعة الخاتمة خلاصة لمسوة 124 ألف نبي وما تلاهم من المستحفظين على شوائعهم.

غير أن هناك من انوى مفندا للنصوص الصريحة بالتأويل الأعوج والادعاء الذي لا يستقيم، مدعيا من جهة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتروك للأمة من يقوم مقامه فيها، ومن جهة أخرى يعود ليدعي انه صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، وإمامة الصلاة إن دلت على شيء فإنها تدل على القوة الواجب إتباعه. ومع وجود هذه الروايات في الكتب الروائية المسماة بالصحيح وفي غيرها من أصحاب الاعتقاد بنظرية الخلافة فإنه يتعين النظر في أسانيدها وتفحص متونها لمعرفة ومدى صحتها. ومقرنة بعضها ببعض، وموزنتها مع ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أوامر صريحة لا تبقي على الزعم الكاذب.

على الرغم من أن علم الحرح والتعديل أي علم الرجال المتعلق بأسانيد الروايات المنسوبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المؤرخة لأحداث التاريخ والسوة العطرة على صاحبها وعلى آله أفضل صلاة ورُكِي تسليم، لم يكن موثقا توثيقا يستأنس فيه الوسطية والبعد عن العصبية والتطرف، وبالتالي يمكن معرفة هذا الولي وذاك وحقيقة عدالتهما بكل تجرد، فالمنتبع لكتب هذا الفن يستطيع أن يتعرف على مدى تحامل ربابه على الرواة خصوصا إذا ما كان الولي مخالفا في الفكرة والمذهب، فإن التهمة سوية الالتصاق به، وعلى ذلك يقع إسقاطه من العدالة والوثاقة. وقد تنسب إليه في العادة تهمة الابتداع والرفض مضافا إلى ذلك فإن أغلب الذين صنّفوا كتبنا في الحرح والتعديل قد ضربوا الصفح عن جيل الصحابة فلم يتجروا أحد منهم على التطوق إليهم ن ولم يقفوا عند ذلك الحد بل تجوزوه إلى طبقة التابعين فلم يسقطوا منها غير المخالفين لهم. والحال أن الطامة الكوى والبلية العظمى قد جاءت من هاتين الطبقتين خاصة، وما زاد على ذلك انبنى على أساسها. صحيح أن هنالك صحابة أجلة وتابعين برة رضوان الله تعالى عليهم لكننا لم نؤمر بإتباعهم ولا الاقتداء بهم، كما أن صفة العدالة والصدق والاستقامة والتقوى وغوها من محاسن الأخلاق ليست عامة في طبقة الصحابة والتابعين ولا في من جاء بعدهم، إنما هي صفات يندر وجودها ويقل أصحابها. ويقدر ما أثنى المولى سبحانه وتعالى على الصحابة في كتابه العزيز بقدر ما توعدهم ولعن وغضب. ومن تدبر القرآن وتلاه حق تلاوته، وجد في معانيه ما يفيد ذلك المعنى ويؤيد التوجه العام الذي تعامل به المولى سبحانه وتعالى مع جيل الصحابة. هذا من حيث الدلالات القوانية، أما من حيث الأحاديث النبوية فإن أحاديث الحوض المتعددة والتي نختار منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم".

وقوله: " سحقا سحقا لمن غير بعدي".⁽⁸⁾ تتصرف كلها نحو التأكيد على طبيعة جيل الصحابة، فلا فرق بينه وبين بقية

الأجيال المتعاقبة إلا بالتقوى، وهو الميزان الفصل، بل إن الأجيال اللاحقة ممن جاء بعدهم خير من أغلبهم كما قال الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم في معرض حديثه عن الذين سيأتون من بعد جيله: "لأجر الواحد منهم اجر سبعين منكم". وكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موجه إلى عمر بن الخطاب في جمع من الصحابة. واجتتابا للإطالة أقول أن الجرح في أسانيد الروايات لا بد أن يبدأ من آخر السند، أي الصحابي الناقل للرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن النفاق طال عددا لا يستهان به منهم فمن ظهرت عليه أعراض ذلك الداء العضال من خلا أفعاله التي سجلت عليه بعضها وعفي عن معظمها، فمن الواجب تجنبه وعدم الأخذ عنه والوادة منه، لأنه عدو لله ورسوله ودينه، ومن صفت سيرته وظهر من أفعاله ما ينبئ عن صلاحه وموالاته لآل محمد فمن الواجب الأخذ عنه واحترامه بمكانته من رسول الله والأئمة الأطهار صلى الله عليهم جميعا. من ذلك ننطلق فنقول:

أخرج مسلم النيسابوري على سبيل المثال اثني عشرة رواية تحدثت عن صلاة أبي بكر بن أبي قحافة بالناس في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثمانية منها مسندة إلى عائشة ابنته وثلاثة إلى انس بن مالك، وواحدة إلى أبي موسى الأشعري.

نظرة في أسانيد الروايات:

إذا تأملنا في أسانيد الروايات المتصلة بصلاة أبي بكر بن أبي قحافة الزعومة نجدها جميع لا تقوى على الصمود أمام الطعون المنسوبة إلى أصحابها:

أما عائشة فان ما ظهر منها من بغض وعداء لعلي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، حتى بلغ بها الأمر إلى عصيان الله ورسوله لخروجها من بيتها وقد أمرت بأن تقر فيه، ومحاربة إمام المسلمين، وتأليب الناس عليه ظلما وعوانا، وإذكاء الفتنة بين المسلمين والفتنة أشد من القتل، وان دل ذلك كله على شيء فإنما يدل على انخافها عن الحق وإتباعها الهوى ونصوة الباطل، وإلا لماذا عادت عليا عليه السلام وهي تعلم يقينا مكانته من الله ومن رسوله وما قاله فيه الوحي بجانبه القواني والنهوي خصوصا قوله صلى الله عليه وآله وسلم له: " لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق".⁽¹⁰⁾

حتى أن عددا من الصحابة صرحوا بأنهم كانوا يعرفون المنافقين ببغضهم لعلي عليه السلام.

وما موقف أبي موسى الأشعري من علي عليه السلام ببعيد عن عائشة، فقد اخرجوا عنه ما يلي:

هو عبد الله بن قيس بن سليم، من أشعريي اليمن، وافق قدومه المدينة قنوم مهاجري الحبشة لكنه ليس منهم كما رواه ابن عبد البر في الاستيعاب، كان ذلك بعد فتح خيبر، عد من المبغضين لعلي عليه السلام، وزاد بغضه له لما عزله عن ولاية الكوفة عند مقتل عثمان. تكلم فيه حذيفة بن اليمان فقال: أما أنا فأشهد انه عدو لله ولرسوله وحوب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

وكان حذيفة عرفا بالمنافقين اسر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم ن وأعلمه بأسمائهم، وقد روي أن عمرا سئل عن أبي موسى الأشعري فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولا عظيما سمعته يقول: صاحب الونس الأسود، ثم كلح كلوحا

(11)

علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط.

وليلة العقبة هي الليلة التي رام فيها جمع من الصحابة التنفير بناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقتله عند منصرفه من غزوة تبوك. ورغم خطورة الحادثة فإن المؤرخين وأصحاب السير ممن اثنوا في قلوبهم حب الصحابة أجمعين وتقديسهم قد سوا إلى التقليل من قيمتها، فمروا عليها مرور الكرام.

أما أبو بودة: فهو عامر بن أبي موسى الأشعري، كان قاضيا على الكوفة وليها بعد شريح. ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي من المبغضين لأمر المؤمنين عليه السلام، وأنه ورث البغضة من أبيه لا عن كلاله. وروي انه قال لبي العديلة قاتل عمار بن ياسر: أنت قتلت عمرا؟ قال: نعم. قال: ناولني يدك، فقبلها وقال: لا تمسك النار أبدا. وهو احد من سعى في قتل حجر بن عدي الكندي، أمره زياد بن أبيه ليكتب شهادته على حجر بمارأه، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد عليه أبو بودة بن أبي موسى لله رب العالمين، شهد أن حجر بن عدي خلع الطاعة وفرق الجماعة ولعن الخليفة ودعا إلى الفتنة وجمع إليه الجوع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع (أمير المؤمنين) معاوية، وكفر بالله كفرة صليعاء. ⁽¹²⁾ ناسبا الكفر إلى الإمام علي عليه السلام لأن حجر بن عدي من خلص أصحابه وكبار زهادهم.

أما عقيل بن خالد الأيلي: فقد قال فيه أبو حاتم: لم يكن بالحافظ، قال لي أبو الوليد قال لي الماجشون: كان عقيل جولا (شوطيا) وذكر عند يحيى القطان إبراهيم بن سعد وعقيل فجعل كأنه يضعفهما. ⁽¹³⁾

أما إسحاق بن إبراهيم: فقد قال ابن مخلد: لقد تغير في آخر عمره واختلط، وقد قال الواسطي كذبه ابن عدي لوضعه الحديث وكذبه الأريدي أيضا. ⁽¹⁴⁾

أما أبو معاوية الضوير: فقد قال ابن خراش هو في الأعمش ثقة وفي غيره مضطرب، وكذلك قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: هو في غير العمش مضطرب لا يحفظها حفظا جيدا. وقال الحاكم: احتج به الشيخان وقد اشتهر عنه الغلو، أي غلو التشيع، وروى عباس بن ابن معين قال: روى أبو معاوية عن عبيد الله أحاديث مناكير وقال العجلي: روى الإرجاء. وقال يعقوب ابن أبي شيبة: ثقة ربما يدلس وكان روى الإرجاء، ثم قال يقال إن وكيعا لم يحضر جنزته للإرجاء. ⁽¹⁵⁾

أما الأعمش: فهو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكوفي المعروف بالفضل والثقة والجلالة والتشيع والاستقامة، والعامية يثنون عليه مطبقون على فضله مع اعترافهم بتشييعه. ⁽¹⁶⁾

أما وكيع فقد قال ابن المديني: كان وكيع يلحن ولو حدثت بألفاظه لكانت عجبا. كان يقول: حدثني الشعبي عن عائشة. وسئل أحمد بن حنبل إذا اختلف وكيع وعبد الرحمن بن مهدي، بقول من تأخذ؟ فقال: عبد الرحمن يوافق أكثر وخاصة في سفیان، وعبد الرحمن يسلم منه السلف ويجتنب شرب المسكر. قال ابن المديني في التهذيب: وكيع كان فيه تشيع قليل. ⁽¹⁷⁾

أما عبد الملك بن عمير: فقد قال فيه أبو حاتم: ليس بالحافظ تغير حفظه. وقال أحمد: ضعيف يغلط. وقال ابن معين: مخطئ. وقال ابن خراش: كان شعبة لا يرضاه. وذكر الكوسج بن أحمد انه ضعفه جدا وجرحه ابن الجوزي. ⁽¹⁸⁾

أما معمر بن راشد: فله أو هام معروفة، قال أبو حاتم: ما حدث به بالبصرة ففيه أغاليط وروي انه قال: لقد أوهنا هؤلاء الأواء على كتابة أحاديث. ⁽¹⁹⁾

أما صالح: فان كان ابن رستم، وقد أخرج له مسلم، روى عباس عن يحيى: ضعيف وكذا ضعفه أبو حاتم. وقال ابن أبي شيبة: سألت ابن المديني عنه فقال: كان يحدث عن ابن أبي مليكة كان ضعيف، ليس بشيء⁽²⁰⁾ وان كان صالح بن صالح بن يحيى فقد قال فيه العجلي: ليس بقوي.⁽²¹⁾
وان كان ابن كيسان: فقد رمي بالقدر.⁽²²⁾

هؤلاء إذا بعض رواة حديث الصلاة والطعن التي لحقتهم، غير ألا أن الملفت للنظر هنا هو حشر رواة شيعة في فوية ليسوا طرفا في الاعتقاد بها، فوكيع والأعمش بتصريح الذهبي شيعة، والشعبة يعلمون يقينا ومتسالمون جميع بأن تلك الصلاة لا أساس لها، وان وقعت فمن طرف واحد وهي مؤامرة واد بها التمهيد للاستيلاء على السلطة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. كما أنني لست اوري ما يقصد به الذهبي من التشيع القليل....

أما أبو معاوية الضوير فقد تزجح القول فيه بين التشيع والإرجاء وطالما أن وكيع لم يحضر جنزته فهو إلى الإرجاء أقرب. أما بقية الرواة فهم بين الضعف والتدليس والجلوزة ومصاحبة الأبراء والسعاية بأهل الحق والنفاق الواضح. وعليه فلا وزن لهم ولا قيمة، ومن هذه القوائن سقطت أسانيد تلك الروايات.

أما متون الروايات فلا تقل اضطرابا عن أسانيدنا بل فيها من الكذب الصريح والادعاء الفاضح مما يؤكد وضعها وافتعالها.
1 - اخرج مسلم عن عائشة قالت: ثقل النبي (ص) فقال أصلى الناس؟ قلنا لا وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: ضعوا لي ماء في المخضب. ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال أصلى الناس؟ قلنا: لا وهم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: ضعوا لي ماء في المخضب، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ن ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا وهم ينتظرونك يا رسول الله. فقال: ضعوا لي ماء في المخضب، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس؟ قلنا: لا وهم ينتظرونك يا رسول الله. قالت والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله (ص) لصلاة العشاء الآخرة، قالت فرسل رسول الله (ص) إلى أبي بكر أن صلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله (ص) يأمر أن تصلي بالناس. فقال أبو بكر - وكان رجلا رقيقا - يا عمر صل بالناس. فقال عمر أنت أحق بذلك. قالت فصلى بهم أبو بكر تلك الأيام. ثم إن رسول الله (ص) وجد في نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبي (ص) أن لا يتأخر، فقال لهما أجلساني إلى جانبه فأجلساه إلى جنب أبي بكر، وكان أبو بكر يصلي وهو قائم بصلاة النبي (ص) والناس يصلون بصلاة أبي بكر، والنبي (ص) قاعد. قال عبيد الله فدخلت على عبد الله بن عباس فقلت له ألا اعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مروض رسول الله (ص) قال هات فعرضت حديثها عليه فما أنكر منه شيئا غير انه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس قلت: لا قال: هو علي.⁽²³⁾

اخرج ابن سعد في معوض حديثه عن سوية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أهل أبي بكر، وهي رضى ناحية البلقاء. لما كان يوم الاثنين لأربع ليالي بقين من صفر سنة 11 للهجرة أمر رسول الله (ص) الناس بالتهيئ لغزو الروم، فلما كان الغد دعا أسامة بن زيد فقال: سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد ولينك هذا الجيش. فلما كان يوم الأربعاء بدئ رسول الله (ص)

فحم وصدع، فلما كان يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده، ثم قال: اغز باسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله.

فخرج بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة بن الحصيبي الأسلمي، وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وقتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم بن حريث.

فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين، فغضب رسول الله (ص) غضبا شديدا فخرج وعصب رأسه وعليه قطيفة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس، فما مقالة بلغتني من بعضكم في تأموي أسامة، ولئن طعنتم في إمرتي أسامة فلقد طعنتم في إمرتي أباه من قبل وأيم الله إن كان للإمارة خليقا وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي.. فجعل يقول أنفوا بعث أسامة.

فلما كان يوم الحد اشتد برسول الله (ص) وجعه فدخل أسامة من معسكه والنبي مغمور وهو اليوم الذي لوه فيه ن فطأ أسامة فقبله، ورسول الله (ص) لا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة. قال فعرفت أنه يدعو لي. ورجع أسامة إلى معسكه ن ثم دخل يوم الاثنين وأصبح رسول الله (ص) مفيفا صلوات الله عليه وبركاته، فقال لي: أغد على بركة الله، فودعه أسامة وخرج إلى معسكه، فأمر الناس بالرحيل.

فبينما هو يريد الركوب إدارسول أمه أم أيمن قد جاءه يقول: إن رسول الله يموت. فاقبل واقبل معه عمر وأبو عبيدة، فانتهوا إلى رسول الله وهو يموت فتوفي (ص).⁽²⁴⁾

تعمدت في المقام الأول أن اخرج بداية اكبر الروايات التي نسبت تعيين النبي (ص) لأبي بكر كي يصلي بالناس. لاحتوائها على عدد من التناقضات التي لا يمكنها أن تتطلي على ابسط العقلاء، ثم أردفتها برواية تاريخية من طبقات ابن سعد تحدثت عن سوية أسامة بن زيد التي حث رسول الله على رسالها إلى محلبة الروم، رغم وضعيته الصحية المتقدمة، للزباط بين الروايتين فيما يتعلق بالانتدابات الحاصلة في تلك السوية والتي طالت عددا كبيرا من المهاجرين والأنصار من بينهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ثلاثي السقيفة. وعليه فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما لُعب أبا بكر بن أبي قحافة تحت إمرة أسامة بن زيد، كان يبرك ما يفعله تماما، ولم يود علينا نص واحد يتحدث عن استثنائه لغرض آخر.

لذلك فإن دعوى صلاة أبي بكر بالناس حياة رسول الله صلى الله عليه وآله في موضه الذي توفي فيه باطلة وعربية من الصحة تماما، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يتناقض في وأموه، وموضع أبي بكر في ذلك الوقت هو تجهيز نفسه ليكون طوعا لأمر قائده أسامة بن زيد ذي الثمانية عشرة ربيعا، إن كل متعصب أعمى البصيرة لا يمكنه أن يصل إلى هذه القناعة طالما انه منغمس في تفديس روايات باطلة كالتالي نحن في صدها.

والملاحظ لرواية سوية أسامة وى حرصا شديدا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على إنفاذ الجيش في مأموريته المنتظرة، قابله تشكيك وطعن في تأمير أسامة من قبل عدد من الصحابة، وتقاعس منهم بعد ذلك مبني على ذلك الطعن، مما خلق حالة متجددة من العصيان والتعود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مما دفع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى لعن

المتخلف عن سوية أسامة، فكيف والحال هذه يمكننا أن نقنع بأن سيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر وظيفتان، الأولى وهي الثابتة بكونه في جيش أسامة وقد ذكوه بالاسم كل أصحاب التورايخ والسير، والثانية أمره له بالصلاة بالناس. لقد ذكرت الرواية أن أبا بكر لما جاءه المر بالصلاة امتنع عنها وطلب من عمر أن يصلي بالناس، وفي ذلك عدم امتثال ورد على النبي لو صحت الرواية يدعوننا إلى التعجب من تلك الشخصيات التي ملست مع النبي صلى الله عليه وآله كل أنواع التجاهل والتطول والاستخفاف بشخصه الكريم ومقامه العظيم، كأنما هو مساو لهم أو ليس له خاصية تمزّه عنهم، وهو الجهل بمقام النبوة لا يمكن تجاوزه.

كما ذكرت عائشة أن أباها رجل رقيق لا يمكنه أن يقوم مقام النبي في الصلاة، فهل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، على الرغم مما جاء عن صفاته في القرآن غير رقيق؟ وهل تتطلب الصلاة شيئاً آخر غير الوقة والتخشع والخضوع لله تعالى؟ أم إن عائشة لها رأي آخر في أداء الصلاة؟

وان عجبت من شيء فأعجب من الخفة التي أصبح عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي ذكرت الرواية الأولى والتي تقول: خرج يهادى بين رجلين، وفي رواية أخرى: ورجلاه تخطان، (أي تسمان خطأ في الأرض من شدة الإعياء وقلة الجهد، لن لتكزله كلن على الرجلين الذي كان يهادى بينهما.) فأى خفة تلك التي نسبت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا لم تكن هناك ضرورة قصوى دفعته إلى الاستجداء بعلي عليه السلام والعباس كي يترك المسجد ويبطل مؤامرة صلاة أبي بكر بالناس. إن الجهد الذي بذله النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكد خطورة ما أقدم عليه أبو بكر وجماعته الذين يفترض أن يكونوا في جيش أسامة خرج المدينة، لذلك لما سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم صوته خرج من حجرته مباووا إلى إبطال المؤامرة، وإلا لما كان هناك داعي يستوجب ذلك الجهد الكبير الذي قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولاكتفى بالصلاة في حجرته مع علي والعباس.

أما خاتمة الرواية ففيها تغطية مفضوحة على عزل أبي بكر من الصلاة حيث تقول الرواية إن أبا بكر لما رأى النبي صلى الله عليه وآله مقبلاً ذهب ليتأخر فأوماً إليه أن يبق في مكانه، مع أن هناك رواية تقول بأن أبا بكر دخل في صفوف المصلين بعد أن رأى رسول الله صلى الله عليه وآله مقبلاً، مع أن الذين أتيا به لا يمكن أن يتوكاه وحده وهو على تلك الحال، فالمفترض أن يكونا عن يمينه وعن شماله متأخرين عنه قليلاً لمكان الإمام في الصلاة، والذي تجاهلته الرواية.

ثم انظر إلى حوارة هؤلاء على الله ورسوله كيف يدعون ما لا يقبله عقل ولا منطق، فيطلق مختلق الرواية دعوى لا أساس لها، كالشجرة الخبيثة التي ليس لها قوار، مفادها أن الناس اقتنوا بأبي بكر وأبو بكر اقتدى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأى صلاة تلك التي صليت بإمامين؟

وان أمكن لبي بكر على حدزعم الرواية أن يستأنف ويخرج من نيته الأولى بكونه إماماً إلى الوضع الجديد في كونه مأموماً، فكيف يمكننا أن لا نقنع بأن المأموم عندما يئوي الاقتداء تمضي نيته فيأتم بمن هو الإمام الفعلي للصلاة وهل يعدل بشر فيه بئرة من خير عن إمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ اللهم إلا إذا كان المصلون كلهم متفقون على ذلك

التعدي، أو أن يكون أبو بكر هذا طرفا في النبوة والوحي.

2 - أخرج مسلم عن انس بن مالك أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله (ص) الذي توفي فيه حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله (ص) ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ن ثم تبسم رسول الله (ص) ضاحكا، قال فبهتتا ونحن في الصلاة من فرح خروج رسول الله (ص) ونكص أبو بكر على عقبه ليصل الصف، وظن أن رسول الله (ص) خرج للصلاة فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم. قال ثم دخل رسول الله (ص) فرخى
(25) الستر.

لم تكن هذه الرواية لتتفق مع ما ثبت من أن أبا بكر قد أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكون في جيش أسامة بن زيد ولم نعثر على نص واحد يقول بوجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك القوار. وعلى افتراض أن النبي صلى الله عليه وآله قد أمره بالصلاة فلم النكوص على العقبين، وهو مكلف بأداء الصلاة بالناس؟ ليس هناك من تفسير سوى أن أيدي التحريف كانت من الغباء في بعض الأحيان بشكل جعلها لا تميز بين جمل النص فتركت أثرا دلت على أن النبي لم يأمر أحدا بالاسم كي يصلي بالناس. ثم أي صلاة تلك التي ينكص فيها الإمام على عقبه فيتمها ولا يعيدها لأنه قد أتى بحركات منافية للصلاة وخرجة عنها؟

3 - أخرج مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: مرض رسول الله فاشتد مرضه فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق متى يقوم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس. فقال (ص): موي أبا بكر فليصلي بالناس فإنكن صواحب يوسف. قال فصلى بهم أبو بكر في حياة رسول الله (ص).
(25)

ذكوت الرواية أن رسول الله أمر أن يصلي بالناس أبو بكر، لعدم استطاعته أن يصلي هو بالناس، إلا أن لعائشة رأي آخر علته بأن أباها رجل رقيق لا يستطيع الصلاة بالناس متى قام مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولست اوري إن كان كلامها عن أبيها نتيجة تجربة سابقة مر بها، وأثبتت أنه بالفعل لا يستطيع الصلاة بالناس، أم إن في الأمر شيء لا تريد الإفصاح عنه. على أن الوصف الذي نسوه للنبي صلى الله عليه وآله بأن عائشة وحفصة في روايات أخرى بأنهن صواحب يوسف ن لا يستقيم إلا في الرواية الصحيحة التي قامت فيها كل من عائشة وحفصة كل واحدة تطالب أن يصلي أباها بالناس، فأسكتهن النبي صلى الله عليه وآله بقوله اسكتن فإنكن صواحب يوسف". واستقامة المثل هنا ابلغ من الرواية التي نحن في صددنا.

4 - أخرج ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال: عدت رسول الله في مرضه الذي توفي فيه، فجاءه بلال يؤذنه بالصلاة فقال لي رسول الله (ص) مر الناس فليصلوا. قال عبد الله فخرجت فلقيت ناسا لا اكلمهم، فلما لقيت عمر بن الخطاب لم أبع من وراءه، وكان غائبا، فقلت له صل بالناس يا عمر، فقام عمر في المقام وكان رجلا مجها، فلما كثر سمع رسول الله (ص) صوته فاخرج رأسه حتى أطلعه للناس من حجوته فقال: لا.. لا.. لا.. ليصلي بهم ابن أبي قحافة، قال يقول
(28) ذلك رسول الله مغضبا.

تقول الرواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر عبد الله بن زمعة أن يأمر من يصلي بالناس ولو كان قاصداً أبا بكر لأمر به، ويظهر من عبد الله هذا أن علاقته مع عدد من المسلمين يشوبها التوتر والنوة التي بلغت إلى حد الخصام وعدم التكلم معهم. وفي هذه الرواية دليل على أن عمر لا يصلح لإمامة الصلاة بدليل رفضه من طرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

5 - اخرج ابن سعد عن أم سلمة أن رسول الله (ص) كان في إذا خف عنه ما يجد خرج فصلى بالناس، وإذا وجد ثقله قال مروا الناس فليصلوا، فصلى بهم ابن أبي قحافة يوماً الصبح فصلى ركعة ثم خرج رسول الله (ص) فجلس بجنبه فأتى بأبي بكر فلما قضى أبو بكر الصلاة أتم رسول الله (ص) ما فاتته. (29)

إن دعوى انتماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأحد من الناس هو من قبيل الطعن والنقيصة فيه، فالذي أم 124 ألف نبي ورسول في بيت المقدس، لا يمكن أن يصلي وراء أحد من أمته.

ودعوى انتماء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبي بكر مختلفة وواهية لا أساس لها من الصحة، والثابت عند أهل البيت عليهم السلام أن الكذب والنفاق يكمن في قبول النقيصة في صفة الخلق والادعاء عليه بدعوى فيها تحامل كبير وتجاسر على مقام خرة المخلوقين، وجعل بالنوبة وحقيقتها، نعوذ بالله من فساد العقيدة. وفي نظري ليس هناك فساد أكبر من القبول بان الرسول صلى الله عليه وآله انتم في صلاته بأحد كائنا من كان وتحت أي نويعة أو سبب، وهن الذي جمع الله تعالى له الأنبياء والمرسلين والملائكة التي لا يعلم عددها إلا هو، فأهمهم جميعاً في بيت المقدس ليلة الإساءة، قال تعالى: ط أولئك الذين هدام الله فبهدهم اقتده". ولا رى قنوة يقتدي ولا قائدا يقاد، ولا إماماً جمع الله في شخصه النوبة والوسالة الخاتمة ن وجعله هادياً ومرشداً ودليلاً ونورا بين الناس يصلي وراء احد من رعيته، وهو المأمور قبل غير بتطبيق الأحكام على نفسه ثم غوه، فكيف يجوز أن يأتي جامع كل هذه الخصال والسجايا بمن لا يساويه شيئاً، فكيف تقبل الصلاة في هذه الحالة، ونحن نعم بالضرورة أن العلم والأنتقى هو الأولى بالإمامة؟

زيادة على ذلك فإنه لم يكن جاؤاً أن يصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلاة الجنزة جماعة، فصلوا فوادي كما نبههم إلى ذلك الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قائلاً: ذلك إمامكم حياً وميتاً.

بتلك الروايات الموضوعة فقدت الإمامة معانيها عند أصحاب رأي شورى السقيفة، فجوزوا المفضول مع وجود الفاضل. وقد قال تعالى: " أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون". (30)

والواضح أن روايات تقديم أبي بكر للصلاة كاختيار نوي وتعيين الهي، وضعت زمن بني أمية وبعد فورة الخلفاء الأوائل للتغطية على الانقلاب الذي حصل والذي كان أبو بكر وجماعته قادة ومخططون له، ومحاوله لطمس عين الحقيقة التي تقول إن مقام أبي بكر بن أبي قحافة كان من المفترض أن يكون في جيش أسامة بن زيد وليس في مكان آخر، وجعل الصلاة فضيلة لأبي بكر لعلها ترجح كفة مشروعيته أمام المسلمين.

على أنه وردت روايتان تتحدثان عن صلاة أخرى لأبي بكر بالناس وبمشركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والثانية عن

صلاة عبد الرحمان بن عوف أيضا نستعرضها كالاتي:

6 - أخرج مسلم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله (ص) ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال: أتصلي بالناس فأقيم؟ قال: نعم. قال فصلى أبو بكر فجاء رسول الله (ص) والناس في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف، وفي رواية أخرى فخرق الصفوف حتى قام عند الصف المقدم، وفيه أن أبا بكر رجع (31) القهوي.

مع أن هناك تضارب بين الروايات في المضمون الذي يشتملان عليه من حيث دعوى إمامة أبي بكر للناس في الصلاة ففي واحدة أنه صلى بالناس وصلى خلفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي الثانية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرق الصفوف ليصل إلى أبي بكر فيوقف إمامته وينهي حوائه على مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيها أيضا أن أبا بكر رجع القهوي. وعليه فإن إمامة الصلاة ليست ثابتة الأركان في هذه الروايات، وعلى افتراض صحتها فإنها لا ترقى إلى منصب القيادة الذي كان يتقلب فيه غوره، كقيادة الجيش وإمارة المدينة، ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن النبي قد جرب عددا من الصحابة وأبو بكر منهم ففشلوا حيث نجح غورهم، مضافا إلى أن النبي قد عزل أبا بكر مثلا من إمارة الحج بأمر من الله تعالى قول به جويل عليه السلام قائلا: " يا محمد لا يبلغ عنك إلا أنت أو أحد منك". فرسل عليا عليه السلام أموا على الحج ورد أبا بكر.

7 - أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة في حديث له عن رسول الله (ص) قال انه عوا مع رسول الله (ص) تيوك فتبوز رسول الله (ص) قبل الغائط، فحملت معه ادولة قبل صلاة الفجر فلما رجع رسول الله (ص) إلي أخذت أهريق على يديه من الادولة وغسل يديه ثلاث مرات ثم غسل وجهه ثم ذهب يخرج جبته من نواعيه فضاق كما جبته فأدخل يديه في الجبة حتى أخرج نواعيه من أسفل الجبة وغسل نواعيه إلى المرفقين ثم توضأ على خفيه ثم اقبل، قال المغيرة فأقبلت معه حتى نجد الناس قد قدموا عبد الرحمان بن عوف، فصلى بهم، فأثرك رسول الله (ص) إحدى ركعتين فصلى مع الناس الوكعة الأخوة، فلما سلم عبد الرحمان بن عوف، قام رسول الله (ص) يتم صلاته فألوع ذلك المسلمين فأكثروا التسبيح، فلما قضى النبي (ص) صلاته أقبل عليهم ثم قال أحسنتم، أو قال قد أصبتم يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها. (32)

لم يكن المغيرة بن شعبة ذا شأن يذكر مذ أسلم، وباعتباره أمويا منحرفا عن أهل البيت، فانه كان احد رؤوس الفتنة، حرض على علي عليه السلام فكان في جيش عائشة يفعل أفاعيله، ولما انتهى الأمر إلى إخماد فتنة الجمل، انتقل إلى الشام ليكون من أعوان معاوية المويبين ورجل دعايته في نشر الكذب والبهتان على رسول الله وأهل بيته صلى الله عليهم أجمعين. وقديما اسلم على غوة وغدر، أخرج في شأنه ابن أبي الحديد المعولي وغوره من أصحاب علم الرجال قائلا ك كان إسلام المغيرة من غير اعتقاد صحيح ولا إنابة ونية جميلة، كان قد صحب قوما في بعض الطرق فاستغفلهم وهم نيام فقتلهم واخذ أموالهم، وهرب خوف أن يلحق فيقتل أو يؤخذ ما فاز به من أموال، فقدم المدينة واطهر الإسلام، وكان رسول الله (ص) لا يرد على احد إسلامه، فمن كان إسلامه على هذا الوجه، وكانت خاتمة ما قد تواتر الخبر به من لعن علي عليه السلام على

المنابر إلى أن مات على ذلك الفعل. وكان المتوسط من عمره الفسق والفجور وإعطاء البطن والوج سؤالهما، وممالة الفاسقين
وصرف الوقت في غير طاعة الله. (33)

في هذه الرواية حول المغوة أن يجد لنفسه مكانا بين المتربصين برسول الله (ص) فلم يجد غير ادوة الماء، ليدعي القرب
من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محتاجا لمن يحمل معه الماء؟ وان كان لا
بد من ذلك فان المغوة هو آخر من يفعل ذلك، لأنه لن يجد مكانا بين خالص المؤمنين المحيطين بالنبي صلى الله عليه وآله
وسلم، المبارزين قبل غورهم إلى خدمته، والحقيقة خلاف دعوى المغوة، لأن النبي صلى الله عليه وآله ما كان ليرضى أن
يقوم احد على خدمته بشكل يمزوه عن أصحابه، فكيف يتتبعه احد وهو يريد قضاء حاجة بشوية تحتاج إلى التوري عن

الأعين؟

وقد حاولت أن أستوعب عملية إخراج اليدين من الكمين والجبّة فلم تسعها مخيلتي، فصرفت النظر عنها إلى الوضوء الذي
شرك فيه المغوة، والاستعانة التي لا عذر فيها غير جأرة في الوضوء، كما صوح بذلك النبي نفسه صلى الله عليه وآله، ولم
تذكر الرواية كيفية الوضوء فيما يخص القدمين وأهملت مسح الرأس.

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن غيبة النبي لقضاء حاجته، ثم وضوءه لا يمكنها أن تأخذ من الوقت بحيث يلجئ أصحابه إلى
العدول عنه إلى عبد الوحمان بن عوف ليصلي بالناس الصبح. هذا من حيث الوقت، أما من حيث آداب إتباع النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فان خلص الصحابة وعقلاء الناس من بعدهم لا يمكن أن يقبلوا بتقديم أحد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
حتى لو كان الإمام علي عليه السلام نفسه. وعليه فان تهافت الرواية من ناحية الحط من مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وتسويته بالناس واضحة المقصد، لأن قرئها يترك سريعا غاية واضع الرواية.

لذلك فان رواية الصلاة تلك لا تصح سندا لمحل المغوة وقد اشونا إلى طرف من تليخه، وصوفنا النظر عن باقيه لأن
اللييب بالإشلة يفهم، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا. وهي لا تصح متنا كذلك لتعرضها مع
أحكام الفقه من إمامة ووضوء وآداب الإسلام في القوة والافتداء خصوصا إذا كان في المعادلة أفضل المخلوقات صلى الله
عليه وآله وسلم. وعشت رأك الدهر عجبا.

أما إذا نحن أمعنا النظر في بعض التفاصيل كالووع الذي انتاب المسلمين وهم يشاهدون النبي يصلي وراءهم، ولا أقول يتم
صلاته، وعلمنا أن الغزوة هي غزوة تبوك التي وقع فيها ما وقع من محاولة لقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عندما
دوج على ناقته الدباب من العقبة، أركنا أن المؤامرة محبكة الخيوط بدا بالتطاول على مقامه الشريف وسبقه إلى إمامة
صلاة الصبح وانتهاء بقتله بطريقة خبيثة.

8 - أخرج مسلم عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله (ص) جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس.

قالت: فقلت يارسول الله إن أبا بكر رجل أسيف، وانه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس، فلو أموت عمر (وفي رواية أخرى
قولها ما حملني على كؤة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي بأن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا، وإلا إني كنت رى انه

لن يقوم مقامه احد إلا تشاءم الناس به. فُردت أن يعدل بذلك رسول الله عن أبي بكر. فقال مروا أبا بكر فليصلي بالناس قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وانه متى يقيم مقامك لا يسمع الناس فلو أموت عمر فقالت له، فقال رسول الله (ص): إنكن لأنتن صواحب يوسف. مروا أبا بكر فليصل بالناس. قالت فأمرؤا أبا بكر يصلي بالناس. قالت فلما دخل في الصلاة، وجدر رسول الله (ص) في نفسه خفة فقام يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض. قالت فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر فأوماً إليه رسول الله (ص) قم مكانك، فجاء رسول الله (ص) حتى جلس على يسار أبي بكر، قالت فكان رسول الله (ص) يصلي بالناس جالسا وأبو بكر قائما يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله (ص) ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر. (34)

يتناقض مضمون الرواية مع سابقاتها من حيث كون بلال هو الذي جاء يؤذن رسول الله (ص) بالصلاة، فقال مروا أبا بكر فليصلي بالناس، ومراجعة عائشة له بدعوى مفادها أن أبا بكر رجل أسيف لا يسمع الناس، فلو أمر عمر، وفي رواية أخرى خشيت إن قام مقام النبي صلى الله عليه وآله تشاءم منه الناس، وتتمادى الرواية في ذكر إصوار النبي صلى الله عليه وآله على تعيين أبي بكر ليصلي بالناس الأمر الذي يدفع بعائشة إلى اللجوء إلى حفصة، وكثروا ما كانت تلتجئ إليها للتأمر على نساء النبي وعلى النبي نفسه وقد تزل فيهما تهديده تعالى: " إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هولاه وجويل وصالح المؤمنين والملائكة من بعد ذلك ظهير * عسى ربه إن طلقكن يبدله أزواجا خورا منكن....

وكان رد النبي بأنهن صواحب يوسف، بمعنى أن كل واحدة تدعو إلى أبيها، لأن الرواية الصحيحة كشفت سعي كل واحدة منهن إلى تعيين أبيها للصلاة بالناس حتى تكون له مقاما وفضيلة تؤهله الأخذ بأمور بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وإمامة الصلاة ليست متعلقة بأسماء بقدر ما هي متعلقة بشروط معينة كالعلم بالفقه وحفظ القرآن وأبو بكر لم يكن معودا من حفظة القرآن ولا عبد الوحمان بن عوف أيضا. وقد اثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ما غاب قط عن المدينة إلا وجعل عليها أموا. ولم يذكر احد من الرواة والمؤرخين انه صلى الله عليه وآله استخلف أبا بكر على المدينة يوما ولا قاد غزوة إلا إذا استثنينا غزوة خيبر التي ذكر فيها ابن الأثير في الكامل أن رسول الله صلى الله عليه وآله عقد لواء لبي بكر لكنه انهزم، وعزله من إمرة الحج كما أسلفنا الذكر. وقد أثبت المؤرخون أن أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وغيرهم كانوا تحت إمرة علي بن أبي طالب عليه السلام في خيبر وفي ذات السلاسل وفي الحج الكبير.. وتحت إمرة أسامة بن زيد عندما عقد له رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته لواء، وعين فيه هؤلاء جندا له. وقد لفتت نظري طريقة صلاة المأمومين المتعلضة مع تربيته لهم، فصلاة أبي بكر - إن صحت - المأموم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تستقيم بتلك الطريقة لقوله: " إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا ركع فركعوا، وإذا رفع فلرفعوا، وإذا صلى جالسا فصلوا جلوسا". وقوله أيضا: " إن كنتم أنفسا لتفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا انتموا بأمتكم، إن صلى قائما فصلوا قياما وان صلى قاعدا فصلوا قعودا". (35)

فدل ذلك على بطلان إمامة أبي بكر من الناحية الفقهية لجهله بفقه الصلاة، أو تكون تملكته نكسة انكشاف أمره في طلب الإمامة بالناس، ومفاجئة الغول لركبته بحيث تركته لا يبوي ما يفعل.

أما دعوى إن أبا بكر رجل أسيف، أي بهرقة فهي مطلوبة في الصلاة لأنها تعكس حالة القلب الذي يغشاه الخشوع، والصلاة كلها تذلل ومسكنة ورقة. قال تعالى: "ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً".⁽³⁶⁾

9 - آخرنا محمد بن عمر قال سألت أبا بكر بن عبد الله بن أبي سوة، كم صلى أبو بكر بالناس؟ قال: صلى بهم 17 صلاة، قلت فممكن حدثك ذلك؟ قال: حدثني أيوب بن عبد الرحمان بن صعصعة عن عباد بن تميم عن رجل من أصحاب رسول الله (ص) قال صلى بهم أبو بكر ذلك.⁽³⁷⁾

يكفي الرواية وهنا وضعفا لرسالتها من قبل الولوي أو الحافظ الذي لم يستأنس اسم الصحاب الذي حدثه بذلك، وعليه فهي في عرف أهل الحديث ساقطة لا اعتبار لها. أما من حيث انه صلى لهم فلم تثبت الروايات غير الإقصاء الذي لحقه من إمامة الصلاة، لأنه لو أمره النبي صلى الله عليه وآله فعلا للصلاة بالناس، لما عزله عنها، وان كان في عزله عن إمرة الحج إشارة إلى أن الرجل ليس هو المؤهل لن يكون أموا.

إن القائلين بعدم وجود نص من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على خليفته لم يجنوا بدا من مجرأة أصحاب النصوص باستخلاف الإمام علي عليه السلام إماما للأمة من بعده وهاديا للناس، فالتجؤوا إلى اعتماد ذلك النوع الغريب من الاستخلاف شعورا منهم بخلل بيعة السقيفة، وعدم رقيها إلى مبدأ الشورى الذي ادعوه أساسا لاختيار الإمام أو الخليفة، فاتخنوا من مؤامرة الصلاة التي حاول أصحابها حسم أمر الحكومة بواسطتها قبل موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحاول من جاء بعدهم وتمسك بخط السقيفة أن يجد دعائم ومؤيدات لمؤامرة الصلاة، فحرفوا بعض ألفاظها لتكون مؤيدة لمنحى الخلافة، وداعمة لما تمخضت عنه سقيفة بني ساعدة من اختيار لأبي بكر والمتفحص لوقائعها لا يرى اختيلا، ولا يقف على شوري، وإنما يصطدم بمنطق القوة، وأسلوب التهديد والوعيد، والسب والشتم الشديد.

والإمامة في حقيقتها وظيفية جعلت لمواصله نهج النوة في هداية الناس والمضي بهم قدما في طريق الله تعالى، وهي أمان الأمة من الزيغ والضلال، من تمسك بها نجا ومن تخلف عنها ابتعد عن الله تعالى. لان كان لإمامة الصلاة شروط لا يتقلدها إلا من حلها فان للإمامة العامة والمعبر عنها ولاية أمور المسلمين شروطا لا يتأهل لها إلا من توفرت فيه، كالذكورة والعلم والعدالة، أما ما ألحق بها تروا لمنقلديها كصحبة الغار والمصاهرة أو هذه الصلاة العريية من الصحة والتي نحن بصدد مناقشتها، فليست من شروطها، ولو كانت كذلك لكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أولى وأقرب، ولكفينا البحث في الموضوع لأن المواسي للنبي بنفسه ليلة الهجرة وفي معرك الإسلام ضد الكفر، وزوج سيدة نساء العالمين عليها السلام، وأبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام، أول الناس إيمانا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وآخهم به عهدا، أولى وأرجح كفة بهذه المقايسة.

لقد اثبت مؤرخو السوة النبوية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتوك المدينة في سفر أو غزو إلا وقد عين عليها

أموا يقوم مقامه فيمن خلفه، وقد ثبت أن عليا عليه السلام قد أمر على المدينة، فيما لم يتأمر أبو بكر، وكان علي يقضي بين الخصوم أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال فيه: " أقضاكم علي". فيما لم يقض أبو بكر مرة واحدة، وكان علي دائما قائدا في الحروب وكان صاحب لواء رسول الله دائما، فيما كان أبو بكر مقودا، وهو باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى قال فيه عمر: " لولا علي لهلك عمر". وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة كما جاء في الحديث المتواتر والشهير عند كل الفرق الإسلامية: " من كنت مولاه فعلي مولاه".⁽³⁸⁾

ومن كان دائما أموا حتى لقبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته بأمر المؤمنين بعد غدِير خم، كان لا بد أن يكون كذلك بعده. وكل السفسطة التي جاءتنا عن الإمامة مصورها الأنظمة المتسلطة على رقاب المسلمين التي كانت ترى أن تحريف مفهوم الإمامة الحقيقي يخدم مصلحتها في البقاء، ويغطي عورتها القبيحة، فلو أقرت تلك الأنظمة بوجود نصوص إلهية في الإمامة لما كان لمشروعيتها تلك الأنظمة وجه، لذلك سعت إلى شواء ضمائر رواة فوضعوا أحاديث تخدم انحرافهم وتقوي جانبهم، تحرف المفهوم الإلهي للإمامة، لكنها في الحقيقة ما استطاعت أن تغطي الحقيقة ن لأنها نور الله تعالى، وهيهات أن ينطفئ. إن حبل الكذب قصير، وبيته وُهْن البيوت، ولأرمة النفاق نعوذ بالله تعالى منه ومن أصحابه، وإذا كثُر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضح الكذابة بعضهم بعضا للفواصل الزماني والمكاني الذي يباعد بينهم، فأسقط بعضهم أكاذيب بعض بما لفقوه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وادعوه له، بينما بقيت الحقيقة واضحة جلية لمن يرومها، يكفيه فقط أن يورن بين الروايات ولا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا تأمل فيها معتمدا على ما صح وروده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، غير مستسلم لؤبد التأويل الخاطئ الذي أقرته مسلمات أنظمة الظلم، فلا عبادة أقوى من التمسك بالثقلين - كتاب الله وعبارة نبيه صلى الله عليه وآله - ولا دين أقوم من منهاج علي عليه السلام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا إمامة أبر وأعدل من إمامة الهداة من بيت النبوة سادة الدنيا وقادة الآخرة.

يمكننا القول في خاتمة المطاف بان أفضلية التقدم للصلاة المدعاة لأبي بكر لم تصح للأسباب التي ذكرتها، وان وقعت المحاولة من طرف المعنيين بها سعيا منهم لاطفاء الشوعية على مرشحهم في مقابل مرشح الوحي ومقدم المولى تعالى ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم، السابق إلى كل المكرم، لا يمكن أن تكون حجة على الناس لتولي منصب الإمامة العامة. نعم يمكن مقايسة القيادة بوظيفة من جنسها، كإمارة المدينة وقيادة الجيش، وما تضمنته من نجاح أو فشل ينبيء بنجاح صاحبها من فشله، وأهليته من عدمها.

على أن هنالك شواهد دلت على أن أبا بكر لا يصلح للقيادة نذكر منها:

الشاهد الأول:

غزله عن هذه الصلاة الفرعومة، وان صحت له صلاة قبلها فان الغول الخير يلغي ما سبق.

الشاهد الثاني:

غزله قبل ذلك عن تبليغ سورة واءة، وتكليف الإمام علي عليه السلام بذلك بعد ما تول جويل عليه السلام بقوله: " لا يبلغ

عك إلا أنت أو أحد منك". فلُسل عليا عليه السلام في أثر أبي بكر، فأخذ منه إمرة الحج، ولو بقيت له تلك الفضيلة لاحتج بها أتباعه قبل احتجاجهم بالصلاة الزعومة.

الشاهد الثالث:

انتهامه في خيبر كما حكاه ابن الأثير في تزيخه ن وانتهامه في ذات السلاسل، وانتهامه في احد وحنين يقابله انتصار علي عليه السلام في مشاهده كلها واستبساله في النود عن الإسلام وأهله، بينما كان غوه يلود بالفوار، هي أدلة تقول إن المتسلطين على رقاب المسلمين لا يصلحون للقيادة وعلي عليه السلام فيهم.

الشاهد الرابع:

عدم إمامه بالقيادة، وفشلها فيها مما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله لا يختلن فقد عين عليه في كل مرة من يقوده ويأتمر به، كما في غزوة ذات السلاسل عندما عين عليه عمرو بن العاص أموا، وفي خيبر عندما انتهزم هو وصاحبه عمر فعين عليهما عليا عليه السلام أموا، وفي الحج الكبر وسوية أسامة بن زيد دلالات واضحات على بطلان إمامة أبي بكر وصحة إمامة الإمام علي عليه السلام.

ويأخذك العجب من هؤلاء الذين يصفون وجوههم عن الحق والأولى بالإتباع رغم النصوص الجلية والآيات الصريحة، ويقنعون بروايات واهية السند، متهاكة المتن، تحكي فضائل موهومة لا أساس لها من صنع الغاصبين لحكومة الإسلام الشوعية، ويذهبون مذاهب أشباه العلماء في التأويل الخاطئ عند العجز عن مجابهة قوة الدليل، وإلا كيف يقنع عاقل بفضية ترك دين الله هملا دون راع ومستحفظ فويسة سهلة ومطية طيبة لمن هب ودب؟ أم كيف يوكل المولى تعالى دينه وحكومته وخلافته في الأرض، إمامة الدين والدنيا للناس يفعلون بها ما يشاعون؟ وهو يستثني نبيه من الاختيار بقوله تعالى: " ليس لك من الأمر شيء". أفيكون لهم الأمر ولا يكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ ثم هل كانت تجرب المم السابقة صائبة في انحرافها عن مسار ولاية الله تعالى حتى نحذو حذو التحريف، ونقفو أثر المغيرين والمبدلين؟

إن المتأمل في آخر حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرى أنه ليس هناك أخطر على الأمة من فترة خلو منصب النبوة من صاحبه، خصوصا إذا علمنا أن النولة الناشئة محاطة بثلاثة أعداء هم الفوس والروم واشد منهما خطا المنافقين الذين لا يرون غضاضة في كل ما يقدمون عليه من حوائم من اجل تقويض المجتمع والحكومة من داخله وفي حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فما ضنك بما سيصدر منهم بعد وفاته ن وهم قد اعنوا العدة له وظهرت منهم علامات تفيد توجههم وتكشف نيتهم، كما صوح بذلك الوحي في عدد من الآيات.

وباعتبار أن المولى سبحانه وتعالى لم يفوط في شيء من دينه فقد أوكل مهمة مواصلة القيادة بعد موحلة النبوة إلى الإمام الذي أحصى فيه كل ما تحتاجه الأمة، وجعله الناطق عن كتابه والمستحفظ له، لأن المصلحة تقتضي التعيين على الاسم والشخص لما لا يخفى من حداثة عهد الناس بالدين الجديد، وجهل أكثرهم بأغلب تعاليمه وأحكامه، فضلا عن عدم وضوح مبدا الشورى كي يختاروا الاختيار الصحيح والسليم والشديد. وقد كان حالهم مع النبي صلى الله عليه وآله كما نقله ابن أبي الحديد

المعتولي في شرح نهج البلاغة، عديمي الفهم قليلي الغريمة، يتهيبون أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وينتظرون حتى يجيء الأعرابي أو الطرئ يسأله⁽³⁹⁾ ، كثري الزاع بين يديه لا يعيرون لمقامه العالي ولا لشخصه السامي، فوأمهم تواضعه لهم، فأكثرُوا من أدبته حتى قول فيهم وأنا، وحصوا باب حجرته الشريفة بالحصباء كما صوح بذلك مسلم النيسابوري، ونسوا له ما لا يليق بأبسط الناس وانفضوا عنه في صلاة الجمعة وهو يصلي بهم لمجرد سماع منادي دحية الكلبي، وفروا عنه في حنين وفي مواضع أخرى رغم أنه كان يناديهم.

الصحابية، هذا الصنم الذي وقر في قلوب من لا يترك لهذا المصطلح معنى سوى أنهم يمثلون قمة القداسة والعدالة، بل قد يكونون عند البعض شركاء النبي، وخوء من شخصه، أو هم الوجه الآخر للإسلام، هؤلاء يستهويهم اللهو، وتأخذ بمجامع قلوبهم الدنيا وزينتها، كما قال عمر بن الخطاب عندما خرج في مسألة: لقد ألهاننا عنه - أي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - الصفق بالأسواق

وينتابهم العجز عن إرواك أبسط الأحكام الشرعية فيقفون حيلى أمام آية التيمم لا يستطيعون تطبيقها، بل منهم من امتنع عن الصلاة حتى يجد الماء. ومنهم من دخل الدين طمعا في العطاء، ومهم من دخل حقنا لدمه، حتى الخمر لم يتركوا تحريمه إلا في السنة العاشرة من الهجرة الشريفة أي قبل وفاة الرسول الأعظم ببضعة أشهر.

لذلك فان دعوى ترك أمر قيادة الأمة شاغوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ترى فيه الأمة رأيها مما لا يستقيم مع دين ولا عقل، وتتصل القائلين بذلك من النصوص الواضحة والصريحة بتأويلها وردها. وزفي كل الحالات فان الإمامة العامة في بيان مضمونها لا تخرج عن مرحلتين:

الأولى:

والمعبر عنها بالتعيين المباشر على أساس الاسم والشخص لما تقتضيه المرحلة من وجود الرجل الذي يستطيع سد الفواغ الذي سيحدثه فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلمن وقد أشار المولى تعالى إلى هذا المفهوم بقوله:

- "إني جاعلك للناس إماما".⁽⁴⁰⁾ لأن نور القوة والهادي لا يمكن أن ينتهي بانتهاء النوة، بل هو مستمر لضرورة وجوده

- "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا".⁽⁴¹⁾

- "أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم".⁽⁴²⁾

- "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا".⁽⁴³⁾

- وكل شيء أحصيناه في إمام مبين".⁽⁴⁴⁾

وتولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيان ذلك للناس فقال: "إني ترك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي".⁽⁴⁵⁾

المرحلة الثانية:

وتلي المرحلة الأولى وهي التعيين على الصفات والشروط. أي أن إمام الأمة وولي أمرها لا يمكن اختياله إلا عبر مقاييس

وَأَعَى فِيهَا الْإِمَكَانَاتِ الَّتِي تَوَهَّلَهُ لِلْقِيَادَةِ بِيَسْرٍ وَسَهُولَةٍ، كَالْعِلْمِ وَالْعَدَالَةِ..

لذلك فإن أمر القيادة في الدين الإسلامي أمر محسوم أشار إليه المولى تعالى في كتابه العزيز وتكفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ببيانه للناس فمن قال أن الله تعالى لم يتكلم عن القائم بأحكامه فقد نسب النقص في كتاب الله لأن الكتاب فيه تبيان كل شيء. ومن قال بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قصر عن بيان الأحكام، أو قعد عن النصح للأمة فقد بخرس النبي صلى الله عليه وآله وسلم حقه.

خلاصة القول في مسألة استخلاف النبي صلى الله عليه وآله لابن أبي قحافة للصلاة بالناس في مرضه الذي توفي فيه ما

يلي:

- لم تثبت رواية مما استند عليه القائلون بالاستخلاف للزعم لو هن أسانيدها من جهة وللتضرب فيما بينها في المتن من جهة أخرى، ففي بعضها أن النبي صلى الله عليه وآله خلف أبا بكر، وفي البعض الآخر صلى بهم عمر بتحريض من ابنته حفصة حيث أخرج ابن سعد في طبقاته إن حفصة كانت تقول: " مروا عمر يصلي بالناس".⁽⁴⁶⁾ ، وفي روايات انه قال ليصلي بالناس أحدهم، وفي رواية أمر أحد زوجه بأن يأمر أحدا يصلي بالناس، غير أن الرواية التي صوحت بأن حفصة دعت إلى إمامة أبيها، لا تبعد أن تكون عائشة هي أيضا الداعية إلى إمامة أبيها للصلاة، لأن إطلاقهما لتلك الدعوة كانت عندما أغمي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فضنت كل واحدة منهن أن النبي صلى الله عليه وآله لن يشعر بتدبرهن. مع علمهن المسبق بأن أبيهما لا يمكن لهما أن يكونا في المدينة في ذلك الوقت، للأمر الذي أمضاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تجهيز وإنفاذ جيش أسامة.

- إذا نحن صرفنا النظر عن جملة هذه الروايات وأخذنا بعين الاعتبار ما يقوله الفقه الذي يعلمه الناس بالضرورة، تأكدنا من خلال أحكام الإمامة في الصلاة أن أبا بكر لم يكن معدودا من القواء ولا الفقهاء، سيرته بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفصحت عن حجمه الفكري والعقائدي هو وصاحبه في السقيفة. لذلك فإن الدعوى واهية أيضا من هذا الجانب.

- بطلان إمامة الصلاة للزعم لتحرك النبي نفسه صلى الله عليه وآله وسلم إلى إفشال المحاولة، وهو في حالة لا تسمح له بالخروج، حاول أن تستحضر الصورة التي تكررت في عدد من الروايات، رغم سعي بعضها إلى التخفيف من حدتها بدعوى الخفة التي شعر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأي خفة تلك التي يخرج فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهادى بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض؟ وعليه فإن الذي دعا بالنبي صلى الله عليه وآله إلى المباورة بالخروج والصلاة بالناس أمر عظيم وخطب جلل في إفشاله مصلحة كبرى، وإشالة واضحة إلى أن هذا الرجل لا يصلح أن يكون حتى إمام صلاة، فضلا عن قائد أمة فتيية تسعى إلى شق طويقها بين إمواطوريتي الفوس والروم.

- عدم تطابق أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعيين أبي بكر وجماعته في جيش أسامة بن زيد، وأمره له بالصلاة، ولم نجد نسا واحدا يفيد استثناءه من الجيش فيما بعد، نعم لقد استثنى أبو بكر صاحبه عمر من الجيش بعد ما تم له الأمر، وهو مخالفة صريحة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، تدفعنا إلى الجزم بأن الذين طعنوا في تأمير أسامة بن زيد هم هؤلاء

الذين تمردوا على أمر الخروج قوبصا للأحداث وتحينا لفوصة الاستيلاء على السلطة.

- تصريح بعض الروايات بأن ابن أبي قحافة لم يكن معسكرا بالجرف حيث جيش أسامة يستكمل عدته في المسير، بل كان في السنح حيث إحدى زوجاته هناك، يستشوف الأخبار ويتتسم ما تأتي به العيون إليه، فابنته وابنة صاحبه كانتا من أشد المؤيدين لهما.

- وحتى تنطلي دعوى الصلاة الزعومة، جاء المحرفون، ومبتدعوا الباطل على الله ورسوله بىواية تقول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " لم يقبض نبي قط حتى يؤمه رجل من أمته".⁽⁴⁷⁾ لأي سبب يل قى؟ وهل من الحكمة صدور ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وهو الذي جاء ليكون إماما للعالمين، ويبطل كل إمامة غير إمامته لأنها مبنية على الشوائط التي أرادها البري تعالى، لا على المنطق المعكوس الذي أسس ويؤسس له أعداء الله ورسوله.

التوحيد واحد والنوبة واحدة والإمامة واحدة لا تخضع لأي متغير، فالمسألة ليس فيها مجاملة، ولا تعبر عن تواضع يمكن أن نقول به، انه الدين الحق، والإسلام المحمدي الذي لا يقبل الدس.

إن مسألة الإمامة أمر محتوم في دين الله، ومن قال بغير ذلك عليه أن يعيد النظر في دينه وعقيدته، لأنه لن يجدر اية يؤي إليها يوم القيامة يوم يدعو الله تعالى كل أناس بإمامهم.

نسال الله تعالى أن يجمع شتات هذه الأمة، ويصوها بالطريق السوي، ويعوف بينها وبين إمامها وقائدها، انه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1- سورة البقرة الآية 170

2 - سورة الزخرف الآية 22

3 - سورة محمد الآية 19

4 - سورة المجادلة الآية 11

5 - سورة فاطر الآية 28

6 - سورة الجمعة الآية 4

7 - راجع أبواب الفقه وكتب الإمرة في مسلم والبخري وغورهما..

8 - راجع أحاديث الحوض في مسلم والبخري وغورهما..

9 - الترغيب والترهيب

10 - مسلم النسايوري ج 1 ص 61 كتاب الإيمان

11 - شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتولي

12 - شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتولي

13 - ميزان الاعتدال للذهبي ج 3 ص 89

- 14 - ميزان الاعتدال للذهبي ج1 ص 182
- 15 - ميزان الاعتدال للذهبي ج4 ص 575
- 16 - ميزان الاعتدال للذهبي ج2 ص224 - الكنى والألقاب ج2 ص 54
- 17 - ميزان الاعتدال للذهبي ج4 ص335/336
- 18 - ميزان الاعتدال للذهبي ج2 ص660
- 19 - ميزان الاعتدال للذهبي ج4 ص154
- 20 - الموضوعات في الآثار والأخبار لهاشم معروف الحسني
- 21 - ميزان الاعتدال للذهبي ج2 ص2994
- 22 - ميزان الاعتدال للذهبي ج2 ص295
- 23 - ميزان الاعتدال للذهبي ج2 ص299
- 24- مسلم ج2 ص 21 - البخاري ج1 ص 122
- 25 - سورة الأحزاب الآية 36
- 26 - سورة النور الآية 63
- 27 - الطبقات الكوى لابن سعد ج2 ص 190/191
- 28- مسلم ج2 ص 24
- 29- مسلم ج2 ص 25
- 30- طبقات ابن سعد
- 31- طبقات ابن سعد
- 32- مسلم ج 2 ص25 - البخاري ج1 ص1266
- 33- مسلم ج 2 ص23
- 34- مسلم ج 2 ص26
- 35- مسلم ج 2 ص185/20 - البخاري ج1 ص127
- 36 - الطبقات الكوى لابن سعد ج2 ص223
- 37 - سورة الإسراء الآية 36
- 38 - حديث: من كنت هولا فعلي هولاه، بهذا اللفظ صوح به رسول الله في منصوفه من حجة الوداع وفي مكان يسمى غدير خم بين مكة والمدينة. أوجه كل الحفاظ والمؤرخين على اختلاف مذاهبهم، وقد عدده منهم من الأحاديث المتواترة، بل لعل حضور 120 ألف حاج لمقالته دليل على انه الأكثر شوعا بين الصحابة في ذلك الوقت. تتبعه قديما وحديثا عدد من

العلماء المحققين، منهم من أود له مؤلفا خاصا تعددت مجلداته ذكر ذلك الذهبي وأبو المعالي الجويني وغيرهما، خصص له الشيخ الأميني مؤلفا من 12 مجلدا سماه الغدير في الكتاب والسنة والأدب والتاريخ، تناول فيه الحادثة وتوابعها وتداعياتها، وما قيل في خصوصها من شعر على مدى أربعة عشرة قونا.

39 - سورة البقرة الآية 124

40 - سورة الأنبياء الآية 73

41 - سورة النساء الآية 58

42 - سورة فاطر الآية 32

43 - سورة يس الآية 12

44 - حديث الثقلين أخرجه باختلاف اللفظ ن ودلاله التصريح به في أكثر من موضع للتذكير بأهمية معناه، أغلب المحدثين

والرواة والمؤرخين في كتبهم الروائية لكل الفرق الإسلامية

45 - الطبقات الكوى لابن سعد ج 2 ص 221

47 - الطبقات الكوى لابن سعد ج 2 ص 222



زواج المتعة إحصان أم زنى

سألني أحد الأصدقاء بعد ما علم أنني من القائلين بمشروعية زواج المتعة قائلاً بنوة فيها تهكم: "ما هو تعريفك للزنا؟" فقلت له: "وما حاجتك بتعريفى؟ فأنا لست مشوعا حتى أعرف حالة اجتماعية، وأعطيها المعنى الذي ينطبق عليها، ومن ثأ أطلق لها الإباحة أو المنع، ولو كنت كذلك لنرعت الله تعالى في تعريفاته وأحكامه".

فقال: "فما هو تعريف الشوع المقدس للزنا؟" فقلت: "هو كل علاقة جنسية خرجة عن داوة الإباحة الشوعية". فقال صديقي: "فلماذا تقولون إذا بحلية زواج المتعة وقد حرمه المولى سبحانه وتعالى. وهو عند السواد الأعظم من المسلمين حرام وبالتالي فهو زنى وسفاح؟" فقلت له: "على رسلك يا صديقي، فالقضية التي طوحتها تتجاوز إطار الزواج كعلاقة بين الرجل والمرأة، إلى حالة التحريف التي طالت عددا من الأحكام الإلهية، مودها إلى قصور الفهم، والتصور بأن الحاكم يمكنه أن يأتي بحكم من عنده في مقابل تعطيل الأصل.

لقد جاءت شوائع الأنبياء من لدن آدم حتى خاتم الأنبياء والمرسلين (ص) لحل مشاكل الناس الدنيوية مادية كانت أم معنوية، وتنظيم علاقاتهم وترتيب معا شهم من الولادة حتى ألوفاة، فلم تتروك بابا من أبواب الحياة إلا ولجته وبينت المباح منه من المنهي عنه، فوضعت الحلال موضعه ورغبت فيه، وشددت على الحوام وبينته حتى لم يعد هناك لبس فيه.

قال تعالى: "وما فرطنا في الكتاب من شيء". وقال أيضا: "وتولنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء". وقال أيضا: "ولا يابس إلا في كتاب مبين".⁽¹⁾

مبينة نور النبي صلى الله عليه وآله في توضيح ذلك بقوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم".⁽²⁾

والإمام عليه السلام. وبقوله أيضا: "ولوروه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم".⁽³⁾

لأن كل ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قول أو فعل أو تقرير، لابد له من وعاء يحفظه ويحصيه، ولا يمكن للمولى تعالى أن يتروكه للناس يفعلون فيه ما يشاعون. قال تعالى: "وكل شيء أحصيناه في إمام مبين".⁽⁴⁾ وقال أيضا: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا".⁽⁵⁾ وقال أيضا: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا".⁽⁶⁾ مشورا إلى تواصل دور القيادة الروبانية بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، لأن من تمام الدين وكمال الشريعة حفظها والقيام عليها بعد النبي صلى الله عليه وآله، لإنفاذ أسسها وقوانينها في المجتمع، وتبعا لذلك التمام والكمال، فان ما جاء به الإسلام كاف لعصر النوة وما بعده من العصور، حتى يرث الله الأرض ومن عليها، غير محتاج لاستواك ولا زيادة من أحد.

ولما نظرنا إلى واقع المجتمعات الإسلامية اليوم والى واث فوقها ومذاهبها، لاحظنا تباينا واختلافا بينها في كثير من المسائل المتعلقة بالحياة، والتي أنفذ المولى سبحانه وتعالى فيها حكمه، وبين رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله حيثياته، حصل لدينا علم يقيني بأن الحكم الشوعي في كل مسألة غير متعدد، إنما هو واحد وما عداه عريدة وكذب، توجب علينا الوقوف فيه

عند تعرض الأدلة، لروايتها والخروج بالموجب فيها والمقدم منها من حيث قوة الدليل، تركين غناء الروايات وزبدها يذهب

جفاء.

إجابة على مطلع سؤالك أقول إن الشراع المقدس لم يتروك حاجة من حاجات الناس إلا وقد وضع لها حزا في منظومته، ولما كانت العلاقات الجنسية بين البشر أمرا مفروغا منه، قائما على حاجة الذكر للأنثى، والأنثى للذكر، فقد اتجه تنظيم تلك العلاقة وتقنينها من قبل المولى سبحانه وتعالى، بحيث لا تكون حكا على زمن نون زمن، ولا مزة لجيل من البشر على آخر... "فقاطعني صديقي قائلا: " فما دليلك على أن المتعة حلال". فقلت له: " دليلي الأول من القرآن الكريم وهو الآية التي شرعت المتعة وأحلتها وهي: " وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما. (7)

كما أضع بين يديك، خلاصة ومستصفي أقوال المفسرين من الفويقين في خصوص الآية، فهذا الفخر الوري في نفسه الكبير يقول: إن الأمة مجمعة على أن نكاح المتعة كان جاؤا في الإسلام ولا خلاف بين أحد من الأمة فيه، إنما الخلاف في طويان النسخ". (8) وهذا القوطي في نفسه جامع الأحكام يقول: " اختلف العلماء كم مرة أبيحت ونسخت. (9) وهذا الؤمخثري في كشفه يقول: " تزلت في المتعة". (10)

ويقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور السني المالكي التونسي المعاصر في نفسه التحرير والتنوير بخصوص الآية: والذي يستخلص من مختلف للأخبار، أن المتعة أذن فيها رسول الله (ص) مرتين ونهي عنها مرتين والذي يفهم من ذلك أن ليس ذلك بنسخ مكرر ولكنه إناطة بإاحتها يحال الإضطوار. فانتشبه على الرواة تحقيق عذر الؤخصة بأنه نسخ، وقد ثبت أن الناس استمتعوا في زمن أبي بكر وعمر، ثم نهى عنها عمر في آخر خلافته، والذي إستخلصناه في حكم نكاح المتعة، أنه جائز عند الضرورة الداعية إلى تأجيل مدة العصمة، مثل الغربة في السفر أو غزو، إذا لم تكن مع الرجل زوجته، ويشترط فيها ما يشترط في النكاح من صداق وإشهاد وولى". (11)

وهذا الطباطبائي صاحب المزان في تفسير القرآن يقول: المراد بالاستمتاع المذكور في الآية زواج المتعة بلا شك، فإن الآية مدنية نزلت في سورة النساء في النصف الأول من عهد النبي صلى الله عليه وآله بعد الهجرة على ما يشهد به معظم آياتها، وهذا النوع من الزواج أعني به زواج المتعة كانت داؤة بينهم، محمولة عندهم في هذه الؤهة من الؤمن من غير شك. (12)

فقال صديقي: لكن حفاظ ومفسوي أهل السنة يقولون بخلاف ذلك، وقد حسموأ أمرهم بتبني القول بتحريمه.

فقلت له: من الخطا بما كان الاعتقاد بأن كل من ينسب نفسه لشيء يكون منتبيا إليه ولا فعلا، فوب قرئ للقرآن والقرآن يلعنه، ولا خلاف فيما هو شائع بين المسلمين قاطبة بأن السنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، فهي المفسوة لكلام الله تعالى والشرحة لأحكامه، ولم يأت أحد ليقول ببطلانها أو نفيها أو خلافها، ومن قال بذلك فقد رد على الله تعالى، وخروج بالتالي من الدين بومته، لذا أجمعت الأمة كلها على الإعتقاد بحجيتها فما وجه تسمية فئة ومذهب نون غوه بها. وهذا خطأ لا

يمكن أن يستمر، وغطاء لف به أعداء الإسلام الصافي مارق لهم قبوله من أحكام. فالخلاف ليس في السنة، إنما عمن نستقيها ونأخذها؟ أما السنة الحقّة المأخوذة عن أهل البيت عليهم السلام، الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهراً، فكلها مجمعة على حلية زواج المتعة، واستمرار تلك الحلية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فحلال محمد صلى الله عليه وآله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة. وأما سنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله المأخوذة عمن هب ودب فهي خليط - لمن تأملها - غير متجانس وللنفوة والخافة أقرب منها إلى أي شيء آخر.

فقال صاحبي: "أريد أن توهن لي بالدليل على توجيح حلية زواج المتعة من كتب أهل السنة. لأنه لا حاجة للاستدلال على حليتها عند المسلمين الشيعة لأنها حلال عندهم.

فقلت له: سأقو عليك جملة من الروايات المستخرجة من الكتب المعتمدة عنكم، والتي تقول بحلية زواج المتعة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله واستمرار تلك الحلية بعده على ما يفهم من بعضها:

- 1 - أخرج الشيخان عن عمران بن حصين قال: قلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم يتزل وأن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل وأيه ما شاء. (13)
- 2 - أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نغزو مع رسول الله (ص) ليس لنا نساء فقلنا ألا نستخصي، فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قال عبد الله: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتوا إن الله لا يحب المعتدين. (14)
- 3 - أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأروع قالوا: كنا في جيش فأتانا رسول الله (ص) فقال انه قد أذن لكم أن تستمتعوا، فاستمتعوا. وقال ابن أبي ذئب حدثني إياس بن سلمة بن الأروع عن أبيه عن رسول الله (ص): "أيمارجل وامرأة توافقا فعشوة ما بينهما ثلاث ليال فان أحبا أن يوايدا أو يتتركا". فما ألوي شيء كان لنا خاصة أم للناس عامة. (15)
- 4 - أخرج مسلم عن عطاء قال: قدم جابر بن عبد الله معتبرا فجننا في موته فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة فقال: نعم استمتعنا على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر. (16)
- 5 - أخرج مسلم عن أبي الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر حتى نهى عنها عمر في شأن عمرو بن حريث. (17)
- 6 - أخرج مسلم عن عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال: إن أناسا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصلهم يفتون بالمتعة يعرض رجل، فناداه فقال: انك لجلف جاف، فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين، يريد رسول الله (ص) فقال له ابن الزبير: فحرب نفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجرك. (18)
- 7 - أخرج مسلم عن علي عليه السلام قال بخصوص المتعة: لولا أن نهى عنها عمر ما زنى إلا شقي. (19)
- 8 - أخرج مسلم عن أبي نضوة قال كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها. قال فذكرت لجابر بن عبد الله فقال: على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال: إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء وإن

الْوَأْنُ قَدْ تَوَلَّى مَنْزِلَهُ، فَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَأَبَوْا نِكَاحَ هَذِهِ النِّسَاءِ فَلَنْ أُوتِيَ وَجَلَّ نِكَاحُ امْرَأَةٍ إِلَى أَجْلِ إِلَّا رَجَمْتَهُ بِالْحِجْرَةِ (20) وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مُتَعْتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ أَنَا أَحْرَمُهُمَا وَأَعَاقِبُ عَلَيْهِمَا. (21)

9 - أَخْرَجَ جَمْعٌ مِنَ الْحِفَازِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَا كَانَتْ الْمُتَعَةُ إِلَّا رَحْمَةً رَحِمَ اللَّهُ بِهَا أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ وَلَا نَهَى عَمْرَ عَنْهَا مَا زَنَا إِلَّا شَقَا. (22)

10 - أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي نُضُوءَةَ قَالَ كُنْتُ عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَاتَاهُ آتٌ فَقَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزُّبَيْرِ اخْتَلَفَا فِي الْمُتَعَتَيْنِ (يَعْنِي مُتَعَةَ النِّسَاءِ وَمُتَعَةَ الْحَجِّ) فَقَالَ جَابِرٌ فَعَلْنَا هُمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ثُمَّ نَهَانَا عَنْهُمَا عَمْرَ فَلَمْ نَعُدْ لَهُمَا. (23)

هذه خلاصة الروايات التي أخرجها حفاظ (أهل السنة) والتي تقول بحلوية زواج المتعة متفقة كلها على إباحة زواج المتعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وفاته ثم على عهد أبي بكر ثم زمنًا من خلافة عمر حتى قام الخليفة الثاني فحرمه في قضية عمرو بن حريث حسب ما جاء على لسان جابر بن عبد الله الأنصاري الذي نقل بأمانة حلوية زواج المتعة، كما قال بذلك جمع من الصحابة منهم: عمران بن حصين . عبد الله بن مسعود . سلمة بن الأكوع . عبد الله بن عباس . علي بن أبي طالب . أبي بن كعب . أبو سعيد الخوري . عبد الله بن عمر . عمرو بن جويده . ربيع . وسهل . وسلمة . ومعلى . وصفوان بن أمية . الواء بن عئب . ربيع بن ميسرة . سهل بن سعد الساعدي . المغيرة بن شعبة . معاوية بن أبي سفيان . ومن التابعين الحسن البصري . إواهيم النخعي . سعيد بن حبيب . عمرو بن دينار . ومجاهد . وعطاء بن أبي رباح . وابن جريج - وظلوس . أبي الزهري مطرف . محمد بن سدي . وقد نقل عن مالك وابن شرملة من الفقهاء الميل إليها . وقد رواها بطرق مختلفة موا بفعلها ووقعها زمن النبي (ص) 18 مفسوا روايا عندكم في 25 حديثًا.

قال صاحبي: في انتظار أن أتثبت في المصادر التي ذكرتها لي، لا أخفي عليك دهشتي واستغرابي من هذا العدد الهائل من الحجج في الكتب المعتمدة لدى أتباع مذهبي، كيف يمرن عليها مرور الكرام؟

فقلت له: طبيعي أن يصدر منك ذلك، لأنك سلمت مقاليد دينك ودنياك لمن لم تثبت في حالهم ومبلغهم من العلم، فما يعرضه السلطان عند هؤلاء الفقهاء يطوى ويمحى ويتجرد من الدين وما داس عليه خليفة لأرى أنه فهو سنة هو أعلم بها ممن يفوقونه علما. إن المتأمل في الأحاديث القائلة بحلوية زواج المتعة يلاحظ في الحديث الأول أن عمران بن حصين قد تناول المسألة من جوهها فقال بان المتعة حكم قول في كتاب الله وفعلها الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تقول آية أخرى تحرمه وعليه فان المتعة آية محكمة في كتاب الله لم تتسخ في واقع الأمر بآية أخرى ولا يمكن للسنة أن تتسخ الوآن باتفاق العقلاء، ومات رسول الله صلى الله عليه وآله والناس على حلويته وفي الحديث الثاني المروي عن عبد الله بن مسعود والذي فيه تصريح بان المتعة حلال باستدلاله على ذلك بالآية التي أوردها والتي تقول: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طبييات ما أحل الله لكم..."

وفي الحديث الثالث عن جابر وسلمة بن الأكوع أيضا اعتراف صريح بان المتعة بتفاصيلها التي أوردها الحديث كان معولا بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ويتساءل إن كانت لهم خاصة أم هي للناس عامة. ومثار ريبية سلمة هنا

موده موقف حكومة عصوه من زواج المتعة، مما دفعه إلى الشك في هل أن الحكم خاص بعصر النبي أم هو عام، ولا رأى عالما يقول بأن الأحكام تختلف باختلاف الأجيال، لأنه لا تمايز في دين الله تعالى.

وفي الحديث الرابع عن عطاء الذي جاء إلى جابر مستفسوا عن المتعة وإقرار جابر بحلية الزواج وجريلانه على عهدرسول الله صلى الله عليه وآله وفي خلافة أبي بكر وعمر.

وفي الرواية الخامسة عن أبي الزبير تطابق لما في الرواية السابقة إلا أنها تميزت بذكر أن التحريم حصل من عمر في شان عمرو بن حريث.

وفي الرواية السادسة اختلاف عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عباس في شان زواج المتعة لما كان الأول مستوليا على مكة، وتعرضه له بكلام فظ تشنيعا عليه لقوله بحلية المتعة، يضع ابن الزبير موضع التهمة لان ابن عباس حبر الأمة وتوجمان القوان، فلا يعني قدحه فيه شيئا، خاصة إذا علمنا أن ابن الزبير هذا كان من الذين خرجوا على الإمام علي عليه السلام وحلوه في واقعة الجمل تحت قيادة عائشة بنت أبي بكر ابن أبي قحافة، وقد عد من المبغضين لعلي بن أبي طالب خاصة وبني هاشم عامة، وتحامله على ابن عباس كان بدافع الحقد الذي ملا كيانه حتى افقده التحكم فيه، فكلامه مودود عليه وجريل بمن له مثقال نوة من دين أن لا يعوه اهتماما، إذا ما علمنا أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد قال: " يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق".⁽²⁴⁾ وقد لبث ابن الزبير هذا أربعين جمعة لا يصلي على النبي صلى الله عليه وآله ولما سئل عن سبب ذلك قال: إن له أهيل بيت سوء رُدت أن رُغم أنوفهم.⁽²⁵⁾

وفي الرواية السابعة عن علي عليه السلام إقرار لمشروعية زواج المتعة غير أن عمر نهى عن ذلك

وفي الرواية الثامنة عن أبي نضوة قوله إن ابن عباس كان يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكر ذلك لجابر بن عبد الله فاقر له بمشروعية ذلك الزواج على عهدرسول الله صلى الله عليه وآله حتى قام عمر شطرا من خلافته فمنعه. وفي الرواية التاسعة إمضاء من ابن عباس على أن المتعة رحمة رحم بها الله امة محمد صلى الله عليه وآله لو لا تحريم عمر لها.

قال صاحبني: قد ذكوت في بعض الروايات أن عمر هو مصدر التحريم في زواج المتعة، غير أن علماء السنة يقولون بان تحريم عمر غير صادر عن رأي رآه كما تدعون وإنما عن نص شعوي. ناهيك أن النووي في شوحه للصحيح الجامع لمسلم قال معنونا الباب بان زواج المتعة نسخ ثم أبيح ثم نسخ ثم أبيح عددا من المرات.

فقلت له: إن القول بأن زواج المتعة تعدد نسخه بين الإباحة والتحريم لا يخلو من وجهين:

الأول: إما أن يكون حلالا وبالتالي فانه ليس هناك مدعاة إلى تعدد الحكم فيه.

الثاني: وإما أن يكون حراما، وفي هذه الحالة لا يمكن القول بحليته في وقت ضرورة لأنه لا ضرورة تلجئ إلى فعل

الفاحشة (في نظر القائلين بالتحريم)، وتلجئ إلى مثل ذلك التعدد الذي الصق بالشوع، بينما جاء الدين الخاتم ليحل لنا الطبييات التي أمر بها الله تعالى، ويحرم علينا الخبائث التي وسوس بها الشيطان لأولياته.

وعليه فان القول بتعدد النسخ لا حقيقة له سوى الكذب والحوأة على الله تعالى بنسبة تحليل الحوام له وذلك باطل نعوذ بالله تعالى منه، ومن كل من يدعيه.

لقد جاءت الروايات لتؤكد بوضوح على أن التحريم صادر عن عمر لأى رآه وليس استنادا إلى رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله لأسباب أهمها:

أن عمر كان معروفا بجوآته الوائدة عن الحد، فقد كان لا يتروع حتى في الود على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو على هوى ومسمع من الوحي، وما تلكؤه وعناده في صلح الحديبية وتخلفه عن بيعة الرضوان حتى سبقه ابنه عليها وشكه في دينه يومها على ما صوح به بنفسه، وتصديه للوسول صلى الله عليه وآله في حجته قبل موته مدعيا بأنه يهجر، إلا أدلة عن صور أي عمل منه حتى وان كان مجاوزا للنص.

تعدد تجاوزاته:

فقد نقل السيوطي في تزيخ الخلفاء عددا من مخالفاته سماها أوليات عمر، وكان حوي به أن يسميها تجاوزات عمر أو محدثاته، أو تعريفات عمر. إلا أن قداستهم للوجل أنستهم قداسة النبي صلى الله عليه وآله، بل لعل دينهم انبنى على عدم قبول النقيصة في ذلك الوجل وجماعته، وقبولها في النبي صلى الله عليه وآله.

الروايات التي بحوزتنا لا تدعو مجالا لأي تأويل سوى منعه الشخصي لزواج المتعة، مستحلا صفته حاكما مطلق التصرف في كل شيء حتى التشريع الإلهي، فهو عندما حرم زواج المتعة حرم معه متعة الحج فقال متعتان كانتا على عهد رسول الله أنا احومهما. لمكان الزواج في المتمتع بالعبوة إلى الحج فدل ذلك أن الإحداث كان منه خاصة، ورجوع الناس بعده إلى العمل بحج التمتع بعد أن كان ممنوعا على عهده.

لو كان عنده نص واحد فيه تحريم لزواج المتعة لنطق به. لكنه أخذ إلى رأيه فجعله مقابل النص القواني والإباحة الصويحة من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عدم إمام عمر بأكثر التشويعات أتضع وحتى الآداب فقد نقل مسلم في (صحيحه) أن أبا موسى الأشعوي استأذن على عمر ثلاثا، فكأنه وجد مشغولا فوجع فقال عمر ألم تسمع صوت عبد الله بن قيس انذنوا له. فدعي له فقال: ما حملك على ما صنعت. قال: إنا كنا نؤمر بهذا. قال: لتقيمن على هذا بينة أو لأفعلن. فخرج فانطلق إلى مجلس من الأنصار فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغونا. فقام أبو سعيد فقال: كنا نؤمر بهذا. فقال عمر: خفي علي هذا من أمر رسول الله ألهانى عنه الصفق بالأسواق (26)

إنكار الصحابة لمنعه كعلي وابن عباس وجابر وابن مسعود وابن حصين وغوهم، وأقل هؤلاء مقولة أفقه من عمر. فقال صاحبي: لماذا حرم عمر زواج المتعة إذا؟ فقلت بعد ما تجمع لدينا من الأدلة على أن عمر هو الذي حرم هذا النوع من الزواج من موقعه كحاكم عام للمسلمين، ليس لحكم شوعي رآه ولكن لأى خاص به أنقل إليك بعض الروايات التي تشير إلى ذلك بوضوح:

ففي الإصابة أخرج ابن الكلبي أن سلمة بن أمية بن خلف الجمحي استمتع من سلمى هولة حكيم بن أمية بن الأقوص

الأسلمي فولدت له، فجدد ولدها فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعة. وفي الدر المنثور أخرج مالك وعبد الزراق عن عروة بن

الزبير، أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب فقالت إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة مولدة فحملت منه، فخرج

(28)

عمر يجرداءه فوعا، فقال: هذه المتعة لو كنت تقدمت فيها لوجمته.

وعن كنز العمال عن سليمان بن يسار عن أم عبد الله ابنة أبي خثيمة أن رجلا قدم من الشام فقول عليها، فقال: إن العوبة

قد اشتدت علي فابغيني امرأة أتمتع معها. قالت فدللته على امرأة، فشاطوها واشهوا على ذلك عولا، فمكث معها شاء الله أن

يمكث ثم انه خرج، فأخبر عن ذلك عمر بن الخطاب، فُرسل إلي فسالني: أحق ما حدث؟ قلت: نعم قال: فإذا قدم فأذنيني. فلما

قدم أخوته فُرسل إلي فقال: ما حملك على الذي فعلته؟ قال: فعلته مع رسول الله (ص) ثم لم ينهنا عنه حتى قبضه الله، ثم مع

أبي بكر فلم ينهنا عنه حتى قبضه الله، ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهيا. فقال: عمر أما والذي نفسي بيده لو كنت تقدمت في نهى

(29)

لوجمتك بينوا حتى يعوف النكاح من السفاح.

هذه النصوص تريد تضافوا الروايات التي تحدثت عن نهى عمر للمتعتين. يقول السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير

الآية من مؤانته: هذه عدة من الروايات الواردة في أمر المتعة، والناظر المتأمل الباحث وي ما فيها من التباين والتضرب.

ولا يحصل للباقي عن مضامينها غير أن عمر بن الخطاب أيام خلافته حرمها ونهى عنها لأبى رآه في قصص عمرو بن

حريث وربيعه وأميه بن خلف الجمحي. وأما حديث النسخ بالكتاب والسنة فقد عرفت عدم رجوعه إلى محصل. على أن بعض

الروايات تدفع في جميع مضامينها، إلا في أن عمر بن الخطاب الناهي عنها المعوي للمنع، المقرر حرمة العمل وهو الوجم

(30)

لمن فعل. فقال صاحبي: صحيح توجد عندنا الروايات التي ذكرتها ولكن روايات التحريم التي عندنا لاتقل عنها. فقلت له:

وما فائدة جمع النقيضين في كتاب واحد، أو تضن أن فائدة ما ستحصل من ذلك؟ ليس هناك من تفسير لذلك سوى عدم اطمئنان

الحافظ لصنف من الروايات حتى يتبناه، فنقل السليم والسقيم. تحت طائلة العامل السياسي، وخشية تبني فتوى لا تتماشى

وتوجه السلطة، أو التعصب المذهبي الذي لا يميز بين الحكم الأصل والحكم المحدث. فقال: فما هو دليلك على أن روايات

تحريم زواج المتعة مختلفة وموضوعة فقلت له: قبل الإشوة إلى ذلك والاستدلال عليه تعال نتصفح روايات التحريم:

1 - حدثني مالك بن إسماعيل حدثني ابن عيينة انه سمع الزهري يقول اخبرني الحسين بن محمد بن علي وأخوه عبد الله

(31)

عن أبيهما أن عليا (رض) قال لابن عباس: إن النبي (ص) نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خبير

2 - عن يحيى بن زوعة حدثني مالك عن ابن شهاب عن عبد الله والحسن ابني محمد وعلي عن أبيهما عن علي بن أبي

(32)

طالب أن رسول الله (ص) نهى عن متعة النساء يوم خبير

3 - قال ابن شهاب اخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله انه بينما هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة

فأمره بها فقال له ابن أبي عمرة الأنصلي مهلا قال ما هي والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين. قال ابن أبي عمرة إنها كانت

(33)

رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة والدم ولحم الخنزير ثم احكم الله الدين ونهى عنها.

4 - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا أبو عميس عن إياس بن سلمة عن

(34)

أبيه قال رخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام أوطاس في المتعة ثلاثا ثم نهى عنها

5 - حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن الوبيع بن سودة الجهني عن أبيه سودة قال أذن لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المتعة... ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " من كان عنده شيء من هذه النساء التي يتمتع فليخل سبيلها". حدثنا إسحاق بن إواهيم بن آدم حدثنا إواهيم بن سعد عن سعد عن عبد الملك بن الوبيع الجهني عن أبيه عن جده قال: أمرنا رسول الله (ص) بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها.⁽³⁵⁾

6 - عن محمد بن كعب عن ابن عباس: قال إنما كانت المتعة في أول الإسلام كان الرجل يقدم البلدة ليس له بها معرفة فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم فيحفظ له متاعه ويصلح له حتى إذا تولت الآية: " إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم". قال ابن عباس فكل زوج سوى هذين فهو حرام.⁽³⁶⁾

7 - عن ابن عباس: في قوله تعالى: "فما استمتعتم به منهن فأؤهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم. قال: نسختها: "يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقهن لعدتهن".⁽³⁷⁾

8 - أخرج أبو داود في ناسخه وابن المنذر والنحاس والبيهقي عن سعيد بن المسيب قال: نسخت آية الموات المتعة.⁽³⁸⁾

9 - أخرج عبد الرزاق وابن المنذر والبيهقي عن ابن مسعود قال المتعة منسوخة نسخها الطلاق والصدقة والعدة والموات.⁽³⁹⁾

10 - في شوح ابن العربي لصحيح الترمذي عن إسماعيل عن أبيه عن الزهري: أن سورة روى أن النبي (ص) نهى عنها في حجة الوداع.⁽⁴⁰⁾

11 - أخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم عن سلمة بن الأكوع قال: رخص لنا رسول الله (ص) في متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيام ثم نهى عنها بعدها.⁽⁴¹⁾

لقد استند القائلون بتحريم زواج المتعة إلى أدلة عديدة وتولحت بين النهي الروائي والنسخ القواني لكن أسانيدنا لم ترتقي إلى الصحيحة فهي في مجموعها من أحاديث الآحاد. والذي عليه مذهب السواد الأعظم من الفقهاء عدم الاعتماد عليه في استنباط الأحكام خصوصا إذا كانت متضاربة، فيما بينها. فمن حيث أسانيد الروايات نجد:

- مالك بن إسماعيل: ثقة مشهور. قال السعدي فيه: كان حسنيا - يعني على مذهب شيخه الحسن بن صالح -⁽⁴²⁾ والحسن بن صالح على ما ذكر الذهبي نفسه في ترجمته: فيه بدعة تشيع.⁽⁴³⁾ والشيعنة قاطبة قمة وقاعدة علماء وعامة بمقدمهم

ومتأخريهم يقولون بحلية زواج المتعة، وعليه فان دهاة الوضع كلما رأوا أن يمرروا حكما مختلفا أو فضيلة مزيفة الصقوها بسند فيه واحد من أهل البيت عليهم السلام أو من شيعتهم:

سفيان بن عيينة: كان يدلس:

قال أحمد بن حنبل كنت أنا وابن المديني فذكرنا اثبت ما يروي على الزهري فقال على سفيان بن عيينة فقلت أنا مالك، فان مالك أقل خطأ وابن عيينة، يخطيء في نحو من عشرين حديثا على الزهري ثم ذكوت 18 منها... فوجعت فإذا ما أخطأ فيه

سفيان بن عيينة اكثر عشرين حديثا.

علي بن سعيد القطان قال (أشهد أن سفيان بن عيينة اختلط سنة 197 فممن سمع منه فيها فسماعه لا شيء كان معاصرا للإمام الصادق عليه السلام

عبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبه أبو بكر الخوامي.

قال أبو احمد الحاكم: ليس بالمتين عندهم، وقال أبو بكر ابن أبي داود: ضعيف، وقال ابن حبان في الثقات: ربما أخطأ. (44)

عبد الواحد بن زياد: قال الذهبي احتجا به في الصحيحين وتجنبنا تلك المناكير التي نقتت عليه فيحدث عن الأعمش بصيغة السماع (ولم يسمع منه) قال القطان: ما رايته يطلب حديثا بالبصرة ولا بالكوفة قط كنت اجلس على بابه يوم الجمعة بعد الصلاة أذاكوه حديث الأعمش لا يعرف منه حرفا. قال الفلاس سمعت أبا داود قال عمد عبد الواحد إلى أحاديث كان يرسلها الأعمش فوصلها بقول حدثنا الأعمش حدثنا مجاهد كذا وكذا. وقال عثمان بن سعيد سألت يحيى عن عبد الواحد بن زياد فقال (45)

ليس بشيء

وعليه فان المتأمل في أسانيد روايات التحريم يرى أن سقوطها لوجود علي عليه السلام وعبد الله بن عباس في الروايات الأولى والثانية والسادسة لان علي بن أبي طالب وابن عباس: كانا من القائلين بحلية المتعة بلا خلاف في ذلك. وما صرحا به بخصوص ذلك دليل يؤكد على أن نسبة التحريم لهما ملفقة، افتعلتها الأبيادي الخبيثة التي غالبا ما تلجئ إلى حشر أسماءهما للتضليل، والتلبيس على المؤمنين.

أما الرواية الثالثة ففيها ما يجعلها في صف القائلين بالحلية لأن الرجل الذي استتر عليه الولوي هو عبد الله بن عباس وذكر اسمه يفسد على ابن أبي عمرة لأنه لا موزنة بينهما في علم ولا في شرف فأين الثوى من الثويا. وأين حبر الأمة وتوجمان القوان من صحابي عادي من عوام الناس.

هذا من حيث السند أما من حيث المتن ففي الحديث الأول المروي عن علي بن أبي طالب مخاطبا ابن عباس معلما إياه أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خبير ولم توضح الرواية ما إذا كانت المتعة المشار إليها هي متعة الحج أم متعة النساء، هذا من ناحية، وغير موضحة طبيعة النهي هل هو نهى تحريمي، أم هو نهى تترهبي ينوج في إطار الكراهة كما هو الشأن بالنسبة للحمر الأهلية، من ناحية أخرى، وعليه فان الرواية لا يمكن اعتمادها لأنها غير واضحة.

وفي الحديث الثاني المروي عنه أيضا دون وجود ابن عباس أن الرسول صلى الله عليه وآله نهى عن متعة النساء يوم خبير في حين أن المعلوم والمعروف عن علي عليه السلام وابن عباس أنهما من القائلين بحلية زواج المتعة، وأقوالهما غير خافية على طبقات الناس التي تسالمت عليه وروته وعملت به منذ أن أحله الله ورسوله إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها. راجع الروايات القائلة بالحلية ففيها أربع روايات عن ابن عباس وروايتين عن علي عليه السلام، على انه لا بد من الإشارة إلى أن الأبيادي الخبيثة التي أساءت إلى سنة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والتي ادعاها المتكبرون عن الأئمة

الأطهار من آل محمد عليهم السلام، وجعلوها مرتعا خصبا للوضع والكذب ودفعوا للتهمة عن عمر ابن الخطاب، ومحاولة منهم لإيجاد صيغة فيها تحريم مباشر، فكذبوا ولفقوا وهم متباعدون متفوقون في الآفاق دون أن يعلم الواحد بما فعل الآخر فجاءت رواياتهم مضطربة واهية متاهلكة لا تقوم بها حجة. ولكن ما عساني أن أقول فيمن عمل في الدين وأبوه وجعل فكرته في مقابل النص وحمل الناس عليه بقوة السلطة.

أما الرواية الثالثة ففيها إسقاط لاسم عبد الله بن عباس والكناية عنه وجل حتى يكون المعروف هو ابن أبي عمرة أعلم من المجهول ولو أفصح الروي عن اسمه لما بقي لقول ابن أبي عمرة هذا من قيمة طالما أن ابن عباس في مقام الإفتاء وابن أبي عمرة في مقام الإصغاء والعمل.

واستواك هذا الأخير مدعيا بأن المتعة رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها كالميتة والدم ولحم الخوير ثم احكم الله الدين ونهى عنها، لا يقف على دليل لأنه لو كانت المتعة رخصة كما يدعي لما سقطت لأن الحاجة التي ألجأت إلى تشريع المتعة باقية ببقاء المحتاج ودائمة بدوام الضرورة، وحاجة مسلمي هذا العصر إليهاؤكد وألح من العصور الأولى. ومقايضة المتعة بالدم والميتة ولحم الخوير، وهي نجاسات محرمة لا يقبها إلا المضطر، ومقربته لها في حال الضرورة لا تسقط حرمتها، والمتعة ليست كذلك فهي إما أن تكون زواجا حلالا جائزا أو تكون زنا ومسافة محرمة ليس فيها اضطراب ولا ضرورة، لأن الذي عبر عنه المولى بالفاحشة وبالمقت وبسوء السبيل لا يمكن أن يكون حلالا في عصر دون آخر كالخمر التي ادعوا حليتها وتوج تحريمها تغطية لجريمة شربها من قبل عدد من رموزهم، والحال أنها محرمة منذ البداية بقوله تعالى: " قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والإثم هنا هو الخمر لقول الشاعر بلسانه العربي:

شربت الإثم حتى ضل عقلي كذلك الإثم تذهب بالعقول

وتلك الحرمة غير مخصوصة برسالة نون أخرى، فالخمر والذنا محرمين من آدم إلى نهاية هذه الدنيا. فلا مجال إذا للدعاء بجعلها من المحرمات في زمن كان الدين فيه غير محكم على حدز عمهم. ثم انظر كيف ينسبون إلى الله تعالى وإلى نبيه عدم إحكام الدين، ولا ينسبون إلى الناس التقصير في الفهم والتعود والعصيان والاستخفاف بالأحكام.

يقول محمد حسين الطباطبائي في الميزان: مع فوض تداوله في أول الإسلام بين الناس وشهرته باسم نكاح المتعة والاستمتاع لا مناص من الاعتراف بدلالة الآية على جوره مع إطلاقها وعدم صلاحية شيء من الآيات والروايات على نسخها فالقول برتفاع إباحته تأول في دلالة الآية من غير دليل. ولو سلمنا أن إباحته كانت بإذن من النبي صلى الله عليه وآله لمصلحة الضرورة لكن نسال أن هذه الضرورة هل كانت في زمن النبي صلى الله عليه وآله اشد وأعظم منها بعده، وأي فرق بين أوائل خلافة عمر وأخوه من حيث تحول هذه الضرورة من فقر وغزو واغتراب في الأرض وغير ذلك؟ وما هو الفرق بين الضرورة والضرورة، وهل الضرورة المبيحة اليوم وفي جو الإسلام الحاضر اشد وأعظم أم في زمن النبي صلى الله عليه وآله

وآله وقد ظهرت الشهوات في مظاهرها ولزنت بأحسن زينتها وأجملها ودعت إلى اقترافها بأبلغ دعوتها ولا زال الأمر يشتد، والبلية تعم البلاد والنفوس، وشاعت الفحشاء بين طبقات الشباب من المتعلمين والجنود وعملة المعامل وهم الذين يكونون المعظم من سواد الإنسانية ونفوس المعمورة. ولا يشك شك ولن يشك في أن الضرورة الموقعة لهم في الفحشاء الزنا والواط وكل انخلاع شهواني عمدتها العجز من تهيئة نفقة البيت والمشاكل المؤقتة المؤجلة المانعة من اتخاذ المتزل والنكاح الدائم لغوبة أو خدمة أو واسة ونحو ذلك، فما بال هذه الضرورات تبيح في صدر الإسلام وهي اقل ولو هن عند القياس - نكاح المتعة - لكنها لا تقوم للإباحة في غير ذلك العهد وقد أحاطت البلية وعظمت الفتنة.⁽⁴⁶⁾

أما الرواية الرابعة عن إياس بن سلمة عن أبيه سلمة بن الأروع فتناقضها رواية سلمة نفسه الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: أيمارجل وامرأة توافقا فعشوة ما بينهما ثلاث ليال فان أحبا أن يؤيدا أو يتلركا. والوايد هذا في المدة والمهر فلا مجال للقول بإباحتها ثلاثة أيام فقط بل لعل فهم هؤلاء القوم أوصلهم إلى أن ثلاث ليال المشار إليهن في الحديث وقد تكون الحد الأدنى للعلاقة الزوجية في المتعة، انه صلى الله عليه وآله أحلها ثلاث أيام فقط. ولنا أن نسال هؤلاء التائبين في مراه تحريم الحلال وتحليل الحرام بمقتضى لجوءهم لقليلي العلم ومتبعي الظن، إذا كانت المتعة حراما فلماذا حلت ثلاث أيام؟ وإذا كانت حلالا فلماذا حرمت بعد ثلاث؟

أما الرواية الخامسة عن سوة الجهني، ففيها أن الرسول صلى الله عليه وآله أمر بالمتعة في فتح مكة ثم لم يخرج منها حتى نهى عنها. والمتأمل في روايات التحريم المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله روى فيها تناقضا واضطرابا بلغ حد التباين. يقول الشيخ محمد حسن نجفي بالخصوص: على أن الأخبار التي رويها في النسخ متناقضة على وجه يعلم منه أنها موضوعة، فإنهم رويوا أنها أبيحت عام الفتح وان النبي صلى الله عليه وآله لم يخرج من مكة حتى حرمها، وأنها أبيحت عام لوطاس ثلاثة أيام أو يوما أو ليلة، وأنها أبيحت في حجة الوداع ثم نهى النبي صلى الله عليه وآله عنها، وأنها أبيحت أول الإسلام حتى قلت: "إلا على أزواجهم". الآية. وأنها نسخت يوم خيبر، ويوم تبوك. وأين حجة الوداع والفتح وخبير وتبوك عن أول الإسلام، كما انه أين هو وأين عام لوطاس".⁽⁴⁷⁾

أما الرواية السادسة عن ابن عباس، ففيها أن المتعة كانت في أول الإسلام ثم نسخت بقوله تعالى: "إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم". وهو قول مودود لان سورتي المؤمنون والمعلج اللتين تشتملان على هذه الآية مكيتان. في حين أن آية المتعة في سورة النساء وهي مدنية قلت بعد البقرة وآل عمران، فكيف ينسخ المكي المدني، هذا من ناحية والمتعة زواج بشروطه يدخل تحت طائلة الإباحة في هذه الآية ولا يمكن سلب صفة الزواج عنه بأي حال من الأحوال من ناحية أخرى.

أما الرواية السابعة عن ابن عباس أيضا والثامنة عن سعيد بن المسيب والتاسعة عن ابن مسعود ففيها أن المتعة نسختها آية الموات والطلاق والعدة، فإنها روايات مختلفة ملفقة. يقول السيد محمد حسين الطباطبائي: أما النسخ بآية الموات وآية الطلاق وآية العدد فقد عرفت أن النسبة بينها ليست نسبة النسخ والنسخ بنسبة العام والمخصص أو المطلق والمقيد فان آية الموات مثلا تعم الأزواج جميعا من كل دائم ومنقطع، والسنة تخصصها بإخراج بعض أفرادها وهو المنقطع من تحت عمومها وكذلك

القول في آية الطلاق وآية العدد وهو ظاهر ولعل القول بالنسخ ناش من عدم التمييز بين النسبتين. أما النسخ بآية العدد فبطلانه واضح فان حكم العدة جار في المنقطة كالدائمة وان اختلفتا في المدة فيؤول إلى التخصيص أيضا دون النسخ، أما النسخ بالسنة ففيه مضافا إلى بطلان هذا القسم من النسخ من اصله لكونه مخالفا للأخبار المتواترة الآخرة بعوض الأخبار على الكتاب (48) وطرح ما خالفه.

قال صاحبي: فهل لك أن تريدني من النصوص التي تقول بحلية زواج المتعة واستمرار العمل به بعد عمر. فقلت له: إن أقوى الأدلة التي يمكنني أن أمك بها هي قطعا استمرار العمل بهذا النوع من الزواج عند معتقني إسلام أهل البيت عليهم السلام قاطبة عامتهم وعلماءهم، والاجتهاد عندهم لم تنفوط حباته منذ أن أنشئ عندهم، والحال أن الاجتهاد عند غورهم قد وأده الطغاة منذ أن أوقفوه على أربعة مذاهب لا ينبغي تجاوزهها إلى شيء مما عداها، لذلك ترى أن كل شيعي لا تستقيم عبادته إلا بتقليد المجتهد الحي، بما توفر عندهم من نصوص قطعية، وإسلامهم متصل بعهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عبر أهل البيت عليهم السلام الذين اذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ليكونوا نبعه الصافي، ومورده الوافي، ودليله الكافي، وغورهم في أحسن الحالات منغمس في تقليد الموتى لا هم متصلون بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة كالطاهرين من آل محمد صلى الله عليه وآله ولا المقلدون بإمكانهم الاستجداد بموتاهم عند فقد الفقيه، وفوق ذلك كله جاءنا من أخبار هؤلاء المجتهدين ما أثبتته التزيخ من تخليهم عن كثير من المسائل ورجوعهم عنها قبل وفاتهم. وبعد انقل إليك أربعة روايات تؤكد استمرارية العمل بالمتعة بعد عمر وهي كالاتي:

- 1 - عن شعبة قال إني سألت الحكم بن عيينة عن هذه الآية " فما استمتعتم به منهن " منسوخة هي؟ قال: لا ثم قال: قال علي بن أبي طالب لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي". (49)
 - 2 - قال رجل من أهل الشام ابن عمر عن متعة النساء قال: حلال فقال: إن أباك قد نهى عنها. فقال رأيت إن كان أبي قد نهى عنها وسنها رسول الله (ص) نترك السنة ونتبع أبي. (50)
 - 3 - روي أن يحيى بن اكنم القاضي قال لشيخ بالبصرة كان يتمتع، عن أخذت المتعة؟ فقال: عن عمر، فقال: له كيف وهو أشد الناس نهيا عنها؟ فقال: إن الخبر الصحيح جاء عنه انه صعد المنبر وقال: إن الله ورسوله أحلا لكم متعتين وأنا أحرمهما وأعاقب عليهما. فقبلنا شهادته وروايته عن رسول الله (ص) ولم نقبل تحريمه لها من قبل نفسه. (51)
 - 4 - حكى الذهبي في ترجمة ابن جريج عبد الملك بن عبد العزيز المكي: فقال: احد الأعلام الثقات مع كونه تزوج بنحو سبعين امرأة نكاح متعة، كان يرى الوخصة في ذلك، وكان فقيه أهل مكة في زمانه. (52)
- هذه جملة مروياتكم في شأن المتعة التي نهى عنها عمر مع حج التمتع فلما قتل عاد الناس إلى العمل بمتعة الحج وزواج المتعة كما جاء في كتبكم، ولو كفاني الوقت لتتبع غورها من الروايات التي تؤكد على استمرار العمل بما حرمه عمر طاعة لله تعالى ومعصية لعمر.

قال صاحبي: فهل لك أن تذكر لي من قال بحلية زواج المتعة من غير طويق أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم؟ فقلت: أما

غير أصحاب المحجة البيضاء فقد جاء عن بعضهم ما يوافق رأي طاهرين من آل محمد صلى الله عليه وآله فهذا مالك بن انس يجيز المتعة نقل السرخسي في المبسوط والقاضي عز الدين حسن بن منصور في فتاوى الوغانى، والوفاعى والتفوتانى فى شوح المقاصد والعسقلانى فى فتح البلرى والزرقانى فى شوح مختصر أبى الضياء وفى شوحه للموطأ حيث ذكر أن احد قولى مالك هو حلية زواج المتعة وروى ذلك الباجى المالكى فى المنتقى.

أما أبو حنيفة فقد روى الحسن عن أبى حنيفة أن المدة التى عينت فى العقد إن كانت طويلة بحيث أن الزوجين لا يعيشان إليها فى الغالب كان يقول للمرأة تزوجتك لمدة سنة مثلا أو أكثر صح العقد لأنه فى معنى المؤبد وهو حسن ونقله محمد زيد الابيانى مدرس الشريعة الإسلامية وهورأى بن زياد (53)

أما إمام الحنابلة فقد أباح زواج المتعة فى حال الضرورة يقول بن كثير: وقد حكى عن الإمام احمد رواية كمذهب ابن عباس. (54)

فقال صاحبى: وفى عصرنا هذا غير أصحاب مذهبكم. فقلت أما فى عصرنا هذا فلا يكاد يخلو من فواته صوت علف أو عالم ينادى بمشروعية زواج المتعة فى المجتمعات التى انغلقت على تحريم عمر وعملت به وهى لا تنرى انه قول غير متصل بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله ومعرض لكتاب الله ومخالف للرأى السائد فى ذلك الزمان، فهذا عباس محمود العقاد قد دعى إلى العودة إلى المتعة فى مقال نشر له تحت عنوان "الشباب والجنس". (55)

وذلك الشيخ احمد حسن الباقورى قد أفتى بحليته فقال: وبهذا النظر تفسرنا القول بإباحة هذا النوع من الزواج ورتأينا ما راه فقهاء أهل البيت من مشروعيته مشروعية دائمة غير مشروطة فانهم فى هذا رضى الله عنهم كانوا فى سعة الأحق وبعد النظر لا يملك المسلم المنصف إلا أن يسلك طريقهم ويأخذ وأبهم إيثارا للحق وابتغاء لصالح المسلمين (56)

كما أن صاحب تفسير التحرير والتوير الشيخ بن عاشور قد قال بمشروعية زواج المتعة فى نفسه.

ألا ترى انه كلما تصدت مجتمعاتنا للنصوص الشرعية وعطلتها لأى سبب. كلما زدادت بعدا عن خالقها وانحرفا عن طريقه السوي إلى سبل الشيطان وأوليائه.. وكلما عطلنا نصا من نصوصه تعالى كلما تعطلت فىنا بذرة عطاء وانقطع عنا سبب من الرحمة والخير وانفتح علينا باب من الفتنة والشر وزداد بعدنا عن الحق تعالى. وانك تترك أن تعطيل التشريع الإلهي لم يمر بسلام فنحن نعيش الآن مقابل تحريم المتعة عصر الرنا المقنن والفاحشة المتعددة التى أصبحت سمتة وعنوانه فمن لا يؤنى تحت عنوان الخلية يؤنى تحت غطاء القانون الوضعي (المحلات العمومية) مضافا إلى زنى العين جواء التوج والسفور، وزنى الأذن جواء الاستماع مكوها أو مختلا لاغاني المجون والفجور، كل ذلك لان فىنا من لم يقل سمعنا واطعنا وإنما عمل على أعمال رأيه مقابل النص وتقديم فكرته وتصوره على ما أراد البلرى تعالى لعباده ومع ذلك اتبعه السواد الأعظم كما نرى الآن حرمة الزواج بثانية سمة تميز مجتمعنا وقانون توسخ فى عقولنا حتى إننا لنستهجن الآن الزواج بثانية مع انه حلال الله تعالى.

إن الزواج بنوعيه الدائم والمنقطع كالطهارة بنوعيه المائي والتوابى وكالصلاة بنوعيهما الحضوي التام والسفوي المقصر

وكالحج بنوعيه القوان والتمتع، وللصوم بدلا، كما احتل المولى سبحانه وتعالى لمن لم يجد ماء أن يتيمم ولمن استكمل المسافة مشروطة للقصر في الصلاة الرباعية الظهر والعصر والعشاء أن يقصوها إلى ثنائية ولمن لم يكن من سكان مكة وضواحيها أن يتمتع بالعمرة إلى الحج فان زواج المتعة جاء من باب التيسير على الأمة وأخذا بعين الاعتبار لحالات اجتماعية عدة لان الدين الإسلامي الحنيف شمولي ويحمل في تشريعاته الحلول الممكنة للرجل والرواة على حد سواء.

و الإسلام بتثويعه للزواج الدائم ينظم العلاقة الجنسية بين الرواة والرجل بشكل مستقر وهو بتثويعه للزواج المنقطع يريد إلغاء ظاهرة العلاقات الجنسية الغير شوعية تحصينا للفروج وحفظا للنسل من الاختلاط والندس ويتيح للذين يفتقدون الاستقرار الأسوي كالمسافر والمطلقة والعاجز عن الزواج الدائم والذي لا يمكنه الإنفاق على زوجة دائمة ثانية والأرملة، الفوصة ليملسوا حياتهم الجنسية العادية بكل أبعادها بعيدا عن الضغط النفسي والجنسي وفي منأى عن الانحراف والسقوط في علاقات محرمة شوعا ثم رب زواج دائم كتب له الانقطاع بفعل الطلاق أو الموت أو الوفاق ورب زواج منقطع كتب له النوام فصار دائما. والذين ادعوا بان زواج المتعة كان رخصة في أول الإسلام ثم حرم نقول لهم: هل كان عصر النبي صلى الله عليه وآله مخصوصا بون غوره من العصور بتلك الرخصة؟ ألا يعتقد هؤلاء كما يقر بذلك كل عاقل أن هذا العصر يعد اكثر فتنه وإثارة وإباحة ومادية هو اشد حاجة إلى تلك الرخصة كي يتخلص أواده من فتنه الجنس التي تؤدي إلى العقدة أو الانحراف قال صاحبي كل الأدلة التي ذكرتها متظافرة مؤيدة لبعضها ولم يعد لي ادنى شك في حلية زواج المتعة ولا يخرج عن نطاق الزواج الشوعي غير أن هنالك أسئلة تجول في خاطري أرجو أن أجد عندك جوابا لها

فقلت له: وماهي هذه الأسئلة؟ فقال صاحبي: لتفترض مثلا أنني أريد أن أتزوج متعة ووجدت في الطرف الآخر من يشاطوني الاعتقاد في صحة ومشروعية هذا الزواج فكيف يمكنني تطبيق ذلك. فقلت له ينبغي زواج المتعة كالدائم في ركانه باستثناء المدة بمعنى أنك إذا اتفقت مع امراة على الزواج متعة فأول ما تقومان به هو العقد: المتمثل في الإيجاب والقبول: كأن تقول زوجتك نفسي على مهر قوه كذا ولمدة كذا. فتقول قبلت ويجمع فقهاء المسلمين من شيعة آل محمد صلى الله عليه وعليهم انه إذا وقع نسيان ذكر المدة في عقد الزواج المنقطع ينعقد زواجا دائما.

أما الولد الذي قد ينشا من هذه العلاقة الشرعية فينسب إلى أبيه وعليه نفقته. ويكون الوفاق بعد انقضاء المدة وفي صورة عدم الوأيد في المهر والمدة تعتد الرواة ثلثي عدة المطلقة وهي حيضتان. كما تجب الإشرة إلى انه ليس على المتزوج متعة نفقة على زوجته إلا إذا أراد هو ذلك فله أن يفعل.

إن من تجرأ على تحريم زواج المتعة قد أفسح المجال لغوره كي يعطل أحكام الله تعالى يف خصوص الزواج الدائم فحرم من جاء بعده على مواله الزواج بثانية فتربت أجيال على ذلك بحيث لم يعد للزواج بثانية معقولا عندهم ولا مقولا، حتى في حال الضرورة الدافعة لذلك فإنهم لا يتجرؤون على الزواج خوفا من تلك الهوة الوهمية السحيقة التي نشأت من بعدهم عن تلك الأحكام. وفسح المجال إلى البعض الآخر ليخرج للناس بزواج عجيب وغريب أطلقوا عليه زواج المسيار.

نسال الله تعالى أن يرشد هذه الأمة المبتلاة على مر العصور إلى دينها الحق، في منأى عن التحريف والتعصب، وان

يهدي عقلاءها كي يعينوا ترتيب البيت الإسلامي على الطريقة المحمدية، ولا مجال إلى ذلك إلا بالروح إلى أهل بيته الذين
أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

- 1- سورة الأنعام الآية 38 - سورة النحل الآية 89 - سورة الأنعام الآية 59
- 2 - سورة إبراهيم آية 4
- 3 - سورة النساء الآية 83
- 4 - سورة طه الآية 12
- 5 - سورة الأنبياء الآية 73
- 6 - سورة فاطر الآية 32
- 7 - سورة النساء الآية 24
- 8 - التفسير الكبير للفخر الرازي ج ص 201-202- ج ص 10 - 50
- 9 - جامع البيان للقطبي ج-5 ص 130
- 10 - الكشاف للزمخشري ج-1 ص 519
- 11 - التحوير والتتوير للشيخ الطاهر بن عاشور تفسير الآية في سورة النساء
- 12 - المزان في تفسير القوان للطباطبائي ج-4 ص 290 سورة النساء
- 13 - مسلم والبخاري ج-2 ص 153 أوردته في الحج مولوعة منه وقطعا لمعنى الحديث كما هو دأبه
- 14- مسلم ج 4 ص- 130
- 15- مسلم ج 4 ص 130
- 16- مسلم ج-4 ص 131
- 17- مسلم ج - 4 ص 131
- 18- مسلم ج - 4 ص 133
- 19 - تفسير الرازي ج 3 ص 200
- 20 - الجمع بين الصحيحين - أحكام القوان للجصاص ج 2 ص 148
- 21- مسلم ج 6 ص 179
- 22 - الإصابة لابن حجر عنه المزان ج 4 ص 314
- 23- مسلم ج 7 ص 119
- 24 - شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
- 25- مسلم ج 4 ص 131 باب الاستئذان

- 26 - كنز العمال عنه الموزان ج 4 ص 314
- 27- الأم للشافعي ج 7 ص 269 البيهقي في سننه الكوى ج 7 ص 206
- 28- كنز العمال ج 8 ص 294
- 29 - الموزان في تفسير القآن ص 314
- 30 - مسلم والبخري - باب المتعة
- 31 - مسلم والبخري - باب المتعة
- 32 - مسلم والبخري - باب المتعة
- 33 - مسلم والبخري - باب المتعة
- 34 - مسلم والبخري - باب المتعة
- 35- أبو داود في باب المتعة
- 36- البيهقي في باب المتعة
- 37 - الترمذي في باب المتعة
- 38- مسلم في باب المتعة
- 39 - الترمذي باب المتعة
- 40- مسلم باب المتعة - أحمد وابن أبي شيبة
- 41 - موزان الاعتدال للذهبي ج 3 ص 424
- 42 - موزان الاعتدال للذهبي ج 1 ص 496
- 43 - موزان الاعتدال للذهبي ج 2 ص 170-177
- 44 - موزان الاعتدال للذهبي ج 2 ص 578
- 45 - موزان الاعتدال للذهبي ج 2 ص 672
- 46 - الموزان ج 4 ص 320-321
- 47- جواهر الكلام ج 30 ص 149
- 48 - الموزان ج 4 ص 292-322
- 49 - بتفسير الطوي ج 5 ص 9 - الورى ج 3 ص 200 - الدر المنثور ج 2 ص 14
- 50- مسند أحمد ج 2 ص 95 - 104 وج 4 ص 4-36
- 51- جواهر الكلام نقلا عن حفاظ السنة ج 30 ص 148 وما بعدها
- 52 - موزان الإعتدال للذهبي ج 2 ص 619

53 - أضع الشريعة ج 1 ص 28 - البحر الؤخر ج 3 ص 22 - مجلة هدى الإسلام ج 11 عدد 2 ص 79

54- تفسير ابن كثير ج 1 ص 474

55- المتعة لتوفيق الفكيكي

56- المتعة لتوفيق الفكيكي

57 -زاد المعاد لابن القيم فرة العيني في عمدة القلي ج 9 ص 537 - شوح التجرىد للقوشجي

58 - البيهقي ج 4 ص 37 - فتح البلي ج 3 ص 157 ، فتح البلي ج 7 ص 361 - سورة عمر لابن الجوزي ص

107 - السيرة الحلبية ج 2 ص 29 -ويمكنك مراجعة محدثات عمر في تريخ الخلفاء للسيوطي - الكامل لابن الأثير ج 3

ص 31 والاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة عمر بهامش الإصابة ج 2 ص 460 وغوها من كتب اتباعه



ما هكذا تكون النصيحة يا أبا بكر جابر الجزائري!

السلام على من إتبع الهدى، وإستمسك بالعروة الوثقى، ولبى داعى الله، أما بعد فإنني رَأك رددت إلى رُذُل العمر، فخبطت خبط عشواء، كأعشى أركه الليل وهو يحطب في غابة، إعتقد فقد أهلها، وضياح ملاكها، فما حملك على ما صنعت، ومن الجأك حتى سقطت في جب حوه أسلافك.

أما آن لك أن تعتبر من فلتات الماضي زلات من سبقك حتى تود مورد العالم الذي زح عنه علمه فأصبح غورا، ولم يعد يميز بين الحق والباطل، وإختلط عليه الأمر فطفق يكفر المسلمين الشيعة بلا دليل.
لا عجب فيما أتيته أنت ومن تبعك، لأنكم من فرقة زوعت بين بلاطات الظالمين، ورضعت من ثدي الجهل رضاعة الكبير.

فقويت بذلك شوكتها وكثر عددها . والناس على دين ملوكهم أو تبعا لأهوائهم . حتى ظن أصحابها أنهم يمتلكون الحقيقة والوجهة الصحيحة للدين، فتملكهم الغرور الكاذب، والعجب الفاضح، وزادهم الشيطان وسوسة، بأنهم أصحاب الدين وملاكه، وطال عليهم الأمد جهلا وقسوة فركوا دابة تكفير كل من لم يساؤهم في رآئهم الفاسدة وتجلتهم الكاسدة، هؤلاء الذين لم يأتوا بشيء أطيلة أربعة عشر قونا، سوى لهث الكلب الذي إن تحمل عليه أو تركه، وغير سواب بقية يحسبه الظمان ماء.

وهلا وجهت هذه الكلمات إلى أبسط تلميذ في مدرس الشيعة الدينية (الحوزات) لود عليك بما لن تجر له جوابا.
و ها أنذا أبسط عوام شيعة محمد المصطفى (ص) رُد عليك عسى أن تكون عوة لمن خلفك من أهل التهريج، ومذكي نار الفتن، التي تظهر فيها بثوب المصلح، بينما أنت محتاج إلى من يقوم اعوجاج عمرك، وفي زمن نحن المسلمون في أمس الحاجة إلى نبذ الخلاف، وربئ الصدع والتماس العذر. ألا تتقي الله فيما تقول تتظاهر الاعتدال والنصح قائلا:
و إني لأهيب بكل شيعي أن يتأمل هذه الحقائق وأن يصدر حكمه بعد ذلك على مذهبه وعلى نسبته إليه، فإن كان الحكم قاضيا بصحة هذا المذهب وسلامة النسبة إليه أقام الشيعي على مذهبه وعلى نسبته إليه، . ثم تزوغ كما يروغ الثعلب في مكره وخديعته عندما تقول:

و هاك أيها الشيعي هذه الحقائق العلمية التي هي أصل مذهبك وقواعد نحلته كما وضعتها لك ولأجيال خلت من قبلك يد الإجوم الماكورة ونفوس الشر الفاسدة لتبعذك وقومك عن الإسلام باسم الإسلام وعن الحق باسم الحق.

و حتى لا تذهب بك المذاهب بعيدا أقول لك أنك لم تأت بشيء ينقض التشيع: وكل ما جئت به لا يمس عقيدة المسلمين الشيعة في شيء سوى أنك لم تفهم وتأولت خطأ . إن عنوتك طبعا . أو أنك متربص حاقد هاله ما ينعم فيه إتباع أهل البيت عليهم السلام من بينات في جميع أمورهم . الشيء الذي أدار إليهم أعناق بقية المسلمين المستغفلين، وجعل بعضهم يقرر بعد

وأقول: قد كنت أيها الشيخ المغرور (سنيا) قبل أن أتشيع فأنا تونسي من جنوب البلاد مالكي المذهب سابقا درست عددا من كتب الشيعة منها كتاب المراجعات للسيد: عبد الحسين شرف الدين الموسوي طيب الله ثراه، أنت لا تعرف هذا الرجل ولا غيره من علماء الشيعة وفضلائهم، انغلاقك على ما أنت عليه أوقعك في ما أنت فيه، أنصحك بقراءته قراءة كتب علمائهم لمعرفة الحقيقة، لأن من وضع نفسه موضع الناصح، لا بد له أن يكون مطلعاً بما فيه الكفاية على الرأي الموجه إليه النقد، وان تكون قراءته لأمهات كتبهم قراءة متدبر لا قراءة متحفز، قلت: قأت الكتاب فوجدت فيه من النصوص التي هي من كتب ومجاميع (أهل السنة) ما أؤمني موالاته الحق وأهله، وهل يغيب الحق عن آل محمد (ص)؟ لو أن عامة المسلمين يؤعون رداء التعصب.

تقول إن التشيع وضعته يد الإحرام الماكورة ونفوس الشر الفاسدة - وقد حملك شيطانك على كف العصبية المريضة ونفخ فيك نفخة النفاق والكذب، فهل أن مسند أحمد بن حنبل صاحب المذهب السني الحنبلي شيعيا وقد أخرج في كتابه عددا هائلا من الأحاديث التي تؤكد على أن الولاية بعد النبي صلى الله عليه وآله لأهل البيت عليهم السلام؟ وهل أن الكتب التي تسمونها صحاحا وهي من مستثرات مذاهبكم شيعية؟

اليد الأولى التي تحدثت عنها هي يد الله تعالى ذكوه وجل تنلوه عندما قال: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهرا". فان كنت ترى أن تطهير المولى سبحانه وتعالى الذي خص به صفوة آل محمد (ص) متاح لكل الناس، فهات أهل البيت آخرين من الأمة الإسلامية طهروهم الله تعالى كتطهير أهل بيت الرسول (ص) لهم من الفضل والمقام والنصوص المؤمنة فنتبعهم معك. أهل البيت عليهم السلام الذين بينهم رسول الله (ص) في حديث الكساء الذي روته عائشة وأم سلمة خاصة في محمد (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ولم تتحوا واحدة منهما على إلحاق نفسها بالصفوة الطاهرة وقد حاولت أم سمة أن تكون معهم لكن رسول الله (ص) منعها قائلا: مكانك، انك على خير. فعد إلى روايتها الصحيحة. وأكد المولى عليهم في آية المبالغة في سورة آل عمران: "فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسأؤكم وأنفسنا وأنفسكم". 61 آل عمران. فأمر الله تعالى نبيه بأن يخرج الحسن والحسين (أبناءنا) وفاطمة (نساءنا) وعلي (أنفسنا) ولست هنا في مقام الاستقصاء بل في مقام الإشارة، إن كنت طبعاً من أهل الإشارة.

اليد الثانية التي تحدثت عنها هي يدرسون الله (ص) حيث كان برك شيعة عليه السلام، بعد مبلركة البري تعالى فعندما تولت الآية: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية". قال (ص) وقد أقبل علي عليه السلام: "والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفاترون يوم القيامة". أخرجه الهيثمي في مجمع ج 2 ص 131 وقال أيضا: "من أراد أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسمك جنة الخلد التي وعدني ربي فليبتولي علي من أبي طالب فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة". أخرجه الحاكم في ج 3 ص 128 وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخجاه" - بعني مسلم والبخري - والطواني في الكبير وأبو نعيم في حلية الأولياء ج 4 وص 349 مجمع الزوائد للهيثمي ج 9 ص 108 فائد السمطين للحموي ج 1

و قال صلى الله عليه وآله ايضا: " أنا الشجرة وفاطمة فوعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثورتها وشيعتنا ورقها أصل الشجرة في جنة عدن وسائر ذلك في الجنة". أخرج الحاكم مسترکه على الصحيحين ج 2 ص 160 . ولئن تكلمت عن يد الإحرام فتكلم عن يدك ولا ويد من لقت منهم إفكك، تعبدون هما وتوحدون شيئا غير الله طالما أنكم لازتم تتبعون سنة بني إسرائيل في رؤية البري تعالى وتتعلقون بواهن الروايات فيها، مع ما يوجد من الآيات الدالة على بطلان ذلك الوهم.

فالله الذي " ليس كمثله شيء" والذي "لا يحيطون به علما" والذي قال لموسى بعد إلحاح من بني إسرائيل وموافقة منه تعالى " لن تاني " ولن هنا أداة نفي تأبيدية، فالذي ليس كمثله شيء والمحيط بكل شيء والذي هو ليس بجسم، ولا في حيز كيف يمكن لعقولكم فضلا عن أعينكم أن تتركه أو تحيط به، وقد عد المولى تعالى طلب رؤيته جرما عظيما وذنبا كبيرا لاستحالاته، ولو كان ممكنا لما خاطب بني إسرائيل بمثل هذه الآية: "يسألك أهل الكتاب أن تقول عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم". 153 النساء.

ومع ذلك أصررتم بأن إلهكم يقول إلى السماء الدنيا، ويضحك ويتنكر، وله جورح ويضع قدمه في النار كما في كتب عقائدكم، ولو كانت رؤيته ممكنة لتسنت لرسول الله (ص) عندما بلغ ما لم يبلغه ملك مقرب أو نبي موصل في مواجهه، ولأخبرنا بذلك، فأى اله هذا الذي تعبدون؟

أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يسلم من شركم ولحقه هو أيضا من الكذب ما لحقه، وقعتم فيه كما وقعتم في ربه قلتم عنه أنه هو الذي عبس وتولى، رغم أن الله تعالى عظم خلقه، وجعلتموه هو والوليد بن المغيرة على صعيد واحد، وقلتم أنه بال قائما، وباشر زوجاته وهن حيض، وطاف عليهن في ليلة واحدة، ونسبتموه إلى الجهل والتكلف في تأبير النخل وأسوى بدر وإلى اليأس والقنوت والانتحار في بدء الوحي كما البخلي وإلى الكفر بسجوده لأصنام قريش عندما ما تزلت عليه سورة النجم كما في الدر المنثور للسيوطي ولم تتركوا قبيحة ولا مغزوة ولا نقيصة إلا ألصقتوها في كتب رواياتكم برسول الله (ص) حتى لم يعد لكم ما تنسوه إليه من فضيحة وعار، أنقلبتم إلى أهله تحقرونهم وتستصغرون شأنهم، فكفرتم أبويه عليهما السلام وكفرتم جده وعمه ثم رجتم إلى بقية أهل بيته عليهم السلام وشيعتهم فنتبعهم أسلافك نقتيلا وسبيا وسجنا وتعذيبا، كأنني بكم تستجيبون لواجب مودة القربى، وتتبعتموهم بعد ذلك لمحو آثار حوائمكم في محاولة لمحو آثارهم، وجنت أنت أخوا لتلحق من نفس الإثناء وترد نفس المورد.

كيف يمكنك يا شيخ أن تفهم التشيع على حقيقته وأنت جاهل حتى بمعاني اللغة العربية أو متجاهل لمدلولات ألفاظها، متعام حتى عن داوة مذهبك من نصوص مؤمنة بالتمسك بالعبوة الطاهرة مع الكتاب الذين هم عدله وثقله في الأمة.

وهل ترى مسلما والترمذي والنسائي وغورهم شيعة عندما صدعوا بحديث الثقلين فنقلوه في كتبهم نقل المسلم بصحة وروده؟ فقد قال رسول الله (ص): " إني تترك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما".

وما أراك تترك للحديث معنى إن تركتك ولم أشر إلى بعض المعاني فيه. فالقآن وحده غير عاصم من الضلالة، لما لا يخفي من صعوبة فهم كثير من آياته وأحكامه...

لذلك جعل المولى معه وعاء حافظا له، قائما عليه رعاية وتطبيقا وهم أهل بيت المصطفى الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجز وطوهم تطهروا". وهم الذين يمكنهم مس القآن، ومسه بمعنى تفسيره تماما كما ما قول على جدهم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يمكن لغوهم إلا عن طريقهم. قال تعالى: " لا يمسه إلا المطهرون " أي لا يفقهه ولا يفسره إلا اللذين طوهم البري تعالى وشدد على ذلك بقوله: "ويطهركم تطهروا". في آية التطهير، ولو كان القصد من الآية المس المجرى باليد لكانت كالاتي: لا يلمسه إلا المتطهرون " أي اللذين طهروا أنفسهم وإنك ترى أن من أهل القبلة وغوهم من يلمس القآن وهم على غير طهور فما أفادت الآية من هذا المعنى شيئا.

إني لا أملك الكافي ومع ذلك فإني أحملك محمل الصدق في نقل الروايات عنه، رغم أن المهاجمين لشيعة أهل البيت عليهم السلام يستعملون في أغلب الأحيان سلاح الكذب.

و رد على حقائقك الستة التي جعلتها علة العلل.

و كأني بك قد عثرت على ما غاب عن غيرك من المتمنين لزوال الإسلام الحق وإنحاء معالم التشيع والولادة لآل الرسول (ص) فأقول مستعينا بالله على ما جنته يدك:

أما حقيقتك الأولى

التي جئت بها، قول مؤلف الكافي: إن الأئمة عندهم جميع الكتب التي تولت من الله عز وجل.

و إنهم يعرفونها كلها على إختلاف ألسنتها مستدلا بحديثين يرفعهما إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقرأ الإنجيل والتوراة والزبور بالسريانية.

يقول الشيخ أبو بكر الخراوي: قصد المؤلف من وراء هذا معروف وهو أن آل البيت وشيعتهم تبعوا لهم يمكنهم الاستغناء عن القآن الكريم بما يعلمون من كتب الأولين وهذه خطوة عظيمة في فصل الشيعة عن الإسلام والمسلمين.

ليت شعوي من أين عرفت يا شيخ قصد المؤلف؟ وهل وجد شخص واحد منذ وجدت الشيعة الإمامية عالما كان أم عاميا يقول بالاستغناء عن القآن، فلا تقس قصد الكافي بقصدك.

لأن قصده طاهر وقصدك خبيث. كيف تستقيم عقيدتنا نحن الشيعة إذا لم يكن القآن منهاجنا وشريعتنا؟ وكيف يستقيم تعهدنا للقآن نفسه حفظا وتلاوة وتدوا وتفسوا وفهما صحيحا؟

ألا تستحي من شيبتك وأنت على أعتاب مفرقة الدنيا، جئت لتفكري على أسياذك الذين أوصوا لك شريعة الإسلام وأنا وسنة، وتلصق بهم بهتاننا لم يتجراً أعتى أعدائهم على نسبته لهم لبعده عن الحقيقة. نعم نحن شيعة الأئمة الأطهار صلاة الله وسلامه عليهم نعتقد أن الإمام الذي هو حجة من الله على جميع مخلوقاته، لا بد أن يكون عالما بجميع الكتب الموقلة قبل

القَوَان لتكون من مستلزمات الاحتجاج على الملل الأخرى، مسددا من قبل البري بملائكته وأسالك على من تنتول الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر في ليلة القدر؟ وأقول لك لأنك في مقام لن تترك به معنى هذه الآية العظيمة، تنتول الملائكة على الإمام حجة الله على خلقه بكل ما يحتاجه في تصريف شؤونهم. ومن دون وجود إمام تتعدم الحجة وتصبح الآية "إنما أنت منذر ولكل قوم هاد" لا معنى لها. أو لعلك نصبت نفسك في مقام الهادي ونحن لا علم لنا، كما حدث في سقيفة أسلافك التي اغتصبت فيها الإمامة.

لم يقل أحد بالاستغناء عن القَوَان، لأن قوله لا يقبله حتى الحمار، وإن أوصلك خيالك المريض إلى مستواه.

أما حقيقتك الثانية

و ما نقلته عن صاحب الكافي من روايته عن جابر قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القَوَان كله إلا كذاب وما جمعه وحفظه كما قول إلا على بن أبي طالب والأئمة بعده وجلبت على تلك الرواية بمجموعة من الاستنتاجات الباطلة وهي:

استنتاجك الأول:

فقولك بتكذيب كل من إدعى حفظ كتاب الله وجمعه في صوره أو في مصحفه كعثمان وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وغيرهم.

فإنك لم تفهم معنى "جمع القَوَان كله" ولو فهمت لما نكصت على عقبيك هذه النكصة. إن القصد من ذلك هو جمع القَوَان ألفاظا ومعاني أي حروفا وتفسوا. لأنه لا معنى. إن كنت متدوا واعيا. لجمع الألفاظ دون المقاصد، وقد سمي المولى سبحانه وتعالى المعاني القَوَانِيَة قَوَانًا بقوله للنبي (ص): "ولا تعجل بالقَوَان من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل ربي زدني علما". ثم تعالى معي إلى المصاحف التي ذكوت. هل كان لعثمان مصحف حتى تعده من جملة حفاظ القَوَان؟ لم يقل أحد بذلك سوى أن ما صنعه الرجل هو حرق المصاحف التي فيها من تفاسير ما أملاه رسول الله (ص)، وعمله الذي أقدم عليه كان سياسيا بحثا ليس من الدين في شيء، لأن في تلك المصاحف تفاسير وأسباب نزول لا تتفق ورؤيتهم لمعالم الحكومة الإسلامية، وبالتالي فهي لا ترضي الناس عنهم.

الأئمة عليهم السلام هم ورثة علم الرسول (ص) قال تعالى: "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا". وهم من عندهم علم القَوَان ومقاصده. فلا تذهبن بك المذاهب ولا يغونك بالله الغرور.

أما استنتاجك الثاني:

فقولك أن لزام الرواية يستوجب ضلال عامة المسلمين عدا شيعة آل البيت وذلك أن من عمل ببعض القَوَان دون البعض لا شك في كونه وضلاله لأنه لم يعبد الله تعالى بما شوع: إذ من المحتمل أن يكون بعض القَوَان الذي لم يحصل عليه المسلمون مشتتلا على العقائد والعبادات والآداب والأحكام. وكأنني بك تريد أن تغفلت من معاني الروايات على المعنى الذي أوحاه

شيطانك وشيطان أسلافك ممن قالوا بمحكي تحريف القرآن عند أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، لان الرواية ليس فيها ما يفهم منه ذلك المعنى، غير ما ذكرت من أن الجمع السليم لا يكون إلا على عهد رسول الله (ص) وأن تواتره لا يصح إلا عبر الأئمة المعصومين اللذين نشروا القرآن لفظا وتفسوا في طبقات الناس وأجيال المسلمين فإليهم شددت الوحال كما فعل أبو حنيفة النعمان ومالك بن أنس وغورهم، ممن كان.

أما استنتاجك الثالث:

فقولك بأن هذا الاعتقاد لزمه تكذيب الله تعالى في قوله:

"إنا نحن قولنا الذكر وإنا له لحافظون". فليس فيه غير ما يؤكد نسبة الجمع إلى رسول الله (ص) وأهل بيته عليهم السلام، فنزول القرآن كان من البري تعالى إلى جبريل على النبي (ص) وحفظه يكون تبعا لمعنى الآية من النبي (ص) إلى الإمام عليه السلام الذي من بين أولاه حفظ القرآن والاستحفاظ على الشريعة عموما. فأين لمسة التكذيب من المعاني التي ذكرت؟ سوى أن لديك فكرة مسبقة تريد أن تجد لها سندا تقوي به وهمك.

أما استنتاجك الرابع:

فقولك هل يجوز لأهل البيت أن يستأثروا بكتاب الله تعالى وحدهم دون المسلمين إلا من شاعوا من شيعتهم. أليس هذا احتكرا لرحمة الله، واغتصابا لما يزه عنه آل البيت؟ اللهم إنا لنعلم أن آل بيت رسولك واء من هذا الكذب. فالعن اللهم من كذب عليهم وافترى.

و أنا أقول ولا اللهم آمين بحقك و قدسك وأعظم صفاتك وبحق من أرسلته للعاملين رحمة وجعلتهم من بعده للمسلمين والمؤمنين نعمة من أكبر النعم. هل تعد قول رسول الله (ص): " إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تزييله". استثنوا دون بقية المسلمين؟ وهل كانت حروب الإمام التي قاتل فيها الناكثين والقاسطين والملقين، من قبيل الدعوة لنفسه، أو التميز على غوه؟ وهل خروج الحسين عليه السلام لمارأى الإسلام ينتمل ثلثة لا تسد إلا باستشهاده إستثنوا بكتاب الله؟ في حين كان غوه ممن رضيت بهم قنوة أنت وأمثالك يبايعون الفسقة والظالمين، ويقتاتون من موالاة (أصحاب المعالي والفخامة والسمو) ويعيشون تحت ظلهم. وهل كانت حلقات الدرس التي كان يلقي فيها محمد الباقر وابنه جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام على آلاف المسلمين (منهم مالك بن انس وأبو حنيفة النعمان وغورهم ممن علا او خبا نجمه من العلماء والفقهاء) دروس العقيدة وتعاليم القرآن استثنوا بكتاب الله، حتى أن أبا حنيفة النعمان قال لولا السنن لهلك النعمان. ومن لم يؤأ من المسلمين الأوائل على إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد درس على تلميذ من تلامذته. وذلك مما اقر به المخالف قبل الموالف والعدو قبل الصديق. ولو كان العلم عند غورهم لبادروا إليه، لكن الله تعالى أورثهم تلك العلوم وجعلهم خزنتها والمورد إليها.

أما استنتاجك الخامس:

فقولك لزم هذا الاعتقاد أن طائفة الشيعة هم وحدهم أهل الحق والقائمون عليه، لأنهم اللذين بأيديهم كتاب الله كاملا غير

منقوص فهم يعبدون الله بما شوع وأما ما عداهم من المسلمين فهم ضالون لحومانهم من كثير من كتاب الله تعالى وهدايته فيه".

فليس هذا قولِي ولا قولك إنما هو قول الصادق المصدق (ص):

" يا علي أنت وشيعتك الفائزون يوم القيامة". وهذه الرواية وغيرها من كتبك كتب (أهل السنة) أستدل بها عليك لأؤمك حجتك حتى وإن طلعت علينا بنعمة وضع الروايات أو ضعفها، فلن يجديك نفعاً طالما هي موجودة في كتبك مع ما هو متظافر متواتر في كتب أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وهل نصدقك أنت أم نصدق الرسول (ص) عندما قال بانقسام الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة والباقيون في النار؟ ثم تعال قل لي في أي وقت خرجت فرقتك وأنت بمذاهبك الأربعة في الفروع وأبي الحسن الأشعري في الأصول لا يكاد أقدمكم وأقربكم من عصر الرسول (ص) وهو أبو حنيفة النعمان يطال صحابيا واحداً، بينما شيعة أهل البيت عليهم السلام متصلة برسول الله (ص) إتصال وثيقاً عبر الإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده، أفلا تعقل ذلك يا شيخ ثب إلى رشدك وأقلع عن ذكر الوآن المنقوص نقص الله من عموك حتى يوتاح المسلمون من فتنتك وشرك.

أما حقيقتك الثالثة

و التي خرجت بها مما أورده الكليني في الكافي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام: خرج أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول: همهمة، همهمة وليلة مظلمة خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى وأورد أيضاً قوله عن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول ألواح موسى عندنا وعصا موسى عندنا ونحن ورثة النبيين. وقد علقت على الروايتين بأمور هي....

تعليقتك الأول:

قولك (لزم الروايتين) تكذيب علي رضي الله عنه في قوله وقد سئل هل خصم رسول الله (ص) آل البيت بشيء فقال: لا إلا ما كان في قباب سيفي هذا فأخرج صحيفة مكتوب فيها أمور أربعة ذكرها أهل الحديث كالبخري ومسلم. إلى أي شطر يمت وجهك، إلى الأحاديث التي لم يقلها علي عليه السلام على الإطلاق بل تقولها عليه أذعياء بني أمية ولقطاء الظالمين الذين جاؤا بعدهم ولو تتبععت ما جاد به المؤرخون من حقائق فاضحة لأعمالهم الهدامة للدين وأهله لما أنست إلى روايات خرجت من تحت جلابيبهم المتجسدة والملوثة لا تكاد تعي منها شيئاً، ألا تعلم أيها المتفيقه الحديث القاعدة الذي يقول: "إذا أتاكم حديثي فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوا به وما عارض كتاب الله فالتقوا به عرض الحائط". وحديث كالذي ألقيت به علينا ونعته بالصحيح الثابت لا يقوى على الوقوف أمام جم من الآيات والروايات التي صوح بها المولى سبحانه وتعالى ورسوله الأعظم (ص)، فلا رآك تتكر مثلاً آية التطهير التي بمقتضاها أذهب الله تعالى الرجس عن أهل لببيت وطهورهم تطهروا، وحاول كل من في قلبه مرض صوف الآية عن أصحابها وتجريدها من معناها بإقحام نساء الرسول (ص) في دعوى الآية كما حاولوا في الصلاة على النبي (ص) إقحام الصحابة حسداً ومكوا، فما أفلحوا.

وحديث الثقلين الذي انصرفت عنه وأصحابك فصرف الله عنك سبيل الهداية، وما رأك من المهتدين، وحديث المقولة إن كنت تعقله لما سلكت سبيل الغلوين وادعيت أن أهل البيت لم يخصهم رسول الله (ص) بشيء، وهل الدين كله إلا لهم، أما قولك بأن الكذب على علي كالكذب على غيره فلم تأت بجديد لأن علي عليه السلام عندكم لا يحسب له حساب وفي مفاضلة المنحرفين والظالمين ليس له مكان بل يتسلى مع بقية الناس إذا هم قدموا أبا بكر وعمر وعثمان، فالكاذب على علي عندنا كالكاذب على رسول الله (ص) تماماً لأنه عليه السلام نفس النبي حقا، فعلي لا يضاهيه أحد باستثناء رسول الله (ص) ذلك هو اختيار المولى تعالى بصريح النصوص التي نحن بصددنا تعقيبا.

ألم تعي معنى: " من كنت مولاه فعلي مولاه؟ ألم تعي معنى أنت مني بمقولة هارون من موسى؟ إن الله تعالى هو الذي خص أهل البيت عليهم السلام وليس رسول الله (ص) كما جاء في الرواية التي أخرجها أصحابك بشأن الحرث بن النعمان الفهري: "أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان يوم غدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي فقال: "ما كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ناقه له. فأناخها وتول عنها، وقال يا محمد أموتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلنا منك. وأموتنا بالزكاة فقبلنا وأموتنا أن نصوم رمضان فقبلنا، وأموتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا، فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه. فهذا شيء منك أم من الله فقال صلى الله عليه وسلم "والله الذي لا إله إلا هو أن هذا لمن الله عز وجل، فولى الحرث يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجلة من السماء أو آتنا بعذاب أليم.

فما وصل راحلته حتى رماه الله سبحانه بحجر سقط على هامته فخرج من دونه فقتله وأقول الله تعالى: "سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعرج". شواهد التنزيل للحسكاني ج2 ص 286 السورة الحلبية ج3 ص 275 تفسير أبي السعود بهامش الرزي ج8 ص 292 وغورهم.

أما إذا لو قلت لي أنا ذلك الشيعي البسيط لقلت لك أين يوجد واث الأنبياء وآثارهم، إنه بما لدينا من نصوص عند إمام العصر وصاحب الزمان الإمام المهدي وهي أشياء يقولها الأنبياء عليهم السلام عن بعضهم ثم تكون عند الأئمة عليهم السلام. الوصيات ليست متروكة للناس يفعلون بها ما يريدون، إنما هي سياق استورها وفعاليتها مناطة بالاصطفاء، وإنك لم تفهم بسيط الكلم حتى ترقى إلى مواضع النجوم.

فهل تترك من هو الخضر عليه السلام؟ ومن فتى موسى؟ ومن الرجل الذي عنده علم من الكتاب؟ وما العروة الوثقى؟ وما حبل الله؟ وما النبأ العظيم؟ ومن عنده علم الكتاب كله في شريعتنا والذي جعله الله ورسوله في مقام الشهادة؟ وما أنوارهم كلهم؟ حتى تترك التابوت وسكينته وبقية تركة وراث الأنبياء وعلومهم.

أما حقيقتك الرابعة

فما رواه الكافي عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول

الله صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام ألف باب من العلم يفتح منه ألف باب قال فقلت هذا بذاك. قال ثم قال لي: يا أبا محمد وإن عندنا الجامعة وما يريهم ما الجامعة؟ قال قلت جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون فروعاً نواعاً بزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأملاه من فلق فيه وخط علي بيمينه كل حلال وحرام. وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الإبرش والخدش. قال قلت: هذا والله العلم. قال إنه العلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة ثم قال: عندنا الجفر وما يريهم ما الجفر؟ قال وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل. قال قلت: إن هذا العلم. قال: إنه العلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يريهم ما مصحف فاطمة؟ قال قلت: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. قال قلت هذا والله العلم. قال: إنه العلم وليس بذاك ثم سكت ساعة. ثم قال: وإن عندنا علم ما كان وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

و استنتجت كعادتك من الرواية:

1 - الإستغناء عن كتاب الله: وليس في الرواية ما يستشف منها ذلك لا من قريب ولا من بعيد. وفي الرواية دلالة على علمية أهل البيت بقطع النظر عن الآيات والروايات الخاصة بهم. فهم من سيق المسلمين إلى تنوين العلوم كما صرح بذلك الإمام عليه السلام في زمن لا يعرف غورهم التصنيف في فن الكتابة

2- إلى 7 - اختصاص آل البيت بعلوم ومعارف نون سائر المسلمين وهو خيانة صريحة تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكيف لا يكون إختصاصهم كذلك وهم من قرنهم المولى بكتابه وجعلهم أبواب علومه ولو كنت قرئاً درساً لكتبتك أيها الشيخ لو وجدت فيها ما يدفع عنك غائلة الجهل فهذا ابن حجر (وهو من بني مذهبك) في صواعقه يقول تعقيباً على حديث الثقلين: لذا حث النبي (ص) على الإقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم.

فقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت. وقد سميا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما. ثم إن الذين وقع الحث عليهم هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم الذين لا يفلتون الكتاب إلى الحوض ويؤيده الخبر السابق ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهروا. وشرفهم بالكرامات الباهرة والنزاي المتكاثرة " الصواعق لابن حجر ص 149.

و اختصاص أهل البيت عليهم السلام بالعلوم ليس معناه حرمان غورهم منها وإنما زادهم الله تعالى بسطة فيها لتمام دورهم القيادي في الأمة. كما كان الحال بالنسبة لطالوت عليه السلام. إن علمية أهل البيت عليهم السلام وعلو مقامهم في الأمة ليس لبراء لغورهم. وإنما هو إقرار بحق خصمهم المولى سبحانه وتعالى به نون غورهم ومن مصاديق تلك العلمية ما حكاه القرآن عنهم من الآيات الباهيات. وما جاء على لسان النبي الأكرم (ص) من الأحاديث المأثورة وما صرح به الإمام المبين عليه السلام من جوامع الكلم والإشادات، وحكاه التلخيص عنهم من علوم وفنون، وكأنك لا تنوي مثلاً أن أول من سك نقوداً إسلامية هو الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وأن جابر بن حيان الكيميائي العربي الكبير هو تلميذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وغير ذلك كثير دليل على علميتهم وهذه مصنفاتهم في علوم الشريعة والدين تثبت سبقهم وتؤكد تودهم.

فهذا نهج البلاغة للإمام عليه السلام وتلك الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين زين العابدين. أجل نظرك فيهما لعلك تجد فوصة في قدح شيء منهما.

أما مصحف فاطمة عليها السلام: والمصحف هنا مصطلح ينصرف إلى كل كتاب حوت دفتاه صحفا وليس منصرف إلى القرآن بأي حال من الأحوال خصوصا إذا صوح الإمام عليه السلام نفسه بأنه ثلاث مرات في حجم القرآن وليس فيه حرف واحد من القرآن دليل على أنه ليس قرآن جمعه الإمام علي عليه السلام يتضمن مواعظ وحكما وأمثالا وعوا وأخبارا وأفكرا مستقبلية وأحاديث نبوية وهو طلب من الزهراء لأمير المؤمنين حتى يوافيها عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم بكل ما كان يقوله بين أصحابه.

أما الجامعة فهي كتاب في صحائف من الجلود من إملاء رسول الله (ص) وقد تضمن كل ما يحتاجه الناس من حلال وحوام وهو مفصل لما جاء من القرآن من أحكام وأوامر ونواه قد خصهم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وينطوي على حوادث المستقبل وصحف الأنبياء السابقين والكتب المتولة قبل القرآن الكريم. كل ذلك وأكثر منه أضعافا مضاعفة لأنهم أبواب الله تعالى الذي يؤتي منه ولئن نسبت ذلك كله إلى الباطل والسخافة فذلك عائد لقصور مدركك على الفهم وبطلان عقلك وسخافة إحتجاجاتك وريود أفعالك التي تنصب كلها في خانة تجريد أهل البيت عليهم السلام إلا مما زاه أنت وأصحابك.

أما حقيقتك الخامسة

و التي تقول: أن الإمام أبا الحسن موسى الكاظم قال: الله عز وجل غضب على الشيعة فخيروني نفسي أو هم فوقيتهم بنفسي.

و نسب فيها النوبة لموسى الكاظم فمن أين جئت بذلك يا قصير الفكر؟ مالك تتهالك على كل ما يكفر ومن دون بينة. فما الذي يمنع الله تعالى من الحديث إلى أوليائه وقضاء شؤونهم عبر الملائكة؟ أفي ما أقوله لك الآن نسبة النوبة إلى أحد؟ ألم تقو القرآن ألم تعترضك آيات تدل على أن الوحي يكون لغير الأنبياء؟ لكن ضيق صدرك وقلة علمك جعلك تتوهم، وإلا فإن الله تعالى قد وحي إلى مخلوقاته غير الأنبياء:

فأوحى إلى مريم عليها السلام: "يا مريم إن الله اصطفاك وطهرتك واصطفاك على نساء العالمين".

و وحي إلى أم موسى: "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم "

و وحي إلى النحل: "و وحي ربك إلى النحل أن إتخذي من الجبال بيوتا"

و وحي إلى السماء: "و وحي في كل سماء أروها".

و وحي إلى الحوريين: "و إذ وحيت إلى الحوريين أن آمنوا بي ورسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون". و وحي إلى

الأرض: "بأن ربك وحي لها".

وقال عز وجل: "ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل من رسول.."

وقال أيضا: " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة..."

فلا معنى بعد ذلك لتوهمك ولا قيمة لتجنيتك، وطالما أنك لا تفهم القرآن. أم أنك ستقول أن هذه الآيات من مصحف فاطمة عليها السلام؟ أم أنك ستقول مقالة صاحبك: " ما عوفتموه من كتاب الله فخذوا به وما لم تعرفوا فكلوه إلى ربه". لماذا تتغاضى أنت ومن لف لفك على ما جوزتموه من رؤية المولى سبحانه وتعالى في المنام؟ وصوحتم بأن أحمد بن حنبل رآه مرات عديدة. لماذا تتبعون روايات أهل البيت عليهم السلام، وأنتم غير مؤمنين بها بل وواقفون في صف مخالفتها بعد أن إنتهيتم من تتبع أصحابها قتلا وتشريدا. دعوهم وشأنهم فإن الهدى نورة لا وراها الأعمى، وصوت حق لا يسمعه الصم، وطريق فلاح لا يسلكه من طبع على قلبه.

أما حقيقتك السادسة

و قد عنونها كالاتي اعتقاد أن أئمة الشيعة بمتولة رسول الله صلى الله عليه وسلم في العصمة والوحي والطاعة وغورها إلا في أمر النساء فلا يحل لهم ما يحل له صلى الله عليه وسلم وجئت برواية المفضل الذي قال لأبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام: جعلت فداك: أ يوفض الله طاعة عبد على العباد ويحجب عنه خبر السماء؟ فقال له أبو عبدالله عليه السلام لا الله أكرم ورأحم ورأف بعباده من أن يوفض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحا ومساء. وقلت بعد ذلك فهذه الرواية تثبت بمنطوقها إن أئمة الشيعة قد فرض الله طاعتهم على الناس مطلقا كما فرض طاعة الرسول (ص) وأنهم يوحى إليهم ويتلقون خبر السماء صباحا ومساء، وهم بذلك أنبياء مرسلون أو كالأنبياء والمرسلين سواء بسواء. واعتقاد نبي يوحى إليه بعد النبي (ص) ردة في الإسلام وكفر بإجماع المسلمين.

إن عقيدة أهل البيت عليهم السلام شيعتهم في الإمامة هي كالاتي:

الإمامة كالنوة لطف من الله تعالى بعباده جعلها حافظة ومستوية لما تركه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فهم القائمون مقام رسول الله (ص) باعتبار الحاكمية الإلهية التي تستوجب إنتقال الإمامة (قيادة الأمة) منه إلى المصطفين "ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا" وهم أهل بيته صلى الله عليه وعليهم، الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا المعصومون بمقتضى هذه الآية. قد جعلهم الله ورسوله عدلا وثقلا للقرآن عاصمين من الضلالة لكل من تمسك بهما. و ما حديث المتولة عن ذلك ببعيد حيث يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم " يا علي أنت مني بمتولة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"

و ما أراك تترك متولة هارون من موسى حتى تترك متولة علي عليه السلام من محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي استثنى منها الحديث النوة بعده.

أما الوحي فإضافة إلى ما قدمت لك في حقيقتك الأولى والخامسة. ما يفى بالحجة ويقيم الدليل على أن الوحي ممكن بل هو واجب في تصريف شؤون الكون وليس الوحي الذي تزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كله وأنا بل فيه من غير القرآن تفسيره وغير ذلك مما يحتاجه النبي (ص) له خاصة وللناس عامة.

أما الطاعة فليس أدل من قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " قد قون الله تعالى طاعة الرسول (ص) بطاعتهم لأنهم القائمون مقامه، والآية تدل على عصمة أولي الأمر لاستحالة أن يأمرنا البري تعالى بطاعة المخطئين.

هل أتاك مثل الجبل الذي تمخض فولد فرا، وإنك كذلك، إن كتابتك هذه عن الشيعة فيما رى ليست في حقيقتها موجهة إليهم لأنه ليس فيها غير التأويل الخاطيء والإفتراء باتباع الظن وإستلهاهم القصد الشيطاني وعليه فإن من سيصل إليه كتابك من الشيعة لن يغير من عقيدته شيئاً. بل سيسخر من أفكارك ويستهين بمسواك، لكنك واتباعك لمارأيت المسلمين ينفضون من حولكم لما يئسوا من جوى إتباع مذاهبكم الفاسدة عدلوا عنها إلى الحق فأقروا بأن الإمامة نص إلهي في زمن يستوجب النص وما عداه يعد توقيطاً. فمن التزم بالنص إهتدى إلى الصراط المستقيم ومن حاد فوط كما فوط أصحاب السقيفة، التي بنيت عليها دينك ودين أتباعك رغم أن صاحبها وناعقها قال أنها فلتة... فهالكم أمر انواط عقدكم وتشتت جمعكم، والتنتم إلى أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم فعظم عليكم نظم أمرهم وتقدمهم العلمي والديني والإجتماعي والسياسي. فلم تجنوا من حيلة سوى التنفير بالناس كما حول أسلافك التنفير برسول الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام ليلة العقبة.

تريدون أن تطفئوا نور الله بأفواهكم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كرهت أنت وأتباعك ومن هذا حنوك. وان قعد بك علمك عن إرواك الحق فلا راه عاجزاً عن التوفيق بين السماء والأرض وبين التبر والتبن وبين الماء لللال والسم لوعاف، بين موقف سيد الشهداء سيد شباب أهل الجنة عليه السلام عندما قال: " إن كان دين محمد لا يستقيم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني ". وبين ما رواه مسلم عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحوة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال: إطرحوا لأبي عبد الوحمان وسادة.

فقال لم آتاك لأجلس أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول: من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له. ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. مسلم ج 6 ص. 22 لم يكفه ذلك حتى بايع الحجاج بن يوسف بيعة الذل والهوان مد ابن عمر ليبايع الحجاج فمد الحجاج رجله وبايعه بها، هذا تأخون عنه دينكم ورواياتكم أخذ المسلم لانه حسبز عمكم ثقة ومأمونا، ومن إصطفاه الله تعوضون عنه بأعواض حكامكم؟ استخفكم الظالمون فأطعتوهم وسلمتم لهم مقاليد دينكم لبئس المولي ولبئس العشير.

و واقعة الحوة حصلت عندما بلغ أهل المدينة مقتل الإمام الحسين عليه السلام فثاروا وانتفضوا على ظلم يزيد بن معاوية فرسل إليهم بسر بن رطاة في جيش كثيف فأباح مدينة الرسول (ص) ثلاثة أيام افتضت فيها أكثر من ألف بكر... وقتل أكثر من سبعمائة من حملة القوان من الصحابة والتابعين وأكثر من عشرة آلاف من سائر الناس فيهم من النساء والصبيان. وشتان ما بين الثوى والثريا.

وقل أخوا لشيطانك الذي استنوك في وقت نحتاج فيه نحن أمة الإسلام على اختلاف مشربها ومذاهبها إلى رص الصفوف وتوحيد الكلمة ونبذ الفوقة والإختلاف أمام أعداء تماسكت بنيانهم واتحدت كلمتهم على إلحاق الشر بنا فكلمة الإهاب يا شيخ

تجمع الشيعة و(السنة) أما إذا لم يتوكل شيطانك كما كان يعوي من أسس أساسك، فقل له أن يجلب في العرة القادمة علينا
جلبة أقوى عسى أن ينجح في إقامة بعض الحجة.
والسلام على من اتبع الهدى.



تأملات ومقرنات

المقدمة:

الحمد لله نعمده ونستعينه ونستهديه ونسترشده، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد اه وليا مرشدا، ونشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند وشبيهه ولا ضد، هو الله الذي ليس كمثلته شئى، ليس من الأجسام حتى رى، أو يكون له مكان فيشار إليه، ما وحده من قال غير مقالة الأئمة الهداة من أهل بيت المصطفى، وما عرفه من ادعى عليه التشبيه، ونسب إليه صفات المخلوقين، وأشهد أن سيدنا أبي القاسم محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وسيد المرسلين وإمامهم، أرسله بشوا وندوا بين يدي الساعة، واشهد أن الأئمة الهداة من آله، اثني عشر إماما مفترضي الطاعة، وواجبي الاتباع على كل من في قلبه نوة من إيمان، هم هداة الأمة وربانيوها، جرى بذلك قضاء الله وقوره، أشكره أن هداني إلى العزة الطاهرة وقد كنت من قبل في ظلمات بعضها فوق بعض أوأطلب منه المزيد في زمن هلك فيه الناس بالتقليد الأعمى والتدين الوراثي الذي يفيد متبعه دنيا وأخرة.

كجل الذين دخلوا الدين الإسلامي عبر بوابة الوراثة والتقليد الأعمى، لم يدر في خلدي أنني سأقف على حقيقة تعدد واجهات الدين وتوع مدرسه. لقد كنت أتصور أن ما كنت فيه يمثل الدين الإسلامي بكل تفاصيله، بل هو عين الدين وأصله. نقطة التحول بالنسبة لي بدأت عندما انتسبت إلى حركة الاتجاه الإسلامي بتونس سنة 1980 والتي كان لها الفضل في إذكاء الوعي الحاصل عندي وصقله إسلاميا، فتعددت بذلك قاءاتي وتوعت مطالعاتي، وكان قربي من الشيخ مبرك بعداش وقوابتي له، باعتباره ابن عم لي دافعين إلى مزيد المعرفة والبحث عن كل ما يتصل بالدين أصولا وفروعا وتريخا وعلوما متصلة به. كما أن للثورة الإسلامية المباركة في إوان، والتي قادها إلى النصر المبين السيد الأجل والطود الأعظم الإمام الراحل آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني طيب الله تعالى ثراه، الأثر الأكبر في شحذ همم التواقين إلى التطلع إلى غد أفضل لهذه الأمة المنكوبة، والتي لا تكاد تستفيق من نكبة حتى تمسي على أخرى، كأنما النكبات والنكسات قلادة محكمة الغلق على جيدها.

صحيح أنني كنت من المنبهين بعظمة ذلك الرجل الفذ، لكنني لم أكن لأترك المعاني الحقيقية والأبعاد الأصلية للثورة الإسلامية في إوان إلا بعد مطالعاتي المتصلة بالعقيدة، فكان كتاب المراجعات، ودلائل الصدق، وكتاب نهج الحق، والغدير الكتب التي اكتشفت من خلالها حقيقة الإسلام الحق، وموطن النبع الصافي الذي لم تعكر صفوه أدناس المنحرفين. وزادت فيما بعد كتابات الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه، مع ما كان يقع بين يدي من كتب العلماء الأعلام والشهداء السعداء، محمد باقر الصدر وموتضى مطهوي، مضافا إلى ذلك كله تفسير الميزان للسيد العلامة وحيد عسوه وفيلسوف زمانه، السيد محمد حسين الطباطبائي، في تأصيل المعاني الحقيقية للدين الحق في عقلي ووجداني.

لقد كنت أتحين وقت الذهاب إلى سيدي أبي لبابة منطقة سكن الشيخ مبارك لملاقاته والجلوس معه لمطالعة كتاب المراجعات ثم دلائل الصدق. لقد كانت الأدلة التي كنا نؤاها كافية للوصول إلى الحقيقة بسوعة لسببين:

الأول:

أن تلك الأدلة مستقاة من مصادرونا المعتمدة عندنا نحن أهل السنة والجماعة عموما والمالكية خصوصا، والتي جاءت متظافرة متكاتفة يؤيد بعضها بعضا.

الثاني:

فداحة ضعف التأويل الذي تغلل به المعترضون لخط أهل البيت عليهم السلام لوجه الإسفاف والكذب، دفعا للحقيقة وتغطية لسبيل الرشاد، مما زاد الحقيقة وضوحا وصحتها انبلاجاً. فعلى سبيل المثال لا الحصر، نترك فداحة التأويل المتوج من خلال صوف الخلافة أو الإمامة عن علي عليه السلام بتأويل الأحاديث الواردة في شأنه، وخصوصا حديث المولة بالقول أن خلافة علي عليه السلام في الحديث خاصة في أهله، أنظر إلى هذا التجني وتأمل بعينك زيغ الكاذبين على الله ورسوله، ومن سعى إلى النار وجليه وهو يعلم خطورة تجنيه، وهل كانت مسؤولية علي على أهله بحاجة إلى نص حتى تثبت؟ وهل يتصور عاقل أن هناك من سينزع عليا على زوجته وبنيه حتى يلجأ المناوئون إلى لي عنق الوصية نحو معنى لا يقبله عقل ولا يقوم على منطق سليم. كذلك حديث الولاية: من كنت مولاه فعلي مولاه. الذي رأوا إفاغه من محواه وتشتيت المعنى من كلمة مولى بالهروج إلى اللغة واخراج أكثر من عشرين معنى لها. والحال أن الحديث لا يحتمل غير معنى محدد عليه مدار الحكومة بعد النبي صلى الله عليه وآله، للظرف الذي صدر فيه الحديث والمكان الذي لا يحتمل البقاء فيه لاعلام الناس ولاية علي عليه السلام، وما سبق ذلك من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ألت أولى بكم من أنفسكم، لأنه صلى الله عليه وآله كان يقصد الولاية الكوى، وما أعقب ذلك من البيعة، حتى لقد نقل الرواة قول عمر: بخ بخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

لكنني أقول أن من لم يستطع أن يعرف شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وما اشتملت عليه من خصال وخصائص لا يمكنه أن يعرف شخصية علي عليه السلام. ومن لم يستوى التريخ الذي واكب عصر النبوة وما تلاها من صراعات دلت حول الإمامة لا يمكنه أن يستشف كوامن الدس والتحريف. ومن لم يوتق إلى فهم ملامح الحكومة الإسلامية ومعنى الاصطفاء في القوان لا يستطيع استيعاب حقيقة الإمامة.

وتسلطت وتوة الأيام كتدافع الحقائق التي كنا نطالعها عن أهل البيت عليهم السلام، فلم يمر يوم من أيام فاساتنا حول الدين الإسلامي عقيدة وشريعة، أصولا وفروعا حتى يزداد يقيننا بأن الحق مع أهل البيت عليهم السلام، ولا يمكن أن يميل إلى غورهم أو يعدل بهم إلى من هم دونهم أصلا وفضلا ومكانة وعلما وقوبا من الله تعالى. وما إن أيقنا بالحقيقة حتى انتابنا شعور بالسكينة وتداخلتنا سعادة لا أستطيع وصفها، بأن الرب الذي نسلكه اقتفاء لآثار آل البيت عليهم السلام، هو الطريق الموصل إلى حوض النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ونيل سعادة الدارين، فالحمد لله تعالى على منة الاستبصار وبحوثة

الإيمان، ونشكوه على أن يسر لنا سبيل الهداية نحن أقل الناس حظا في هذه الدنيا الدنية، وهي التي لا تزال مصروفة عن وجهاء هذه الروع وعلمائهم. وتلك حقيقة قانية تقول، أن أتباع الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام لم يكونوا في عين وجهاء المجتمعات ومستكبريهم غير المستضعفين والمنبوذيين في أوساطهم. قال تعالى: "إن ذاك اتبعك ألا راد لنا بادي الرأي".

لم يمر تشيعنا لأهل البيت عليهم السلام في الخفاء فقد أفقدتنا النصوص الجليلة الصبر على السكوت حتى استيفاء الحقيقة كاملة والتشبع بها، فانطلقنا نحلور وناقش كل من كانت تربطنا به صلة قابة أو صداقة أو جوار، ففتحنا بذلك على أنفسنا أبوابا ما كان لها أن تتفتح في ذلك الوقت المبكر أهدرت الكثير من أوقانتا دون فائدة. سوى القليل ممن أبصر الحقيقة. وبدأت الحرب الإعلامية على مستوى الاتجاه الإسلامي وألا وحزب التحرير ثانيا، وأذكر في الأثناء أن أحد قيادي حركة النهضة من مدينة قابس كان يصطحب معه أحد عناصر حزب التحرير للنقاش مؤملا إفحامنا وإرباكنا، لكننا والحمد لله رغم حداثة عهدنا بالتشيع وقله الراد والمعلومة وفقنا إلى إقامة الحجة على كل من جلسنا معه وناقشناه.

في أحد أيام صيف سنة 1983 بينما كنت أتجاذب أطراف الحديث مع أحد الأصدقاء إذ أقبل شخص من حركة الاتجاه الإسلامي، من سلك التعليم وله حلقة يحاضر فيها بالمسجد الكبير (بجزة مدينة قابس)، أدرك الرجل حديثنا عن العصمة فانوى مقاطعا بأن العصمة لا تكون إلا لنبي، فما كان مني إلا أن تبسمت متأسفا لقوله، وأجبتة: وهل هذا حديث حتى يستدل به، فأجاب أنه يعتقد ذلك، فقلت له على الفور: وأنا أجزم لك أنه لا علاقة له بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه عجز بيت شعر أعتقد أنه للحصوي ويتغنى به صباح فخري، ومطلعه، "إن كنت أسأت في هواكم أدبي".

اصطدم الرجل بالإجابة فلم يدر ما يضيف، غير أنه استترك قائلا أن النقاش بهذا الشكل سيكون مدعاة للتفويق ولا الجمع بين المسلمين، ونحن اليوم في أمس الحاجة إلى الوحدة الإسلامية، فقلت له: كلامك أيها الأخ وجيه ومهم ومصوي أيضا، ولكن مارأيك عندما تجد نفسك أمام فسيفساء متداخلة من الألوان وأنت مطالب بأخذ لون واحد ماذا تفعل؟ ألا ترى إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "ستنقسم أمتي إلى ثلاث وسبعين شعبة واحدة ناجية والباقيون في النار". إن الوحدة التي يتمناها ووجوها كل عاقل يترك ضرورتها، هي العودة إلى أصحاب الحق، الذين جعلهم الله تعالى قادة الأمة الإسلامية وهداتها، أن تألف البيوت الطاهرة التي أقامها الله تعالى منارات هدى، وعلامات تقى، يؤي إليها الناس هربا إلى الله تعالى من الشيطان وأوليائه، فيها ما تحتاجه من دين صاف صحيح لم تتغير فيه شعرة واحدة. ولما لم يجد ما يعقب انصرف عنا متعللا بضيق الوقت، لقد كانت علاقتي بكل الشرائح المتواجدة على الساحة الإسلامية علاقة ود واحترام، أخص بالذكر منهم، جماعة الاتجاه الإسلامي التي استفدت منها فترة انتسابي إليها، وغادرتها وأنا لا أزال أحترم عناصرها، كما انهم يبادلونني نفس الشعور.

وأذكر هنا أنه حصل تساءل حول كيفية الوضوء أثناء درس كان يقوم به إمام جمعة منطقة سيدي أبي لبابة المدعو حسين حسين، كان متعلقا بحكم الأرجل فيه، فغضب رجل ووعد من الغد بأن يأتي على حكم الوضوء من جميع جوانبه.

لم أكن حاضرا في ذلك اليوم، لكنني وجدت الخبر عند الشيخ مبرك الذي زودني بكتاب فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام للشيخ محمد جواد مغنية - الجزء الأول - ومن الغد ذهبت إلى المسجد لحضور الدرس. دخل إمام المسجد وهو يحمل

قفة من الكتب، جلس مكانه ثم ابتداء في سود روايات القائلين بغسل الرجلين في الوضوء، صرنا النظر عن القائلين بالمسح في نفس الكتب التي جلبها دون استثناء، ودون أن يشير إلى إجاب الولي للقواتين رغم أنه استدل من تفسيره الكبير على ما كان عليه من واء وقناعة وما إن أتم الشيخ استدلالاته الروائية، حتى رفعت يدي طالبا الكلمة فما كان منه إلا أن أمر بإقامة الصلاة، مع العلم أن الرجل لا يعرفني، فصلينا العشاء، وعند الفواغ من التعقيب، وفي أثناء انصاف الناس، دنوت من الشيخ مقدما الكتاب المذكور، فراجع إلى الوراء خطوة وقال: لا حاجة لي بذلك أنا مكتف بما عندي. فابتدرته وجمع من المصلين حولنا: أتأذن لي بسؤال. فقال: تفضل. فقلت له بداهة: إنكم تقولون بجواز المسح على الخفين والجرب في السفر. فهل يجوز لي أن أمسح على قفاز في إحدى يدي في حال السفر؟ فقال: لا أوي. فقلت له: أنا أقول لك، بما أن حكم الأجل هو المسح فان فقهاؤكم جوزوا المسح على الحائل باعتباره مسحا على المحل وأما اليدان فان حكمهما الغسل فلا يجوز مسحهما بحائل أو بدونه، ألا ترى إلى مقالة ابن عباس التي نقلها أصحاب التفاسير باعتبارها تفسيروا واقعا لآية الوضوء ومقرنة عقلية ومنطقية بين التيمم وبين الوضوء فكانت النتيجة كالاتي: ما كان مغسولا في الوضوء مسح في التيمم، وما كان مسوحا في الوضوء سقط في التيمم، فسقط الرأس والوجلان وانكشفت حقيقة أن الرجلين حكمهما المسح وليس الغسل.

إن الذي ابتدع غسل الرجلين هو الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني أمية فقد أخرج الطوي في تفسيره روايتين كشفتنا أن الأمويين سوا إلى تغيير كل شيء، حتى الأحكام التي لا ضرر عليهم من بقائها ومن شاء فلراجع تفسير الطوي وتريخه ليفق على بعض من الحقيقة. ومع ذلك لم يقنع الشيخ بما قلته له وكيف يمكنه أن يقول من وج كويائه إلى مقالة واحد لا يعرف عنه شيئا. زد على أنه قام بعد ذلك في الجمعة التي تلت تلك الحادثة فشن حملة على التشيع والشيعة معتوا أنهم خطر على الإسلام حسب رأيه. الجدير بالذكر أن الرجل من الذين أثرت فيهم الدعوة الوهابية. واستمرت وواصلة وتواصلت دعوتنا للتشيع كإصبعين متلازمين امتثالاً للحاجة ومقتضى الحال فكان التوفيق من الله تعالى والتسديد منه جل شأنه. لقد كان لنا في كل وقت إضافة خير وعند كل ضائقة كرامة لا يتسع المجال لذكورها والإتيان عليها، ولأنني من الذين لا يستسيغون كشف الواطن أو إظهار خصوصيات لا تهم إلا أصحابها. علاقتنا بالدين بداية وانتهاء، هي علاقة عقلية يحكمها المنطق ويتفاعل معها الوجدان، ومن لم يعقل الدين بعقله لا يمكنه فهم معانيه ومقاصده، وتبقى علاقته به سالبة لإادة لتفاعل والنوبان.

حتى لا تمر قواعتي للمراجعات وغوه من الكتب مع الشيخ مبارك بعداش دون استكمال للفائدة اشتريت بعض المراجع لعل أهمها فتح البلري في شرح (صحيح) البخري وجامع الأحاديث لمسلم النيسابوري الملقب ب (الصحيح) أيضا، وهما شيخا الرواية عند جمهور المسلمين والمعبر عنهم بأهل السنة، ولا ترى سنة لرسول الله في غير بيته، ولا في أهل غير أهله، لكنها السياسة والدهاء والمكر اقتضوا رفع الشعرات الواقة الخاوية على عروشها كالسواب الذي يحسبه الضمان ماء تماما كما رفعت المصاحف لإيقاف الحق والتمويه عليه.

تتبع الروايات التي استدلت بها علماء أهل البيت على مخالفهم فوجدتها صحيحة لا لبس فيها وأيقنت مع كل رواية كنا

نوأها ثم أجدها في الموضوع المشار إليه بقوة الحجة واستقامة الدليل. ثم استعنت بعد ذلك ببعض كتب الرجال ككتاب ميزان الاعتدال للذهبي وأسد الغابة لابن الأثير والإصابة لابن حجر وتهذيب التهذيب في بحث أسانيد بعض الروايات عند كتابتي لبعض الواسات التي كانت تدفعني الحاجة إليها لقلّة الكتب التي كانت بحوزتي.

حبي الفطوي لعلي كان وراء تشييعي بسوعة

رغم أنني لا أنكر أن فطويتي في حب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هي التي دفعتني دفعا وأنا أتصفح الورقات الأولى من كتاب المراجعات على معانقة الولاء الحق وتبني النظرية الإسلامية التي طرحها أئمة أهل البيت عليهم السلام للناس والتي تشكل في مضامينها مطابقة الحجة لدليلها. رغم ذلك فإن ما لفت انتباهي وشد اهتمامي قوة الأدلة التي في حوزة المسلمين الشيعة وعلى وجه الخصوص منهم الإمامية الاثني عشرية. تلك النصوص التي حفلت بها كتب مخالفيهم قبل كتبهم. وهل توجد حجة أقوى من أن يحتج صاحب الدعوى على خصومه من كتبهم؟ لكن لماذا لا يدرك هؤلاء الخصوم بأن الدين الحقيقي والصحيح لا يقوم إلا على الحجة والوهم والدليل والبيان لا على التبعية العمياء والتورث البغيض؟ حقيقة واحدة حالت دون بلوغ هؤلاء لإثبات الصواب وهي قصورهم عن البحث والاطلاع واقتصرهم على ما قرره علمؤهم (أن صحت التسمية) بخصوص التشيع وأهله دون التثبت فيما جناه هؤلاء المتقولون لطمس الحقيقة والنأي بها عن عقول الناس.

ولكن للحق صولة تروق من بين ثنايا ظلمات الباطل بلرقة الحق. فتدحض الدعوى الزائفة والتوسبات الغريبة بوميض صدقها، وقوة دلالتها واستقامة وهانها.

تعرفت في عملي على أحد الزملاء وبمرور الأيام اصطفيته لنفسه أخي وصديقا. فتمتنت العلاقة وتوطدت وأصر المودة بيننا حتى صونا قليلي الافتراق عن بعضنا. حدثته عن التشيع لأهل البيت عليهم السلام فوجدته متهيئ رد علي قائلا في يوم من الأيام بأن الذي جعله يدخل التشيع بدون تردد هي آية واحدة وهي " بسم الله الرحمن الرحيم " كان الرجل مالكا بالوراثة شأنه شأن عموم أتباع المذاهب الأربعة (الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنابلة) استوقفته الآية تساءل عن عزوف المالكية عنها وعن علة اعتبارها مكروهة عندهم في القاءة أثناء صلاة الفريضة، وهي تكاد تكون الاسم الأعظم، حسب ما جاء من روايات بخصوص عظم قورها وعلو مقامها، كان ذلك أول الخيط الذي أمسك بطرفه ليبرك الحقيقة، أخبرته بعدها بأن معاوية ومن تبعه من حكام بني أمية على ذلك، هو أول من منع البسمة في الصلاة كما صدع بذلك النيسابوري في تفسيره بما مش تفسير الطوي، حيث تعرض لاختلاف روايتي أنس بخصوص البسمة منعا وإجزة فقال: وكان بنو أمية يباليون في المنع (قراءة البسمة) سعيا لابطال آثار علي بن أبي طالب عليه السلام، ففعل أنسا خاف منهم لذلك اضطربت رواياته.

إذا تلك دلالة قوية تقول بأن الدين الإسلامي الذي جاء به خاتم الأنبياء والموسلين وقع تحت طائلة الطغاة والظالمين، وحسب أهوائهم ومصالحهم ونزواتهم يجيزون للناس ما يرونه ويمنعون عنهم ما لا يرغبونه، حتى وإن كان لا يشكل عليهم خطرا كالبسمة، التي منعها معاوية لا شيء سوى أن عليا عليه السلام كان يستفتح بها في كل صلاة يصلحها، إمعانا منه في

إبطال آثره. كأنما علي عليه السلام مبتدع، ومعلوية الطليق ابن آكلة الأكباد مصحح وموجح، وهل علي عليه السلام سوى نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بمنطوق آية المباهلة التي تقول: " فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين". اتفقت الروايات على أن رسول الله أخرج لمباهلة وفد نصرى نوان الحسن والحسين (أبناءنا) وفاطمة (نساءنا) وعلي (أنفسنا) عليهم الصلاة والسلام. وهل علم علي عليه السلام إلا باب لمدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله كما في الحديث المشهور "أنا مدينة العلم وعلي بابها" ولم يكن هناك بشر بعد رسول الله (ص) أعلم منه حتى ابن عمه عبد الله بن عباس الذي حاول البعض جعله بديلا للإمام علي عليه السلام فمنحوه ألقابا لا تستقيم له في وجود علي والحسن والحسين عليهم السلام. فقالوا بأنه حبر الأمة وتوجمان القآن، سئل يوما فقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال رافعا لكل شبهة: "كقطرة ماء في البحر المحيط".

وهل صلاة علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والناس عاكفون على أصنامهم يعبدونها فعرف الله تعالى ووحدته وتقرب منه إقتداء وتأسيا وتعلما من ابن عمه وأخيه بالمؤاخاتين في مكة والمدينة. كان عليه السلام يقول "عبدت الله تعالى قبل أن يعبد الناس بسبع سنين".

فكيف تستقيم مقايسة التبر بالتبن والثريا بالثوى "إنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور" لقد كانت فتوة الواجعة التي قمت بها لتمييز الحق من الباطل، كافية لاواز عدد من العلامات الدالة على صحة دعوى المسلمين الشيعة بأنهم الفرقة الناجية، وأنها هي على الحق لا زال تمسك بحبل الله المتين وتستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وإنها على الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من أهل البيت اذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهوا.

من بين الحقائق التي وقفت عليها في بحثي عن الخط الإسلامي الأكثر صحة:

حقيقة عزوف من سماهم حكام الظلم والجور أهل السنة والجماعة عن الرواية عن الإمام علي عليه السلام واستبدلوه بغوره ممن لا وجه لمقرنته به؟

إن المتأمل في الكتب الروائية لهذه الفرق يلاحظ شحا غريبا وعجيبا من منها لروايات أمير المؤمنين ونريته الأئمة الهداة، رضوا بالأخذ عن غورهم ممن لا وجه لمقرنتهم به، بل إن بعضهم استكان في أخذ الرواية عن أعدائهم، وأعداء أهل البيت كما هو معروف من كلام سيد النبيين: "لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق". فعيران بن حطان السدوسي مثلا من رواة البخاري قمة التحوي في الرجال عندهم، كان مبغضا لأمير المؤمنين عليا عليه السلام، لوجه أنه قال شعوا، يمدح فيه عبد الرحمان بن ملجم الوادي لعنه الله تعالى قاتل الإمام علي، والذي سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه أشقى الآخرين. حتى الروايات التي نقلوها عن الإمام علي عليه السلام، كانت من باب التلفيق عليه والكذب الخسيس، الذي روجوه عنه بأمر من الطغاة والظالمين، فعلى سبيل المثال نجد أنهم يفترون عليه القول بتحريم المتعة والحال أنه قد تسالم الجميع على أنه صاحب القول بأنه لو لا أن نهى عنها عمر مازنى إلا شقي.

ينقلون في أمهات كتبهم بأنه باب مدينة علم رسول الله (ص) وينقلون عنه عليه السلام قوله: علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم فانفتح لي من كل باب ألف باب". وقوله: "لقد كان رسول الله (ص) يرقني العلم زقا". وكان يقول: "سلوني قبل أن تفقدوني". وكان يشير إلى صوره فيقول: "إن ها هنا لعلما جما "

ورغم ذلك كله نجد أنه لاحظ له من بين أكثر الرواة عندهم رواية أمثال أبي هريرة وعائشة وعبد الله بن عمر وغيرهم ممن عدت رواياتهم بألاف، ألعلم هؤلاء الذي فاق علم باب مدينة العلم؟ أم لسياسة كانت متبعة في العصر الأموي، دفعا لمكانة أهل البيت ومقام الصفة الطاهرة؟

لماذا تتمحور جل رواياتهم في أسانيدھا على أسماء لم تعرف بالعلم ولا بالسبق، خاصة ولدينا قوينة تقول بتأخر عصر التنوين عندهم إلى القرن الثاني عند هؤلاء. فهل كان ذلك لتمييز بين تلك الأسماء ومن اذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهروا؟ أم أن تأخر التنوين كان واد منه تكبيل الشريعة وتعطيلها، إن لم نقل محققا وتضييعها، والباحث المنصف يقف أمام حقيقة دفع الحق عن أهله، وتغييب مضامين الدين القيم عن الناس، ليستمر العمل على هدمه دون رد فعل.

أما أسماءهم عليهم السلام، فان الملتفت إلى هذه الإشارة يترك جيدا مدى عمقها، ودلالاتها على أن هذه الصفة مرتبطة بالله تعالى في كل صغوة وكبوة بدأ بالتسمية فعلي عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام أسماء لم تكن معروفة قبل في قريش ولا في بلاد العوب قبل ولادة هؤلاء.

بل إننا قد نجد في الروايات والأحاديث التي تشير إلى أن تلك الأسماء إلهية بحتة، كلها مشتقة من الأسماء الحسنى. ففي الحديث القدسي الذي خاطب فيه المولى سبحانه وتعالى نبيه الأعظم صل الله عليه وآله وسلم بقوله: "يا محمد اني قد اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها واشتقت لك اسما من أسمائي فأنا المحمود وأنت محمد ثم اطلعت ثانية فاخترت عليا واشتقت له اسما من أسمائي فأنا الأعلى وهو علي". هذه إشارة لطيفة لمن ألقى السمع وهو شهيد. قد تعيد من لم تتلوث فطوته برأء أشباه العلماء والفقهاء والمتكلمين ممن باعوا ضماؤهم وأخرتهم، تولفا لملوكهم وسلاطينهم، أو استكبرا من عند أنفسهم. وان فانتك إرواك كل هذه المعاني والإشترات. فلا تفوتك سوة هؤلاء الذين لم يسجل لهم التريخ غير المكرم والفضائل التي لا يدانيها أحد من العالمين. إن شئت هذا علي نفس الرسول الأعظم صلى الله عليهما قد اخذ بمجامع العلوم فكان الأصل الذي عاد إليه كل صغير وكبير، حتى عد اصل كل علم بعدما عده النبي باب مدينة علمه. أما أخلاقه وسيرته فهي تنبتك على أن الذي وقعت عليه كان سفينة النجاة وباب حطة، منه تعلم العرفون التعامل مع الدنيا والعيش فيها فكان بحق سيد الزاهدين وافضل العابدين بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ونحا نحوه نويته وصفوته الطاهرة يسلكون نهجه، وقلوبهم وجلة من خشية الله، لم تداخلهم الطمأنينة في جنب الله تعالى حتى يتسأنسوا بالوضى على أفعالهم، فكانت حياتهم كلها تضحية وعطاء، رغم أنهم سادة الأولين والآخرين، بشوهم بذلك خالقهم فلم يرضوا بغير العزوف عن هذه الدنيا، إلا من عمل صالح فعوله.

وبعد فهذه عينات من أبحاث ورواسات كتبها لغايتين الأولى نشر تجربتي وانطباعاتي وقناعاتي، وكل ما توصلت إليه خلال

مسيرتي على خطى أهل البيت عليهم السلام، سالكا نهجهم، مقتفيا أثرهم، حبا لهم وحباً لله الذي أمر بحبهم واتباعهم، أقدمه إليهم راجيا القبول، وشأنهم نوما أن لا يروا هدية قدمت إليهم حتى لو كانت صغيرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تأملات ومقلنات

إن من لم يترك حقيقة أئمة أهل البيت عليهم السلام، لم يفهم معنى الاصطفاء الإلهي، ولم يع البعد القيادي الذي فرضه المولى تعالى على أهل طاعته، وهو محتاج إلى إعادة قواعده للمنهج الإسلامي العام، ليتحقق من استيعابه لكل التفاصيل التي جاء بها الوحي، وصدع بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. إن كلامي هذا ليس من باب التبجح ولا من زاوية الزايدة التي غالبا ما يركن إليها الجاهل والمستكبر أو الذي في قلبه مرض. بل هي دعوة إلى كل مسلم نصب بين عينيه تقوى الله، واجتهد قدر طاقته في الوار إليه جل شأنه. أولى الخطوات التي تحقق التوجه إلى الله تعالى، التأمل في ما ألقى إلينا على مدى أربعة عشر قرنا والتحقق منه، فان لم نستطع ففي التأمل في بعض العلامات التي بقيت إلى يومنا هذا مؤثرا على صحة خط واحد من هذه الخطوط التي ترفع شعار لا اله إلا الله محمدا رسول الله، لأن في دخائل بقيتها، كثير من التحريف والكذب على الله تعالى وعلى رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ومس وتشويه ألحق بالواجهة الكوى للإسلام وأهله ضررا من الصعب تنقيته بسهولة، ثاني الخطوات اعتماد قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " لا زال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يظوهم من خلفهم حتى يأتي أمر الله".⁽¹⁾ كغاية وهدف من رواء بحثنا، مبدؤنا الأول الذي نتفق عليه هو ما كان معولا به عند عدد من الفقهاء والعلماء: "إذا صح الحديث عند غوي فهو مذهبي".⁽²⁾ وأعتوه عنوان التسامح والبساطة والنزول إلى الحق، باعتبارنا كلنا باحثين عن الحقيقة وساعين إليها. كما إنني لست في مقام التخطئة أو التوثئة لأحد من بني عصوي أو العصور التي كانت بعيدة عن عصور التشويه والتلفيق، كل ما أسعى إليه هو أن أقدم نصيحتي وأطرح شيئا من القاناعات التي توصلت إليها على مدى سنوات، قضيت أكثر أوقاتها في البحث والمطالعة، مقلنا ومستنتجا ومتأملا فما بين أيدينا من ركام خمسة عشرة قرنا.

منذ أمد ليس ببعيد كنت أعتقد أنني من أولئك الذين من الله تعالى عليهم بالهداية ودخول الإسلام من بابه الكبير، وورود منهله الصافي، حينها ما كان في تصوري أن الواجهة التي حطت فيها والوكن الذي آويت إليه كان من أوهن البيوت عند الله تعالى، لأنه باب نهى عنه وذم المعتصم به، فالتقليد الأعمى والاتباع الذي لم يتخذ من العلم وسيلة لإلواك الحقيقة، هما البضاعة التي لا حظ لها في الدنيا والآخرة، وليس لها عند البري تعالى أي قيمة. الدين علم يسبق العمل، ثم عمل يصدق العلم، ومن توك العلم في أخذ دينه إلى سبل أخرى فانه لن يترك من الدين شيئا ولن يعرف من حلوة العقيدة ومعانيها العظيمة ولن يفهم علل الشوائع وأسبابها ولا كنه الوجود بأسوه. إذا ما هو المطلوب منا إن كانت لدينا الإرادة القوية والغزيمة الصادقة والإخلاص لله تعالى للوصول إلى الأخذ بلب هذا الدين والامساك بلوح نجاته وسط هذا الخضم من التناقضات؟

هذه تأملاتي واستشوفاتي التي كنت قد وقفت على حقائقها من خلال ما كانت تطاله يداي من مطالعات وقراءات واستماع ومقلنات، أفضت بي إلى الإرساء على ساحل لم يكن في حسابي أن أنتهي إليه وأستطيب العيش في وسطه، متمنيا أن لو كان

في الإمكان رجاء المؤمن إلى الرء لكان موساي فيه باكو. لكنها المشيئة الإلهية والعناية الربانية...

لم أصل إلى معرفة الوجهة الصحيحة والرواة الصافية للدين الإسلامي إلا بعد أن عرفت طريقة أهل البيت وأطروحتهم ورؤيتهم التي أخذوها عن جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، لم يكن من السهل على شخص كان معتقدا أنه سالكا طريق الهدى، فيكتشف أن محصله من الدين لا يتجاوز القشور والمعاني، التي أوجد جانباً منها أعداء الإسلام من منافقين ويهود، تسللوا إلى داخل الكيان ليضعفوه ويقوضوه بعد ذلك. العامل الإيجابي الذي كنت متمزاً به وساعدني على تقبل الحقيقة بكل رحابة صدر، هو الصبر والأناة وبعدي عن أي تعصب يحول بيني وبين إرواك حل أي مسألة تعترضني، قد يكون ذلك راجعاً إلى معدني وأصلي أو إلى شيء غيبي آخر لم أركه بعد.

فإذا كنت أخي المسلم ممن يختل في داخله الصبر والأناة وعدم التعصب، إذا كنت ذلك الإنسان الذي يبحث عن رضى الخالق، ويعتبر نفسه بالأساس عاملاً في خط العبودية لله، وليس مالكا كما وضع كثير من المسلمين اليوم أنفسهم، ونصوها قاضية وحاكمة على بقية الخلق كأنها تملك ذلك الحق.

إن التجرد من هذه العصبية العمياء، هو العمل الذي يجب على الباحث عن الحقيقة أن يتحلى به، لكي يصل إلى بر السلام من سفوته بين ركام خمسة عشر قرناً، طالبا من الله تعالى العون على هدايته. إذا كان الله تعالى قد طلب منا أن نتوجه إلى أهل الكتاب لنفتح معهم صفحة جديدة وكلمة سواء تجمعنا على العيش على هذه الأرض بلا تناحر ولا تعدوان نعبد وحده بلا شريك، بمعنى أن لا نتخذ من دونه أولياء، فهو الولي المطلق، وكل ولاية ليست مستمدة من ولايته باطلة، فان دعوة البلي تعالى إلينا نحن معشر هذا الدين الخاتم إلى أن نعتصم بحبله جميعاً، حبل الله المتين وعروته الوثقى التي لا انفصام لها، كما هو صريح وواضح لدى نقلة الأحاديث ورواته، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اني تركت فيكم الثقلين، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعتوتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما".⁽³⁾

قد يستغرب الكثيرون من هذا الحديث، وأنا أعزوهم في ذلك لأنهم ألفوا حديث يقابله وهو: تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتي". ، الحديث الأول هو الأصل والصحيح والثاني وقع وضعه من قبل الذين سعوا لافساد الدين وابعاد الناس عن الذين عندهم سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دون زيادة ولا نقصان، خوفاً من أن يعود الوعي إليهم فيثورون عليهم ليعيبوا الحق إلى أهله. لسنا إذا في وضع إنكار السنة المطهرة فجاهداها كافر بإجماع المسلمين ولكننا في مقام توجيه رأيين: رأي يطلق السنة في الناس هكذا من غير ضابط، مخالفاً بذلك كتاب الله والصحيح من السنة. ورأي يقول بأن السنة مقيدة وهي في أشخاص معينين أقرب ما يكونون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لم أصل إلى نبع الإسلام الصافي إلا بعد أن تجردت لله تعالى من كل تبعة وتصور مذهبي، لأن أغلب المذاهب التي عليها الناس غير مؤمنة، ولم يدع أصحابها بأنهم يمتلكون الحقيقة كاملة، ولا اتبعهم الناس في عصورهم، وانما هم في غالبيتهم فقهاء سلاطين عصور دموية، استطال فيها الباطل والظلم حتى صار ظلاً يتخذة الناس سكناً، أو هم في حالات أخرى قضاة نصبهم

الطواغيت يحكمون باسم الدين، ويعنونون حكوماتهم بذلك.

ذلك التجرد مهم جدا، لأننا فعلا لا نملك عن الإسلام إلا ما جاءنا من تلك الطرق، وليس لنا من حل سوى أن نوكم ما كان متبعا بالتقليد الأعمى، الذي لم يستند يوما إلى علم، لنعيد القواء من جديد، وبذلك يتسنى لنا أن نفوت الفرصة على التعصب الذي لا طائل من ورائه، سوى بث الحقد وإيغار الصدور، على مسائل كان يجب أن تؤخذ من زاوية العقل والعلم والنرس، دليلا الأكبر هو قوله تعالى: " قل هاتوا وهااتكم إن كنتم صادقين". تعالوا اخوة الإسلام إذا، لنعاهد الله تعالى على المضي في معرفته والأخذ بدينه، وان نؤرم أنفسنا بأن لا نتعبد بشيء مستقبلا، سوى ما جاء في كتاب الله تعالى، وما تحققنا صدوره عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. فلننتقل على بركة الله وعونه وتسديده، وان التبس علينا أمر، فلنتوجه إليه تعالى طالبين منه العون على إيراك الحقيقة، وسائلين الهداية والتوفيق.

العلامة الأولى:

التي وقفت عليها وأنصحكم بأن تأخذوها بعين الاعتبار ولا تهملوها، رأيت فيها السبب بلية الأمة والمرض الذي بدأها وأحوى عليها ما هي فيه الآن من فرقة وتشردم وانكسار وضعف حتى صار أضعف شيء فيها هو دينها. وهو عبوة على وضع اليد على العلة، وموضع الداء الذي أفضى بنا إلى هذا الهوان. فقد نقل المؤرخون: أن معاوية أمر الناس بالعواق والشام وغوهما بسبب علي عليه السلام والوأة منه... وكتب بذلك في الآفاق. وخطب بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية. ونقل أيضا أن قوما من بني أمية قالوا لمعاوية: يا...، انك قد بلغت ما أملت، فلو كفت عن لعن هذا الرجل. فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهزم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلا. وروى المدائني في كتاب الأحداث: " قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة، أن بوءت الذمة ممن روى شيئا في فضل أبي زاب (يقصد به الإمام علي بن أبي طالب) وأهل بيته. فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليه ويبرئون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته... وكتب أيضا ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فأدوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم واكتوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم، واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنزل والدينا. ثم كتب إلى عماله: إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين (مثنى وليس جمعا بنصب اللام وجرم الياء، فهو لا يعترف بأبي الحسن أصلا)، فلا تتروكا خوا يرويه أحد من المسلمين في أبي زاب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فان هذا أحب إلي وأقر إلى عيني وأدحض لحجة أبي زاب وشيعته، واشد إليهم من مناقب عثمان وفضله. فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية، القواء الواعون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحضوا بذلك عندولاتهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياع والمنزل. حتى انتقلت

تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها، ولا تدينوا بها. (4)

لقد صوحت روايات المؤرخين بأن أساس التحريف والتغيير الذي طوأ على بعض أحكام الدين، كان من قبل معلوية بن أبي سفيان الذي توبى بين المحلبيين لله ولرسوله، ولم يدخل الدين من باب البحث التأمل وإنما دخله من باب الكواهة والأمر الواقع، وسماه وأهله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطلاق لأنهم لم يسلموا في حقيقة الأمر. وأكبر دليل على دخالتهم المريضة أنهم ما إن تحيفوا الفوصة للانقضاض على السلطة حتى اظهروا من عجيب البغض والحقد والكواهة لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ما تجوزه إلى الإحداث في الدين والإلباس على الناس. ولقد بين معلوية وابنه أن أسوة أبي سفيان لم يكن لها فهم في دين ولا رسوخ في عقيدة، لأن استهزلهما بكل القيم والمقدسات فاق تصور المعاصرين لهما. هذا والأحاديث عند ذلك الفريق لم تتون ولا أترجت ضمن اهتمامات الأنظمة، إلى أن ذهب كل الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل الذين تبعوهم، مما ساعد على تفشي الكذب على الله ورسوله، بينما حافظ أهل البيت على سلامة مخزونهم، ووثيقة نقلهم لتواصل الأئمة وتتابعهم على مدى ثلاثة قرون.

أما ما طالته أيدي التحريف الخبيثة، فعدد من المسائل المتعلقة بالدين عقيدة وشريعة، لأن الدين الحق ونهجه القويم، لا يتعايشان مطلقا مع الظالمين، كما أنه دستور لا يتجأ، ولا يستقيم منقوصا، كما وغب فيه أعداءه دائما. وعليه فإن الحملات التي شنت عليه لتدجينه، ووضع موضع الحالة الشاذة في كل عصر، والقاعدة التي لا يرجع إليها في كل مصر.

البداية كما حملتني تحملكم إلى النظر في معني التوحيد، ومعرفة الخالق تعالى، لأنه المدخل الأول للعبادة السليمة، فكل المدارس التي خرجت عن داوة أئمة أهل البيت عليهم السلام، وقعت في متولق التأويل الخاطيء، والفهم القاصر بتثبيت روايات موضوعة، لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تقف أمام كلام الله تعالى، وما صح حقيقة من روايات صدرت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من أن الله تعالى خالق الكون والحياة ومنشئ الوجود من عدم، قديم ليس لقدمه حدولا لبقائه نهاية، ليس له مكان يحويه أو يؤي إليه، إذا فهو ليس بجسم كما يتصور (أهل الحديث) عند العامة، قال عن نفسه في كتابه الغرير: "ليس كمثل شيء ولا يمكن أن يلا في الدنيا ولا في الآخرة، لاستحالة رؤية غير الأجسام، ولقوله تعالى أيضا: " لا تتركه الأبصار وهو يترك الأبصار". (5) وقوله لموسى عليه السلام رادا على قومه: "انك لن تاني". (6) ولن هنا تفيد التأبيد وليست ظرفية حتى ترجح رؤية المولى تعالى عند من يعتقدون بذلك.

ويستمر التحريف في عقيدة التوحيد إلى سلسلة من الروايات التي جعلت من رؤية المولى تعالى أورا محتوما فتعبدوا الناس يشغف الذي يريد رؤية ربه تماما كما فعل اليهود بإصولهم على رؤية الله تعالى، ولقوا على رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو ويء منه، وقالوا بنزوله إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، دون الالتفات إلى أنهم يفترون على الله تعالى ويضعونه في معتقدهم موضع الجسم المحتاج، إذ أن حركة النزول كما ادعى ذلك ابن تيمية في مسجد دمشق فقال: إن الله تعالى يقول إلى السماء الدنيا كنزولي هذا (7) . هي من أعواض الجسم والله تعالى كما صوح بنفسه أنه ليس كمثل شيء، وكما

أكد ذلك أئمة أهل البيت عليهم السلام أن رؤية البري تعالى غير ممكنة لأنه ليس بجسم لكي وي وليس أبلغ مما جاء في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول في إحدى خطبه البليغة: "... أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وكل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيم؟ فقد ضمنه، ومن قال علام؟ فقد أحلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقلنة، غير كل شيء لا بزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور له من خلقه، متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يشتوحش لفقده".⁽⁸⁾

إن الأدلة على أن الله تعالى لا يحويه مكان ولا زمان، نفي الجسمية عنه من خلاصة التوحيد لأن الجسم محدود والمحدود لا بد أن يكون في حيز والذي ينحاز في مكان يمكن الإشارة إليه وتحديده، ورب الغوة جل شأنه موه عن ذلك. ومن بديع كلام أبي الحسن أيضا: " الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور ودلت عليه أعلام الظهور وامتنع عن عين البصير، فلا عين من لم وه تنكوه ولا قلب من أثبتته يبصوه، سبق في العلو فلا شيء أعلا منه، وقوب في الدنو فلا شيء أقرب منه، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قوبه سواهم في المكان به".⁽⁹⁾

وما دمنا في عقيدة التوحيد، فقد نسب عدد من مدرس الفقه والكلام إلى الله تعالى الظلم بأنه يوم القيامة قد يدخل النار أهل طاعته والجنة أهل معصيته. ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك فنسب أفعال العباد كلها لله، وأن الناس مجبرون على أعمالهم سيئة كانت أم حسنة، قبيحة أم جميلة، منكرين مسألة الحسن القبح العقليين، وأنه لا قبيح إلا ما قبحه الشوع ولا حسن إلا ما حسنه الشوع استنادا على مرويات لا تقوم على أساس سوى أن ملفقيا كانوا يريدون أن يتستروا على جرائمهم بأنها من الله تعالى، فنشأت العرجة والمفوضة في أحضان الملك الأموي، الذي حرف كثرا من الثوابت وذهب من ذهب منهم إلى أن صفات الله تعالى هي غير ذاته، ونسوا له جورج كالمخلوقين، وهؤلاء هم المجسمة الذين فسروا معاني الآيات الوآنية على ظاهرها دون الوهوع إلى المصدر المؤمن من البري تعالى وهم صفة المختار عليهم الصلاة والسلام.

ولعل أشد الفرق الإسلامية التي ترفع شعار التنسن بسنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أبعد ما تكون منه، الحنابلة ومن تابعهم بعد ذلك من والوهابية، كانوا ولا زالون غير متورعين فيما ينسبونهم من صفات إلى الله تعالى وكتبوا في أنه في السماء وأنه يقول إلى السماء الدنيا في صورة شاب أجعد أمرد على ظهر حمار، وهذبوا بعد ذلك ادعاءهم بقولهم أنه يقول فقط وحده نعوذ بالله من ذلك الجهل المطلق⁽¹⁰⁾. وكان أبو الواء الحنبلي⁽¹¹⁾ من بين من روج لهذه العقيدة، وتبعه عليها أغلب أهل الحديث الذين غلب عليهم التؤمت والتحجر والجمود، أمام نصوص كان حوي بهم ردها من الأساس لأنها ملفقة عن النبي صلى الله عليه وآله، لا يمكنها الوقوف أمام الآيات القطعية الدلالة، والروايات الثابتة الورود. إن الذين ركوا الدين من زاوية الخوافة أعجبهم أن يأخذوا عقيدتهم من روايات تتفق وتتطابق مع عقيدة أهل الكتاب من أننا نحن البشر قد خلقنا الله تعالى على صورته، نعوذ بالله تعالى من فساد العقيدة وسوء المنقلب، حتى إن أبا هوية المتأثر بما يليق به إليه كعب أحبار اليهود، كان

يروج لذلك بنقله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله قد خلق آدم على صورته. وأنه يضع رجله في النار ليملاًها، وأنه يتكرر يوم القيامة فينكره المؤمنون... إلى غير ذلك مما يضيق به المقام من التفاهات التي لا ترقى إلى العقل السليم.

خلاصة التوحيد عند أهل البيت ما جاء عن أئمة الهدى بدأ من أبي الحسن علي بن أبي طالب ومرورا ببقية عتوته الطاهرين، عندما تقرؤه تجده كلاما واحدا لا تغيير في معانيه ولا في ألفاظه، متصلا بعضه ببعض فكوا ولغة، من علياء الفكر الإلهي ترووا، ومن بديع المعاني اللغوية أفاضوا على المسلمين علومهم وكلامهم. ولولاهم لتحولت أمة الإسلام إلى عبدة اله مثل الذي يتخيله المجسمة ومن نقل عنهم كل تلك الأباطيل التي تعج بها كتبهم.

بعد التوحيد تأتي النوبة وقد أنخنتها الأيدي جواحا وفعلت فيها فعل بني إسرائيل في أنبيائهم، فنسب الذين يدعون بأنهم أصحاب سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، له كل نقيصة وموعة حتى لم يعد هناك ما يلقونه عليه. فقالوا على سبيل المثال بأنه لم يكن معصوما، وان صحت عصمته ففي الوحي فقط، وقالوا بأنه يتبول قائما، وأنه يقبل ويباشر وهو صائم وقالوا بأنه كان يطوف على نسائه التسع في ليلة واحدة وبغسل واحد وقالوا بأنه نسي القرآن فذكروه قرئ بالمسجد وقالوا بأن آية عيسى وتولى تولت فيه، وقالوا بأنه أمر بعدم تأبير النخيل فشاص فلما أعلموه بالكلثة قال لهم أنتم أعلم بأمر دنياكم.

وقالوا بأنه سحر ثلاثة أشهر لا يوري ما يأتي به من فعل، وقالوا بأنه من ضمن من مسه الشيطان لأن الرواية استثنت عيسى بن مريم عليه السلام فقط. (12)

إلى غير ذلك من الزهات الخوايا التي أوغت على شخص خاتم الأنبياء والرسول وحبيب رب العالمين النور الذي خلقه قبل أن يخلق الخلق جميعا. فأى نبي هذا الذي يتظاهرون بتعظيمه وكتبهم ملأى بنقيصته وتحقوره، ثم يسمونها بأنها أصح كتب بعد كتاب الله تعالى. ويتسمون بعد ذلك بأنهم أهل السنة، فعن أي سنة يتحدثون؟ وأي نبي يتبعون؟ نعوذ بالله تعالى من قصر العقل وغباء الفكرة.

إن الذي عليه معتقد أهل البيت عليهم السلام في النوبة هو رُجح المعتقدات الإسلامية من أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم اصطفاه الله تعالى قبل أن يخلق الخلق بآلاف السنين، والذي يصطفيه الله تعالى يجب أن يكون معصوما مورا ومزاها عن كل نقيصة وعيب. لا يجوز عليه حتى السهو لأن حضوره الذهني والقلبي مطلوب على مدى تكليفه.

لقد طال التحريف في المنظومة الإسلامية فلحق بعض تفاصيلها وأحكامها، لأن من حكم رقاب المسلمين، واستحل دماءهم الزكية، لم يكن ليأبه لسلامتها، ولا ليعير مسائلها اهتماما. لقد ترك أولئك الظالمون بصماتهم عليها، وهي لا تزال بين أيدي الكثير من المسلمين يتعبدون بها ويعتقون أنها صحيحة، وورودها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطعي لا شك فيه، والحال أنها إحياءات شيطنة وانحافات صلخة، ودلت أثرها على أن الحق ليس له أوجه بل له وجه واحد لا يتغير على مدى الدهر، وليس هناك متغير غير النفاق وأهله. التجني الذي نتحدث عنه لم يتوك شيئا إلا وشوه حقيقته، لأي سبب يا ترى؟ هل وصل البغض لأهل الدين، تلك البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، بأن هانت دماءهم وأعراضهم على أمة جدهم، فجابوهم بالقتل النريع، وامتدت أيدي المجرمين إلى وراثتهم الذي هو الإسلام الحق ودين الصدق، لم يصفهم الله تعالى

بالصادقين إلا بعد أن أذهب عنهم الرجس وطهورهم تطهروا، ولم يأمرنا بالافتداء بهم إلا بعد أن سوهم ظاهرا وباطنا وزادهم من فضله. تلك هي سنته تعالى في مخلوقاته، يصطفي منهم ويختار الأقدر والأمثل والأقوى على أداء شيء عنه. إن الخط الإسلامي الذي شهد له العرفون جميعا بأنه الوحيد الذي لم يخرج من بلاطات السلاطين ولا أوعز من طوف طاغية، ولا شد لزره حاكم، هو خط الإمامة الإلهية الذي يتمثل في الشيعة الإمامة الاثني عشرية، الذي بدأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإعداد التلة التي رافقت الإمام عليه السلام في مسيرته بعد النبي وكانت مثالا رائعا في الموالاة والإخلاص، أمثال سلمان الفارسي وأبو ذر الغفري وعمار بن ياسر والمقداد بن عمرو ومرورا بعصور الأئمة الميامين وأصحابهم رضوان الله تعالى عليهم، إلى قيام الإمام الخاتم، الحجة بن الحسن روجي له الفداء وأنصره، وظهور الدين الحق على يديه في أجلي صورته، أما بقية المذاهب فقد كانت على صنفين:

الأول:

وهي المذاهب الأربعة (حنفية، مالكية، شافعية، حنابلة) هذا إذا أضفنا لها المذهب الوهابي في الجزيرة العربية والمذهب الأباضي في عمان (مسقط) كانت مزكاة ومدعومة ومقدمة من طوف الأنظمة التي عاشت بين أكنافها. ولو قدر لها أن لا تجد لدى تلك الأنظمة الدعم والرعاية والتأسيس لما عاشت ذلك الودح من الزمن، ولانقضت كغيرها من المدارس الفقهية التي ما إن توفي أصحابها حتى اندرست وعفي ذكورها، وهي على أحسن الأحوال قد مر عليها المؤرخون مرور الكوام.

الثاني:

وهي بقية المذاهب والآراء التي عرفت بأسماء أصحابها الذين كان عدد لا يستهان به منهم لا يقلون ورعا وتقوى وعبادة عن أصحاب المذاهب المذكورة بل لعلمهم يفوقونهم في كثير من الخصائص والخصال التي كانت لا تعجب الحكام في ذلك العصر وفي كل عصر، من بينهم أساتذة أولئك الفقهاء ومع ذلك لم تشفع لهم مشيختهم في الظهور لعدم رضى الملوك عنهم على الأرجح. فأين مذهب الليث؟ وأين مذهب الطوي؟ وأين مذهب الأوزاعي؟ وأين مذهب الثوري؟ وابن عيينة؟ وغوهم ممن باد حتى اسمه. (13)

العلامة الأولى التي يمكننا أن نخج بها في هذا الإطار واضحة كالشمس، تقول: إن خط الإسلام الإمامي الاثني عشري هو الوحيد من بين بقية المذاهب، الذي لم يركن إلى سلطة ولا قرب بلاط ظالم، مذ تكون إلى يوم الناس هذا، علاوة على أنه ظل محلبا ومطرادا، وتهمة لا تترك لصاحبها من نفسه سوى أمرين، إما أن يعيش في الناس مدليا، أو أن يعيش فلأ مقوليا، لأنه إن لم يفعل ذلك لحقه الأذى من اعتقال وتعذيب وقتل وانتهاك حرمانات، لأنه موال لبيت يمثل العرصة في أقوى صورها، المتمثلة في قوة الدليل ومنطق العقل المستنير بنور الله تعالى، ومن سبر أغوار ما كتب من تليخ أسود لهذه الأمة - لفوت ما لم يكتب - يقف على هول الحوائم التي ارتكبت في حق الطاهرين من آل محمد وأتباعهم، بدعوى الرفض وبدعوى الباطنية وغوها من التهم التي كانت ترفع في كل حملة. ورغم الإبادة التي كان يتعرض لها أهل البيت عليهم السلام منذ العصر الأموي، والدعاية المغرضة والتشويه الكاذب الذين كانا يلصقان بالصفوة الطاهرة، ومن الالهم وأحبهم طاعة الله

ورسوله - والحب المقصود هنا هو الاتباع لا غير، لقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله". ورغم الشراسة التي كان الأئمة عليهم السلام وأتباعهم يتعوضون لها من قبل الظلم وأهله من عباد دنيا وجهلة أضل سبيلا، فقد حفظ الله تعالى بعنايته وراعيته دينه وأوليائه، مما يفيد أن خط أهل البيت يمثل الإسلام الصافي والدين الحق ولو لم يكن كذلك لانترست معالمه بلا أدنى محلبة ولا أبسط تتبع كما هو الحال مع المذاهب التي انقضت بذهاب أصحابها. هذه إذا حقيقة يجب أن تحسب لهذه المدرسة التي بقيت على مدى الدهر صامدة أمام حملات الأعداء مقتفية سنن الأنبياء والأولياء في الذب عن حياض الدين والدفاع عن مفاهيمه الصافية النقية، رافعين راية الجهاد كلما دعت الحاجة إلى ذلك، باذلين الأموال والأنفس من أجل أن يبقى الإسلام منيعا، وتعاليمه صحيحة أبد الدهر.

لذلك كانت سيرتهم تركز على محلبة الظلم ومقر عته، فحرموه على أنفسهم كما حرمه الله تعالى على نفسه وحرموه على شيعتهم وأتباعهم باعتباره من المقت الذي لا يتسامح فيه المولى مع أحد فعله. فطفت سوره بعدد من المواقف التي اشتهرت وظهرت، لتبقى نماذج وأمثلة، تشهد بوفعة مقامهم وسمو منزلتهم، وان غبطهم البعض وعاداهم البعض الآخر.

أولى المواقف التي تصب في خانة المواقف المعادية للظلم خروج أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام في أعظم ثورة لأنها ثورة سيد شباب أهل الجنة الذي أثر هو وخوة من أصحابه الشهادة على قبول الذل والعيش تحت حكومة الظلم، ضروا للمؤمنين مثالا، فبقي على مر الأجيال مدرسة رافضة للظلم مقرعة له، وعينة من التجارة التي يحبها الله تعالى. ومثالا يحتذي في نصرة الحق. بقيت نهضة الحسين عليه السلام وصوخته منوية في آفاق الأمة وفي ضمائر المتوثبين للحق وعنوانا حري بكل مؤمن أن يتخذه مقصدا: " هيهات منا الذلة". تماما كما صدح بها أمير المؤمنين عليه السلام: الموت في حياتكم مقهورين والعيش في موتكم قاهرين". وحذا من بعدهم مواليتهم، ففي عصر كل ظالم قامت ثورة حسينية كربلائية وان اختلفت الأسماء والأمكنة إلا أنها جلها من مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ثاني المواقف، إحدى تصويحات أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام التي قال فيها: " والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعرة ما فعلت". قال أيضا لما انثال عليه الناس يريدون مبايعته فرفض وأصر على أن تقام البيعة في المسجد وليس في أي مكان آخر تأسيا برسول الله واقتفاء لآثره، لم يكن متحمسا إلى حكومة أفضت بالناس إلى تلك الحال من الثقة والتشؤم والفتن التي ستأتي على الأخضر واليابس، فقال قولته التي أظهرت تعاليه عما كان يشغل بال الناس من وراء اللهث وراء الحكومات: " أما والذي فلق الحبة ووأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء من أن لا يقلروا على كضة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه رهد عندي من عطفة عنز (14) .

ثالث المواقف كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عندما خرج مودعا صاحبه أبو ذر الغفلي، لما نفاه الخليفة عثمان بن عفان إلى صحراء الربذة، يومها خرج في تشييع جندب بن جنادة في لفيق من أهل بيته، وقال له: " يا أبا ذر، انك غضبت لله، وان القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فامتحنوك بالقلبي، ونفوك إلى الفلا، والله لو كانت

السموات والأرض على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجا. يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل".
واشلة القوم التي ذكرها الإمام عليه السلام يريد بها الحزب الأموي الذي عقد طرفاه عثمان بالمدينة ومعوية بالشام وكل من دار في فلكهما من طلاب دنيا وعباد الصفاء والبيضاء.

رابع المواقف ما كتبه أبي محمد علي بن الحسين زين العابدين إلى محمد بن مسلم الرهي (وهو من كبار علماء العامة) ينصحه ويحذره من إعانة الظلمة:

أو ليس بدعائهم إياك حين دعوك، جعلوك قطبا أدروا بك رحي مظلّمهم، وجسوا يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلما إلى ضلالتهم، داعيا إلى غيهم، سالكا سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتنون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم إلا نون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك. فانظر لنفسك، فانه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول".⁽¹⁶⁾

خامس المواقف التي بقيت ساطعة واقة متألئة في فضاء الظلم والظالمين تدحرجه بنورها وتريحه بمثالها، ما نقل عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام عندما أرسل في طلبه المنصور الوانيقي كاتباً له: لم لا تغشانا كما يغشانا الناس؟ فود عليه الإمام عليه السلام: ليس لنا من الدنيا ما نخافكم عليه وليس لكم من الآخرة ما نرجوكم منه ولا انتم في نعمة فنهنيكم ولا أنتم في نقمة فنغريكم، فلم نغشاكم؟ فغضب المنصور، لكنه كتم ذلك ورد على الإمام الصادق عليه السلام: تصحبنا لتصحنا. فود عليه أبو عبد الله عليه السلام: من كان يريد الدنيا فلا ينصحكم، ومن كان يريد الآخرة فلا يصحبكم والسلام".

هذه بعض مواقف الطاهرين من آل المصطفى، في مقابل تخاذل وانطواء وركون غوهم إلى الباطل والظلم من أجل منصب أو عطاء زائلين، أو خوفا من البطش والانتقام كما اعترف به الحسن البصري.

لقد كان الهداة من أهل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يركون تمام الإبراك أن حب الله تعالى والسير على نهجه وحب الدنيا لا يجتمعان في قلب مؤمن هكذا تعلموه من سيدهم الأكبر وعلومه لأبنائهم ولأتباعهم.

لقد تصور الظالمون لأهل البيت عليهم السلام أنهم بمنعهم لعدد من الأحكام وتحريف البعض الآخر أنهم يقوضون بذلك أسس أهل البيت عليهم السلام، متغافلين عن حقيقة كون أن ما عند الطاهرين من آل محمد هو الإسلام في رقى مظاهره وأنبيل صفاته وأبهى حلله، لم يزل عندهم متمزا طاهوا نقياً لا تشوبه شائبة ولم يطرأ عليه تغيير رغم ما وقع وما سيقع إلى أن يوث الله الأرض ومن عليها.

العلامة الثانية:

العلامة الثانية التي مزوت لي خط أهل البيت عليهم السلام عن غوه من الخطوط هي تعبد أتباعه بالنص المستفيض عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، لأنه نصا وعقلا ومنطقا ليس هناك من يفوق هؤلاء

الأطهار علما وقابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهم من النرية التي بعضها من بعض، ومن الذين أورثوا الكتاب وعلومه، ليأخذها عنهم الناس من الوجهتين النظرية والتطبيقية. فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كان يترك جيدا النور الخطير والجسيم الذي ألقاه الله تعالى على المصطفين الهداة من أهل بيته صلى الله عليه وسلم جميعا، فتوجه إلى إعدادهم وتهيئتهم للنور الهام الذي ينتظروهم، كما هي الحال بالنسبة لمن سبق من الأنبياء في إعداد المستحفظ على الدين من بعد النبي، لأن مسألة البلاغ والحفظ وظيفتان تخصان الله تعالى وليس لأحد أن يدعي فيهما شيء. ومن تدبر القرآن الكريم وانغمست روحه وسط معانيه الصافية عرف أن النور الذي أتحدث عنه، هو على بعدين

- بعد دنوي يتمثل في إقامة حكم الله في الأرض إذا أمكن ذلك، وحفظ الدين بكامل تفاصيله ومعانيه من أن يداخله ما ليس منه.

- وبعد أخروي يتمثل في أن الأئمة سيكونون مدعويين إلى الشهادة على عصورهم أمام الله تعالى يوم الحساب، قال تعالى: "يوم ندع كال أناس بإمامهم".⁽¹⁷⁾ هم أيضا رجال الأعراف الذين يعرفوننا بسيماننا، قال تعالى: "وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم".⁽¹⁸⁾ كمل سماهم في محكم تنويله بالأمة الوسط كما سمي من قبلهم جدهم الخليل عليه السلام، قال تعالى: "وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا".⁽¹⁹⁾ وجاء تفسير الآيات وبيان ما أشكل على الناس فهمه عن طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحديث الاثني عشر خليفة⁽²⁰⁾، وحديث المقولة⁽²¹⁾ وحديث الثقلين وحديث السفينة⁽²²⁾، وغوها من الأحاديث التي كانت كلها تركز على أهمية وأحقية أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام في قيادة الأمة، عملا بالسنن الإلهية التي سبقت رسالة الإسلام.

العلامة الثالثة:

العلامة الثالثة التي بينت لي أحقية إسلام الشيعة الإمامة الاثني عشرية في الاتباع والافتداء إن كل الفوق الإسلامية كان أساسها رجل واحد، والمسلمون الشيعة الإمامية الاثني عشرية لهم اثني عشر إماما متصلون نرية بعضها من بعض أولهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. فهذا تواتر لم يكن لأحد غير الصفة عليهم السلام.

العلامة الرابعة:

العلامة الرابعة التي أخذت بعنقي إلى اتباع الحق والحق أحق أن يتبع، هي اتصال خط أهل البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وانفصال غيره من الخطوط عنه لأن البقية قد أخنوا وأي رجل يفصل أقربهم وهو أبو حنيفة قابة القون من الزمن، وهو لم يترك غير قليل من التابعين.

العلامة الخامسة:

العلامة الخامسة التي دللتني على أن الإسلام الذي تبناه أهل البيت عليهم السلام هو الدين الذي جاء به جدهم صلى الله عليه وآله وسلم، هي عدم وجود تناقض في أحكامه ولا خلل في بنيانه ونقص في تفاصيله، والحال أن غوهم اختلط عليه الأمر

واشتبكت السبل وأشكل عليهم أن يخرجوا من مطب غلق باب الاجتهاد، لأنهم لا يملكون لأنفسهم هولا ولا قوة غير ما يلقي إليهم من أراج الحكام العاجية، فلا دين إلا ما قرره لهم أولئك، ولا اقتداء إلا بمن زكوه، إن يتبعون إلا الضن وما تهوى الأنفس.

العلامة السادسة:

العلامة السادسة التي دلتي على أن الإسلام الذي بحوزة أهل البيت هو عين الدين وأصله الثابت، بقاء الاجتهاد عندهم باب مفتوحا لم يغلق في يوم من الأيام تحت أي ظرف، لأن غلق باب الاجتهاد معناه طي صفحة الدين يومته وإلهاق روحه لأنه بعبارة أخرى إذا فقد الاجتهاد تعمقت الهوة بين الدين وعامة الناس الذين يحتاجون دائما إلى من يعطيهم الحكم الشوعي. من هذه الوجهة زى أن أهل البيت عليهم السلام قدموا للإسلام والمسلمين علوة على أئمتهم الهداة أفواجا من العلماء والفقهاء والعرفين على مدى مسوة الأمة الإسلامية المتواصلة، ولولاهم لانفصمت عوى الدين وذهبت ريحه. فقد أسس الإمام علي عليه السلام مدرسة الفقه الأولى فتخرج على يديه الكثيرون وسلك نهجه ولاده في تعليم الذين كان لديهم الاستعداد لتلقي العلم. ومضافا إلي نشر التعاليم الصحيحة للدين الإسلامي كلن للأئمة الأطهار مواقف من أصحاب المقالات والبدع والآراء السقيمة في الدين، دونها التريخ وتحدث بها الرواة، اختوت منها هذه الرواية أنقلها بطوله تعميما للفائدة ودليلا على قيمة أئمة أهل البيت عليهم السلام:

قال الإمام الصادق لأبي حنيفة لما دخل عليه:

من أنت؟

قال: أبو حنيفة.

قال: مفتي أهل العواق؟

قال: نعم

قال: بم تفتيهم؟

قال: بكتاب الله.

قال عليه السلام: وانك عالم بكتاب الله، ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه؟

قال: نعم.

قال: فاخبرني عن قول الله عز وجل: "وقرنا فيها السير سبورا فيها ليالي وأياما آمين". أي موضع هو؟

فقال أبو حنيفة: هو ما بين مكة والمدينة.

فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى جلسائه وقال: نشدكم بالله هل تسبرون بين مكة والمدينة ولا تأمنون على أنفسكم من

القتل وعلى أموالكم من السوقة.

فقالوا: اللهم نعم.

فقال أبو عبد الله: ويحك يا أبا حنيفة، إن الله لا يقول إلا حقا، أخونني عن قول الله عز وجل: "ومن دخله كان آمنا". أي

موضع هو؟

قال ذلك بيت الله الحرام.

فالتفت أبو عبد الله إلى جلسائه وقال: نشدكم بالله هل تعلمون أن عبد الله ابن الزبير وسعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنوا القتل؟

قالوا: اللهم نعم.

فقال أبو عبد الله ويحك يا أبا حنيفة، إن الله لا يقول إلا حقا.

فقال أبو حنيفة: ليس لي علم بكتاب الله وإنما أنا صاحب قياس.

قال أبو عبد الله: فانظر قياسك إن كنت مقيسا. أيهما أعظم عند الله القتل أو الزنا؟

قال: بل القتل.

فقال عليه السلام: فكيف رضي في القتل بشاهدين، ولم يرضى في الزنا إلا بربعة؟ ثم قال له: الصلاة أفضل أم الصيام؟

قال: بل الصلاة أفضل.

قال: فيجب على قياس قولك على الحائض قضاء ما فاتها من الصلاة حال حيضها دون الصيام، وقد أوجب الله تعالى عليها

قضاء الصوم دون الصلاة. ثم قال له عليه السلام: البول اقذر أم المنى؟

قال أبو حنيفة: البول أقذر.

قال عليه السلام: يجب على قياسك الغسل من البول دون المنى، وقد أوجب الله تعالى الغسل من المنى دون البول.

قال: إنما أنا صاحب رأي.

فقال عليه السلام: فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة، فدخلوا بامراتيهما في ليلة واحدة، ثم

سافوا وجعل امراتيهما في بيت واحد، وولدتا غلامين، فسقط البيت عليهم، فقتل المواتين وبقي الغلامان، أيهما في رأيك المالك

والمملوك، وأيهما الورث وأيهما الموروث؟

قال: إنما أنا صاحب حدود.

قال عليه السلام: فما ترى في رجل أعمى فقأ عين صحيح واقطع قطع يدرجل، كيف يقام عليهما؟

قال: إنما أنا رجل عالم بمباعدت الأنبياء.

قال عليه السلام: فأخونني عن قول الله لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: "لعله يتذكر أو يخشى". ولعل من الشك؟

قال: نعم.

قال: وكذلك من الله شك إذ قال: لعله؟

قال أبو حنيفة لا علم لي.

قال عليه السلام: وِعَم أنك تفتي بكتاب الله ولست ممن ورثه، ووَِعَم أنك صاحب قياس، وأول من قاس إبليس لعنه الله،

ولم بين دين الإسلام على القياس، ورتعم أنك صاحب رأي، وكان الوأي من رسول الله صلى الله عليه وآله صوابا، ومن دونه خطأ، لأن الله تعالى قال: " فأحكم بينهم بما رأك الله". ولم يقل ذلك لغوره، ورتعم أنك صاحب حدود، ومن أتوت عليه أولى بعلمها منك، ورتعم أنك عالم بمباعت الأنبياء، وخاتم الأنبياء أعلم بمباعتهم منك، ولولا أن يقال: دخل على ابن رسول الله فلم يسأله عن شيء، ما سألتك عن شيء. ففس إن كنت مقيسا.

قال أبو حنيفة: لا أتكلم بالوأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس.

قال الإمام الصادق عليه السلام: كلا، إن حب الرياسة غير تركك، كما لم يتوك من كان قبلك. (*)

ولعل أكبر المدرس التي قامت بدور ضخم في المدينة هي مدرسة الإمام الحسن ومدرسة الإمام محمد بن علي بن الحسين الملقب بباقر العلوم ومدرسة جعفر بن محمد الملقب بالصادق عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، دون أن ننسى ما كان يقوم به هؤلاء الأطهار من تعليم خاصتهم، وانتهاج طريق التعليم السوي عند محاصرتهم من قبل الأنظمة التي كانت مذعورة من كل تحرك يقوم به الأئمة عليهم السلام لعلمها الراسخ بأن وجدان الناس وقلوبها مع الذين أذهب الله تعالى عنهم الرجس وطهرهم تطهوا. فسعت إلى الحد من إشعاعهم، فحاولت فصلهم عن المسلمين بأن استقدمتهم إلى عواصم ملكهم فرفض عليهم إقامة جوية، ووضعتهم تحت الرقابة المستترة.

العلامة السابعة:

العلامة السابعة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

لما تولت الآية: إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما". (23) قال من حضر يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فما الصلاة عليك؟ فقال: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم... إلى آخر الحديث. (24)

ونحن اليوم نشاهد ونرى إصوار الغالبية العظمى من المسلمين علماء ومتعلمين وعامة على هضم حق أهل البيت في الصلاة عليهم فيقتصرون على الصلاة عليه فقط، وهو الذي نهى عن الصلاة البؤاء (الناقصة)، فقال لا تصلوا علي الصلاة البؤاء (25) تعودت ألسنتهم على تلك الصلاة منذ أن سن معلوية لعن وسب الإمام علي وأهل بيته، وأمر بأن لا يصلى عليهم عند الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجوى في الناس وتوتبت عليه أجيال متعاقبة حتى أصبح عنوانا وسمة لكل من ابتعد عن منهج أهل البيت عليهم السلام.

يقول الإمام الصادق سلام الله عليه في خصوص هذه الصلاة: " اللهم إن محمدا صلى الله عليه وآله كما وصفته في كتابك حيث تقول لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " فاشهد أنه لكذلك وانك لم تأمونا بالصلاة عليه إلا بعد أن صليت عليه أنت وملائكتك وأتوت في محكم وأنك: " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لا حاجة إلى صلاة أحد من المخلوقين بعد صلواتك عليه ولا إلى توكيتهم بعد توكيتك بل الخلق جميعا هم المحتاجون إلى ذلك لأنك جعلته بابك الذي لا تقبل ممن أتاك إلا منه، وجعلت الصلاة عليه قربة

منك ووسيلة إليك وزلفة عندك ودلت المؤمنين عليه وأمرتهم بالصلاة عليه ليزدادوا بها أثرة لديك وكرامة عليك...."

إن الصلاة على النبي وآله كما جاءت في النص الواضح والصريح لا تحتاج إلى تأويل ولا زيادة، فعندما نقول اللهم صل على محمد وآل محمد، يمكننا قولها بصيغة رُى عندما نسمع اسم النبي أو أحد من أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، فنقول صلى الله عليه وآله وسلم. أما إدخال الصحابة جملة أو تفصيلاً فهو مما فيه تجاوز للنص التعبدى وإحداث ما ليس منه، فلو كان النص فيه مثلاً، وعلى أصحاب محمد كما صليت على أصحاب إواهم. لكان واجباً إدخال الصحابة في الصلاة الخاصة بالنبي محمد وأهل بيته عليهم الصلاة والسلام. وهذا مقام رفيع لا يمكن لأحد من الصحابة أو غوهم أن ينالوه. نعم إن للصحابة ولنا معهم صلاة تخلصنا في هذه الآية: " هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور". (27)

وهي صلاة كما وضحتها الآية القصد والغاية منها إخراجنا من ظلمات الجهل وغشوات النفس الأمّرة بالسوء إلى نور الهداية الرباني، أما الصلاة على محمد وآله الأطهار فهي للمصطفين رقي من النور إلى النور ولنا وسيلة لبوُغ أولى فضاءات النور. وعلى ذلك فإن كل من يعتقد بأن الصحابة مشمولين مع الآل في الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد افترى على الله تعالى ما لم يأمر به وزاد في أمر الهي لي من حقه أن يزيد فيه شيئاً وهو بالتالي متبع لخطى المحرفين الأوائل الذين غرسوا الخبث والدها والمكر ليوقعوا البسطاء والسذج في شراك شياطينهم.

العلامة الثامنة:

العلامة الثامنة التي أخذت بمجامع قلبي وهزته هواً قويا، هي مودة قربي رسول الله، وأعني بذلك الأمر الإلهي الخاص بهم والذي صدر من العلي الأعلى في شأنهم فقال في محكم تنزيله: "قل لا أسألكم عليه إلا المودة في القربى". (28) لم أجد في المسلمين من يؤدي هذه الشعرة على أكمل وجه غير المسلمين الموالين للأئمة الاثني عشر من بيت النبوة ومهبط الوحي ومختلف اللائكة عليهم افضل صلاة ورُكى تسليم، فإلى جانب أخذ الموالين لهم كل ما يتعلق بالدين، فقد خصهم المتفانون في حُبهم موضة الله تعالى بعناية واهتماما كبيرين لأواحهم وأواحهم، وهنا يتجلى الحب في أصدق معانيه، لأنه تطابق في الشعور وتلازم في الأحاسيس وتناغم في القناعة والمعتقد، فإن كنت تحب الله فعلا فعليك بحب علي وحب الحسن والحسين وفاطمة وأبناءها البررة الهداة، هكذا أوصى الرسول الأكرم من بعد أمر الله تعالى، أن نوح لوفهم وأن نحزن لحزنهم، أن نكون معهم في الدنيا يكونون معنا في الآخرة، فبذل المهجة بونهم حب ليس قبله حب، والحزن لمصائبهم، وما أكثر المصائب التي صبت على ذلك البيت الإلهي، ليس لهوانهم على الله بل بالعكس، فوالله ما أحب الله عبداً إلا وصب عليه المحن والابتلاءات صبا، ليمحصه وليركبه ويرفعه من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى، أما الصفة الطاهرة محل حديثنا فلهم مقامات أخرى لا نستطيع إواكها. إن أعظم نرجات الخوف من الله تعالى هي البكاء من خشيته، تذلاً واستكانة وتسليماً، وقد جاء البكاء على الحسين عليه السلام لأن جده المصطفى صلى الله عليه وآله أول من بكاه عندما اعلمه جبريل عليه السلام بما ستفعل فيه الأمة من بعده.....

وقد حث النبي صلى الله عليه وآله على البكاء والتبكي خوفا وطاعة لله تعالى، كما مدح الله تعالى ورسوله البكائين ولم ينههم ولم يذمهم، فيعقوب مثلا بكى على ابنه يوسف حتى ابيضت عيناه وهو يعلم يقينا بأنه لم يميت، وذكر لنا الله تعالى قصته نون عتب عليه ولا لوم. وسمي النبي نوحا لنوحه على قومه قبل أن يحل عليهم العقاب الإلهي، وآدم بكى على مفارقة جنة المأوى حتى أثر في وجهه، وبكت الزهراء على فراق أبيها حتى خرجت المدينة بأسرها من بكائها، وبكى علي بن الحسين على مصيبة أهله حتى عد من البكائين، ولا رى شيئا أحب إلى المؤمن من القلب الوقيق الفياض، الذي يعشق الحزن وتألّفه المصائب، لسنا مدعوين اليوم إلى البكاء على مصيبة أهل البيت عليهم السلام فقط طلبا للأجر الجزيل والحسنات التي لا يعلم عددها إلا الله تعالى بل نحن مطالبون أيضا بالبكاء على هذه الأمة التي تحجرت قلوبها، جفت مدامعها وهي تعتقد أن العبادة هي غلظة وجفاء.

تعالوا لنبك على ملايين المستضعفين الذين يوزحون تحت الظلم والفقر، تتخطفهم ذئاب البشر، فيعيش منهم من يعيش متوار وبين الألم والموض والتجاهل، ويموت منهم من يموت، فلا يؤبه له ولا يقام عليه حتى المآثم... ويأتي الأجل الغلاض الذين ليس في قلوبهم أي معنى للوحمة، ليستكروا البكاء على سيد شباب أهل الجنة، وهل بكائنا على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، إلا رفض لمنطق الاستعلاء، واستكانة لله تعالى، وواءة من الظلم أهله، وخروج من الدنيا الزائلة، وتعبير صاف وصادق ليس بعده تعبير، بأن الحزن في الله، هو الجانب القوى والحظ الوفي، من الحب والولاء لله تعالى وأوليائه، هو علاج القلوب التي صدئت من الذنوب، والبكاء هو مجلي الغمة ومنفس الكربة والمروح عن القلب همومه، تعبيره ولغته التي لا يستطيع قلم تحديد مداها ولا حصر فضاءاتها.

العلامة التاسعة:

العلامة التاسعة التي لاحت لي ساطعة في سماء اللامبالاة لدى هذه الأمة هي إعفاء البسمة من القاءة في الصلاة عند ثلاث فرق هم الحنابلة والمالكية والوهابية باعتقادهم أن البسمة غير واجبة في فاتحة الكتاب وفي غوها من السور عند الاستفتاح بالصلاة. بل لقد اعتبر المالكية الجهر بها مكروها لذلك فهم لا يصلون بها، إلا في أولي شهر رمضان، فهي مستحبة، فهذا هذيان ليس بعده إلا الخبل، آية قرآنية فيها ثلاثة من أسماء الله تعالى تكررت في القرآن لعظم شأنها، هي آية من فاتحة الكتاب، وأولى السبع المثاني، يعفى عنها ويتجاهلها الناس لماذا؟ لقد تتبعت المسألة فوجدت أن الذي حث وحرض وحمل الناس على ترك البسمة هو معلوية بن أبي سفيان الذي كان يتتبع كل أثر للإمام علي ليمحوه (28) كأنه من عند علي عليه السلام أو شيء خاص به، وما هو في حقيقته إلا دين الله في أصح مظاهره وأصدق صورته، أخذه ربيب الوحي وسلسل الشرف والمفاخر كلها عن سيد الخلق كله أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأحصاه الله تعالى فيه بقوله: "وكل شيء أحصيناه في إمام مبين". (29) فالإمام المبين هو علي عليه السلام دينا وشجاعة وعلماء، ولم يؤثر عن أحد أنه رجع إليه بعد النبي رهوع العجز والإخبات غير علي وأبنائه عليهم السلام.

الرواية التي وجدت فيها هذه الحقيقة قد أخرجها نظام الدين النيسابوري صاحب تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان،

حيث قال بعد أن سود أقرال أنس بن مالك المضطربة في البسملة من جامع مسلم القشوي النيسابوري، قال وكان بنو أمية يبالغون في المنع من البسملة فلعل أنسا خاف منهم فاضطربت أقراله. وقد أخرج مسلم روايتين لأنس تقول الأولى بأن الرسول كان يستفتح بالحمد وفي الثانية، كان يستفتح بيسم الله الرحمن الرحيم.

ولا رى تناقضا في نظري لروايتيه لأن القصد من الرواية الأولى هي قواعته صلى الله عليه وآله وسلم لفاتحة الكتاب والتي لها عدة أسماء من بينها اسم الحمد.⁽³⁰⁾

مضافا إلى البسملة، وقع التخلي عن القنوت في الصلاة (الدعاء) فاقصر بعضهم على أداءه في صلاة الصبح فقط، رغم أنه مخ العبادة، تحريف لجوهر الصلاة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الصلاة موجاه المؤمن إلى الله تعالى، فيها رجاءه وبها لجوءه، فإذا خلت من الدعاء الذي يعقب القاءة خويت على عروشها، وتحولت من صلاة عبد فقير مستكين هرب إلى الله تعالى من قلة حيلته وضعفه إلى قنوته وعظمته. قال تعالى قل ما يعبئ بكم ربي لولا دعاءكم".⁽³¹⁾ وما دمنا في مسألة الدعاء، يجدر القول أن المخزون الذي أفاضه علينا الأئمة الهداة من الأدعية الجليلة القدر والعظيمة المعنى لا يقدر بقيمة. الأدعية المروية عن الإمام علي عليه السلام وأدعية بقية الأئمة وخصوصا الدعاء المجموع في الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين زين العبدین عليه وعلى آباءه السلام، أطلب منك أيها الباحث عن الحقيقة أن تعود إليها لتزوي عطشك وتشفي غلبك.

أما عبادة الأئمة الأطهار عليهم السلام فمما شاع ذكورها وصلت مثلا لم يستطع أحد أن يدانيهم في تهجد أو لجوء إلى الله تعالى، كما صوحت به الرواية التي أخرجها مسلم في جامعه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا، وان أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وان قل، وكان آل محمد إذا عملوا عملا أثبوه.⁽³²⁾ وقد دلت الرواية على أن الكلام الذي أطلقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه لوم على الذين اقتنوا بالنبي في قيام شهر رمضان، وأصروا على اتباعه جماعة، فنهاهم عن ذلك باعتبار أن الجماعة لا تكون إلا في الصلوات المفروضة أما النوافل فلا يجوز فيها الجماعة، محرضا على الإتيان بالصلاة المنوبة في البيوت، ووصف البيت الذي لا تقام فيه النوافل قوا، مؤكدا على ضرورة صلاة العراء في بيته قائلا: مازال بكم صنيعكم حتى ضننت أنه سيكتب عليكم

لم ينته عبث الظالمين بالدين فشوهه وبدلوا وعطلوا ما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففي الصيام أجازوا الصوم على جنابة، رغم أن الصوم عبادة والعبادة تتطلب طهارة الروح والبدن، ثم أشاعوا في الناس الإفطار الذي هو في غير وقته أي عند غروب الشمس والله تعالى يقول: "ثم أتوا الصيام إلى الليل".⁽³³⁾ فالإفطار الشوعي لا يكون إلا بعد صلاة المغرب التي يدخل وقتها عند زوال الحمرة المشرقية، لقوله تعالى: "أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا".⁽³⁴⁾

وذهبوا إلى تعطيل الخمس وإبطاله، رغم أن الآية صريحة فيه، قال تعالى: "واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسة

ولرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل".

واقترضوا في صلاة الجنزة على أربع تكبوات بدعى أن النبي صلى الله عليه وآله قد أتى بها، ولو سألتهم عن علة الأربع تكبوات، لما جروا لك جوابا. والحقيقة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي على المنافقين قبل أن ينهاه الله تعالى عن ذلك، فكان يكبر عليهم أربع تكبوات إشارة إلى نقص دينهم، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يكبر على بقية المسلمين خمس تكبوات، صلاة كاملة بكمال دينهم، ورمز إلى أن أصول الدين هي خمسة، كما أن الصلوات اليومية هي خمسة أيضا.

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن الذي عجز عن عد خمس تكبوات صلاة الجنزة على عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لا يستطيع بقية الأحكام والتي هي أكثر تفصيلا وتحتاج إلى عقل واع لا إلى جثة متحركة تقوم بالطوقس بلا روح ولا فهم.

لم يسلم منهم حتى الوضوء فغسلوا الأرجل عوض مسحها اتباعا لأوامر الحجاج بن يوسف الثقفي، الذي حمل الناس على ذلك، كما صوح بذلك الطوي في نفسه⁽³⁶⁾ ، حتى أن الفخر الرزي عندما أعرب القواعين لم يجد بدا من الاعتراف بأن القواعين تفيدان المسح، ومع ذلك فقد ذهب به التمهيد إلى اعتماد الغسل، ولو أنه قرأ مقلنة ابن عباس للوضوء بالتييم لفهم أن حكم الوجلين هو المسح ن فما كان مغسولا في الوضوء مسح في التيمم، وما كان ممسوحا في الوضوء سقط في التيمم، فسقط الرأس والرجلان.⁽³⁷⁾

العلامة العاشرة:

العلامة العاشرة التي وقفت على أن أبا ع أهل البيت عليهم السلام هم أصحاب الحق، والفرقة التي قال عنها رسول الله أنها الناجية، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: "ستقسم أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقيون في النار".⁽³⁸⁾ وإفادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستقبلية، ولم يحصل انقسام على عهده، إنما حصل الانقسام بعده، وعليه فإن من الحكمة أن يرشد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم إلى من يلتجئ الناس من بعده إذا وقع الانقسام؟ لدى المسلمين اليوم روايتين، الأولى جاء بها خط الحكام بغتهم وغنيثهم وفيها تقولوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قال عندما سئل عن الفرقة الناجية: "ما أنا عليه وأصحابي". والرواية التي جاءت من طريق أهل البيت عليهم السلام وكان السائل علي عليه السلام، وقد عهد المبادر إلى كل استفسار مهم. فود عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائلا: "ما أنت عليه وأصحابك".

وعندما نقلن بين الروايتين نجد أن الرواية الأولى لا ستقيم متنها لأن إخبار النبي عن حالة ستقع في المستقبل، عندما يكون غائبا عن الحياة الدنيا، أما أصحابه فقد اختلفوا اختلافا شديدا أدى إلى رافة الدماء بينهم فبمن ستنمسك إذا؟

أما الرواية الثانية فهي الأصح منطقا وعقلا وتطبيقا لأن الاختلاف وقع والإمام علي موجود وهو أولى الناس بتواتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حملا وتطبيقا تماما كما كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعمار بن ياسر عندما أوصاه

قائلا: " يا عمار إذارأيت الناس قد سلخوا واديا وسلك علي واديا، فأسلك الوادي الذي سلكه علي". وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعمار أيضا: "يا عمار تقتلك الفئة الباغية." (39) من أجل ذلك ووفاء لرسول الله ولدينه وامتنالا لأمره كان عمار بعد النبي من الذين التزموا بصحبة أبي الحسن عليه السلام، ومثوا في نهجه، متيقنا ثابتا إلى آخر نفس جاد به وعموه يناهز التسعين عاما شهيدا محتسبا مدافعا عن عقيدة الصفة ودين الخوة.

العلامة الحادية عشر:

العلامة الحادية عشرة التي أكدت لي على أن الإسلام الشيعي الإمامي الاثني عشري هو الدين الصافي في أعلى مظاهره، هو كلام الهداة من أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم العطرة التي، تتاقلها القاصي والداني، إذا عرضت كلامهم على كتاب الله تعالى، وجدته متطابقا ثم إذا عرضت بعضه على البعض، وجدته أيضا متناسقا لغة ومعنى. وتأكدت كلما تعمقت في الكتب الروائية التي اختصت بهم عليهم السلام (كأصول الكافي، والاستبصار، والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه، وهي من الكتب المعتمدة عند أتباعهم، وغوها من الكتب الروائية التي توبو على الكثرة، كالوافي والوسائل والأمالى وعلل الشوائع وثواب الأعمال، وغربها مما لا يتسع المجال لذكرها والإتيان عليها.

هم اصل علم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، الذي يقول فيهم بعد ما قال في أبيهم علي بن أبي طالب عليه السلام: " أنا مدينة العلم وعلي بابها". (40) : " في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. ألا وان أئمتكم وفدكم إلى الله، فانظروا من توفدون." (41)

العلامة الثانية عشر:

العلامة الثانية عشرة عدم استنكاف أتباع أهل البيت من الكتب والانفتاح على الغير لقول رسول الله صلى الله عليه وآله الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها". (42)

لذلك ترى مكتباتهم تخر بثتى أنواع الكتب وأولها الكتب المخالفة لهم يدرسونها ويتمنعون فيها ويحتجون بها على من خالفهم، أما غورهم فلا زالون منغلقيين إلى اليوم، ينظرون إلى كتب غورهم نظر المغشي عليه، كأنما في بطونها الموت.

العلامة الثالثة عشر:

العلامة الثالثة عشرة التي ميزت إسلام أهل البيت عليهم السلام عن غورهم بأنه الإسلام الصحيح، والوجهة التي تؤدي إلى موضة الله تعالى، اعتماد الأئمة الهداة على تعليم شيعتهم وتوبييتهم واعدادهم ليكونوا نماذج صادقة تعبر مثلهم عن الإسلام المحمدي الصافي، لم يكونوا لروضوا باستقامة منقوصة أو مملوأة واد بها الظهور مظهر التقوى، بل كانوا متشددين في شروط أتباعهم، وقد أثرت هنا أن أختار روايتين تجسدان رغبة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لتكونا دليلين على أن هذا الخط هو خط التقوى، ومن لم يعرف بهذه الصفات، وادعى التشيع لأهل البيت فكذبه، روى جابر عن أبي جعفر محمد بن علي باقر العلوم خامس أئمة أهل البيت عليهم السلام قال: قال لي: " يا جابر أيكثفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل

البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجوان والفقراء وأهل المسكنة والغلمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشاؤهم في الأشياء، قال جابر فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحدا بهذه الصفة، فقال يا جابر لا تذهبن بك المذاهب حسب الرجل أن يقول أحب عليا وأولاه ثم لا يكون مع ذلك فعلا، فلو قال اني احب رسول الله صلى الله عليه وآله فوسول الله خير من علي ثم لا يتبع سبوته، ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئا، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله تعالى وأكرمهم عليه، أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقوب إلى الله تعالى إلا بالطاعة، ما معنا راءة من النار ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيع فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو. ⁽⁴³⁾ الرواية الثانية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: "ليس من شيعتنا من يوجد في مصر ويوجد من هو أتقى منه".

العلامة الرابعة عشر:

العلامة الرابعة عشرة التي وقفت على عنق أژها في نفوس الذين مازالوا بعيدين عن خط أهل البيت عليهم السلام، هي اعتقادهم بصحة ما بين طيات الكتب المسماة بالصحيح عموما والشيخين (البخري ومسلم) خصوصا، هو كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلا زيادة، إذ كيف يكون فيه الزائد وقد أضفيت عليه صفة الصحة، فكان تمسكهم به قويا إلى حد أن الأجداد رحمهم الله كانوا يقسمون بهم، ففي العاصمة وما جاورها من مدن الشمال التونسي تناهى إلى أذني يمينين: الأول: والشفاء والبخري. الثاني: والجاه والبخري. أما الشفاء فهو كتاب للقاضي عياض وأما الجاه فليست أوري إن كان جاه الله أم هو جاه السلطة، طالما أن الحالف قدم كتب الناس على كتاب الله تعالى.

لم يتحراً أحد من الحفاظ الستة على تسمية كتابه بالصحيح، لأنهم عاشوا وبين ظهوانهم مشائخهم، وأسائذتهم الذين كانوا لرباب العلوم الإسلامية، كالإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي جلس بين يديه كل من أبي حنيفة النعمان ومالك بن أنس وأخوآ عنه، ولقوا منه، ومع ذلك كان منادي الخليفة العباسي يرفع عقيرته في الأسواق: لا يفتى ومالك في المدينة".

لقد نظرت طعم الشر والفساد في كتب الحديث فلم تجد غير تلك الكتب أقل رواية عن أهل البيت عليهم السلام ونقلها لفضائلهم فاعتمدتهم وأضفت عليهم وسام الصحة، وحملت الناس على الأخذ بها، واستمر الناس على ذلك حتى انغرست في داخلهم روح تقديس تلك المصنفات، دون الالتفات إلى حقيقة أمرها، ولورجوا إليها للتدقيق في ما حوته لوجوا أنهم كانوا معتمدين خليطا من حق وباطل، ومثالا على ذلك فقد أشرت في معوض حديثي عن النبي صلى الله عليه وآله ما ألصقته تلك الكتب به من أعمال لا تصدر عن إنسان بسيط وطالت حتى الذات الإلهية بما ألصقته بها من تجسيم ووصف غريبين، واخذ بعض الأنبياء نصيبهم من التجني كالادعاء على موسى بأنه ضوب ملك الموت وفقاً عينه، والادعاء على إواهيم بأنه كذب..

إلى آخر سلسلة التلفيق المؤعة.

العلامة الخامسة عشر:

العلامة الخامسة عشرة التي زادتني يقينا على يقيني هي حالة الظهور التي تحدث عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث الطائفة، والتي تتمثل علاماتها في تميز الفوق الناجية بما تمتلكه من مخزون علمي وعملي، أهلها لظهور والبروز، وفي اعتقادي أنه لم تظهر فوق من الفوق المنتسبة للإسلام مثلما ظهرت الشيعة الإمامة الاثني عشرية قديما وحديثا. فقديما كانت المدرسة التي يشد الرجال إليها في الفقه وشتى العلوم، حتى الجهاد والشهادة الذين كانا مما تميز به خط الولاية الإلهي فكان الأئمة الأطهار والقادة الهداة الأروار وشيعتهم المعلمون الأوائل. إذا نظرت إلى الغالبية العظمى من المتميزين والمتفوقين على نظرائهم وأقوانهم فانك لن تجد غير الشيعة، كبار علماء الإسلام وكبار الصحابة وكبار الشوآء وعظماء الشجعان والمحاربين هم من الشيعة وقد سجل التاريخ في صفحاته أسماء العديدين منهم. واليوم عندما نتطلع إلى وضع المسلمين العام نرى نموذجاً في أبهى مظهره، من تعرف عليه واتبع خطواته أترك أنه يمثل الأمل في نهضة الإسلام، وعودته إلى الطوح من جديد وبأكثر إلحاح بأن يكون البديل المنطقي والواقعي لكل النظريات التي تسوس الناس اليوم، والتي لم تجد حولا لمآسي البشرية، بل زادتها تعقيدا.

العلامة السادسة عشر:

العلامة السادسة عشرة إن الاصطفاء مبدأ الهي وحقيقة واقعة في كل شيء خلقه الله تعالى، فالملائكة والجان والإنس ومن لم نعرف وما أكثر ما نجعله عن حقيقة الكون وخالقه، حتى الحيوان والنبات والذوات تخضع كلها لذلك القانون، الذي هو قاعدة انبنى عليها الكون بأسوه، فلماذا يتجاهلها الذين دخلوا في دين الله تعالى بعقلية التنظير والتملك، لا بنية التسليم والإنابة، والاصطفاء كما هو جار في الأنبياء جار كذلك في أوصيائهم الذين أوكل الله تعالى لهم دور حفظ شويعته. والذين ادعوا أن رسول الله لم يستخلف، لم يبين ادعاءهم على حجة واحدة، مقابل عديد الحجج النقلية والعقلية التي تقول بثبوت الاستخلاف وصحة الوصية، لأن من كان همه حفظ المدينة في غيابه القصير باستخلافه في كل مرة واحدا من المؤهلين لدرة شؤونها، لا بد أن يكون أكبر همه اختيار من يقوم مقامه عند انتقاله إلى جوار ربه، هذا من باب النصح للأمة في حال عدم وجود النص، الذي أوتعت به الكتب الروائية، ولكن ماذا تفعل في قوم أصروا إصولا واستكبروا استكبرا وقالوا مغوى ولو طرقت. التعيين لطف من ألطاف البري وافاضة من افاضاته، وصلة بينه وبين مخلوقاته.

إن الذي شدني إلى التشيع، فاحتضنته بكل كياني وأنا في حالة من العشق لكل تفاصيله وجزئياته، قبضت على عواه وشدته إلى نياط قلبي، لأن الحجة التي أفنعتني بأن الدين الإسلامي الذي لم تدنسه جاهلية الناس بأدناسها عند أهل البيت عليهم السلام، هو ما كان ولا زال يستدل به أتباع خط الإمامة الإلهية على خط الخلافة البشرية بما في حوزته، فالتشيع في كامل صورته وبكل تفاصيله في ما سمي بالصالح وفي بقية الكتب الروائية لدى المفكرين لخط الولاية الصحيح، غير انهم يَمرون على تلك النصوص موور الكوام، ومن هنا رُفِعَ رجائي الحار والصادق لكل مسلم، مؤال فيه بقية من عبق الحب الإلهي وصبابة من مودة حقيقية لمن بعث رحمة للعالمين وآله الذين اذهب الله تعالى عنهم الوجود وطهورهم تطهروا ليحركوا جوامد عقولهم وينفضوا غبار اللامبالاة، ويقروا بان للحق وجه واحد، كما أن للدين طوح واحد، لا يتغير مهما حول أهداء الله ورسوله

جهدهم أن يغيروه، سائلا المولى العلي القدير أن يرشد هذه الأمة إلى مناهل الهداية، انه ولي التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين.

1- متفق عليه رواه كل الحفاظ تقريبا منهم البخاري ومسلم

2 - الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر

3 - حديث الثقلين: أخرجه بطرق عديدة أكثر حفاظ الحديث منهم: مسلم في ما يسمى بالصحيح، كتاب الفضائل باب فضائل الإمام علي. الصواعق المحرقة لابن حجر ص 148 . الترمذي في ما يسمى بصحيحه ج 5 ص 328 - خصائص النسائي ص 21 - جامع الأصول لابن الأثير ج 1 ص 187 المعجم الكبير للطواني ص 137 - ابن كثير في تفسيره ج 4 ص 113 (4 أجزاء) الدر منثور للسيوطي ج 6 ص 7 و306 -... إلى غير ذلك مما عد بالعشرات، أما من رواه من الصحابة ف35 صحابيا.

4 - شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتولي ج4 ص56/57، وج 11 ص 45/46

5 - سورة الأنعام الآية: 103

6 - سورة الأعراف الآية: 142

7 - رحلة ابن بطوطة للرحالة الغربي المعروف. أحاديث الرؤية: مسلم ج 1 ص 112/117

8- نهج البلاغة الخطبة الأولى

9- نهج البلاغة

10- نهج الحق وكشف الصدق للحلي

11- نقله ابن الأثير في تزيخه

12- تزيخ ابن الأثير

13- مسلم باب فضائل عيسى

14 - شوح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتولي ج1 ص 203

15- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام

16- عقائد الإمامية للشيخ المظفر ص 381 عن تحف العقول ص 275

17 - سورة الإسراء الآية 71

18 - سورة الأعراف الآية 45

19 - سورة البقرة الآية 143

20 - حديث الاثني عشر خليفة: أخرجه كل الحفاظ على اختلاف مثلهم منهم البخاري في جامعه المسمى بالصحيح

ومسلم النيسابوري في جامعه باب الإمرة.

- 21 - حديث المتولة: أخرجه البخاري في جامعه كتاب المغلبي باب غزوة تبوك- ومسلم في باب فضائل الإمام علي عليه السلام. والترمذي في سننه ح3808 وح 3813 وح3814 - وابن ماجة في سننه ح 115 وح 121 ... إلى آخر عشوات الرواة المعترفين بالحديث وصحة وروده.
- 22 - حديث السفينة: " إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة فوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق". أخرجه مستترك الحاكم ج 2 ص 343 وح 3 ص 150 الصواعق المحرقة ص 184 -منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل ج5 ص95.... وغيرها.
- (*) أعلام الهدى لأحمد وزكي تفاعلة ص279/ 281. الاحتجاج للطوسي.
- 23 - سورة الأخرلب الآية56
- 24 - حديث الصلاة على النبي المعروف بالصلاة الإبراهيمية معروف ومتفق عليه.
- 25 - حديث الصلاة البراء متفق عليه أيضا.
- 26 - كتاب جمال الأسوع للسيد بن طولوس.
- 27 - سورة الأخراب الآية 43
- 28 - سورة الشورى الآية 23
- 29 - سورة يس الآية 12
- 30 - تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري بهامش تفسير الطوي. مسلم النيسابوري ج 2 ص12
- كتاب الصلاة
- 31 - سورة الفرقان الآية 77
- 32- جامع الأحاديث لمسلم ج 2 ص 188/189 باب فضل العمل الدائم من قيام وغره.
- 33 - سورة البقرة الآية 187
- 34 - سورة الإسواء الآية 78
- 35 - سورة الأنفال الآية 41
- 36 - تفسير الطوي في تفسير الآية السابعة من سورة المائدة.
- 37 - التفسير الكبير للفخر الرلي في تفسير آية الوضوء -تفسير ابن كثير... وغرهما.
- 38 - أخرجه ابن مردويه
- 39 - أخرجه مسلم في باب فضائل عمار بن ياسر، طبقات بن سعد ج 3 ص 180 سورة ابن هشام ج 2 ص 114، الإصابة لابن حجر ج 2 ص 512 ..وغرهم
- 40 - حديث باب مدينة العلم: أخرجه الترمذي بلفظ أنا دار الحكمة وعلي بابها. ج 5 ص 301 ح3807 - ابن عساكر في

تاريخ دمشق ج 2 ص 464 ح 984 لى 997 المستترك للحاكم النيسابوري ج 3 ص 126 و 127 أسد الغابة لابن الأثير ج 4 ص 22....

41 - حديث في كل خلف من أمتي: أخرجه ابن حجر في الصواعق المحرقة ص 148 و 226 - الدر المنثور للسيوطي ج 2 ص 60 - كنز العمال لمتقي الهندي ج 1 ص 168 ح 958 - أسد الغابة لابن الأثير ج 3 ص 138.

42- متفق عليه

43- الكافي للكلييني ج 2 ص 74

